



المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

كلية الدعوة والإعلام بالرياض

الدراسات العليا

قسم الدعوة والاحتساب

# الدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ بِالْمَنْهَجِ الْحَسْبِيِّ فِي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ

( بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الدعوة إلى الله )

إعداد الطالب :

محمد بن عبد الله العمري

إشراف فضيلة الدكتور

مصطفى مصطفى صيام

العام الجامعي

١٤٢٠هـ - ١٤٢١هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

الحمد لله خالق جميع الكائنات ، باسط الأرضين ورافع السمّوات ، عمّت نعمه سائر المخلوقات ، وغمر فضله ساكني الأرض والسمّوات ، أنعم على النّاس بنعمة العقل والإحساس ، وزوّدهم بكأفة وسائل المعرفة ، ومزيلات الإلباس ، كما أرسل إليهم رسلا مبشرين ومُنذرين ، فبينوا سبيل النّجاة ، وحذروا من طرق الرّدى والهلاك .

وكان آخرهم رسولنا محمداً ﷺ الذي اختاره الله لختّم رسالاته وأيّده بالمعجزات، وأنزل عليه الكتاب المبين ، فكان أبلغ معجزة يتحدّى بها أهل الفصاحة والبيان إلى يوم الحساب . ووكلَ الله إليه مُهمّةً بيانه ، فكانت سُنّته في المكانة العالية والدرجة السّامقة من البلاغة والإتقان ، مشتملة على ضروب كثيرة من الإعجاز ، في مجالات شتى في بلاغتها ورسالتها ، وفيما اشتملت عليه من أنبياء وحكم ، تقصر عن إدراكها عقول ذوي الفطنة والهمم ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه ومن سار على طريقته واقتفى أثره إلى يوم الدّين .

وبعد فإنّ أفضل ما اشتغل به المشتغلون ، واعتنى به الباحثون بعد كتاب الله الكريم ، دراسة السُنّة النّبوية الشريفة ، والتّقويء في ظلّها الوارفة ، والعيش في رحابها الفسيحة ، وقد وفّني الله تعالى الذي له الفضل والأمتان إلى اختيار هذا البحث المتصل بها اتصالاً وثيقاً ، فعشت طوال مدة إعداد البحث مع نصوص السُنّة وشروحها في القديم والحديث ، مجتهداً في استخلاص واستنباط منهج الرسول ﷺ في دعوة النّاس بالمنهج الحسي ، وبيان قوة تأثيره ، وكيفية الاستفادة منه في العصر الحاضر؟

وكنت كلّما شعرت بتعب البحث ومعاناة صعابه ، تذكرت أهمية المجال الذي أبحث فيه ، ومدى النّفع الذي أتوخاه من خلاله ، لنفسى خاصة ، ولمن شاء الله من إخواني المهتمين بالدعوة إلى الله وعلومها ، وتذكرت أيضاً حرص الرسول ﷺ

على هداية النَّاس ، وبيان الحق لهم ، واستعماله في سبيل ذلك جميع الوسائل والأساليب المتاحة في عصره ، فيزيدني ذلك نشاطاً وهمّة لمواصلة البحث وإكماله .  
والدّاعية النَّاجح هو الذي يُواكب وسائل عصره ، ويستعين بها في الدّعوة إلى الله تعالى ... ، وربما أنّ طبيعة العصر الذي نعيشه ، ومشكلات الحضارة المادية المعاصرة ، قد جعلت النَّاس في قلق وصراع ، وحرمتهم من طعم الرّاحة والأمن ، وابتعدت بهم عن طريق الإيمان ، لذا يجب على الدّعاة مواصلة الجهد ، وبذل الطّاقة في دعوة النَّاس إلى ربهم ، والعمل على العودة بهم إلى الفطرة النّقية التي فطرهم الله عليها ، والاستعانة في ذلك بما أنتجته الصناعة الحديثة من وسائل مادية لها تأثير قوي في تبليغ دين الله تعالى ونشره بين الناس بأسلوب تتجذب النفوس إليه وذلك بعرضهم الإسلام في ثوب يتلاءم مع طبيعة العصر الذي نعيشه .  
ولمّا كان الأمر كذلك ، فقد أردت أن أسهم بهذه الدراسة المتواضعة المتضمنة لواحد من أهم مناهج الدّعوة إلى الله ، تحت عنوان : ( الدّعوة إلى الله بالمنهج الحسي في السّنة النّبوية ) .

وتشتمل هذه المقدمة على عدة أمور :

- أولها : التعريف بمفردات عنوان الدراسة .
- ثانيها : أهمية الموضوع ، وأسباب اختياره .
- ثالثها : الدّراسات السابقة .
- رابعها : المشكلة البحثية وتساؤلات الدّراسة .
- خامسها : بيان المنهج الذي سلكته في البحث والكتابة .
- سادسها : الخطة التي اتبعتها في تقسيم عناصر البحث .

## التعريف بمفردات البحث

### (١) - الدَّعوة إلى الله :

#### (أ) الدَّعوة لُغَةً

الدَّال والعين والحرف المعتل أصلٌ واحدٌ وهو أن تُميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك تقول : دعوت أدعو دعاءً ، ومنه داعية اللّبن : ما يترك في الضَّرع ليدعو ما بعده .

وتداعت الحيطان ، وذلك إذا سقط واحدٌ وآخرُ بعده وكأنَّ الأول يدعو الثاني ، ودواعي الدَّهر : صُرُوفه كأنَّها تُحيل الحوادث (١) .

ويقال : (( دعاه إلى القتال ، ودعاه إلى الصلّاة ، ودعاه إلى الدّين وإلى المذهب : حثّه على اعتقاده . وساقه إليه )) (٢) .

ومما سبق يلاحظ أن كلمة (( دعوة )) من الألفاظ المشتركة ، وسياق إيرادهما هو الذي يُحدّد معناها ، فقد تُستعمل في الباطل كما حكى القرآن الكريم عن يوسف - عليه السلام - في قوله : ﴿ قال ربّ السّجن أحبُّ إليّ ممّا يدعونني إليه ﴾ (٣) . أي من طاعة النّسوة والوقوع في الإثم .

وتُستعمل في الحق : كما في قوله تعالى : ﴿ والله يدعو إلى دار السّلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ (٤) .

(١) - ينظر : " معجم مقاييس اللغة " لأبي الحسين أحمد بن زكريا ، (٢/٢٧٩ - ٢٨٢) مادة (دعو) تحقيق وضبط عبدالسلام هارون ، دار الكتب العلمية - إيران .

(٢) - " المعجم الوسيط " (ص/٢٨٦) مادة (دعا) . قام بإخراجه : إبراهيم مصطفى ، أحمد الزيات ، حامد عبدالقادر محمد علي النجار ، المكتبة الإسلامية ، تركيا - استنبول ، بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها .

(٣) - سورة يوسف : جزء من الآية (٣٣) .

(٤) - سورة يونس : الآية (٢٥) .

وفي كتابه ﷺ إلى هرقل <sup>(١)</sup> (( أدعوك بدعاية الإسلام )) <sup>(٢)</sup> أي بدعوته ، وهي الشهادة واتباع منهج الله <sup>(٣)</sup> .

وخلاصة القول : أن الدعوة هي النداء والطلب والحث على الشيء .

### (ب) الدعوة اصطلاحاً

انطلاقاً من المعنى اللغوي ، ونظراً إلى سعة موضوعات الدعوة ومجالاتها ، فقد عرّفها علماء الدعوة بعدة تعريفات من أهمها :

\* - أنّها : (( العلم الذي به تُعرف كافة المحاولات الفنية المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق )) <sup>(٤)</sup> .

وعرّفها بعضهم فقال : (( هي الدعوة إلى توحيد الله والإقرار بالشهادتين ، وتنفيذ منهاج الله في الأرض قولاً وعملاً ، كما جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة ، ليكون كُله لله )) <sup>(٥)</sup> .

وعرّفها البيانوني - حفظه الله - فقال هي : (( تبليغ الإسلام للناس ، وتعليمه إياهم ، وتطبيقه في واقع حياتهم )) <sup>(٦)</sup> .

(١) - هو : هرقل بكسر الهاء ، وفتح الراء على المشهور ، وحكى جماعة إسكان الراء ، وكسر القاف ، ملك الروم إحدى وثلاثين سنة ، وفي ملكه مات النبي ﷺ ، وقيصر لقبه ، ويطلق على كل ملك في الروم ، كما أن كل ملك من الفرس يقال له : كسرى ، والترك يقال له : خاقن ، والحبشة : النجاشي .  
ينظر : " فتح الباري بشرح صحيح البخاري " للإمام الحافظ : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تصحيح وإخراج وترقيم . محب الدين الخطيب ، محمد فؤاد عبد الباقي ، قصي محب الدين الخطيب (٤٤/١) ، المطبعة السلفية - القاهرة ، ط : ٢ ، ١٤٠٠هـ ، " عمدة القارئ شرح صحيح البخاري " للإمام العلامة بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني (١/٨٩ - ٩٠) شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ، ط : ١ ، ١٣٩٢هـ .

(٢) - منفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الجهاد والسير ، باب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام بالنبوة .. (٢/٩٠٥) ح (٢٩٤١) ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الجهاد والسير ، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام (٣/١١١٧ - ١١١٨) ح (١٧٧٣) .

(٣) - ينظر : " المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم " لأبي العباس أحمد بن عمر القرطبي (٣/٦٠٨) تحقيق وتعليق : محيي الدين مستو ، وأخرون ، دار ابن كثير - دمشق ، ط/١ ، ١٤١٧هـ .

(٤) - " الدعوة الإسلامية - أصولها ووسائلها " تأليف د . أحمد غلوش (ص/١٠) دار الكتاب المصري - القاهرة ، ط/٢ ، ١٤٠٧هـ .

(٥) - " الدعوة إلى الله - الرسالة - الوسيلة - الهدف " دكتور : توفيق الواعي (ص/١٩) دار اليقين - مصر ، ط/٢ ، عام ١٤١٦هـ .

(٦) - " المدخل إلى علم الدعوة " محمد أبو الفتح البيانوني (ص/١٧) مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط/٣ ، ١٤١٥هـ .

وعند التأمل في هذه التعريفات يتضح أنه يجمعها أمرٌ واحدٌ وهو : الدَّعوة إلى تبليغ ونشر دين الله جل وعلا ، وحث النَّاس على اتباعه وتطبيقه في جميع شؤون حياتهم ، مع اختيار الوسائل والأساليب المناسبة للمدعوين سواء كانت حسية أو عقلية .

## (٢) المنهج المسيحي

### (أ) المنهج لغة :

النَّهْجُ الطَّرِيقُ الواضح - ونهج الطَّرِيق - نهجاً ونهوجاً : وضع واستبان . ونهجتُ الطَّرِيق : أبنته وأوضحته ، يقال اعمل على ما نهجتَه لك ، ونهجت الطَّرِيق سلكته ، فلان يستنهج سبيل فلان أي : يسلك مسلكه ، والنَّهْجُ الطَّرِيقُ المستقيم ، وفي التَّنْزِيل العزيز : ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمَنْهَاجًا ﴾ (١) . (٢)

### (ب) المنهج اصطلاحاً :

(( هو العلم الذي يبحث في الطريقة التي يستخدمها الباحث لدراسة المشكلة والوصول إلى الحقيقة )) (٣) .

وعرّفه بعضهم بأنه : (( الطَّرِيق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد التي تُهَيِّم على سير العقل وتُحدّد عملياته حتّى يصل إلى نتيجة معلومة )) (٤) .

ومناهج الدعوة هي : (( نُظْم الدعوة ، وخططها المرسومة لها )) (٥) .

### (٣) الحِسُّ لغةً :

الحِسُّ والحَسِيسُ : الصَّوْت الخفي ، قال الله تعالى : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ﴾ (٦)

- (١) - سورة المائدة : جزء من الآية (٤٨) .
- (٢) - ينظر : " لسان العرب " لابن منظور (٣٨٢/٢) ، (٣٨٣) مادة : ( نهج ) دار صادر بيروت ، بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها " المعجم الوسيط " (ص/٩٥٧) مادة ( نهج ) .
- (٣) - " أصول البحث العلمي ومناهجه " ، د . أحمد بدر ، (ص/٣٣) ، طبعة وكالة المطبوعات - عبدالله حرمي - الكويت ، ط : ٧ ، ١٩٨٤ م .
- (٤) - " مناهج البحث العلمي " عبدالرحمن بدوي ، (ص/٥) .
- (٥) - " المدخل إلى علم الدعوة " للبيانوني (ص/١٩٥) ، وينظر أيضاً : " مناهج الدعوة وأساليبها " د . علي جريشة ، (ص/١٦) دار الوفاء - المنصورة - مصر ، ط/١ ، ١٤٠٧ هـ .
- (٦) - سورة الأنبياء : جزء من الآية (٢١) .

والحِسُّ ، بكسر الحاء : من أحسست بالشيء . حسَّ بالشيء يحسُّ حسًّا وحِسًّا وحسباً به وأحسَّه شعر به وقال ابن الأثير : الإحساس العلم بالحواس ، وهي مشاعر الإنسان كالعين والأذن والأنف واللسان واليد ، وحواس الإنسان : المشاعر الخمس وهي الذوق والشم والبصر والسمع واللمس <sup>(١)</sup> . والحاسة : القوة التي بها تُدرك الأعراض الحسيَّة <sup>(٢)</sup> .

أما الحِسُّ اصطلاحاً : فقد عرفه الجرجاني <sup>(٣)</sup> بقوله : « الحس المشترك هو القوة التي ترتسم فيها صور الجزئيات المحسوسة » <sup>(٤)</sup> .

فالحواس الخمسة الظاهرة ، كحواسيس لها ، فتطلع عليها النفس من ثمة فتدركها ومحلّه مقدّم التجويف الأول من الدماغ ، كأنها عين تتشعب منها خمسة أنهار <sup>(٥)</sup> .

#### (٤) تعريف المنهج الحسي اصطلاحاً :

نظراً لحدائثة هذا النوع من الموضوعات والمناهج فإن الباحث لم يجد تعريفاً جامعاً مانعاً للمنهج الحسي ، إلا أن بعض الدعاة المعاصرين عرفه بقوله :  
المنهج الحسي هو : « النِّظام الدَّعوي الذي يركّز على الحواس » <sup>(١)</sup> .  
وهذا التعريف يُميز هذا المنهج عن غيره من المناهج الدَّعوية التي تعتمد مع العاطفة أو العقل والتفكير ، لأن إدراك الأشياء به يكون عن طريق الحواس .

- (١) - ينظر : " لسان العرب " - لابن منظور ، ج ٢ ، (ص/٨٧٠ - ٨٧١) ، مادة (حسس) .
- (٢) - " المفردات في غريب القرآن " الراغب الأصفهاني ، (ص/١١٦) ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان .
- (٣) - هو : علي بن محمد بن محمد بن علي ، المعروف بالشريف الجرجاني ، عالم بالعريية ، ولد سنة ٧٤٠هـ ، ودرس بشيراز ، وذهب إلى سمرقند ، فراراً من تيمور ، ثم عاد إليها بعد موته ، له مؤلفات كثيرة من أشهرها ، " التعريفات " ، " شرح السراجية " ، وغيرهما ، توفي بشيراز سنة ٨١٦هـ .  
ينظر : " بغية الوعاة " (٢/١٩٦ - ١٩٧) ، " مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم " لأحمد بن مصطفى طاش كبري زاده (١/١٩٢ - ١٩٣) ، دار الباز للنشر والتوزيع - مكة المكرمة ، ودار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط : ١ ، ١٤٠٥هـ .
- (٤) - " التعريفات " لعلي بن محمد الجرجاني ، تحقيق : إبراهيم الأبياري (ص/١١٧) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط : ٣ ، ١٤١٧هـ .
- (٥) - ينظر : " المرجع السابق " (ص/١١٧) .
- (٦) - كتاب المدخل إلى علم الدعوة - أبو الفتح البيانوني ، (ص/٢١٤) .

## ج- السُّنَّة

(١) - السُّنَّة في اللُّغة : السُّيرة والطبيعة حسنة كانت أو قبيحة (١) .

وقال ابن منظور نقلاً عن التهذيب : (( السُّنَّة الطريقة المحمودة المستقيمة ، ولذلك قيل : فلان من أهل السُّنَّة ؛ معناه من أهل الطريقة المُستقيمة المحمودة ، وهي مأخوذة من السنن ، وهو الطريق )) (٢) .

وفيما يظهر أنَّ كلمة السُّنَّة غلب استعمالها في الطريقة المحمودة ، وقد تستعمل في الطريقة المذمومة لكنَّها تكون مقيدة كقول النَّبِيِّ ﷺ : (( ومن سنَّ في الإسلام سنَّة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء )) (٣) .

(٢) - تعريف السُّنَّة في اصطلاح المحدثين :

هي : (( ما أثر عن النَّبِيِّ ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة حَاقية أو خَلقية أو سيرة ، سواء أكان قبل البعثة أو بعدها )) (٤) .  
وإنَّما قلت في اصطلاح المحدثين : حتَّى لا يلتبس بتعريفها عند الأصوليين ، والفقهاء .

فقد عرفها الأصوليون بقولهم : (( السُّنَّة هي ما صدر عن النَّبِيِّ ﷺ من قول ، أو فعل ، أو تقرير )) (٥) .

وعرفها الفقهاء بقولهم : (( السُّنَّة هي كل ما ثبت عن النَّبِيِّ ﷺ ولم يكن من باب الفرض ولا الواجب )) (٦) .

(١) - ينظر : " لسان العرب " (٢٢٥/١٣) مادة ( سنن ) ، " القاموس المحيط " لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، (ص/١٥٥٨) ، مادة ( سنن ) ، مؤسسة الرسالة ، دار الريان للتراث - بيروت ، ط : ١٤١٧هـ ، ٢ .

(٢) -- " لسان العرب " (٢٢٦/١٣) مادة ( سنن ) .

(٣) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الزكاة ، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمره أو كلمة طيبة .. (٥٨٣/٢ ، ٥٨٤) ح (١٠١٧) .

(٤) - السُّنَّة ومكانتها في التشريع الإسلامي " للدكتور الشيخ : مصطفى السباعي (ص/٤٧) المكتب الإسلامي - بيروت ، دمشق ، ط : ٤ ، ١٤٠٥هـ .

(٥) - علم أصول الفقه - عبدالوهاب خلاف (ص/٣٦) ، دار القلم - الكويت ، ط / ١٤ ، ١٤٠١هـ .

(٦) - " نهاية السؤل في شرح منهاج الأصول " للقاضي ناصر الدين عبدالله البيضاوي ، تأليف : الشيخ الإمام جمال الدين عبدالرحيم بن الحسن الأسنوي (١٩٢/٢) ، عالم الكتب - بيروت ١٩٨٢هـ ، بدون ذكر رقم الطبعة .



ومما سبق يتبين أن المقصود بالمنهج الحسي في السنة النبوية هو :  
المنهج الذي يقوم فيه الرسول ﷺ بإثارة حواس المدعو - الحقيقية  
والذهنية (١) - لقوة تأثيرها عليه بهدف استمالة قلبه للدخول في الإسلام ، أو  
العمل بأحكامه والتمسك بأخلاقه وآدابه ، والاستقامة على ذلك .

(١) - معنى الحقيقية : أي إثارة الحواس الخمس كلها أو بعضها مباشرة بمثال مشاهد محس أمام المدعو ،  
وأقصد بالذهنية : أي استعمال الرسول ﷺ الصورة الذهنية في التعبير عن هيئة غائبة لإثارة حواس  
المدعو كلها أو بعضها .

## ثانياً : أهمية الموضوع وأسباب اختياره

تبرز أهمية هذا الموضوع في كونه متصلاً اتصالاً وثيقاً بالمصدر الثَّانِي من مصادر التَّشْرِيع وهي السُّنَّة النَّبَوِيَّة الشَّرِيفَة ، الَّتِي تُعَدُّ الْمُفَسَّرَة والمَوْضُحَة لكتاب الله عز وجل ، وفيها من الوسائل والأساليب الدَّعْوِيَّة الَّتِي يَسْتَطِيع من خلالها الدَّاعِيَة أن يقدم الدَّلَائِل المُقْنَعَة لقضية معينة أو واقعة اجتماعية حادثة ، وقد جمعت لنا السُّنَّة النَّبَوِيَّة ثروة قولية وفعلية ضخمة من أقواله وأفعاله ﷺ .

وكان - عليه الصَّلَاة والسَّلَام - يستخدم مناهج دعوية متعدّدة ومُتنوعة تُوافِق نوعية الموضوع وطبيعة المدعويين فمنها المنهج العقلي الذي يركز على العقل ، ومنها المنهج العاطفي الذي يركز على القلب ، والمنهج الحسي الذي يركز على الحس ، وقد مارسها - عليه الصَّلَاة والسَّلَام - أثناء دعوته .

وستقدّم هذه الدِّراسة أبرز الأساليب الدَّعْوِيَّة الَّتِي استخدمها الرَّسُول ﷺ في دعوته بالمنهج الحسيّ ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر :

- الأسلوب الدَّعْوِي لِلقْتِ الحِسِّ والتَّعَرَّف على المحسوسات للوصول عن طريقها إلى القناعات .

- أسلوب التَّعْلِيم التَّطْبِيقِي على وجه يُشَاهِد المدعو كيفية تطبيق الفعل المأمور به والمدعو إليه ، كما فعل ﷺ في دعوته لتعليم الصَّلَاة والحجّ .

- تغيير المنكر باليد على وجه يُشَاهده صاحب المنكر .

- القدوة العملية في تعليم الأخلاق والسُّلُوك .

وغيرها من الأساليب الدَّعْوِيَّة الَّتِي تعتمد على الحس البشري .

وإضافة إلى ما سبق يستطيع الباحث أن يبين أن اختيار الموضوع كان للأسباب التالية :

(١) - جِدَّة الموضوع وابتكاره ، وأنّه في حدود علمي لم يُدرس دراسة دعوية متخصصة .

(٢) - وجود دراسة سابقة في القسم بعنوان : ( الدَّعْوَة إِلَى اللَّهِ بِالْمَنْهَج الحِسِّي فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ) ؛ لأنَّ السُّنَّة النَّبَوِيَّة هي المصدر الثَّانِي للتَّشْرِيع كما سبقت الإشارة إليه آنفاً ، والرَّسُول ﷺ كان يستفيد من المنهج القرآني في تبليغ

دعوته ، ولذا كان استخدامه للمنهج الحسّي كثير الورد في أحاديثه ﷺ ، مما يسوّغ الاهتمام بدراسة هذا المنهج للاستفادة منه في تبليغ دين الله تعالى ، ورسم مناهج الدّعوة الصّحيحة ، ذات التّأثير القوي والأسلوب النّاجح .

(٣) - إمكانية الاستفادة من المنهج الحسّي في التّعامل مع كافّة أصناف المدعوين ، فيُخاطب المسلم ليزداد إيماناً ويُخاطب العاصي ليرجع إلى الحق ويترك ما هو عليه من المخالفة والعصيان ، ويُخاطب غير المسلم أيّاً كانت ميّته لدلالاته وتعريفه بالإله الحق ، ونفي الشّريك عنه - سبحانه وتعالى .

(٤) إبراز القدوة للدعاة والمصلحين في العصر الحاضر والمستقبل حتى يسلكوا أقصر الطرق وأقواها تأثيراً في قلوب المدعوين .

### ثالثاً : الدراسات السابقة

بعد البحث والاستقصاء والقراءة المتأنية في قوائم دور الكتب ، وقوائم الرسائل الجامعية ، لم أجد دراسة متخصصة علمية مُستقلة تناولت وركزت على إبراز المنهج الحسي في السُنَّة باعتباره وسيلة دعوية مؤثرة ومشوقة .  
لكن أرى لزاماً عليّ أن أشير إلى وجود بعض الدراسات التي لها بعض الصلّة بموضوع البحث :

#### الدراسة الأولى :

بعنوان ( التّصوير الفنّي في الحديث النبوي ) للدكتور/ محمد لطفي الصباغ - حفظه الله - ، وينقسم هذا البحث إلى مقدمة ، وتمهيد ، وثلاثة أبواب ، وخاتمة .  
- التّمهيد : وقد درس فيه الباحث ثلاث قضايا ..  
١ - أنّ الحديث نصّ نبوي يرتفع إلى أعلى درجة من البيان .  
٢ - أنّ هذا النصّ الأدبي موثوق به .  
٣ - جهود الباحثين الأقدمين والمُحدثين الذين درسوا الحديث النبوي .  
الباب الأول : الصُّور الحسيّة والمعنوية في عالم الغيب .  
الله جل جلاله ، يوم القيامة ، الجنّة والنّار ، الملائكة ، الشّيطان ، الفتن ، متفرقات .

الباب الثّاني : الصُّور الحسيّة والمعنوية في عالم الشهادة .  
وقد أورد المؤلف بعض النّماذج على أهم موضوعات هذا العالم . وكانت هذه الموضوعات هي : الصلّاة ، والصدّقة ، والزكّاة ، والصّوم ، والحجّ ، والجهاد والذكر ، والدّعاء ، والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر ، وبرّ الوالدين ، وصلّة الأرحام ، والمؤمن ، والمسلم ، والإنسان .

الباب الثّالث : الصُّور الحسيّة والمعنوية في وسائل التصوير وعلاقاته .  
وقد تطرّق الباحث في هذا الباب إلى وسائل التّصوير من موازنة وقصّة ووصف وتشبيه وما إلى ذلك ، ودرس علاقاتها بالنفس والبيئة والمجتمع والحس .

## نتيجة دراسة الرسالة :

أما علاقة هذا البحث بموضوعي ، فنقتصر على النصوص الحديثية الحسّية المتناثرة في جميع أبواب الكتاب ، فقد درسها مؤلف الكتاب من الناحية الأدبية وبرز النواحي الجمالية والصّور الفنية في معاني وألفاظ الحديث التي حوتها الرسالة .

أما دراستي فتشمل جمع النصوص الحديثية المشتملة على منهج حسّي فقط ، ومن ثمّ تصنيفها وتبويبها ، ودراستها دراسة دعوية متخصصة .

## الدراسة الثانية :

للدكتور : عبدالباري طه سعيد ، بعنوان ( أثر التشبيه في تصوير المعنى - قراءة في صحيح مسلم .. ) .

وقد قام الباحث بدراسة الأحاديث المشتملة على التشبيهات الحسية والعقلية من أول كتاب (( صحيح مسلم )) إلى آخره ، وتتلخص فيما يلي :

- (١) - الرجوع إلى شروح كتب السنّة للاستفادة من كلام العلماء على الأحاديث .
- (٢) - إبراز قوة البلاغة النبوية في الإيضاح والتأثير .
- (٣) - بيان مكانة التشبيه والتمثيل وأثره الواضح في تصوير المعنى وتوضيحه وتقريبه للأفهام .

وهذه الدراسة التي قام بها الباحث ممتعة وشيقة ؛ لكن كان التركيز على الجوانب البلاغية والبيانية فحسب . وهي تقع في كتاب متوسط الحجم بلغت عدد صفحاته (٣٥١) صفحة .

أما علاقة هذا البحث بموضوع الرسالة ، فيقتصر على ما يلي :

- (١) - الأحاديث النبوية المشتملة على تشبيهات حسية .
- (٢) - قوة البيان والإيضاح وأثرهما في تصوير المعنى وتقريبه إلى أذهان المخاطبين .

وهذان العنصران هما ركيزتان من ركائز الدراسة الدعوية التي ينوي الباحث القيام بها في هذا البحث - إن شاء الله تعالى - .

### رابعاً : المشكلة البحثية وتساؤلات الدراسة

من البدهي أن لكل بحث علمي مشكلة معينة يُحاول الباحث أن يدرسها أو يُجيب على أسئلة معينة بخصوصها .

فالبحث العلمي ليس كما يتصور البعض - مجرد تجميع بيانات ومعلومات وتصنيفها بما يُؤدّي إلى زيادة المعرفة الإنسانية ، دون أن يكون هناك تصور واضح لمشكلة معينة يُحاول الباحث أن يجيب على تساؤلات بخصوصها (١) .

ومن خلال الاطلاع على النصوص الحديثية الحسّية في بعض كتب السنة ، يبرز سؤال رئيس تعدّ الإجابة عليه ذات أهمية ملحة بالنسبة للدعوة والدعاة وهو :

ما المنهج الحسّي ؟ وكيف استخدمه الرسول ﷺ في دعوته ؟ وما مجالات

استفادة الداعية المعاصر من هذا المنهج في دعوته ؟

وقد حاولت جاهداً أن أصوغ المشكلة البحثية في التساؤلات الفرعية التالية:

- (١) ما أنواع المناهج الدعوية في السنة النبوية ؟
- (٢) ما الموضوعات التي يشملها المنهج الحسّي في السنة النبوية ؟
- (٣) كيف استخدم الرسول ﷺ المنهج الحسّي في إثبات العقيدة ؟
- (٤) كيف استخدم الرسول ﷺ المنهج الحسّي في إيضاح الأحكام العملية ؟
- (٥) كيف استخدم الرسول ﷺ المنهج الحسّي في تقويم الأخلاق ؟
- (٦) ما أساليب الدعوة إلى الله بالمنهج الحسّي في السنة النبوية ؟
- (٧) ما أصناف المدعوين بالمنهج الحسّي في السنة النبوية ؟
- (٨) ما خصائص الدعوة إلى الله بالمنهج الحسّي في السنة النبوية وضوابطها ؟
- (٩) ما مجالات استفادة الداعية من المنهج الحسّي في العصر الحاضر ؟

(١) - " قواعد المنهج العلمي " د . فاروق يوسف أحمد ، (ص/٨) مكتبة عين شمس ، ط/١ ، عام ١٩٨٥ م .

## خامساً: منهج الدراسة

بما أن البحث يتعلق بالمنهج الحسي في الدعوة إلى الله في السنة النبوية الشريفة ، فسوف أستخدم المنهج الاستقرائي<sup>(١)</sup> ، حيث أقوم باستقراء النصوص من سنة الرسول ﷺ ، وحصر كافة الجزئيات المتعلقة بموضوع الدعوة إلى الله بالمنهج الحسي في السنة ، وإلى جانب هذا المنهج سأستخدم المنهج الاستنباطي<sup>(٢)</sup> . وفي ضوء هذين المنهجين سوف أقوم بجمع الأحاديث التي لها علاقة بالمنهج الحسي من كتب الصحاح والسُنن وغيرها ومن ثمّ تصنيفها وتبويبها وتنظيمها ، انتقاء ما يتلاءم وحجم البحث ، إضافة إلى الاطلاع والقراءة المتأنية في شروح الكتب السابقة وكلّ ما كتب عن المنهج الحسي في السنة ، كي أخرج بعد التأمّل بمادة علمية مفيدة - بإذن الله تعالى - .

- (١) - الإستقراء في الأصل يطلق على المنهج التجريبي ، ويستخدم في العلوم النظرية ( عند علماء المسلمين تسمى العلوم التأصيلية ) ، وهو يعني التفكير التأملي لقياسات أجريت في أن واحد ، أو طرح حقائق متعدّدة بغرض استنباط نتيجة من وراء هذه الحقائق ، ينظر : " منهج الأدب ومصادره واختيار البحوث وإعدادها " أ . د . سعد إسماعيل شلبي ، (ص/٨٢٧) ، ط : ١ ، ١٤٠٥ هـ ، و " منهج البحث العلمي أسس وأساليب " ، تأليف : الدكتور عمار بوحوش ، الدكتور محمد محمود الذنبيات ، (ص/١٣٤) مكتبة المنار للطباعة والنشر والتوزيع ، الأردن - الزرقاء ، ط : ١ ، ١٤١٠ هـ .
- (٢) - وهو أن يبدأ الباحث من المبادئ العامة ليصل إلى الحقائق الجزئية ، ينظر : " منهجية البحث الجامعي " د . سعيد يوسف البستاني (ص/١٨) .

## ويتلخص عملي في هذا البحث فيما يلي :

- ١ - البحث الواسع في كتب السنّة عن الأحاديث المشتملة على منهج حسي .
- ٢ - راعيت في اختيار الأحاديث الضوابط التالية :
  - أ - صلاحية الحديث للاحتجاج به ، بأن يكون صحيحاً أو حسناً .
  - ب - اشتماله على منهج حسي واضح .
  - ج - اشتماله على معان وموضوعات ذات أهمية ، في مجال العقائد ، أو الأحكام أو الأخلاق .
- ٣ - صنّفت الأحاديث حسب موضوعاتها من عقائد ، وأحكام ، وأخلاق ، ليسهل الرجوع إليها عند الدّراسة .
- ٤ - وضعت عناوين مناسبة للأحاديث ، حسب موضوعاتها .
- ٥ - عند دراستي للأحاديث ، أبدأ بمدخل يُشير إلى مضمون الحديث من غير مناقشة ولا تحليل ، ثمّ أورد نصّ الحديث ، وأتبعه بإيضاح المنهج الحسيّ مستتيراً بكلام العلماء حوله ، مع التركيز على المتقدمين ، واستفدت كثيراً من المؤلفات والبحوث المعاصرة المتخصصة في هذا المجال .
- ٦ - سلكت في الاستفادة من المراجع المنهج العلمي المعروف لدى الباحثين ، بالتمييز بين المنقول بحروفه ، فإني أضعه بين قوسين صغيرين ، وما نقله بتصريف أو بالمعنى ، فإني أشير إليه في الحاشية بقولي : ينظر : كذا .
- ٧ - أعرف بالمرجع عند أول ذكر له في البحث .
- ٨ - أعرف أيضاً بالعلم عند أول ذكر له في البحث .
- ٩ - خرّجت الآيات ، وعزوتها إلى سورها .
- ١٠ - خرّجت الأحاديث من مصادر الحديث الأصلية ، وما كان في الصحيحين أو في أحدهما ، أكتفي بتخريجه منهما ، أو من أحدهما .
- ١١ - ما كان في غيرهما ، أخرجّه من كتب السنّة الأخرى ، حسب الإمكان والقدرة ، وفي الغالب أحكم على الأحاديث التي أستدل بها ، وذلك بنقل كلام أهل العلم حول الحديث تصحيحاً أو تضعيفاً .



- ١٢ - ترجمت لأغلب أعلام الرسالة سواء كانوا من المشهورين أم من غيرهم ؟ .
- ١٣ - شرحت أغلب الألفاظ الغربية في نصوص الأحاديث الواردة في صلب الرسالة .
- ١٤ - وضعت فهرس للرسالة تشتمل على ما يلي :
- أ - فهرس للآيات القرآنية .
  - ب - فهرس للأحاديث النبوية .
  - ج - فهرس للأعلام المترجم لهم .
  - د - فهرس للمصادر والمراجع .
  - هـ - فهرس للموضوعات .

## سادساً : تقسيم الدراسة

اشتملت هذه الدراسة على ما يلي :  
مقدمة ، وتمهيد ، وخمسة فصول ، وخاتمة ، وذلك كما يلي :  
\* المقدمة : وتشمل على :

- ١ - التعريف بمفردات عنوان البحث .
- ٢ - أهمية البحث وأسباب اختياره .
- ٣ - الدراسات السابقة .
- ٤ - المشكلة البحثية وتساؤلات الدراسة .
- ٥ - منهج الدراسة .
- ٦ - تقسيم الدراسة .

\* الفصل التمهيدي : التعريف بمناهج الدعوة .  
وفيه ثلاثة مباحث :-

- . المبحث الأول : المنهج العقلي .
- . المبحث الثاني : المنهج العاطفي .
- . المبحث الثالث : المنهج الحسي .

\* الفصل الأول : موضوعات الدعوة إلى الله بالمنهج الحسي في السنة النبوية.  
وفيه ثلاثة مباحث :-

- . المبحث الأول : استخدام المنهج الحسي في إثبات العقيدة .
- . المبحث الثاني : استخدام المنهج الحسي في إيضاح الأحكام .
- . المبحث الثالث : استخدام المنهج الحسي في تقويم الأخلاق .

\* الفصل الثاني : أساليب الدعوة إلى الله بالمنهج الحسي في السنة النبوية .  
وفيه أربعة مباحث :-

- . المبحث الأول : أسلوب ضرب الأمثال .
- . المبحث الثاني : أسلوب القصة .

المبحث الثالث : أسلوب المقارنة ( الموازنة ) .

المبحث الرابع : أسلوب الحوار .

\* الفصل الثالث : أصناف المدعوين بالمنهج الحسي في السنة النبوية .  
وفيه مبحثان :-

المبحث الأول : دعوة المسلمين بالمنهج الحسي .

المبحث الثاني : دعوة غير المسلمين بالمنهج الحسي .

\* الفصل الرابع : خصائص الدعوة إلى الله بالمنهج الحسي في السنة النبوية  
وضوابطها .

وفيه مبحثان :-

المبحث الأول : خصائص الدعوة إلى الله بالمنهج الحسي

في السنة النبوية .

المبحث الثاني : ضوابط الدعوة إلى الله بالمنهج الحسي في

السنة النبوية .

\* الفصل الخامس : مجالات استفادة الداعية من المنهج الحسي في العصر  
الحاضر .

وفيه مبحثان :-

المبحث الأول : استفادة الداعية من المنهج الحسي في دعوة

المسلمين .

المبحث الثاني : استفادة الداعية من المنهج الحسي في دعوة

الكفار .

\* الخاتمة :

وبها الخلاصة وأهم النتائج والتوصيات .

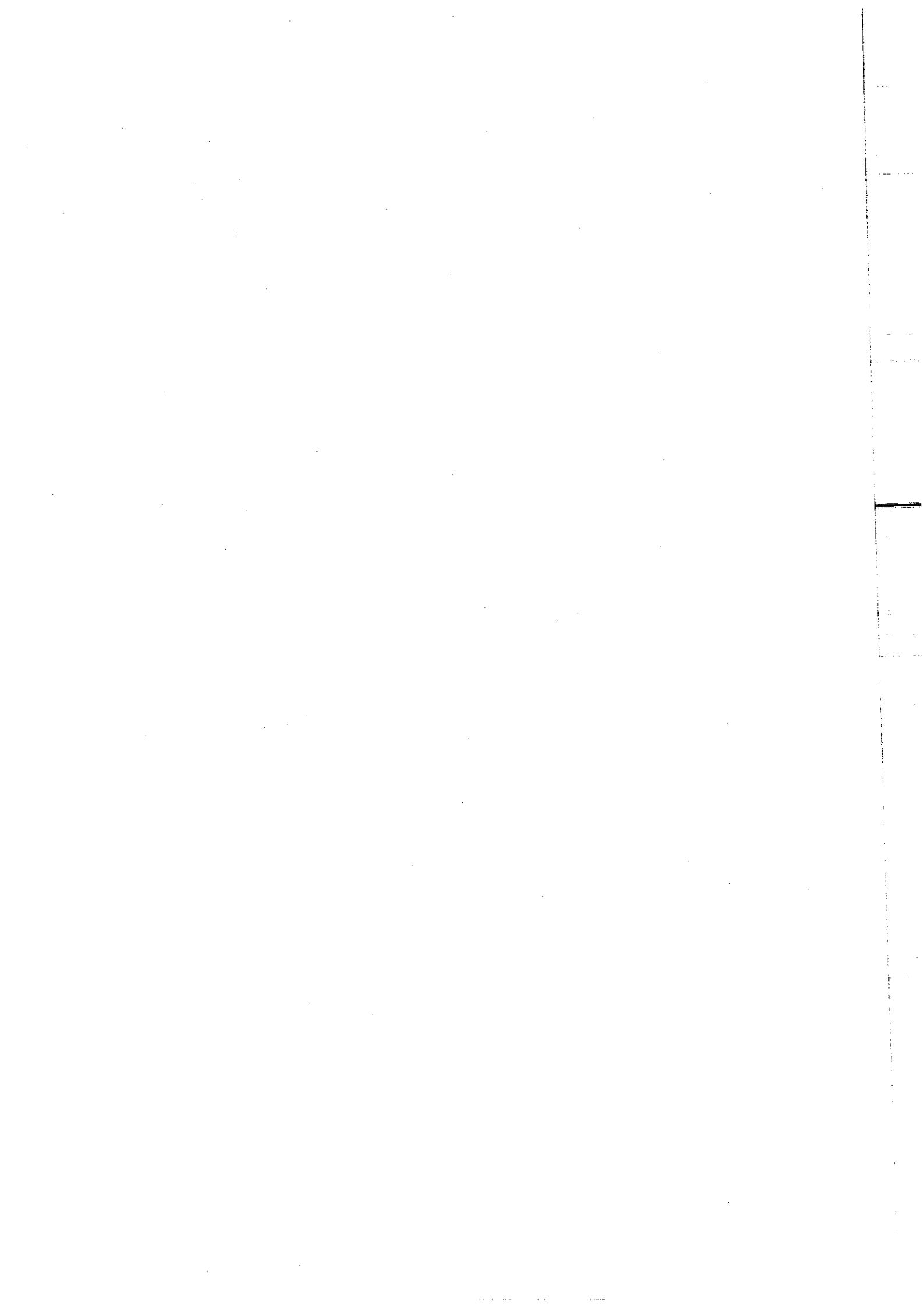
\* الفهارس .

## كلمة شكر وتقدير

الشكر والحمد والفضل أولاً وأخيراً لله تعالى ، فهو الذي منَّ عليَّ بالهداية والتوفيق لطلب العلم الشرعي ، الذي هو خير العلوم وأزكاها ، ومنَّ عليَّ بإتمام هذا البحث المتواضع ، وأنا في أتم الصحة والعافية ، وانطلاقاً من الحرمة لثبات عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال: « لا يشكر الله من لا يشكر الناس »<sup>(١)</sup> فإني أتقدم بالشكر الجزيل لوالديَّ الكريمين الذين ربّيتني صغيراً وتعهّداني بالتربية والتوجيه ، ولم يألوا جهداً في سبيل رعايتي وتعليمي ، ونصحي وتوجيهي ، حتى وصلت إلى ما أنا فيه من الخير والفضل ، فجزاهما الله عني خير الجزاء ، ومنَّ عليهما بالصحة والعافية ، كما أشكر أستاذي الفاضل الدكتور : مصطفى مصطفى صيام ، الأستاذ المساعد بقسم الدعوة والاحتساب ، والمشرف على الرسالة ، فقد فتح لي صدره وبيته ، وصبر على إلحاحي وكثرة سؤالي ، ونقد تعلّمت منه التواضع وحسن الخلق ، وساعدني بالتوجيه والتسديد والنصح الدائم ، والمتابعة المستمرة ، وبذل الكثير من وقته في سبيل إنجاز هذا الموضوع ، وإني أسأل الله العظيم من فضله وجوده أن يجزيه عني وعن العلم وطلابه والمسلمين أحسن الجزاء إنه لا يضيع أجر المحسنين كما أشكر القائمين على كليتنا الموقرة ، وفي مقدّماتهم عميدها الشيخ الكريم ، والدكتور الفاضل : حمد بن ناصر العمار ، ووكيل الكلية للدراسات العليا والبحث العلمي الدكتور : سليمان بن عبدالله الحبس ، ووكيل الكلية الدكتور : محمد بن عبدالله الخرعان ، ورئيس قسم الدعوة والاحتساب ، الدكتور : إبراهيم الحميدان ، والرئيس السابق للقسم الدكتور : أحمد البابطين ووكيل القسم الدكتور : خالد القريشي - حفظهم الله تعالى جميعاً - .

كما أشكر جميع القائمين على هذه الجامعة المباركة من أساتذة وإداريين ، وأسأل الله تعالى أن يتقبّل منّي ومنهم صالح الأعمال ، وأشكر جميع الإخوة الذين ساعدوا في إنجاز هذا البحث ، وأسأل الله تعالى أن يجزل لهم الأجر والثوبة ، وأن يجزيهم عني خير الجزاء ، وإن نسيت أن أسدي الشكر لأحدٍ فلن أنسى زوجتي أم عبدالله ، فقد ضربت أروع الأمثلة في الصبر والتحمل ، والمساعدة المستمرة من غير كلل ولا ملل ، فكانت نعم المرأة المقدّرة نظروف زوجها ، والفاهمة لمشقة البحث ومصاعبه ، فجزاها الله عني خير الجزاء .  
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

(٣) - أخرجه الإمام أبو داود في "سننه" كتاب الأدب ، باب في شكر المعروف (١٥٧/٥-١٥٨) ح (٤٨١١) ، والإمام الترمذي في "سننه" كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك (٣٣٩/٤) ح (١٩٥٥) والحديث صححه الشيخ الألباني "صحيح سنن أبي داود" (١٨٢/٣) ح (٤٨١١) ، وفي "صحيح سنن الترمذي" (١٨٥/٢) ح (١٥٩٢) .



## الفصل التمهيدي: التعريف بمناهج الدعوة:

وفيه ثلاثة مباحث :

**المبحث الأول : المنهج العقلي .**

**المبحث الثاني : المنهج العاطفي .**

**المبحث الثالث : المنهج الحسي .**

## المبحث الأول : المنهج العقلي .

وفيه مطلبان :

**المطلب الأول : تعريف ( المنهج - العقل ) لغةً واصطلاحاً ،**

**وبيان مكانة العقل في الإسلام .**

**المطلب الثاني : تعريف المنهج العقلي في الدعوة إلى الله ،**

**وبيان أهميته ، وأهم أساليبه ، ومواطن استخدامه .**

## المطلب الأول

**أولاً: تعريف (المنهج - العقل) لغةً واصطلاحاً**

### تعريف المنهج لغةً

النهج والمنهج ، والمنهاج : لغةً الطريق الواضح المستقيم ، ومنه قوله تعالى ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ (١) .

يُقَالُ : « أَنهَجَ الطَّرِيقَ وَضَحَ وَاسْتَبَانَ وَصَارَ نَهْجًا وَاضِحًا بَيْنًا » (٢) .

### تعريف المنهج اصطلاحاً

« هو العلم الذي يبحث في الطريقة التي يستخدمها الباحث لدراسة المشكلة والوصول إلى الحقيقة » (٣) .

وعليه فمنهاج الدعوة : هي الخُطط التي يرسمها علماء الدعوة ، ويُحدِّدون أسسها ومعالمها في ضوء كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وسيرة السلف الصالح .

### تعريف العقل لغةً

هو الحِجْزُ والنُّهْيُ (٤) ، ويُطلق على العلم بصفات الأشياء من حسن وقبح ، وكمال ونقصان ، أو هو العلم بخير الخيرين وشر الشرّيين ، أو هو قوة يكون بها التَّمييز بين القبح والحسن (٥) ، أو هو غريزة يتهيأ بها الإنسان إلى فهم الخطاب (٦) .

ويتضح مما سبق أنّ للعقل معاني عدّة ترجع في أغلبها إلى القدرة على التمييز بين الخير والشرّ والضارّ والنافع ، وأنّه نعمة من الله تعالى خُصَّ

(١) - سورة المائدة ، الآية : (٤٨) .

(٢) - ينظر : " لسان العرب لابن منظور " (٣٨٣/٢) ، مادة (نهج) ، " القاموس المحيط للفيروز آبادي " (ص/٢٦٦) - ١٩٨٧م ، " مختار الصحاح . محمد بن أبي بكر الرازي " (ص/٦٨١) ، مادة (نهج) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، عام ١٤١٣هـ ، بدون ذكر رقم الطبعة .

(٣) - " أصول البحث العلمي ومناهجه " دكتور / أحمد بدر (ص/٣٣) ، وكالة المطبوعات ، عبدالله حرمي - الكويت ، ط : ١ ، ١٤١٤هـ .

(٤) - " لسان العرب " (٤٥٨/١١) ، مادة (عقل) .

(٥) - " القاموس المحيط " (ص/١٣٣٦) ، مادة : (عقل) .

(٦) - " المصباح المنير " للعلامة أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ص/٢١٩) ، المكتبة العصرية ، بيروت ط/١ ، ١٤١٧هـ ، مادة (ع . ق . ل) .



بها الإنسان دون سائر الكائنات ، ليعينه على إدراك ذاته وإدراك ما حوله ، وهو الأداة التي يعقل بها عن الله تعالى دينه الذي أراده لنفسه ، وشرعه الذي رضي به لعباده لتستقيم به حياتهم ... وهو آلة الإنسان لتحقيق الاستخلاف في الأرض ، وكشف بعض أسرارها والاستفادة مما أودعه الله فيها من خيرات (١) .

### تعريف العقل اصطلاحاً

عرّفه علماء الإسلام بتعريفات منها :

\* العقل : « غريزة ، جعلها الله عز وجل في الممتحنين من عباده ، أقام به على البالغين اللحم الحجة » (٢) .

\* ويقول الإمام ابن الجوزي - رحمه الله - (٣) : « والتحقيق في هذا أن يقال : العقل غريزة كأنها نُور يُقْتَف في القلب فيستعد لإدراك الأشياء ، فيعلم جواز الجائزات ، واستحالة المستحيلات ، ويتلمح عواقب الأمور » (٤) .

وقيل : « نور روحاني ، به تُذرك النَّفْسُ العلوم الضرورية والنظرية » (٥) .

وهذه التعريفات مُتَّفَقة على أنّ العقل غريزة يخلقها الله ، وليس للعبد فيها كسبٌ ، خلافاً لما زعمه الفلاسفة والمتكلمون .

والصحيح أنّ محل العقل القلب بدليل قوله تعالى : ﴿ أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴾ (٦) .

(١) - ينظر : " تربية المراهق بين الإسلام وعلماء النفس " ، د . محمد السيد الزعبلاوي ، ( ص / ٦٤ ) مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، ط / ١ ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م .

(٢) - " المسائل في أعمال القلوب والجوارح " للحارث المحاسبي ( ص / ٢٣٨ ) .

(٣) - هو عبدالرحمن بن علي بن عبدالله بن حمادي بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي ، يرجع نسبه إلى القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق - رضى الله عنه - ، الشيخ الواعظ جمال الدين أبو الفرج ، برز في علوم

كثيرة ، وصنف في علوم كثيرة ، وصنّف الكثير ، قيل نحو ثلاثمائة ، له يد طولى في كثير من العلوم من تفسير وحديث وتاريخ ولغة وحساب ، ولد سنة ٥١٠ هـ ، وتوفي سنة ٥٩٧ هـ .

ينظر : " البداية والنهاية " للإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير : ( ٢٨ / ١٣ ) مكتبة المعارف - بيروت ، ط : ٦ ، ١٤٠٦ هـ ، " والأعلام " خير الدين الزركلي : ( ٣ / ٣١٦ - ٣١٧ ) ، دار العلم للملايين ، بيروت - لبنان ، ط : ٥ ، ١٩٨٠ م .

(٤) - " ذم الهوى " لأبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي ، ( ص / ١٣ ) ، ط : دار الكتب العلمية ، بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها .

(٥) - " القاموس المحيط " ، ( ص / ١٣٣٦ ) .

(٦) - سورة الحج ، الآية : ( ٤٦ ) .

وقوله ﷺ: «ألا وإنَّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب» (١) .

يقول الشيخ محمد الصالح العثيمين - حفظه الله - في هذا المعنى : « فتأمل قوله سبحانه : ﴿ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴾ ، حيث جعل القلوب آية العقل ، ثم أكد أنَّ المراد به القلب الحقيقي الموجود في الصدور لقوله : ﴿ ولكن تعمي القلوب التي في الصدور ﴾ فدلَّ هذا على أنَّ القلب هو الذي يُبصر المعاني ويُميز بينها ، ويعقلها . وقال ﷺ « ألا وإنَّ في الجسد مضغة » فجعل مدار تصرف الجسد كله على القلب » (٢) .

وفي ضوء ما تقدم يمكن أن يُعرف العقل بأنه : قوة غريزية معنوية محلها القلب تمكن الإنسان من معرفة ربه ، وتعود اتجاهه إليه ، وهي محل الإدراك والفهم والتمييز بين الخير والشر ، والحسن والقبيح والضر والنافع .

### ثانياً : مكانة العقل في الإسلام

لقد كرم الله سبحانه الإنسان ، وميزه عن غيره من المخلوقات قال تعالى : ﴿ ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ﴾ (٣) .

ومن أبرز المميزات لبني آدم أنَّ الله أنعم عليهم بنعمة العقل قال الله تعالى ممتناً عليهم ﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السَّمْع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون ﴾ (٤) .

ولذا فإنَّ العقل من أبرز مظاهر التكريم الذي امتنَّ الله به على بني آدم .

(١) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الإيمان ، باب فضل من استتيراً لدينه وعرضه ، (٤١/١) ، ح (٥٢) المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب المساقاة ، باب أخذ الحلال وترك الشبهات ، (٩٨٨/٣) ، ح (١٥٩٩) ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط/١ ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .

(٢) - " الجواب المختار " (ص/٧١) .

(٣) - سورة الإسراء ، الآية : (٧٠) .

(٤) - سورة النحل ، الآية : (٧٨) .

قال الإمام القرطبي - رحمه الله - (١) بعد أن ذكر أقوالاً في معنى التفضيل :  
 « والصحيح الذي يُعوَّل عليه أن التفضيل إنما كان بالعقل الذي هو عُمدة  
 التَّكْلِيف وبه يُعرف الله ويفهم كلامه ، ويوصل إلى نعيمه وتصديق رسله » (٢) .  
 ولَمَّا كان العقل محل محبة الله والإيمان به فقد أولاه الإسلام أهمية حيث جعله  
 مناط التَّكْلِيف ، قال رسول الله ﷺ « رَفَعَ الْقَلَمَ عَنْ ثَلَاثَةٍ ، عَنْ الْمَجْنُونِ الْمَغْلُوبِ  
 عَلَى عَقْلِهِ حَتَّى يَبْرَأَ ، وَعَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ » (٣) .  
 وأوجب المحافظة عليه ، فمنع كل ما يُوَثِّرُ على العقل ، ويُعطلُّ دوره مثل  
 المُسْكِرَاتِ ، والمخدرات ، والمفتَرَّاتِ ، بل إنَّ العقل يُعدُّ من الكليات التي اتفقت  
 الشرائع على وجوب المحافظة عليها - وهي : الدِّينُ ، والنَّفْسُ ، والمالُ ،  
 والعِرْضُ والعقل (٤) .

وبيَّن رسول الله ﷺ أن صلاح الجسد مرتبط بصلاح القلب وذلك في قوله :  
 « أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً ، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ  
 الْجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ » (٥) .

قال الحافظ ابن رجب (٦) - يرحمه الله - معلقاً على هذا الحديث « فيه إشارة  
 إلى أن صلاح حركات العبد بجوارحه ، واجتنابه للمحرمات ، واتقائه للشبهات ،  
 بحسب صلاح حركة قلبه » (٧) .

- (١) - هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي ، أبو عبدالله ، صاحب التفسير المشهور  
 وصاحب " التذكرة " كان من أهل الصلاح والعبادة ، توفي سنة ٦٧١هـ بمصر ، رحمه الله ينظر :  
 شذرات الذهب : ( ٣٣٥/٥ ) ، " الأعلام " : ( ٣٢٢/٥ ) .
- (٢) - " الجامع لأحكام القرآن " الإمام محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ( ١٩٠/١٠ ) ، دار الكتب العلمية ،  
 بيروت ، ط/١ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
- (٣) - أخرجه الإمام أبو داود في " سننه " كتاب الحدود ، باب في المجنون يسرق أو يصيب حدًّا ( ٥٥٩/٤ )  
 ح ( ٤٤٠١ ) ، واللفظ له ، دار الحديث ، بيروت ، ط/١ ، ١٣٨٨ - ١٩٦٩م ، والإمام أحمد في  
 " مسنده " ( ١١٧/٦ ) ، ح ( ٢٤٦٩٤ ) ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط/١ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م ،  
 وابن حبان في " صحيحه " ( ٣٥٥/١ ) ، ح ( ١٤٢ ) ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ،  
 بيروت ، ط/٣ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م ، وصححه الشيخ الألباني في " صحيح سنن أبي داود " ( ٥٦/٣ )  
 ح ( ٤٤٠١ ) ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط/١ ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .
- (٤) - ينظر : " الموافقات في أصول الشريعة " لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي ، ( ٨/٢ ) شرح  
 وتخرّيج الشيخ عبدالله دراز ، وآخرين ، ط : دار الكتب العلمية - بيروت - بدون تاريخ .
- (٥) - سبق تخريجه في ( ص/٥ ) .
- (٦) - هو : عبدالرحمن بن أحمد بن رجب السَّلَامِي البغدادي ثَمَّ الدَّمَشَقِي الحنبلي ، أبو الفرج زين الدِّين ،  
 حافظ للحديث ، له مصنفات عديدة منها : " شرح جامع الترمذي " ، " جامع العلوم والحكم " ،  
 " فضائل الشام " ولد في بغداد ونشأ فيها وتوفي في دمشق سنة ٧٩٥هـ . رحمه الله . ينظر :  
 " شذرات الذهب " ( ٣٣٩/٦ ) ، " والأعلام " ، ( ٢٩٥/٣ ) .
- (٧) - " جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديث في جوامع الكلم " للإمام زين الدِّين أبي الفرج  
 عبدالرحمن بن رجب ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، وإبراهيم باجس ( ٢١٠/١ ) .

وسلامة القلب وخلوه من الأمراض شرط في دخول الجنة قال الله تعالى :  
﴿ يوم لا ينفع مالٌ ولا بنونٌ \* إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ (١) .

والعقل يقتضي أن يسعى الإنسان في تحصيل ما ينفعه في العاجل والأجل ،  
ولذا فقد عاب الله فعل الذين يأمرون الناس بالبر ، وينسون أنفسهم قال تعالى :  
﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ﴾ (٢) .

وبين الله سبحانه أن الكفار إذا ألقوا في نار جهنم يوم القيامة وحل بهم عذاب  
الله اعترفوا بأنهم لم تكن لهم عقول ﴿ وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في  
أصحاب السعير ﴾ (٣) .

وأرشد القرآن في آيات كثيرة إلى التفكير ، والتدبر ، والنظر والاعتبار وكلها  
من أعمال القلوب قال تعالى : ﴿ قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون ﴾ (٤) ،  
وقال تعالى : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾ (٥) ، وقال تعالى :  
﴿ أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن  
يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون ﴾ (٦) ، وقال تعالى : ﴿ فاعتبروا  
يا أولي الأبصار ﴾ (٧) ،

ومع هذه الإشادة بالعقل ، فإن الإسلام لم يجعله مستقلاً بالتوصل إلى الهدى  
والصلاح ، بل سَدَّه وأرشده بالرُّسُل والكتب ، لئلا تتحرف به الأهواء أو العادات  
الباطلة فوظيفة العقل أن يتلقى عن الله شرعه ، ويفهمه .

« وليس دور العقل أن يكون حاكماً على الدِّين ومقرراته من حيث الصِّحة  
والبُطلان ، والقبولُ أو الرِّفض - بعد أن يتأكد من صحة صدورها عن الله ؛ وبعد  
أن يفهم المقصود بها » (٨) .

(١) - سورة الشعراء ، الآيتان : (٨٨ - ٨٩) .

(٢) - سورة البقرة ، الآية : (٤٤) .

(٣) - سورة الملك ، الآية : (١٠) .

(٤) - سورة الأنعام ، جزء من الآية : (٥٠) .

(٥) - سورة محمد ، الآية : (٢٤) .

(٦) - سورة الأعراف ، الآية : (١٨٥) .

(٧) - سورة الحشر ، جزء من الآية : (٢) .

(٨) - " في ظلال القرآن - سيد قطب " (٨٠٦/٢) ، دار الشروق ، بيروت ، ١٩٩٣هـ - ١٩٧٣م .

## المطلب الثاني

تعريف المنهج العقلي في الدعوة إلى الله وبيان أهم أساليبه ، ومواطن استخدامه

**أولاً: تعريفه ، وبيان أهميته في الدعوة إلى الله تعالى**

**أ - تعريف المنهج العقلي الدعوي**

هو : « مجموعة الأساليب الدعوية التي تركز على العقل وتدعو إلى التفكر والتدبر والاعتبار » (١) .

وفي ضوء هذا التعريف يتبين لك أن المنهج العقلي يناسب جميع العقلاء ، ولا يحتاج إلى أن يكون المدعو حاصلًا على رصيد علمي ، أو ذا إبداع يجعل بموجبه الفكر والجدل أساساً في وزن الأعمال ، ومن هذين الملحظين يتبين الفرق بينه ، وبين المنهج العلمي والفكري ، فهو أعمُ منهما (٢) .

**ب - أهمية استخدامه في الدعوة إلى الله تعالى**

سبق بيان مكانة العقل في الإسلام ، ولعلني أشير هنا إلى أهمية المنهج العقلي في الدعوة إلى الله باختصار ؛ لأنني سأعرض لأسلوبي ، الحوار والمقارنة في الفصل الثاني ، باعتبارهما أسلوبين من أساليب المنهج الحسي ، لاشتمالهما في الأمثلة على أمور حسية .

وتبرز تلك الأهمية في النقاط التالية :

١ - عمق تأثيره في المدعويين وتكوين القناعة لديهم (٣) .

لا يخفى ما للمنهج العقلي من أثر في النفوس ؛ إذ اعتماده على قوة الإقناع عن طريق المقارنة والموازنة أو التمثيل والحوار البناء ، وإحاطة المجهول بالمعلوم ، والخفي الغامض ، بما هو جلي واضح ، والعقل قيم الأعضاء ،

(١) - " المدخل إلى علم الدعوة " ، د . محمد أبو الفتح البيانوني ( ص / ٢٠٨ ) .

(٢) - ينظر : " الدعوة إلى الله " د . عبدالرؤف نواب الدين ، ( ص / ١٣٥ ) ، دار القلم - دمشق ، ط / ١ ، ١٤١٠ هـ .

(٣) - ينظر : " المدخل إلى علم الدعوة " ( ص / ٢١٣ ) .

وبصلاحه يَصْلُحُ سائر الأعضاء كما سبق بيانه (١) ، فإذا استقرت الفكرة في العقل قامت الجوارح بما يناسب تلك القناعة ، فانضبط السلوك ، واستقامت التصرفات.

## ٢ - إزالة الشبهة والريب :

قد يكون المدعو ليس من أهل الإنكار والجحود ، وتعرض له شبهة بسبب اعتياده أموراً معينة ، أو حدوث أمر لا يألفه ، فيستبعد أمراً حقيقياً ، ويتحيز فيه فيحتاج في هذه الحال إلى إثارة عقلية ، تُرْجِعُهُ إلى الصواب وتُبْعِدُ عنه الشكَّ والحيرة وأمثلة ذلك كثيرة في السنة منها قوله ﷺ للسائل الذي قال : ولد لي غلام أسود فقال : « هل لك من إبل » ، قال نعم ، قال « مألوانها » قال : حُمْر ، قال : « هل فيها من أورك » قال نعم ، قال : « فأندي أتاها ذلك » قال : لعنه نَزَعَهُ عِرْق ، قال : « فلعن ابنك هذا نزعاً » (٢) .

قال القاضي عياض (٣) - رحمه الله - : « في هذا الحديث حُجَّةٌ للقول بالقياس ، والاعتماد وضرب الأمثال والأشباه لتقريب الأفهام ، وعرض الغامض المشكل على البين الظاهر » (٤) .

## ٣ - إفحام المعاندين وإقامة الحجة عليهم :

قد يكون المدعو من أهل العناد والجحود لا يقبل الحق ، ولو اتضحت معالمه واستبان سبيله ، فيستخدم المنهج العقلي لإفحامه وإقامة الحجة عليه ، وفي ذلك كفٌّ لشره ، وردٌّ لشبهته ، فيسلم الناس من تأثير شبهاته (٥) ، مع ملاحظة أنَّ القلوب بيد الله يُصرِّفها كما يشاء ؛ ولذا يجب أن لا يقنط الداعية من هداية المدعو مهما كان بعده عن الحق .

(١) - ينظر : ص (٦) من هذا البحث .

(٢) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " ، كتاب الطلاق ، باب : إذا عرض بنفسه الولد (١٧٠٨/٤) ، ح (٥٣٠٥) واللفظ له ، والإمام مسلم في " صحيحه " ، كتاب اللعان ، باب (١) (٩١٨/٢) ، ح (١٥٠٠) .

(٣) - هو : عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن اليحصبي السبتي ، أبو الفضل ، عالم المغرب في عصره ، وإمام المحدثين في وقته ، مؤلفاته تدلُّ على سعة علمه ، ومن مؤلفاته " إكمال المعلم بفوائد مسلم " ، " مشارق النوار " ولد سنة ٤٧٦هـ ، وتوفي سنة ٥٤٤هـ . ينظر : " وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان " لأبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ، (٣٩٢/١) ، دار الفكر ، ودار صادر ، بيروت ، عام ١٩٧٢م ، بدون ذكر رقم الطبعة ، " تذكرة الحفاظ " للإمام أبو عبدالله شمس الدين الذهبي (١٣٠٤/٤ - ١٣٠٧) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، بدون ذكر رقم الطبعة ، وتاريخها .

(٤) - " إكمال المعلم بفوائد مسلم " القاضي عياض ، تحقيق : د . يحيى إسماعيل ، (٩٦/٥) ، دار الوفاء ، المنصورة ، ط/١ ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .

(٥) - ينظر : " درء تعارض العقل والنقل " لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٦٧/٧ ، ١٦٨) تحقيق : د . محمد رشاد سالم ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ط/١ ، ١٤٠٠هـ .

## ثانياً : أهم أساليب المنهج العقلي ومواطن استخدامه

المنهج العقلي ذو أساليب متعددة ومتنوعة ، لأن المدعويين يتفاوتون في الحاجة إلى قوة الإقناع في صوغ الأدلة ، لتفاوتهم في الفهم والإدراك ، والموضوعات الدعوية تختلف أيضاً من حيث الوضوح ، والغموض ، وسهولة الاستيعاب من طرف المخاطبين بها ، وفيما يلي : سأعرض لأهم أساليبه :-

### أسلوب القياس العقلي ويشتمل على :

أ - قياس الأولى : ومثاله قوله تعالى : ﴿ أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهُمُوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَ اللَّهَ أَحَقَّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١) .

وقوله ﷺ في حديث الأمر بحفظ العورة ، لما قال له الصحابي « يا نبي الله : إذا كان أحدنا خالياً ؟ قال : « فإلله أحق أن يستحي منه » (٢) .

ب - القياس المساوي : ومن أمثله ما جاء عن أبي أمامة (٣) ﷺ ، قال : إن فتى شاباً أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ائذن لي بالزنا ، فأقبل القوم عليه فزجروه ، وقالوا : مه مه ، فقال : « ادنه » فدنا منه قريباً قال : فجلس ، قال : « أتحبه لأملك » ، قال : لا والله جعلني الله فداك ، قال : « ولا الناس يحبونه لأمهاتهم » ، قال : « أفتحبه لابنتك ؟ » ، قال : لا والله جعلني الله فداك ، قال : « ولا الناس يحبونه لبناتهم » ، قال : « أفتحبه لأختك ؟ » ، قال : لا والله جعلني الله فداك ، قال : « ولا الناس يحبونه لأخواتهم » ، قال : « أفتحبه

(١) - سورة التوبة ، الآية : (١٣) .

(٢) - أخرجه الإمام الترمذي في " السنن " كتاب الأدب ، باب ما جاء في حفظ العورة ، (١١٠/٥) ، ح (٢٧٩٤) وقال : " هذا حديث حسن ما أرى أسناده بمتصل " دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها ، وحسنه الشيخ الألباني في " صحيح سنن الترمذي " (٣٥٩/٢) ح (٢٢٢٢) ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، طبعة مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ط/١ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

(٣) - هو : أبو أمامة صدي بن عجلان ، اشتهر بكنيته ، روى عن النبي ﷺ ، وعن عمر وعثمان وعلي وأبي عبيدة ، وغيرهم ، وعنه أبو سلام الأسود ، ومحمود بن زياد الألهاني ، وغيرهما ، حضر صفين مع علي - ﷺ - وسكن الشام ، توفي بها سنة (٨٤هـ) ، وهو آخر من مات بالشام من الصحابة . ينظر : " الإصابة في تمييز الصحابة " للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبدالموجود ، الشيخ علي محمد معوض (٣/٣٣٩) دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ، ط : ١ ، ١٤١٥هـ ، " صفة الصفة " لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، تحقيق وتعليق : محمود فاخوري ، (١/٧٣٣ - ٧٣٦) ، دار المعرفة ، بيروت ، ط : ٣ ، ١٤٠٥هـ .

لعمتك ؟ » ، قال : لا والله جعلني الله فداك ، قال : « ولا الناس يحبونه لعماتهم » ، قال : « أفتحبه لخالتك ؟ » ، قال : لا والله جعلني الله فداك ، قال : « ولا الناس يحبونه لخالاتهم » ، قال : فوضع يده عليه وقال : « اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه ، وحسن فرجه » . فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء » (١) .

فقوله ﷺ للشاب « ادنه » لتقريبه منه ، ووضع يده عليه ، ودعاؤه له ، كل ذلك من أساليب المنهج العاطفي الذي يحرك الشُّعور والوجدان ، ويأسر القلوب ومناقشته ﷺ له باستخدام القياس المساوي ، ومجادلته له بالحسنى ، من أساليب المنهج العقلي ، واختياره ﷺ لمثال محسوس ومشاهد يعرفه الشاب تمام المعرفة ، من أساليب المنهج الحسي (٢) .

واستخدام هذه المناهج لمعالجة موقف واحد كان له الأثر البالغ في اقتناع المدعو بأن هذا الأمر الذي يريد الإقدام عليه ويطلب الإنذن من رسول الله ﷺ فيه أمرٌ شنيعٌ وقبيحٌ ، لأنه مادام يستقبح هذا الفعل من قرابته ، ولا يرضاه لهنَّ فإنَّ النَّاسَ كلهم لا يرضونه لقرابتهنَّ ، وبهذا الأسلوب الهادئ المُقنِع بالرفق والرَّحمة والشَّفقة ، حاور رسول الله ﷺ هذا الشاب ، مستعملاً أسلوب التدرج من الأمِّ إلى البنت ثم الأخت ، وفي ذلك إشارة إلى أنَّه لا بد أن تكون المرأة أمًّا لأناس أو ابنة أو أختاً لآخرين ، والجميع لا يحبون أن تقع الفاحشة من نويهم ، وإيذاء عباد الله ، وتشويه أعراضهم أمرٌ يجب الاحتراز منه ومجانبته (٣) .

### أسلوب الجدل والمناظرة

الجدل في اللغة : اللُّد في الخصومة ، والقُدْرَةُ عليها (٤) .

- (١) - أخرجه الإمام أحمد في " المسند " (٣٢٣/٥) ، ح (٧٥/٢٢٢٠٧) ، وقال عنه الشيخ زين الدين العراقي : " رواه الإمام أحمد بإسناد جيد ، رجاله رجال الصحيح " ، ينظر : " هامش إحياء علوم الدين " (٥٢١/٢) ، تحقيق : سيد إبراهيم ، دار الحديث ، القاهرة ، ط/١ ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .
- (٢) - " المدخل إلى علم الدعوة " ( ص ٢٤٩ - ٢٥٠ ) بتصرف يسير .
- (٣) - قال تعالى : ﴿ والذين يُؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً ﴾ . سورة الأحزاب ، الآية : (٥٨) .
- (٤) - ينظر : " لسان العرب " (١٠٥/١١) ، مادة (جدل) ، " القاموس المحيط " (ص/١٢٦١) ، مادة (جدل) .



واصطلاحاً : « عبارة عن دفع المرء خصمه عن فساد قوله بحجة أو شبهة » (١).

وتظهر علاقة أسلوب الجدل بالمنهج العقلي في اعتماده على العلم والمعرفة ، وقوة أثره في الإقناع العقلي ؛ بحيث يسدُّ المجادل الباب على من يجادله كما حكى الله عن الخليل إبراهيم عليه السلام في قوله للنمرود (٢) : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ﴾ (٣) .

ولا يخفى ما لإفحام أهل الباطل وقطع حجته من أهمية ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (٤) - رحمه الله - : « فكل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع ، مناظرة تقطع دابرهم لم يكن أعطى الإسلام حقه ، ولا وفى بموجب العلم والإيمان ولا حصل بكلامه شفاء الصدور ، وطمانينة النفوس » (٥) .

### مواطن استخدام المنهج العقلي

سبق في التعليق على تعريف المنهج العقلي ، بيان صلاحيته لدعوة جميع العقلاء ، ولكنه قد تدعو الحاجة إليه في مواطن من أهمها ما يلي :-

١ - إذا أنكر المدعون أمورا ظاهرة ، وأظهروا العناد في إنكارهم ، ومن أمثلة ذلك حوار إبراهيم عليه السلام مع النمرود .

٢ - مع أصحاب العادات والشبه ؛ لإزالة ما علق بنفوسهم من آثار سلبية .

٣ - مع العلمانيين المتأثرين بحضارة الغرب وأفكاره (٦) .

(١) - " المنخل إلى علم الدعوة " (ص/٢٦٣) .

(٢) - هو : النمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح . وقيل : نمرود بن فالج بن عابر بن صالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح . ملك بابل ، وكان أحد ملوك الدنيا ، وقد استمر في ملكه أربعمائة سنة ، وكان قد طغى وبغى ، ولما دعاه إبراهيم الخليل - عليه السلام - إلى عبادة الله وحده أنكر وجود الله وادعى لنفسه الربوبية فحاجه إبراهيم - . ينظر : " تاريخ الأمم والملوك " لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم : (٢٨٧/١ - ٢٩٢) دار سويدان ، بيروت - لبنان ، بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها ، " البداية والنهاية " (١/١٤٧ - ١٤٩) .

(٣) - سورة البقرة ، جزء من الآية ، (٢٥٨) .

(٤) - هو : أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام الحراني الحنبلي ، أبو العباس تقي الدين ابن تيمية ، الإمام العلامة ، شيخ الإسلام ، ولد بحران عام ٦٦١هـ ، وتحول إلى دمشق ، وقد اشتهر ، وأصبح مرجعاً في الفتوى ، وأفتى بمسائل أودى من أجلها وسجن أكثر من مرة ، ومات وهو مسجون ، له مؤلفات منها : " درء تعارض العقل والنقل " ، وقد جمع الشيخ عبدالرحمن بن قاسم فتاواه ، توفي عام ٧٢٨هـ ، ينظر : " البداية والنهاية " (٤/١٣٥) ، " الأعلام " (١/١٤٤) .

(٥) - " درء تعارض العقل والنقل " مرجع سابق ، (١/٣٥٧) .

(٦) - ينظر : " المنخل إلى علم الدعوة " للبيانوني ، (ص/٢١٢) ، بتصرف .

## المبحث الثاني : المنهج العاطفي .

وفيه مطلبان :

**المطلب الأول : تعريف المنهج العاطفي لغةً واصطلاحاً ،**

**وبيان أهميته في الدَّعوة إلى الله تعالى .**

**المطلب الثاني : أهم أساليب المنهج العاطفي ، ومواطن**

**استخدامه .**

## المطلب الأول

### تعريف المنهج العاطفي لغةً واصطلاحاً

### وبيان أهميته في الدَّعوة إلى الله

#### أولاً: تعريف المنهج العاطفي لغةً واصطلاحاً

أ - أمّا المنهج فقد سبق تعريفه (١) .

والعاطفة في اللغة : مشتقة من العطف وهو الميل والإشفاق (٢) .

والعاطفة في اصطلاح علماء النفس هي :

« تنظيم مركب من عدّة انفعالات ، ركّزت حول موضوع معين ، وصُنّحت

بنوع من الخبرات السّارة أو المؤلمة » (٣) .

أو هي : « استعدادٌ وجداني للشّعور بتجربة وجدانية خاصة للقيام بسلوك

معين إزاء شيء أو شخص معين أو جماعة أو فكرة مجردة » (٤) .

وإذا تأملت هذين التعريفين اتضح لك أنّ التعريف الدقيق للعاطفة ليس

سهلاً لأنّها شعور داخلي لا يظهر للعيان وإنّما تظهر آثاره ، يقول الدكتور علي

جريشه : « العاطفة كالقطرة ... مشاعر ... يهتز بها القلب ... لا يُعرَفُ كُنْهُهَا

لكن تُرى نتائجها » (٥) .

ويتضح مما سبق :

١ - أنّ العاطفة شعور وجداني لا يُدرك بالحسّ لكن له آثار تدلُّ عليه ، فانبساط

الوجه ، واستنارتته تدلُّ على الرضا ونحو ذلك ...

٢ - أنّ العاطفة التي يبرز أثرها للعيان قد تنشأ بسبب عواطف تتعاون في إبراز

ذلك الأثر .

٣ - أصل العاطفة فطري ولكن توجيهها ، والسيطرة عليها مكتسب .

(١) - ينظر : ص : ( ج ) من المقدمة .

(٢) - القاموس المحيط ( ص / ١٠٨٣ ) مادة : ( عطف ) .

(٣) - " المدخل إلى علم النفس " د . عبدالحى موسى : ( ص / ٢٤١ ) مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط : ٢ ، عام ١٩٧٩ م .

(٤) - " مبادئ علم النفس العام " د . يوسف مراد ، ( ص / ١٦٦ ) دار المعارف بمصر ، ط : ٢ ، بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها .

(٥) - " مناهج الدَّعوة وأساليبها " ( ص / ٣٢ ) ، دار الوفاء ، المنصورة ، ط / ١ ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م .

## ب - تعريف المنهج العاطفي اصطلاحاً :

عرّفه الدكتور محمد أبو الفتح البيانوني فقال :  
هو : « النَّظَامُ الدَّعَوِي الَّذِي يَرْتَكِزُ عَلَى الْقَلْبِ ، وَيُحْرِكُ الشُّعُورَ  
وَالوُجْدَانَ » .

أو هو : « مجموعة الأساليب الدعوية التي تُركّز على القلب ، وتُحرّك  
الشُّعُورَ وَالوُجْدَانَ » (١) .

وهذان التعريفان متقاربان من حيث المدلول ، ويتضح منهما أنّ المنهج  
العاطفي ، هو : مجموعة الأساليب المثيرة للشعور المُحرّكة للوجدان ، التي تُثير  
الإشفاق على النفس أو الغير ، فهو مُركّزٌ على إثارة الشعور والإحساس ،  
ومشاعر الإنسان وأحاسيسه كثيرة لا حصر لها ، والأساليب التي تُثيرها أيضاً  
كثيرة ، سيأتي ذكر أهمها قريباً - إن شاء الله تعالى - .

## ثانياً : أهمية المنهج العاطفي في الدعوة إلى الله

أهمية المنهج العاطفي تتبين بالأمر التالي :

### أ - قوة تأثيره في النفوس :

لقد سبق في التعريف بيان أنّ العاطفة شعورٌ داخلي وأنّ توجيهها وضبطها  
مكتسبٌ ؛ ومن هنا فإنّ المنهج العاطفي له أثرٌ قويٌّ في إثارة العواطف وتوجيهها ،  
ولا يخفى أنّ الأثر المنبعث من الشعور الداخلي أعمقُ وأرسخُ في النفوس  
من أي أمر آخر يقوم به الإنسان محاكاةً لغيره ، أو استرضاءً له ؛ لأنّ الشعور  
العاطفي ينشأ عنه الاقتناع الداخلي ؛ ومن ثمّ يكون التّطبيق العملي مستمراً ،  
وهدفُ الدّعاة إلى الله ينبغي أن يكون التغيير الحقيقي لا الصّوري .

### ب - صلاحيته لجميع أصناف المدعوين :

المنهج العاطفي ذو علاقةٍ قويةٍ بالمنهج الفطري ، والفطرة موجودة لدى كل  
إنسان ، فلكلّ إنسان عواطفه ومشاعره وأحاسيسه (٢) ، وكلّ إنسان يُحب السّعادة  
ويرغب فيها ، وإن اختلفت الرّؤى في تحديدها ، وكلّ النَّاس يُحِبُّونَ أَشْيَاءَ ،

(١) - " المدخل إلى علم الدعوة " (ص/٢٠٤) .

(٢) - ينظر " مناهج الدعوة وأساليبها " ، د . علي جريشة ، (ص ٣٠ - ٣٢) و " الدعوة إلى الله " ، د .  
عبدالرب نواب الدين (ص ١٣٢ - ١٣٣) .

ويكرهون أشياء وهذه عواطف ، وتوجيهها وتسديدها ، لا بد له من أسلوب مناسب ومنهج محدّد ، والمنهج العاطفي هو الكفيل بإثارة ما هو كامن من هذه العواطف ؛ ومن ثمّ توجيهها الوجهة الصّحيحة البعيدة عن الرّيبة ، وسأذكر أمثلة توضح ذلك - إن شاء الله تعالى - .

### ج - كثرة وروده في الكتاب والسنة :

فمن أمثلته في القرآن قوله تعالى مرغباً في العفو والصّحّح عن ذوي القرابة ، والإنفاق عليهم : ﴿ ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسّعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ﴾ (١) .

يقول الدكتور عبدالرّب نواب الدّين معلّقاً على هذه الآية : « فورود الآية بصيغة الاستفهام ومجيء كلمة الحُبّ في ﴿ ألا تحبون ﴾ وكون هذا الغفران من الله جل جلاله ، ثمّ التّعقيب أنه سبحانه غفور رحيم على صيغة المبالغة ( فعول وفعل ) في جانب المغفرة والرّحمة ، كل هذا يجعل النّفْس تستشرف إلى مغفرة الله ورحمته ورضوانه ، ومن لا يحب أن يغفر الله له ؟! » (٢) .  
ومن أمثلته أيضاً قوله سبحانه : ﴿ ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكراً عليماً ﴾ (٣) .

فهذه الآية قد اشتملت على أسلوب عاطفي مؤثّر لاشتمالها على النّفّي المؤكّد ، بصيغة الاستفهام الإنكاري ، الدّال على أنّ الله العزيز ، ليس له حاجة بتعذيب من شكر وأمن ، فلا نفع يستجلبه بذلك سبحانه ، ولا يستدفع به ضراً ، أو يتشقى به من غضب ، بل الكفر والعصيان الواقع منكم ، هو السّبب فيما ينالكم من عذاب (٤) .

ومن أمثلته في السنة قوله ﷺ في خُطبةٍ وجّهها إلى الأنصار « ألا ترضون أن يذهب النّاس بالشّاة والبعير وتذهبون بالنّبي ﷺ إلى رحالكم ، لولا الهجرة

(١) - سورة النور ، الآية : (٢٢) .

(٢) - " الدعوة إلى الله " (ص/١٣٤) .

(٣) - سورة النساء ، الآية : (١٤٧) .

(٤) - ينظر : " إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم " لأبي السعود محمد بن محمد العمادي (٢/٢٤٧) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، ط : ٤ ، ١٤١٤هـ .

لكنت امرءاً من الأنصار ولو سلك النّاس وادياً وشعباً لسلكت وادي الأنصار وشيبتها» (١) . فقد أثار رسول الله ﷺ بهذه الخطبة عواطف الأنصار ، ببيان محبته لهم ومكانتهم عنده . ومنها قوله ﷺ : « استوصوا بالنساء ، فإن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج ما في الضلع أعلاه » (٢) . وقد أثار رسول الله ﷺ في هذا الحديث عواطف الرّجال تجاه نساءهم حيث أوصاهم بهم خيراً ، ويبيّن أنّ العوّج طبيعة خلقية فيهنّ ؛ ولذا فإنّ التّعاضّي عن هفواتهنّ أمرٌ لازم لكي تسلم النّبيوت من التّشوّت والضّياع .

(١) - متفق عليه ، أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " ، كتاب المغازي ، باب غزوة الطائف في سؤال سنة ثمان (١٣٠٧/٣) ، ح (٤٣٣٠) ، والإمام مسلم في " صحيحه " ، كتاب الزكاة ، باب إعطاء المؤلف قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه (٦٠٨/٢) ، ح (١٠٦١) .

(٢) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب خلق آدم وذريته ، (١٠٢٥/٢) ، ح (٣٣٣١) ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الرضاع ، باب الوصية بالنساء ، (٨٨٣/٢) ، ح (١٤٦٨) .

## المطلب الثاني

### أهم أساليب المنهج العاطفي ومواطن استخدامه

#### المسلك الأول : أهم أساليبه

لقد تعددت أساليب هذا المنهج نظراً لاتساع مجالاته ؛ لأنه يصلح مع جميع أصناف المدعوين ، ومن أهمها ما يلي :

#### ١ - أسلوب الموعظة المسننة

وتندرج تحته أساليب فرعية متعددة منها :

أ - التَّغْيِيب : ويكون بذكر ما يُرَغَّبُ في العمل الصَّالِح لِنِالِ الشَّخْصِ سَعَادَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَنْ أَمَثَلْتَهُ فِي الْقُرْآنِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ (١) .

وقوله تَعَالَى ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢) .

ومن أمثلته في السُّنَّةِ قَوْلُهُ ﷺ مُرَغَّبًا فِي صِيَامِ رَمَضَانَ : « مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » (٣) .

وقوله ﷺ مُرَغَّبًا فِي قِيَامِهِ : « مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » (٤) .

ب - التَّهْرِيب : وهو التَّخْوِيفُ مِنْ عِقَابِ اللَّهِ وَعَذَابِهِ ، وَأَمَثَلْتَهُ كَثِيرَةٌ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ فَمِنْ أَمَثَلْتَهُ فِي الْقُرْآنِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ (٥) .

(١) - سورة الأعراف ، جزء من الآية : (٩٦) .

(٢) - سورة البقرة ، الآية : (٢٦١) .

(٣) - أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الإيمان ، باب صوم رمضان احتساباً من الإيمان (٣٦/١) ، ح (٣٨) .

(٤) - أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الإيمان ، باب تطوع قيام رمضان في الإيمان (٣٦/١) ، ح (٣٨) ، كتاب صلاة المسافرين ، باب الترغيب في قيام رمضان (٤٤٠/١) ، ح (٧٥٩) .

(٥) - سورة طه ، الآية : (١٢٤) .

ومن أمثلته في السنة قوله ﷺ « ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً » (١) .

وهذان الأسلوبان هما الأساسيان في الموعظة الحسنة ، ولهما الأثر البالغ في نفوس المدعويين ، وهما صالحان لمخاطبة جميع المدعويين ، لأنهم إما أن يكونوا مؤمنين فلهم البشرى من الله ، أو غير ذلك فعقاب الله ينتظرهم .  
وهذا ما بينه المولى سبحانه بقوله : ﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويُرشد المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً \* وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذاباً أليماً ﴾ (٢) .

ففي هاتين الآيتين بين الله سبحانه أن القرآن الكريم يهدي لأقوم الطرق ، وأوضح السبل ، ومن هدايته التَّرعيب بوعده وتبشير الطَّائعين ، والمنيبين والحافظين لحدود الله وأوامره بأجر عظيم لا يعلم وصفه إلا الله ، والتَّرهيب بوعيد المخالفين الذين خالفوا أوامر الله وحدوده بشديد العذاب ، وسوء المنقلب ، وشقاء الدنيا والآخرة (٣) .

وبين الله أن المهمة الأساسية لرسول الله - صلوات الله وسلامه عليهم - الإنذار والتبشير ، قال تعالى : ﴿ وما أُرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين ﴾ (٤) .  
وقال تعالى : ﴿ وما أُرسلناك إلا كافةً للنَّاس بشيراً ونذيراً ﴾ (٥) .

**ج - القصص العاطفية المؤثرة ؛ لأنَّ القصَّة وسيلة من وسائل عديدة اتخذها النبي ﷺ لتبليغ دعوته ، وقد قصَّ الله علينا في كتابه الكثير من أخبار الماضين ، وما وقع بهم من هلاك العاصيين ، ونجاة المؤمنين وفيها عبرة وموعظة لأولي الألباب قال الله تعالى : ﴿ لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان**

(١) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب تفسير القرآن ، باب قوله تعالى : ﴿ لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤم ﴾ ، (١٤٠٩/٣) ، ح (٤٦٢١) ، والإمام مسلم في " صحيحه " ،

كتاب الفضائل ، باب توفيقه ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه ، أو لا يتعلق به تكليف (١٤٦١/٤) ، ح (٢٣٥٩) .

(٢) - سورة الإسراء ، الأيتان : ( ٩ ، ١٠ ) .

(٣) - ينظر : " تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان " للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السَّعدي ، (ص/٤٠٦) ، مؤسسة الرسالة ١٤١٧هـ ، جمعه في جزء واحد الشيخ عبدالرحمن بن معلا اللويحق .

(٤) - سورة الأنعام ، جزء من الآية : (٤٨) .

(٥) - سورة سبأ ، جزء من الآية : (٢٨) .



حديثاً يُفتري ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴿١﴾ .

والسنة النبوية أيضاً مليئة بالقصص ، وسأعرض لأسلوب القصة وأثرها في تصوير المعنى في مبحث مستقل في الفصل الثاني - إن شاء الله تعالى - ولذا سأكتفي هنا بمثال واحد فقط وهو ما اتفق عليه الشيخان من رواية أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « بينما رجل يمشي فاشتد عليه العطش ، فنزل بئراً فشرب منها ، ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث ، يأكل الثرى من العطش فقال : لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي ، فملاخفه ثم أمسكه بفيه ، ثم رقى فسقى الكلب ، فشكر الله له فغفر له » قالوا : يارسول الله وإن لنا في البهائم أجراً ؟ ، قال : « في كل كبد رطبة أجر » ﴿٢﴾ .

وفي ذكره ﷺ لهذه القصة ، وإيراده لها إثارة عواطف المدعويين ، ليكونوا رحماء بمخلوقات الله رفقاء بها وفيها أبلغ الأثر في نفوسهم ، يقول الإمام العيني - رحمه الله - معلقاً على هذا الحديث : « وفيه الحث على الإحسان إلى الناس ؛ لأنه إذا حصلت المغفرة بسبب سقي الكلب ، فسقى بني آدم أعظم أجراً » ﴿٣﴾ .

### ٣ - استعطاف المدعويين

ويكون ذلك بأمر كثيرة من أهمها :

أ - التذكير بنعم الله : مثل قوله تعالى : ﴿ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين ﴾ ﴿٤﴾ .

ومن أمثلته في السنة قوله ﷺ للأَنْصار « ألم آتكم ضللاً فهداكم الله بي ، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي وعالة فأغناكم الله بي » ﴿٥﴾ .

- (١) - سورة يوسف ، الآية : (١١١) .
- (٢) - أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " ، كتاب : المساقاة ، باب فضل سقي الماء (٧٠٤/١ - ٧٠٥) ح (٢٣٦٣) ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب السلام ، باب فضل ساقى البهائم المحرومة وإطعامها (١٤٠٥/٤) ، ح (٢٢٤٤) .
- (٣) - " عمدة القارئ ، شرح صحيح البخاري " ، بدر الدين محمود بن أحمد العيني ، (٧٠٤/١٠ - ٧٠٥) ، شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ط/١ ، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .
- (٤) - سورة البقرة ، الآية : (٤٧) .
- (٥) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب المغازي ، باب غزوة الطائف (١٣٠٧/٣) ح (٤٣٣٠) ، والإمام مسلم في " صحيحه " ، كتاب الزكاة ، باب : إعطاء المؤلفلة قلوبهم ، (٦٠٨/٢) ح (١٠٦١) .

ب - مدح المخاطبين والثناء عليهم ، وإظهار مكانتهم ، وهذا الأسلوب كثير في السنة النبوية ، ومن أمثلته : قوله ﷺ في الثناء على الأنصار والوصية بهم : « أوصيكم بالأنصار ، فإنهم كرشى وعييتي ، وقد قضاوا الذي عليهم ، وبقي الذي لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم » (١) .

فقوله ﷺ : « كرشى وعييتي » يدلُّ على أنهم بطانته وخاصته ، وموضع سره وأمانته ، وفي هذا ثناء عظيم ومدح لهم - رضي الله عنهم أجمعين - (٢) .

ج - إظهار الشفقة والرَّحمة بهم ، وذلك بإبداء الصلَّة بهم مثل قول إبراهيم الخليل عليه السلام مخاطباً أباه ﴿ يا أبت لا تعبد الشيطان إنَّ الشيطان كان للرحمن عصياً \* يا أبت إنِّي أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً ﴾ (٣) .

وقول الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - لأقوامهم : ( يا قوم ) وقول لقمان لابنه : ﴿ يا بُنَيَّ لا تشرك بالله إنَّ الشُّركَ لظلمٌ عظيمٌ ﴾ (٤) . ونحو ذلك كثيرٌ في كتاب الله .

ومن أمثلته في السنة قوله في خطبته ﷺ على الصفا : « يا بني عبدالمطلب لا أغني عنكم من الله شيئاً : يا عباسُ بن عبدالمطلب لا أغني عنك من الله شيئاً يا صفية عمَّة رسول الله ﷺ لا أغني عنك من الله شيئاً يا فاطمة بنت رسول الله ﷺ سليني ما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً » (٥) .

د - القول اللين المشعِّر بالمحبة . مثل « والله إنِّي أحبُّك » ، وأخشى أن يصيبك مكروه (٦) .

هـ - الإحسان وبذل المعروف ، وهذا أصلٌ أصيلٌ في منهج رسول الله ﷺ حيث كان يعطي العطاء الجزيل يتألف به أقواماً ويدل على ذلك قوله ﷺ في

(١) - أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " ، كتاب مناقب الأنصار ، باب قول النبي ﷺ : " اقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم " ، (٣/١١٦٣) ح (٣٧٩٩) .

(٢) - ينظر : " فتح الباري بشرح صحيح البخاري " لابن حجر العسقلاني ، (٧/١٥٢) ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ط/٢ ، ١٤٠٥هـ .

(٣) - سورة مريم ، الأيتان : (٤٤ ، ٤٥) .

(٤) - سورة لقمان ، جزء من الآية : (١٣) .

(٥) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الوصايا ، باب هل يدخل الولد والنساء في الأقارب ، (٢/٨٤٧) ، ح (٢٧٥٣) ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الإيمان ، باب في قوله

تعالى : ﴿ وأنذر عشيرتكَ الأقربين ﴾ ، (١/١٦٤) ، ح (٢٠٦) ، واللفظ له .

(٦) - " المدخل إلى علم الدعوة (ص/٢٠٥) .

جوابه الأنصار - ﷺ - حين وجدوا عليه في توزيع غنائم حنين « فإني أعطي رجالاً حديثي عهد بكفر أتألفهم » (١) .

وقوله ﷺ مبيناً أنه يُعطي الحريصين على الدنيا ، ويترك من هم أقوى إيماناً : « أمّا بعد فوالله إني لأعطي الرجل وأدع الرجل ، والذي أدع أحب إليّ من الذي أعطي ، ولكن أعطي أقواماً لما أرى في قلوبهم من الجزع (٢) ، والهلع (٣) ، وأكل أقواماً إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير ... » (٤) .

### المسلك الثاني : مواطن استخدام المنهج العاطفي

سبق بيان صلاحية المنهج العاطفي لجميع أصناف المدعوين ، وقوة تأثيره لأنه يؤدي إلى الإقناع الداخلي ، ونكرت أهم أساليبه وتنوعاتها ، وسأعرض هنا لأهم المواطن التي يستخدم فيها ليكون مؤثراً ومفيداً وذلك فيما يلي :

١ - دعوة الجاهل ، أو من هو قليل العلم والمعرفة ؛ لحاجتهم إلى الرِّفق ، ولين الجانب ، ولطافة القول ؛ ولهذا كان الرسول ﷺ أرفق الناس بذوي الجهل . يدلُّ على ذلك حديث الأعرابي الذي بال في المسجد فزجره النَّاس فقال لهم رسول الله ﷺ « لا تترموه » فتركوه حتى بال ، ثمَّ إنَّ الرسول ﷺ دعاه فقال له : « إنَّ هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر إنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة ، وقراءة القرآن » أو كما قال رسول ﷺ (٥) .

(١) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب المغازي ، باب غزوة الطائف في سؤال سنة ثمان ، (١٣٠٧/٣) ، ح (٤٣٣١) ، الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الزكاة ، باب إعطاء المؤلف قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه (٦٠٧/٢) ، ح (١٠٦١) .

(٢) - " الجزع " : محرّكة نقيض الصبر ، وقد جزع كفرح ، جزعاً وجزوعاً ، فهو جازعٌ وجزعٌ . ينظر : " القاموس المحيط " (ص/٩١٦) ، " مختار الصحاح " (ص/١٠٣) .

(٣) - " الهلع " أشدُّ الجزع والضجر . ينظر : " النهاية في غريب الحديث " للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ، المعروف بابن الأثير ، تحقيق : محمود محمد الطناحي ، طاهر أحمد الزاوي ، (٢٦٩/٥) مادة : (هلع) دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها .

(٤) - أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الجمعة ، باب من قال في الخطبة بعد الثناء ، أما بعد ، (٢٧٤/١) ، ح (٩٢٣) .

(٥) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " ، كتاب الأدب ، باب الرِّفق في الأمر كله ، (١٩٠٥/٤) ، ح (٦٠٢٥) ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الطهارة ، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات ، (١٩٩/١) ، ح (٢٨٥) .

- يقول الإمام النووي - رحمه الله - : « ومنه الرفق بالجاهل وتعليمه ما يلزمه من غير تعنيف ولا إيذاء إذ لم يأت بالمخالفة استخفافاً أو عناداً » (١) .
- ٢ - في دعوة من يُجهلُ حاله في مستواه الإيماني والعلمي ، فيستخدم المنهج العاطفي في دعوته لأنّه يصلح لجميع أصناف المدعوين ، وإذا خوطب وأثيرت عاطفته اتضح مستواه فيخاطب بحسبه .
- ٣ - في دعوة ذوي القلوب الرقيقة . كالنساء والأطفال .
- ٤ - في دعوة ذوي القرابة بعضهم لبعض ، كالأب لابنه أو العكس ، وقد سبقت أمثلة ذلك في أسلوب استعطاف المدعوين .
- ٥ - إذا كانت الدعوة ليست مسيطرة ؛ فيستخدم عندئذ المنهج العاطفي ، لاستمالة قلوب الأعداء والتخفيف من غلوائهم (٢) .

(١) - " شرح النووي لصحيح مسلم " ، محيي الدين أبو زكريا بن شرف النووي (١٩١/٣) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط/٣ ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

(٢) - ينظر : " المدخل إلى علم الدعوة " (ص/٢٠٦) .

## المبحث الثالث : المنهج الحسي .

وفيه مطلبان :

**المطلب الأول : بيان نعمة الإحساس وعظم المسؤولية عنه ،**

**وتوجيه الإسلام له .**

**المطلب الثاني : مواطن استخدام المنهج الحسي ، وعلاقته**

**بالمناهج الدعوية الأخرى .**

## المبحث الثالث

### المنهج الحسي

سبق تعريف المنهج الحسي في مقدمة البحث <sup>(١)</sup> ، وفي هذا المبحث أعرض لمكانة الإحساس ، وعظم المسؤولية عنه ، وتوجيه الإسلام له ، ثم أبين مواطن استخدام المنهج الحسي في الدعوة إلى الله ، وعلاقته بالمنهج الدعوية الأخرى ، وذلك في مطلبين :

### المطلب الأول

بيان نعمة الإحساس وعظم المسؤولية عنه وتوجيه الإسلام له

#### أولاً: بيان نعمة الإحساس وعظم المسؤولية عنه

لقد امتن الحق تبارك وتعالى على عباده بنعم كثيرة لو أفنى الإنسان عمره في تعدادها وإحصائها لما استطاع إلى ذلك سبيلاً ؛ لأنَّ الله تعالى يقول في كتابه الكريم : ﴿ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

ومن أجلَّ نعم الله على الإنسان نعمة الإحساس : الذي هو استقبال حاسة من الحواس لشيء مثير معين . مثل : الصَّوت للأذن ، والضوء للعين ، والرائحة للأنف ، والذَّوق لللسان ، واللمس لليد ، إذا هذه الحواس مراكز استقبال للمثيرات الخارجية ، يعقبها الإدراك الحسي الذي يقوم بدوره بتمييز هذه المثيرات .

يقول العلامة ابن قيم الجوزية - رحمه الله - : « ... ثم تأمل الحكمة في أن جعل الحواس خمساً في مقابلة المحسوسات الخمس ليلقى خمساً بخمس ، كي لا يبقى شيء من المحسوسات لا يناله بحاسة ، فجعل البصر في مقابلة المَبْصَرَات ، والسمع في مقابلة الأصوات ، والشم في مقابلة أنواع الروائح المختلفة والذوق

(١) - ينظر : ( ص / ح ) من المقدمة .

(٢) - سورة النمل ، الآية : (١٨) .

في مقابلة الكيفيات المذوقات ، واللّمس في مقابلة الملموسات فأبي محسوس بقي بلا حاسة ، ولو كان في المحسوسات شيء غير هذه لأعطاك له حاسة سادسة ...» (١) .  
ومع تمام المنّة والنّعمة بهذه الحواس ، إلا أنّ كثيراً من النّاس لم يؤدّوا شكر هذه النّعمة فاستعملوها في معاصي الله ومناهيه ، وقليل من عباد الله من يعرف قدرها ومسؤوليتها ، يقول سبحانه : ﴿ قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السّمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون ﴾ (٢) .

ويقول جل وعلا : ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم إنّ السّمع والبصر والفؤاد كلّ أولئك كان عنه مسؤولاً ﴾ (٣) .

يقول الإمام القرطبي - رحمه الله - : « أي يسأل كل واحد منهم عمّا اكتسب ، فالفؤاد يسأل عمّا افترق فيه واعتقده ، والسّمع والبصر عمّا رأى من ذلك وسمع ... ، وقيل : المعنى أنّ الله سبحانه يسأل الإنسان عمّا حواه سمعه وبصره وفؤاده .. [ ثم قال ] والمعنى الأول أبلغ في الحجّة ؛ فإنّه يقع تكذيبه من جوارحه وتلك غاية الخزي ؛ كما قال : ﴿ اليوم نحتم على أفواههم ونكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ﴾ (٤) ، وقوله : ﴿ شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون ﴾ (٥) . وعبر عن السّمع والبصر والفؤاد بأولئك لأنّها حواس لها إدراك ، وجعلها في هذه الآية مسؤولة ، فهي حالة من يعقل » (٦) .

وكثير من الجنّ والإنس عطّل عمل هذه الحواس وغيرها من الجوارح فأذلتهم الله وأخزاهم بشقاء الدّنيا وعذاب الآخرة ، يقول الله عنهم مبيناً حالهم ومآلهم : ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجنّ والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضلّ أولئك هم الغافلون ﴾ (٧) .

(١) - " مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة " لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي المشتهر بـ ( ابن قيم الجوزية ) ، ( ص/٢٦٤ ) ، ط - دار الفكر ، بدون ذكر الطبعة وتاريخها .

(٢) - سورة الملك ، الآية : (٢٣) .

(٣) - سورة الإسراء ، الآية : (٣٦) .

(٤) - سورة يس ، الآية : (٦٠) .

(٥) - سورة فصلت ، الآية : (٢٠) .

(٦) - " الجامع لأحكام القرآن " لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (١٠/١٦٩) ، وانظر كذلك : " أيسر

التفاسير لكلام العلي الكبير " لأبي بكر الجزائري ، بدون ذكر دار النشر ، ط/١ ، ١٤٠٧هـ -

(٢/٥٩٨) و " ظلال القرآن " لسيد قطب (٤/٢٢٢٧) .

(٧) - سورة الأعراف ، الآية : (١٧٩) .

يخبر - سبحانه وتعالى - أنه خلق لجهنم كثيراً من الجن والإنس لعلمه سبحانه أنهم يرفضون هدايته ويستكبرون عن عبادته ، ويحاربون الله ورسوله ، وبسبب هذا الرقض والعناد تعطلت حواسهم فلا القلوب تفقه كلام الله ولا تستتير ببيان رسول الله ﷺ ، ولا الأعين تبصر الهدى والنور فتنتفع به ، ولا الأذان تسمع الأوامر والنواهي فتأتمر وتنتهي فأصبحوا كالأنعام بل هم أضل وأحط منزلة منها لأن الأنعام تعرف الله وتسبح بحمده ، كما جاء في التنزيل قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (١) .

### ثانياً : توجيه الإسلام لحواس الإنسان

الإسلام برحابته وسماحته يفسح المجال أمام الإنسان لتحريك جميع طاقاته فيما ينفعه في الدنيا والآخرة ، ومن أهم هذه الطاقات الحواس الخمس ، فقد وجهها الإسلام توجيهاً عظيماً يقود الإنسان إلى سعادة الدنيا والآخرة « فاستغل ما تدركه الحواس استغلالاً ضخماً في تربية القلب البشري ، وربطه بالله ، استغله حين وجه الأنظار إلى " الكون المادي " لتبصر فيه يد الله القادرة المبدعة الصنع ، استغل الحواس كلها في هذا الأمر . العين والأذن والشم والذوق واللمس » (٢) .

ف نجد أن الله تعالى يوجه العين للإبصار في عظيم صنع الله وخلقه ، فيقول سبحانه : ﴿ اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ (٣) ، ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خَلَقَتْ \* وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ \* وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ \* وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ (٤) ، ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَالِهِ وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقُهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴾ (٥) .

(١) - سورة الإسراء ، الآية : (٤٤) .

(٢) - " منهج التربية الإسلامية " محمد قطب (١٥٦/١) ، دار الشروق ، ط : ٦ ، ١٤٠٢ هـ .

(٣) - سورة الرعد ، جزء من الآية : (٢) .

(٤) - سورة الغاشية ، الآيات : (١٧ - ٢٠) .

(٥) - سورة النور ، الآية : (٤٣) .



ويُصور القرآن الكريم حال المكذبين والمستكبرين عن عبادته في الآخرة بصورة حسية تبين استحالة دخول الكافرين المشركين الجنة مثلما أنه يستحيل أن يدخل الجمل في ثقب الإبرة يقول الباري سبحانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ (١) .

ويُقرب إلى الذهن كذلك صورة أخرى لضياح أعمال الكفار الصَّالِحَةِ في الآخرة ، وكانَّ الإنسان يراها بعينه ، فيقول سبحانه : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾ (٢) .

وكذلك يدعو الأذن إلى السَّمْعِ فيقول جل وعلا : ﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ ... ﴾ (٣) ويقول : ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾ (٤) .

ويثير حاسة الذَّوْقِ عند الإنسان بقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نَسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبْنَا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴾ (٥) .

ويقول سبحانه : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتجاورات وَجَنَاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرِ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنَفْضًا بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ \* إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (٦) .

أي أنَّ هذه الثَّمَارَ وَالزُّرُوعَ تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ لَكِنَّا تَخْتَلَفُ فِي الْأَحْجَامِ وَالْأَشْكَالِ وَالْمَطَاعِمِ ، فَيَكُونُ الْبَعْضُ حَلْوًا وَالْبَعْضُ حَامِضًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (٧) .

ويُوجِّه الإسلام حاسة اللمس إلى أهداف سامية ومعانٍ كبيرة تتمثل في توجيه الرَسُولِ ﷺ لِلصَّحَابَةِ - ﷺ - فِي حَدِيثِ الْبِرَاءِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : أَهْدَيْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ

(١) - سورة الأعراف ، الآية : (٤٠) .

(٢) - سورة إبراهيم ، الآية : (١٨) .

(٣) - سورة الرعد ، الآية : (١٣) .

(٤) - سورة الحاقة ، الآية : (٦) .

(٥) - سورة النحل ، الآية : (٦٦) .

(٦) - سورة الرعد ، الآية : (٤) .

(٧) - ينظر : " الجامع لأحكام القرآن للقرطبي " ، ( ١٨٥/٩ ) ، وينظر أيضا : " روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني " لأبي الفضل شهابالدين السيد : محمود الألويسي البغدادي ( ١٠٣/٧ ) ، دار الفكر ، بيروت - لبنان ، بدون ذكر رقم الطبعة ، ١٤٠٨ هـ .

حَلَّة حَرِير ، فَجَعَلَ أَصْحَابَهُ يَمَسُّونَهَا وَيَعْجَبُونَ مِنْ لِينِهَا . فَقَالَ : « أَتَعْجَبُونَ مِنْ لِينِ هَذِهِ ؟ لِمَنَادِيلِ سَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ خَيْرِ مَنَهَا وَأَلِينِ » (١) .

وَفِي رِوَايَةٍ أَنْسَ - ﷺ - : « وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ! لِمَنَادِيلِ سَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا » (٢) .

وَهَكَذَا يُؤْتِرُ الْوَحْيَ كُلَّ حَاسَّةٍ مِنْ حَوَاسِّ الْإِنْسَانِ ، وَيُعْطِيهَا عَمَلَهَا وَقُدْرَاتَهَا فِي الْعَمَلِ لَخَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَلِذَلِكَ اتَّسَعَتْ مَجَالَاتُ اسْتِخْدَامِ الْمَنَهْجِ الْحَسِيِّ ، وَتَعَدَّدَتْ مَوَاطِنُهُ ، وَذَلِكَ مَا سَأَبْرُزُهُ فِي النُّقْطَةِ التَّالِيَةِ - بِإِذْنِ اللَّهِ - .

(١) - مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ : أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ ، كِتَابُ مَنَاقِبِ الْأَنْصَارِ ، بَابُ : مَنَاقِبِ سَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ - ﷺ - ، (١١٦٣/٣) ، ح (٣٨٠٢) ، وَأَخْرَجَهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ ، كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ - ﷺ - ، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ سَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ - ﷺ - (١٥٢٣/٤) ، ح (٢٤٦٨) .

(٢) - أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ ، كِتَابُ الْهَيْبَةِ وَفَضْلِهَا ، بَابُ : قَبُولِ الْهَدِيَّةِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، (٧٨٨/٢) ، ح (٢٦١٥) .

## المطلب الثاني

مواطن استعمالات المنهج الحسي ، وعلاقته بالمناهج الدعوية الأخرى

### أولاً: مواطن استعمالات المنهج الحسي

لا يخفى أنّ المنهج الحسيّ من أوسع المناهج الدّعوية ، وأرحبها مجالاً ؛ حيث يصلح أن يخاطب به جميع أصناف المدعويين ، لاعتماده على الأمور الحسية فهو صالح للعامة وغير المتعلمين ، كما هو صالح لمخاطبة العلماء ، والمتخصصين منهم في العلوم الطبيعية ، كالطب ، والهندسة ، والفلك ، وغيرها من العلوم العصرية ، وهذه أهم مواطن استعمالاته في الدعوة إلى الله تعالى :

(١) - يُستعمل المنهج الحسي في تعليم الأمور العقيدة والعبادية والتشريعية ، وتقرير الحقائق الدينية والآداب والأخلاق .

(٢) - يُستعمل في دعوة العلماء المتخصصين في العلوم التطبيقية التجريبية ، ويعين في ذلك الاستدلال بالإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، مع ملاحظة ضرورة عدم التوسع في استخدام النصوص الشرعية لتأييد النظريات العلمية والفرضيات ، ويكتفى بالاستشهاد على الحقائق العلمية الثابتة .

(٣) - يُستعمل في دعوة المتجاهلين للسُنن الكونية ، والمنكرين للبهديات العقلية . فإنّ المعاندين لا تُفيد معهم إلا الحقائق المعتمدة على الملموسات ، والمحسوسات ، وعلى هذا جاء كثير من معجزات الأنبياء والرسل - عليهم الصلاة والسلام - ماديّة محسوسة (١) .

وذكر هذه المواطن لا يعني الحصر والاستقصاء ، كلاً ، فالدعوة إلى الله بالمنهج الحسي تشمل جميع قضايا الدين من عقيدة ، وأحكام ، وآداب وأخلاق .

(١) - ينظر : " المدخل إلى علم الدعوة " للبيانوني (ص/٢١٧) بتصرف .

### ثانياً : علاقة المنهج المسي بالمناهج الدعوية الأخرى

تُعدُّ العلاقة بين المنهج الحسي ، والمنهج العقلي ، والعاطفي ، علاقة وثيقة لأن قوة التأثير الحاصلة من المنهج العقلي ، والمنهج العاطفي تزداد باشتراك المنهج الحسي معهما في كثير من الأحيان ، فالمنهج العقلي يعتمد على قوة الإقناع عن طريق المقارنة والموازنة ، والتمثيل ، والحوار ، وغالباً ما يشترك المنهج الحسي في هذه الأساليب ، والمنهج العاطفي يعتمد على إثارة العاطفة ، وغالباً ما تكون هذه الإثارة بأمر حسي ، وبأمثلة التالفة يتبين مدى هذه العلاقة :

(أ) أمثلة علاقته بالمنهج العقلي في الدعوة إلى الله :

\* ثبت في الصحيح عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - ؛ أن رجلاً قال : يا نبي الله كيف يُحشرُ الكافر على وجهه يوم القيامة ؟ قال : « أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة » . قال فتادة : بلى وعزة ربنا (١) .

ففي هذا الحديث يزيل الرسول صلى الله عليه وسلم استغراب السائل من مشي الكافر على وجهه يوم القيامة ، بلفت نظره إلى أمر حسي في حياته وهو مشيه على رجله في الدنيا ، ليقنعه بكمال قدرة الله على ذلك ، وأنه لا يُعجزه شيء في الأرض ولا في السماء .

يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - تعليقاً على قوله صلى الله عليه وسلم : « أليس الذي أمشاه .. » : « ظاهر في أن المراد بالمشي حقيقته فلذلك استغربوه حتى سألوا عن كيفيته » (٢) .

\* ومن ذلك أيضاً حوار الرسول صلى الله عليه وسلم للرجل الذي جاء يريد نفي ابنه ، بقوله صلى الله عليه وسلم : « هل لك من إبل ؟ » قال : نعم ، قال : « فما ألوانها ؟ » قال : حمر ، قال : « هل فيها أورك ؟ » قال : إن فيها لورقاً ، قال : « فأنى أتاها ذلك ؟ » قال : عسى أن يكون نزعة عرق قال : « وهذا عسى أن يكون نزعة عرق » (٣) .

(١) - أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب التفسير ، باب : قوله : « الذين يُحشرون على وجوههم إلى

جهنم أولئك شرُّ مكاناً وأضلُّ سبيلاً » (٣/١٤٩٤) ح (٤٧٦٠) .

(٢) - " فتح الباري شرح صحي البخاري " (١١/٣٩٠) .

(٣) - " سبق تخريجه " (ص ٩) .

قال رسول ﷺ في هذا الحديث اعتمد في حوارهِ مع السائل الذي يريد نفي ابنه لأنه أسود على أمر حسي معروف عنده وهو الإبل ، وقد تركه ﷺ يستخلص الحجة بنفسه ، ولم يقرّها حتى لا يحس بأن شيئاً فرض عليه ؛ ليكون الإقناع أبلغ (١) .

(ب) - أمثلة علاقته بالمنهج العاطفي في الدعوة إلى الله :

\* قول الرسول ﷺ : « ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون بالنبي ﷺ إلى رحالكم لولا الهجرة لكنك امرأ من الأنصار ، ولو سلك الناس وادياً وشعباً لسلك وادي الأنصار وشعبها » (٢) .

فانظر كيف ظهر أثر المنهج الحسي على استعمال الرسول ﷺ لإثارة عواطف الأنصار - ﷺ - ببيان محبته لهم ومكانتهم عنده بالموازنة بين ذهاب الناس بالشاة والبعير ، وذهابهم برسول الله ﷺ ، والموازنة أيضاً بين أمرين لو قدر حدوثهما وهما أنه لو سلك الناس جميعهم وادياً أو شعباً ، وسلك الأنصار وادياً وشعباً آخر لسلك طريق الأنصار وذهب معهم في واديهم وشعبهم .

\* وما جاء عن أبي أمامة - ﷺ - قال : إن فتى شاباً أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله ائذن لي بالزنا ، فأقبل القوم فزجروه ، وقالوا : مة مة ، فقال : « ادنه » فدنا منه قريباً ، قال ، فجلس ، قال : « أتحبهُ لأمك ؟ » قال : لا والله جعلني فداءك قال : « ولا الناس يُحبونه لأمهاتهم » .... » (٣) .

ففي هذا الحديث اجتمعت المناهج الدعوية الثلاثة لتحذير المخاطب من جريمة الزنا ، وإقناعه عن طريق إثارة عاطفة القرابة ، وأنّ هذا الأمر الذي يطلبه من رسول الله ﷺ جريمة منكّرة لا يرضاها لقرابته من أمّ وبنّت وأخت ، فالناس أيضاً لا يرضون ذلك لأمهاتهم ولا لبناتهم ولا لأخواتهم . وقد تقدم بيان ذلك بتوسع في أسلوب القياس المساوي (٤) .

(١) - ينظر : " التصوير الفني في الحديث النبوي " للدكتور : محمد بن لطفي الصباغ (ص/٨٧) المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط : ١ ، ١٤١٩هـ .

(٢) - " سبق تخريجه " ( ص / ١٧ ) .

(٣) - " سبق تخريجه " ( ص / ١١ ) .

(٤) - ينظر : ( ص / ١٠ - ١١ ) .

\* إثارة عاطفة الرحمة والشفقة تجاه النساء بأمر حسي وهو الضلع الأعوج الذي لا يستقيم مهما عدلته فقال ﷺ : « استوصوا بالنساء ، فإن المرأة خلقت من ضلع ، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه » (١) .

وبعد هذا البيان أقول : ما ذكر في الصفحات السابقة هو إشارات وكلمات مختصرة عن المناهج الدعوية ، وخاصة المنهج العقلي ، والعاطفي ، أما المنهج الحسي فهو الموضوع الذي سنتناوله هذه الدراسة كمنهج من المناهج الدعوية التي استعملها الرسول ﷺ في الدعوة إلى الله ، وكان لها عظيم الأثر في دخول الناس في الإسلام ، وثباتهم عليه ، وزيادة إيمانهم ، وباسم الله نبدأ بأول فصول الرسالة :

(١) - " سبق تخريجه " ( ص / ١٧ ) .

## الفصل الأول : موضوعات الدّعوة إلى الله

### بالمنهج الحسبي في السّنة النبوية :

وفيه ثلاثة مباحث :

**المبحث الأول : استخدام المنهج الحسبي في إثبات العقيدة .**

**المبحث الثاني : استخدام المنهج الحسبي في إيضاح الأحكام .**

**المبحث الثالث : استخدام المنهج الحسبي في تقويم الأخلاق .**

## المبحث الأول : استخدام المنهج الحسي في إثبات العقيدة .

وفيه تمهيد ، وستة مطالب :

**المطلب الأول : استخدام المنهج الحسي لإثبات البحث .**

**المطلب الثاني : استخدام المنهج الحسي لبيان سعة رحمة الله  
تعالى .**

**المطلب الثالث : استخدام المنهج الحسي لإثبات الرؤية والقدر .**

**المطلب الرابع : حوادث حسية تدلُّ على نبوة محمد ﷺ .**

**المطلب الخامس : استخدام المنهج الحسي لبيان بعض الفتن  
وأشراط الساعة .**

**المطلب السادس : استخدام المنهج الحسي لإثبات الحوض والصرّاط .**



## المبحث الأول

### استخدام المنهج الحسني في إثبات العقيدة

#### تمهيد

لقد كان الرسول ﷺ يهتم بأمر العقيدة ، ويقدمها على ما سواها من الأمور العملية الأخرى ، ورغم أن بعثته كانت على فترة من النبوة ؛ حيث بلغ الناس الغاية القصوى في الانحراف عن مقتضى الفطرة والميثاق الذي أخذه الله عليهم فاستحقوا من الله مقتبه وعقابه ، يقول ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل « ... وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم ، عربهم وعجمهم ، إلا بقايا من أهل الكتاب » (١) . ولم يمض حتى أكمل الله دينه ، وأتمّ النعمة بالإسلام ، فانزاحت عن القلوب غشاوة الشرك ، واستتارت بنور الإيمان ، وأحسّ ذوو الأبصار ببعد النقلة وزوال الظلمة ، وبُنيت العقائد السليمة ، وتوجّهت العقول والضمائر إلى الباري وحده لا شريك له ، فتعلق الناس بربهم ، ونبذوا كل معبود سواه ، فلا سلطان لغير الله ، ولا تشريع إلا من عنده ، ولا نفع ولا ضرر إلا منه سبحانه ، وهو الموصوف بكل أوصاف الكمال ، المنزه عن كل ما يؤدي إلى نقص أو تشبيهه ، قال تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ (٢) .

وقد اجتهد الرسول ﷺ في إقامة هذا الصرح العقدي المتين ، طوال ثلاث عشرة سنة وقد ناله ونال أصحابه من الأذى في سبيل إقامته الكثير ؛ ولعل ذلك لكون العقيدة الأساس الذي لا يقبل عمل بدونه ، قال تعالى : ﴿ ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ﴾ (٣) .

ومن أدلة اهتمامه ﷺ بالعقيدة أنه لما بعث معاذاً على اليمن قال : « إنك تقدم

(١) - أخرجه الإمام مسلم بتمامه في " صحيحه " ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار ، (١٧٤١/٤) ، ح (٢٨٦٥) .

(٢) - سورة الشورى ، الآية : (١١) .

(٣) - سورة الزمر ، الآية : (٦٥) .

على قوم من أهل كتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى ، ...»<sup>(١)</sup> .  
ومجال العقيدة من أوسع المجالات ، لاشتماله على جميع ما يتعلق بالله ،  
ورسله وملائكته ، وكتبه واليوم الآخر ، وجميع ما أخبر به الرسول ﷺ من الأمور  
الغيبية ولهذا فقد اهتم ﷺ بإيضاح الأمور العقيدية بمختلف المناهج والوسائل ، ومنها  
المنهج الحسني ، الذي استخدمه - عليه الصلاة والسلام - لإثبات البعث ، وبيان  
سعة رحمة الله تعالى ، ورؤيته في الآخرة ، وبيان القضاء والقدر خيره وشره ،  
وغير ذلك من أمور العقيدة التي سيأتي الحديث عنها في ثنايا هذا المبحث - إن شاء  
الله تعالى - .

(١) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب التوحيد ، باب : ما جاء في دعاء النبي ﷺ  
أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى ، (٢٣٠٢/٤) ، ح (٧٣٧٢) واللفظ له ، والإمام مسلم في " صحيحه "  
كتاب الإيمان ، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ، (٥٥/١) ح (١٩) .

**المطلب الأول : استخدام المنهج الحسني لإثبات البعث .**

ويشتمل على ما يلي :

**تمهيد**

**المسلك الأول : تعريف البعث وأهمية الإيمان به .**

**أولاً : تعريف البعث لغةً واصطلاحاً .**

**ثانياً : بيان أهمية الإيمان بالبعث .**

**المسلك الثاني : إثبات البعث بالمنهج الحسني .**

## المطلب الأول

### استخدام المنهج الحسي لإثبات البعث

#### تمهيد

الإيمان بالغيب أساس العقيدة ؛ إذ يشمل جميع ما يتعلق بالله ، ورسله ، واليوم الآخر ، وما فيه من جزاء لأهل الطاعات ، وعقاب لأهل المعاصي ، وهو الفارق الأساسي بين أهل الإيمان والتقوى ، وأصحاب الإلحاد الماديين الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ، فبالإيمان بالغيب يحاسب المرء نفسه ، ويسلك الطريق الموصلة إلى السعادة فيمتثل أمر مالكة ، ويجانب كل ما يسخطه ، وأمّا أهل الإلحاد الذين يقولون : ﴿ ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون ﴾ (١) .

فهم في طغيانهم يعمهون ، وفي غيهم يتخبطون ويطلقون لأنفسهم العنان ، فلا يكفونها عن شهوة ولذا يقول الله تعالى لهم يوم القيامة : ﴿ أذهبتم طياتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها ﴾ (٢) .

وقد أثنى الله على المؤمنين وذكر أوصافهم الحميدة ، فكان الإيمان بالغيب في مقدمتهما وكأنها منه تتبع فهم المهتدون المنتفعون بكتاب الله ، المقيمون الصلاة ، المنفقون ، المؤمنون بكل ما جاء من عند الله ، ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون \* والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون \* أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴾ (٣) .

وهم الذين يستحقون من الله المغفرة والأجر الكبير ﴿ إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير ﴾ (٤) ، وهم الذين تقرب لهم الجنان فيقال لهم : ﴿ هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ \* من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ﴾ (٥) .

(١) - سورة الجاثية ، الآية : (٢٤) .

(٢) - سورة الأحقاف ، جزء من الآية : (٢٠) .

(٣) - سورة البقرة ، الآيات : (٣ - ٥) .

(٤) - سورة الملك ، الآية : (١٢) .

(٥) - سورة ق ، الآيتان : (٣٢ - ٣٣) .

فالإيمان بالغيب هو « العتبة التي يجتازها الإنسان ، فيتجاوز مرتبة الحيوان الذي لا يُدرك إلا ما تدركه حواسه ، إلى مرتبة الإنسان الذي يُدرك أن الوجود أكبر وأشمل من ذلك الحيز الصَّغير المحدود الذي تدركه الحواس ، أو الأجهزة التي هي امتداد الحواس » (١) ، وأن وراء هذا الكون كوناً آخر ووراء هذه الحياة حياة أخرى ؛ يجب الإيمان بها ، والعقل يؤيد ذلك ، فلو لم يكن وراء هذه الحياة حياة أخرى ؛ لكان هذا الوجود - المشتتم على الظالم والمظلوم ، والمحسن والمسيء والطائع والعاصي - وجوداً أشبه ما يكون بالعبث ؛ بل هو عين العبث الذي تنزهه الله تعالى عن الاتصاف به ، قال تعالى : ﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون \* فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو ربُّ العرش الكريم ﴾ (٢) ، وكذلك لو لم تكن هناك حياة أخرى وحساب وجزاء لتساوى النَّاس في الحكم ، بأن يكونوا كلهم على نتيجة واحدة ، وهو خلاف ما تقتضيه بداءة العقول وتأباه الطُّبَّاع ... وإذا كان الناس يرفضون مساواة المصلح بالفسد ، والطَّائع بالعاصي ؛ فكيف بالله تعالى الذي له صفات الكمال المطلق في العدل وفي غيره من سائر الصفات ، قال تعالى : ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره \* ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ (٣) ، (٤) .

وعقيدة البعث هي لبُّ الإيمان ، ولذا اشتملت النصوص القرآنية والنبوية على معان تجليها وتعمق الإيمان بها فمن تأمل قصص الأنبياء وجد أنهم - عليهم الصلاة والسلام - سلكوا في إثبات البعث وبيانه أقرب البراهين إلى قلوب الناس وأوضحها في عقولهم ، وفطرهم مما هو مشهود محسوس في صفحة الكون ، من تعاقب الليل والنهار وأثارهما ، وجريان الشمس والقمر ، وإحياء الأرض واخضرارها بعد الموت والهُمود إثر نزول الغيث ، وهو منهج - فضلاً عن وضوحه وتقبل العقول السليمة له - يفحم المنكرين ، ويقرب صورة البعث للمتشككين ويثبّت المؤمنين ويزيدهم إلى إيمانهم إيماناً .

(١) - " في ظلال القرآن " (٣٩/١) .

(٢) - سورة المؤمنون ، الأيتان : ( ١١٥ ، ١١٦ ) .

(٣) - سورة الزلزلة ، الأيتان : ( ٧ ، ٨ ) .

(٤) - " الحياة الآخرة ما بين البعث إلى دخول الجنة والنار " تأليف الدكتور / غالب بن علي عواجي ، (١/٣٧ - ٣٩) بتصرف يسير ، طبعة دار لينة للنشر والتوزيع - مصر ط : ١ عام ١٤١٧هـ .

## المسلك الأول

### تعريف البعث وبيان أهميته والإيمان به

#### أولاً : تعريف البعث لغةً واصطلاحاً

أ - البعث في اللغة : قد يُطلق ويراد به :

١ - الإرسال : يقال بعثت فلاناً أو ابتعثته أي أرسلته ، قال تعالى : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى ﴾ (١) . أي أرسلنا .

٢ - البعث من النوم : يقال : بعثه من منامه إذا أيقظه .

٣ - الإثارة : وهو أصل البعث ، ومنه قيل للناقة : بعثتها إذا أثرتها وكانت باركة .  
والبعث أيضاً : الإحياء من الله تعالى للموتى ؛ ومنه قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ﴾ (٢) . أي أحييناكم . وبعث الموتى : نشرهم ليوم البعث (٣) .

#### ب - البعث في الإصطلاح :

البعث في الشرع يراد به إحياء الله للموتى وإخراجهم من قبورهم للحساب والجزاء .

قال الإمام ابن كثير (٤) : - رحمه الله - : « البعث : وهو المعاد وقيام الأرواح والأجساد يوم القيامة » (٥) .

ويقول الشيخ / السيد سابق - رحمه الله - : « البعث هو : إعادة الإنسان روحاً وجسداً كما كان في الدنيا » (٦) .

(١) - سورة الأعراف ، الآية : (١٠٣) .

(٢) - سورة البقرة ، الآية : (٥٦) .

(٣) - ينظر : " لسان العرب " (١١٧/٢) مادة : ( بعث ) ، " القاموس المحيط " (ص/٢١١) مادة ( بعثه ) ، " المعجم الوسيط " (٦٢/١) مادة ( بعثه ) ، " المصباح المنير " (ص/٣٢) مادة ( بعث ) .

(٤) - هو : إسماعيل بن عمر بن كثير ، أبو الفداء ، عماد الدين ، دمشقي ، حافظ مؤرخ ، فقيه ، ولد في قرية من أعمال بصرى بالشام عام ٧٠١هـ ، وانتقل مع أخ له إلى دمشق ، وله سبع سنين ، تتلمذ على المرابي شيخ الإسلام ابن تيمية . ومن مؤلفاته الكثيرة " تفسير القرآن العظيم " و " البداية والنهاية " توفي عام ٧٧٤هـ . ينظر : " شذرات الذهب " للمؤرخ الفقيه الأديب أبي الفلاح عبدالحى بن العماد الحنبلي (٢٣١/٦) دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها ، " الأعلام " (٣٢٠/١) .

(٥) - " تفسير القرآن العظيم " لأبي الفداء إسماعيل بن كثير (١٣٦/١) ، مكتبة دار الفيحاء ، دمشق ، ط : ١ ، ١٤١٤هـ .

(٦) - " العقائد الإسلامية " (ص/٢٦٩) ، طبعة دار الكتاب العربي - بيروت ، بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها .

وبالمقارنة بين المعنى الشرعي لكلمة « البعث » والمعنى اللغوي نجد ترابطاً ظاهراً ، وذلك أن من معاني البعث في اللغة الإثارة لما كان ساكناً من قبل ، وكذا الإرسال كما في قوله تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله ﴾ (١) . وهذا ما جاء في كلمة « البعث مراداً به معناها الشرعي الذي هو إرسال الحياة إلى الأبدان وإثارتها من جديد لتهيئاً لما يُراد منها من الانطلاقة إلى الموقف للحساب (٢) .

### ثانياً : بيان أهمية الإيمان بالبعث

الإيمان بالبعث والجزاء له أهمية بالغة في حياة الإنسان كما سبقت الإشارة إليه وتتجلى هذه الأهمية فيما يلي :

أ - الطمأنينة القلبية والراحة النفسية : فإذا علم الإنسان أن هناك حياة أخرى يكون فيها الحساب والجزاء ، فيثاب المحسن على إحسانه ويجازى بالجزاء الأوفى ويحىي هناك حياة حقيقية لا نهاية لها ولا انقطاع ، يقول تعالى : ﴿ جزاؤهم عند ربهم جنّات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ﴾ (٣) ، وأيضاً يُحاسب المُسيء على إساءته « لأنّ أحوال النَّاس في هذه الحياة تختلف من حيث الصّلاح والفساد ، والإيمان والكفر ، والهدى والضلال ، ويقع من بعضهم الظلم والبغي والجور والعدوان ، وتسلط القويّ على الضّعيف ، ولا نرى اطّراد الجزاء حاصلًا في هذه الحياة لكلّ إنسان على إحسانه وإساءته ، لذلك كان من أعظم مظاهر العدل والحكمة ، أن يبعث الله الناس لحياة أخرى يجمعهم فيها ويحاسبهم ويجازيهم الجزاء الأوفى » (٤) . لأنّ الحياة بدون بعث ولا جزاء ولا حساب ضرب من السّقه الذي يتنزّه الله تعالى عنه قال تعالى : ﴿ أفحسبتم أنّما خلقناكم عبثاً وأنّكم إلينا لا تُرجعون ﴾ (٥) .

(١) - سورة النحل ، جزء من الآية : (٣٦) .

(٢) - ينظر : " الحياة الآخرة ما بين البعث إلى دخول الجنة والنار " مرجع سابق (٦٢/١) .

(٣) - سورة البينة ، الآية : (٨) .

(٤) - " الدعوة إلى الله بالمنهج الحسني في القرآن الكريم " (١٩٩/١) رسالة علمية تقدم بها الباحث / سليمان بن ناصر مرزوق عبدالله ، إلى " قسم الدعوة والاحتساب " بكلية الدعوة والإعلام ، جامعة الإمام ، لنيل درجة الدكتوراه ، عام ١٤١٨ هـ .

(٥) - سورة المؤمنون ، الآية : (١١٥) .

ب - توقف صلاح حياة الناس واستقامتهم على دين الله تعالى على الإيمان بالبعث ، لأنَّ الإنسان إذا آمن أنَّ هناك حساباً وجزاءً ، كان في ذلك دافعاً قوياً للقيام بالأعمال الصالحة والإقبال عليها بحُبٍّ وإخلاص ، والابتعاد عن الشرور والآثام ، والكف عن البغي والظلم والفساد ، وذلك لعلمه أنَّه سوف يُلاقى ربه سبحانه وتعالى ويحاسبه على كل صغيرة وكبيرة من أعماله ، قال تعالى : ﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير مُحضراً وما عملت من سوء تودُّ لو أنَّ بينها وبينه أمداً بعيداً ﴾ (١) ، ويقول سبحانه : ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره \* ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ (٢) .

(١) - سورة آل عمران ، جزء من الآية : (٣٠) .

(٢) - سورة الزلزلة ، الأيتان : (٧ ، ٨) .



## المسلك الثاني

### إثبات البعث بالمنهج الحسي

لقد أنشأ الله النَّاس من عدم على غير مثال سابق ، ولا يخفى أن من قدر على الإنشاء فهو على الإعادة أقدر ﴿ وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ﴾ (١) . ومع جلاء هذا الأمر فقد أنكره كثير من المشركين والملحدين (٢) : ﴿ وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ﴾ (٣) ، مستبدين الإعادة لأنها غير ممكنة ، ولكن القرآن يرد عليهم عن طريق ضرب الأمثلة ومخاطبة العقول ولفقت الأنظار إلى أن أمر البعث ممكن الوقوع ، وحدثه غير مستحيل من الناحية العقلية مذكراً بالنشأة الأولى فيقول سبحانه : ﴿ أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين \* وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحي العظام وهي رميم \* قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ﴾ (٤) ، وفي قول الله جل وعلا : ﴿ ويقول الإنسان أإذا ما متّ لسوف أخرج حياً \* أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً ﴾ (٥) .

يروى سعيد بن جبيرة (٦) عن ابن عباس (٧) - رضي الله عنه - قال : جاء العاص بن

- (١) - سورة الروم ، جزء من الآية : (٢٧) .
- (٢) - " المعوقون للدعوة الإسلامية في عهد النبوة وموقف الإسلام منهم " للدكتورة / سميرة محسن جمجوم (ص/١٨٩) بتصرف ، طبعة دار المجتمع للنشر والتوزيع - جده عام ١٤٠٧هـ .
- (٣) - سورة الجاثية ، جزء من الآية : (٢٤) .
- (٤) - سورة يس ، الآيات : (٧٧ ، ٧٩) .
- (٥) - سورة مريم ، الآيات : (٦٦ ، ٦٧) .
- (٦) - هو : سعيد بن جبيرة الإمام الحافظ ، أبو عبدالله ، الأسدي مولا هم الكوفي ، تابعي يروي عن ابن عباس وعبدالله بن مغفل وعنه أبو صالح السمان ، وأيوب السخيتاني ، ويكير بن شهاب وغيرهم كان رأساً في العلم ، والعبادة كثير البكاء من خشية الله ، قتله الحجاج سنة ٩٥ قيل : وهو في ٤٩ من عمره ، ينظر : " الطبقات الكبرى " لابن سعد ( ٢٥٦/٦ - ٢٦٧ ) دار صادر ، بيروت ، بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها ، " حلية الأولياء " للإمام الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني الشافعي ، دراسة وتحقيق : مصطفى عبدالقادر عطا (٤/٣٠١ - ٣٤٢) دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط : ١ ، ١٤١٨هـ ، " سير أعلام النبلاء " للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، أشرف على تحقيقه وخرج أحاديثه شعيب الأرنؤوط (٤/٣٢١ - ٣٤٣) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط : ١١ ، ١٤١٧هـ .
- (٧) - هو : عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف ، ابن عم رسول الله ﷺ ، ولد قبل الهجرة بثلاث سنوات ، ودعا له رسول الله ﷺ بالفهم في القرآن ، فكان يُسمى بالبحر والحبر لسعة علمه مات سنة ثمان وستين بالطائف ، وهو أحد المكثرين من الصحابة ، وأحد العبادة . من فقهاء الصحابة ، ينظر : " تفریب التهذيب " للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تحقيق : أبو الأشبال صغير أحمد شاغف الباكستاني (ص/٥١٨) ، دار العاصمة ، المملكة العربية السعودية - الرياض ، ط : ١ ، ١٤١٦هـ .

وائل (١) إلى رسول الله ﷺ بعظم حائل (٢) ففته فقال : يا محمد أبيعث الله هذا بعدما أرم (٣) ؟ قال : « نعم يبعث الله هذا ثم يُميتك ثم يُحييك ثم يُدخلك نار جهنم » (٤) .

ومن تدبر كتاب الله العزيز يجد أن قضية البعث والاستدلال عليها ، والدُّعْوَة إلى الإيمان بها قد شغلت حيزاً كبيراً بالنسبة للقضايا العقدية الأخرى ، حتى يتفكر الإنسان وينظر ويتأمل ، والرسول ﷺ نهج منهج القرآن الكريم في تقرير عقيدة البعث والجزاء ، وقربها إلى أذهان المخاطبين في صور حسية معروفة مألوفة لديهم ولعلّي في هذا المقام أورد بعض الأمثلة من السنة النبوية لبيان منهج الرسول ﷺ في دعوة الناس لإثبات البعث بالمنهج الحسني ومن تلك الأمثلة :

ما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « ما بين النفختين (٥) أربعون » . قال : أربعون يوماً ؟ قال : أبيت (٦) ، قال : « ثم ينزل الله من السماء ماءً فينبتون كما ينبت البقل (٧) ، كما ليس من الإنسان شيء إلا يبلى ، إلا عظماً واحداً وهو عجب الذنب (٨) ، ومنه يركب الخلق يوم القيامة » (٩) .

- (١) - هو : العاص بن وائل ابن هشام السهمي ، من زعماء الجاهلية ، أدرك الإسلام ، وهو أحد المستهزئين مات كافراً قبل الهجرة بثلاث سنوات ، وهو والد الصحابي المشهور عمرو بن العاص - رضي الله عنه - ينظر : " نسب قريش " للمصعب بن عبدالله بن المصعب الزبيري (ص/٤٠٨) ، دار المعارف ، القاهرة ، ط : ٣ ، بدون ذكر سنة الطبع ، " المحرر " محمد بن حبيب الهاشمي (ص/١٣٣) طبعة وزارة المعارف بالمملكة العربية السعودية - المكتبة المدرسية ، " الأعلام " (٢٤٧/٣) .
- (٢) - " بعظم حائل " : أي مُتَغَيَّر قد غيَّره البلى ، وكل مُتَغَيَّر حائل ، فإذا أتت عليه السنة فهو يُحْيَل ، أنَّهُ مأخوذ من الحول السنة . " النهاية في غريب الحديث " (٤٦٣/١) مادة ( حول ) .
- (٣) - أرم : أي بلي ، قال الخطابي : أصله : أرمنت أي بليت وصرت رميماً ، فحذف إحدى الميمين . ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (٤٠/١) مادة ( أرم ) .
- (٤) - أخرجه الإمام الحاكم في " المستدرک على الصحيحين " كتاب التفسير - تفسير سورة يس ، (٤٦٦/٢) ح (٣٦٠٦) وقال عنه : " هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه " ، ووافقه الذهبي ، تحقيق : مصطفى عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط : ١ ، ١٤١١هـ .
- (٥) - أي النفخة الأولى والنفخة الثانية . ينظر " عمدة القارئ " (٤١٢/١٥) .
- (٦) - قوله : " أنبتت " الإباء هو الامتاع ، أي امتعت من تعيين ذلك بالأيام والسنين والشهور ، لأنه لم يكن عنده علم بذلك . " عمدة القارئ " (٤١٢/١٥) .
- (٧) - والبقل : كل نبات اخضرت به الأرض ، وأبقت الأرض ! أنبتت البقل . ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (١١٧/١) مادة ( بقل ) ، والمصباح المنير " (ص/٣٥) مادة : ( بقل ) .
- (٨) - " عجب الذنب " : يقول القاضي عياض - رحمه الله - : " عجب الذنب هو : العظم الحديد أسفل الصليب وأعلى ما بين الإليتين مكان الذنب من ذوات الأربع من الحيوان " " مشارق الأنوار " للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى (٨٦/٢) مادة ( عجب ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط : ١ ، ١٤١٨هـ .
- (٩) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب التفسير ، باب : ( يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا ) زُمراً ، (٣/١٥٨٠) ، ح (٤٩٣٦) واللفظ له ، والإمام مسلم في " صحيحه " ، كتاب الفتن وأشراف الساعة ، باب ما بين النفختين ، (١٧٩٦/٤) ، ح (٢٩٥٥) .

وعن أبي رزين العقيلي<sup>(١)</sup> - رضي الله عنه - أنه قال : قلت يا رسول الله كيف يحيي الله الموتى وما آية ذلك في خلقه ؟ قال : « أما مررت بوادي أهلك مَخْلاً<sup>(٢)</sup> ؟ » قال : بلى قال : « ثم مررت به يهتز خضراً<sup>(٣)</sup> ؟ » قال : بلى قال : « فكذلك يحيي الله الموتى وذلك آيته في خلقه »<sup>(٤)</sup> .

في هذين الحديثين يُقرر الرسول ﷺ عقيدة البعث والجزاء في نفوس المخاطبين بصور حسية مألوفة معروفة عندهم جميعاً ، لأنها منتزعة من البيئة التي يعيشون فيها ، فالبيان بها أوضح ، والإقناع بها أبلغ ، ولا يحتاج الأمر إلى مزيد من العناء والتفكير ، ففي الحديث الأول ، يقول ﷺ : " ... ثم يُنزل الله من السماء ماءً فَيَنْبُتُونَ كما يَنْبُتُ البقل " ، والبقل نبات يعرفه المخاطبون تمام المعرفة " فَسَبَّهَ نبات الناس ... بنبات البقل من حيث الإسراع فإنَّ نبات البقول ، وهو الذي ينبت في البراري يظهر وينمو سريعاً بخلاف النباتات الأخرى " <sup>(٥)</sup> .

ومعلوم أنَّ كلَّ ابن آدم تأكله الأرض إلا ذلك الجزء الصغير من جسده وهو عجب الذنب ، و " هو أول ما خُلِقَ من بني آدم وهو الذي يبقى ليعاد تركيب الخلق عليه ، فينزل الله ماء كمني الرِّجال فينبت منه الأجساد فإذا كملت نُفِخَ في الصور نفخة البعث فتخرج الأرواح من المحل التي هي فيه ، فتذهب كل روح إلى جسدها فيجيء ذلك في لحظة - والله أعلم " <sup>(٦)</sup> .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ <sup>(٧)</sup> .

(١) - هو لقيط بن صبرة ، وقيل : ابن عامر ، أبو رزين العقيلي ، له صحبة ووفادة على رسول الله ﷺ ، اختلف في اسمه اختلافاً كبيراً ، يُنظر : " تهذيب التهذيب " (٤٥٦/٨) ، طبعة دار الكتاب الإسلامي لاحياء التراث الإسلامي - القاهرة ، ١٣٢٥هـ - " أسد الغابة في معرفة الصحابة " لابن الأثير ، (٢٦٦/٤) طبعة دار التراث العربية - بيروت .

(٢) - " مَخْلاً " : أي جَدْبًا ، والمحل في الأصل : انقطاع المطر ، وأمحلَّت الأرض والقومُ ، وأرضٌ مَحْلَةٌ وماحِلٌ . " النهاية في غريب الحديث " (٣٠٤/٤) مادة ( محل ) .

(٣) - " يهتز خضراً " : الخضر : بكسر الضاد من النِّبَاتِ الرخص الغض ، قال الأزهري : والخضر هنا ضرب من الجنبة ، والجنبة ماله أصل غامض في الأرض ، فالماشية تشبهه وتكثر فيه ، لأنه يبقى فيه خضرة ورطوبة بعد بيس البقول وهيجهما ، واحدة خضرة . " مشارق الأنوار " (٣٠٣/١) مادة ( خَضَرَ ) .

(٤) - أخرجه الإمام الحاكم في " المستدرک " كتاب الأصول ، (٦٠٥/٤) ، ح (٨٦٨٢) وقال عنه : " هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه " ، ووافقه الذهبي . ينظر " الحاشية على المستدرک " الجزء والصفحة نفسها .

(٥) - ينظر : " أثر التشبيه في تصوير المعنى " للدكتور / عبد الباري طه ، (ص/٣٢٢) ، ط/١ ، ١٤١٢هـ .

(٦) - " إكمال إكمال المعلم " للإمام محمد بن خليفة الوشتاني الأبي - نقلًا عن الباجي ، (٤٢٦ - ٤٢٥/٩) ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط : ١ ، ١٤١٥هـ .

(٧) - سورة يس ، الآية : (٨٢) .

وبهذا يكون الرسول ﷺ قد قرَّب قضية البعث والإحياء بعد الإماتة ، وهي أمرٌ غيبي في صورة محسوسة يشاهدها المخاطبون ، فيفهمون مدلول الخطاب ببسر وسهولة ، وفي الحديث الثاني - كان السؤال صريحاً ومباشراً من أبي رزين العقيلي - ﷺ - فإنه قال : يا رسول الله ، كيف يحيى الله الموتى ، وما آية ذلك في خلقه؟ فأثار الرسول ﷺ ذهنه وتفكيره إلى أمور حسية من بيئته تدل دلالة واضحة على مقصوده ، وتجبب إجابة مُقنعة على سؤاله ، فقال ﷺ : « أما مررت بوادي أهلك مَخَلًا ؟ » قال : بلى قال : « ثم مررت به يهتز خضراً ؟ قال : بلى قال : « فكذلك يحيى الله الموتى وذلك آيته في خلقه » .

فبهذا التمثيل الحسي يكون الرسول ﷺ قد نقل المخاطب نقلة ذهنية إلى بيئته ، وصور له تصويراً صحيحاً واضحاً وكأنه يرى ذلك بعينه ، ولم يكن في نفس ذلك الصحابي - ﷺ - شك في قدرة الله تعالى على إحياء الموتى ، ولكنه سأل عن الكيفية ، ولا ضيّرَ عليه في ذلك ، فقد سأل عنها من هو أحب إلى الله تعالى منه خليل الله إبراهيم - عليه السلام - بقوله : ﴿ رب أرني كيف تُحيي الموتى ، قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ، قال فخذ أربعة من الطير فصرهنَّ إليك ثم اجعل على كلِّ جبلٍ منهنَّ جزءاً ثم ادعهنَّ يأتينك سعيًا واعلم أنَّ الله عزيز حكيم ﴾ (١) .

ففي هذه الآية ضرب الله تعالى لنبيه إبراهيم - عليه السلام - مثلاً حسياً يدلُّ دلالة واضحة على قدرة الله تعالى على إحياء الموتى وبعثهم بعد الموت .  
وفيما سبق نرى أنَّ الرسول ﷺ استدل على البعث بإحياء الأرض الميتة بماء المطر ؛ لأنَّ الإنسان العاقل إذا قارن بين حال الأرض قبل المطر وحالها بعده علم أنَّ الله الذي أحياها بعد موتها قادر على إحياء الناس بعد موتهم ، قال تعالى : ﴿ وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج \* ذلك بأنَّ الله هو الحقُّ وأنه يُحي الموتى وأنه على كلِّ شيء قدير \* وأنَّ السَّاعة آتيةٌ لا ريب فيها وأنَّ الله يبعث من في القبور ﴾ (٢) .

وهكذا تكون الأرض قبل الماء ، وهو العنصر الأصيل في الحياة والأحياء . فإذا نزل عليها الماء اهتزت وربت ، وهي حركة عجيبة سجَّها القرآن قبل أن

(١) - سورة البقرة ، الآية : (٢٦٠) .

(٢) - سورة الحج ، الآيات : (٥ - ٧) .

تسجلها الملاحظة العلمية بمئات الأعوام ، فالترربة الجافة حين ينزل عليها الماء تتحرك حركة اهتزاز وهي تنتشر الماء وتتفتح فتربو ، ثم تتفتح بالحياة عن النباتات من كل زوج بهيج ... فهناك ارتباط وثيق بين أن الله هو الحق ، وبين هذا الاطراد والنبات الذي لا يحدد « وأنه يحي الموتى » فأحياء الموتى هو إعادة الحياة ، والذي أنشأ الحياة الأولى هو الذي ينشئها للمرة الآخرة « وأن الله يبعث من في القبور » ليلاقوا ما يستحقونه من جزاء ، فهذا البعث تقتضيه حكمة الخلق والتدبير (١) .

والمتمامل لمنهج القرآن الكريم في إثبات عقيدة البعث يتضح له أن الله تعالى لفت أنظار الناس إلى أمور حسية مألوفة ومشاهدة في حياتهم لإقناع المنكرين والجاحدين وإزالة الشك عن المترددين الحائرين ، وزيادة الإيمان عند المؤمنين المصدقين ، يقول سيد قطب - رحمه الله - واصفاً عرض القرآن لقضية البعث من خلال الآيات المشتملة على منهج حسي : « ومن الجدير ذكره : أن القرآن لم يحمل الناس على التصديق والاعتقاد بقضايا الإيمان الكبرى كالوحدانية والرسالة والبعث عن طريق سوق آيات أو معجزات تخرق النظام والسنن المعتادة .

إن القرآن الكريم يجعل من مألوفات البشر وحوادثهم المكرورة قضايا كونية كبرى يكشف فيها عن النواميس الإلهية في الوجود .. وينشئ بها عقيدة ضخمة شاملة وتصوراً كاملاً لهذا الوجود .. كما يجعل منها منهجاً للنظر والتفكير .. وحياة للأرواح والقلوب .. ويقظة في المشاعر والحواس .. يقظة لظواهر هذا الوجود التي تطالع الناس صباحاً مساءً وهم غافلون عنها ... ويتخذ من أبسط المشاهدات المألوفة للبشر مادة لبناء أضخم عقيدة دينية وأوسع تصور كوني .. المشاهدات التي تدخل في تجارب كل إنسان : النسل .. والزرع .. والماء .. والنار .. والموت » (٢) .

ولذلك نرى القرآن الكريم استدلل بخلق الإنسان من العدم على إمكانية البعث موضحاً أن من خلق ابتداءً من العدم قادر على الإعادة من باب أولى ، يقول تعالى : ﴿ أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين \* وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحي العظام وهي رميم قل يحياها الذي أنشأها أول مرة \* وهو بكل خلق عليم ﴾ (٣) .

(١) - ينظر : " في ظلال القرآن " (٤/٢٤١١) .

(٢) - " في ظلال القرآن " (٦/٣٤٦٦) .

(٣) - سورة يس : الآيات ( ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ) .

إنَّ التَّفَكُّرَ في أصل خلق الإنسان من النُّطْفَةِ ، يَهْدِي إلى الإيمان بالبعث لأنَّ النطفة وهي متشابهة الأجزاء - يخلق الله عز وجل منها بقدرته ، أعضاء متقاربة ، وأنواعاً مختلفة من اللحم ، والعظم ، والعصب ، والشعر ، والظفر ، والجلد ... وغير ذلك ، وهذا من أعظم الأدلة على كمال قدرة الله تعالى ، فكيف يستبعد المشركون البعث ، وهو عبارة عن إعادة الحياة إلى الأجسام ، والإعادة - في نظر الإنسان - أهون من البدء والكل عند الله هين (١) .

ويرشد القرآن إلى النظر في خلق السماوات والأرض ، وأطوار خلق الإنسان للتدليل على قدرة خالق الجميع على البعث ؛ حيث يقول سبحانه : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَغَيَّرْ بِمَخْلَقِهِنَّ بَقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢) .

ويقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِنَبْلُغَهُمْ أَشُدَّهُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً ﴾ (٣) .

والآيات التي استدلت بها القرآن الكريم على إثبات البعث كثيرة يصعب حصرها في هذا المقام ، وإنَّما المقصود الاستشهاد بها لتقرير عقيدة البعث في السنة النبوية بالمنهج الحسي ، وهو المقصود من دراسة هذه المسألة العقديّة المهمّة ، وكما مرّ معنا سابقاً من أنَّ الرُّسُولَ ﷺ قد سلك مسلك القرآن الكريم في تقريب هذه الحقيقة الغيبية إلى أذهان المخاطبين ، وإقناعهم بأمر حسيّة من البيئة التي يعيشون فيها كما هو واضح في هذا النّص النبوي الكريم ، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : « كل ابن آدم تأكله الأرض إلا عجب الذنب (٤) ، منه ينبت ، ويرسل الله ماء الحياة فينبتون فيه نبات الخضر ، حتى إذا أخرجت الأجساد أرسل

(١) - ينظر : " معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم " لعبد الوهاب الديلمي (٢٠٠/١) ، دار الإرشاد ، اليمن ، صنعاء ، ط : ٢ ، ١٤١٩هـ .

(٢) - سورة الأحقاف ، الآية : (٣٣) .

(٣) - سورة الحج ، الآية : (٥) .

(٤) - " عَجْبُ الذَّنْبِ " العَجَبُ - بفتح العين وسكون الجيم - وهو : عظم لطيف في أصل الصليب ، وهو رأس العصعص ، وهو مكان رأس الذنب من ذوات الأربع . ينظر : " مشارق الأنوار " للقاضي عياض (١٨٤/٣) مادة : (ع ج ب) ، " النهاية في غريب الحديث " (١٨٤/٣) مادة : (عجب) .

الأرواح وكان كل روح أسرع إلى صاحبه من الطرف ، ثم يُنفخ في الصُّور ﴿ فإذا هم قيام ينظرون ﴾ (١) (٢) .

وقد وصف الرسول ﷺ ذلك الجزء الصّغير الذي يُعاد منه الإنسان وهو عجب الذنب ، وحدّد حجمه بأمر حسي ، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « يأكل التراب كل شيء من الإنسان إلا عجب الذنب ، قيل : وما هو يا رسول الله ؟ قال : مثل حبة خردل منه ينشئون » (٣) .

وهذه أدلة كافية في إثبات البعث ، والإحياء بعد الموت ، والله الهادي إلى سواء السبيل ولا حول ولا قوة إلا به سبحانه .

- (١) - سورة الزمر ، جزء من الآية : (٦٨) .  
(٢) - أخرجه ابن أبي عاصم في " كتاب السنة " باب الإيمان بالبعث ، (٤١٨/٢) ، ح (٨٩١) ، وقال عنه الشيخ الألباني في حاشية الكتاب : " إسناده جيد ، ورجاله ثقات رجال البخاري " ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط/٣ ، ١٤١٣هـ .  
(٣) - أخرجه الإمام أحمد في " مسنده " (٣٦/٣) ح (١١٢١٦) ، والإمام ابن حبان في " صحيحه " بترتيب ابن بلبان (٤٠٩/٧) ح (٣١٤٠) ، والإمام الحاكم في " المستدرک " (٦٥١/٤ ، ٦٥٢) ح (٨٨٠١) ، وصححه ، ووافقه الذهبي واللفظ للحاكم .

## المطلب الثاني

### استخدام المنهج الحسبي لبيان سعة رحمة الله تعالى

إذا تأمل الإنسان نعمة الله عليه ، وما هياؤه له من أسباب الراحة والاطمئنان في الدنيا وما أرشده إليه من أعمال الخير والطاعات ، التي هي سبب في السعادة الأخروية ، علم أن الله به رحيم حيث أنعم عليه بنعمة العلم ، وفضله على الكثير من مخلوقاته ، قال تعالى : ﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون ﴾ (١) ، فالكون كله بما فيه مسخر للإنسان رحمة من الله وتفضلاً .

وفي كتاب الله تعالى آيات كثيرة تبين سعة رحمة الله بعباده ، وكذلك في السنة النبوية أحاديث كثيرة ، والذي أريده في هذا المقام هو بيان استخدام الرسول ﷺ للمنهج الحسبي في بيان سعة رحمة الله تعالى :

فمن عمر بن الخطاب (٢) - ﷺ - أنه قال : قدم على رسول الله ﷺ بسبي (٣) . فإذا امرأة من السبي ، تبتغي (٤) ، إذا وجدت صبياً في السبي ، أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته . فقال لنا رسول الله ﷺ : « أترون (٥) هذه المرأة طارحة ولدها في النار ؟ » قلنا : لا . والله ! وهي تقدر على أن لا تطرحه . فقال رسول الله ﷺ : « لله (٦) أرحم بعباده من هذه بولدها » (٧) .

- (١) - سورة النحل ، الآية : (٧٨) .
- (٢) - هو : عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبدالعزى بن رياح بن عبدالله القرشي العدوي ، أبو حفص أمير المؤمنين ، ولد بعد الفيل بثلاث عشرة سنة ، وكان من أشرف قريش في الجاهلية ، أسلم عمر بعد أربعين رجلاً وإحدى عشرة امرأة فكان إسلامه عزاً ظهر به الإسلام بدعوة النبي ﷺ ، وقد شهد بدرًا والمشاهد كلها ، وولي الخلافة بعد أبي بكر ، وفتح الله له الفتوح بالشأم والعراق ومصر . ومناقبه وفضائله كثيرة مشهورة ، قتل في سنة ٢٣ وهو ابن ثلاث وستين سنة - ﷺ - . ينظر : " الإصابة " (٤٨٤/٤ - ٤٨٦) ، " حلية الأولياء " : (١/٢٧٣) " تهذيب التهذيب " (٤/٢٦٤) .
- (٣) - وهذا السبي هو سبي هوازان بعد معركة حنين . ينظر : " فتح الباري " (١٠/٤٤٥) .
- (٤) - " تبتغي " : الإبتغاء هو الطلب ، ابتغي الشيء : أراده وطلبه . ينظر : " شرح الأبي لصحيح مسلم " (٩/١٦٤) ، " المعجم الوسيط " (ص/٦٥) مادة : البَغْوُ .
- (٥) - " أترون " أي أنظنون . " فتح الباري " (١٠/٤٤٥) .
- (٦) - " لله أرحم بعباده " أي والله الله أرحم بعباده من هذه بولدها . ينظر : " فتح الباري " (١٠/٤٤٥) .
- (٧) - أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الأدب ، باب : رحمة الولد وتقبيله ومعانقته ، (٤/١٨٩٨ - ١٨٩٩) ، ح (٥٩٩٩) ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب التوبة ، باب في سعة رحمة الله تعالى ، وأنها سبقت غضبه ، (٤/٦٧٦) ح (٢٧٥٤) ، واللفظ له .



رحمة الله بعباده واسعة لا حدود لها ، وكان من منهج الرسول ﷺ في الدعوة إلى الله تعالى الاستفادة من الحوادث الواقعة في حياة الناس ، وتوجيههم وتربيتهم من خلالها ، وهذا الحديث العظيم يقرب تلك السعة في صورة مادية محسوسة يشاهدها الناس حيث رأى المخاطبون « منظرًا مؤثرًا حقًا : أم أسيرة فقدت صبيها الرضيع ، وقد امتلأ ثديها باللبن ، وهو إن لم يفرغ بالرضاعة تألمت الأم ، فلم تجد هذه الأم المحزونة بدءًا من أن تحلب ثديها تتخفف مما في صدرها ... وإذا وجدت صبيًا أخذته فأرضعته وبينما هي كذلك إذ المفاجأة السارة التي تكاد تذهب بعقلها فرحًا وسرورًا إذا بها تجد صبيها بعينه ، فسارعت إليه ، وأخذته ، والتزمته ، وأصفتة ببطنها وأرضعته .

رأى الناس هذا المشهد الإنساني المؤثر ، وهذه الصورة الواقعية التي تهز النفس البشرية هزًا عنيفًا ، وذلك لأنه ليس شيء يعدل حنان الأم وحبها وحرصها على وليدها ... واستولى عليها العجب والرافة والدهشة ، فيعلق الرسول ﷺ على هذه الحادثة تعليقًا يرسخ عقيدة دينية في نفوس أتباعه ، وما كان لها أن ترسخ لو أقيمت فكرة مجردة ولم يكن التعليق تقريرًا مباشرًا ولكنه كان على صورة الحوار فقال ﷺ : « أترون هذه طارحة ولدها في النار ؟ » ... سؤالٌ مثيرٌ . وكان الجواب أن لا ، ما دامت قادرة على أن لا تطرحه ، وهنا يُقرّر الرسول ﷺ الفكرة التي أراد تقريرها عن رحمة الله : « لله أرحم بعباده من هذه بولدها » (١) .

وفي هذا التقرير النبوي موازنة بين هذا المشهد الحسي الذي جسّد الرحمة بكل معانيها وبين أمر غيبي لا تحيط به العقول وهو سعة رحمة الله تعالى « هذه القصة البشرية للرحمة في دنيا الواقع لا تعدُّ شيئًا أمام رحمة الله تبارك وتعالى لعباده » (٢) لأن رحمته وسعت كل شيء كما أخبر بذلك سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون ﴾ (٣) .

« أمّا رحمته فقد وسعت كل شيء ، وهي تنال من يستحقها عنده كذلك بهذا التعبير الذي يجعل رحمة الله أوسع من ذلك الكون الهائل الذي خلقه ، والذي لا يُذرك البشر مداه .. فيالها من رحمة لا يُذرك مداها إلا الله ! » (٤) .

(١) - " التصوير الفني في الحديث النبوي " (ص/٨٧) مرجع سابق .

(٢) - " المرجع السابق " (ص/٨٨) .

(٣) - سورة الأعراف ، جزء من الآية : (١٥٦) .

(٤) - " في ظلال القرآن " سيد قطب ، (٣/١٣٧٨) باختصار بسيط .

يقول الإمام ابن حجر (١) - رحمه الله - معلقاً على هذا الحديث « وفيه ضرب المثل بما يُذركُ بالحواس لما لا يُذركُ بها لتحصيل معرفة الشيء على وجهه ، وإن كان الذي ضرب به المثل لا يُحاط بحقيقة لأن رحمة الله لا تُذركُ بالعقل ، ومع ذلك فقربها النبي ﷺ للسامعين بحال المرأة المذكورة » (٢) .

ويبرز الإمام ابن قيم الجوزية (٣) ، سعة رحمة الله تعالى عن طريق الموازنة بين رحمته وغضبه ، فيقول - رحمه الله - : « ورحمته وسعت كل شيء ، وغضبه لم يسع كل شيء ، وهو سبحانه كتب على نفسه الرِّحمة ، ولم يكتب على نفسه الغضب ووسع كل شيء رحمة وعلماً ، ولم يسع كل شيء غضباً وانتقاماً ... ولهذا كانت الرِّحمة أحبَّ إليه من العذاب ، والعفو أحب إليه من الانتقام » (٤) .

هذه الرِّحمة الواسعة يعرضها الرسول ﷺ في صورة حسية مؤثرة أخرى فمن ذلك : ما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « جعل الله الرِّحمة في مائة جزءٍ ، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءاً ، وأنزل في الأرض جزءاً واحداً فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق ، حتى ترفع الفرس حافرهما عن ولدها خشية أن تصيبه » (٥) .

(١) - هو : الحافظ أحمد بن علي بن محمد الكناشي العسقلاني ، أبو الفضل ، شهاب الدين ، ابن حجر ، من أئمة العلم والتاريخ ، أصله من عسقلان بفلسطين ، من الحفاظ المشهورين ، وعلماء الحديث البارعين ، وأشهر مؤلفاته : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " وله كتب في الرجال أشهرها " تهذيب التهذيب " ، وتقريب التهذيب توفي عام ٨٥٢هـ . ينظر : " البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع " للقاضي العلامة شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني (١/٨٧ - ٩٢) دار المعرفة ، بيروت - لبنان ، بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها ، " الأعلام " (١/١٧٨) .

(٢) - " فتح الباري شرح صحيح البخاري " (١٠/٤٤٦) .

(٣) - هو : محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرعي الدمشقي ، أبو عبدالله ، من أركان الإصلاح الإسلامي وأحد كبار العلماء ، مولده ووفاته بدمشق ، تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية وكان ينتصر له فيما يصدر عنه ، وهذب كتبه ونشر علمه ، وسجن معه في قلعة دمشق . وكان حسن الخلق محبوباً عند الناس ، وألف تصانيف كثيرة منها : إعلم الموقعين ، والطرق الحكمية في السياسة الشرعية ، وأحكام أهل الذمة وزاد المعاد في هدي خير العباد ، ولد في سنة ٦٩١هـ ، ومات في ٧٥١هـ . رحمه الله . ينظر : " بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة " للحافظ جلال الدين السيوطي ، تحقيق : محمد أبو الفضل ، (١/٦٢) ، المكتبة العصرية ، بيروت ، بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها .

(٤) - " الفوائد " لابن قيم الجوزية (ص/٢٢٧) ترتيب وتعليق : علي بن حسن بن عبدالحميد الحلبي الأثري ، طبعة دار ابن الجوزي - الدمام ، عام ١٤١٨هـ .

(٥) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الأدب ، باب : جعل الرِّحمة في مئة جزء ، (٤/١٨٩٩) ح (٦٠٠٠) واللفظ له ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب التوبة ، باب سعة رحمة الله تعالى ، (٤/٦٧٥) ، ح (٢٧٥٢) .

وعن سلمان الفارسي (١) - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة . كل رحمة طباق (٢) ما بين السماء والأرض ، فجعل منها في الأرض رحمة . فيها تعطف الوالدة على ولدها . والوحش والطير بعضها على بعض ، فإذا كان يوم القيامة ، أكملها بهذه الرحمة » (٣) .

يُعلق الإمام العيني (٤) - رحمه الله - على حديث أبي هريرة السابق فيقول : « قيل رحمة الله غير متناهية لا مائة ولا مائتان ، فحصره في مائة على سبيل التمثيل تسهيلاً للفهم وتقليلاً لما عندنا وتكثيراً لما عنده » (٥) .

وخصَّ الرسول ﷺ الفرس بالذكر لأنها أشدَّ الحيوان المألوف الذي يعاين المخاطبون حركتها مع ولدها ، ولما في الفرس من الخفة والسُرعة في التقليل ، ومع ذلك تتجنب أن يصل الضرر منها لولدها (٦) .

يقول ابن أبي جمرة - رحمه الله - : « فإن رفع الحافر شيء محسوس لاشك في ذلك ، ومن أجل ذلك وقع التمثيل به » (٧) .

الله أكبر ما أعظم وأوسع رحمة الله تعالى ، فإذا كان الذي أنزل في الدنيا رحمة واحدة وبها يترحم الجن والإنس والبهائم وغيرهم وقد وسعتهم ، فما بالك

(١) - هو : سلمان ابن الإسلام ، أبو عبدالله ، الفارسي ، صاحب النبي ﷺ ، وخادمه ، وحدث عنه ، كان لبيبا حازما ، عابدا ، وقصة إسلامه وتنقله بين أساقفه النصراني بحثا عن الدين الصحيح تدل على علو همة وتوفيق الله له ، أسلم بعد مقدم رسول الله ﷺ المدينة بقليل ، شهد الخندق وما بعدها ، وذكر بعضهم أنه عاش طويلا . توفي في خلافة عثمان - رضي الله عنه - ينظر : " الطبقات الكبرى " لابن سعد (٤/٧٥ - ٩٣) ، " حلية الأولياء " (١/١٨٥ - ٢٠٨) ، " سير أعلام النبلاء " (١/٥٠٥ - ٥٥٧) .

(٢) - " طباق " : أي ملؤها كأنها تعمها فتكون طباقا لها . ينظر : " مشارق الأنوار " (١/٣٩٨) مادة ( طبق ) " النهاية " (٣/١١٣) مادة ( طبق ) .

(٣) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب التوبة ، باب سعة رحمة الله تعالى ، (٤/١٦٧٥) ح (٢١/٢٧٥٣) .

(٤) - هو : محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد ، أبو محمد ، بدر الدين العيني الحنفي ، من كبار المحدثين ، أصله من حلب وأقام فيها مدة وفي مصر ودمشق والقدس ، وولي في القاهرة الحسبة وقضاء الحنفية ونظر السجون ، ولما صرف عن وظائفه عكف على التدريس والتصنيف إلى أن توفي بالقاهرة ، ومن مصنفاته : " عمدة القارئ في شرح البخاري " ، " ومغاني الأخبار في رجال معاني الآثار " مات في ذي الحجة سنة ٨٥٥هـ . ينظر : " شذرات الذهب " (٧/٢٨٦) ، الأعلام (٧/١٦٣) .

(٥) - " عمدة القارئ " (١٨/١٣٩) .

(٦) - ينظر : " بهجة النفوس " لابن أبي جمرة (٤/١٥٤) ، دار الجيل ، بيروت ، ط/٣ ، بدون تحديد سنة الطبع .

(٧) - " المرجع السابق " (٤/١٥٦) .

بتسع وتسعين رحمة مُدخّرة عنده سبحانه لعباده المؤمنين ، كلّ رحمة منها تملأ ما بين السماء والأرض ، إنها سعة تفوق الخيال البشري .

إنّ الرّسول ﷺ استعمل صوراً حسية مختلفة لبيان سعة رحمته تعالى ففي حديث عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - كانت الأم ، وفي حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - كانت الأرقام والدّابة ، كل ذلك مراعاة لأحوال المخاطبين ، لأنهم « قوم يعتمدون على الأنعام من إبل وبقر وغنم وعلى الخيل في أسفارهم وحروبهم ومصادر عيشهم ، ويحيون في الصّحراء الزّاهرة بالبهائم والدّواب » (١) .

وبهذا يكون الرّسول ﷺ قد أوضح مدى سعة رحمة الله تعالى ، وقربها إلى أذهان المخاطبين في صورة حسية مشوقة ومثيرة ، تجعل المسلم أكثر تعظيماً لله ، لا يقنط من رحمته ، قال ﷺ : « لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ، ما طمع بجنته أحد ، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرّحمة ما قنط من جنته أحد » (٢) .

فعلى الدّعاة والمصلحين الأمرين بالمعروف والناهيين عن المنكر أن يرغّبوا الناس فيما عند الله تعالى ، وأن يبينوا لهم سعة رحمة الله تعالى وأنّه بهم رحيم قال تعالى : ﴿ وكان بالمؤمنين رحيماً ﴾ (٣) .

يقول الإمام القرطبي - رحمه الله - « رحيماً من أبنية المبالغة التي لا شيء أبلغ منها ، ويفهم من هذا أنّ الكافرين لا يبقى لهم في النّار رحمة ، ولا ينالهم نعمة لا من جنس الرّحمت الدّنيا ولا من غيرها ، إذ كمل كلّ ما علم الله من الرّحمت للمؤمنين » (٤) .

(١) - " التصوير الفني في الحديث النبوي " (ص/٨٩) .

(٢) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب التوبة ، باب سعة رحمة الله تعالى ، (٦٧٦/٤) ، ح (٢٧٥٥) .

(٣) - سورة الأحزاب ، جزء من الآية : (٤٣) .

(٤) - " المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم " (٨٣/٧) .

**المطلب الثالث : إثبات الرؤية والقدر بالمنهج الحسي .**

وفيه مسلكان :

**المسلك الأول : إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة بالمنهج الحسي .**

**المسلك الثاني : بيان القدر وإثباته بالمنهج الحسي .**

## المطلب الثالث

### استخدام المنهج الحسني لإثبات الرؤية والقدر

#### المسلك الأول : إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة

مما هو معلوم أن الإيمان بالله تعالى هو إيمان بالغيب ؛ لأن ذاته سبحانه وتعالى غيب ، والإيمان باليوم الآخر وما فيه إيمان بالغيب ، والإيمان بالملائكة والقضاء والقدر خيره وشره إيمان بالغيب والإيمان بعذاب القبر ونعيمه إيمان بالغيب وقد بين الله تعالى أن القرآن هداية للمتقين وذلك بسبب إيمانهم بالغيب ، وانقيادهم لأوامر الله وأحكامه ، يقول جل وعلا : ﴿ أَلَمْ \* ذَلِكُمُ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ \* الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ \* وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ (١) ، ويقول جل وعلا : ﴿ ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ (٢) . إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة .

يقول الأستاذ سيد قطب (٣) - رحمه الله - عند حديثه عن آيات سورة البقرة : « إنَّ السِّمَّةَ الأولى للمتقين هي الوحدة الشعورية الإيجابية الفعالة ، الوحدة التي تجمع في نفوسهم بين الإيمان بالغيب ، والقيام بالفرائض ، والإيمان بالرسول كافة ، واليقين بعد ذلك بالآخرة ثلاث نقاط ، والإيمان بالغيب هو العتبة التي يجتازها الإنسان ، فيتجاوز مرتبة الحيوان الذي لا يدرك إلا ما تدركه حواسه ، إلى مرتبة الإنسان الذي يدرك أن الوجود أكبر وأشمل من ذلك الحيز الصغير الذي تدركه حواسه » (٤) .

(١) - سورة البقرة ، الآيات : ( ١ - ٤ ) .

(٢) - سورة الطلاق : جزء من الآية (٢) .

(٣) - هو : سيد قطب بن إبراهيم ، من الدعاة والمجاهدين المعاصرين ، ولد بأسبوط ، وتخرج من كلية دار العلوم ، ثم أرسل إلى أمريكا للدراسة ، وعاد منتقدا لما يخالف الإسلام ، انتمى لجماعة الإخوان المسلمين ، وأوذي وسجن ، وعكف على التأليف ، فكان من إنتاجه " في ظلال القرآن " وغيره من الكتب توفي شهيداً - إن شاء الله تعالى نحسبه كذلك والله حسيبه ولا نركي على الله أحداً - عام ١٣٨٧هـ -

١٩٦٧م . ينظر : " الأعلام " ( ١٤٧/٣ ) .

(٤) - " في ظلال القرآن " لسيد قطب ( ٣٩/١ ) .

وقد سبق بيان أهمية الإيمان بالغيب ، وأنه أساس في الاعتقاد ومن الأمور الغيبية التي أخبر عنها نبينا محمد ﷺ رؤوية المؤمنين لربهم في الآخرة وقد دلّ على ذلك كتاب الله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ (١) . وسنة رسوله ﷺ وأجمع عليه أهل السنة ، ولم ينكره إلا جاحدٌ مكابرٌ متأولٌ تأويلاً فاسداً ليس له حجة من كتاب ولا سنة ، وقد تعددت الروايات الدالة على إثبات رؤية المؤمنين لربهم عز وجل في الآخرة ، وحيث إنَّ المقام ليس مقام حصر للنصوص الواردة في هذا المعنى ، فسأكتفي ببعض الأمثلة التي يتبين من خلالها المنهج الذي استخدمه الرسول ﷺ ، لإثبات رؤية الله تعالى في الآخرة ، وترسيخها في قلوب المدعوين فمن ذلك : ما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - : « أن الناس قالوا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال : « هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحب ؟ » قالوا لا يا رسول الله . قال : « فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحب ؟ » قالوا لا يا رسول الله قال : « فاتكم ترونه كذلك » ... الحديث (٢) .

وعن جرير بن عبدالله (٣) - رضي الله عنه - قال : كُنَّا عند النبي ﷺ ، فنظر إلى القمر ليلة - يعني البدر - فقال : « إنكم سترون ربكم ، كما ترون هذا القمر ، لا تضامون في رؤيته ، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها » . ثم قرأ ﴿ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ﴾ (٤) (٥) .

- (١) - سورة القيامة : الأيتان (٢٢ ، ٢٣) .
- (٢) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الأذان ، باب : فضل السجود ، (٢٤٦/٨) ح (٨٠٦) وفي الرقاق ، باب : الصراط جسر جهنم ، (٢٠٥٥/٤) ، ح (٦٥٧٣) وأخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية ، (١٤٣/١) ح (١٨٢) .
- (٣) - هو : جرير بن عبدالله بن جابر بن مالك بن نصر بن ثعلبة ، أبو عمرو ، وقيل : أبو عبدالله ، البجلي القسري ، من أعيان الصحابة ، أسلم - ومعه من قومه خمسون ومائة - في رمضان سنة عشر ، وبإيعاز النبي ﷺ على النصح لكل مسلم ، كان معتزلاً لعلي ومعاوية بالجزيرة ونواحيها حتى توفي بالسرعة سنة إحدى وخمسين ، وقيل : أربع وخمسين .
- (٤) - سورة ق ، الآية : (٣٩) .
- (٥) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب مواقيت الصلاة ، باب فضل صلاة العصر (١٨٤/١) ، ح (٥٥٤) ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما ، (٣٦٧/١) ، ح (٦٣٢) .

وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه (١) - قال : قلنا : يا رسول الله ، هل نرى ربنا؟ قال : « فهل تضامون في رؤية الشمس إذا كان صحواً ؟ » قلنا : لا يا رسول الله . قال : « فهل تضامون في رؤية القمر ليلة البدر إذا كان صحواً ؟ » قلنا : لا . قال : « فإتكم لا تضامون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤيتهما ... » (٢) .

من المعلوم أن أهل الجنة يُفِيضُ اللهُ عليهم من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال تعالى : ﴿ فلا تعلم نفسٌ ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴾ (٣) .

وقد جاء في السنة الصحيحة أن أفضل نعيمهم هو النظر إلى وجهه ربهم الكريم سبحانه ، ومن تمام تتعمهم بذلك أنه ينسيهم ما سواه من نعيم الجنة ، فعن صهيب (٤) - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا دخل أهل الجنة ، قال يقول الله تعالى : « تريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة ، وتنجنا من النار ؟ قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل ، ثم تلا هذه الآية ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾ (٥) » (٦) .

ولعظم شأن الرؤية وضرورة الإيمان بها وحفز المؤمن للعمل من أجلها أراد صلى الله عليه وسلم أن يقرر حقيقتها بجلاء في نفوس أصحابه - رضي الله عنهم - عندما سألوه ، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فلفت أنظارهم إلى أمر حسي من البيئة التي يعيشون فيها

(١) - هو : سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة بن عبيد الخزرجي ، مشهور بكنيته ، كان إماماً مجاهداً ، أحد الفقهاء المجتهدين ، شهد غزوة الخندق وبيعته الرضوان ، مات سنة أربع وسبعين ، وقيل : أربع وستين . ينظر : " أسد الغابة في معرفة الصحابة " لأبي الحسن علي بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير (٢٨٩/٢ - ٢٩٠) ، " الإصباة " (٦٥/٣ - ٦٨) ، " سير أعلام النبلاء " (١٦٨/٣ - ١٧٠) .

(٢) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب التفسير ، باب : (إن الله لا يظلم متقال ذرة) (٣٩٣/٣) ح (٤٥٨١) ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية (١٤٥/١) ح (١٨٣) .

(٣) - سورة السجدة : الآية (١٧) .

(٤) - هو : صهيب بن سنان بن مالك ، أبو يحيى النمري الرومي ، أصله من النمر بن قاسط ، سبته الروم من نينوى ، وهو غلام فنشأ بينهم ، فابتاعه كليب منهم ، فاشتراه عبدالله بن جدهان التميمي منهم فأعتقه ، شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها ، ولما مات عمر - رضي الله عنه - أوصى أن يصلي عليه صهيب ، وأن يصلي بالناس حتى يجتمع المسلمون على إمام توفي سنة ثمان وثلاثين وهو ابن سبعين . ينظر : " الإصباة في تمييز الصحابة " (٣٦٤/٣) ، تهذيب التهذيب " (٥٥٦/٢) .

(٥) - سورة يونس : جزء من الآية (٢٦) .

(٦) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " ، كتاب الإيمان ، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى (١٤٢/١) ، ح (١٨١) .



ويشاهدونها ليلاً ونهاراً ، وذلك بإثارة حاسة الإبصار التي هي أقوى الحواس الخمس عند الإنسان للنظر إلى كوكبين عظيمين هما « الشمس والقمر » .

فقال ﷺ كما في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه (١) - « هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحب ؟ » قالوا : لا يا رسول الله قال : « هل تمارون في الشمس ليس دونها سحب ؟ » قالوا لا يا رسول الله قال : « فإنكم ترونه كذلك » (٢) .

والمعنى : هل تشكون في رؤية القمر حالة اكتماله عندما يكون بدرًا وليس بينكم وبينه سحب يحجب عنكم الرؤية ، قالوا : لا يا رسول الله ، قال : هل تشكون في رؤية الشمس ليس دونها سحب يحجبها عنكم . قالوا : لا يا رسول الله . قال : فإنكم ترونه مثل هذه الرؤية الواضحة .

ويقول الحافظ ابن حجر (٣) - رحمه الله - « إنما خص الشمس والقمر بالذكر مع أن رؤية السماء بغير سحب أكبر آية وأعظم خلقاً من مجرد الشمس والقمر لما خصاً به من عظيم النور والضياء بحيث صار التشبيه بهما فيمن يوصف بالجمال والكمال سائغاً شائعاً في الاستعمال » (٤) .

والتشبيه إنما هو في وضوح الرؤية بمعنى : أنكم ترونه رؤية محققة لا شك فيها ولا مشقة ولا خفاء كما ترون القمر ، كذلك فهو تشبيه للرؤية بالرؤية لا المرئي بالمرئي (٥) .

وفي تقديم القمر على الشمس في الحديث يذكر ابن حجر في « الفتح » نكتة علمية ظريفة وهي قوله : « في الابتداء بذكر القمر قبل الشمس متابعة للخليل إبراهيم - عليه السلام - فكما أمر باتباعه في الملة اتبعه في الدليل ، فاستدل به الخليل على إثبات الوحدانية واستدل به الحبيب على إثبات الرؤية .. ، وفي عطف الشمس على القمر مع أن تحصيل الرؤية بذكره كافٍ لأن القمر لا يدرك وصفه الأعمى

(١) - ينظر (ص/٤٥) من البحث .

(٢) - سبق تخريجه (ص / ٥٨) .

(٣) - نقلًا عن الزين بن المنير .

(٤) - " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، (١١/٤٥٥) .

(٥) - ينظر : " عمدة القارئ " للعيني ، (٤/١٩١) .

حسناً بل تقليداً ، والشمس يدركها الأعمى حسناً بوجود حرّها إذا قابلها وقت الظهيرة  
مثلاً فحسُن التأكيد بها » (١) .

وفي حديث جرير بن عبدالله « إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا  
تضامون في رؤيته ... » ، ومثله حديث أبي سعيد الخدري « فهل تضامون في  
رؤية الشمس إذا كان صحواً ... » الحديث .

إن الخطاب النبوي في هذين الحديثين قد بلغ الذروة في البلاغة والإيجاز  
والبيان والإقناع ولا غرو في ذلك ، فقد أعطي - عليه الصلاة والسلام - جوامع  
الكلم ، والمدعون هم صحابة رسول الله ﷺ يتشوفون ويتطلعون إلى ما يخبرهم به  
رسول الله ﷺ ، ولا سيما إذا تعلق الأمر بالله ونعيم الآخرة ، ورؤية الجبار جل  
جلاله ، وذلك تشتاق إليه نفس كل مؤمن ، وقد سألوه ﷺ فأجابهم إجابة تأخذ القلوب  
وتأسر الألباب ، وتثير الاهتمام وقد صَوَّر لهم تلك الرؤية المحققة في الآخرة  
بصورة مشاهدة متكررة في حياتهم لا يختلفون عليها ولا يشكون فيها ، ألا وهي  
رؤيتهم للقمر في غاية اكتماله وتامه ، وليس هذا فحسب بل عندما تكون السماء  
خالية من الغيم فهي صحواً لا يحول بينهم وبينها سحب ، والشمس وهي في كبد  
السماء وقت الظهيرة زاهية منيرة ليس دونها سحب ، فهل يُعقل أن يصيبهم ضيم  
والأمر كذلك ؟ إن الرؤية تكون في غاية الوضوح والجلاء ، فلا يصيبهم تعب ولا  
مشقة ولا عناء فلا يتزاحمون ولا يختلفون ولا يتسابقون لرؤية الشمس والقمر من  
مكان مُحدّد ، لأن رؤيتهما ممكنة من كل مكان ، إذا أراد الإنسان ذلك ، فكذلك  
رؤية المؤمنين لربهم عز وجل في الآخرة .

يقول الإمام ابن الجوزي - رحمه الله - مبيناً لمعنى الضيم في الحديث : « لا  
تضامون ، والمعنى لا ينالكم ضيم ، والضيم أصله الظلم ، وهذا الضيم يلحق  
الرأى من وجهين :

**أحدهما :** من مزاحمة الناظرين . أي لا تزدهمون في رؤيته فيراه بعضهم دون  
بعض ولا يظلم بعضهم بعضاً .

**والثاني :** من تأخره عن مقام الناظر المحقق فكأن المتقدمين ضاموه ، ورؤية

الله عز وجل يستوي فيها الكل فلا ضيم ولا ضرر ولا مشقة » (٢) .

(١) - ينظر : " فتح الباري " لابن حجر ، (١١/٤٥٥) .

(٢) - " عمدة القارئ " (١٨٩/٤) .

وعند التأمل في منهج النبي ﷺ في إثبات هذه القضية العقديّة المهمة نجده سلك منهجاً دعويّاً مقنعاً لقيامه على دلائل حسية واضحة يراها المدعو بعينه ولا يخالجه أي شك ولا ريب فيما يشاهده ويراه ، وانظر إلى منهجه الدعوي ﷺ لإقناع أحد الصحابة - ﷺ - عندما سأله عن رؤية الله في الآخرة ، يقول أبو رزين العفيلّي : قلت يا رسول الله أنرى ربنا ؟ قال : « نعم قلنا وما آية ذلك في خلقه قال : « ليس كلّم تنظرون إلى القمر ليلة البدر ، وإنّما هو خلق من خلق الله ، فالله أعظم وأجلّ » (١) .

فحريّ بالدعاة والمصلحين أن يقتفوا أثر نبيهم ﷺ في ربط المدعوين بربهم ، وتحبيبه إلى قلوبهم حتى يزدادوا توقيراً وإجلالاً له سبحانه وتعالى ، وذلك عن طريق تحريك حواسهم وإثارتها إلى دلائل قدرته المبتوثة في هذا الكون ، في سماء المدعوين وأرضهم ، في محيطهم وبيئتهم ، في شؤون حياتهم الخاصّة والعامة ، حتى تكون سبباً في هداية من كتب الله هدايته من المعرضين ، وزيادة إيمان المؤمنين الموقنين وثباتهم على دينهم .

(١) - أخرجه الإمام أبي داود في "سننه" كتاب السنة ، باب في الرؤية (٩٩/٥) ح (٤٧٣١) ، والإمام المحدث أبي عبد الله محد بن يزيد القزويني المشتهر بابن ماجة في "سننه" المقدمة ، باب فيما أنكرت لجهمة (١١٤/١) ح (١٨٠) دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط : ١ ، ١٤١٩هـ ، وحسنه الشيخ الألباني في "صحيح سنن ابن ماجة" (٧٨/١) ح (١٥٠) ، وفي تخريجه لكتاب "السنة" لابن أبي عاصم (٢٠٠/١) ، وقال : رجاله ثقات غير وكيع بن عدس فهو مجهول .

## المسلك الثاني

### بيان القدر وإثباته بالمنهج الحسي

من الأهمية بمكان أن أشير قبل الدخول في بيان المنهج الحسي من خلال النصوص الحديثية الصحيحة ، إلى أهمية عقيدة الإيمان بقضاء الله وقدره ، والمتمثلة في كون الإيمان بهما ، أصلاً من أصول الإيمان بالله تعالى ، لا يتم إيمان العبد إلا إذا آمن بهما ، واعتقد أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وما أصابه لم يكن ليخطئه وأيقن أن كل شيء يقع في هذا الكون فهو مقدر مكتوب ، كما بين الله في محكم التنزيل بقوله : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ (١) ، وقوله سبحانه : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُرًا ﴾ (٢) . وقال ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ (٣) .

وقال رسول الله ﷺ - لما سألته جبريل - عليه السلام - عن الإيمان : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره » (٤) . وقد أوضح الإمام ابن قيم الجوزية - رحمه الله - أهمية الإيمان بقضاء الله وقدره فقال : « والإيمان به قطب رحى التوحيد ونظامه ، ومبدأ الدين المبين وختامه ، فهو أحد أركان الإيمان ، وقاعدة أساس الإحسان ، التي يرجع إليها ، ويدور في جميع تصرفاته عليها ، ... فبالقدر والحكمة ظهر خلقه وشرعه المبين ألا له الخلق والأمر تبارك الله ربّ العالمين » (٥) .

مما سبق يتضح أنّ الإيمان بالله تعالى يرتكز على أركان ستة متلازمة مترابطة لا ينفك أحدها عن الآخرة ، فإن عطل المسلم أحد هذه الأركان ، لم يقبل الله تعالى منه إيمانه ، كما جاء في الأثر عن رسول الله ﷺ : « لا يؤمن عبد حتى يؤمن

(١) - سورة القمر ، الآية : (٤٩) .

(٢) - سورة الأحزاب ، جزء من الآية : (٣٨) .

(٣) - سورة الفرقان ، جزء من الآية : (٢) .

(٤) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الإيمان ، باب سؤال جبريل النبي عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة ، (٤٠/١) ، ح (٥٠) ، وأخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات القدر .. ، (٤٦/١) ، ح (٢٨) .

(٥) - " شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والتعليل " (ص/٣) طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط/١ ، ١٤٠٧هـ .

بالقدر خيره وشره ، وحتى يعلم أنّ ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وأنّ ما أخطاه لم يكن ليصيبه » (١) .

ولعلّ بعض النصوص التالية ، التي يتم إبراز المنهج الحسبي من خلالها ، تبين شيئاً من ذلك :

فعن زيد بن ثابت (٢) - رضي الله عنه - قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لو أنّ الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ، ولو رحمهم لكانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم ، ولو كان لك مثل أحد ذهباً أو مثل جبل أحد ذهباً تنفقه في سبيل الله ما قبله منك حتى تؤمن بالقدر كلّ فتعلم أنّ ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وأنك إن مت على غير هذا دخلت النار » (٣) .

وعن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - (٤) قال : حدثنا رسول الله ﷺ ، وهو الصادق المصدوق ، قال : « إنّ أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً ، ثم يكون علقه (٥) مثل ذلك ، ثم يكون مضغة (٦) مثل ذلك ، ثم يبعث الله ملكاً فيؤمر بأربع : برزقه وأجله وشقي أو سعيد ، ثم ينفخ فيه الرّوح فوالله إنّ أحدكم - أو

(١) - أخرجه الإمام الترمذي في " سننه " كتاب القدر ، باب ما جاء في الإيمان بالقدر خيره وشره ، (٤٥١/٤) ح (٢١٤٤) ، وقال عنه : " هذا حديث غريب من حديث جابر لا نعرفه إلا من حديث عبدالله بن ميمون وعبدالله بن ميمون منكر الحديث " وقد حققه العلامة الألباني في كتابه " صحيح سنن الترمذي " ، وقال عنه " صحيح " ، ينظر : (٢٢٦/٢) ، ح (١٧٤٣) ، وينظر كذلك كتابه : " سلسلة الأحاديث الصحيحة " ، (٢٤٣٩) ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط : ٣ ، ١٤٠٣هـ .

(٢) - هو : زيد بن ثابت الضحّاك بن مالك بن النجار ، الأنصاري ، أبو سعيد ، صاحب رسول الله ﷺ ، كان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ ، تعلّم لغة يهود في سبعة عشرة ليلة ، وكان يكتب لرسول الله إذا كتب إليهم ويقرأ له إذا كتبوا إليه ، كان أعلم الصحابة بالفرائض ، اختلف في سنة وفاته ، فقيل : خمس وأربعين ، وقيل : ثمان وأربعين ، وقيل غير ذلك ، وعمره ست وخمسون وقيل سبع وخمسين ، رضي الله عنه وأرضاه . ينظر ترجمته في : " تهذيب الكمال في أسماء الرجال " للزمري ، تحقيق الدكتور / بشار معروف ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط/٤ ، ١٤٠٦هـ . (٢٤/١٠) برقم (٢٠٩١) .

(٣) - أخرجه الإمام أبو داود في " سننه " كتاب السنة ، باب القدر ، (٧٥/٥) ، ح (٤٦٩٩) ، والإمام ابن ماجه في " سننه " المقدمة ، باب في القدر ، (٦٨/١) ، ح (٧٧) ، وابن أبي عاصم في " كتاب السنة " (١٠٩/١) ، ح (٢٤٥) وصححه الألباني في " صحيح سنن أبي داود " ، مكتبة المعارف . الرياض . ط/١ ، ١٤١٩هـ (١٤٧/٣) ح (٤٦٩٩) ، " صحيح سنن ابن ماجه " (٤٢/١) ح (٦٢) .

(٤) - هو : عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمع الهذلي ، أبو عبدالرحمن . أسلم قديماً وهاجر الهجرتين ، وشهد بدرًا والمشاهد بعدها ، لازم النبي ، وكان أول من جهر بالقرآن بمكة ، مات بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين ، وقيل : سنة ثلاث وثلاثين . ينظر : " الإصابة " (١٩٩/٤ - ٢٠١) ، " سير أعلام النبلاء " (٤٦١/١) .

(٥) - (العلقة) : قطعة الدّم المنعقدة ، الغليظة الجامدة . ينظر : " النهاية في غريب الحديث " لابن الأثير ، (٢٩٠/٣) مادة : (علق) " القاموس المحيط " (ص/١١٧٥) ، مادة : (العلق) .

(٦) - (المضغنة) : القطعة من اللحم ، قدر ما يُمضغ . ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (٣٣٩/٤) مادة : " مضغ " ، " القاموس المحيط " (ص/١٠١٨) ، مادة : (مضغنة) .

الرجل - يعمل بعمل أهل النار ، حتى ما يكون بينه وبينها غير باع (١) أو ذراع (٢) ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها ، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة ، حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع أو ذراعين ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها » (٣) .

كان من منهجه ﷺ في الدعوة إلى الله تعالى تقريب الحقائق والمفاهيم إلى أذهان المدعويين بأساليب متنوعة حسية كانت أو معنوية ، ولاغرو في ذلك فقد أوتي جوامع الكلم ﷺ ، وأعطى زمام البلاغة والبيان ، فهو القدوة الحسنة للدعاة والمصلحين ، كما قال عنه ربه ومولاه سبحانه وتعالى : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ (٤) .

وفي مقامنا هذا أراد ﷺ أن يقرر ويرسخ في قلوب وأذهان المدعويين عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر ، وأن من لم يؤمن بذلك لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً ، ثم بين ﷺ بأسلوبه الرفيع وبلاغته المؤثرة ، واستخدامه الوسيلة الواضحة التي تثير ذهن المدعو ، وتشد انتباهه ، فقال ﷺ : « ولو كان لك مثل جبل أحد ذهباً تنفقه في سبيل الله ما قبله منك حتى تؤمن بالقدر كله ... » .

إن المتأمل في هذا المثل المضروب من قبل رسول الله ﷺ ، يجد أنه أحسن الاختيار في « المشبه » وهو الذهب ، ومعلوم أنه من أنفس المعادن وأحبها إلى قلوب الناس ، « والمشبه به » وهو جبل أحد ، والمدعو يعلم أنه جبل عظيم في طوله وعرضه وارتفاعه . فكيف إذا كان ذلك الجبل ذهباً خالصاً يملكه الإنسان ملكاً خاصاً لا يشاركه فيه أحد ، وينفقه كله في سبيل الله ، ثم لا يقبل منه ؟

لاشك أن الحسرة والأسى تكون متناهية إذا علم ذلك المنفق أن تلك الأموال الطائلة التي أنفقها لم يقبلها الله جل وعلا بسبب عدم تصديقه وإيمانه بالقضاء والقدر خيره وشره .

- (١) - ( باع ) قدر مَدَّ اليدين . ينظر : " القاموس المحيط " ( ص / ٩١٠ ) مادة ( باع ) .
- (٢) - ( ذراع ) الذراع : بسط اليد ومدّها ، وأصله بين الذراع وهو الساعد ، ينظر : " النهاية في غريب الحديث " ( ١٥٨ / ٢ ) مادة ( ذراع ) .
- (٣) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب القدر ، باب : حدثنا أبو الوليد هشام بن عبد الملك ، ( ٢٠٦٤ / ٤ ) ح ( ٦٥٩٤ ) ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب القدر ، باب حجاج آدم موسى عليهما السلام ، ( ١٦١٦ / ٤ ) ، ح ( ٢٦٤٣ ) .
- (٤) - سورة الأحزاب ، جزء من الآية : ( ٢١ ) .

إن الرسول ﷺ قد أخذ بمجامع قلوب المدعوين بتلك الصورة الحسية الرائعة التي كان لها أبلغ الأثر في نفوسهم ، ومن ثم في نفوس جميع الصحابة - ﷺ - ويتمثل ذلك في صدق توكلهم ، وخلص إيمانهم ، وشجاعتهم وبسالتهم وإقدامهم وطلبهم للشهادة في مظانها ، لإيمانهم أن ذلك لا يقدم ولا يؤخر في قضاء الله وقدره .

ويقول الرسول ﷺ في حديث ابن مسعود : « فوالله إن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار ، حتى ما يكون بينه وبينها غير باع أو ذراع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها ، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة ، حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع أو ذراعين فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها » .

بعد أن بين ﷺ مراحل خلق الإنسان وتكوينه ، وما يحصل له بعد ذلك من تحديد الرزق والأجل والشقاوة والسعادة ونفخ الروح ، أقسم ﷺ على أمر عظيم ومخيف للإنسان لتعلقه بمصيره ونهايته ، وهو أن بعض الناس ينغمس في المعاصي والآثام والموبقات طوال حياته ، فإذا قرب الموت ولم يبق عنه إلا زمن يسير وفق الهداية والعمل الصالح فكان من أصحاب الجنة ، وذلك وفق التقدير الأزلي القديم ، وعلى العكس من ذلك بعض الناس يعمل الصالحات طوال حياته حتى ما يبقى بينه وبين الموت إلا زمن يسير فيتحول بإرادته واختياره إلى عمل السيئات فيدخل النار وذلك وفق التقدير الأزلي القديم .

والرسول ﷺ عبّر بالذراع لقصره ، وهو أمر حسي مشاهد ، ليوضح للمدعو أهمية المدة القصيرة التي تكون قبل الموت ، وأنها فترة في حياة الإنسان إما إلى الجنة أو إلى النار ، وكل ذلك بقضاء الله وقدره .

يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : « والتعبير بالذراع تمثيل بقرب حاله من الموت ، فيحال بينه وبين المكان المقصود بمقدار ذراع أو باع من المسافة ، وضابط ذلك الحسي الغرغره التي جعلت علامة لعدم قبول التوبة » (١) .

وقد كان لهذا المنهج الحسي النبوي تأثير عميق في نفوس المدعوين من صحابته - ﷺ - فكانوا أشد الناس خوفاً من سوء الخاتمة ، وقد أورث عندهم

(١) - ينظر : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " (٤٩٦/١١) .

الحرص الشَّدِيد على فعل الطاعات والقربات ، وترك الفواحش والمنكرات ، وسؤالهم لربهم حسن الختام يقول الإمام ابن حجر : « وفي الحديث إشارة إلى أن المآل محبوب عن المكلف فعليه أن يجتهد في عمل ما أمر به ، فإن عمله أمانة إلى ما يؤول إليه أمره غالباً ، وإن كان بعضهم قد يختم له بغير ذلك .. لكن لا اطلاع له على ذلك ، فعليه أن يبذل جهده ويجاهد نفسه في عمل الطاعات ، ولا يُتركُ وكولا إلى ما يؤول إليه أمره فيلام على ترك المأمور ويستحق العقوبة » (١) .

وقد علّق الشيخ الجزائري - حفظه الله - على هذا الحديث بكلام جميل يقول فيه : « والشَّاهد من هذا الحديث الصحيح : إثبات الأسباب ، فإنه لما كان لدخول الجنة أسبابٌ ، ولدخول النار أسبابٌ فإن العبد مهما عمل من أعمال تخالف أسباب سعادته أو شقاوته فإنه لا بد في النهاية أن يعمل مريداً بأسباب ما كتب له أو عليه في كتاب المقادير ليوافق علم الله وتقديره ، وهو في الوقت نفسه مريد مختار لم يكره على فعل ما فعل ، ولم يجبر على ترك ما ترك » (٢) .

(١) - " فتح الباري " (٥٠١/١١) .

(٢) - " عقيدة المؤمن " لأبي بكر الجزائري ، (ص/٤٥٣) ، طبعة مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة ، ط/٣ ، عام ١٤١٧هـ .



**المطلب الرابع : حوادث حسية تدلُّ على نبوة نبينا محمد ﷺ**  
وفيه تمهيد ، وخمسة مسالك :

**المسلك الأول : انشقاق القمر ودلالته على نبوة محمد ﷺ .**

**المسلك الثاني : نطق الجماد وانقياده للرسول ﷺ .**

**المسلك الثالث : نطق السباع والجمال ودلالته على نبوة محمد ﷺ .**

**المسلك الرابع : تكثير القليل وحصول البركة فيه .**

**المسلك الخامس : سرعة استجابة دعائه ﷺ في شفاء المرضى .**

### تمهيد : ضرورة الوحي والرسالة للبشرية

الرسالة ضرورة في حياة البشرية ، وحاجتهم إليها فوق كل حاجة ، لأن النبوّة والرسالة جاءت بحياة القلوب ، وسعادة الدنيا والآخرة ، وما أجمل ما ذكره الإمام ابن قيم الجوزية في كتابه القيم - زاد المعاد - حول هذا الموضوع . حيث يقول - رحمه الله - : « ومن هنا تعلم اضطرار العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرّسول وما جاء به ، وتصديقه فيما أخبر به ، وطاعته فيما أمر ، فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ، ولا في الآخرة إلا على أيدي الرّسل ، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم ، ولا يُنال رضى الله البتّة إلا على أيديهم ، فالطّيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ، ليس إلا هديهم وما جاؤوا به ، فهم الميزان الرّاجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأخلاق والأعمال ، وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال ، فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه والعين إلى نورها ، والروح إلى حياتها ، فأبى ضرورة وحاجة فرّضت ، فضرورة العبد وحاجته إلى الرّسل فوقها بكثير .

وما ظنك بمن إذا غاب عنك هديه وما جاء به طرفة عين ، فسد قلبك ، وصار كالحوت إذا فارق الماء ، ووضع في المقلّة ، فحال العبد عند مفارقة قلبه لما جاء به الرّسل ، كهذه الحال ، بل أعظم ، ولكن لا يحسُّ بهذا إلا قلب حي » (١) .

فالأنبياء والمرسلون ما جاؤوا إلا لهداية البشر وإسعادهم وتعريفهم بخالقهم وتعويدهم على الأخلاق الزكية وإبعادهم عما فيه شقاوتهم وضررهم في الدنيا والآخرة فهم جميعاً يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، ونبذ ما سوى ذلك من المعبودات منفقون على الدّعوة إلى الإسلام بكل ما فيه من سمو خلقي وارتقاء عقلي ونبيل إنساني يقول الله تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كلّ أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ (٢) .

ومعلوم أن أفراد الله تعالى بالعبادة حياة لقلوب الأفراد والجماعات ، ونورٌ وضياءٌ للأسماع والأبصار والعقول ، ولا يتم ذلك إلا عن طريق الرسالة ، كما أشار

(١) - " زاد المعاد في هدي خير العباد " لابن قيم الجوزية ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، عبدالقادر الأرنؤوط ط/٢٦ ، ١٤١٢هـ ، (٦٩/١) ، طبعة مؤسسة الرسالة .

(٢) - سورة النحل ، الآية : (٣٦) .

إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - ؛ حيث قال : « .. والرّسالة روح العالم ونوره وحياته ، فأبى صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور ؟ والدنيا مظلمة ملعونة إلا ما طلعت عليه شمس الرّسالة ، وكذلك العبد ما لم تشرق في قلبه شمس الرّسالة ، ويناله من حياتها وروحها فهو في ظلمة ، وهو من الأموات ، قال الله تعالى : ﴿ أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ﴾ (١) فهذا وصف المؤمن كان ميتاً في ظلمة الجهل ، فأحياه الله بروح الرّسالة ونور الإيمان ، وجعل له نوراً يمشي به في الناس ، وأمّا الكافر فميت القلب في الظلمات » (٢) .

والله عز وجل يقول مخاطباً رسوله ﷺ وممتناً عليه وعلى المؤمنين : ﴿ أَلر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد ﴾ (٣) .

وقد بعث الله تعالى في كل أمة رسولا ليرشدهم إلى عبادته وتوحيده ، وأيدهم بما شاء من المعجزات الحسية الباهرة التي تدل على صدق نبوته ، من انشقاق القمر ، ونطق الجماد وانقياده له ﷺ ، ونطق الحيوان وشهادته له بالنبوة ، وتكثير القليل وحصول البركة فيه ، واستجابة دعائه ﷺ ، إلى غير ذلك من المعجزات الحسية التي عن طريقها أسلم الكفار المعاندون ، وزال الشك والرّيب من قلوب الشاكين والمترددين ، وازداد بها أهل الإيمان والتصديق ، إيماناً وتصديقاً وحباً ويقيناً ، وإليك بعض الأمثلة والشواهد ، وبيان المنهج الحسي من خلالها :

(١) - سورة الأنعام ، جزء من الآية : (١٢٢) .  
 (٢) - ينظر : " مجموع الفتاوى " لشيخ الإسلام ابن تيمية ، طبع بأمر خادم الحرمين الشريفين ، الرئاسة العامة لشؤون الحرمين ، بدون ذكر الطبعة وتاريخها ولا دار النشر (٩٣/٩ - ٩٦) .  
 (٣) - سورة إبراهيم ، الآية : (١) .

## المسلك الأول : انشاق القمر ودلالته على نبوة محمد ﷺ

إذا تأملت في أرجاء هذا الكون الفسيح وما خلق الله فيه من الأجرام والكواكب والنجوم وهي تسبح في الفضاء بانتظام دقيق علمت أن الله لم يخلقها عبثاً ، وأن ذلك يدل على عظمته سبحانه وحسن تدبيره ، يقول عز وجل : ﴿ وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون ﴾ (١) . ويقول أيضاً : ﴿ وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين \* ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ (٢) .

والقمر من آيات الله التي تبعث على التفكير والتأمل ومن ثم الشكر لله على المنافع الكثيرة التي يعود خيرها على الإنسان وغيره من المخلوقات ، يقول جلّ وعلا : ﴿ وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ... ﴾ (٣) .

ويقول سبحانه : ﴿ هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ﴾ (٤) ما خلق الله ذلك إلى بالحق يُفصّل الآيات لقوم يعلمون ﴾ (٥) .

(١) - سورة الأنبياء ، الآية : (٣٣) .

(٢) - سورة الدخان ، الآيتان : (٣٨ ، ٣٩) .

(٣) - سورة الإسراء ، جزء من الآية : (١٢) .

(٤) - يقول الإمام الشوكاني في " تفسيره " : " فإن في العِلْم بعدد السنين من المصالح الدينية والدنيوية ما لا يحصى ، وفي العلم بحساب الأشهر والأيام والليالي من ذلك ما لا يخفى ، ولو لا هذا التقدير الذي قدره الله سبحانه لم يعلم الناس بذلك ولا عرفوا ما يتعلق به كثير من مصالحهم ، والسنة تتحصل من اثني عشر شهراً ، والشهر يتحصل من ثلاثين يوماً إن كان كاملاً ، واليوم يتحصل من ساعات معلومة هي أربع وعشرون ساعة لليل والنهار ... ينظر : " فتح القدير " (٤٨٤/٢) دار الخير ، بيروت ، ط : ١ ، ١٤١٣هـ ، وقد أثبت العلم الحديث : أن القمر جرم غير منير بذاته ولكن يستمد نوره بالانعكاس من الشمس المضيئة بذاتها ، ليعكسه بدوره إلى الأرض ، وأن له دورتين ، دورة حول نفسه ودورة حول الأرض ولكن الله قضى أن يتم الدورتين في وقت واحد ، وأن يبقى متجهاً بأحد وجهيه إلى الأرض فلا نرى وجهه الثاني أبداً وذلك أن الأرض تتم دورتها حول نفسها في يوم كامل وتتم دورتها حول الشمس في سنة كاملة تدور فيها على نفسها ٣٦٥ دورة ، أما القمر فيتم دورته حول نفسه وحول الأرض معاً في مدة شهر قمري واحد ، أي أنه في المدة التي يدور بها حول الأرض لا يدور على نفسه إلا مرة واحدة يتجه بها دائماً بوجه واحد نحو أمة الأرض لا يوليها ظهره أبداً ... ، ومن الأسرار العلمية التي عرفت عن القمر ؛ أنه لو كانت المسافة بينه وبين الأرض أقل مما هي أو أكثر ، أو كان حجمه أكبر مما هو أو أصغر ، أو كانت دورته أطول أو أقصر لاختل هذا النظام كله ، بل ربما زال القمر كله ، لأنه لو قرب من الأرض لزاد جذبته فأصبح المد على الأرض طاغياً يغمر اليابسة كلها ، وأن تزايد هذا القرب جذبته الأرض فوقع عليها ولو بعد عن الأرض لتعطل عمل المد والجزر بقلة الجذب ، وهكذا تظهر حكمة الله وبديع صنعه في دقة خلق هذا الكون العظيم الذي تشهد كل ذرة من ذراته على خالقها ومقدرها ، قال تعالى : ﴿ وخلق كل شيء فقدره تقديراً ﴾ الفرقان : الآية (٢) . ينظر : " تفسير الآيات الكونية " للدكتور عبدالله شحاته (ص/٣٠٥ - ٣٠٦) بتصريف يسير ، دار الاعتصام .

(٥) - سورة يونس ، الآية : (٥) .

وقد كان انشقاق القمر آية دالة على نبوة محمد ﷺ ، وقد تواتر الخبر بذلك من صحيح السنة النبوية بروايات متعددة نقتصر منها على ما يُبين المقصود مع بيان المنهج الحسي من خلال ذلك :

فعن أنس بن مالك - (١) - : أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يرِيهم آية فأراهم القمر شقيين ، حتى رأوا حراء بينهما (٢) .

وعن عبدالله بن مسعود - (٣) - قال بينما نحن مع رسول الله ﷺ بمنى ، إذا انفلق القمر فلقتين ، فكانت فلقة وراء الجبل ، وفلقة دونه ، فقال لنا رسول الله ﷺ : « اشهدوا » (٤) .

وفي رواية له أيضاً : انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فلقيتين ، فستر الجبل فلقة ، وكانت فلقة فوق الجبل ، فقال رسول الله ﷺ « اللهم اشهد » (٥) .

لقد لاقى رسول الله ﷺ من المشركين أنواعاً شتى من صنوف الأذى والتكذيب والإعراض والصد عن دينه ، ومن أيسر ذلك ما كانوا يتفنونون فيه من سؤاله ، الآيات التي لا يقدر على مثلها البشر ، ولم تكن اقتراحاتهم للآيات التي يطلبونها من رسول الله ﷺ من أجل معرفة الحق ، وإنما كانت للتعنّت والتعجيز ، ولذا يقول الله تعالى عنهم : ﴿ وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها ﴾ (٦) . ويقول : ﴿ وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ﴾ (٦) .

(١) - هو : أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب ، أبو حمزة الأنصاري الخزرجي ، خادم رسول الله ﷺ ، وأحد المكثرين من الرواية عنه ، خدم رسول الله ﷺ عشرين سنين ، دعاه له الرسول ﷺ فقال : " اللهم أكثر ماله وولده ، وبارك له فيه " ، قال أنس : فلقد دفنت من صليبي سوى ولد ولدي مائة وخمسة وعشرين ، وإن أرضي لتثمر في السنة مرتين ، توفي سنة اثنتين وتسعين ، وقيل : ثلاث وتسعين ، وقد تجاوز المائة . ينظر : " الإصابة " ( ٢٧٥ - ٢٧٨ ) ، تهذيب التهذيب " ( ١ / ٢٩٦ - ٢٩٧ ) ، " تقريب التهذيب " ( ص / ١٥٤ ) .

(٢) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب مناقب الأنصار ، باب : انشقاق القمر ، ( ١١٨١ / ٣ ) ، ح ( ٣٨٦٨ ) ، واللفظ له ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب صفات المنافقين ، باب انشقاق القمر ( ١٧١٢ / ٤ ) ح ( ٢٨٠٢ ) .

(٣) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب مناقب الأنصار ، باب انشقاق القمر ، ( ١١٨١ / ٣ ) ح ( ٣٨٦٩ ) ، والإمام مسلم في " صحيحه " ، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب انشقاق القمر ( ١٧١٢ / ٤ ) ح ( ٢٨٠٠ ) واللفظ له .

(٤) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب انشقاق القمر ( ١٧١٢ / ٤ ) ح ( ٤٥ / ٢٨٠٠ ) .

(٥) - سورة الأعراف ، جزء من الآية : ( ١٤٦ ) .

(٦) - سورة القمر ، الآية : ( ٢ ) .

وقال سبحانه : ﴿ ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون \* لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون ﴾ (١) .

ومن بين الآيات التي طلبوها على سبيل التعنت شق القمر نصفين ليبيروهن بها على صدق نبوته ﷺ ، وقد كان عليه الصلاة والسلام حريصاً على هداية قومه ، وإنقاذهم من الشرك والكفر وما هم فيه من الضلال ، فاتجه إلى الله تعالى وطلب منه سبحانه أن يؤيده بأية حسية واضحة يرونها بأعينهم لعلها تكون سبباً في إيمانهم فاستجاب الله لنبيه ﷺ ففلق له القمر فلقين وهم يشاهدونه بأعينهم ، ومع ذلك لم يشأ الله هدايتهم ؛ بل زادهم ذلك إعراضاً واستكباراً ، أمّا أهل الإيمان والتصديق من صحابة رسول الله ﷺ فزادهم إيماناً و يقيناً بصدق نبيهم ﷺ .

وبعد فإنّ هذا الحدث العظيم ، والتغير الكوني الرهيب ، والمشهد الحسي المثير لدليل مقنع لمن أراد الله هدايته ، لأنها معجزة عظيمة يتبين لأصحاب العقول السليمة أنّه لا يمكن أن يقدر على ذلك بشر ، إنما ذلك تأييد من الله تعالى وبرهان واضح على صدق نبيه ﷺ ، وقد ذكر بعض العلماء أن معجزة انشقاق القمر من أكبر معجزاته ﷺ ، يقول القاضي عياض - رحمه الله - : « انشقاق القمر من أمّهات معجزات نبينا ﷺ » (٢) .

ويقول الإمام الخطابي (٣) - رحمه الله - « انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعدلها شيء من آيات الأنبياء ، ولذا اختص بها سيدهم ، وذلك أنّه ظهر في ملكوت السماوات خارجاً عن جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطبائع ، فليس مما يُطمع في الوصول إليه بحيلة ، فلذلك صار البرهان به أظهر من غيره » (٤) .

(١) - سورة الحجر ، الآية : (١٤ ، ١٥) .

(٢) - ينظر : " شرح النووي لصحيح مسلم " (١٤٣/١٧) .

(٣) - هو : حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي ، أبو سليمان ، من أهل بُست ، " من كابل " من نسل زيد بن الخطاب أخي عمر بن الخطاب ، ومن مؤلفاته : " معالم السنن " شرح سنن أبي داود ، " تفسير أحاديث الجامع الصحيح للبخاري " . توفي في بُست في رباط على شاطيء ( هند مند ) عام ٣٨٨ هـ . ينظر : " تذكرة الحفاظ " للإمام الذهبي (١٠١٨/٣) دار إحياء التراث ، بيروت - لبنان ، " الأعلام " (٢٧٣/٢) ، " معجم المؤلفين " (٧٤/٤) .

(٤) - ينظر : " شرح النووي لصحيح مسلم " (١٤٣/١٧) .

### المسلك الثاني : نطق الجماد وانقياده للرسول ﷺ

يرى بعض الناس أن دور الجماد ، من أحجار وأشجار وأنهار وبحار وغيرها إنما هو نفع الإنسان فحسب ، وليس الأمر كذلك ، لأن الله خلق الجمادات لحكم كثيرة ، فهي تسبح بحمد الله وتقده ، كما أن الكون كله يسبح بحمد الله ، قال تعالى: ﴿ تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً ﴾ (١) .

ومن إكرام الله تعالى لنبيه محمد ﷺ إنطاق الجماد ليشهد له بالنبوة والرسالة ، ومن ذلك :

#### أولاً : بكاء النخلة على فراق رسول الله ﷺ

عن جابر بن عبدالله (٢) - رضي الله عنه - أن امرأة من الأنصار قالت لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ، ألا أجعل لك شيئاً تقعد عليه ؟ فإن لي غلاماً ، قال : « إن شئت » فعملت له المنبر ، فلما كان يوم الجمعة قعد النبي ﷺ على المنبر الذي صنع فصاحت النخلة التي كان يخطب عليها حتى كادت أن تنشق فنزل ﷺ حتى أخذها فضمها إليه ، فجعلت تنن (٣) أنين الصبي الذي يسكت حتى استقرت . قال : « بكت على ما كانت تسمع من الذكر » (٤) .

مما هو معلوم أن المنهج الحسبي يثير شعور السامعين ، وذلك لاعتماده على حاسة من هذه الحواس التي هي نعمة من نعم الله على الإنسان ، والإثارة الحسية في الحديث تخاطب حاستي السمع والبصر ، وهما أقوى وأسرع الحواس في التأثير ولفت الانتباه .

وقد كانت الإثارة الحسية في حديث جابر بن عبدالله - رضي الله عنه - بليغة ومؤثرة جداً فالصحابة - رضي الله عنهم - يسمعون بأذانهم ويشاهدون بأعينهم أمراً معجزاً وحدثاً خارقاً للعادة .

(١) - سورة الإسراء ، الآية : (٤٤) .

(٢) - هو : جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة الأنصاري ، من المكثرين من الرواية عن النبي ﷺ ،

وروى عنه جماعة من الصحابة ، غزا مع الرسول ﷺ تسع عشرة غزوة ، وكانت له في آخر أيامه حلقة في المسجد النبوي ، وله في البخاري ومسلم ١٥٤٠ حديثاً ، توفي سنة ٧٨ هـ ، ينظر : " الإصابات " (٥٤٦/١) ، " سير أعلام النبلاء " (١٨٩/٣) ، " والأعلام " (١٠٤/٢) .

(٣) - " الأنين " : صوت المتألم للألم . ينظر : " التعريفات " للجرجاني ، (ص/٥٧) .

(٤) - أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " ، كتاب البيوع ، باب النجار ، (٦٢٣/٢) ، ح (٢٠٩٥) ، وفي كتاب المناقب ، باب : علامات النبوة ، (١١٠٨/٣) ح (٣٥٨٤) .

نخلة تصيح وتبكي وتئن أنين الصبي ، وكأنها إنسان عاقل يبكي على فراق حبيبه<sup>(١)</sup> .  
والرسول ﷺ عامل الجذع معاملة من يعقل فأخذ يدهده عليه ويضمه إليه  
ويُسكِّنه حتى هداً وسكن ، فيالها من أعجوبة باهرة ، وعلامة واضحة دالة على نبوة  
نبينا محمد ﷺ !؟

يقول محقق دلائل النبوة للأصبهاني : « وهي أظهر في الإعجاز من إحياء  
عيسى - عليه السلام - الموتى وأبلغ في الأعجوبة ؛ إذ الميت كان في الأصل حياً ،  
فعود الحياة إليه عوداً إلى ما كان قبلاً ، أمّا النباتات والجمادات فلم تك قبل محلاً  
للبياء والحنين ، بل هي دائمة الصمت ساكنة ، فظهورها بحال تخالف ما كانت عليه  
قبل من الصمت والسكون معجزاً أي إعجاز ، بديع أي إبداع ! »<sup>(٢)</sup> .

وكان من إكرام الله تعالى لنبيه عندما آذاه قومه وعشيرته في مكة أن أرسل إليه  
جبريل - عليه السلام - مسلماً ومثبناً له على ما أصابه من الهم والحزن بأية تدل على  
أنه نبي الله حقاً ، حتى لو قلاه قومه ، فإن ربه لم يتركه وما قلاه ، بل عنايته  
ورعايته تصحبانه في كل أحواله ﷺ ، فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : جاء  
جبريل - عليه السلام - ذات يوم إلى رسول الله ﷺ ، وهو جالس حزين ، قد خضب  
بالدماء . قد ضربه أهل مكة . فقال : « فعل بي هؤلاء ، وفعلوا » قال : أتصب أن  
أريك آية ؟ قال « نعم أرني » فنظر إلى شجرة من وراء الوادي . قال : ادع تلك  
الشجرة . فدعاها فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه . قال قل لها فترجع . فقال  
لها . فرجعت ، حتى عادت إلى مكانها . فقال رسول الله ﷺ « حسبي »<sup>(٣)</sup> .

### ثانياً : شهادة العذق للرسول ﷺ بالنبوة

عن عبدالله بن عباس - رضي الله عنه - قال جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ قال :  
وبما أعرف أنك نبي !؟ قال « إن دعوت الله هذا العذق<sup>(٤)</sup> من هذه النخلة أتشهد

- (١) - ينظر : " عبودية الكائنات لرب العالمين " تأليف : فريد إسماعيل التونسي (ص/ ٢٨٩ - ٢٩٠) مكتبة الضياء ، جدة ، ط : ١ ، ١٤١٣هـ .  
(٢) - حاشية " دلائل النبوة " لأبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني ، بتحقيق : مساعد بن سليمان الحميد ، (٣٩٦/١) ، دار العاصمة ، الرياض ، ط/ ١ ، ١٤١٢هـ .  
(٣) - أخرجه الإمام أحمد في " مسنده " (١٤٢/٣) ، ح (١٢٠٩٦) ، تحقيق محمود نصار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط : ١ ، ١٤١٩هـ ، والإمام ابن ماجه في " سننه " كتاب الفتن ، باب الصبر على البلاء (٤١٤/٤) ح (٤٠٢٨) ، وصححه الشيخ الألباني في كتابه " صحيح ابن ماجه " (٣١٨/٣) ح (٣٢٧٠) .  
(٤) - العذق : بكسر العين وهو العرجون بما فيه من الشماريخ وهي بمنزلة العنقود من العنب ، وبالفتح - العذق - : النخلة ، والمراد به في الحديث الأول ، ينظر : " غريب الحديث " لابن الجوزي وثقه وخرجه أحاديثه وعلق عليه ، د . عبدالمعطي أمين قلعجي ، (٧٧/٢) مادة (عذق) ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط : ١ ، ١٤٠٥هـ .



أني رسول الله « فجعل ينزل من النخلة حتى سقط إلى النبي ﷺ ثم قال : « ارجع » فعاد فأسلم الأعرابي (١) .

المشهد الحسي في الحديث يعتمد على الرؤية والمشاهدة ، أعرابي يأتي إلى رسول الله ﷺ ويطلب منه آية واضحة مقنعة تدل على صدق دعوته ونبوته ﷺ ويلتفت رسول الله ﷺ إلى الأعرابي ، فيقول : « إن دعوت الله العذق من هذه النخلة تشهد أنني رسول الله » إنه سؤال من رسول الله يفيض رحمة وحرصاً على هدايته وإنقاذه من النار ، ويتجه ﷺ إلى ربه سائلاً إياه أن يمده بآية تكون سبباً في إسلام هذا المدعو ، فجاء المدد من ربه ، ودعا العذق فأخذ ينزل من النخلة رويداً رويداً حتى استقر عند رسول الله ﷺ ، ثم خاطبه مرة ثانية فقال له : « ارجع » فأخذ في الصعود إلى النخلة حتى استقر بمكانه ، كل ذلك يحدث ، والأعرابي يلاحظ بعينيه ذلك المشهد الذي لا يمكن أن يحصل إلا لنبي عنده مدد وتأييد من ربه عندها أعلن الأعرابي إسلامه بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً بن عبد الله نبي الله ورسوله ، عن رضى وقناعة .

وهناك أمثلة مماثلة في هذا الموضوع تشهد وتؤيد ما سبق بيانه ، فعن يعلى بن مره (٢) ، قال . كنت مع النبي ﷺ في سفر فأراد أن يقضي حاجته ، فقال لي : « انت تلك الأشاءتين » ، ( قال وكيع (٣) يعني النخل الصغار ) . « فقل لهما : إن رسول الله ﷺ يأمركما أن تجتمعا » . فاجتمعا . فاستتر بهما . فقضى حاجته ، ثم قال لي : « انتهما ، فقل لهما : لترجع كل واحدة منكما إلى مكانها » فقلت لهما فرجعنا (٤) .

(١) - أخرجه الإمام الترمذي في " السنن " ، كتاب المناقب ، باب في آيات إثبات نبوة النبي ﷺ ، (٥/٥٩٤) ، ح (٣٦٢٨) ، وأخرجه الحاكم في المستدرک كتاب : التاريخ ، باب نزول العذق من النخلة ، (٢/٦٢٠) وقال : ( صحيح على شرط مسلم ) وأقره الذهبي .

(٢) - هو : يعلى بن مره بن وهب بن جاء بن عقاب بن مالك بن سعد بن عوف بن تقيف الثقفي ، أبو المرارم شهد خيبر ، وبيعة الشجرة ، والفتح ، وهوازن والطائف ، كان من أفاضل الصحابة ، روى عن النبي ﷺ ، وعن علي ، أمره النبي ﷺ بأن يقطع أعناب تقيف فقطعها ، كان من أصحاب علي ، سكن الكوفة ، وقيل البصرة - ﷺ - ينظر : " أسد الغابة " (٥/١٢٩) ، " الإصابية " (٦/٥٤٠) .

(٣) - هو : وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي ، أبو سفيان ، من الحفاظ ، وكان محدث العراق في عصره ، ولد بالكوفة ، عرض الرشيد له قضاء الكوفة فامتنع ورعاً ، وكان يصوم الدهر . من مصنفاته : " تفسير القرآن " ، " السنن " ، توفي في طريقه راجعاً من الحج عام ١٩٧هـ . ينظر : " تذكرة الحفاظ للذهبي " (١/٣٠٦) ، دار إحياء التراث ، بيروت - لبنان ، " سير أعلام النبلاء " (٩/١٤٠) ، " الأعلام " (٨/١١٧) .

(٤) - أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه ، كتاب الطهارة ، باب الارتياح للغائط والبسول (١/١٩٦) ح (٢٧٤) . وصححه الشيخ الألباني في صحيح ابن ماجه (١/١٢٣) ح (٢٧٦) .

وروى مسلم من حديث جابر الطويل قال : سرنا مع رسول الله ﷺ حتى نزلنا وادياً أفيح <sup>(١)</sup> فذهب رسول الله ﷺ يقضي حاجته فاتبعته بإداوة من ماء ، فنظر رسول الله ﷺ فلم ير شيئاً يستتر به فإذا شجرتان بشاطئ الوادي فانطلق رسول الله ﷺ إلى إحداهما - فأخذ بغصن من أغصانها فقال : « انقادي علي ياذن الله » فانقادت معه كالبعير المخشوش <sup>(٢)</sup> الذي يُصانع قائده حتى أتى الشجرة الأخرى ، فأخذ بغصن من أغصانها فقال : « انقادي علي ياذن الله » ، فانقادت معه كذلك حتى إذا كان بالمنصف مما بينهما لأمَ بينهما ( يعني جمعهما ) فقال : التتما علي ياذن الله فالتأمتا ، قال جابر : فخرجت أخضِرُ مخافة أن يُحسُّ رسول الله ﷺ بقربي فيبتعد ، فجلست أحدث نفسي ، فحانت مني لفتة فإذا أنا برسول الله ﷺ مقبلاً وإذا الشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق فرأيت رسول الله ﷺ وقف وقفة فقال برأسه هكذا ( وأشار أبو اسماعيل برأسه يمينا وشمالاً ) ثم أقبل ، فلما انتهى إليَّ قال : « يا جابر هل رأيت مقامي ؟ » قلت : نعم يا رسول الله ... » <sup>(٣)</sup> .

إن في هذه الآيات والدلائل لعبرة لأولي الأبواب ، فالمؤمن عندما يسمع ويقرأ هذه النصوص عن رسول الله ﷺ ، يزداد إيماناً بالله ، وحباً لرسوله ﷺ ، ويعلم يقيناً أنه نبي الله حقاً ، لا يماري في ذلك إلا من أعمى الله بصره وبصيرته ، وأضله الله على علم فنعوذ بالله من الخذلان .

### ثالثاً : تسبيح الحمص في يده الشريفة ﷺ

عن جبير بن نفير <sup>(٤)</sup> عن أبي نر <sup>(٥)</sup> - ﷺ - قال : « إني لشاهد عند النبي ﷺ في

- (١) - وادياً أفيح : أي واسعاً ، ينظر : " شرح الأبي على صحيح مسلم " ، (٤٨٧/٩) .
- (٢) - ( كالبعير المخشوش ) : هو الذي يجعل في أنفه خشاش والخشاش عود يجعل في أنف البعير الصعب وفيه حبل ينقاد به وهو مع ذلك يتمنع فإذا ألمه العود انقاد . ينظر : " المرجع السابق " (٤٨٧/٩) .
- (٣) - " صحيح مسلم " كتاب الزهد والرفائق ، باب حديث جابر الطويل ، وقصة أبي اليسر ، (١٨٢٢/٤) ، ح (٣٠١٢) .
- (٤) - هو : جبير بن نفير بن مالك بن عامر الحضرمي الحمصي ، أبو عبدالرحمن ، وقيل : أبو عبدالله الحمصي ، أدرك زمان النبي ﷺ ، وكان جاهلياً أسلم في خلافة أبي بكر الصديق ، يُعدُّ من كبار تابعي أهل الشام ، ثقة ، يقول النسائي : ليس أحد من كبار التابعين أحسن رواية عن الصحابي من ثلاثة قيس بن أبي حازم ، وأبي عثمان النهدي ، وجبير بن نفير ، توفي سنة (٧٥هـ) وقيل : سنة (٨٠هـ) . ينظر : " تهذيب التهذيب " (٤٢١/١) ، " تقريب التهذيب " (ص/١٩٥) .
- (٥) - هو : أبو نر الغفاري ، الصحابي المشهور ، بالزهد ، وصدق اللهجة ، اختلف في اسمه واسم أبيه ، والمشهور أنه جندب بن جنادة بن سكن ، كان من السابقين إلى الإسلام ، وقصة إسلامه مشهورة ، وثابة في الصحيحين ، كان الرسول ﷺ يبتدئ أبانر إذا حضر ، ويتفقده إذا غاب ، مناقبه كثيرة جداً ، توفي بالربيعة سنة إحدى وثلاثين ، وقيل : اثنتين وثلاثين في خلافة عثمان بن عفان - ﷺ - وصلى عليه عبدالله بن مسعود ينظر : " الإصابة " (١٠٥/١ - ١٠٩) ، " تهذيب التهذيب " (٣٣٥/١) .

حلقته (١) ، وفي يده حصي فسبّحن في يده ، وفينا أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ؛ فسمع تسبيحهن من في الحلقة ، ثم دفعهن النبي ﷺ إلى أبي بكر فسبّحن مع أبي بكر ، سمع تسبيحهن من الحلقة ؛ ثم دفعن إلى النبي ﷺ فسبّحن في يده ، ثم دفعهن النبي ﷺ إلى عمر فسبّحن في يده وسمع تسبيحهن من في الحلقة ، ثم دفعهن النبي ﷺ إلى عثمان بن عفان فسبّحن في يده ، ثم دفعهن إلينا فلم يسبّحن مع أحد منا » (٢) .

لقد بين الله أن كل المخلوقات تُسبّح بحمده ونحن على يقين من أنّها تسبّح الله سبحانه لكن لا ندرك حقيقة هذا التسبيح ، إذ لا نسمعه فإذا سبّحت الحصى وتكلمت بكلام واضح يسمعه الحاضرون ، وكأنّ لها لساناً وشفيتين كان ذلك دليلاً على قدرة الله الحي القيوم سبحانه في إنطاق الحصى ، ولتكون دلالة بينه على بعثه ونبوة نبينا محمد ﷺ .

وهذه الآية البينة شبيهة بتسبيح الجبال مع داود - عليه السلام - قال تعالى : ﴿ إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴾ (٣) . تسبيح مقال على الصحيح من أقوال أهل العلم (٤) .

ويقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله (٥) - : « والتحقق أن تسبيح الجبال والطير مع داود - عليه السلام - المذكور ، تسبيح حقيقي لأن الله جل وعلا يجعل

(١) - الحلقة : جمعها ( حلق ) ، وهي الجماعة من الناس مستديرون كحلقة الباب وغيره . " النهاية في غريب الحديث " (٤٢٦/١) مادة ( حلق ) .

(٢) - أخرجه أبو القاسم الطبراني في " المعجم الأوسط " (١٤٢/٢) ح (١٢٦٦) وقال : " لم يرو هذا الحديث عن داود إلا حميد ، تفرّد به الجارودي عن أبيه " وأخرجه أبو نعيم في " دلائل النبوة " (٥٥٥/٢) من طريق الطبراني هذا عن أحمد بن محمد بن صدقة ، ومن طريق أحمد بن يوسف الضحاك ، كلاهما عن المنذر بن الوليد الجارودي به نحوه ، وذكر الهيثمي في " مجمع الزوائد " (١٧٩/٥) ، (٢٩٩/٨) طرق هذا الحديث من " المسند " للبراز ، ومن " المعجم الوسيط " للطبراني ، وقال في أحد تلك الطرق : " إسناده صحيح " ، قال محقق " دلائل النبوة " لأبي القاسم إسماعيل الأصبهاني : (٤٠٩/١) " وأحسبه عن طريق الطبراني المتقدم آنفاً ، فإنّ إسناده صحيح " .

(٣) - سورة ص ، الآية : (١٨) .

(٤) - ينظر : " الجامع لأحكام القرآن " للقرطبي (١٠٥/١٥) .

(٥) - هو : الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي الجكني ، العالم القرآني ، ولد عام ١٣٢٥هـ في (تنبيه) في موريتانيا ، حفظ القرآن على خاله ولم يتجاوز العاشرة من سنه ، وتلقى مختلف العلوم كالنحو والصرف والبلاغة والأصول والتفسير وفنون الحديث من عائلته المعروفة بالعلم والفقّه ، ثم تطلّع بعد ذلك في علم المنطق وأصول البحث والمناظرة . ثم هاجر إلى بلاد الحرمين ، واستقر بالمدينة المنورة ، واشتغل بالتدريس ، من مؤلفاته الشهيرة : " أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن " ، " أدب البحث والمناظرة " . ينظر : " علماء ومفكرون عرفتهم " (١٧١/١) محمد المجذوب يرحمه الله ، دار الاعتصام ، ط : ٣ بدون ذكر تاريخ الطبعة .

لها إدراكات تسبّح بها يعلمها هو جلّ وعلا ونحن لا نعلمها كما قال تعالى : ﴿ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ (١) (٢) .

وتسبيح الجبال آية على نبوة داود - عليه السلام - لكن ما وقع لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم أبلغ إعجازاً ودلالة ، يقول الإمام ابن كثير - رحمه الله : « ولا شك أن صدور التسبيح من الحصى الصغار الصم التي لا تجاوب فيها أعجب من صدور ذلك من الجبال لما فيها من التجاوب والكهوف ، فإنها وما شاكلها تُردّد صدى الأصوات العالية غالباً ، كما كان عبدالله بن الزبير (٣) ، كان إذا خطب وهو أمير المدينة بالحرم الشريف تجاوبه الجبال ؛ ولكن من غير تسبيح فإن ذلك من معجزات داود - عليه السلام - ؛ ومع هذا كان تسبيح الحصى في كف رسول الله وأبي بكر وعمر وعثمان أعجب » (٤) .

وغاية القول أن الله تعالى أنطق الحصى الصم لتكون علامة بينة على صدق نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ليزداد الذين آمنوا إيماناً ، وتقوم الحجة على الجاحدين المنكرين لنبوته من أهل الكتاب والمشركين وغيرهم .

- (١) - سورة الإسراء ، جزء من الآية : (٤٤) .  
 (٢) - ينظر : " أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن " تأليف : محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ، طبعة الرئاس العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، المملكة العربية السعودية ، عام ١٤٠٣ هـ بدون تحديد رقم الطبعة .  
 (٣) - هو : عبدالله بن الزبير : بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى القرشي الأسدي ، أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق ، ذات النطاقين ، ولد عام الهجرة ، وحكاه النبي صلى الله عليه وسلم ، وكناه بكنيته ، روى عن أبيه ، وعن أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وخالته عائشة ، وغيرهم . وهو أحد العبادلة ، وأحد الشجعان من الصحابة ، وأحد من ولي الخلافة منهم ، ببيع بالخلافة سنة أربع وستين ، عقب موت يزيد بن معاوية ، وأرسل إلى أهل الأمصار يبايعهم فبايعوه إلا بعض أهل الشام ، وبعد موت مروان ، قام عبدالله بن مروان فغلب على العراق ، وقتل مصعب بن الزبير ، وجهاز الحجاج لقتال عبدالله بن الزبير فقاتله إلى أن قتل في جمادى الأولى سنة (٧٣هـ) . ينظر : " أسد الغاية في معرفة الصحابة " (١٦١/٣ - ١٦٤) ، " الإصابة " (٧٨/٤ - ٨٢) .  
 (٤) - ينظر : " البداية والنهاية " لابن كثير ، (٢٨٦/٦) .

### المسلك الثالث : نطق الحيوان ودلالته على نبوة محمد ﷺ

إن السباع والجمال وبقية الحيوانات من ضمن الدواب والكائنات التي تسبح بحمد الله تسبيحاً لا نفقهه ، وتسجد لله سجوداً لا نعلم كيفيته ، وتتخاطب فيما بينها بلغات لا نفهما ، فسبحان من ألهمها ذلك ، يقول تعالى : ﴿ ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون ﴾ (١) .

فإنه جل وعلا يخبر عن سجود دواب الأرض ، وهي من جملة الكائنات المخلوقة التي تعترف بعظمة خالقها وقدرة صانعها فتخضع وتذل لجلاله .

وبين الرسول ﷺ إشفاق الدواب وخوفها من يوم الجمعة ، لقيام الساعة فيه ، وكأنها تتربص وقوعه ، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال : « ما من دابة إلا وهي مصيخة (٢) يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقاً من الساعة إلا الجن والإنس ... » (٣) .

إن إلهام الله تعالى لهذه الدواب ما غاب عن الإنسان علمه من خاصية يوم الجمعة وما يحدث فيه من قيام الساعة ، وخشيتها من ذلك ، ويبين أنها مخلوقة ومربوية لله عز وجل ، لكن أن يأتي بعض هذه الدواب ، ويتكلم بكلام الإنس ، بل ويشهد لنبينا محمد ﷺ بالنبوة ، فهذا أمر معجز ومخالف للعادة والمألوف ، ومثير لكوامن نفس الإنسان وأحاسيسه ، ولعلي أكتفي بضرب مثالين على نطق الحيوان ، مع بيان المنهج الحسي من خلالهما :

- (١) - سورة النحل ، الآية : (٤٩) .
- (٢) - " مصيخة " : منصته ومستمه مشقة تتوقع قيام الساعة ، ينظر : " مشارق الأنوار على صحاح الآثار " (٦٦/٢) مادة صيخ .
- (٣) - أخرجه الإمام أحمد في " مسنده " ، (٦٤٢/٢) ، ح (١٠٢٨٢) ، والإمام أبو داود في " سننه " كتاب الصلاة ، باب تفرغ أبواب الجمعة (٦٣٤/١) ، ح (١٠٤٦) ، والإمام المحدث الحافظ أبو عبد الرحمن أحمد بن شيب بن علي بن سنان الخراساني النسائي في " سننه " بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي كتاب الصلاة ، باب الساعة التي يستجاب فيها الدعاء يوم الجمعة ، (١٠٠/٣) ح (١٤٢٩) دار المعرفة ، بيروت - لبنان - ط : ٣ ، ١٤١٤هـ . وصححه الشيخ الألباني في " صحيح النسائي " (٤٥٨/١) ، ح (١٤٢٩) مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط : ١ ، ١٤١٩هـ . ، وينظر أيضاً : " صحيح الترغيب والترهيب " (ص / ٢٩٣) ، ح (٦٩٩) للحافظ المنذري ، إختصار وتحقيق الشيخ الألباني . المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط/٢ ، ١٤٠٦هـ .

### أولاً : نطق الذئب وملائته على نبوة محمد ﷺ

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : جاء ذئبٌ إلى راعي الغنم ، فأخذ منها شاةً فطلبه الرَّاعي حتى انتزعها منه ، قال فصعد ذئبٌ على تلٍّ ، فألقى <sup>(١)</sup> ، واستنفر <sup>(٢)</sup> ، فقال : عمدت إلى رزق رزقيهِ الله عز وجل أنتزعتهُ مِنِّي . فقال الرَّجُلُ : تالله إن رأيتُ كالْيَوْمِ ذئباً يتكلم ! قال الذئبُ : أعجب من هذا رجلٍ في النَّخَلاتِ بين الحرثين <sup>(٣)</sup> يخبركم بما مضى وبما هو كائن بعدكم - وكان الرجل يهودياً - فجاء الرجل إلى النبي ﷺ ، وأخبره ، فصدقه النبي ﷺ ، ثم قال النبي ﷺ : « إنَّها أمانة من أمارات بين يدي الساعة ، قد أوشك الرَّجُلُ أن يخرج فلا يرجع حتى تحدِّثه نعلاه وسوطه ما أحدث أهلُه بعده » <sup>(٤)</sup> .

الأمر المعجز في النَّصِّ ، يُثير حاستي السَّمع والبصر ، عند الرَّاعي ، وهذه الإثارة تجعله مشدوها أمام هذا المشهد الحسي العجيب ، ذئبٌ ليس من طبعه ولا من خلقته أن يتكلم بكلام الأدميين ، وفجأة يتكلم بكلام عربي يفهمه الراعي ، يُنكر فيه عليه صدّه عن أخذ رزقه الذي ساقه الله إليه ، بل يزيده ما هو أعجب ، رجل في المدينة يخبر الناس بأنباء الأمم الماضية وأحداث الأزمنة القادمة ، مما جعل ذلك الرَّاعي يقف متعجباً ومتسائلاً ، من أنطق الذئب ؟! ومن أعلمه بتلك الأخبار ؟ ، أسئلة تحتاج إلى بيان وتوضيح ، رجع الرَّاعي إلى المدينة وذهب إلى رسول الله ﷺ وقصَّ عليه الخبر ، فصدقه عليه الصلاة والسلام ، وكان الرَّجُلُ يهودياً فأسلم وأمره الرَّسول ﷺ أن يُحدِّث الناس بما رأى وسمع .

إن في كلام الذئب وشهادته لرسولنا ﷺ بالنبوة والرَّسالة ، وأنَّه يدعو الناس إلى الله تعالى لآية عظيمة ، ومعجزة كبرى دالة على رسالة نبينا محمد ﷺ وأنه رسول الله حقاً ؛ لا ينطق من عند نفسه ؛ إنما هو وحيٌ يوحى به من عند ربه ، لأنَّه ﷺ لا علم له بأحداث الأولين ، كما لا علم له بأنباء المرسلين السابقين ،

- (١) - " فألقى " ، الإلقاء : تقول ألقى الكلب إذا جلس على استه ، ينظر : " القاموس المحيط " (١٧٠٨) .
- (٢) - " استنفر " : أصلها استنفر ، فقلبت الراء المثناة ذالاً معجمة ، تقول : استنفر الكلب : إذا أدخل ذنبه بين فخذه حتى يلزقه ببطنه . ينظر : " ترتيب القاموس " (٤١٠/١) .
- (٣) - " الحرثين " : المقصود : حرَّة المدينة ، وهي أرض فيها حجارة سودٌ حول المدينة ، ينظر : " معجم البلدان " لياقوت الحموي (٢/٢٤٥) ، دار إحياء التراث العربي . بيروت ، ط/١ ، ١٤١٧هـ .
- (٤) - أخرجه الإمام أحمد في " المسند " ، (٤٠٤/٢) ح (٨٠٤٤) ، وصححه الشيخ الألباني ، وقال عنه : وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات رجال مسلم غير القاسم هذا ، وهو ثقة اتفاقاً ، ينظر : " السلسلة الصحيحة " (١٩٠/١ - ١٩١) ح (١٢٢) .

فكون الذئب يعلم أنه ﷺ رسول من عند الله ، وأنه يخبر الناس بأنبياء الأمم الماضية ، فهذا يعني أن الله هو الذي أجرى هذا الكلام على لسانه لإقامة الدليل الصادق على صدق رسالة نبيه محمد ﷺ ، وآية ذلك شهادة الذئب له بالرسالة ، وشهادته بأنه يخبر الناس بأنبياء من سبقه ، وكلنا يعلم أن للذئب وبقيّة الحيوانات السنة ، فيمكنها النطق والكلام لولا أن الله أجمها عن الكلام لأسرار خفيت علينا ، وإذا شاء الله إطلاقها أطلقها ، كما ثبت ذلك في كلام البقرة (١) . فقد جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ . قال : « بينما رجلٌ راكبٌ على بقرة التفتت إليه ، فقالت : لم أخلق لهذا ، خلقت للحراثة ، قال : آمنت به أنا وأبوبكر وعمر ، وأخذ الذئبُ شاة فتبعها الراعي فقال الذئب : من لها يوم السبع ، يوم لا راعي لها غيري ، قال آمنت به أنا وأبوبكر وعمر » (٢) .

فالبقرة كَلّمت الرّجل وأنكرت عليه صنيعه وسوء استخدامه لها فلم تخلق للركوب والضرب ، إنما سخرها الله للحراثة ولأشياء أخرى لخدمته ، فسبحان من أنطقها وسخرها بحوله وقوته .

### ثانياً : سماع الرسول ﷺ شكوى الجمل

عن عبدالله بن جعفر (٣) - رضي الله عنه - قال : أردفني رسول الله ﷺ ذات يوم خلفه فأسرّ إليّ حديثاً لا أخبر به أحداً أبداً ، وكان رسول الله ﷺ أحبّ ما استتر به في حاجته هدفاً أو حائشاً (٤) نخل ، فدخل يوماً حائطاً من حيطان الأنصار ، فإذا جملاً قد أتاه فجرجر (٥) وذرفت عيناه .. فلما رأى النبي ﷺ حنّ وذرفت عيناه فمسح

(١) - ينظر : " معجزات النبي المختار من صحيح الأخبار " لابن خليفة عليوي ، (٨٢) ، بتصريف يسير ، طبعة دار الكتب العلمية - بيروت ، ط/١ ، عام ١٤١١هـ .

(٢) - أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " ، كتاب الحرث والمزارعة ، باب : استعمال البقر للحراثة ، (٦٩٢/٢) ، ح (٣٦٥٣) .

(٣) - هو : عبدالله بن جعفر بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم ، السيد العالم ، أبو جعفر القرشي الهاشمي ، الجواد بن الجواد ، ابن ذي الجناحين ، ولد بأرض الحبشة ، وأمّه أسماء بنت عميس الخثعمية ، من صغار الصحابة ، استشهد أبوه يوم مؤتة فكفله النبي ﷺ ، ونشأ في حجره وهو آخر من رأى النبي ﷺ وصحبه من بني هاشم ، وله وفادة على معاوية ، وعلى عبدالمك ، وكان كبير الشأن ، كريماً ، جواداً ، يصلح للإمامة ، كان أحد أمراء عليّ يوم صفين ، قيل : أنه توفي عام (٨٠هـ) ، وقيل غير ذلك ، ينظر : " الإصابة " (٣٥/٤ - ٣٩) ، " سير أعلام النبلاء " (٤٥٦/٣ - ٤٦٢) .

(٤) - " حائش " : الحائش جماعة النخل ، لا واحد له . ينظر : " القاموس المحيط " (ص/٧٦٢) .

(٥) - " فجرجر " : الجرجرة صوت يردّده البعير في حنجرته . ينظر : " غريب الحديث " لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي ، توثيق وتعليق ، د . عبدالمعطي أمين قلجعي (١٥٠/١) ، مادة (جرجر) ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط : ١ ، ١٤٠٥هـ .

رسول الله ﷺ سرّاته (١) ، وذفرّاه (٢) فسكن ، فقال : « من صاحب الجمل ؟ » فجاء فتى من الأنصار فقال : هو لي يا رسول الله ، فقال : « أما تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكها الله ؟ إنّه شكّا إليّ أنّك تُجيعه وتَدَبِّبُهُ (٣) » (٤) .

المدعوون وهم أصحاب رسول الله ﷺ يُشاهدون بأعينهم ويسمعون بأذانهم ، ويلاحظون ذلك المشهد الحسي المتحرك في غرابة ودهشة ، دأبّة من الدّواب تسرّع إلى رسول الله ﷺ لتشتكي إليه التّعَب والنصب وعدم الإحسان من صاحبها ، بكى الجمل بين يدي رسول الله ﷺ وسالت عيناه بالدموع وعرض الشكوى على الرسول ﷺ ، ففهمها رسول الله ، وأحضر صاحب الجمل وبين له مضمون الشكوى بأنّه يجيعه ويتعبه ويحمّله مالا يُطيق ، عندها وضع رسول الله ﷺ يده عليه رافة ورحمة به ، ولازال به حتى هدأ وسكن ، وأرجعه إلى صاحبه ذليلاً منقاداً .

ولا شك أن إسراع الجمل إلى رسول الله ﷺ بعدما رآه ، دليل على إدراكه ومعرفته أنّه رسول الله ، وكأنته وجد من يُنقذه من العذاب الذي هو فيه .

ومما يؤكد هذه الحقيقة أن جميع الكائنات بما فيها الدّواب تعلم نبوة نبينا محمد ﷺ إلا عصاة بني البشر وعصاة الجنّ ، فعن جابر بن عبدالله - رضي الله عنه - قال : أقبلنا مع رسول الله ﷺ من سفر حتى إذا دفعنا إلى حائط من حيطان بني النجّار فإذا فيه جمل لا يدخل الحائط أحد إلا شدّ عليه فذكروا للنبي ﷺ فجاء حتى أتى الحائط ، فدعا البعير ، فجاء واضعاً مشفره على الأرض حتى برك بين يديه ،

(١) - " سرّاته " : أي ظهره ، وسرّاة كل شيء ظهره وأعلاه . ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (٣٦٤/٢) مادة ( سري ) .

(٢) - " ذفرّاه " : الذفري بالكسر : العظم الشاخص خلف الأذن وهو مؤخرة رأس البعير أي الموضع الذي يعرق من قفاه . ينظر " القاموس المحيط " للفيروز آبادي (ص/٥٠٦) مادة : ذفر ، " معالم السنن " للخطابي ، وهو مطبوع بحاشية " سنن أبي داود " (٥٠/٣) دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، ط : ١ ، ١٣٩٤هـ .

(٣) - تدبّب : تتعبه . ينظر " القاموس المحيط " للفيروز آبادي ، (١٠٥) مادة : دأب .

(٤) - أخرجه الإمام أحمد في " المسند " (٢٥٢/١) ح (١٧٤٤) ، واللفظ له ، والإمام أبو داود في " سننه " كتاب الجهاد ، باب : ما يؤمر به من القيام على الدّواب والبهائم ، (٥٠/٣) ح (٢٥٤٩) ، وصححه الشيخ الألباني في " صحيح سنن أبي داود " (١١٠/٢) ح (٢٥٤٩) ، وأصل الحديث في " صحيح مسلم " كتاب فضائل الصحابة - ﷺ - ، باب فضائل عبدالله بن جعفر - ﷺ - ، (١٥٠٣/٤) ، ح (٢٤٢٩) .



فقال : « هاتوا خطاماً » فخطمه ، ودفعه إلى صاحبه ثم التفت فقال : « إنّه ليس شيء بين السماء والأرض إلا يعلم أنّي رسول الله إلا عاصي الجنّ والإنس » (١) .  
 إنّ هذه المعجزة الحسية ، والآية البينة النيرة على صدق نبوة محمد ﷺ ، كان لها أعمق الأثر في نفوس أصحاب رسول الله ﷺ ، فازدادوا بها يقيناً وحباً وتصديقاً وثباتاً ، واطمئناناً بأنهم على الحق ، وأن محمداً ﷺ نبيه صدقاً .

(١) - أخرجه الإمام أحمد في " مسنده " ، (٣/٣٩٤) ح (١٤٣١٦) ، والإمام الدارمي في " سننه " ، المقدمة ، باب : ما أكرم الله به نبيه من إيمان الشجر ، والبهائم والجن (١/١٦) ح (١٨) ، تحقيق الدكتور / مصطفى ديب البغا ، طبعة دار القلم - دمشق ، ط/١ ، ١٤١٢هـ ، والحديث إسناده " حسن " . ينظر : تحقيق الإسناد والحكم عليه : " حاشية مسند الإمام أحمد " (٢٢/٢٣٥ - ٢٣٦) تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، عادل مرشد ، هيثم عبدالغفور .

## المسلك الرابع : تكثير القليل وحصول البركة

معلوم أنّ ما حصل لرسول الله ﷺ من معجزات ودلائل حسية إنّما هو بإرادة الله تعالى إكراماً لنبيه ﷺ ، وإظهاراً لنبوته ، وتصديقاً لصحة ما يدعو إليه ، فقد كان يُؤتى بالطعام القليل الذي لا يكفي العشرة ، فيقول فيه ما شاء أن يقول فيكفي المئين من الناس ، وينضب الماء ويعطش الناس وما يبقى عندهم إلا القليل فيضع يده الشريفة في ذلك الإناء الصغير فيثور الماء من بين أصابعه أمثال العيون وقد حفلت السنة المطهرة بأمثلة كثيرة على هذا النوع من المعجزات الحسية الدالة على نبوة محمد ﷺ ، أورد بعضاً منها ، مع بيان المنهج الحسي من خلالها .

### أولاً : تكثير تمر جابر بن عبدالله ببركة دعائه ﷺ

يقول جابر بن عبدالله - ﷺ - : « توفي أبي وعليه دينٌ فعرضت على غرمائه <sup>(١)</sup> أن يأخذوا التمر بما عليه فأبوا ، ولم يروا أن فيه وفاءً ، فأتيت النبي ﷺ فذكرت ذلك له ، فقال : « إذا جدّته <sup>(٢)</sup> فوضعت في المربرد <sup>(٣)</sup> آذنت رسول الله ﷺ » فجاء ومعه أبو بكر وعمر ، فجلس عليه ودعا بالبركة ، ثم قال : « ادع غرماءك فأوفهم » . فما تركت أحداً له على أبي دينٍ إلا قضيته ، وفضل ثلاثة عشر وسقاً <sup>(٤)</sup> : سبعة عجوة <sup>(٥)</sup> وستة لون <sup>(٦)</sup> ، أو ستة عجوة وسبعة لون ، فوافيت مع رسول الله ﷺ المغرب ، فذكرت ذلك له فضحك ، فقال : « أنت أبا بكر وعمر فأخبرهما » فقالا : لقد علمنا - إذ صنع رسول الله ما صنع - أن سيكون ذلك <sup>(٧)</sup> .

- (١) - " غرمائه " : الغرماء ، هم أصحاب الدين ، ينظر : " لسان العرب " لابن منظور (٤٣٦/١٢) ، مادة (غرم) .
- (٢) - " جدّته " : جدبت الشيء أجده ، جدّاً : قطعته . ينظر : " لسان العرب " (١١٠/٣ - ١١١) ، مادة (جدد) .
- (٣) - " المربرد " : فضاء وراء البيوت يرتفق به : والمربرد : كالحجرة في الدار . ومربرد التمر : جرينة الذي يوضع فيه بعد الجذاد ليبيس . ينظر : " لسان العرب " ، (١٧١/٣) مادة (ربد) .
- (٤) - " وسقاً " : الوسقُ والوسقُ : قليلة معلومة ، وقيل حمل بعير وهو ستون صاعاً بصاع النبي ﷺ . ينظر : " لسان العرب " (٣٧٨/١٠) ، مادة (وسق) .
- (٥) - " العجوة " نوع من تمر المدينة أكبر من الصيحاني يضرب إلى السواد من غرس النبي ﷺ ، من أجود تمر المدينة . ينظر : " النهاية في غريب الحديث والأثر " (١٨٨/٣) مادة عجو .
- (٦) - " اللون " يقال لَوْنُ البُسْرُ تلوناً إذا بدأ فيه أثر النضج . يقول ابن الأثير : اللون نوع من النخل قيل هو الدقل ، وقيل : النخل كله ما خلا البرني والعجوة ، تسمية أهل المدينة الألووان . ينظر : " لسان العرب " (٣٩٤/١٣) مادة (لون) .
- (٧) - أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الصلح ، باب : الصلح بين الغرماء وأصحاب الميراث والمجازفة في ذلك ، (٨٢٤/٢) ، ح (٢٧٠٩) .

توفي عبدالله بن عمرو بن حرام ، والد جابر - ﷺ - وعليه دين كثير ، فاستعان جابر بالرسول ﷺ على الغرماء أن يُنقصوا من الدين بعض الشيء حتى يستطيع السداد ، فلم يقبلوا ، ولم يتركوا له شيئاً ، « وكانوا يهوداً » (١) . عند ذلك قال رسول الله ﷺ لجابر : « اذهب فنصف تمرك أصنافاً : العجوة على حدة ، وعذق زيد (٢) على حدة ، ثم أرسل إليَّ » (٣) . ويمتثل جابر أمر رسول الله ﷺ ، ويأتي رسول الله ويجلس على التمر ويدعو بالبركة ويأمره بأن يكيل للغرماء فكال لهم حتى أوفاهم ، وتظهر المعجزة الكبرى والدلالة البينة على نبوة محمد ﷺ في وفاء دين عبدالله بن حرام من بيدر واحد من غير أن ينقص من التمر شيء كما ذكر ذلك جابر بن عبدالله حيث يقول : « فسلم الله البيادر كلها حتى إنِّي أنظر إلى البيدر الذي عليه رسول الله ﷺ كأن لم ينقص منه شيئاً البتة » (٤) .

إن هذا الحدث مشاهد من قبل صحابة رسول الله ﷺ ، وقد أثر فيهم تأثيراً قوياً ، وزاد إيمانهم بصدق نبوة محمد ﷺ إيماناً بلغ درجة اليقين ، ولا أدل على ذلك من قسم عمر - ﷺ - « ألا يكون قد علمنا أنك رسول الله ؟ والله إنك لرسول الله » (٥) ، وهذا إيمان الواثق من إيمانه ، الواثق من صدقه ، الواثق من صدق رسالته ﷺ .

يقول صاحب كتاب معجزات النبي المختار : « وكيف لا يكون صادقاً وهو - ﷺ - كان يعلم مسبقاً بأن التمر سيفي بأداء الديون ، وزيادة لثقتي ببركة المصطفى ﷺ لقوله : « لقد علمت حيث حثي فيها رسول الله ﷺ ليباركن الله فيها » (١) .

فقد أتم الله الأمر وأوقع المعجزة فنما التمر .. فحمل منه أكثر من حمل عشرين بغيراً ، وبقي كما هو ! إنَّها معجزة إلهية كبرى أجراها الله على يد حبيبه ونبيه ورسوله محمد ﷺ لتكون موعظة للكافرين ، وذكرى وهدى للمؤمنين » (٢) .

- (١) - عمدة القارئ شرح صحيح البخاري " للعيني ، (٣٣٧/٩) .
- (٢) - " زيد " : علم شخص نُسب إليه هذا النوع من التمر ، ينظر : المرجع السابق (٣٣٧/٩) .
- (٣) - ينظر : صحيح البخاري ، كتاب البيوع ، باب : الكيل على البائع والمعطي ، (٦٣٢/٢) ، ح (٢١٢٧) .
- (٤) - ينظر : صحيح البخاري ، كتاب الوصايا ، باب : قضاء الوصي ديون الميت بغير محضر من الورثة ، (٨٥٩/٢) ، ح (٢٧٨١) .
- (٥) - قول عمر هذا : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " من رواية ابن كعب بن مالك ، كتاب الهيئة وفضلها ، باب : إذا وهب ديناً على رجل (٧٨٥/٢) ح (٢٦٠١) .
- (٦) - ينظر : صحيح البخاري ، كتاب الاستقراض ، وأداء الديون .. ، (٧١٤/٢) ، ح (٢٣٩٦) .
- (٧) - ينظر : " معجزات النبي المختار من صحيح الأخبار " لابن خليفة عليوي (ص/١١٠) .

ومن دلائل نبوته ﷺ في تكثير الطعام وحصول البركة فيه ما حصل لأبي هريرة ببركة دعائه ﷺ ، عن أبي هريرة - ﷺ - قال : أتيت النبي ﷺ يوماً بتمرات فقلت : ادع الله لي فيهن بالبركة . قال فصقهن بين يديه . قال ثم دعا فقال لي : « اجعلهن في مزود<sup>(١)</sup> وأدخل يدك ولا تنتثره » . قال فحملت منه كذا وكذا وسقاً في سبيل الله ، نأكل ونطعم ، وكان لا يفارق حقوي<sup>(٢)</sup> ، فلما قتل عثمان - ﷺ - انقطع عن حقوي فسقط<sup>(٣)</sup> .

يقول أبو هريرة : « أكلت منه أكثر من مائتي وسق<sup>(٤)</sup> » . ومعلوم أن الوسق : ستون صاعاً وهو حمل البعير ، إذا لقد أكل منه تلك المدة حمل مائتي بعير إنشأها لمعجزة عظمية تزيد الإيمان واليقين وتذهب الشك عن قلب ضعيف الإيمان حتى يصبح في مصاف عباد الله المؤمنين الصادقين ، وتزيد قوى الإيمان إيماناً إلى درجة اليقين بأن محمداً ﷺ نبي الله حقاً وأن هذه الأمور الخارقة التي رآها الناس ليست من عنده ﷺ ، إنما هي تأييد من ربه ، وبرهان واضح على صدق نبوته ﷺ .

### ثانياً : نبع الماء بين أصابعه الشريفة ﷺ

قصة نبع الماء بين أصابعه ﷺ تكررت عدة مرات ووردت من طرق كثيرة منها :

ما رواه أنس بن مالك - ﷺ - قال : « رأيت رسول الله ﷺ ، وحانت صلاة العصر فالتمس الوضوء فلم يجدوه فأتى رسول الله ﷺ بوضوء ، فوضع رسول الله ﷺ يده في ذلك الإناء ، فأمر الناس أن يتوضؤوا منه ، فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه ، فتوضأ الناس حتى توضؤوا من عند آخرهم »<sup>(٥)</sup> .

(١) - " المزود " : كمنبر جمعه مزود الوعاء يجعل فيه الطعام والزراد - ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (٣١٧/٢) ، مادة (زود) و " القاموس المحيط " ( ص / ٣٦٥ ) مادة (زود) .

(٢) - " حقوي " : الأصل في الحقو هو : معقد الإزار . ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (٤١٧/١) مادة (حقا) .

(٣) - أخرجه الإمام أحمد في " مسنده " (٨٦٠٢/٢) ، والإمام الترمذي في " سننه " ، أبواب المناقب ، مناقب أبي هريرة - ﷺ - (٢٢٨/١٠) ، ح (٤٠٩٢) ، وحسن إسناده الشيخ الألباني في " صحيح الترمذي " (٢٣٥/٣) ، ح (٣٠١٥) .

(٤) - ينظر : " دلائل النبوة " لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (١١١/٦) توثيق وتخريج : الدكتور عبدالمعطي قلعجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط : ١ ، ١٤٠٥هـ .

(٥) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الوضوء ، باب إلتماس الوضوء إذا حانت الصلاة ، (١١٠٥/٣) ، ح (٣٥٧٣) واللفظ له ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الفضائل ، باب في معجزات النبي ﷺ ، (١٤٢٤/٤) ، ح (٥/٢٢٧٩) .

وفي رواية أخرى عن أنس - رضي الله عنه - قال : « أتى النبي صلى الله عليه وسلم بإتاء وهو بالزوراء <sup>(١)</sup> ، فوضع يده في الإتياء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه ، فتوضأ القوم . قال قتادة <sup>(٢)</sup> : قلت لأنس : كم كنتم ؟ قال ثلاثمائة أو زهاء ثلاثمائة » <sup>(٣)</sup> .  
وعن جابر بن عبدالله - رضي الله عنه - قال : « عطش الناس يوم الحديبية <sup>(٤)</sup> والنبي صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة <sup>(٥)</sup> ، فتوضأ فجهش <sup>(٦)</sup> الناس نحوه فقال : مالكم ؟ قالوا : ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك ، فوضع يده في الركوة فجعل الماء يثور من بين أصابعه كأمثال العيون ، فشربنا وتوضأنا . قلت : كم كنتم ؟ قال : لو كننا مائة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة » <sup>(٧)</sup> .

من المعلوم أن الله تعالى قد أمدَّ نبيه موسى - عليه السلام - بنبع الماء من الحجر عندما أصاب قومه العطش فأستسقى لهم كما قال تعالى : ﴿ وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم .. ﴾ <sup>(٨)</sup> .

ولاشك أن نبع الماء من الحجر الأصم فور ضربه بالعصى من قبل نبي الله موسى - عليه السلام - أمرٌ معجز وأية على صدق نبوته ورسالته ، لكن الأمر الأعظم من ذلك نبع الماء من بين أصابع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهو واضع يده في إتياء صغير

- (١) - " الزوراء " : موضع بسوق المدينة . ينظر : " عمدة القارئ " للعيني ، (١٨٠/١٣) .
- (٢) - هو : قتادة بن دعامة بن عكاية ، حافظ العصر ، وقوة المفسرين والمحدثين ، أبو الخطاب السدوسي البصري الضرير ، كان من أوعية العلم ، وممن يضرب به المثل قوة الحفظ ، وهو حجة بالإجماع إذا بين الشماخ ، فإنه مدلس معروف بذلك ، وكان يرى القدر ، توفي بواسط في الطاعون عام ١١٨ هـ ، ينظر : " سير أعلام النبلاء " (٢٦٩/٥) ، " الأعلام " (١٨٩/٥) .
- (٣) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب المناقب ، باب : علامات النبوة في الإسلام (١١٠٤/٣) ، ح (٣٥٧٢) واللفظ له ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الفضائل ، باب في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم ، (١٤٢٢/٤) ، ح (٦/٢٢٧٩) .
- (٤) - " الحديبية " : اسم بئر تقع على بعد اثنين وعشرين كيلا إلى الشمال الغربي من مكة وتعرف الآن بالشميسي ، وفيها حدائق الحديبية ومسجد الرضوان ، وأطرافها تدخل في حدود الحرم المكي ومعظمها من الحل خارجة . وقد سميت الغزوة بها لأن قريشا منعت المسلمين من دخول مكة وهم في الحديبية . ينظر : " السيرة النبوية الصحيحة " للدكتور أكرم ضياء العمري . (٤٣٤/٢) .
- (٥) - " الركوة " : إتياء صغير من جلد يشرب منه الماء ، والجمع ركاء . ينظر : " النهاية في غريب الحديث " لابن الأثير ، (٢٦١/٢) .
- (٦) - " فجهش " : الجهش : أن يفرغ الإنسان إلى الإنسان ويلجأ إليه ، وهو مع ذلك يريد البكاء ، كما يفرغ الصبي إلى أمه وأبيه . ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (٢٢٢/١) مادة ( جهش ) .
- (٧) - أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " ، كتاب المناقب ، باب ، علامات النبوة في الإسلام (١١٠٥/٣) ، ح (٣٥٧٦) .
- (٨) - سورة البقرة ، جزء من الآية : (٦٠) .

لا يوجد فيه إلا قطرات قليلة من الماء فيستجيب الله الدعوة وتحلّ البركة فيثور الماء من بين أصابعه أمثال العيون .

ونبع الماء من بين أصابعه ﷺ أبلغ في المعجزة من نبع الماء من الحجر عندما ضربه موسى - عليهما السلام - بالعصا فتفجرت منه العيون ، لأن خروج الماء من الحجارة معهود ومعروف عند الناس ، لكن أن ينبع الماء من بين العظم واللحم والعصب والدم فهذا أمر معجز لم يُسمع بمثله ، ولا تُحدث به عن غير نبينا محمد ﷺ (١) .

وقد كان صحابة رسول الله ﷺ يشاهدون هذا الحدث العظيم وينظرون إليه وهو يضع يده في ركوة صغيرة والماء يخرج من بين أصابعه الشريفه ، وهم بأشدّ الحاجة إلى الماء ، فتوضؤوا وشربوا وهم ما يقارب الثلاثمائة كما في حديث أنس ، بل ثبت أنهم كانوا خمس عشرة مائة كما في حديث جابر ، ولو كانوا أكثر من ذلك لكفاهم ، يدل على ذلك قول جابر - رضي الله عنه - : « لو كُنّا مائة ألفٍ لكفانا » فهذا يدل على كثرة الماء واستمراره في النبع والجريان ، فكانت هذه المعجزة الحسنية الكبرى ، إكراماً من الله لصحابة رسول الله ﷺ لمناصرتهم لدعوته ، ووقوفهم معه في وجه الباطل وأهله ودلالة قاطعة على صدق نبوته ﷺ ، وبرهاناً ساطعاً للمترددين والباحثين عن الحق واليقين ، وزيادة في هدى المهتدين المُصدقين بدعوة سيد الأنبياء والمرسلين - عليه الصلاة والسلام - .

وتتمة للحديث عن نبع الماء وتكثيره وحصول البركة فيه ، أودّ أن أُشير إلى أثر من آثار نبوته ﷺ وقع بمشهد ثلاثين ألفاً من الصحابة - رضي الله عنهم أجمعين - في غزوة تبوك ، يقول أحدهم وهو معاذ بن جبل (٢) - رضي الله عنه - : خرجنا مع رسول الله ﷺ عام غزوة تبوك . فكان يجمع الصلاة . فصلّى الظهر والعصر جميعاً ، والمغرب والعشاء جميعاً ، حتى إذا كان يوماً آخر الصلاة ، ثم خرج فصلّى الظهر والعصر جميعاً ، ثم دخل ثم خرج بعد ذلك . فصلّى المغرب والعشاء

(١) - ينظر : " المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم " للقرطبي (٥٣/٦) ، " فتح الباري شرح صحيح البخاري " (٦٧٧/٦) . بتصرف .

(٢) - معاذ بن جبل بن عمرو ، أبو عبدالرحمن الأنصاري الخزرجي الإمام المقدم في علم الحلال والحرام كان شاباً جميلاً ، شهد المشاهد كلها ، أمره الرسول ﷺ على اليمن ، توفي بالطاعون في الشام سنة سبعة عشرة أو التي بعدها ، عاش أربعاً وثلاثين سنة وقيل غير ذلك . ينظر : " الإصابة في تمييز الصحابة " لابن حجر ، (٤٠٦/٣ - ٤٠٧) .

جميعاً ، ثم قال « إنكم ستأتون غداً - إن شاء الله - عين تبوك ، وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار ، فمن جاءها منكم فلا يمس من مائها شيئاً حتى آتي » فجئناها وقد سبقنا إليها رجلان . والعين مثل الشراك <sup>(١)</sup> تبض بشيء من ماء ، قال فسألهما رسول الله ﷺ : « هل مسستما من مائها شيئاً ؟ » قال نعم . فسببهما النبي ﷺ ، وقال لهما ما شاء الله أن يقول . قال ثم عرفوا بأيديهم من العين قليلاً حتى اجتمع في شيء ، قال وغسل رسول الله ﷺ فيه يديه ووجهه . ثم أعاده فيها فجرت العين بماء منهمر أو قال غزير - شك أبو علي أيهما قال - حتى استقى الناس . ثم قال : « يوشك يامعاذ إن طالت بك حياة ، أن ترى ما ههنا قد ملئ جناتاً <sup>(٢)</sup> » <sup>(٣)</sup> .

يقول ابن خليفة عليوي معلقاً على هذه المعجزة بعد كلام طويل : « إنه لم يكن يخطر ببال الصحابة - ﷺ - أن الأمر سيصبح على ما شاهدوه بأم أعينهم من هذه المعجزة الكبرى ، وما إن شاهدوا تدفق الماء إلا وأقبل الجيش المسلم بعدده الضخم الذي بلغ ثلاثين ألفاً على ذلك الماء المبارك فاستقوا منه ، وحمدوا الله على هذه النعمة العظيمة ، وهذه المعجزة العظيمة التي أيد الله بها نبيّه المصطفى بيانا لفضله ورحمة بهم <sup>(٤)</sup> من هلاك محقق من شدة الظم ، وتثبيتاً لهم في إيمانهم ، وشحذاً لهم على الصبر والمصابرة في مقارعة أعداء الحياة ، فما أكرمه من نبي على ربه ! وما أجل قدره ، وأعظم منزلته ! إن تلك الغسالة المباركة التي باركها الله من فوق سبع سماوات قد غيرت قوانين الطبيعة فجعلت من تلك العين الجافة بلمح البصر نهراً يتدفق ماءً سلسبيلاً ، وهو أمر تخشع له القلوب ، وثقُم بمحبة الله ورسوله ﷺ » <sup>(٥)</sup>

(١) - " الشراك " : أحد سُيور النعل التي تكون على وجهها . ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (٤٦٨/٢) .

(٢) - قول الرسول ﷺ لمعاذ : " يوشك يامعاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما ههنا قد ملئ جناتاً " . نعم هذه من معجزاته ﷺ في الإخبار عن الأمور المستقبلية الغائبة ، فقد وقع ذلك ، وأصبحت تبوك مدينة مترامية الأطراف تحيطها البساتين الخضراء المثمرة التي تُصدّر ثمارها إلى داخل البلاد وخارجها من بلدان العالم الأخرى .

(٣) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الفضائل ، باب في معجزات النبي ﷺ ، (٤/١٤٢٥) ، ح (٢٢٨١) .

(٤) - لعل في الكلام حذفاً فالمناسب أن يقول : حيث نجّاهم الله من هلاك محقق ، إذ لا يقال - رحمه الله من كذا - والله أعلم .

(٥) - " معجزات النبي المختار من صحيح الأخبار " (ص/١٣٢) .

### المسلك الخامس : سرعة استجابة دعائه ﷺ في شفاء المرضى بإذن الله تعالى

معلوم أن شفاء المرضى يحصل بإرادة الله تعالى وقدرته ، ولا يمكن لأي بشر أن يشفي مريضاً إلا بإذن الله ومشيئته ، نعم قد يصل الطبيب إلى معرفة أسباب المرض أو يصف العلاج المناسب ، ولا يحصل الشفاء لعدم إرادته سبحانه وتعالى . وما حصل لنبيينا محمد ﷺ من شفائه للمرضى - بإذن الله - بغير الأسباب المعهودة وطرق العلاج المعروفة ، ما هو إلا أمر خارق للعادة أجراه الله على يديه ليكون شاهداً على نبوته ﷺ ، ومن ذلك ما وقع مع الخليفة الراشد علي بن أبي طالب (١) - ﷺ - يوم خيبر (٢) ؛ فعن سهل بن سعد (٣) - ﷺ - أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر : « لأعطينَ الرؤية رجلاً يفتح الله على يديه . يُحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله » قال فبات الناس يدوكون (٤) ليلتهم أيهم يُعطاهما ، قال فلَمَّا أصبح الناس عدّوا على رسول الله ﷺ . كُلُّهم يرجو أن يُعطاهما . فقال : « أين علي بن أبي طالب » فقالوا : هو ، يا رسول الله ! يشتكي عينه ، فأرسلوا إليه ، فأتي به ، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه . ودعا له فبرأ . حتى كان لم يكن به وجع . فأعطاه الرؤية ... » (٥) .

إن الموقف المؤثر في الحديث ، هو ما حصل لأبي الحسن علي بن أبي طالب - ﷺ - في غزوة خيبر ، فقد أصيب بالرّمْد في عينيه حتى أصبح لا يرى شيئاً ، وقد أعطيت الرؤية لأبي بكر فلم يفتح له ، ثم أعطيت لعمر فلم يفتح له ، عندها قال

- (١) - هو : علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب الهاشمي القرشي ، أبو الحسن ، أمير المؤمنين ، رابع الخلفاء الراشدين ، من أكابر الخطباء ، ومن العلماء بالقضاء ، وأول من أسلم من الشباب ، ولد بمكة وترّبى في حجر النبي ﷺ ، هاجر إلى المدينة ، قتل بالكوفة عام ٤٠هـ . ينظر : " الإصابة في تمييز الصحابة " (٤/٤٦٤) ، " شذرات الذهب " (١/٤٩) ، " الأعلام " (٤/٢٩٥) .
- (٢) - " يوم خيبر " : أي غزوة خيبر ، وقعت في السنة السابعة من الهجرة بعد قصة الحديدية ، ينظر : " زاد المعاد في هدي خير العباد " لابن قيم الجوزية " (٣/٣١٦) .
- (٣) - هو : سهل بن سعد بن مالك بن خالد الأنصاري الساعدي الخزرجي من مشاهير الصحابة ، مات النبي ص ، وهو ابن خمس عشرة سنة ، وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة ، وله نحو من مائة سنة من عمره ، وله في كتب الحديث ١٨٨ حديثاً . ينظر : " الإصابة " (٣/١٦٧) ، " تقريب التهذيب " (ص/٤١٩) ، " الأعلام " (٣/١٤٣) .
- (٤) - " يدوكون " : أي يخوضون فيمن تُدفع إليه الرؤية . ينظر : " غريب الحديث " لابن الجوزي ، (١/٣٥٢) مادة (دوك) .

- (٥) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الجهاد والسير ، باب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام والنبوة ، (٢/٩٠٧) ح (٢٩٤٢) ، الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب فضائل الصحابة - ﷺ - باب من فضائل علي بن أبي طالب - ﷺ - ، (٤/١٤٩١) ، ح (٢٤٠٦) .



عليه الصلاة والسلام : « لأعطينَ الرأية رجلاً يفتح الله على يديه ، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله » فبات الناس يخوضون في الحديث ، ويسأل بعضهم بعضاً ، لمن تعطى الرأية غداً ؟ ويصبح الصحابة - رضي الله عنهم - ويأتون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كلهم يتمنى أن يكون قائد هذا الفتح ، ويسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن علي بن أبي طالب ، فيقال له إنه يشتكي عينيه ، فيرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه ، ويأتي - رضي الله عنه - وهو يُقاد لا يُبصر الطريق ، فيبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ويتوجه إلى ربه بالدعاء ، وما هي إلا لحظات وإذا به صحيحاً معافى كأن لم يكن به ألم من قبل ويتولى القيادة ويفتح الله على يديه ، وتتحقق المعجزة في أوضح صورها ، فالصحابه - رضي الله عنهم - شاهدوا علياً وهو مريض ، وراوه بعد البصق والدعاء كأن لم يكن به وجع ، فتبين لهم أن الله استجاب دعاءه وأن في بصاقه الشفاء والبركة وهذه آية من آيات النبوة ، يقول الإمام النووي - رحمه الله (١) - : « وفي هذا الحديث معجزات ظاهرات لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، قوليه وفعله : إعلامه بأن الله تعالى يفتح على يديه فكان ذلك كذلك ، والفعلية . بصاقه في عينيه وكان أرمد فبرأ من ساعته » (٢) .

وهذا الشفاء إنمّا كان بأمر الله تعالى ، ثم ببركة بصاق الرسول صلى الله عليه وسلم مما يدل على فضله وكرامته عند الله .

وتصديقاً لنبوته صلى الله عليه وسلم ، وقد أمر الله أثر هذه المعجزة لعلي - رضي الله عنه - تكريماً له وجائزة علوية سماوية على بلائه وجهاده في الله ، وتقانيه في مرضاته (٣) .

وقد تنوعت معجزاته صلى الله عليه وسلم في شفاء المرضى بإذن الله ، وذلك حسب المواقف والحالات ، فهذا أحد الصحابة تنكسر ساقه ويأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمسح عليها وإذا

(١) - هو : يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني ، النووي الشافعي ، أبو زكريا ، محيي الدين علامة بالفقه والحديث ، مولده ووفاته في نوى من قرى حوران بسورية ، تعلم بدمشق وأقام بها زمناً طويلاً . له مؤلفات شهيرة منها : " المنهاج في شرح صحيح مسلم " ، " رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين " ، " والمجموع شرح المذهب للشيرازي " . توفي عام ٦٧٧هـ . ينظر : " طبقات الشافعية " لأبي بكر بن أحمد بن محمد تقي الدين بن القاضي شهبة الدمشقي ، تصحيح الدكتور : الحافظ عبدالعليم خان (٩/٢) رقم الترجمة (٤٥٤) طبعة دار الندوة الجديدة - بيروت ، ١٤٠٨هـ ، بدون ذكر رقم الطبعة ، " الأعلام " (١٤٩/٨) .

(٢) - شرح النووي لصحيح مسلم : " ١٧٢/١٥ ) .

(٣) - ينظر : " معجزات النبي المختار ، من صحيح الأخبار " لابن خليفة عليوي ، (١٣٦) . بتصرف .

به سليماً معافى كما جاء في الصحيح عن البراء بن عازب <sup>(١)</sup> - رضي الله عنه - قال : « بعث النبي ﷺ رهطاً <sup>(٢)</sup> إلى أبي رافع <sup>(٣)</sup> فدخل عليه عبدالله بن عتيك <sup>(٤)</sup> بيته ليلاً وهو نائم فقتله ، فقال : عبدالله بن عتيك فوضعت السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره فعرفت أنني قتلته ، فجعلت أفتح الأبواب حتى انتهيت إلى درجة فوضعت رجلي فوقعت في ليلة مقمرة ، فانكسرت ساقي ، فعصبتها بعمامة ، فاطلقت إلى أصحابي فانتهيت إلى النبي فحدثته فقال : ابسط رجلك فبسطت رجلي فمسحها فكأنما لم اشتكها قط » <sup>(٥)</sup> .

وبالجمله فقد كان لهذه الخوارق والمعجزات التي رآها أصحاب رسول الله ﷺ بأعينهم في شفاء المرضى أثراً قوياً في نفوسهم فازدادوا بذلك إيماناً بالله تعالى لعلمهم أن ذلك التأييد من الله تعالى لنبيه ﷺ فازدادوا حباً وتصديقاً لنبيهم ﷺ لاقتناعهم بصدق نبوته وسلامة المنهج الذي يدعو إليه وهذا الأثر لم يكن قاصراً على أصحاب رسول الله ﷺ ، فهو باق لمن بعدهم ، فالمؤمنون يزدادون بذلك هداية ورشداً ، ومن أراد الله تعالى هدايته من الكفار ، يكون لهم نجاه من النار ، ودخولاً في دين الله تعالى عن رضى وقناعة ، ومن لم يستجب لداعي الله تقام عليه الحجة بالبلاغ والإنذار ، لأن هذه هي مهمة الرسل - عليهم الصلاة والسلام - قال تعالى : ﴿ رسلاً مبشرين ومنذرين لئلاً يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً ﴾ <sup>(٦)</sup> .

- (١) - هو : البراء بن عازب بن الحارث بن عدي بن الحارث بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي ، الفقيه الكبير ، أبو عمارة ، نزيل الكوفة ، من أعيان الصحابة ، روى حديثاً كثيراً ، وشهد مع رسول الله ﷺ غزوات كثيرة ، واستصغر هو وابن عمر يوم بدر ، افتتح الرّي سنة ٢٤هـ - ، وشهد غزوة تُستَر مع أبي موسى ، وشهد مع علي الجمل وصفين ، وقتال الخوارج ، ونزل الكوفة ، وابتنى بها داراً ، ومات في إمارة مصعب بن الزبير ، سنة (٧٢هـ) عن بضع وثمانين سنة . ينظر : " الإصابة " (٤١١/١ - ٤١٢) ، " سير أعلام النبلاء " (٣/١٩٤ - ١٩٦) ، " تقريب التهذيب " (ص/١٦٤) .
- (٢) - " رهطاً " الرّهط من الرجال هم مادون العشرة وقيل ما دون الأربعين ، ولا واحد له لفظه ، وجمعه : أرهط ، أرهاط . ينظر : " النهاية " لابن الأثير ، (٢/٢٨٢ - ٢٨٣) مادة : رهط .
- (٣) - هو : سلام بن أبي الحقيق عدو الله ورسوله ، وأحد زعماء اليهود في خيبر ، وكان فيمن حزب الأحزاب على رسول الله ﷺ ، وكانت الأوس من قبل أحد قد قتلت كعب بن الأشرف ، فاستأذن الخزرج رسول الله في قتل سلام بن أبي الحقيق وهو بخيبر فأذن لهم ، فقتله عبدالله بن عتيك . ينظر : " البداية والنهاية " (٤/١٣٧ - ١٤٠) .
- (٤) - هو : عبدالله بن عتيك بن قيس بن الأسود مريّ الخزرجي الأنصاري : صحابي من القادة . شهد أحداً وما بعدها ، واستشهد يوم اليمامة في خلافة أبي بكر سنة اثنتي عشرة ، وقيل : بعدها . ينظر : " أسد الغابة في معرفة الصحابة " (٣/٢٠٣ - ٢٠٤) ، " الإصابة " ، (٤/١٤٣ - ١٤٤) ، " فح الباري " (٧/٣٩٨) .
- (٥) - أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب المغازي ، باب : قتل أبي رافع عبدالله بن أبي الحقيق ، (٣/١٢٣٢) ، ح (٤٠٣٩ ، ٤٠٤٠) .
- (٦) - سورة النساء ، الآية : (١٦٥) .

## المطلب الخامس : استخدام المنهج الحسني لإثبات وبيان الفتن وأشراط الساعة .

وفيه تمهيد ومسلكان :

**المسلك الأول : أشراط الساعة الصغرى .**

أولاً : بعثة النبي ﷺ .

ثانياً : ظهور الفتن وكيفية عرضها على القلوب .

ثالثاً : اتباع سنن الأمم الماضية .

رابعاً : ظهور أعوان الظلمة ، والنساء الكاسيات العاريات .

خامساً : تداعي أمم الكفر على المسلمين .

**المسلك الثاني : أشراط الساعة الكبرى :**

أولاً : وصف المسيح الدجال والتحذير منه .

ثانياً : وصف يأجوج ومأجوج ، وبيان نهايتهم .

**تمهيد**

من حكمة الله تبارك وتعالى أن جعل علم الساعة غيباً من جملة عالم الغيب الذي استأثر الله بعلمه ، فلم يُطلع عليه أحداً من خلقه ، لا نبياً مرسلًا ولا ملكاً مقرباً . وذلك ليبقى الناس من الساعة على وجل دائم واستعداد مستمر بفعل الطاعات وترك المنكرات .

يقول الله تعالى أمراً نبيه ﷺ أن يردّ علم الساعة حين يُسأل عنها إليه سبحانه : ﴿ يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لأجلها لوقتها إلا هو ثقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة ، يسألونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ (١) .

ويقول سبحانه : ﴿ إن الله عنده علم الساعة ويُترّل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير ﴾ (٢) .

يقول الإمام ابن كثير - رحمه الله - « هذه مفاتيح الغيب التي استأثر الله بعلمها فلا يعلمها أحدٌ إلا بعد إعلامه تعالى بها ، فعلم وقت الساعة لا يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب » (٣) .

ويقول الإمام القرطبي - رحمه الله - نقلاً عن ابن عباس - ؓ : « هذه الخمس لا يعلمها إلا الله تعالى ، ولا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل ، فمن ادّعى أنّه يعلم شيئاً من هذه ؛ فقد كفر بالقرآن ؛ لأنّه خالفه » (٤) .

وقد أوضح القرآن الكريم غفلة كثير من الناس ولهوهم وإعراضهم وعدم استعدادهم ليوم الحساب ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ﴾ (٥) ، ويُعلّق الأستاذ سيد قطب - رحمه الله - على هذه الآية فيقول : « إنّهُ مطلع يهز الغافلين هزاً . والحساب يقترب وهم في غفلة . والآيات تُعرض وهم معرضون عن الهدى ، والموقف جدّ وهم لا يشعرون بالموقف وخطورته ،

(١) - سورة الأعراف ، الآية : (١٨٧) .  
 (٢) - سورة لقمان ، الآية : (٣٤) .  
 (٣) - " تفسير القرآن العظيم " (٤٥٣/٣) .  
 (٤) - " الجامع لأحكام القرآن " (٨١/١٤) .  
 (٥) - سورة الأنبياء ، الآية : (١) .

وكلما جاءهم من القرآن جديد قابله بالهلو والاستهتار ، واستمعوه وهم هازلون يلعبون ... » (١) .

وقد مرَّ معنا قبل قليل أن الله تعالى أخفى علم الساعة ولم يطلع عليه أحداً من خلقه ، لكنه وضع لها علامات تدل على قربها وسرعة وقوعها ، يقول سبحانه : ﴿ فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتةً فقد جاء أشراطها فأنى لهم إذا جاءهم ذكراهم ﴾ (٢) ، قال المفسرون في معنى أشراطها : أي علاماتها التي تسبقها كبعثة النبي ﷺ وانشقاق القمر والدخان ، وغير ذلك (٣) .

ولذلك فالمؤمنون على تخوف ووجل من وقوعها ، لأنهم موقنون بذلك لا يخالجهم شك في تحققها على خلاف الكافرين والمنكرين ، فإن الله قد ختم على قلوبهم وأسماعهم وأبصارهم ، فلا يؤمنون بالساعة كما أخبر عنهم سبحانه بقوله : ﴿ الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب \* يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ألا إن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد ﴾ (٤) .

« والمعنى : والذين لا يؤمنون بها لا تحس قلوبهم هولها ، ولا تقدر ما ينتظرهم فيها فلا عجب يستعجلون بها مستهترين ، لأنهم محجوبون لا يدركون . وأما الذين آمنوا فهم مستيقنون منها ، ومن ثم هم يشفقون ويخافون ، وينظرونها بوجل وخشية وهم يعرفون ما هي حين تكون » (٥) .

والإيمان بما صح من أشراط الساعة وما يسبقها من الفتن والملاحم لا خيار للإنسان فيه ؛ لأن من مقتضيات شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ تصديقه فيما أخبر ؛ لأنه مبلغ عن ربه كما قال جلّ وعلا : ﴿ وما ينطق عن الهوى \* إن هو إلا وحي يوحى ﴾ (١) .

(١) - " في ظلال القرآن " (٢٣٦٧/٤) .

(٢) - سورة محمد ، الآية : (١٨) .

(٣) - ينظر : " زاد المسير في علم التفسير " لأبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن الجوزي ، (٤٠٣/٧) المكتب الإسلامي ، بيروت ، دمشق ، ط : ٣ ، ١٤٠٤ هـ ، " أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير " لأبي بكر الجزائري ، (٢٥٢/٤) .

(٤) - سورة الشورى ، الآية : (١٧ - ١٨) .

(٥) - " في ظلال القرآن " (٣١٥١/٥) .

(٦) - سورة النجم ، الآية : (٣ ، ٤) .

وقال سبحانه : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ (١) .

ولذا يجب على كل مسلم الإيمان بكل ما أخبر النبي ﷺ بوقوعه من الفتن والأشراط التي تسبق قيام الساعة ، يقول أبو محمد المقدسي (٢) : « يجب الإيمان بكل ما أخبر به رسول الله ﷺ وصح به النقل عنه فيما شهدناه أو غاب عنا نعم أنه حق وصدق ، وسواء في ذلك ما عقلناه وجهلناه ولم نطلع على حقيقة معناه ... ومن ذلك أشراط الساعة مثل : خروج الدجال ، ونزول عيسى ابن مريم - عليه السلام - فيقتله ، وخروج يأجوج ومأجوج ، وخروج الدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ، وأشباه ذلك مما صح به النقل » (٣) .

وقد أشار العلماء رحمهم الله إلى الحكمة من تقديم هذه الأشراط بين يدي الساعة قال الإمام القرطبي - رحمه الله - « قال العلماء رحمهم الله تعالى : والحكمة في تقديم الأشراط ودلالة الناس عليها ، تنبيه الناس من رقتهم وحثهم على الاحتياط لأنفسهم بالتوبة والإنابة كي لا يباغتوا بالحول بينهم وبين تدارك العوارض منهم ، فينبغي للناس أن يكونوا بعد ظهور أشراط الساعة قد نظروا لأنفسهم وانقطعوا عن الدنيا واستعدوا للساعة الموعود بها - والله أعلم - » (٤) .

ولا شك أن إخفاءها له تعلق بصلاح النفوس الإنسانية ، فوقعها غيب ، والأمر العظيم الذي يستيقن المرء وقوعه ، ولكنه لا يدري متى يفجؤه ، ويحل بساحته - يجعله مترقباً له باستمرار وعلى حذر دائم وهنا تظهر أهمية الحديث عن أمارات الساعة وأشراطها ، في نصح الأمة وإرشادها إلى الخير وتحذيرها من الفتن ، وتنبيه الغافلين وحثهم على التوبة والاستعداد للرحيل من هذا العالم الفاني إلى دار البقاء والحياة السرمدية ، ولذلك فإن نشر أحاديث الفتن وأشراط الساعة في هذا

(١) - سورة الحشر ، جزء من الآية : (٧) .

(٢) - أبو محمد المقدسي : هو الإمام الزاهد المجاهد القدوة العلامة المجتهد ، شيخ الإسلام ، موفق الدين ، عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة الحنبلي صاحب "المغني" ولد ببلدة جماعيل من أعمال نابلس بفلسطين سنة ٥٤١هـ ، تتلمذ على شيوخ دمشق ، ورحل إلى بغداد ، ثم عاد إلى دمشق واستقر بها ، فاشتغل في تصنيف الكتب مثل "المغني" ، "المقنع" ، "لمعة الاعتقاد" ، "الكافي" وغيرها من الكتب النافعة ، كان - رحمه الله - إماماً في التفسير ، والحديث ، والفقه ، والفرائض ، وأصول الفقه ، توفي بدمشق سنة ٦٢٠هـ ، ينظر : "سير أعلام النبلاء" (١٦٥/٢٢-١٧٣) .

(٣) - "لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد" للإمام أبي محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي ، شرح فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، تحقيق وتخريج : أشرف بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم ، الدار السلفية للنشر والتوزيع ، الإسماعيلية - مصر ، ط : ١ ، ١٤١٢هـ .

(٤) - "التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي" ، (٧٣٢/٢) تحقيق د . أحمد السقا ، ط : المكتبة العلمية بدون تحديد الطبعة ١٤٠٢هـ .

العصر وغيره ضرورة ملحة للداعية لغفلة الناس عن الدار الآخرة وما فيها من نعيم وسعادة أعدّها الله لأوليائه ، وجحيم وشقاوة أعدّها الله لأعدائه والمخالفين لأمره ونهيه سبحانه وتعالى وقد بين الرسول ﷺ في أحاديث كثيرة ، الأشراف والآيات الواقعة قبل قيام الساعة واستعمل في ذلك مناهج وأساليب متنوعة ، لتقوية الإيمان وتثبيتته وترسيخ عقيدة الإيمان باليوم الآخر . والذي يهمننا في هذا المقام هو بيان المنهج الحسني من خلال بعض الأحاديث التي تتكلم عن الفتن وأشراف الساعة وقد جعلتها في مسلكين :

## المسلك الأول

### أشراط الساعة الصغرى

وهي التي تتقدم الساعة بأزمان متطاولة ، وتكون من نوع المعتاد كقبض العلم ، وظهور الجهل ، وشرب الخمر ، والتطاول في البنيان ... ونحوها (١) ، وسأورد بعض الأمثلة المشتملة على منهج حسي من هذه الأشراط :

#### أولاً: بعثة النبي ﷺ

عن سهل بن سعد - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « بُعِثَ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ ، وَيُشِيرُ بِأَصْبِعَيْهِ ، يَمُدُّهُمَا » (٢) .

وعن أنس - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله : « بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ » قال : وَضَمَّ السَّبَّابَةَ وَالْوَسْطَى (٣) .

يشتمل هذا الحديث مع قِلة جُملة على بيان جليّ لما فُصد منه ، حيث دلّ بالمثال المُشاهد الذي يُدرکه كل إنسان ولا يختلف باختلاف الزّمان ولا الأشخاص على قرب الساعة ، وأنّه لم يبق من عمر الدُّنيا إلا القليل كما بينه ﷺ بقوله : « إن الله جعل الدنيا كلّها قليلاً ، وما بقي منها إلا القليل من القليل ، ومثل ما بقي من الدنيا كالثغيب (٤) شرب صفوه وبقي كدره » (٥) ، وقول عتبة بن

(١) - ينظر : " أشراط الساعة " ليوسف بن عبدالله الوابل ، (ص/٧٧) ، دار ابن الجوزي ، ط/٨ ، ١٤١٨هـ .

(٢) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الرقاق ، باب : قول النبي ﷺ : « بعثت أنا والساعة كهاتين » ، (٢٠٣٩/٤) ح (٦٥٠٣) واللفظ له ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب قرب الساعة (١٧٩٤/٤) ، ح (٢٩٥٠) .

(٣) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الرقاق ، باب قول النبي ﷺ : « بعثت أنا والساعة كهاتين » (٢٠٣٩/٤) ، ح (٦٥٠٤) ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب قرب الساعة ، (١٧٩٤/٤) ، ح (٢٩٥١) .

(٤) - " الثغيب " هو بقية الماء المستنقع من المطر ، ينظر : " مشارق الأنوار على صحاح الآثار " (١٧١/١) مادة (ثغيب) .

(٥) - أخرجه الإمام الحاكم في " المستدرک علی الصحیحین " عن عبدالله بن مسعود ، كتاب الرقاق ، (٣٥٦/٤) ، ح (٧٩٠٤) ، وقال : " صحيح الإسناد " ، ووافقه الذهبي ، وحسنه الشيخ الألباني في " صحيح الجامع الصغير " (٣٥٨/١) ، ح (١٧٣٧) المكتب الإسلامي ، بيروت ، دمشق ، ط : ٣ ، ١٤٠٨هـ ، وفي " سلسلة الأحاديث الصحيحة " (١٦٤/٤) ، ح (١٦٢٥) .



غزوان (١) - ﷺ - : « أما بعد فإن الدنيا آذنت بصُرْم (٢) ، وولت حذاء (٣) ، ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء يتصائبها صاحبها » (٤) .

بل إن بعثته ﷺ هي أولى أشراف الساعة ، فعن أبي جبيرة (٥) : أن رسول الله ﷺ قال : « بعثت في نسمة الساعة (٦) » (٧) . أي في أول أشرافها .

يقول الإمام القرطبي - رحمه الله - : « أولها النبي ﷺ ؛ لأنه نبي آخر الزمان ، وقد بعث وليس بينه وبين القيامة نبي » (٨) .

وعند التأمل في قوله ﷺ : « بعثت أنا والساعة كهاتين » نجد أنه ﷺ اعتمد في بيانه للناس على الإشارة التي تثير حاسة الإبصار عند الإنسان وهذا نوع من الوسائل الحسية كان رسول الله ﷺ يستخدمه في دعوته ، لأنه يشد السامعين إلى المتكلم ويقرب للأذهان الأمر البعيد ، ويمثل المعنى المجرد بصورة حسية ، فالرسول الكريم بعث هو والساعة متلازمين متجاورين كما تلازم السبابة الوسطى وكما تجاورها (٩) .

ونقل المناوي (١٠) عن القاضي عياض قوله : « هو تمثيل لاتصال زمنه بزمنها

(١) - هو : عتبة بن غزوان بن جابر بن وهب المازني ، حليف بني عبد شمس ، السيد الأمير المجاهد ، من السابقين الأولين ، فهو سابع سبعة في الإسلام ، هاجر إلى الحبشة ، ثم رجع مهاجراً إلى المدينة ، شهد بدرأ ، والمشاهد ، وكان أحد الرؤاة المذكورين ، ومن أمراء الغزاة ، وولاه عمر في الفتوح ، فاخطت البصرة ، وفتح الفتوح ، وكان طويلاً جميلاً ، طلب من عمر أن يعفيه من الإمارة فأبى وردّه ، فمات بالطريق ، توفي سنة (١٧هـ) وعمره (٧٥ سنة) . ينظر : " الإصابة " (٣٦٣/٤ - ٣٦٥) ، " سير أعلام النبلاء " (٣٠٤/١ - ٣٠٦) .

(٢) - " آذنت بصرم " : أي بانقطاع وانقضاء . ينظر : " مشارق الأنوار " (٥٣/٢) مادة : (صرم) ، " النهاية في غريب الحديث " (٢٦/٣) مادة (صرم) .

(٣) - " وولت حذاء " : أي سريعة خفيفة قد انقطع آخرها . ينظر : " مشارق الأنوار " (٢٣٤/١) مادة : (حذاء) .

(٤) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الزهد والرقائق ، باب ١٤/٤ ، (١٨٠٢/٤) ح (٢٩٦٧) ، والإمام أحمد في " مسنده " (٢٣٨/٤) ح (٢/١٧٥٤٣) .

(٥) - هو : أبو جبيرة بن الضحاك بن خليفة الأنصاري المدني ، له صحبة ، حديثه في الكوفيين ، روى عن النبي ﷺ عدة أحاديث ، وعنه ابنه محمود ، وقيس بن حازم ، وحستان بن كريب ، وعامر الشعبي .

ينظر : " الإصابة " (٥٤/٧) ، " تهذيب التهذيب " (٣١٠/٦) .

(٦) - " نسمة الساعة " : النسيم ، أول هبوب الرياح الضعيفة ، والمعنى : بعثت في أول أشراف الساعة . ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (٤٩/٥) مادة : (نسم) .

(٧) - رواه الحاكم في " الكنى " (٢٣/١) وقال الألباني : " صحيح " . ينظر : " صحيح الجامع الصغير " (٥٤٦/١) ح (٢٨٣٢) ، " سلسلة الأحاديث الصحيحة " (٤٦٨/٢) ، ح (٨٠٨) .

(٨) - " التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة " للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ص/٦٢٦) .

(٩) - ينظر : " التصوير الفني في الحديث النبوي " للدكتور / محمد لطفي الصباغ ، (ص/١١٢) .

(١٠) - هو : عبدالرؤوف بن تاج العارفين بن علي الحدادي المناوي القاهري ، من كبار العلماء بالدين والفنون ، كان كثير البحث والتصنيف ، له نحو ثمانين مؤلفاً ، عاش في القاهرة ، ومات فيها ، ومن مؤلفاته " التيسير في شرح الجامع الصغير " . ينظر : " الأعلام " (٢٠٤/٦) ، " معجم المؤلفين " (٤١٠/٣) .

وأنته ليس بينهما شيء كما أنه ليس بينهما إصبع أخرى» (١).

ومعنى الحديث والله أعلم : أن عمر الدنيا مقدر بالإصبع الوسطى ، فإنه لم يبق منها عند مبعث محمد ﷺ إلا مقدار ما تزيد الوسطى عن السبابة ، والمؤمن بالله واليوم الآخر ، عندما يسمع هذا الخطاب النبوي الكريم ، وما يشتمل عليه من البيان الجميل الأخاذ ، تتولد عنده فناعة تامة ، ويقين لا يتزلزل بأن بعثته ﷺ علامة على قرب القيامة ونهاية هذه الحياة الدنيا ، إذ هو خاتم الأنبياء والمرسلين فلا نبي بعده ، يقول أبو بكر الجزائري - حفظه الله - : « إن الله تعالى ما زال يبعث بالأنبياء ، ويرسل بالرسول لهداية الناس وإصلاحهم وإعدادهم للكمال الذي خلقوا له في الدنيا والآخرة ، حتى ختم الرسالات برسالة نبيه محمد ﷺ وأتم الشرائع بشريعته وجعله خاتم الأنبياء ، وأخبر أنه لا نبي بعده ، فدل ذلك على أن الوقت الباقي من عمر الدنيا قصير ، وأن الرسالة الأخيرة تئمتها إصلاحاً وهداية ، فلا يحتاج معها البشر إلى وحي جديد ، وإلى رسالة ناسخة أو مجددة للشرائع والأحكام كما كانت الحال قبل هذه الرسالة الختامية ، ولهذا كانت بعثته ﷺ علامة من علامات قرب الساعة ، وانتهاء هذه الحياة الدنيا » (٢) .

### ثانياً : ظُهور الفتن وكيفية عرضها على القلوب

تكثر الفتن في آخر الزمان وتتابع وتتابع القطر ، ولا ينجو منها إلا من عصمه الله ، ولذا حث الرسول ﷺ على المبادرة بالأعمال الصالحة قبل تظاهر الفتن واستحكامها ، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - ؛ أن رسول الله ﷺ قال : " بادروا بالأعمال فتناً (٣) كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً ، يبيع دينه بعرض من الدنيا » (٤) .

(١) - ينظر : " فيض القدير شرح الجامع الصغير " للعلامة المحدث / محمد المدعو بعبدالرؤوف المناوي ، (٢٠٢/٣) ، دار المعرفة - بيروت لبنان ، بدون تحديد رقم الطبعة وتاريخها .

(٢) - " عقيدة المؤمن " (ص/٣٣٦ - ٣٣٧) ، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة ، ط/٢ ، ١٤١٧ هـ .

(٣) - " الفتن " جمع فتنة وهي الابتلاء والامتحان والاختبار ، ثم كثر استعمالها فيما أخرجه الاختبار للمكروه ، ثم أطلقت على كل مكروه أو أيل إليه كالإثم والكفر ، والقتل ، والتحريق ، وغير ذلك من الأمور المكروهة ، ينظر : " لسان العرب " (٣١٧/١٣ - ٣٢١) ، " النهاية في غريب الحديث " (٣/٤١٠ - ٤١١) ، مادة : (فتن) .

(٤) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " ، كتاب الإيمان ، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن (١٠٢/١) ، ح (١١٨) .

وعن حذيفة (١) - رضي الله عنه - قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « تَعْرَضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ (٢) عوداً عوداً ، فأَيُّ قلبٍ أُشْرِبَهَا (٣) نكتت فيه نكتة سوداء (٤) ، وأَيُّ قلبٍ أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين أبيض مثل الصفا (٥) فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض ، والآخر أسود مربد (٦) كالكوز مجخياً (٧) لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه » (٨) .

استعمل - عليه الصلاة والسلام - التشبيه التمثيلي لبيان كثرة الفتن وتعددتها وإحاطتها بالإنسان وقوتها في آخر الزمان ، وأنّها كالليل المظلم ، وبين أن تلك الفتن تهجم على الإنسان وتحيط به من كل جانب كما يحيط ظلام الليل بالمرء أينما اتجه ، فهي فتن متواصلة متكاثرة لا يكاد يفصل بينها فاصل ، ولا ينجو من شرّها إلا القليل ، فالرجل فيها يصبح مؤمناً بالله تعالى ، ويمسى وقد كفر به سبحانه ، ويمسى مؤمناً ويصبح كافراً ، فهو متقلب حيران لا يهتدي إلى طريق مستقيم ،

- (١) - هو : حذيفة بن اليمان ، أبو عبدالله العنسي ، حليف بني عبد الأشهل ، صاحب سر رسول الله ﷺ شهد مع رسول الله ﷺ أحداً هو وأبوه ، وقتل أبوه يومئذ ، قتله المسلمون خطأ ، فقال حذيفة : غفر الله لكم ، قال أبو بكر - رضي الله عنه - : فوالله ما زالت في حذيفة منها بقية خير حتى لقي الله عز وجل ، أمره عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - على المدائن ، وتوفي بعد قتل عثمان بن عفان - رضي الله عنه - بأربعين يوماً ، عام ست وثلاثين للهجرة . ينظر : " الإصابة " ( ٣٩/٢ - ٤٠ ) ، " تهذيب الكمال في أسماء الرجال " للمزني ( ٤٩٥/٥ ) ، وما بعدها .
- (٢) - " الحصير " الجمع حُصْر ، وهو - الفراش - الذي يبسط في البيوت ، وسمي حصيراً لأنه حصرت طاقاته بعضها مع بعض ، يقال : حصر به القوم ، أي أطاقوا به ، وقيل : هو عرق يمتد معترضاً على جنب الدابة إلى ناحية بطنها ، فشبهه الفتن بذلك ، ينظر : " النهاية في غريب الحديث " ( ٣٩٥/١ ) ملادة : ( حصر ) ، " غريب الحديث " لابن الجوزي ، ( ٢١٨/١ ) مادة : ( حصر ) .
- (٣) - " أشربها " : الإشراب خلط لون بلون كأن أحد اللونين سقى اللون الآخر ، يقال شربت الماء وأشربتة إذا سقيته ، وأشرب قلبه كذا : أي حلّ محلّ الشراب واختلط به كما يختلط الصبغ بالثوب ، ينظر : " النهاية " ( ٤٥٤/٢ ) مادة ( شرب ) .
- (٤) - " نكتة سوداء " أي أثر قليل كالنقطة ، شبه الوسخ في المرأة والسيوف ونحوهما ، ينظر : " النهاية " ( ١١٤/٥ ) مادة نكت .
- (٥) - " الصفا " الحجر الأبيض الأملس الذي لا يعلق به شيء ، ينظر : " شرح النووي على صحيح مسلم " ( ١٧٣/٢ ) ، " شرح الأبى على صحيح مسلم " ( ٤٢٣/١ ) .
- (٦) - " مربد " : الرئدة لون بين السواد والغبرة ، ويقال : تربد لونهُ أي : تلون وصار كلون الرماد ، ينظر : " غريب الحديث " لابن الجوزي ( ٣٧٣/١ ) ، " النهاية في غريب الحديث " ( ١٨١/٢ ) .
- (٧) - " كالكوز مجخياً " : المَجْخِي : المائل ، قال أبو عبيدة : ولا أحسبه أراد إلا المائل المنحرف فلا يثبت فيه شيء ، فشبه به القلب الذي لا يعي خيراً . ينظر : " غريب الحديث " لابن الجوزي ( ١٤٠/١ ) ، " النهاية " ( ٢٤٢/١ ) مادة ( كوز ) .
- (٨) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الإيمان ، باب : بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً ، ( ١١٧/١ ) ، ح ( ١٤٤ ) .

ولذلك حثَّ الرسول ﷺ على المسارعة إلى عمل الصالحات والتزود من الطاعات قبل ورود تلك الفتن المتتابعة .

يقول العلامة المناوي - رحمه الله : « من هذه الأحاديث الحث على المسارعة بالعمل الصالح قبل تعذره أو تعسُّره بالشُّغل عمَّا يحدث من الفتن المتكاثرة المترابطة كتراكم ظلام الليل ثم وصف نوعاً من شدائد الفتن بقوله ﷺ : « يُصبح الرَّجُل فيها مؤمناً ويمسي كافراً ، ويصبح كافراً ويمسي مؤمناً » وهذا لعظم الفتن ، يتقلب الإنسان في اليوم الواحد هذه التقلبات ، فيبيع أحدهم دينه بقليل من حطام الدنيا (١) .

وقد كان لهذا الأسلوب النبوي الذي يحمل في طياته التحذير الشديد من هذه الفتن المتقلبة ، أثرٌ واضحٌ على صحابة رسول الله ﷺ ، بحرصهم على استثمار الأوقات في التزود من عمل الطاعات والقربات ، فما أحرى المسلمين اليوم بتلك المبادرة التي حث عليها النبي ﷺ ، وأن يسارعوا ويتنافسوا في التزود من الأعمال الصالحة ، حتى تسلم لهم قلوبهم ؛ لأن الفتن إذا تراكت عليها أفسدتها وأورثتها قسوة وغفلة ، وانحرافاً عن منهج الله وشرعه ، وبذلك يحصل الفساد العريض في الدنيا ، والوعيد الشديد في الآخرة ، وهذا الحديث وغيره من أحاديث الفتن وأشراط الساعة ، من معجزاته ﷺ ، فهو يخبر عن أمور مستقبلية تكون أمارات على قرب قيام الساعة ، وقد أوضح ﷺ كيفية ورود تلك الفتن على القلوب بأسلوب أخاذٍ مثيرٍ وتصويرٍ رائعٍ دقيقٍ يلفت أنظار السامعين ويستولي على قلوبهم ، وتأمل معي تفاصيل ذلك البيان النبوي الكريم :

يقول ﷺ : « تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً » .

ففي هذا المقطع من الحديث بين ﷺ كيفية ورود الفتن على القلوب ، بأمرٍ مشاهدٍ ومعلومٍ عند المدعو ، لأنه جزء من بيئته ، فشبه ذلك العَرَضُ بصناعة الحصير وهو ينسج عوداً عوداً ، فلم تأت تلك الفتن جملة واحدة ، وإنما أتت فتنة تلو الأخرى ، والقلوب حيال هذه الفتن قسمان :

**الأول** : قلب قبلها ولم ينكرها ؛ بل أذن لها بالدُخول وتشرَّبها ، فينكت فيه نكته سوداء ، وهكذا حتى يعمُّ السواد القلب ويغمره ، قال تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى

(١) - "فيض القدير" لعبد الرؤوف المناوي ، (٣/١٩٤) .

قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴿ (١) قال المفسرون : « هو الذنب على الذنب حتى يُسود القلب » (٢) .

وقال مجاهد (٣) : « هو الرجل يذنب الذنب فيحيط الذنب بقلبه ، ثم يذنب الذنب فيحيط بقلبه ، حتى تغشى الذنوب قلبه » (٤) ، وذلك هو التشرب الذي أشار الله تعالى إليه في وصف بني إسرائيل بقوله : ﴿ وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين ﴾ (٥) .

أي أن حببهم الشديد لعبادة العجل قد تمكن من قلوبهم ، حتى لكانهم أشربوه إشراباً (٦) .

والسبب في تشرب تلك الفتن والمعاصي - والله أعلم - هو عدم إنكارها ، ولذلك وصف ﷺ نهاية ذلك القلب بوصف يشع تشمئز منه النفوس السليمة ، فقال : « والآخر أسود مربدأً كالكوز مخجياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه » .

يقول الأبى - رحمه الله - (٧) في شرحه على صحيح مسلم نقلاً عن صاحب التحرير : « معنى الحديث أن الرجل إذا اتبع هواه وارتكب المعاصي دخل قلبه كل

- (١) - سورة المطففين ، الآية : (١٤) .
- (٢) - " الجامع لأحكام القرآن " للقرطبي ، (١٧٠/١٩) .
- (٣) - هو : مجاهد بن جبير ، أبو الحجاج المكي ، مولى بني مخزوم ، شيخ القراء والمفسرين ، أخذ القرآن والتفسير والفقه عن ابن عباس ، وأبي هريرة ، وعائشة ، وسعد بن أبي وقاص ، وابن عمر ، وغيرهم كان يقف عند كل آية يسأل ابن عباس فيم نزلت وكيف كانت ، استقر في الكوفة ، ومات سنة ١٠٤ هـ . ينظر : " سير أعلام النبلاء " (٤٤٩/٤) ، وتهذيب التهذيب (٣٥١/٦) ، والأعلام (٢٧٨/٥) .
- (٤) - ينظر : " الجامع لأحكام القرآن " (١٧٠/١٩) .
- (٥) - سورة البقرة ، الآية : (٩٣) .
- (٦) - ينظر : " في ظلال القرآن " (٩٣/١) .
- (٧) - هو : محمد بن خلف بن عمر التونسي الإلبيري القرطبي الوشستاني ، وقيل : الموشستاني ، أبو عبد الرحمن المالكي الأبى ، محدث حافظ فقيه ، مفسر ، ناظم ، ولي قضاء الجزيرة ، له شرح على المدونة ، وله شرح على صحيح مسلم ، توفي سنة ٨٢٧ هـ ، وقيل ٨٢٨ هـ ، ينظر : " توشيح الديباج وحبلىة الابتهاج لبدر الدين القرافي ، تحقيق : أحمد الشتيوي (ص/٢٠٤ - ٢٠٥) ، دار الغرب الإسلامي ، ط : ١ ، ١٤٠٣ هـ ، " نيل الابتهاج بتطريز الديباج " سيد أحمد بن أحمد بن محمد أقيت المعروف بـ (بابا) التبتكي (ص / ٣٣٦ - ٣٣٧) دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، (مطبوع بهامش الديباج) " شجرة الثور الزكية في طبقات المالكية " للشيخ محمد بن محمد مخلوف (٢٤٤/١) دار الفكر للطباعة والنشر ، بدون تحديد رقم الطبعة وتاريخها .

معصية يتعاطاها ظلماً ، وإذا صار كذلك افتتن وزال عنه نور الإسلام والقلب مثل الكوز فإذا انكب انصب ما فيه ولم يدخله شيء بعد ذلك » (١) .

وإذا كانت الفتنة والمعصية تصيب القلب بالمرض وتُطفئ نور الحق فيه فإن التوبة الصادقة والاستغفار تجلي تلك الظلمة ، يقول ﷺ : « إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة ، فإذا هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه ، وإن عاد زيد فيها ، حتى تعلق قلبه ، وهو الرآن الذي ذكره الله » (٢) .

والإصرار على المعصية هو سبب استعلاء واستحكام الظلمة على القلب ، يقول المناوي - رحمه الله - : « فمن أذنب ذنباً ؛ أثر ذلك في نفسه ، وأورث بها كدورة فإن تحقق قبحه وتاب عنه ؛ زال الأثر ، وصارت النفس صقيلة صافية ، وإن انهمك وأصر ؛ زاد الأثر وفشا في النفس فاستعلى عليهما فصار طبعاً ، وهو الرآن » (٣) .  
وللغزالي (٤) - رحمه الله - كلام جميل في هذا المعنى ، ملخصه : أن القلب كالمرآة ، والذنوب كدخان مظلم يتصاعد إلى مرآة القلب ، فلا يزال يترام علىه مرة بعد أخرى ، حتى يسود ويظلم ويصير محجوباً عن الله تعالى ، وهو الطبع والرین ، وكلما تراكمت الذنوب ؛ طبع على القلب ، وعند ذلك يعمى عن إدراك الحق وصلاح الدين ، ويستهيئ بالآخرة وأخطارها ؛ ويستعظم أمر الدنيا ويهتم بها ، وإذا قرع سمعه أمر الآخرة وأخطارها ؛ دخل من أذن وخرج من الأخرى ، ولم يستقر في القلب ، ولم يحركه إلى التوبة ، ( قد يتسوا من الآخرة كما يتس الكفار من أصحاب القبور ) (٥) ، وهذا هو معنى اسوداد القلب بالذنوب كما نطق به القرآن والسنة (١) .

- (١) - شرح الأبي لصحيح مسلم ، المسمى إكمال إكمال المعتم " (٤٢٥/١) .  
(٢) - أخرجه الإمام الترمذي في " سننه " كتاب التفسير ، باب : ومن سورة ويل للمطففين (٤٣٤/٥) ، ح (٣٣٣٤) وحسنه الألباني في " صحيح كتاب سنن الترمذي " (١٢٧/٣) ح (٢٦٥٤) .  
(٣) - سبق ذكرها (ص/١٠١) .  
(٤) - هو : الشيخ الإمام البحر ، حجة الإسلام ، أعجوبة الزمان ، زين الدين أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي ، الشافعي ، الغزالي ، برع في الفقه ، ومهر في الكلام والجدل ، حتى صار عين المناظرين ، كان آية في الذكاء ، اشتغل بالزهد والتصوف ، وألف فيه ، وقرأ الحكمة والفلسفة ، وفهم كلامهم وتصد للرد عليهم ، له كتب كثيرة ، نحو مائتي مصنف ، منها " إحياء علوم الدين " ، " المستصفى " ، " تهافت الفلاسفة " ، ولد عام ٤٥٠ هـ ، وتوفي عام ٥٠٥ هـ . ينظر : " سير أعلام النبلاء " (٣٢٢٢-٣٤٦) ، " الأعلام " (٢٢/٧) .  
(٥) - سورة الممتحنة ، جزء من الآية : (١٣) .  
(٦) - ينظر : " إحياء علوم الدين " (١٨/٣ - ١٩) لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، التحقيق : سيد إبراهيم ، دار الحديث ، القاهرة ، ط : ١ ، ١٤١٢ هـ .

ومما يلزم معرفته أن المسلم لا يكفر بكثرة الذنوب والمعاصي إذا سلمت من الشرك بالله تعالى ، لكن قلبه يسودُّ ، فيشبهه في اسوداده ، ومع ذلك فهو على خطر عظيم ، فإن المعاصي بريد الكفر ، ولا بد أن يؤثر ضررها على القلب كضرر السموم في الأبدان على اختلاف درجاتهم في الضرر ، فلا يأمن عاقبة المعاصي إلا مغرور ، فلا تزال به حتى ينسلخ من القلب استقباحها ، فتصير له عادة (١) ، وقد يختم على قلبه فيصاب بالغفلة كحال بعض الكفار المكذبين عند سماعهم لنداء الحق والدعوة والإنذار ، يقول الله تعالى عنهم : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ \* خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢) .

يقول الإمام الطبري (٣) - رحمه الله - في تفسيره : « إن الذنوب إذا تتابعت على القلوب أغلقتها ، وإذا أغلقتها أتاها حينئذ الختم من قبل الله عز وجل والطبع ، فلا يكون للإيمان إليها مسلك ، ولا للكفر منها مخلص ، فذلك هو الطبع والختم الذي ذكره الله تعالى في قوله : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ ﴾ (٤) » (٥) .

ومما يؤيد ذلك ما رواه عبدالله بن عمر (٦) وأبو هريرة - رضي الله عنهما - أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول - على أحواد منبره - : « لِيُنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وُدِّعِهِمُ الْجُمُعَاتِ أَوْ لِيَخْتَمَنَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ، ثُمَّ لِيَكُونَنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ » (٧) .

(١) - ينظر : " القلب ووظائفه في الكتاب والسنة " سلمان زيد اليماني (ص/٣٦٥ - ٣٦٦) ، دار ابن القيم ، الدمام ، ط : ١ ، ١٤١٤هـ .

(٢) - سورة البقرة ، الآية : (٦ - ٧) .

(٣) - هو : محمد بن جرير بن يزيد بن كثير ، الإمام المجتهد ، عالم العصر ، أبو جعفر الطبري ، ولد سنة ٢٢٤هـ ، وطلب العلم وعمره ستة عشر عاماً ، وأكثر الترحال ، وكان من أفراد الدهر علماً وذكاءً ، وكثرة تصانيف ، قل أن ترى العيون مثله ، كان ثقة صادقاً ، رأساً في التفسير ، إماماً في الفقه والإجماع والاختلاف ، علامة في التاريخ وأيام الناس عارفاً بالقرآن وباللغة ، وغير ذلك ، توفي ٣١٠هـ ودفن في داره برجعة يعقوب ببغداد ، رحمة الله عليه ، ينظر : " سير أعلام النبلاء " (٢٦٧/١٤) وما بعدها .

(٤) - سورة البقرة ، جزء من الآية : (٧) .

(٥) - " جامع البيان عن تأويل أي القرآن " لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (١١٣/١) دار الفكر ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٨هـ ، بدون ذكر رقم الطبعة .

(٦) - هو : عبدالله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي ، أبو عبدالرحمن ، محارب جليل ، ولد سنة ثلاث من البعثة ، نشأ في الإسلام ، وهاجر مع أبيه ، شهد فتح مكة ، يُعد من علماء الصحابة ، أفتى الناس في الإسلام ستين سنة ، مات عام ٧٣هـ ، رضي الله عنه ، وآخر من مات من الصحابة بمكة ، روى ٢٦٣٠ حديثاً . ينظر : " الإصابة في تمييز الصحابة " (١٥٥/٤) ، " سير أعلام النبلاء " (٢٠٣/٣) ، " الأعلام " (١٠٨/٤) .

(٧) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الجمعة ، باب التغليظ في ترك الجمعة (٤٩٥/٢) ، ح (٨٦٥) .

وبالجملة فإنَّ الفتن والمعاصي إذا تواردت على القلب ولم ينكرها ويدفعها عنه أفسدته ، وما تزال به حتى يموت ، ويكون كالإناء المنكوس الذي لا يمك شبيئاً ، والتشبيه بالكوز المائل ، دليل على أن القلب كان مملوءاً بالخير ، فلا يزال يميل ، وفي الميل سكب لما فيه ، حتى ينسكب ما حوى من الخير فلا يدخله شيء بعد ذلك .

**الثاني :** قلب سليم خاشع ، مليء بالتقوى ، مطمئن بذكر الله ، مزين بزينة الإيمان يوجل إذا تليت عليه آيات الله ، ويزداد إيماناً وطمأنينة إذا ذكر الله ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رُءُوسِهِمْ سُجُودٌ ﴾ (١) ، وقال سبحانه : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (٢) .

والقلب الذي يتحلَّى صاحبه بامتثال أمر الله ، واجتناب نهيه ، يرتقي دائماً إلى أعلى المقامات ، ويتخلص من سائر الآفات ، قال تعال : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لِنَهْدِهِمْ سَبِيلًا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٣) .

ولذلك شبَّه ﷺ ذلك القلب الأبيض الطاهر الذي أنكر الفتن والمنكرات بالحجر الأبيض الأملس الذي لا تؤثر فيه المؤثرات الخارجية ، ولا يلصق به شيء ، فكذلك القلب الأبيض لا تلصق فيه الفتن ، لشدته على عقد الإيمان ، وسلامته من الخلل والزلل ، فعندئذ لا تضربه فتنة ما دامت الدنيا .

يقول الدكتور الصَّبَّاح - حفظه الله - : « إن القلب الأبيض الذي مثل الصِّفَاء الملساء لا تؤثر فيه الرياح الهوج ولا الرعود ولا البروق .. ، إنه في صفاته جسّد معنى الصفاء ، واحتفظ بلونه الأبيض ورسوخه في موضعه » (٤) .

إن هذا الحديث العظيم حوى منهجاً حسياً مؤثراً يُصوِّر كثرة الفتن في آخر الزمان ، وموقف قلوب الناس منها ، والرسول ﷺ أثار حاسة الإبصار لدى المدعوين بأمثلة وأمر حسية غير مشاهدة وقت سماع الخطاب ، لكنهم يعرفونها تمام المعرفة لوجودها في بيئتهم ، فالحصير كثير الاستخدام ، وصناعته لا تحتاج إلى كثير تفكير ، فهي معروفة مألوفة ، والنكته : نقطة صغيرة الحجم ، والألوان

(١) - سورة الأنفال ، الآية : (٢) .

(٢) - سورة الرعد ، الآية : (٢٨) .

(٣) - سورة العنكبوت ، الآية : (٦٩) .

(٤) - " التصوير الفني في الحديث النبوي " (ص/٣٦١) .



ثرى بالعين ، ولذلك شبهه ﷺ القلب المهتدي الذي تعرض عليه الفتن والمنكرات فإردّها ويرفضها ، ويلتزم بشرع الله في كل صغيرة وكبيرة ، بالحجر الأبيض الأملس الراسخ في الأرض ، والقلب المنحرف الذي يتشرب المنكرات كما تتشرب الإسفنجة الماء ، بالكوز المنكوس الذي لا يعي شيئاً ، لأنه مهما وضعت تحت الماء المنهمر لا يمتلئ ولو بقيت الدهر كله ، فهو قلب أسود مُغبرّ قاتم كالح خالٍ من كل خير وفضيلة لا يعرف معروفاً فيتبعه ويعمل به ، ولا ينكر منكراً فينتهي عنه ، ولا يتبع إلا ما يملئ عليه هواه ، فهو حيران تائه لا يهتدي إلى الطريق المستقيم .

ومن الأحاديث التي تبين ظهور الفتن وكثرتها في آخر الزمان :  
ما رواه أسامة بن زيد (١) - ﷺ - قال : أشرف النبي ﷺ على أطم (٢) من أطام المدينة ، ثم قال : « هل ترون ما أرى ؟ إني أرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر » (٣) .

يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : « وحسن التشبيه بالمطر لإرادة النعيم لأنه إذا وقع في أرض معينة عمّها ولو في بعض جهاتها » (٤) .  
والحديث فيه إثارة لحاسة الإبصار ، فالرسول ﷺ والصحابة معه مشرفون على المدينة من أحد المرتفعات المحيطة بها ، وقد صورّ لهم وهم ينظرون إلى منازلهم الفتن التي ستكون بعده في كثرتها وانتشارها بالمطر النازل .  
وقد وقع ما أخبر به ﷺ ، ومن ذلك الحروب التي دارت بين الصحابة - ﷺ -  
يقول صاحب الفتح « وإنما اختصت المدينة بذلك لأن قتل عثمان (٥) - ﷺ - كان

(١) - أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل بن عبدالعزى ابن امرئ القيس ، المولى الأمير الكبير ، حبيب رسول الله ﷺ ، وابن حبه ، ومولاه ، وابن مولاه ، أمره رسول الله ﷺ قبل موته على جيش لغزو الشام وفي الجيش عمر وكبار الصحابة ، وعمره آنذاك ثمانين سنة ، أتى أن يدخل مع علي - ﷺ - ضد معاوية ، قيل إنه شهد يوم موته مع والده ، قال الزهري : مات أسامة بالجرف . ينظر : " الإصابة " (٢٠٢/١ - ٢٠٣) ، " سير أعلام النبلاء " (٤٩٦/٢) .

(٢) - " أطم " : بناء مرتفع كالحصن . ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (٥٤/١) ، مادة : ( أطم ) .

(٣) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الفتن ، باب : قول النبي ﷺ : " ويل للعرب من شرّ قد اقترب " (٢٢١١/٤) ح (٧٠٦٠) واللفظ له ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الفتن ، باب نزول الفتن كمواقع القطر ، (١٧٥٢/٤) ح (٢٨٨٥) .

(٤) - " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، (١٦/١٣) .

(٥) - هو : الخليفة الراشد عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية القرشي ثالث الخلفاء الراشدين ، فتحت في أيامه أرمينية ، والقوقاز ، وقبرص ، وجمع الناس على مصحف واحد ، قتل - ﷺ - بعد أن حوصر أربعين يوماً وهو يقرأ القرآن ، صبيحة عيد الأضحى عام ٣٥هـ . ينظر : " الإصابة " (٣٧٧/٤) ، " تهذيب التهذيب " (٨٨/٤) ، " الأعلام " (٢١٠/٤) .

بهاثم انتشرت الفتن في البلاد بعد ذلك ، فالقتال بالجمال وصفين كان بسبب قتل عثمان ، والقتال بالنهروان كان بسبب التحكيم بصفين ، وكل قتال وقع في ذلك العصر إنمّا تولد عن شيء من ذلك ، أو عن شيء تولد عنه <sup>(١)</sup> .

وقد حذر ﷺ العرب خاصة من تلك الفتن في حديث زينب بنت جحش <sup>(٢)</sup> - رضي الله عنها - أنها قالت : استيقظ النبي ﷺ من النوم محمراً وجهه وهو يقول : « لا إله إلا الله ، ويل للعرب من شرّ قد اقترب ، فتح من ردم يأجوج مثل هذه - وعقد سفيان تسعين أو مائة - قيل أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال نعم إذا كثر الخبث » <sup>(٣)</sup> .

وإذا كان فتح في زمن الرسول ﷺ تلك الفتحة الصغيرة ، فإن الفتح لا يزال يتسع على مرّ الأوقات ، والحديث ينذر بقرب قيام الساعة ، فطلى الناس التوبة والإنابة قبل أن تهجم عليهم كل الفتن <sup>(٤)</sup> .

### ثالثاً : اتباع سنن الأمم الماضية

لقد نهى الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه عن التعمية بأهل الكتاب ، في بعدهم عن اتباع الحق ، لمّا طال عليهم الزمن ، وفي ذلك يقول تعالى : ﴿ ... ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون ﴾ <sup>(٥)</sup> .

وحذر رسول الله ﷺ من اتباعهم ، مؤكداً أنه واقع لا محالة ، فعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : « لتتبعن سنن <sup>(٦)</sup> من كان قبلكم ، شبراً

(١) - المصدر السابق " (١٦/١٣) ، وينظر كذلك : " عمدة القارئ " ٦٤/٢٠ .  
 (٢) - هي : زينب بنت جحش الأسدية أم المؤمنين ، أخت عبدالله بن جحش ، وأمها أميمة بنت عبدالمطلب عمه النبي ﷺ كان قد تزوجها زيد بن حارثة ، وطلقها ، فتزوج بها النبي ﷺ بالوحي الإلهي ، وكانت كثيرة الخير والصدقة ، روت (١١) حديثاً ، توفيت سنة ٢٠هـ . ينظر : " أسد الغابة " (٤٦٣/٥) ، " سير أعلام النبلاء " (٢/٦٦٢١١ - ٢١٨) .

(٣) - أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الفتن ، باب قول النبي ﷺ : ويل للعرب من شرّ قد اقترب (٢٢١١/٤) ، ح (٧٠٥٩) .  
 (٤) - ينظر : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " (١٦/١٣) بتصرف يسير .  
 (٥) - سورة الحديد ، جزء من الآية : (١٦) .  
 (٦) - " سنن " : جمع مفرداً سنّة ، والأصل فيها الطريقة والسيرة ، ينظر : " مشارق الأنوار على صحاح الآثار " (٢٧٧/٢) " النهاية في غريب الحديث " (٤٠٩/٢) مادة : سنن .

بشبر ، وذراعاً بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضب<sup>(١)</sup> تبعتموهم . قلنا : يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال : « فمن ؟ »<sup>(٢)</sup> .

هذا الحديث العظيم من دلائل نبوته ﷺ ، فقد وقعت تلك المتابعة كما أخبر - عليه الصلاة والسلام - ، وهذا أمرٌ غيبي ، ولذا أكده بعدد من المؤكدات كالقسم واللام ونون التوكيد في قوله : « لتتبعن » ليبين للمدعويين من صحابته وللأمة من بعدهم أن المسلمين سيحلّ بهم بلاء التقليد الأعمى لأعداء الله من اليهود والنصارى . وقد استعمل الرسول ﷺ لبيان ذلك التقليد أشياء حسية من بيئة المخاطبين ، فالشبر والذراع ، من وسائل القياس المستعملة في ذلك العصر ، وجحر الضب معروف عند العربي بضيقه وظلمته ، وأن دخول الإنسان فيه لا يمكن بحال ، لكن الرسول ﷺ ضرب ذلك المثل لتقريب تلك الصورة الغائبة عن أذهان المخاطبين ، ولبيان شدة المتابعة التي تقع من أمة محمد ﷺ في آخر الزمان لليهود والنصارى ، وفي هذا الوصف دليل على نبوة محمد ﷺ لأنه أخبر عن أمر غيبي وقد وقع كما أخبر ، وفي ذلك يقول الإمام النووي - رحمه الله - : « والمراد بالشبر والذراع وجحر الضب التمثيل بشدة الموافقة لهم ، والمراد الموافقة في المعاصي والمخالفات لا في الكفر ، وفي هذا معجزة ظاهرة لرسول الله ﷺ فقد وقع ما أخبر به ﷺ »<sup>(٣)</sup> .

وعن عبدالله بن عمرو<sup>(٤)</sup> قال : قال رسول الله ﷺ : « لياتين على أمتي ما لكان من أمتي من يصنع ذلك »<sup>(٥)</sup> .

(١) - "ضب" : الضب حيوان من جنس الزواحف ، غليظ الجسم خشنه ، وله ذنب عريض حرش أعقد ، يكثر في صحاري الأقطار العربية . ينظر : " المعجم الوسيط " (ص/٥٣٢) مادة (ضبا) .

(٢) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة ، باب : قول النبي ﷺ " لتتبعن سنن من كان قبلكم " (٢٢٨٥/٤) ح (٧٣٢٠) ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب العلم ، باب اتباع سنن اليهود والنصارى (١٦٣١/٤) ح (٢٦٦٩) .

(٣) - " شرح النووي لصحيح مسلم " (٢١٩/١٦) ح (٢٢٠) .

(٤) - هو : عبدالله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن كعب بن لؤي القرشي السهمي ، الإمام الحبر العابد صاحب رسول الله ﷺ ، وابن صاحبه ، أبو محمد ، وقيل : أبو عبد الرحمن ، أسلم قبل أبيه ، ويقال : كان اسمه العاص ، فلما أسلم ، غيره النبي ﷺ بعبدالله ، له مناقب وفضائل كثيرة ، ومقام راسخ في العلم والعمل ، حمل عن النبي ﷺ علماً جمياً ، وروى عنه أحاديث كثيرة ، توفي سنة (٦٣هـ) وقيل غير ذلك ، وله من العمر (٧٢ سنة) . ينظر : " الإصابة " (١٦٥/٤ - ١٦٧) ، " سير أعلام النبلاء " (٧٩/٣ - ٩٤) .

(٥) - أخرجه الإمام الترمذي في " سننه " ، كتاب الإيمان ، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة ، (٢٦/٥) ح (٢٦٤١) ، وقال : هذا حديث مُفسَّرٌ غريب لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه ، وحسنه الشيخ الألباني في " صحيح سنن الترمذي " (٣٣٤/٢) ح (٢١٢٩) .

ومع ذلك فقد حذر القرآن الكريم من متابعة اليهود والنصارى وغيرهم يقول الله تعالى : ﴿ ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون ﴾ (١) . ولأن اليهود والنصارى لا يمكن أن يهدأ لهم بال ، ولا تقر لهم عين حتى يقتفي المسلمون أثرهم ويتبعون طريقتهم ونحلتهم ، يقول جل وعلا : ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولن أتبع أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير ﴾ (٢) .

وكان منهجه ﷺ التَّميُّز ومخالفة أهل الكتاب ، بحيث تعيش الأمة بفكر مستقل يؤثّر على الآخرين ولا يتأثر بهم ، فعن أبي هريرة - ﷺ - قال : إن رسول الله ﷺ قال : « إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم » (٣) .

وعن شدّاد بن أوس (٤) - ﷺ - قال : قال رسول الله ﷺ : « خالفوا اليهود فاتّهم لا يضلّون في نعالهم وخفافهم » (٥) .

وقد علم قلة الأنبياء والمرسلين - أخزاهم الله - أن المسلمين يتميزون عنهم في كثير من أحوالهم ، وبدلاً على ذلك ما أخرجه الإمام مسلم عن أنس - ﷺ - قال : إن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجتمعوا معها في البيوت فسأل أصحاب النبي ﷺ النبي ﷺ فأنزل الله تعالى : ﴿ ويسئلونك عن الحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في الحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾ (٦) . فقال ﷺ : « اصنعوا

(١) - سورة الأنعام ، جزء من الآية : (١٥٠) .

(٢) - سورة البقرة ، الآية : (١٢٠) .

(٣) - أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب أحاديث الأنبياء ، باب : ما ذكر عن بني اسرائيل (١٠٧٦/٢) ح (٣٤٦٢) .

(٤) - هو : شدّاد بن أوس بن ثابت الأنصاري النجاري ، أبو يعلى ، ابن أخي حسّان بن ثابت شاعر النبي ﷺ له ولأبيه صحبة ، كان من زهاد الصحابة ، يقول عنه عبادة بن الصامت - ﷺ - : « وإن شدّاد بن

أوس من الذين أوتوا العلم والحلم " توفي بالشام سنة ثمان وخمسين ، وهو ابن خمس وسبعين ، ينظر : " الإصابة " (٢٥٨/٣ - ٢٥٩) ، " تهذيب الكمال " للمزي (٣٩٢/١٢) .

(٥) - أخرجه الإمام أبو داود في " سننه " كتاب الصلاة ، باب الصلاة في النعل ، (٤٢٧/١) ح (٦٥٢) ، وصححه الشيخ الألباني في " صحيح سنن الترمذي " (١٩٣/١) ح (٦٥٢) .

(٦) - سورة البقرة ، الآية : (٢٢٢) .

كل شيء إلا النكاح» فقالوا : ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه (١) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : « فهذا الحديث يدل على كثرة ما شرعه الله لنبيه ﷺ من مخالفة اليهود بل على أنه خالفهم في عامة أمورهم حتى قالوا : ما يريد أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه » (٢) .

ولقد اعترف اليهود بتميز أمة محمد ﷺ يوم أن كانت ملتزمة بشرع الله في كل صغيرة وكبيرة في تلك العصور الزاهرة ، عصر النبوة ، وعصر الخلافة الراشدة ، وما إن بدأت تتنازل عن القيادة وذهبت تقلد أعداء الله من اليهود والنصارى وغيره ، حتى بدأ الضعف والتشردم والضياع يدب في أوصال الأمة ، عندما تخلت عن شرع الله ، ورضيت بالتبعية المهينة لأعداء الله ، يقول الدكتور محمد بن لطفى الصباغ - حفظه الله - : « لقد أضاعت أمتنا بسبب ذلك خصائصها وهويتها . وعم هذا في عدد من أصقاع عالمنا الإسلامي ، وأوت هذه الأمة التي كانت قائدة الركب ، ورائدة التقدم ، أوت إلى جحر الضب تستكن فيه ، تعاني من الضيق والظنك ، والفاقة والبؤس ، ما تعاني ، وتخلقت وطمع بها عدوها وهاجمها وهي خلو من العدة والقوة ، فاستسلمت وانهزمت ، فاحتل ذلك العدو أرضها ، وشرع يرسم لها المخططات الفكرية والاجتماعية والاقتصادية ، وانقادت مكرهة في بادئ الأمر ثم قام نشء من أبنائها ممن ربوا على مناهج الكفار ، يدعون بدعوة أعدائهم ويسيروا في طريق الهدم ، يخربون بيوتهم بأيديهم ، ويحققون لعدوهم بغيته تامة » (٣) .

ومن تأمل الحديث بذلك التصوير الحسي الدقيق لحال الأمة عندما توّلي ظهرها لدين الله وشرعه ، يجد ذلك ماثلاً ، وبتلك الدقة التي أخبر عنها رسول الله ﷺ ، ففي النواحي التشريعية يجد أنهم قد عرضوا عن القرآن ، وحكّموا القوانين الوضعية المستوردة محاكاةً وتقليداً لأعداء الله ، وانبهاراً بما عندهم من وسائل الحضارة الحديثة ، وفي الأحوال الاجتماعية نجد التقليد الأعمى بكل صورته وأشكاله ، وعلى سبيل المثال : إذا ظهرت بين أولئك القوم طريقة قصّ الشعر

(١) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الحيض ، باب جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله وطهارة سورها والانتكاف في حجرها وقراءة القرآن فيه ، (٢٠٧/١) ح (٣٠٢) .

(٢) - " اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم " لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، تحقيق : محمد حامد الفقي (ص/٦٢) دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان ، بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها .

(٣) - " من هدي النبوة " للدكتور / محمد بن لطفى الصباغ ، (ص/١٣٣ - ١٣٤) المكتب الإسلامي ببيروت ، ط : ١ ، ١٤١٤هـ .

فسرعان ما تجد تلك القصة منتشرة بين شباب المسلمين ، وفي عالم الأزياء والموديلات تجد العجب العجاب فإذا قصرَّ القوم ثياب نسائهم قصر أولئك المقلدون ثياب نسائهم ، وقس على ذلك تضيق الثياب ، وشقها من الأمام والخلف وغير ذلك مما لا يليق بالمرأة المسلمة التي أكرمها الله بالإسلام ، وأمرها بالسَّتر والعفاف ، وفي الأحوال الاقتصادية قد بلغ التقليد ذروته ، فالمعاملات المالية عند المسلمين أصبحت قائمة على الربا كما هو عند اليهود والنصارى ، ونظام العمران والبناء لا تكاد تُفرِّق بين منازل الكفار والمسلمين ، وإذا أردت أن تصف موافقه المسلمين للكفار من يهود ونصارى وغيرهم إخالك لا تجد أبلغ من قول الرسول ﷺ : « لَتَتَبَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، شَبْرًا بِشْبِيرٍ ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ ، حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جِحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ .... الحديث » (١) .

### رابعاً : ظُهور أَعوان الظَّلْمَة والنِّساء الكاسيات العاريات

لقد أشار ﷺ في أحاديث كثيرة إلى ما يظهر من الفتن وتغير الأحوال في آخر هذه الأمة ، وبين أوصافاً وأموراً ظهرت على الوصف الذي حدَّد ، ولم تخالفه قيد أنملة ، ومن ذلك ما بينه من حال أولئك الأعوان الظلمة والنساء اللاتي تخليهن عن دينهن وقلدن النساء الكافرات في لباسهن وعاداتهن ونظام حياتهن .

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « صنفان من أهل النار لم أرهما ، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس . ونساء كاسيات عاريات (٢) ، مميلات مائلات (٣) رؤسهن كأسنمة البخت (٤) المائلة لا يدخلن الجنة

(١) - سبق تخريجه " (ص / ١١٠) .

(٢) - "كاسيات عاريات" قيل في معناها ثلاثة أوجه :

أ - كاسيات من نعمة الله عاريات من شكرها .  
ب - وقيل المعنى : تستر بعض بدنهن وتكشف بعضه إظهاراً بحالها .  
ج - وقيل : تلبس ثوباً رقيقاً يصف لون بدنهن : ينظر " شرح النووي على صحيح مسلم " (١٧/١٩١) .

(٣) - "مميلات مائلات" : قيل في معناها أربعة أوجه :

أ - مائلات : زانقات عن طاعة الله وما يلزمهن من حفظ الفروج وغيرها ، مميلات : يُعلمن غيرهن مثل فعلهن .  
ب - مائلات : أي متبخرات في مشيتهن مميلات أكتافهن .  
ج - مائلات : يمشطن المشطة المائلة ، وهي مشطة البغايا ، مميلات : يمشطن غيرهن تلك المشطة .

د - مائلات إلى الرجال ، مميلات لهم بما يبدين من زينتهن وغيرها ، ينظر : " المرجع السابق " (١٧/١٩١) .

(٤) - "أسنمة البخت" : البخت البكرة السئمة أي عظيمة السمِّ ، وسمام كل شيء أعلاه ، وهي جمال طوال الأعناق . ينظر " النهاية في غريب الحديث " (١/١٠١) ، (٢/٤٠٩) مادة (سئم) .

ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا » (١) .  
 من يتأمل حديث النبي ﷺ السابق يجد نصاً جميلاً زاخراً بالصور الحسية المؤثرة ، يصف فيه الرسول ﷺ هذين الصنفين وصفاً دقيقاً ، وكأله يراها بعينه ، فكانت تلك معجزة نبوية خالدة لوقوع ما أخبر به ﷺ ، وإليك أوصاف هذين الصنفين :

**الصنف الأول :** أقوام ظلمة يتسلطون على رقاب الناس ، ويجلدون ظهورهم ظلماً وعدواناً ، لإرضاء أسيادهم من الحكام الظلمة بسياط مؤلمة تشبه في شكلها وحجمها أذناب البقر ، وفي هذا الوصف إثارة لحاسة الإبصار عن طريق الصورة الذهنية فالبقر قد لا يكون موجوداً أمام المدعو وقت الخطاب ، ولكنه يعرفه جيداً لأنها جزء من حياته وبيئته ، وفي هذا التشبيه زيادة على إيضاح الصورة ، إشعار ببلادة أولئك الأعوان ، وأنهم كالألة في يد غيرهم ، كما أن الذنب لا يتحرك إلا بتحريك البقرة له وقد شنَّ الرسول ﷺ على هذا الصنف ، وحكم عليهم بأنهم من أهل النار في الآخرة ، وفي الحياة الدنيا يعيشون في غضب الله وسخطه ، وذلك غاية الشقاء فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ « يوشك إن طالت بك مدة ، أن ترى قوماً في أيديهم مثل أذناب البقر يغدون في غضب الله ، ويروحون في سخط الله » (٢) .

عن أبي أمامة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « يكون في هذه الأمة في آخر الزمان رجال معهم سياط كأنها أذناب البقر ، يغدون في سخط الله ويروحون في غضبه » (٣) .

وقد ابتليت الأمة في بعض عصور الإسلام بحكام جائرين لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً ، ليس لهم هم إلا المحافظة على كراسيهم ، يستعملون لذلك أعواناً فاسدين ، متسلخين من كل خلق وفضيلة ، يُعذبون الناس ، ويتفنتون في تعذيبهم بكل وسيلة ممكنة ، وقد تناسوا قول الرسول ﷺ : « إن الذي يعذب الناس

(١) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب اللباس والزينة ، باب النساء الكاسيات العربيات لمسائلات المميلات ، (١٣٣٩/٣) ح (٢١٢٨) .

(٢) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الجنة وصفة ونعيمها وأهلها ، باب من يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء (١٧٣٨/٤) ح (٢٨٥٧) .

(٣) - أخرجه الإمام أحمد في " مسنده " (٣١٥/٥) ح (١٤/٢٢١٤٦) ، والإمام الحاكم في " مستدرک " (٤٨٣/٤) ح (٨٣٤٧) وقال : " هذا حديث صحيح الإسناد " ووافقه الذهبي ، وصححه الشيخ الألباني في " صحيح الجامع الصغير " (٦٨٤/١) ح (٣٦٦٦) ، وفي " السلسلة الصحيحة " (٥١٧/٤) ح (١٨٩٣) .

في الدنيا يعذبه الله في الآخرة» (١) . ولم يقتصر تعذيبهم على السياط ؛ بل استخدموا أحدث ما وصل إليه العلم الحديث من وسائل التعذيب ، في التكيل بالمسلمين الموحدين ، الذين لا ذنب لهم إلا أن يقولوا ربنا الله ، ليفرضوا المذهب الشيوعي الماركسي بالقوة والتقليد الأعمى للدول النصرانية في علمانيته التي تفصل بين الدين والدنيا .

**والصنف الثاني : نساء قد تجرّذن من كل حياء وفضيلة ، وقد وصفهن ﷺ**

بوصف موجز بليغ ، فهنّ كاسيات في الظاهر لكنهن عاريات في الحقيقة ، ومن ينظر إلى حال نساء عصرنا هذا يجد ما قاله ﷺ ماثلاً أمامه في الشوارع والأسواق والتجمعات العامة ، فهنّ كاسيات بلباس قصير تظهر معه مواضع الزينة الخفية من المرأة التي أمرت بعدم كشفها إلا للمحارم كالأطراف والنحر ؛ بل وفي بعض المواقع من ديار المسلمين بلغ الأمر ببعض النساء إلى التعري الكامل ولم يستترن إلا العورة المغلظة ، فلا حول ولا قوة إلا بالله -

ومن أوصاف هؤلاء ، أنّهنّ مائلات مميلات أي : زائغات عن الحق والهدى ، وعن طاعة الله وما يلزمهنّ من لباس الستر والعفة ، مميلات : يدعون غيرهنّ إلى الفساد والانحراف فهنّ من شرار الخلق ، وممن ينزل بسببهنّ العذاب ، إذ لم ينكر أهل الخير فعلهنّ .

**ووصف ثالث : فيه من دقة التشبيه والإثارة ولفت الانتباه الشيء الكثير ، فرسول**

الله ﷺ ، وصف تلك الشريحة ، وتعظيم النساء لرؤوسهنّ ، ولف الشعر وجعله في أعلى الرأس بأسنمة البخت المائلة ، فقال : « رؤوسهنّ كأسنمة البخت المائلة » . وهناك براعة في التشبيه : فالسنّام أعلى شيء في البخت ، وكذلك الشعر

المرفوع أعلى شيء في رأس المرأة (٢) . وأيضاً يحمل التشبيه في طياته تهجيناً لحال هؤلاء النسوة المائلات عن الحق ، فأسنمة البخت عظيمة ، وعند ميلانها على ظهر البختية ، تثير منظراً قبيحاً لا يسرّ الناظرين . كما أن ذلك الوصف الدقيق الرائع من رسول الله ﷺ ، والمبين لحال أولئك النسوة قد وقع وظهر جلياً واضحاً في هذا العصر ، فكان برهاناً بيناً على نبوته ﷺ ، وتحذيراً شديداً للنساء

(١) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب البر والصلة ، باب الوعيد الشديد لمن عذب الناس بغير حق (١٦٠١/٤) ح (٢٦١٣) وهو من حديث هشام بن عروة عن أبيه .

(٢) - ينظر : " التصوير الفني في الحديث النبوي " (ص/١٨٠) .



المؤمنات أن يقعن في حبال أولئك الزائغات عن الحق ، الفاسدات ، المفسدات ، المنحرفات عن هدي الكتاب والسنة ، وألا يتشبهن بهن ، فيتعرضن لغضب الله ومقته في الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة .

وأخر جملة في الحديث : فيها ترهيب ووعيد من حال هؤلاء النسوة المنحرفات لأنهن لا يدخلن الجنة ، يقول ﷺ : « لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا ... » . وقد أثار ﷺ حاسة الشم عند المدعوين ، بقوة تلك الرائحة الطيبة الزكية التي تشم من مسافات بعيدة ومع ذلك فإن هؤلاء النساء لا يجدن تلك الرائحة المنبعثة من الجنة ، مما يدل على أنهن محرومات من دخول الجنة ، جزاء انحرافهن وبعدهن عن الحق .

وبالجملة فإن هذا النص النبوي المعجز ، بما حوى من عبارات جميلة ومعان بليغة ، وتشبيهات محرّكة للذهن والانتباه ، كان لها أعظم الأثر على سلوك وتصرفات ذلك الجيل من صحابة رسول الله ﷺ ، فكان الخلفاء والأمراء والسوالات أرحم الناس بأمة محمد ﷺ وقد ضربوا أروع الأمثلة في العدل والإنصاف وإعزاز أهل الدين والصلاح ، وإذلال أهل النفاق والمعصية والانحراف كما كان له أعظم الأثر كذلك على النساء المؤمنات ، فكنّ أهل عفة وستر وحشمة وإيمان وتقوى ملتزمات بهدي الكتاب والسنة في جميع التصرفات والأحوال التي تخص المرأة المسلمة .

### خامساً : تداعي الأهم في آخر الزمان على المسلمين

ومن علامات الساعة الصغرى التي أخبر عنها الرسول ﷺ ، تكالب أعداء الإسلام من كل مكان ، للقضاء على أي شكل من أشكال القوة عند المسلمين ، القوة المعنوية المتمثلة في تمسك المسلمين بدينهم ، والمادية المتمثلة في خيرات الأمة ، بجميع أشكالها وأنواعها ولا يكون ذلك إلا عندما يتقارب الزمان ، وتضعف هذه الأمة بسبب الركون إلى الدنيا وشهواتها ، والتكرار لدين الله وأمره ، وهذا ما أخبر به الصادق الأمين ﷺ في حديث ثوبان (١) - ﷺ - قال : قال رسول الله ﷺ :

(١) - هو : ثوبان بن بَجْدُ ، القرشي الهاشمي ، أبو عبدالله ، ويقال أبو عبدالرحمن ، مولى رسول الله ﷺ ، من أهل السراة وهو موضع بين مكة واليمن ، أصابه سياء ، فاشتراه رسول الله ﷺ ، فأعتقه ، ولم يزل معه في الحضر والسفر حتى توفي ، فخرج إلى الشام ، فنزل الرملة ، ثم انتقل إلى حمص ، ولم يزل بها حتى مات ، قيل كانت وفاته سنة أربع وخمسين من الهجرة . ينظر : " الإصابة " (٢٥٧/١ - ٥٢٨) ، " تهذيب الكمال " للمزي ، (٤١٣/٤ - ٤١٥) ، " تهذيب التهذيب " (٤٠١/١) ، " الأعلام " (١٠٢/٢) .

« يوشك <sup>(١)</sup> أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة <sup>(٢)</sup> على قصعتها <sup>(٣)</sup> ». قال : قلنا يا رسول الله أمن قلة بنا يومئذ ؟ قال : « أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم تكونون غناء <sup>(٤)</sup> كغناء السيل ، ينتزع المهابة من قلوب عدوكم ، ويجعل في قلوبكم الوهن ». قال : قلنا : وما الوهن ؟ قال : « حب الدنيا وكراهية الموت » <sup>(٥)</sup> .

اشتمل هذا الحديث على صورة تشبيهية رائعة تصف حالة الضعف التي وصلت إليها أمة الإسلام في هذا العصر ، بسبب بعدها عن هدي الكتاب والسنة ، مع أن العدد كثير ، ومع ذلك لا قيمة ولا وزن لهم بين الأمم والشعوب والرسول ﷺ عند بيانه لذلك الوضع استعمل الصورة الذهنية في التعبير عن هيئة غائبة ، لإثارة حاسة الإبصار عند المدعو ، لينظر عن طريق الخيال إلى ذلك المشهد الحسي المعبر عن ضعف المسلمين في آخر الزمان ، فيقول : « يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة إلى قصعتها » .

فترى في هذه القطعة من الحديث ، تشبيه المسلمين باللقمة السائغة يتلعبها ذوو الشره والنهم من أعدائها فهم كالطعام المعد للأكل وشبه أمم الكفر وهي تهرع من كل حذب وصوب ، تجاه تلك المائدة بالأكلة الجائعين يفهم ذلك من بعض معاني ألفاظ الحديث كما في قوله : " يوشك " ، " تداعى " ، وزيادة على دقة التشبيه وقوته فإن كلمات الحديث بألفاظها ومعانيها تحمل من البلاغة والبيان ما يجعل الصورة واضحة وكأن المدعو يراها بعينه .

(١) - " يوشك " : أي يقرب وينتو ويسرع ، يقال : أوشك يوشك إيشاكا ، فهو موشك ، والوشيك : السريع القريب . ينظر " النهاية في غريب الحديث " (١٨٩/٥) مادة : (وشك) .

(٢) - " الأكلة " جمع . تقول : أكل الطعام يأكله أكلاً فهو أكل . ينظر : " لسان العرب " (١٠٠/١) مادة : (اكل) .

(٣) - " على قصعتها " القصعة ، المائدة الضخمة تشبع العشرة ، والجمع قصاع . ينظر : " لسان العرب " (٢٧٤/٨) مادة : (قصع) .

(٤) - " غناء " : الغنث : الرديء من كل شيء . ينظر : " لسان العرب " (١٧١/٢) ، مادة (غنث) .

وغناء السيل : هو ما يطفو على ظهره من الأشياء التي لا وزن لها ، ولا نفع منها غالباً ، وقد أشار الله تعالى في كتابه إلى هذا المعنى : فقال : ﴿ فإما الزبد فيذهب جفاءً ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض .. ﴾ . (الرعد : ١٧) .

(٥) - أخرج الإمام أحمد في " المسند " (٣٥٠/٥) ، ح (٢٢٣٩٣) واللفظ له ، وأبو داود في " مسنده " كتاب الملاحم ، باب تداعى الأمم على الإسلام ، (٤٨٣/٤) ح (٤٢٩٧) ، وصححه الشيخ الألباني في " السلسلة الصحيحة " (٦٨٣/٢) ح (٩٥٨) .

ومرة أخرى يستعمل الرسول ﷺ التشبيه في بيان ذلك الضعف الذي سيحلُّ بالأمة فيقول « أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل » وهذا وصف في غاية الدقة والوضوح فقد تحقق ما ذكره ﷺ أكثر من مرة في تاريخ أمتنا وخاصة في عصرنا الحالي ، فالمسلمون كثير ولكنهم في رقة دينهم ، وخفة عقولهم ، وضحالة أهدافهم مثل ذلك الغثاء الذي يدفع به السيل ويرمي به يمينا ويسرة لا فائدة فيه ، ولا يُرجى منه نفع .

ويؤكد ﷺ ضعف الأمة بقوله : « ولينزعنَّ الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفنَّ الله في قلوبكم الوهن » فقال قاتل وما الوهن ؟ قال : « حُبُّ الدنيا وكراهية الموت » (١) .

ذلك موعود الله في الأمة يوم أن تولي ظهرها للإسلام ، وتقبل على الدنيا وزينتها ، وتترك أوامره ونواهيه ، وتعطل فريضة الجهاد في سبيل الله ، فيصييها الضعف ، وينزع الله تلك المهابة الإيمانية من قلوب الأعداء والتي هي تأييد رباني من الله تعالى لعباده المؤمنين يقول ﷺ : « نصرت بالربع مسيرة شهر » (٢) . ومن تأمل حال المسلمين اليوم يجد ما أخبر عنه ﷺ من ذلك الضعف ماثلا أمامه . فالتداعي من أمم الكفر على الأمة الإسلامية قد تكرر عبر التاريخ ، فقد اجتاحت التتار ديار المسلمين ، وهاجمت الصليبية بأحقادها أرض المسلمين ، وتكالبت قوافل الشر على هدم ما تبقى من أثر للإسلام في النفوس ، حتى أجهزت على الخلافة التي كانت رمزا لوحدة المسلمين في منتصف القرن الماضي ، واستمر التداعي ، فاستولى اليهود على أرض فلسطين والمسجد الأقصى ، وتمالأت قوى الشر قاطبة ، وتظاهرت على الكيد للإسلام وأهله مما يدل على أن هناك تدبيراً وتخطيطاً لإذلال المسلمين ونهب خيرات بلادهم وإضعاف اقتصادهم ، كما هو حاصل الآن عند الشعوب المسلمة في العراق والسودان والصومال وليبيا من قبيل أمم أهل الكفر من وثنيين وهندوس ويهود ونصارى وشيوعيين ملحدين ، فقد

(١) - هذه الرواية بهذا اللفظ عند الإمام أبي داود في "سننه" كتاب الملاحم ، باب في تداعي الأمم على الإسلام (٤٨٣/٤) ح (٤٢٩٧) كما تقدم في التخرج السابق (ص/١١٧) .

(٢) - جزء من الحديث المتفق عليه الذي أخرجه الإمام البخاري في "صحيحه" كتاب التيمم ، باب قوله تعالى : ﴿ فلم يجدوا ماءً فميموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ﴾ (المائدة : ٦) ، (١/١٢٥ - ١٢٦) ، ح (٣٣٥) ، والإمام مسلم في "صحيحه" كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب ٣/٣١٠/١ ح (٥٢١) .

حاصروا هذه البلدان سياسياً واقتصادياً ، ومنعوا عنها المال والغذاء ، لإجبارها على الخضوع لإرادتهم وسيطرتهم على البلاد والعباد ، والتحكم في أرزاقهم ومعاشهم ، يقول جابر بن عبدالله - رضي الله عنه - : يوشك أهل العراق أن لا يُجبي إليهم قفيز (١) ولا درهم . قلنا : من أين ذلك ؟ قال : من قبل العجم يمنعون ذلك - ثم قال : يوشك أهل الشام أن لا يجبي إليهم دينار ولا مُذني (٢) . قلنا : من أين ذلك ؟ قال : من قبل الروم ثم سكت هنيئة ثم قال : قال رسول الله ﷺ : « يكون في آخر الزمان خليفة يحثي المال حثياً لا يعدّه عدداً » (٣) .

- (١) - " قفيز " : القفيز مكبال معروف لأهل العراق . قال الأزهري : هو ثمانية مكاكيك ، والمكوك : صاع ونصف . ينظر : " لسان العرب " (٣٩٥/٥) مادة : (قفز) .
- (٢) - " مُذني " : مكبال معروف لأهل الشام . قال ابن الأثير : والمُذنيُّ مكبال لأهل الشام يسع خمس عشر مكوكاً والمكوك : صاع ونصف . ينظر : " لسان العرب " (٢٧٤/١٥) مادة : (مذي) .
- (٣) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الفتن وأشراف الساعة ، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء (١٧٦٩/٤) ح (٢٩١٣) .

## المسلك الثاني

### أشراط الساعة الكبرى

وهي الآيات العظام التي تسبق قيام الساعة بزمن يسير ، وقد أوضح النبي ﷺ أنها لن تقوم الساعة حتى يرى الناس قبلها عشر آيات ، فعن حذيفة بن أسيد الغفاري (١) - رضي الله عنه - قال اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر ، فقال : « ماتذاكرون؟ » قالوا : نذكر الساعة . قال : « إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات » فذكر : الدخان ، والدجال ، والدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم - عليه السلام - ، ويأجوج ومأجوج ، وثلاثة خسوف : خسف بالمشرق وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم » (٢) .

وقد اختلف العلماء - رحمهم الله - في ترتيب هذه العلامات في الوقوع ، ويرجع الاختلاف إلى عدم وجود الدليل الصريح الذي ينص على ذلك ، ولست هنا بصدد بيان كلام العلماء حول هذه المسألة ، فهي مبينة في شروح السنة ، وكتب الفتن والملامح ، إلا أن الإمام ابن حجر نقل عن الطيبي (٣) - رحمه الله - تقسيماً دقيقاً يحسن ذكره في هذا المقام ، يقول : « الآيات أمارات للساعة ، إما على قربها ، وإما على حصولها فمن الأول : الدجال ، ونزول عيسى ، ويأجوج ومأجوج ، والخسف ومن الثاني : الدجال ، وطلوع الشمس من مغربها ، وخروج الدابة ، والنار التي تحشر الناس » (٤) ، وعلى هذا يكون القسم الأول من الآيات الدالة على قرب الساعة قرباً شديداً ، فيه إيقاظ للناس وتخويف لهم ، ليتوبوا ويرجعوا إلى

(١) - هو : حذيفة بن أسيد بن خالد بن الأغوز الغفري ، أبو سريحة ، شهد الحديبية ، وبلغ تحت الشجرة ، ثم نزل الكوفة ، ومات بها وصلى عليه زيد بن أرقم . ينظر : " أسد الغابة " (٣٨٩/١) ، " الإصطبة " (٣٨/٢) .

(٢) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة مصنفات ، منها " شرح مشكاة المصابيح " ، " شرح الكشاف " ، " الخلاصة في أصول الحديث " ، وغيرها ، يقول فيه الحافظ بن حجر : " كان آية في استخراج الدقائق من القرآن ولله ، مقبلاً على نشر العلم ، حسن المعتقد " توفي - رحمه الله - سنة (٧٤٣هـ) ، ينظر : " شرف الأعلام " (٢٥٦/٢) .

(٣) - هو : شرف الدين الحسن بن محمد بن عبدالله الطيبي ، من علماء الحديث والتفسير ، وله عدة مصنفات ، منها " شرح مشكاة المصابيح " ، " شرح الكشاف " ، " الخلاصة في أصول الحديث " ، وغيرها ، يقول فيه الحافظ بن حجر : " كان آية في استخراج الدقائق من القرآن ولله ، مقبلاً على نشر العلم ، حسن المعتقد " توفي - رحمه الله - سنة (٧٤٣هـ) ، ينظر : " شرف الأعلام " (٢٥٦/٢) .

(٤) - " فتح الباري شرح صحيح البخاري " (٣٥٢/١١ - ٣٥٣) .

ربهم ، والقسم الثاني الدال على تحقق قيام الساعة يحصل به التمييز بين المؤمن والكافر ، فإنه عند ظهور الدخان ، يصيب المؤمن كهيئة الزكام ، والكافر ينتفخ ، ثم تطلع الشمس من مغربها فيقلل باب التوبة ، ثم تظهر الدابة فتميز بين الناس ، فيعرف الكافر من المؤمن ، لأنها تسم المؤمن وتخطم الكافر (١) .

والآيات الكبرى الدالة على قيام الساعة ، إذا ظهرت فإنها تكون سريعة التتابع كمثل عقد انفرط نظامه ، كما دلت على ذلك النصوص من السنة ، فعن عبدالله بن عمرو ؛ قال : قال رسول الله ﷺ : « الآيات خرزات (٢) منظومات في سلك ، فإن يقطع السلك ؛ يتبع بعضها بعضاً » (٣) .

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ ؛ قال : « خروج الآيات بعضها على إثر بعض ، يتتابعن كما تتابع الخرز في النظام (٤) » (٥) .

والخطاب النبوي قد بلغ الذروة في بيان وتوضيح تلك الآيات للناس ، حتى يكونوا على بينة من أمرهم ، واستعمل الرسول ﷺ أثناء ذلك ، منهجاً محبباً ، استمال به القلوب ، ولفت الأذهان إلى المعاني التي يريد بها ، وإليك بيان ذلك المنهج من خلال بعض الأحاديث الواردة في « المسيح الدجال » و « يأجوج ومأجوج » ، وقد آثرت أن يكون الحديث عن هاتين الآيتين دون غيرهما لأمرين :

**الأول : كثرة التشبيهات والأمور الحسية فيهما .**

**الثاني : مخافة الإطالة والتكرار .**

### أولاً : وصف المسيح الدجال والتحذير منه

سمي المسيح الدجال مسيحاً ، لأن إحدى عينيه ممسوحة ، أو لأنه يمسح الأرض في أربعين يوماً ، والاختيار الأول هو الصحيح ، لورود الحديث : « إن

- (١) - ينظر : " أشراط الساعة " ( ٢٤٤ - ٢٤٥ ) ليوسف بن عبدالله الوابل ، بتصريف .
- (٢) - " خرزات " : قيل : الخرز فصوص من جئد الجواهر وربيته ، من الحجارة ونحوه ، والخرز بالتحريك : الذي ينظم ، الواحدة : خرزة ، ينظر : " لسان العرب " ( ٣٢٤/٥ ) مادة ( خرز ) .
- (٣) - أخرجه الإمام أحمد في " مسنده " ( ٦/١٢ - ٧ ) ح ( ٧٠٤٠ ) شرح أحمد شاكر ، قال عنه : " إسناده صحيح " ، وقال الهيثمي : " رواه أحمد ، وفيه علي بن زيد ، وهو حسن الحديث " ، ينظر : " مجمع الزوائد " ( ٣٢١/٧ ) .
- (٤) - سبق التعريف بالكتاب ( ص / )
- (٥) - أخرجه الإمام ابن حبان في " صحيحه " ( ٢٤٨/١٥ ) ح ( ٦٨٣٣ ) ، وأورده الهيثمي في " مجمع الزوائد " ( ٣٢١/٧ ) وقال : " رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله رجال الصحيح غير عبدالله بن أحمد بن حنبل ، ودلود الزهراني ، وكلاهما ثقة " ، وصححه الشيخ الألباني في " صحيح الجامع الصغير " ( ٦١٤/١ ) ح ( ٣٢٢٧ ) .

الدجال ممسوح العين» (١) .

وسمي دجالاً : لأنه يُغطي الحق بالباطل أو لأنه يغطي على الناس كفره  
بكذبه وتمويهه وتلييسه عليهم (٢) .

فعن النّوّاس بن سمعان - رضي الله عنه (٣) - ، قال : ذكر رسول ﷺ الدّجال ذات  
غداةٍ فحفضّ فيه ورفع (٤) . حتى ظننّاه في طائفة النّخل (٥) . فلما رُحنا إليه  
عرف ذلك فينا ، فقال « ما شأنكم ؟ » . قلنا : يارسول الله ! ذكرت الدّجال غداة  
فحفضت فيه ورفعت حتى ظننّاه في طائفة النّخل . فقال : « غير الدجال  
أخوفني عليكم . إن يخرج ، وأنا فيكم ، فأنا حجيجه دونكم . وإن يخرج ، ولست  
فيكم ، فامرؤٌ حجيج نفسه . والله خليفتي على كل مسلم . إنّه شاب قطط (٦) .  
عينه طائفة كآني أشبهه بعد العزى بن قطن (٧) . فمن أدركه منكم فليقرأ عليه  
فواتح سورة الكهف . إنّه خارج من خلة (٨) بين الشام والعراق ، فعاث (٩) يميناً  
وعاث شمالاً يا عباد الله ! فاثبتوا » قلنا يارسول الله ! ومالبئنه في الأرض ؟ قال  
« أربعون يوماً ، يوم كسنة ويوم كشهر . ويوم كجمعة . وسائر أيامه كأيامكم »  
قلنا يارسول الله ! فذلك اليوم الذي كسنة أتكفيناه فيه صلاة يوم ؟ قال : « لا .  
اقدروا له قدره » قلنا يارسول الله ! وما إسراره في الأرض ؟ قال : « كالغيث

(١) - ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (٣٢٦/٤ - ٣٢٧) ، " لسان العرب " (٥٩٤/٢ - ٥٩٥) .

(٢) - ينظر : " لسان العرب " (٢٣٦/١١ - ٢٣٧) ، " ترتيب القاموس على طريقة المصباح المنير وأساس  
البلاغة " للطاهر أحمد الزاوي (١٥٢/٢) ، دار عالم الكتب للطباعة والنشر ، الرياض ، ط : ٤ ،  
١٤١٧هـ .

(٣) - هو : النّوّاس بن سمعان بن خالد بن عبدالله الكلابي العامري صحابي جليل معدود في الشاميين ، روى  
عن النبي ، وروى عنه جبير بن نفير ، وأبو إدريس الخولاني . ينظر : " اسد الغابة " (٤٥/٥) ،  
" الإصابة " (٥٤٩/٣) ، " تهذيب التهذيب " (٦٣٠/٥) .

(٤) - " فحفضّ فيه ورفع " : أي كثّر الكلام في شأنه ، فتارة يرفع ليعلم وتارة يخفض ليسترخ من تعب  
الإعلان . وقيل : معناه صغره وحقره ، وتارة عظم أمره كما قال : ليس بين مدى الساعة أعظم خلقاً  
من الدّجال . ينظر : " شرح مسلم " للأبي (٣٩٢/٩) .

(٥) - " طائفة النّخل " أي لكأنه قريب جداً من المخاطبين .

(٦) - " قطط " : القطط : شديد جعودة شعر الرأس . ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (٨١/٤) مادة :  
(قطط)

(٧) - " ابن قطن " اسمه عبدالعزى بن قطن بن عمرو الخزاعي ، وقيل : من بني المصطلق من خزاعة ،  
وأمه هالة بنت خوياد ، وليس له صحبه ، فقد هلك في الجاهلية كما قال الزهري . ينظر : " الإصابة في  
تمييز الصحابة " (٢٣٩/٤) ، " عمدة القارئ شرح صحيح البخاري " (٨٨/١٣) .

(٨) - " خلة " : أي طريق والمعنى : يخرج من طريق بينهما . ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (٧٣/٢)  
مادة : (خلل) .

(٩) - " فعاث " : العيث هو أشد الفساد والإسراع فيه . ينظر : " شرح مسلم " للأبي (٣٩٥/٩) .

استدبرته الرِّيحُ ، فيأتي على القوم فيدعوهم ، فيؤمنون به ويستجيبون له ، فيأمر السماء فتمطر ، والأرض فتنبث ، فتروح عليهم سارحتهم<sup>(١)</sup> أطول ما كانت ذراً<sup>(٢)</sup> ، وأسبغه ضروعاً ، وأمدّه خواصر<sup>(٣)</sup> ، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله . فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم . ويمرّ بالخربة فيقول لها أخرجي كنوزك . فتتبعه كنوزها كيغاسيب النحل<sup>(٤)</sup> ، ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً ، فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين<sup>(٥)</sup> رمية الغرض<sup>(٦)</sup> ثم يدعو فيقبل ويتهلل وجهه يضحك فيبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم .. ((<sup>(٧)</sup> .

وردت في حديث الدجال ألفاظ اشتملت على منهج حسني ، يتعلق بعضها بهيئته وصورته ، وبعضها ببيان سرعته في الأرض ، وبعضها يتعلق بخوارق يعطاها فتنة للناس ، ومراد النبي ﷺ تحذير الناس من شره ونهيمهم عن متابعتة والافتتان به ، فبين لهم :

#### أ - صورته وهيئته :

فقد وصفه ﷺ لأصحابه كأنما يروونه بأعينهم فقال : « .. إنه شاب قطط . عينه طافئة كاني أشبهه بعد الغزّي بن قطن ... » . هذه رواية مسلم المتقدمة .

وعند الإمام البخاري ، عن عبدالله بن عمر ، قال ﷺ : « ... ثم ذهبت ألتفت فإذا رجلٌ جسيم أحمر جعد الرأس ، أعور العين ، كأن عينه عنبة طافية ، قالوا :

- (١) - " فتروح عليهم سارحتهم " أي فترجع آخر النهار ، والسارحة هي الماشية ، تغدو بالغداة إلى المرعى . ينظر : " شرح مسلم " للأبي (٣٩٦/٩) .
- (٢) - " ذراً " الذرى : جمع ذروة وهي أعلى سنام البعير ، وذروة كل شيء أعلاه . ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (١٥٩/٢) مادة ( ذرا ) .
- (٣) - " وأسبغه ضروعاً " أي : أطوله لكثرة اللبن ، وكذا أمدّه خواصر لكثرة امتلائها من الشبغ . ينظر : " شرح النووي على صحيح مسلم " (٦٦/١٨) .
- (٤) - " يغاسيب النحل " هي ذكور النحل . قال القاضي عياض : " أي : جماعاتها ، وأصل يعسوب أمير الأنوار " (٣٠٥/٢) ، " شرح النووي على صحيح مسلم " (٦٧/١٨) .
- (٥) - " جزلتين " قطعيتين ، يقول الزمخشري : " وضرب الصيد فجزله جزلتين أي قطعيتين " . ينظر : " أساس البلاغة " لأبي القاسم الزمخشري ، تحقيق عبدالرحيم محمود ، دار المعرفة ، بيروت بدون ذكر الطبعة وتاريخها ، (ص/٥٨) مادة : (جزل) .
- (٦) - " رمية الغرض " أي رمية الهدف ، أراد أنه يكون بُغْذ ما بين القطعتين بقدر رمية السهم إلى الهدف . ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (٣٦٠/٣) مادة : (رمي) .
- (٧) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الفتن وأشراف الساعة ، باب ذكر الدجال ، (٤/١٧٨٢ - ١٧٨٣) ، ح (٢٩٣٧) .



- هذا الدجال ، أقرب الناس شبهاً بابن قطن ، رجل من خزاعة » (١) .  
 وفي حديث عبادة بن الصامت - رضي الله عنه (٢) - قال : قال رسول الله ﷺ : « إن مسيح الدجال رجل قصير ، أفحج (٣) ، جعد ، أعور ، مطموس العين ، ليس بناتئة (٤) ولا جحراء (٥) ، فإن ألبس عليكم ، فاعلموا أن ربكم ليس بأعور » (٦) .  
 وقد بلغ من حرص النبي ﷺ على أمته أن يبين لهم خطورته على عقيدتهم ودينهم فحكى لهم أن المسيح الدجال يدعي الألوهية ويعطيه الله قدرة على الإحياء والإماتة والإغناء والإفكار ، إلى غير ذلك من الصفات التي لا يقدر عليها إلا الله تعالى ، ولذلك فقد وصفه الرسول بأوصاف تدل على أنه من البشر ، وقد جاء ذلك صريحاً في حديث ابن عمر ، قوله ﷺ : « .. ورأيت وراءه رجلاً ... » (٧) .  
 وقد شبهه ﷺ برجل معروف للسامعين وهو « عبدالعزى بن قطن » ، وزاد في إيضاح صورته فقال : « .. أعور العين كأن عينه عنبة طافية » (٨) .  
 فشبهه ﷺ عين الدجال بحبة العنب التي ذهب ماؤها ، ومعلوم أن العنب منتشر في بيئة المدعوين وهي المدينة - حرسها الله من كل مكروه - فكان التشبيه دقيقاً وواضحاً مما جعل الصورة واضحة للمدعوين ، عن المسيح الدجال - أجازنا الله من فتنته - والمقصود - والله أعلم - من التشبه هو تقييح المشبه ، وبيان أن العقل السليم لا يرضى أن يكون إلهه قبيحاً ناقص الخلقة .
- (١) - أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الفتن ، باب ذكر الدجال ، (٢٢٢٧/٤) ، ح (٧١٢٨) ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الإيمان ، باب ذكر المسيح ابن مريم - عليها السلام - والمسيح الدجال (١٣٦/١) ، ح (١٦٩) .  
 (٢) - هو : عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي ، أبو الوليد ، من الموصوفين بالورع ، شهد العقبة ، وكان أحد النقباء ، وشهد المشاهد كلها ، أول من ولي القضاء بفلسطين ، مات بالرملة أو بيت المقدس عام ٣٤هـ . ينظر : " الإصابة " (٥٠٥/٣ - ٥٠٧) ، " سير أعلام النبلاء " (٥/٢) ، " تهذيب التهذيب " (٧٢/٣) .  
 (٣) - " أفحج " : هو الذي يتداني صدور قدميه ويتباعد عقباه ، والفحج : تباعد ما بين الفخذين . ينظر : " النهاية في غريب الحديث " ، (٤١٥/٣) ، مادة (فحج) .  
 (٤) - " ناتئة " أي بارزة ، يقال : نتأ الشيء نتئاً ونتئوماً ، إذا برز في مكانه من غير أن ينفصل . ينظر : " المعجم الوسيط " ، (ص/٨٩٩) مادة (نتأ) .  
 (٥) - " جحراء " : أي التي قد انخسفت فبقي مكانها غائراً كالجر . ينظر : " معالم السنن للخطابي بهامش سنن أبي داود " (٤٩٦/٤) .  
 (٦) - أخرجه الإمام أبو داود في " سننه " كتاب الملاحم ، باب خروج الدجال ، (٤٩٦/٤) ح (٤٣٢٠) ، وصححه الألباني في " صحيح سنن أبي داود " (٣١/٣) ، ح (٤٣٢٠) .  
 (٧) - ينظر : " صحيح مسلم " ، كتاب الإيمان ، باب ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدجال ، (١٣٦/١) ، ح (١٦٩) .  
 (٨) - " سبق تخريجه " قريباً إحالة رقم (١) في هذه الصفحة .

يقول الدكتور عبدالباري طه : « وأشدُّ ما يكون القبح في الوجه وأشدُّ ما يكون في الوجه والعين ، فلو كان المسيح إلهاً لكان أولى بأن يكون في هيئة حسنة فإنَّ فاقده الشيء لا يعطيه ، ففي التشبيه دلالة على كذب المسيح الدجال وأنَّ شاهد كذبه في وجهه ... وفي هذا دعوة إلى استنباط ما يهدم الباطل من نفسه فإنَّ الباطل دائماً يحمل في طياته آيات بطلانه ، مثلما يحمل الحق دائماً فيه آيات قوته وجلاله » (١) .

وبهذا البيان يتحقق تقريب صورة الدجال ، وتوضيحها للمدعوين من الصحابة . ولمن يأتي بعدهم ليكونوا على حذر من تلك الفتنة العظيمة ، وتبين كذلك أن الله تبارك وتعالى منزّه عن سمات الحدوث والنقص ، وأنَّ الدجال مخلوق من مخلوقات الله تعالى ناقص الصورة ، فينبغي أن يعلم الناس هذا لئلاَّ يغترَّ بالدجال من يرى تخييلاته وما معه من الفتن (٢) .

### ب - إسراره في الأرض :

سئل ﷺ عن سرعة مروره على المدن والقرى ، فأجاب ﷺ : « كالغيث استدبرته الريح ... » . وفي هذا التشبيه البليغ الدقيق ، إثارة لحاسة الإبصار عند المخاطب ، بأمر حسي من بيئته ، فالعربي يعرف الكثير عن الأمطار والرياح ، ولذلك خاطبه ﷺ بما يفهمه ، فاختر المشبه به بعناية فقال : « كالغيث » ثم وصفه بقوله : « استدبرته الريح » ومعلوم أن الريح إذا هبَّت مع نزول المطر أو بعده فإنها تسوقه في الأرض بسرعة بتقدير الله وحوله وقوته ، يقول سبحانه : ﴿ أولم يروا أننا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون ﴾ (٣) .

والحاصل أنه اختير هذا الحدث الكوني المعروف لدى المدعو ليدل على بيان سرعة الدجال في الأرض بعد خروجه - أجازنا الله من فتنته - .

### ج - فتنة اخراجه لكنوز الأرض :

يقول ﷺ : « ... ويمرُّ بالخربة فيقول لها أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ... » .

(١) - " أثر التشبيه في تصوير المعنى - قراءة في صحيح مسلم .. " (ص / ٤٧) .

(٢) - ينظر : " المرجع السابق " (ص/٤٧) بتصرف .

(٣) - سورة السجدة : الآية (٢٧) .

يَمُرُّ المسيح الدجال بالخربة المليئة بالكنوز المدفونة ، فيخاطبها مخاطبة العقلاء ويقول : أخرجي كنوزك فتتبعه مسرعة كيحاسب النحل ، يفعل ذلك ليفتن الناس به . وقد مرَّ معنا قريباً (١) أن المراد ببيعاسيب النحل : ذكورها ، وقيل جماعة النحل لا ذكورها خاصة (٢) ، لكنه عبَّر عن الجماعة باليعسوب وهو أميرها لأنه متى طار تبعته جماعته .

وفي هذا النص صورة حسية تعتمد على الوصف الذي يحكي لنا أمراً سيحدث (٣) . فهو ﷺ يشبه الكنوز التي تتبع المسيح الدجال ببيعاسب النحل في سرعتها وإدراكها من تريده وفي اختيار هذا التشبيه جمال في اللفظ والمعنى ، وهو مقتبس من البيئة العربية ، مما يزيده وضوحاً وعمقاً في نفوس المدعوين (٤) .

### د - كيف يكون هلاكه ؟ :

تكون نهاية المسيح الدجال على يد نبي الله عيسى ابن مريم - ﷺ - فعن أبي هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « فبينما هم يعدون للقتال ويسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة ، فينزل عيسى بن مريم - ﷺ - فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء ، فلو تركه لاذاب حتى يهلك ، ولكنه يقتله الله بيده فيريهم دمه في حربته » (٥) .

والشاهد في الحديث : « .. ذاب كما يذوب الملح في الماء .. » .

فقد استعمل الرسول ﷺ أمراً حسياً يعرفه المدعوون تمام المعرفة ، فشبه ذوبان عدو الله « المسيح الدجال » عند رؤيته عيسى بن مريم - ﷺ - بذوبان الملح في الماء في شدة الخفاء وعدم الظهور .

والمقصود من التشبيه هنا هو بيان الحال والمقدار معاً ، ويكمل ﷺ هذه الحال وهذا المقدار فيقول : « فلو تركه لاذاب حتى يهلك ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه في حربته » ، وفي هذا تصوير المعنوي بصورة أمر حسي ، وجمع بين شيئين

(١) - ينظر : (ص/١٢٣) .

(٢) - ينظر : " شرح النووي على صحيح مسلم " (١٨/٦٦ - ٦٧) ، " شرح الأبي على صحيح مسلم " (٣٩٧/٩) .

(٣) - ينظر : " التصوير الفني في الحديث النبوي " (ص/٢٥٢) .

(٤) - ينظر : " أثر التشبيه في تصوير المعنى - قراءة في صحيح مسلم " لعبدالباري طه (ص/٣١٤) بتصرف يسير .

(٥) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب فتح القسطنطينية ، وخروج الدجال ونزول عيسى بن مريم ، (٤/١٧٥٩ - ١٧٦٠) ، ح (٢٨٩٧) .

متباعدين في الجنس ذوبان المسيح الدجال وذوبان الملح في الماء ، ولك أن تتخيل حال عدو الله المسيح الدجال عندما يرى نبي الله عيسى - عليه السلام - وهو يذوب ذوبان الملح في الماء ، إن في ذلك لدلالة على بطلان ما عنده من الشعوذة ، والأمور الخارقة التي استعملها في إضلال الناس وفتنتهم ، وبمجرد رؤيته لنبي الله عيسى - عليه السلام - يهلك بتلك الصورة المهينة ، ولكن الرسول ﷺ أخبر أن عيسى - عليه السلام - يتداركه ويجهز عليه ويكون قتله بيده ، ويرى الناس دمه بحرسته ، ليؤكد لهم ذلك .

ومعلوم أن هذا الوصف من رسول الله ﷺ لنهاية الدجال من معجزاته المستقبلية ، فقد أخبر عن أمر غيبي يكون علامة بينة من علامات الساعة الكبرى ، وكان عرضه ﷺ لذلك الخبر بأسلوب حسي بليغ ، وكان المدعو يرى تفاصيل تلك النهاية بعينه .

وبهذا تنتهي فتنة هي أعظم فتنة تمر بالبشر ، كما أخبر ﷺ ، يقول عمران بن حصين (١) : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال » (٢) .

### ثانياً : وصف يأجوج ومأجوج وبيان نهايتهم

خروجهم في آخر الزمان علامة من علامات الساعة الكبرى ، وقد ثبت ذلك بالكتاب والسنة فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ حتى إذا فُتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون \* واقرب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا ياولنا قد كُنَّا في غفلة من هذا بل كُنَّا ظالمين ﴾ (٣) .

ومن السنة ما جاء عن النواس بن سمعان - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال : « ... إن الله تعالى يوحى إلى عيسى بن مريم - عليه السلام - بعد قتله الدجال : إني قد

(١) - هو : عمران بن حصين أبو نجيد صحابي ، شهد بعض المغازي مع رسول الله ﷺ ، بعثه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إلى البصرة يفتقه أهلها ، روى عن رسول الله ﷺ وعن أبي بكر وعثمان ، توفي بالبصرة سنة ٥٢ هـ في خلافة معاوية . ينظر : " الإصابة " ( ٤ / ٥٨٤ - ٥٨٦ ) ، " الطبقات الكبرى " ( ٧ / ١٢٠٩ ) ، " صفة الصفوة لابن الجوزي " ، تحقيق وتعليق محمود فاخوري ، دار المعرفة ، بيروت ، ط ٣ / ١٤٠٥ هـ ، ( ١ / ٦٨١ - ٦٨٢ ) .

(٢) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب في بقية من أحاديث الدجال ( ٤ / ١٧٩٢ ) ح ( ٢٩٤٦ ) .

(٣) - سورة الأنبياء ، الأيتان : ( ٩٦ - ٩٧ ) .

دينار لأحدكم اليوم ، فيرغب <sup>(١)</sup> نبي الله عيسى وأصحابه ، فيُرسلُ الله عليهم النَّعْفَ <sup>(٢)</sup> في رقابهم ، فيُصبحون فرسى <sup>(٣)</sup> كموت نفس واحدة ، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض ؛ فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ومنتهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيراً كأعناق البخت <sup>(٤)</sup> فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ، ثم يرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدر ولا وبر ، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزَّرْقَةِ <sup>(٥)</sup> . ثم يقال للأرض انبتي ثمرتك وردي بركتك ... » <sup>(٦)</sup> .

### أ - صفاتهم

يُشبهون أبناء جنسهم من الترك الغتم <sup>(٧)</sup> المغول ، صغار العيون ، ذُلف الأنوف <sup>(٨)</sup> ، صهب الشعور ، عراض الوجوه ، كأنَّ وجوههم المجان المُطْرَقة ، على أشكال الترك وألوانهم <sup>(٩)</sup> .

وهذه الصفات لم ترد في حديث النَّوَّاس بن سَمْعَانَ ، لكنها جاءت في نصوص أخرى منها هذا الحديث الذي يكون أصلاً في بيان صفاتهم .

عن امرأة <sup>(١٠)</sup> من أصحاب النبي ﷺ ؛ قالت : خطب رسول الله ﷺ وهو عاصب أصبغه من لدغة عقرب ، فقال : « إنكم تقولون : لا عدو ، وإنكم لا تزالون

(١) - " فيرغب " : يقال : يرغب رغبة إذا حرص على الشيء وطمع فيه . والرغبة : السؤال والطلب ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (٢٣٧/٢) مادة : (رغب) .

(٢) - " النَّعْفَ " : دودٌ يكون في أنوف الإبل والغنم ، ، واحدها نغفة . ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (٨٧/٥) ، مادة (نغف) .

(٣) - " فرسى " : أي قتلى ، الواحد : فرس ، من فرس الذئب الشاة وافترسها إذا قتلها ، ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (٤٢٨/٣) مادة : (فرس) ، " شرح الأبي على صحيح مسلم " (٤٠١/٩) .

(٤) - " كأعناق البخت " : البخت جمال طوال الأعناق . ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (١٠١/١) مادة : (بخت) .

(٥) - " كالزَّرْقَةِ " : أي كالمراة في صفاتها ونظافتها . ينظر : " شرح الأبي على صحيح مسلم " (٤٠١/٩) .

(٦) - جزء من حديث النَّوَّاس بن سَمْعَانَ الطويل ، سبق تخريجه ( ص / ١٢٤ ) .

(٧) - " الغتم " : الغتمة : عجمة في المنطق . ورجل أغتم وغتمي : لا يفصح شيئاً . ينظر : " لسان العرب " (٤٣٣/١٢) ، مادة (غتم) .

(٨) - " ذلف الأنوف " : الذلف بالتحريك : قصر الأنف وانبطاحه ، وقيل : ارتفاع طرفه مع صغر أرنبته ، ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (١٦٥/٢) ، مادة : (ذلف) .

(٩) - ينظر : " النهاية في الفتن والملاحم " لأبي الفداء الحافظ إسماعيل بن كثير ، تحقيق : عصام الدين الصبَّاطي (١٥٤/١) ، دار الحديث - القاهرة ، بدون ذكر رقم الطبعة ، وتاريخها ..

(١٠) - هكذا أوردها الإمام أحمد في " مسنده " (٣٤١/٥) ، وقال : " حديث امرأة - رضي الله عنها - .

تقاتلون عدوًّا حتى يأتي بأجوج ومأجوج : عراضُ الوجوه ، صفار العيون ، شُهْبُ الشَّعاف<sup>(١)</sup> ، من كل حَدَب ينسلون ، كأنَّ وجوههم المجان المطرقة<sup>(٢)</sup> »<sup>(٣)</sup> .

هذا الحديث وغيره من أحاديث أشراف الساعة من نبوءاته ﷺ ، فقد وصف « يأجوج ومأجوج » بوصف دقيق مُفصل وكان المخاطب يرى أولئك القوم بعينه ، والذي يعنينا في الحديث هو قوله ﷺ : « كأنَّ وجوههم المجان المطرقة » ، في هذه الجملة البليغة أجمل الرسول ﷺ التفصيل السابق في الحديث ، فشبه وجوه أولئك القوم بالترس : لبسطها وتدويرها ، وبالمطرقة ؛ لغلظها وكثرة لحمها<sup>(٤)</sup> .

والغرض من ذلك هو تقريب الوصف وتوضيحه ، فالمجان المطرقة معروفة للمدعوين لأنها من الأسلحة المهمة عندهم ، والمستخدم في الحروب وقتال الأعداء<sup>(٥)</sup> .

وقد استعمل الرسول ﷺ هذا الوصف أيضاً عند حديثه عن قتال الترك الذي هو من أشراف الساعة الصغرى ، فقد روى الإمامان البخاري ومسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر ، وحتى تقاتلوا الترك صفار الأعين ، حمر الوجوه ، ذلف الأنوف ، كأنَّ وجوههم المجان المطرقة »<sup>(٦)</sup> .

ولذلك كان التتار الذين ظهروا في القرن السابع الهجري هم من الترك ، فإن الصفات التي جاءت في وصف الترك تنطبق على التتار ( المغول ) ، يقول الإمام النووي - رحمه الله - ؛ « قد وجد قتال هؤلاء الترك بجميع صفاتهم التي ذكرها ﷺ :

- (١) - " شُهْبُ الشَّعاف " : أي شُهْبُ الشعور ، يقال لأعلى شعر الرأس شَعْفَةٌ ، ينظر : " النهاية في غريب الحديث " ( ٤٨١/٢ - ٤٨٢ ) مادة ( شعف ) .
- (٢) - " المجان المطرقة " : المجان جمع مجن ، وهو الترس ، والمطرقة : هي التي ألْبست العقب ، ومنه طارق النعل إذا صيرها طاقاً فوق طاق ، وركب بعضها فوق بعض . ينظر : " النهاية في غريب الحديث " ( ١٢٢/٣ ) مادة : ( طرقت ) ، " إكمال المعلم بفوائد مسلم " للقاضي عياض ( ٤٥٥/٨ ) .
- (٣) - أخرجه الإمام أحمد في " مسنده " ( ٣٤١/٥ ) ، ح ( ٢٢٣٢٧ ) ، وقال عنه الهيثمي في " مجمع الزوائد " ( ٩/٨ ) " رواه أحمد والطبراني ، ورجالهما رجال الصحيح " .
- (٤) - ينظر : " عمدة القارئ " ( ١٢/١٢ ) .
- (٥) - ينظر : " أثر التشبيه في تصوير المعنى " مرجع سابق ( ص / ٣٠٨ ) .
- (٦) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ، ( ١١٠٩/٣ ) ح ( ٣٥٨٧ ) ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الفتن وأشراف الساعة ، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل ، فيتمنى أن يكون مكان الميت ، من البلاء ( ١٧٦٩/٤ ) ح ( ٢٩١٢ ) .

صغار الأعين ، حمر الوجوه ، ذلف الأنوف ، عراض الوجوه ، كأن وجوههم  
المجان المطرقة ، ينتعلون الشَّعر ، فوجدوا بهذه الصفات كلها في زماننا ، وقاتلهم  
المسلمون مرات » (١) .

وعلى هذا فإن يأجوج ومأجوج يشبهون أولئك " التتار " الذين سبق ذكرهم ، في  
صفاتهم ، وأفعالهم الشنيعة ، فقد أهلكوا الحرث والنسل وأفسدوا البلاد وشردوا  
العباد ، ويأجوج ومأجوج لا تقل فتنتهم عن فتنة المسيح الدجال .

### ب - كيف يكون هلاككم؟

يقول ﷺ : « ... فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه ، فيرسل الله عليهم  
النَّغْفَ في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ... » .

ورد في أثناء الحديث « إني قد أخرجت عبداً لي لا يدان لأحد بقتالهم ... » .  
فهم أمة قوية ، وكثرة كاثرة لا يعلم عددهم إلا الله ، ولا يقدر أحد على قتالهم ،  
لكن الله سلط عليهم مخلوقاً ضعيفاً من مخلوقاته ، وجنداً من جنوده ، « النَّغْفَ » ،  
وهو معروف للعربي ؛ لأنه دود يكون في أنوف الإبل والغنم ، ويدخل بقدرة الله في  
رقابهم ، فيصبحون - كما قال ﷺ : « فرسى كموت نفس واحدة » أي : قتل  
جميعهم في آن واحد كموت النفس الواحدة .

والتشبيه يدلُّ على عظيم قدرة الله تعالى ، فهؤلاء القوم مهما كانت قوتهم ، فهم  
لا شيء أمام قدرة الله جل وعلا ، ومن باب البيان والتأييد لما سبق فقد روى  
الإمامان أحمد وابن ماجه وغيرهما عن أبي سعيد الخدري - رضى الله عنه - أن رسول الله  
ﷺ قال : « ... ويظهرون على الأرض ( أي يأجوج ومأجوج ) ، فيقول قائلهم :  
هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم ، ولتنزلن أهل السماء ، حتى إن أحدهم  
ليهز حربه إلى السماء ، فترجع مخضبة بالدم ، فيقولون : قد قتلنا أهل السماء  
فبينما هم كذلك ؛ إذ بعث الله دواب كنفج الجراد ، فتأخذ بأعناقهم فيموتون موت  
الجراد يركب بعضهم بعضاً ، فيصبح المسلمون لا يسمعون لهم حساً ، فيقولون :  
من رجل يشري نفسه وينظر ما فعلوا ؟ فينزل منهم رجل قد وطن نفسه على أن

(١) - " شرح النووي لصحيح مسلم " ( ٣٧/١٨ - ٣٨ ) .

يقتلوه ، فيجدهم موتى ، فيناديهم : ألا أبشروا ؛ فقد هلك عدوكم ، فيخرج الناس ، ويخلون سبيل مواشيهم ، فما يكون لهم رعي إلا لحومهم ، فتشكر عليها<sup>(١)</sup> كأحسن ما شكرت على نبات قط »<sup>(٢)</sup> .

فتأمل هذا الحديث كيف صور ﷺ ببلاغته وبيانه موتهم ، وكان المدعو يرى تلك الصورة الحسية ماثلة أمام عينيه ، فشبه تلك الدواب بدود الجراد ، وهو غاية في الصغر والضعف ، وشبه كذلك موتهم بموت الجراد ، ويؤخذ من هذا التمثيل سرعة الموت ، بدليل أن بعضهم يركب بعضاً ، وكانهم جراد ألقى عليه مبيد حشري فقضى عليه في لحظة واحدة .

وكم كان لهذا التصوير النبوي الكريم ، من أثر فعال في نفوس المدعوين ، بزيادة الإيمان والتصديق بما هم عليه من الحق والهدى ، فالرسول يخبرهم عن أمر غيبي ، يحمل في طياته كمال قدرة الله تعالى وعظمته .

### ج- روائحهم الكريهة بعد موتهم

« ... ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض ، فلا يجدون في الأرض موضع شبر<sup>(٣)</sup> إلا ملأه زهمهم<sup>(٤)</sup> ومنتهم ... » .

في هذا النص أراد الرسول ﷺ أن يُعبر عن انتشار الرائحة الكريهة المنتنة لجثث يأجوج ومأجوج في جميع أنحاء المعمورة ، فاستعمل مقياساً صغيراً وهو " الشبر " والعربي يعرف تلك المساحة الصغيرة من الأرض ، فإن كان لم ينج من الأرض كلها موضع شبر من روائحهم المنتنة دل ذلك على تأذي أهل الأرض كلهم من نتن جيفهم ، وفي هذا التعبير إثارة لحاستي الإبصار والشم ، لأن المدعو عند

(١) - " فتشكر عليها " : أي تسمن وتمتلئ شحماً . ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (٤٩٤/٢) مادة : (شكر) .

(٢) - أخرجه الإمام أحمد في " مسنده " (٩٦/٣ - ٩٧) ح (١١٧١٧) ، والإمام ابن ماجة في " سننه " ، كتاب الفتن ، باب فتنة الدجال وخروج الدجال وخروج عيسى بن مريم ، وخروج يأجوج ومأجوج (٤٤٩/٤) ح (٤٠٧٩) ، وقال عنه الشيخ الألباني في " صحيح سنن ابن ماجة " ، حسن صحيح ، ينظر : (٣٣٨/٣) ، ح (٣٣١٣) ، (سلسلة الأحاديث الصحيحة " (٤٠٢/٤) ح (١٧٩٣) .

(٣) - " موضع شبر " الشبر : ما بين أعلى الإبهام وأعلى الخنصر . والجمع أشبار ، يقال : شبر الثوب يشبره شبراً ، إذا قاسه بشيره . ينظر : " لسان العرب " (٣٩١/٤) مادة : (شبر) .

(٤) - " زهمهم " الزهم بالتحريك . مصدر زهمت يده ترهم من رائحة اللحم . والزهمة بالضم : الريح المنتنة أراد أن الأرض تنتن من جيفهم ، ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (٣٢٧/٢) مادة : (زهم) .



سماعه لهذا الخطاب يتصور ذلك المشهد المخيف وكأنه يمشي ويتسلل من بين تلك الجثث المنتهية ، واضعاً يده على أنفه لئلا يتأذى بتلك الروائح ، ولا شك أن هذا التصوير لحال يأجوج ومأجوج بعد موتهم يبعث في النفس المؤمنة الخوف والحذر ، والتضرع إلى الله أن يقيها تلك الفتنة .

### د - صفة الطير الذي يحمل جثثهم

يقول عليه الصلاة والسلام : « ... فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيراً كأعناق البخت (١) ، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ... » .  
 طيور غريبة طويلة لا يعرفها المدعو ، لكنه يعرف ذلك النوع من الإبل ، تسميها العرب البخت ، وهي نواق طوال الأعناق ، فأخذ الرسول ﷺ أمراً حسياً من بيئة المخاطبين . ليقرّب لهم ذلك الأمر الغيبي ، فشبه تلك الطيور المرسله لحمل جثث يأجوج ومأجوج بأعناق الإبل الخرسانية .  
 والمتأمل في البيان النبوي ، يجد أنه لم يشبه الطير بالبخت ، وإنما شابهها بأعناقها ، وهذا أمر في غاية الدقة والإصابة لأن سرعة الإبل تظهر في أعناقها (٢) ، ويؤيد ذلك قول الشاعر :

أخذنا بأطراف الحديث بيننا      وسالت بأعناق المطي الأباطح

ويعلق عبدالقاهر الجرجاني على البيت فيقول : « قال : بأعناق المطي ولم يقل بالمطي ؛ لأن السرعة والبطء يظهران غالباً في أعناقها ، ويبين أمرهما من هوائيهما (٣) ، وصدورها ، وسائر أجزائها تستند إليها في الحركة ، وتتبعها في النقل والخفة ... » (٤) .

ووجه الشبه بين ذلك الطير وأعناق الإبل هو في السرعة ، كما يفهم من سياق الحديث والله أعلم بالصواب .

- (١) - " البخت " : الإبل الخرسانية ، وهي جمال طوال الأعناق ، ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (١٠١/١) مادة (بخت) .  
 (٢) - ينظر : " أثر التشبيه في تصوير المعنى " لعبدالباري طه سعيد (ص/٣١٦) .  
 (٣) - " هوائيهما " : أعناقها ، من " الهادية " : التي هي من كل شيء أوله وما تقدم منه ، ينظر : " حاشية أسرار البلاغة " للجرجاني ، (ص/٣٧) .  
 (٤) - " المرجع السابق " ، (ص/٣٦ - ٣٧) .

### د- وصف المطر العام الذي ينزل بعد ولاكم

يقول ﷺ : « ... ثم يرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدر ولا وبر . فيغسل الأرض حتى يتركها كالزقعة (١) ... » .  
وفي الحديث تصويران حسيان :

**الأول :** تصويرٌ يدل على غزارة وشمول المطر الذي أرسله الله تعالى لنظافة الأرض من زهمهم ومنتهم وإزالة آثارهم ، وهو قوله ﷺ : " لا يكن منه بيت مدر ولا وبر " ، والرسول ﷺ استعمل أمراً حسياً من البيئة العربية المحيطة بالمخاطبين ، ليبين لهم شدة غزارة ذلك المطر وانهماره وعمومه بحيث لم يبق من الأرض جزء إلى وصله .

**الثاني :** يُصور منظر الأرض بعد ذلك المطر المِدرار ، الذي غسل الأرض غسلاً ، وخلصها من كل الأثار التي خلقتها جنث القتلى من يأجوج ومأجوج فقد أصبحت كالمرأة في صفائها ونظافتها .  
وبالجملة فإن الحديث قطعة تصويرية أوضحت أمر أولئك القوم ، حتى كأن المخاطب يراهم بعينه ، وذلك لبراعة الأسلوب النبوي الكريم في البيان والإيضاح لأمر غيبي يعد علامة كبرى على قيام الساعة .

(١) - "كالزقعة" أي : كالمرأة . يُنظر : " إكمال المعلم بفوائد مسلم " للقاضي عياض (٤٨٦/٨) .

## المطلب السّادس : استخدام المنهج الحسّي لإثبات

### الحوض والصّراط .

وفيه مسلكان :

**المسلك الأول : استخدام المنهج الحسّي لإثبات الحوض .**

أولاً : بيان سعته .

ثانياً : طعم ماء الحوض وريحه .

ثالثاً : كثرة أواني الحوض .

رابعاً : كيف يذاد الناس عن الحوض ؟

**المسلك الثّاني : استخدام المنهج الحسّي لإثبات الصّراط :**

أولاً : صفة الصّراط وهيئته .

ثانياً : كيف يمرّ النّاس على الصّراط ؟ .

## المسلك الأول

### استخدام المنهج الحسي لإثبات الحوض

من إكرام الله تعالى لنبيه محمد ﷺ ، أن جعل له حوضاً عظيماً ترده أمته يوم القيامة ، غيائاً لهم من هول ذلك اليوم وشدته ، لأن الماء حينئذ أعزّ موجود وأعظم مفقود ، ولا يرد على الحوض من أمته إلا أهل الإيمان والاستقامة ، الذين وردوا في الدنيا حوض شرعته وسنته وماتوا على دينه وملته ، ويحجب عنه من غيروا وبدّلوا بعد نبيهم محمد ﷺ .

وقد جاء في الخبر أن لكلّ نبي حوضاً<sup>(١)</sup> ، أعظمها وأحلاها وأكثرها وروداً ، حوض نبينا ﷺ ، والأحاديث الواردة في الحوض متواترة ، رواها عن رسول ﷺ أكثر من ثلاثين صحابياً<sup>(٢)</sup> ، وفي هذا المقام أذكر بعضاً منها لتعرف من خلالها على منهج الرسول ﷺ في إثبات الحوض وما يتعلق به .

فعن عبدالله بن عمرو - رضي الله عنه - قال النبي ﷺ : « حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء ، ماؤه أبيض من اللبن ، وريحه أطيب من المسك<sup>(٣)</sup> ، وكيزانه<sup>(٤)</sup> كنجوم السماء ، من شرب منه فلا يظماً أبداً »<sup>(٥)</sup> .

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « إن قدر حوضي كما

(١) - ورد بذلك الخبر الصحيح عن رسول ﷺ ، فعن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ : " إن لكل نبي حوضاً ، وإنهم يتباهون أيهم أكثر وارداً ، وإني أرجو أن أكون أكثرهم وارداً " أخرجه الإمام الترمذي في " سننه " كتاب صفة القيامة ، باب ما جاء في صفة الحوض ، (٦٢٨/٤) ح (٢٤٤٣) ، وصححه الشيخ الألباني في " صحيح الترمذي " (٢٩٥/٢ - ٢٩٦) ، ح (١٩٨٨) ، وفي " السلسلة الصحيحة " (١١٧/٤) ح (١٥٨٩) .

(٢) - ينظر : " فتح الباري " (٤٧٥/١١) .

(٣) - " المسك " : ضرب من الطيب معروف ، وهو أطيب الطيب ، ينظر : " لسان العرب " (٤٨٧/١٠) ، " فيض القدير " (٣٩٩/٣) .

(٤) - " كيزانه " : أنيته ، وهي جمع مفرد كوز ، عددها كنجوم السماء ، والتشبيه يراد به العدد ، ويحتمل أن يكون في الضياء ، ينظر " عمدة القارئ " (١٠٤/١٩) .

(٥) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الرقاق ، باب : في الحوض ، (٢٠٥٧/٤) ح (٦٥٧٩) والإمام مسلم في " صحيحه " ، كتاب الفضائل ، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفته ، (١٤٣١/٤) ح (٢٢٩٢) ، واللفظ له .

بين أئمة<sup>(١)</sup> وصنعاء من اليمن ، وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء<sup>(٢)</sup> .  
وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « إن حوضي أبعد  
من أئمة من عدن لهو أشد بياضاً من الثلج ، وأحلى من العسل باللبن ، ولأنيته  
أكثر من عدد النجوم ، وإني لأصد الناس عنه كما يصد الرجل إبل الناس عن  
حوضه ... »<sup>(٣)</sup> .

وعن ثوبان - رضي الله عنه - أن نبي الله ﷺ قال : - عندما سُئل عن شرابه -  
« أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل يَغْتُ فيه ميزابان<sup>(٤)</sup> يمدانه من الجنة .  
أحدهما من ذهب ، والآخر من ورق<sup>(٥)</sup> »<sup>(٦)</sup> .

وفي رواية أبي زر عند مسلم : « ... عرضه مثل طولهِ ، ما بين عمان إلى  
أئمة .... »<sup>(٧)</sup> .

من نعيم أهل الإيمان في الآخرة ، الورود على حوض أكرم الأنبياء والمرسلين  
محمد ﷺ . وقد وصفه ﷺ ، واستعان في تقريب ذلك بأدوات حسية من بيئته  
المخاطبين فاستعان بالألوان نحو قوله : « أشد بياضاً من الثلج والورق واللبن » .  
وبالذوق من نحو قوله : « أحلى من العسل » ، وبالشم من نحو قوله : « أطيب من  
المسك » ، وبالمسافات والأبعاد التي بين الأماكن والمدن من نحو قوله : « ما بين  
أئمة إلى عدن » ، وبالمشاهد الطبيعية من نحو قوله : « وكيزانه كنجوم السماء » ،

(١) - " أئمة " : البلد المعروف فيما بين مصر والشام ، وقد كانت مدينة عامرة ، وهي بطرف القلزم من طرف الشام ،  
وبينها وبين المدينة النبوية مسيرة نحو شهر بسير الأتقال . ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (٨٥/١) مادة :  
أئيل ، " فتح الباري " (٤٧٩/١١) .

(٢) - متفق عليه ؛ أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الرقاق ، باب في الحوض وقول الله تعالى : { إنا  
أعطيناك الكوثر } (٢٠٥٧/٤) ، ح (٦٥٨٠) ، والإمام مسلم في " صحيحه " ، كتاب الفضائل ، باب إثبات حوض  
نبينا ﷺ وصفاته (١٤٣٥/٤ - ١٤٣٦) ، ح (٢٣٠٣) .

(٣) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " ، كتاب الطهارة ، باب استحباب إطالة الغرّة والتججيل في الوضوء  
(١٨٣/١) ح (٢٤٧) .

(٤) - " يُغْتُ فيه ميزابان " أي يدفقان فيه الماء دفقاً دائماً متتابعاً ، وأصله من اتباع الشيء الشيء . وقيل :  
يصبان فيه دائماً صباً شديداً . ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (٣٤٢/٣) ، " شرح النووي على  
صحيح مسلم " (٦٣/١٥) ، تحقيق : الشيخ خليل مأمون شيحا ، طبعة دار المعرفة ١٤١٨هـ .

(٥) - " من ورق " أي من فضة . ينظر " شرح النووي على صحيح مسلم " (٥٥/١٥) .

(٦) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الفضائل ، باب إثبات حوض نبينا محمد ﷺ وصفاته  
(١٤٣٤/٤ - ١٤٣٥) ح (٢٣٠٠) .

(٧) - " المرجع السابق " (١٤٣٥/٤) ح (٢٣٠١) .

وبالتحديد الهندسيّ الدقيق ، من نحو قوله : « زواياه سواء » ، « عرضه مثل طوله » وبذكر الحيوان المعروف عندهم وهو البعير في قوله : « وإني لأصدُّ الناس عنه كما يصدُّ الرجل إبل الناس عن حوضه » ، وكثير من هذه الصور كانت أمثالا ، وشيوع هذه الأمثال يدل على معرفة العرب لعناصرها (١) .  
وبشيء من التفصيل من غير إخلال بقدر الإمكان ، أبين تلك الأوصاف الواردة في الحوض وأثرها على المدعوين فمن ذلك :

### أولاً : بيان سعته

تعددت الروايات في بيان سعة الحوض ، لاختلاف الأماكن والأشخاص ، لأن الرسول ﷺ كان يخاطب الناس على قدر أفهامهم ومداركهم ، ولا يعني بأي حال أن في الأحاديث اختلافاً أو تضاداً ، كلاً ، إنما المقصود مخاطبة كل طائفة بما تعرف ، وقد أشار الإمام القرطبي - رحمه الله - إلى هذا المعنى في كتاب « التذكرة » فقال : « ظنَّ بعض الناس أن في هذه التحديدات في أحاديث الحوض اضطراب واختلاف ، وليس كذلك وإنما تحدَّث النبي ﷺ بحديث الحوض مرات عديدة ، وذكر فيها تلك الألفاظ المختلفة مخاطباً لكل طائفة بما تعرف من مسافات ومواضع فيقول لأهل الشام ما بين أذرح (٢) وجربا (٣) ، ولأهل اليمن من صنعاء إلى عدن وهكذا . وتارة أخرى يقدر بالزمان فيقول : « مسيرة شهر » ، والمعنى أنه حوض كبير متسع الجوانب والزوايا فكان ذلك بحسب من حضره ممن يعرف تلك الجهات ، فخاطب كل قوم بالجهة التي يعرفونها - والله أعلم - » (٤) .

وتأمل قوله ﷺ : « حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء » (٥) كيف بيّن ببلاغته ﷺ للمدعوين أن ذلك الحوض مُربّع مستوى الجوانب ، لأنّ تساوي الزوايا يدل على تساوي الأضلاع ، وهذا من علم الهندسة ، يقول الأبى نقلاً عن بعض العلماء :

- (١) - ينظر : " التصوير الفني في الحديث النبوي " للصباغ (١٤٦ - ١٤٧) بتصرف يسير .
- (٢) - " أذرحُ " : اسم بلد في أطرف الشام من أعمال السراة ، ثم من نواحي البلقاء وعمّان مجاورة لأرض الحجاز ، قريبة من بلدة " الجرباء " ، قيل إن بينهما ميل واحد . ينظر : " معجم البلدان " لياقوت الحموي (١١٠/١) مادة : ذرح .
- (٣) - " الجرباء " موضع من أعمال عمّان باللقاء من أرض الشام قرب جبال السراة من ناحية الحجاز وهي قرية من أذرح " التي تقدم ذكرها ، ينظر : " معجم البلدان " (٤١/٣) .
- (٤) - " التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة " للقرطبي ( ص / ٣٦٤ ) .
- (٥) - " سبق تخريجه قريباً " (ص/١٣٦) .

« وهو يدل على معرفته ﷺ بسائر العلوم لأنَّ هذا من علم الهندسة والتكسير والحساب » (١) .

ورواية أبي ذر تبين ذلك ، وهي قوله ﷺ : « عرضه مثل طوله ... » (٢) .  
فالمقصود أنَّ حوض نبينا محمد ﷺ كبير وعظيم ، يقول الحافظ ابن حجر :  
« كلَّ الروايات تفيد أنَّه كبير متسع متباعد الجوانب » (٣) .  
وفي هذا التصوير النبوي ، إثارة لحاسة الإبصار - للنظر إلى تلك المسافات والأبعاد التي هي تحديد تقريبي لسعة ذلك الحوض الذي سيرده المؤمنون بعد بعثهم من قبورهم يوم القيامة .

### ثانياً : طعم ماء الحوض وريحه

يقول ﷺ : « أحلى من العسل ... » (٤) ، وفي رواية : « أحلى من العسل باللبن » (٥) .

ففي هذين الحديثين أثار الرسول ﷺ حاسة الذوق ، بذكر مشروب محبَّب إلى النفوس ، لما فيه من المتعة والفائدة ، ولذلك أشار الله في كتابه الكريم فقال تعالى : ﴿ فيه شفاء للناس ﴾ (٦) . (٧) .

وقد أثبت العلم الحديث فوائد الكثرة والمنتوعة ، وأنه شفاء لمعظم الأمراض (٨) ،  
والعسل واللبن يُعدُّ من النَّعيم المقيم المُعدُّ لأهل الإيمان في الجنة ، كما بين سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهارٌ من ماءٍ غير آسن وأنهارٌ من لبنٍ لم يتغير طعمه وأنهارٌ من حمرٍ لذةٍ للشاربين وأنهارٌ من عسلٍ مُصْفًى ﴾ (٩) .

(١) - ينظر : " شرح الأبي على صحيح مسلم " (٢٦/٨) ، " فيض القدير " (٣٩٩/٣) .

(٢) - " سبق تخريجه " (ص/١٣٨) .

(٣) - ينظر : " فتح الباري " (٤٧٩/١) .

(٤) - " سبق تخريجه " (ص/١٣٧) .

(٥) - " سبق تخريجه " (ص/١٣٧) .

(٦) - لكن هل هذا الشفاء على إطلاقه ، فيكون لجميع الأمراض ، أم لبعضها دون الآخر ؟ قولان لأهل العلم . فقالت طائفة : هو على وجه العموم في كل حال ولكل أحد . وقالت طائفة : إن ذلك على الخصوص ولا يقتضي أنه شفاء لكل الأمراض ، وممن أرتأى هذا القول ، الإمام القرطبي ، ثم قال : " ومما يدل على أنه ليس على العموم أن كلمة " شفاء " نكرة جاءت في سياق الإثبات ولا عموم فيها باتفاق أهل اللسان ومحققي أهل العلم " . ينظر : تفصيل الخلاف في " تفسير القرطبي " (٩٠/١٠) .

(٧) - سورة محمد ، جزء من الآية : (١٥) .

(٨) - ينظر : " معجزة الاستشفاء بالعسل والغذاء الملكي حقائق وبراهين " للدكتور : حسَّان شمسي باشا ، طبعة : مكتبة السوادي ، ١٤١١هـ .

(٩) - سورة محمَّد ، جزء من الآية : (١٥) .

وهذان المشروبان فيهما من دلائل الإعجاز ما يدعو الإنسان إلى الإيمان ، فتركيب العسل معقّد وتكوينه يمر بمراحل وأدوار ، تدل على إلهام الله تعالى لذلك الطائر الصغير ، يقول الله تعالى : ﴿ وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر وما يعرشون \* ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه ... ﴾ (١) .

واللبن كذلك فيه من عظيم قدرته ووحدايته ما يدعو إلى العبرة والتفكر في آلاء الله ونعمه ، يقول الله تعالى : ﴿ وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين ﴾ (٢) .

ويقرب ﷺ طيب رائحة ماء الحوض للمدعوين فيقول : « ورائحته أطيب من المسك » (٣) .

أي أن رائحته الطيبة التي تفوح منه أفضل من رائحة المسك ، والمسك طيبٌ معروف ، وفي سبب اختيار الرسول ﷺ للمسك من بين الأطياب ، يُعلق المنلوي - رحمه الله على ذلك فيقول : « وخصّه لأنه أطيب الطيب » (٤) .  
فانظر رعاك الله كيف جمع الرسول ﷺ بين أفضل مشروب ومشوم ، ليقرب إلى أذهان المدعوين طعم ورائحة ماء الحوض ، الذي يُعدُّ كرامة لأهل الإيمان ، تتوق إليها نفوسهم وتشرئب إليها أعناقهم .

### ثالثاً : كثرة أواني الحوض

يقول ﷺ : « .. وكيزانه كنجوم السماء ... » (٥) ، وفي رواية « .. وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء .. » (٦) ، وفي رواية : « ... ولأنيته أكثر من عدد النجوم .. » (٧) ، وفي رواية أخرى : « ترى فيه أباريق الذهب والفضة كعدد نجوم السماء » (٨) .

(١) - سورة النحل ، الأيتان : (٦٨ ، ٦٩) .

(٢) - سورة النحل ، الآية : (٦٦) .

(٣) - سبق تخريجه ، (ص/٢٧) .

(٤) - " فيض القدير " (٣/٣٩٩) .

(٥) - " سبق تخريجه " (ص/١٣٦) .

(٦) - " سبق تخريجه " (ص/١٣٧) .

(٧) - " سبق تخريجه " (ص/١٣٧) .

(٨) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الفضائل ، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفته (٤/١٤٣٦) ح (٢٣٠٣) .



وجميع هذه الروايات بألفاظها ومعانيها صورة تقريبية لبيان كثرة آنية الحوض، ولذلك لفت الرسول ﷺ أذهان المخاطبين إلى مشهد حسي مألوف عندهم ، وهي تلك النجوم والكواكب الكثيرة المشرقة ، ليقرر لهم ذلك العدد الهائل من الآنية المحيطة بحوضه - عليه الصلاة والسلام - يقول المناوي : « كعدد نجوم السماء في الإشراق والكثرة » (١) .

وعند الجمع بين هذه الروايات ، وبعد التأمل في مدلولاتها ، يرى الباحث أن تحمل على ظاهرها ، وأن عدد تلك الآنية أكثر من عدد نجوم السماء فعلا ولا مانع من ذلك عقلا ولا شرعا ، بل إن النص الصريح من السنة جاء ليؤكد على ما سبق ، فعن أبي زر - رضي الله عنه - قال : قلت يا رسول الله ما آنية الحوض ؟ قال : « والذي نفس محمد بيده ! لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها ... » (٢) .

#### رابعا : كيف يذاد الناس عن الحوض ؟

يقول ﷺ : « ... وإني لأصد (٣) الناس عنه كما يصد الرجل إبل الناس عن حوضه ... » (٤) .

وفي رواية : « ألا ليذادن (٥) رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال أناديهم ألا هلم فيقال : إنهم قد بدلوا بعدك فأقول : سحقا سحقا (٦) » (٧) .

وروى الإمام البخاري عن أنس عن النبي ﷺ قال : « ليردن علي ناس من أصحابي الحوض حتى إذا عرفتهم اختلجوا (٨) دوني فأقول أصحابي ، فيقال : لا تدري ما أحدثوا بعدك » (٩) .

- (١) - "فيض القدير" (٣/٣٩٩) .
- (٢) - أخرجه الإمام مسلم في "صحيحه" كتاب الفضائل ، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفته (٤/١٤٣٤) ح (٢٣٠٠) .
- (٣) - "وإني لأصد الناس" : الصد : الصرف والمنع ، يقال صدّه ، وأصدّه ، وصد عنه ، والمعنى هنا ، أي : إني لأمنع الناس عن الورود على الحوض . ينظر : "النهاية في غريب الحديث" (٣/١٥) مادة : (صدد) .
- (٤) - "سبق تخريجه" (ص/١٣٧) .
- (٥) - "ليذادن" الذود : الطرد والدفع . ينظر : "النهاية في غريب الحديث" (٢/١٧٣) مادة : (ذود) .
- (٦) - "سحقا سحقا" أي بعدا بعدا ، ومكان سحق أي : بعيد ، ينظر "المصدر السابق" (٢/٣٤٧) مادة : (سحق) .
- (٧) - أخرجه الإمام مسلم في "صحيحه" كتاب الطهارة ، باب استحباب إطالة الغرة والتججيل في الوضوء : (١/١٨٤) ح (٢٤٩) .
- (٨) - "اختلجوا دوني" : أي اجتذبوا واقتطعوا دوني . ينظر : "النهاية في غريب الحديث" (٢/٥٩) .
- (٩) - "في صحيحه" كتاب الرقاق ، باب في الحوض ، (٤/٢٠٥٧) ح (٦٥٨٢) .

وهذه الروايات جاءت مجتمعة لتبين حالة أولئك « الأفراد من أمة محمد ﷺ الذين بدّلوا وغيروا وأحدثوا بعده ﷺ أموراً لم يشرعها الله وسلكوا سبلاً غير سبيل النبي ﷺ ، فيأتون ليردوا الحوض ، ولكنهم يُذادون عنه كما يذاد البعير الغريب الضال الذي يدخل في الإبل يشاركها الطعام والشراب ، فيذاد ويضرب ضرباً شديداً .. فعندما يراهم الرسول ﷺ يدعوهم للإقبال عليه ، فيقال له حينئذ ؛ إنهم قد بدلوا بعدك فيدعو عليهم بالبعد ، ويقول سحقا سحقا » (١) .

وخطاب النبي ﷺ تشبيه تمثيلي رائع بين المشبه : وهو دفع الرسول ﷺ أناساً عن حوضه بسبب تغييرهم وتبديلهم والمشبه به : رجل وقف على الحوض إبله ، فجاءت إبل ضالة عنها فمنعها من مخالطتها والورود معها على الحوض ، ووجه الشبه يبيّنهُ الإمام القرطبي فيقول : « إن أصحاب الإبل إذا وردوا المياه بإبلهم ازدحمت الإبل عند الورود فيكون فيها الضال والغريب ، فكل أحد من أصحاب الإبل يدفعه عن إبله حتى تشرب إبله فيكثر ضاربوه ودافعوه ، حتى صار هذا مثلاً شائعاً ، قال الحجاج (٢) لأهل العراق : « لأحزمنكم حزم السلّمة ، ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل » (٣) .

والهيئة والحالة التي تكون للمحرومين من الورود على الحوض « صيغت بأسلوب قصة سريعة تعتمد على التشبيه المتصل بحياة السامعين ، وهو التشبيه بالبعير الضال الذي يُذاد ويدفع بالشدة والعنف ، وفي ذلك تجسيد للخزي والعذاب والهلاك الذي يصيب من يبدل ما كان عليه رسول الله ﷺ » (٤) .

والسؤال الذي يرد . هنا من هم هؤلاء المحرومون من الورود على الحوض ؟ يجيب الإمام القرطبي - عليه رحمة الله - فيقول : « قال علماؤنا - رحمهم الله : فكل من ارتد عن دين الله أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله ، ولم يأذن به ، فهو من

(١) - ينظر : " التصوير الفني في الحديث النبوي " للصباغ (ص/١٢٠) .

(٢) - هو : الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي ، قائد ، داهية ، سفاك ، خطيب ، ولد في الطائف وانتقل إلى دمشق ، والتحق بالشرط ، وما زال يظهر أمره حتى جعله عبد الملك بن مروان على العسكر ، وأمره بقتال ابن الزبير حتى قتله ، فتولى أمر الحجاز والعراق ، وكان سفاكا سفاحا باتفاق المؤرخين ، وإن كان له حسنات ، وأمره إلى الله ، مات عام ٩٥ هـ . ينظر : " سير أعلام النبلاء " ، (٣٤٣/٤) ، " الأعلام " (١٦٨/٢) .

(٣) - " المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم " (٥٠٦/١) .

(٤) - " التصوير الفني في الحديث النبوي " للدكتور / الصباغ (ص/١٢٠) .

المطرودين عن الحوض المبعدين عنه ، وأشدّهم طرداً من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم كالخوارج على اختلاف فرقها ، والرّوافض على تباين ضلالها ، والمعتزلة على أصناف أهوائها ، فهؤلاء كلهم مبدّلون ، وكذلك الظلمة المسرفون في الجور والظلم وتطمس الحق وقتل أهله وإذلالهم ، والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصي ، وجماعة أهل الزيغ والأهواء والبدع »<sup>(١)</sup> .

(١) - " التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة " (ص/٣٦٧) .

## المسلك الثاني

### استخدام المنهج الحسي لإثبات الصراط

من أعظم المواقف المفزعة والمخيفة حقاً ، المرور على الصراط ، بل قد يكون أعظم مشهد من مشاهد يوم القيامة ، لأنه منصوب على متن جهنم ، واجتيازها يكون على قدر الأعمال . والصراط أمر غيبي يجب على كل مسلم الإيمان به ، كما أخبر به ﷺ ووصفه ، يقول شارح العقيدة الطحاوية : « ونؤمن بالصراط ، وهو جسر على جهنم ، إذا انتهى الناس بعد مفارقتهم الموقف إلى الظلمة التي دون الصراط ، كما قالت عائشة - رضي الله عنها - : أن رسول الله ﷺ سُئِلَ : أين الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسَّمَاوَاتِ ؟ فقال : « هم في الظلمة دون الجسر » (١) (٢) .

ويقول السفاريني (٣) : « اتفقت الكلمة على إثبات الصراط في الجملة ، لكن أهل الحق يثبتونه على ظاهره من كونه جسراً ممدوداً على متن جهنم ، أخذ من السيف وأدق من الشعر ، وأنكر هذا الظاهر القاضي عبدالجبار المعتزلي (٤) ، وكثير من أتباعه زعموا منه أنه لا يمكن عبوره ... - ثم قال أي السفاريني - : وليس العبور على الصراط بأعجب من المشي على الماء أو الطيران في الهواء ، أو الوقوف فيه ... - حتى قال - : والحق أن الصراط وردت به الأخبار الصحيحة وهو محمول على ظاهره بغير تأويل كما ثبت في الصحيحين والمسائيد والسنن والصحاح مما لا يُحصى إلا بكلفة من أنه جسر مضروب على متن جهنم يمر عليه الخلائق ، وهم في جواره متفاوتون » (٥) .

- (١) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الحيض ن باب بيان صفة مني الرجل والمرأة وأن الولد مخلوق من مائهما (٢١١/١ - ٢١٢) (٣١٥) .
- (٢) - " شرح العقيدة الطحاوية " لابن أبي العز الحنفي ، تحقيق ومراجعة ، مجموعة من العلماء ، خرّج أحاديثها ، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني (ص/٤٦٩) المكتب الإسلامي ، ط : ٦ ، ١٤٠٠ هـ .
- (٣) - هو : محمد بن أحمد بن سالم السفاريني ، شمس الدين ، عالم بالحديث والأصول والأدب من المحققين ، ولد في سفارين في نابلس ، ورحل إلى دمشق فأخذ من علمائها ، ثم عاد إلى نابلس ، فدرس وأفتى ومات فيها عام ١١٨٨ هـ ، ومن كتبه : " غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب " ، و" شرح ثلاثيات المسند " ، ينظر : " الأعلام " (١٤/٦) .
- (٤) - هو : عبدالجبار بن أحمد بن عبدالجبار الهمزاني ، أبو الحسين ، القاضي الأصولي ، كان شيخ المعتزلة في عصره ، وهم يلقبونه قاضي القضاة ، ولي القضاء بالرّي ، ومات فيها عام ٤١٥ هـ ، وله كتب كثيرة منها : " تنزيه القرآن عن المطاعن " ، " الأمالي " ، " المجموع في المحيط بالتكليف " ، ينظر : " الأعلام " (٢٧٣/٣) .
- (٥) - " لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الذرة المضئية في عقيدة الفرقة المرضية " للإمام محمد بن أحمد بن سالم السفاريني (١٩٢/٢ - ١٩٥) المكتب الإسلامي ، بيروت ، دمشق ، ط : ٣ ، ١٤١١ هـ .

وقد وصف الرسول ﷺ الصراط وصفاً دقيقاً ، وبين كيفية مرور الناس عليه بياناً شافياً ، واستخدم في ذلك أدوات حسية اختارها بعناية من البيئة العربية آنذاك ، فزادت البيان إيضاحاً ، وازداد المؤمنون بذلك إيماناً وتصديقاً ، وفيما يلي أوردُ بعض النصوص التي نتعرف من خلالها على منهج الرسول ﷺ الحسبي في إثبات الصراط وبيانه للمدعوين ، فعن أبي سعيد الخدري - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال : قال رسول الله ﷺ : « ... ثم يُؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم » قلنا : يارسول الله ، وما الجسر ؟ قال : « مدحضة مزلة <sup>(١)</sup> ، عليه خطاطيف <sup>(٢)</sup> ، وكلايب <sup>(٣)</sup> ، وحسكة مفلطحة <sup>(٤)</sup> لها شوكة عُقيفة <sup>(٥)</sup> تكون بنجد ، يقال لها السَّعدان <sup>(٦)</sup> ، المؤمن عليها كالطرف والبرق والريح ، وكأجاويد الخيل والركاب ، فجاج مسلَّم ونجاج مخدوش <sup>(٧)</sup> ، ومكدوس <sup>(٨)</sup> في نار جهنم حتى يمرُّ آخرهم يُسحب سحباً ... » <sup>(٩)</sup> .

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - ، قال ﷺ : « ... ويضرب الصَّراط بين ظهري جهنم ، فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها ، ولا يتكلم يومئذٍ إلاَّ الرُّسلُ ، ودعوى الرُّسلُ يومئذٍ : اللهم سلِّم سلِّم ، وفي جهنم كلايب مثل شوكة السَّعدان ، هل رأيتم شوكة السَّعدان » . قالوا : نعم يا رسول الله . قال : « فإنها مثل شوكة

- (١) - " مدحضة مزلة " : مقلعة من زل يزل إذا زلت ، وتفتح الزَّاي وتكسر ، أراد أنه تزلق عليه الأقدام ولا تثبت ، والمعنى واحد للكلمتين ، ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (٣١٠/٢) مادة : (زلل) .
- (٢) - " خطاطيف " : الخطف : استلاب الشيء وأخذه بسرعة ، والخَطَطَات : هو الحديد المعوجة . كالكلوب يختطف بها الشيء . ويجمع على خطاطيف . ينظر : " النهاية " (٤٩/٢) مادة : (خطف) .
- (٣) - " كلايب " : الكلوب ، بالتشديد : حديدة مُعَوَّجة الرأس : " النهاية في غريب الحديث " ( ١٩٥/٤ ) مادة : (كلب) .
- (٤) - " حسكة مفلطحة " : الحسكة : هي شوكة صلبة معروفة " النهاية في غريب الحديث " مادة : (حسك) . وقيل : نبات له ثمر خشن يتعلق بأصواف الغنم ، وربما اتخذ مثله من حديد ، وهو من آلات الحرب ، ينظر : " فتح الباري " (٤١٩/١٣) ، والمفلطح الذي فيه عرض واتساع . " النهاية في غريب الحديث " (٤٧١/٣) مادة : فلتح .
- (٥) - " عُقيفة " : أي ملوية . " النهاية في غريب الحديث " (٢٧٦/٣) مادة : (عقف) .
- (٦) - " السَّعدان " : نبت في أرض نجد ، له شوكة عظيمة مثل الحسك من كل الجوانب . ينظر : " عمدة القارئ " (٩٩/١٩) ، (٣١٦/٢٠) .
- (٧) - " مخدوش " خدش الجلد : قشرة بعود أو نحوه . " النهاية في غريب الحديث " (١٤/٢) ، وقال الكرمانى : مخدوش أي مخموش ممزق . وهو تخميش الوجه بالأظافر . ينظر : " عمدة القارئ " (٣٢٠/٢٠) .
- (٨) - " مكدوس " : أي مرفوع ، وتكدس الإنسان إذا دفع من ورائه فسقط . ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (١٥٥/٤) مادة : (كدس) .
- (٩) - " متفق عليه " أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب التوحيد ، باب " وجوه يومئذٍ ناضرة إلى ربها ناظرة " (٢٣٢٢/٤) ، ح (٧٤٣٩) واللفظ له . والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الإيمان باب معرفة طريق الرؤية (١٤٥/١ - ١٤٦) ، ح (١٨٣) .

السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا قَدَرَ عَظْمُهَا إِلَّا اللَّهُ . تَخْطِفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ ، فَمِنْهُمْ الْمُؤْمِنُ يَبْقَى بِعَمَلِهِ ، أَوْ الْمُؤَبَّقُ بِعَمَلِهِ <sup>(١)</sup> ، أَوْ الْمُؤَثَّقُ بِعَمَلِهِ <sup>(٢)</sup> ، وَمِنْهُمْ الْمُخْرَدَلُ <sup>(٣)</sup> ، أَوْ الْمُجَازِي أَوْ نَحْوَهُ <sup>(٤)</sup> .

وَعَنْ سَلْمَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « ... وَيُوضَعُ الصَّرَاطُ مِثْلَ حَدِّ مُوسَى ، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ : مَنْ تَجِيزُ عَلَيَّ هَذَا ؟ فَيَقُولُ : مَنْ شِئْتُ مِنْ خَلْقِي فَيَقُولُ : سَبِّحَانَكَ مَا عِبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ » <sup>(٥)</sup> .

وَفِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَقُولُ ﷺ : « ... وَالصَّرَاطُ كَحَدِّ السَّيْفِ مَدْحُضَةٌ مَزَلَةٌ ... » <sup>(٦)</sup> .

### أولاً : صفة الصراط وهيبته

الصراط من الأمور الغيبية التي تقع يوم القيامة ، وهو امتحان عظيم وابتلاء يصعب معه الصبر والاحتمال قرابة عليه الصلاة والسلام إلى أذهان المدعوين وتصوراتهم ، بأسلوب متناهٍ في البلاغة والبيان بعيد عن التكلف والتعقيد ، « صورة تعتمد على الوصف والتشبيه والموازنة » <sup>(٧)</sup> . كان لها أبلغ الأثر في تجلية أمر الصراط وما يتعلق به ، وكان المخاطب يرى ذلك المشهد المخيف بعينه ، فالجسر منصوب على متن جهنم ، والمرور عليه خطيراً جداً لمكانه من النار ، ودقته المتناهية ، فهو أدق من الشعر ، وأحد من السيف ، بل إن الحد أدق من ذلك كما

- (١) - " المؤبَّقُ بعمله " : أي المهلك بسوء عمله ، يقال أو بقتة نوبه ، أي أهلكته . ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (١٤٦/٥) ، " عمدة القارئ " (٣١٦/٢٠) .
- (٢) - " المؤثَّق بعمله " : الوثاق هو في الأصل : حبس أو قيد يشد به الأسير والذابة . ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (١٥١/٤) مادة (وثق) .
- (٣) - " المُخْرَدَلُ " : المرعي المصروع ، وقيل المقطع ، تَقَطَّطَ كَلَالِبِ الصَّرَاطِ حَتَّى يَهْوَى فِي النَّارِ ، يُقَالُ : خَرَدَلْتُ اللَّحْمَ ، أَي فَصَلْتُ أَعْضَاءَهُ وَقَطَعْتَهُ . ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (٢٠/٢) مادة : (خردل) .
- (٤) - أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى : " وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة " (٢٣٢٠/٤) ، ح (٧٤٣٧) .
- (٥) - أخرجه الإمام الحاكم في " المستدرک " كتاب الأحوال ، (٦٢٩/٤) ، ح (٨٧٣٩) ، وقال عنه : " حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه " .
- (٦) - أخرجه الإمام الحاكم في " المستدرک " كتاب الأحوال ، (٦٣٣/٤) ، ح (٨٧٥١) ، وقال عنه : " رواية هذا الحديث عن آخرهم ثقافت غير أنهم لم يخرجا أبداً خالد الدالاني في الصحيحين ، لما ذكر من انحرافه عن السنة في ذكر الصحابة ، فأما الأئمة المتقدمون فكلهم شهدوا لأبي خالد بالصدق والإتقان ، والحديث صحيح ولم يخرجاه ، وأبو خالد الدالاني ممن يجمع حديثه في أئمة أهل الكوفة " أ . هـ ، وقد صححه الألباني في تخريج أحاديث العقيدة الطحاوية " (ص/٤٧٠) ، طبعة المكتبة الإسلامية ١٤٠٠ هـ .
- (٧) - " التصوير الفني في الحديث النبوي " (ص/٢١٥) .

تبينه رواية سلمان الفارسي - رضي الله عنه - « ويوضع الصراط مثل حدِّ موسى ... » (١) . فكيف تستقر الأقدام على جسر هذه صفته ؟ إنَّه دحض مزلة ، تزل فيه الأقدام ولا تستقر ، وزيادة على هذه الدقة ، فإنَّ على حافتي الصِّراط خطاطيف وكلايب وحسك لا يعلم قدر عظمها إلا الله تعالى وهي مأمورة من الله بأخذ من أذن بهلاكه ولتقريب الصورة إلى أذهان المخاطبين ، لكونهم لم يروا تلك الخطاطيف والكلايب والحسك ، فقد أثار اهتمامهم ، ولفت انتباههم بتشبيه تلك الكلايب بشوك السَّعدان ، وهي شيء رآه الصحابة - رضي الله عنهم - ويعرفونه حق المعرفة ، ولذلك قال لهم الرسول صلى الله عليه وآله : « هل رأيتم السَّعدان » . قالوا : نعم يارسول الله . قال : « فاتها مثل شوك السعدان » (٢) . يقول الحافظ بن حجر - رحمه الله - : « والاستفهام في الحديث تقريرٌ لاستحضار الصورة المذكورة » (٣) ، ويقول أيضاً (٤) : « تشبيه الكلايب بشوك السعدان خاص بسرعة اختطافها وكثرة الانتشاب فيها مع التحرز والتصوّن تمثيلاً لهم بما عرفوه في الدنيا وألفوه بالمباشرة » (٥) . وهذا التصوير الدقيق من رسول الله لتلك الكلايب استحوذ على إعجاب السَّامعين من الصحابة وأثار دهشتهم ، ولذلك جاء في نهاية رواية أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قول الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وآله : « كأنك كنت ترعى بالبادية » (٦) ، والمقصود من التشبيه بيان صورة المشبه وتقريبه للمدعوين وتخويفهم من تلك الكلايب التي لا يستطيعون منها فكاكاً ، وهو تشبيه من واقع البيئة ، قرَّب صورة المشبه ووضَّحها (٧) .

### ثانياً : كيف يمرُّ النَّاسُ على الصِّراطِ ؟

لقد بين النبي صلى الله عليه وآله للمدعوين حالة الناس يوم القيامة وكيف يتفاوتون في المرور على الصراط تفاوتاً عظيماً ، وذلك لأنَّ المرور عليه يكون بقدر الأعمال الصالحة ، التي قدَّمها المرء المسلم في حياته الدنيا ، وأراد - عليه الصلاة والسلام - أن يُبين ذلك التفاوت ويُقرِّبه إلى أذهان المخاطبين من صحابته الكرام ، فاختار من البيئة

- (١) - " سبق تخريجه قريباً " (ص/١٤٦) .
- (٢) - " سبق تخريجه قريباً " (ص/١٤٦) .
- (٣) - " فتح الباري " ، (١١/٤٦٢) .
- (٤) - نقلًا عن الزين بن المنير .
- (٥) - " المرجع السابق " (١١/٤٦٢) ، ينظر أيضاً : " صفة الصراط " لأبي عُمر حاي الحاي (ص/١٨) ط : الأولى ١٤٠٨هـ .
- (٦) - " سبق تخريجه " ، (ص/١٤٥) .
- (٧) - ينظر : " أثر التشبيه في تصوير المعنى " (ص/٥٧) بتصريف .

أموراً حسية معروفة ومألوفة عندهم ، فشبّه سرعة مرور المؤمنين على الصراط بها ، لقوله ﷺ : « ... المؤمن عليها كالطرف والبرق والريح ، وكأجود الخيل والركاب ، فجاج مسلم وناج مخدوش ، ومكدوس في نار جهنم ، حتى يمر آخرهم يُسحبُ سحباً ... » (١) .

وفي حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : « ... ونببكم قائم على الصراط يقول : « رب سلم سلم حتى تعجز أعمال العباد ، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً » (٢) . وهذه الأعراض الحسية مرتبة على قدر ما عند المؤمن من أعمال صالحة ، فأفضلهم من يمر كطرف العين ، وأدناهم من يُسحبُ سحباً ، ومن يتأمل وصف الرسول ﷺ لتفاوت مرور الناس على الصراط يجد أنه قد جمع بين الترغيب والترهيب بصورة سريعة ومؤثرة ومخيفة ؛ الترغيب في الأعمال الصالحة ؛ لأنها سبب للنجاة والطمأنينة وثبات الأقدام على الصراط ، والترهيب من المعاصي والآثام لأنها سبب في هلاك أصحابها ، وفي موضع آخر أوضح - عليه الصلاة والسلام - أن الناس يُعطون نوراً على قدر أعمالهم ، كما في حديث عبدالله بن مسعود الطويل ، الذي يقول فيه النبي ﷺ : « فَيُعْطُونَ نورهم على قدر أعمالهم ، فمنهم من يُعطى نوره مثل الجبل بين يديه ، ومنهم من يُعطى نوره فوق ذلك ، ومنهم من يُعطى نوره مثل النخلة بيمينه ، ومنهم من يُعطى دون ذلك بيمينه ، حتى يكون آخر من يُعطى نوره على إبهام قدمه ، يضيء مرة ويطفاً مرة ، إذا أضاء قدم قدمه ، وإذا أطفئ قام ... » (٣) .

وهذا حال المؤمنين على تفاوت بينهم ، أمّا المنافقون فيعطون نوراً حتى إذا وصلوا الجسر إنطفاً ، كما في حديث جابر عن النبي ﷺ : « وَيُعْطَى كُلُّ إِنْسَانٍ منهم منافق أو مؤمن نوراً . ثم يتبعونه وعلى جسر جهنم كلاب وحسك تأخذ من شاء الله ، ثم يطفأ نور المنافقين ، ثم ينجو المؤمنون » (٤) .

(١) - سبق تخريجه " ، (ص/١٤٥) .

(٢) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١/١٥٩) ، ح (١٩٥) .

(٣) - سبق تخريجه " (ص/١٤٦) .

(٤) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " ، كتاب الإيمان ، باب : أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١/١٥٠) ح (١٩١) .



مما تقدم يتبين أن الناس في المرور على الصراط على أصناف ، يقول ابن أبي جمرة - رحمه الله : « يؤخذ منه أي من الحديث - أن المارين على الصراط على ثلاثة أصناف :

- ١ - ناج بلا خدش .
  - ٢ - وهالك من أول وهلة .
  - ٣ - ومتوسط بينهما
- يصاب ثم ينجو وكل قسم منها ينقسم أقساماً تعرف بقوله : « بقدر أعمالهم » (١) .
- وقد وصف الإمام القرطبي - رحمه الله - حال الإنسان وهو على الصراط بقوله : « فتفكر الآن فيما يحلّ بك من الفزع بفؤادك إذا رأيت الصراط ودقته ، ثم وقع بصرك على سواد جهنم من تحته ، ثم قرع سمعك شهيق النار وتغيظها ، وقد كُلفت أن تمشي على الصراط مع ضعف حالك ، واضطراب قلبك ، وتزلزل قدمك وثقل ظهرك بالأوزار ، المانعة لك من المشي على بساط الأرض ، فضلاً عن حدة الصراط فكيف بك إذا وضعت إحدى رجليك فأحسست بحدته ، واضطرت إلى أن ترفع القدم الثاني ، والخلائق بين يديك يزلون ويعثرون ، وتتناولهم زبانية النار بالخطايف والكلاليب ، وأنت تنظر إليهم كيف يُنكسون فتسفل إلى جهة النار رؤوسهم ، وتعلوا أرجلهم فياله من منظر ما أفضعه ، ومرتقى ما أصعبه ، ومجاز ما أضيقه » (٢) .

(١) - ذكره الحافظ بن حجر في "الفتح" (٤٦٣/١١) .  
 (٢) - "التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة" (ص/٤٠٠) .

## المبحث الثاني : استخدام المنهج الحسي

### لإيضاح الأحكام العملية

وفيه ثلاثة مطالب :

**المطلب الأول : استخدام المنهج الحسي لبيان أحكام الطهارة  
والصلاة .**

**المطلب الثاني : استخدام المنهج الحسي لبيان أحكام الزكاة  
والصوم .**

**المطلب الثالث : استخدام المنهج الحسي لبيان أحكام الحج  
والجهاد .**

**المطلب الأول : استخدام المنهج الحسيّ لبيان  
أحكام الطّهارة ، والصلاة .**

وفيه مسلكان :

**المسلك الأول : بيان بعض أحكام الطّهارة بالمنهج الحسيّ .**

**المسلك الثاني : بيان بعض أحكام الصّلاة بالمنهج الحسيّ .**

## المسلك الأول

### بيان بعض أحكام الطَّهارة بالمنهج الحسي

#### تمهيد

الطَّهارة في اللُّغة : النِّظَافَة والتَّنْزَه عن الأَقْدَار حسيَّة كانت أو معنويَّة (١) .  
وفي الشَّرْع : ارتفاع الحدث بالماء أو التراب الطهورين المباحين ، وزوال  
النجاسة والخبث ، فالطَّهارة : هي زوال الوصف القائم بالبدن المانع من الصَّلَاة  
ونحوها (٢) .

والدِّينُ الإسلامي ، دين الطَّهارة والجمال ، الطَّهارة الحسية بإزالة النجاسات  
والأقذار والأوساخ ، والطَّهارة المعنوية بالابتعاد عن العيوب والآثام والأخلاق  
الردئية ، وهذه المكارم جميعها في مقدور الإنسان فعلها ، لأنَّ الله تعالى لا يكلف  
عباده ما لا يطيقون ، يقول سبحانه : ﴿ ما يُريد الله ليُجعل عليكم من حرج ولكن يريد  
ليطهركم ﴾ (٣) .

بل إنَّ الله تعالى جعل الطَّهارة سبباً في محبَّته ورضاه على عباده المؤمنين ،  
يقول سبحانه : ﴿ إنَّ الله يُحبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحبُّ المُتَطَهِّرِينَ ﴾ (٤) . ويقول ﴿ فيه رجالٌ  
يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ المُطَهَّرِينَ ﴾ (٥) .

ويؤكد الإمام الغزالي - رحمه الله - على شمولية الطَّهارة للظاهر والباطن ،  
فيقول : « إنَّ أهمَّ الأمور تطهير السرائر ، إذَّ يبعد أن يكون المراد بقوله ﷺ :  
« الطهور شطر الإيمان ... » (٦) عمارة الظاهر بالتنظيف بإفاضة الماء وإلقائه ،  
وتخريب الباطن وإيقائه مشحوناً بالأخبث والأقذار هيئات هيئات - ثم قال -  
والطَّهارة لها أربع مراتب :

المرتبة الأولى : تطهير الظَّاهر من الأحداث والأخبث والفضلات .

- (١) - " لسان العرب " (٥٠٤/٤) وما بعدها ، مادة (طهر) .
- (٢) - ينظر : " توضيح الأحكام من بلوغ المرام " للبسام ، (١١٩/١) ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، جدة ، ط : ١٤١٣هـ .
- (٣) - سورة المائدة ، جزء من الآية : (٦) .
- (٤) - سورة البقرة ، جزء من الآية : (٢٢٢) .
- (٥) - سورة التوبة ، جزء من الآية : (١٠٨) .
- (٦) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الطَّهارة ، باب فضل الوضوء ، (١٧٢/١) ، ح (٢٢٣) .

المرتبة الثانية : تطهير الجوارح عن الجرائم والآثام .  
 المرتبة الثالثة : تطهير القلب عن الأخلاق المذمومة والرذائل الممقوتة .  
 المرتبة الرابعة : تطهير السرِّ عمّا سوى الله تعالى » (١) .  
 وللعلماء في تفسير كلمة الإيمان في قول الرسول ﷺ : « الطهور شرط  
 الإيمان » رأيان :

الرأي الأول : أن المراد بالإيمان هنا على حقيقته .  
 فيكون المعنى : أن أجر النظافة كبير جداً يصل إلى نصف أجر  
 الإيمان .

الرأي الثاني : المراد بالإيمان هنا الصلاة كما ورد في قوله تعالى : ﴿ وما  
 كان الله ليضيع إيمانكم ﴾ (٢) .

وعلى هذا يكون المعنى : الطهور نصف الصلاة .  
 ويبقى المعنى الذي يدلُّ عليه الحديث من تعظيم شأن النظافة وارداً ، لأنَّ  
 قيمة الصلاة في الإسلام كبيرة جداً (٣) .  
 ولا تكون الصلوات مكفّرات لما بينهنَّ من الذنوب والخطايا إلا إذا كان الوضوء  
 تاماً ، فإذا كمل طهور المرء المسلم كانت الصلوات مذهباً للآثام ، لما ثبت في  
 « صحيح مسلم » عن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : « ما من مسلم  
 يتطهر فيتمَّ الطهور الذي كتُب عليه فيصلِّي هذه الصلّوات الخمس إلا كانت كفارة  
 لما بينها » (٤) .

وفي رواية له : « من أتمَّ الوضوء كما أمره الله ، فالصلوات المكتوبات كفارات  
 لما بينهنَّ » (٥) .

بل إنَّ الرسول ﷺ جعل الوضوء شرطاً لصحة الصلاة وقبولها ، فعن  
 أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « لا صلاة لمن لا وضوء له ،

(١) - " إحياء علوم الدين " ، (٢٠٠/١) ، تحقيق / سيد إبراهيم ، طبعة / دار الحديث القاهرة ، ط : ١ ، ١٤١٢هـ .

(٢) - سورة البقرة ، جزء من الآية : (١٤٣) .

(٣) - ينظر : " من هدي النبوة " للدكتور محمد بن لطفي الصباغ ، (ص/١٢ - ١٣) .

(٤) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الطهارة ، باب فضل الوضوء والصلاة عقبه ، (١/١٧٥) ، ح (٢٣١) .

(٥) - " المرجع السابق " ، (١/١٧٥) ح (١١/٢٣١) .

ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه» (١) .

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال : « لا تُقبل صلاة بغير طهور ، ولا صدقة من غلول » (٢) .

وزيادة على ذلك فإنَّ الطهارة من دواعي الفطرة ، وأسباب الوقاية من الأمراض ، والمحافظة على الكرامة ، فإن النَّاس يميلون بفطرتهم إلى مجالسة ومصاحبة من كان نظيف الظاهر ، طيب الباطن ، والرسول ﷺ بين الأحكام المتعلقة بالطهارة بياناً لا يدخله لبس ، وقد استعمل في بيان بعض تلك الأحكام منهجاً حسياً فيه من الإثارة والتشويق ، مما يجعل المدعو يقظاً منتبهاً لما يسمع ، والأحاديث المشتملة على منهج حسي في بيان أحكام الطهارة كثيرة يصعب حصرها لكنني أقتصر على أمثلة أبين من خلالها المنهج الحسي الذي استخدمه الرسول ﷺ في بيان بعض أحكام الطهارة . فمن ذلك :

### أولاً : التعليم بالقدوة والتطبيق

عن حمران (٣) مولى عثمان بن عفان - رضي الله عنه - ، أن عثمان دعا بوضوء ، فتوضأ . فغسل كفيه ثلاث مرات ثم مضمض واستنثر (٤) . ثم غسل وجهه ثلاث مرات . ثم غسل يده اليمنى إلى المرفقين ثلاث مرات . ثم غسل يده اليسرى مثل ذلك . ثم مسح رأسه . ثم غسل رجله اليمنى إلى الكعبين ثلاث مرات ، ثم غسل اليسرى مثل ذلك ، ثم قال : رأيت رسول الله توضأ نحو وضوئي هذا . ثم قال رسول الله ﷺ : « من توضأ نحو وضوئي هذا ، ثم قام فركع ركعتين ، لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه » (٥) .

- (١) - أخرجه الإمام أبو داود في " سننه " كتاب الطهارة ، باب : في التسمية في الوضوء ، (٧٥/١) ح (١٠١) والإمام ابن ماجة في " سننه " كتاب الطهارة وسننها ، باب : ما جاء في التسمية في الوضوء (٢٢٧/١) ح (٣٩٩) ، وصححه الشيخ الألباني في " صحيح سنن أبي داود " (٣٦/١ - ٣٧) ح (١٠١) ، وحسنه في " صحيح سنن ابن ماجة " (١٣٨/١) ح (٣٢٥) ، وفي " صحيح الترغيب والترهيب " (٨٧/١) ح (١٩٨) .
- (٢) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الطهارة ، باب وجوب الطهارة للصلاة ، (١٧٢/١) ، ح (٢٢٤) .
- (٣) - هو : حمران بن أبان مولى عثمان بن عفان ، كان من النُّمَر بن قاسط سبي بعين التمر ، فابتاعه عثمان من المسيب بن نجبة فأعتقه ، أدرك أبا بكر وعمر ، وروى عن عثمان ومعاوية ، قال عنه يحيى بن معين : حمران من تابعي أهل المدينة ومحدثيهم ، غضب عليه عثمان فنفاه عن المدينة ، قيل كانت وفاته سنة (٧١هـ) وقيل (٧٦هـ) ، ينظر : " الإصابات " (١٥١/٢ - ١٥٢) ، " تهذيب التهذيب " ، (٢٤/٣) ، طبعة / دار الكتاب الإسلامي .
- (٤) - " استنثر " : أي استشق الماء ، ثم استخراج ما في الأنف فينثره . ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (١٥/٥) مادة : (نثر) .
- (٥) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الطهارة ، باب صفة الوضوء ، وكماله ، (١٧٣/١) ، ح (٢٢٦) .

مما هو معلوم في علم التربية أن عرض المعلومات وتقديمها عن طريق الإلقاء بأسلوب مؤثر وكلام بين واضح ، وسيلة جيدة في التعليم ، فإذا انضم إليها التطبيق العملي ، كان ذلك عاملاً قوياً في ترسيخ المعلومات في ذهن المدعو ، وتحبيب الفكرة التي يدعى إليها إلى نفسه ، والرسول ﷺ في تعليمه كيفية الوضوء للصحابة - ﷺ - جمع بين التعليم النظري ، والتطبيق العملي عن طريق القدوة ، والصحابي الجليل عثمان بن عفان - ﷺ - يصف عملياً وبكل دقة ووضوح ما رآه بعينه وسمعه بأذنه من رسول الله ﷺ ، والصحابه ينظرون إليه ، وبعد فراغه عملياً من الوضوء قال : رأيت رسول الله ﷺ توضأ نحو وضوئي هذا ، ثم قال رسول الله ﷺ : « من توضأ نحو وضوئي هذا ، ثم قام فركع ركعتين ، لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه » (١) .

وهذا هو الوضوء التام ، يقول ابن شهاب (٢) : « وكان علمائنا يقولون : هذا الوضوء أسبغ ما يتوضأ به أحد للصلاة » (٣) .

ويعلق الإمام ابن حجر على أهمية التطبيق العملي في التعليم ، فيقول : « وفي الحديث التعليم بالفعل لكونه أبلغ وأضبط للمتعلم » (٤) .

ويقرر الإمام الشاطبي - رحمه الله (٥) - في « الموافقات » أنه إذا حصل البيان بالقول والفعل المطابق للقول فهو الغاية في البيان (٦) .

ويقول الشيخ البسام - حفظه الله - : « وفيه - أي في الحديث التعليم بالقول والفعل ، وهذا ما يسمى في التربية : بوسائل الإيضاح . وهذا التعليم عن طريق السمع والبصر » (٧) .

(١) - سبق تخريجه " (ص / ١٥٤) .

(٢) - هو : محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبدالله بن شهاب الزهري القرشي ، أحد الأئمة الأعلام وعالم الحجاز والشام ، أول من دون الحديث ، وأحد أكابر الحفاظ والفقهاء ، تابعي ، روى عن ابن عمر ، وابن جعفر ، وأنس ، وجابر وغيرهم وروى عنه عطاء بن أبي رباح ، وعمر بن عبدالعزيز وغيرهما . مات بالمدينة سنة ١٢٤هـ . ينظر : " تهذيب التهذيب " (٢٦٦/٥) ، " سير أعلام النبلاء " (٣٢٦/٥) ، " تذكرة الحفاظ " (١٠٨/١) .

(٣) - " صحيح مسلم " كتاب الطهارة ، باب صفة الوضوء ، (١٧٣/١) .

(٤) - " فتح الباري بشرح صحيح البخاري " ، (٣١٣/١) .

(٥) - هو : أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي المشهور بالشاطبي ، من أهل غرناطة ، أصولي ، فقيه مجتهد ، محارب للبدع ، له مصنف مبتكر هو : " الموافقات في أصول الفقه " كان من أئمة المالكية ، ومن مؤلفاته أيضاً : " الاعتصام " ، توفي سنة ٧٩٠هـ . ينظر : " الأعلام " (٧٥/١) .

(٦) - ينظر : " الموافقات في أصول الشريعة " لأبي إسحاق الشاطبي ، (٢٣١/٣) تحقيق : الشيخ عبدالله دراز طبعة دار الكتب العلمية - بيروت . بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها .

(٧) - " توضيح الأحكام من بلوغ المرام " لعبدالله بن عبدالرحمن البسام ، (٢٠٠/١) .

وبهذا المنهج اختصر الرسول ﷺ الجهد والوقت <sup>(١)</sup> ، وكان التعلّم من قبل المدعوين سريعاً ، والتأثر بليغاً ، لِحُسْنِ عرض الخطاب ، واختيار الوسيلة التعليمية المناسبة من قبل الرسول ﷺ .

### ثانياً : بيان فضل الوضوء

مما خصَّ الله به أمة محمد ﷺ عن بقية الأمم الوضوء ، بصفته المحددة في الكتاب والسنة ، والرسول ﷺ في بيانه لفضل الوضوء ، استعمل وسائل مادية محسوسة من بيئة المدعوين ، ليُقَرَّبَ إلى الأذهان ذلك الفضل الذي أعدّه الله لعباده المؤمنين ، ومن ذلك ، مارواه أبوهريرة - رضي الله عنه - قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنَّ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا <sup>(٢)</sup> مُحَجَّلِينَ <sup>(٣)</sup> مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ ، فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ <sup>(٤)</sup> » <sup>(٥)</sup> .

وعنه ؛ أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال : « السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ ، وَدِدْتُ أَنَا قَدْ رَأَيْتُنَا إِخْوَانَنَا » قالوا : أولسنا إخوانك ؟ يا رسول الله ! قال : « أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدَ » . فقالوا : كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك ؟ يا رسول الله ! فقال : « أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهْ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرِي خَيْلٍ دَهْمٍ بِهِمْ <sup>(٦)</sup> . أَلَا يَعْرِفُ

(١) - ينظر : " المعلم الأول ﷺ " فؤاد الشهبوب ، (ص/٨٦-٨٧) طبعة : دار القاسم للنشر والتوزيع ، ١٤١٧هـ . بتصرف يسير .

(٢) - " غُرًّا " الثَّغْرَةُ : بياض في الجبهة ، وغُرَّةُ الفرس : البياض الذي يكون فيه وجهه ، والغُرُّ : جمع الأغرِّ من الغُرَّةِ بياض الوجه ، يريد بياض وجوههم بنور الوضوء يوم القيامة ، " لسان العرب " (١٤/٥-١٥) ، " النهاية في غريب الحديث " (٣/٣٥٤) .

(٣) - " مُحَجَّلِينَ " : التحجيل بياض يكون في قوائم الخيل ، يرتفع إلى موضع القيد ، ويجاوز الأرساخ ولا يجاوز الركبتين ؛ لأنَّهما مواضع الأحجال وهي الخلاخيل والقسيود ، واستعار أثر الوضوء في الوجه واليدين والرجلين للإنسان من البياض الذي يكون في وجه الفرس ويديه ورجليه . " النهاية في غريب الحديث " (١/٣٤٦) .

(٤) - المقصود من تطويل الغُرَّةِ : هو غسل شيء من مقدم الرأس ، وما يجاوز الوجه زائداً على القدر الذي يجب غسله لاستيقان كمال الوجه ، وأما إطالة التحجيل : فهو غسل ما فوق المرفقين والكعبين . ينظر : " فتح الباري " (١/١٣٧) ، " عمدة القارئ " (٢/٢٢٧) ، " شرح النووي لمسلم " (٣/١٣٤) .

(٥) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الوضوء ، باب فضل الوضوء ، والغُرُّ المحجلون من آثار الوضوء (١/٧٢) ، ح (١٣٦) . والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الطهارة ، باب : استحباب إطالة الغُرَّةِ والتججيل في الوضوء (١/١٨٣) ح (٢٤٦) .

(٦) - " دَهْمٌ بِهِمْ " الدهم : جمع أدهم وهو الأسود ، والبُهْمُ جمع بهيم ، وهو في الأصل الذي لا يخالط لونه لون سواه . وقيل : البهيم ، الأسود . ينظر : " النهاية " (٢/١٤٦) ، (١/١٦٧) ، " شرح النووي على صحيح مسلم " (٣/١٣٩) ، " شرح الأبي على صحيح مسلم " (٢/٥٠) .



خيله ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله ! قال : « فاتهم يأتون غرّاً محجلين من الوضوء .. الحديث » (١) .

وعن عمرو بن عبسة السلمي (٢) - رضي الله عنه - قال : « كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة وأنهم ليسوا على شيء ، وهم يعبدون الأوثان ، فسمعت برجل في مكة يخبر أخباراً فقعدت على راحتي ، فقدمت عليه ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ( فذكر الحديث إلى أن قال ) فقلت : يا نبي الله فالوضوء ، حدثني عنه ؟ فقال : « ما منكم رجل يقرب وضوءه فيمضض ويستنشق فينتثر (٣) ، إلا خرت (٤) خطايا وجهه من فيه وخياشيمه (٥) ، ثم إذا غسل وجهه كما أمره الله ، إلا خرت خطايا وجهه من أطراف لحيته مع الماء ، ثم يغسل يديه إلى المرفقين ، إلا خرت خطايا يديه من أنامله (٦) مع الماء ، ثم يمسح رأسه ، إلا خرت خطايا رأسه من أطراف شعره مع الماء ، ثم يغسل رجليه إلى الكعبين ، إلا خرت خطايا رجليه من أنامله مع الماء فإن هو قام فصلى ، فحمد الله تعالى ، وأثنى عليه ، ومجّده بالذي هو له أهلاً ، وفرغ قلبه لله تعالى إلا انصرف من خطيئته كهيئته يوم ولدته أمه (٧) » (٨) .

من الأمور الغيبية التي أخبر عنها الرسول صلى الله عليه وسلم ، والتي تعدّ من معجزاته ، مجيء أمته يوم القيامة بسماتٍ وعلاماتٍ تميزهم عن غيرهم من الأمم ، ومن تلك

- (١) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الطهارة ، باب استحباب إطالة الغرّة والتجليل في الوضوء (١٨٤/١) ح (٢٤٩) .
- (٢) - هو : عمرو بن عبسة بن عامر بن خالد السلمي أبو نجيع ، أسلم قديماً بمكة ، وكان أخاً أبي نذرٍ لأمه ، رجع إلى قومه بعدما أسلم ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك المدينة ، ثم نزل الشام أو غيره ، ومات بحمص في أواخر خلافة عثمان تقريباً . ينظر : " أسد الغابة " (١٢٠/٤) ، " تهذيب التهذيب " ، (٣٤٤/٤) .
- (٣) - " فينتثر " نثر ينثر ، إذا امتخط ، واستنثر ، أي استنشق الماء ثم استخرج ما في الأنف فينتثره والنثر : مأخوذ من تحريك النثرة ، وهي طرف الأنف . ينظر " النهاية " في غريب الحديث " (١٥/٥) مادة : (نثر) .
- (٤) - " خرت خطاياها " : أي سقطت وزهبت . " النهاية " (٢١/٢) مادة (خر) .
- (٥) - " خياشيمه " : الخياشيم جمع خيشوم وهو أقصى الأنف ، وقيل : الخياشيم عظام رقاق في أصل الأنف بينه وبين الدماغ ، وكلا المعنيين صحيح . ينظر : " شرح الأبي لمسلم " (١٨٦/٣) بتصريف يسير .
- (٦) - " أنامله " : الأنامل أطراف الأصابع . ينظر : " المفردات في غريب القرآن " (ص/٥٠٦) مادة : (نم) .
- (٧) - " كهيئة يوم ولدته أمه " أي مثل يوم ولدته أمه ليس عليه خطيئة .
- (٨) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب صلاة المسافرين ، باب : إسلام عمرو بن عبسة (٤٧٦/١) - (٥٧٧) ، ح (٨٣٢) .

السَّمَات أَنَّهُمْ يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مَحْجَلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ الصَّحِيحِ الْمَوْافِقِ لِهَدْيِ الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ .

والغُرَّةُ والتَّحْجِيلُ بياض يكون في وجه الفرس وقوائمه ، والمعنى : أن الله يُكْرِمُ الْمُؤْمِنِينَ بِنُورٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَوَاضِعِ الْوُضُوءِ فِي وُجُوهِهِمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ ، يَعْرِفُهُمُ الرَّسُولُ ﷺ بِهِ ، وَلِذَلِكَ مِثْلُ لَهُمْ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - بِمِثَالِ حَسِّيٍّ مِنْ بَيْتَةِ الْمَدْعُوعِينَ ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : « أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مَحْجَلَةٌ بَيْنَ ظَهْرِي خَيْلٍ دَهْمٌ بِهِمْ ، أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ ؟ » قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ! قَالَ : « فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مَحْجَلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ ... » (١) .

والخطاب النبوي فيه إثارة لحاسة الإبصار للترغيب في إتمام الوضوء والمحافظة عليه ، والمدعو عندما يتصور ذلك النور الذي يجعله الله في وجوه المؤمنين وأيديهم وأرجلهم كرامة منه وفضلاً ، جزاء محافظتهم على الوضوء ، فإنه يكون أكثر حرصاً ، وأعظم إخلاصاً ومتابعة ، وقد كان الصحابة - ﷺ - كذلك ، لقوة إيمانهم وتصديقهم ، وتأثرهم بمنهج الرسول ﷺ الذي يعرض ذلك الفضل بأسلوب مؤثر وخالٍ من التعقيد والتكلف ، ولذلك كان أبو هريرة - ﷺ - يحرص حرصاً شديداً على إسباغ الوضوء . يقول نعيم بن عبدالله المَجْمَرُ (٢) : رأيت أبا هريرة يتوضأ . فغسل وجهه فأسبغ الوضوء ، ثم غسل يده اليمنى حتى أشرع في العضد ، ثم يده اليسرى حتى أشرع في العضد ، ثم مسح رأسه . ثم غسل رجله اليمنى حتى أشرع في الساق ، ثم غسل رجله اليسرى حتى أشرع في الساق ، ثم قال : هكذا رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ . وقال : قال رسول الله ﷺ : « أَنْتُمْ الْغُرُّ الْمُحْجَلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ إِسْبَاغِ الْوُضُوءِ ... الْحَدِيثُ » (٣) .

والغُرَّةُ والتَّحْجِيلُ كرامة لأمة محمد ﷺ ، ولذلك يقول الحافظ ابن حجر - رحمه - : « وَأَصْلُ الْغُرَّةِ : لَمْعَةٌ بِيضَاءُ تَكُونُ فِي جِبْهَةِ الْفَرَسِ ، ثُمَّ اسْتَعْمَلَتْ فِي الْجَمَالِ وَالشُّهُرَةِ وَطَيْبِ الذَّكْرِ ، وَالْمُرَادُ بِهَا هُنَا : النُّورُ الْكَائِنُ فِي وُجُوهِ أُمَّةِ

(١) - " سبق تخريجه قريباً " (ص/١٥٧) .

(٢) - هو : نعيم بن عبدالله المَجْمَرُ المدني الفقيه ، مولى آل عمر بن الخطاب ، كان يُطِيبُ مَسْجِدَ النَّبِيِّ ﷺ ، جالساً أبا هريرة مدة ، وسمع من ابن عمر ، وجابر ، وجماعة ، وكان من بقايا العلماء . عاش إلى قريب من سنة عشرين ومائة . ينظر : " سير أعلام النبلاء " (٢٢٧/٥) .

(٣) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الطهارة ، باب استحباب إطالة الغرة والتججيل في الوضوء . (١٨٢/١) ح (٢٤٦) .

محمد ﷺ .. ، أي أنهم إذا دُعوا على رؤوس الأشهاد نودوا بهذا الوصف وكانوا على هذه الصفة» (١) .

ويُبرزُ الإمام العيني - رحمه الله - فضل الوضوء في الحديث فيقول : « فيه تشبيه بليغ ، حيث شبه النور الذي يكون على موضع الوضوء يوم القيامة بغرة الفرس وتحجيله » (٢) .

وينقل الإمام النووي عن بعض العلماء قوله : « سُمِّي النور الذي يكون على مواضع الوضوء يوم القيامة غُرَّةً وتحجيلاً تشبيها بغرة الفرس . والله أعلم » (٣) . وفي حديث عمرو بن عبسة يقرر الرسول ﷺ أن الوضوء يُكفِّرُ الذنوب ويحطُ الخطايا ، ومعلوم أن تكفير الذنوب أمرٌ معنويٌّ مجردٌ ، لكن الرسول ﷺ جعله أمراً حسيّاً ، فكان تلك الخطايا أجراماً حسية ، وكائنات تخرج من أماكن معينة في جسم الإنسان ، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « إذا توضأ العبد المسلم - أو المؤمن - فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها مع الماء - أو مع آخر قطر الماء - فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يده مع الماء - أو مع آخر قطر الماء - فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء - أو مع آخر قطر الماء - حتى يخرج نقياً من الذنوب » (٤) .

وعن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطايا من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره » (٥) .

ويعلق الدكتور محمد لطفي الصباغ - حفظه الله - على هذا الحديث فيقول : « إن الخطايا تبدو كأنها كائنات كانت تثقل كاهل صاحبها وتُهبط به وتَقْعُدُهُ عن متابعة الطريق الأقوم ... فعندما يتوضأ ويحسن الوضوء تخرج من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره .. » (٦) .

(١) - "فتح الباري" ، "شرح صحيح البخاري" (٢٨٤/١) .

(٢) - "عمدة القارئ شرح صحيح البخاري" (٢٢٧/٢) .

(٣) - "شرح النووي على صحيح مسلم" ، (١٣٥/٣) .

(٤) - أخرجه الإمام مسلم في "صحيحه" كتاب الطهارة ، باب خروج الخطايا مع ماء الوضوء ، (١٨٢/١) ، ح (٢٤٤) .

(٥) - أخرجه الإمام مسلم في "صحيحه" كتاب الطهارة ، باب خروج الخطايا مع ماء الوضوء ، (١٨٢/١) ، ح (٢٤٥) .

(٦) - "التصوير الفني في الحديث النبوي" (ص/٢٩٢) .

ويقول في موضع آخر : « إِنَّا نَحْسَبُ أَنَّ هَذِهِ الْخَطَايَا قَانُورَاتٌ تَسْقُطُ مَعَ خُرُوجِ الْأَقْدَارِ مِنَ الْفَمِّ وَالْخِيَاشِيمِ ، وَهَذَا مِنَ التَّنَاسُقِ فِي الصُّورَةِ الَّتِي لَا يَكَادُ يَتَخَلَفُ فِي صُورَةٍ مِنْ صُورِ الْحَدِيثِ » (١) .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الوضوء إذا لم يكن تاماً وصحيحاً فإن الله لا يُعْطِي عليه الفضل الوارد في الأحاديث السابقة وغيرها ، ولو أطال المسلم غرته ، بل قد يحاسب على تقصيره ، وتفريطه ، لأن الله لا يقبل صلاة العبد المسلم إلا بالوضوء ، لقوله ﷺ : « لَا تَقْبَلُ صَلَاةَ بَغِيرِ طَهْوَرٍ » (٢) .

إذا فالوضوء الذي يكفر الله به الذنوب ، ويمحو به الخطايا ، هو ما كان موافقاً لهدي النبي الكريم ﷺ ، وإسباغه على المكاره ، كالبرد الشديد أو الحر الشديد أعظم أجراً ، فعن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « إِسْبَاغُ الْوَضُوءِ فِي الْمَكَارِهِ ، وَإِعْمَالُ الْأَقْدَامِ إِلَى الْمَسَاجِدِ ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ ، يَغْسِلُ الْخَطَايَا غَسْلًا » (٣) .

(١) - " المرجع السابق " (ص/٢٩٣) .

(٢) - " سبق تخريجه " (ص/١٥٤) .

(٣) - أخرجه الإمام الحاكم في " المستدرک " (٢٢٣/١) ح (٤٥٦) ، وقاله عنه : " هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه " ، وصححه الشيخ الألباني في كتابه " صحيح الترغيب والترهيب " (ص/٨٣) ، ح (١٨٦) .

## المسلك الثاني

### بيان بعض أحكام الصلاة بالمنهج الحسي

#### تمهيد

الصلاة في اللغة : الدعاء والتبريك والتمجيد <sup>(١)</sup> ، والرحمة والاستغفار ، وحسن الثناء من الله عز وجل على رسوله ﷺ <sup>(٢)</sup> .

وفي الشرع : أقوال وأفعال مخصوصة مفتحة بالتكبير مختمة بالتسليم <sup>(٣)</sup> .  
وسميت الصلاة بهذا الاسم لما فيها من تعظيم الرب تعالى وتقديسه <sup>(٤)</sup> .

ومعلوم أن الصلاة هي أهم عبادة بعد الشهادتين ، وأول ما أوجبه الله من العبادات ، وقد خاطب الله رسوله محمداً ﷺ بها مباشرة وبدون واسطة ، لأهميتها وعظيم قدرها عند الله عز وجل ، ولذلك من تركها عمداً فهو كافر مرتد خارج من دائرة الإسلام ، كما تدل على ذلك النصوص الصحيحة ، ومن ذلك : ما رواه الإمام مسلم عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة » <sup>(٥)</sup> .

وعن بريدة <sup>(١)</sup> - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة ، فمن تركها فقد كفر » <sup>(٧)</sup> .

(١) - ينظر : " المفردات في غريب القرآن " للراغب الأصفهاني (ص/٢٨٥) ، مادة : (صلا) .  
(٢) - ينظر : " القاموس المحيط " (ص/١٦٨١) مادة : (صلي) .  
(٣) - ينظر : " التعريفات " للجرجاني (ص/١٧٥ - ١٧٦) ، " توضيح الأحكام من بلوغ المرام " للبسام (٤١٧/١) .

(٤) - ينظر : " لسان العرب " (٤٦٦/١٤) ، " النهاية في غريب الحديث " (٥٠/٣) مادة : (صلا) .  
(٥) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الإيمان ، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة ، (٨٥/١) ح (٨٢) .

(٦) - هو : بريدة بن الحُصَيْب بن عبد الله بن الحارث الأسلمي ، من أكابر الصحابة ، أسلم قبل بدر ولم يشهدا ، وشهد خيبر وفتح مكة ، واستعمله النبي ﷺ على صدقات قومه ، وسكن المدينة ، وانتقل إلى البصرة ثم إلى مرو فمات بها ، روى عن رسول الله ﷺ ١٦٧ حديثاً . ينظر : " أسد الغابة " (١٧٥/١) ، " الإصابة " (٤١٨/١) ، " الأعلام " (٥٠/٢) .

(٧) - أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في " مسنده " ، (٤٣٢/٥) ح (٢٢٩٣١) ، والإمام النسائي في " سننه " كتاب الصلاة ، باب الحكم في تارك الصلاة (٢٥٠/١) ، ح (٤٦٢) ، والإمام الحاكم في " المستدرک " كتاب الإيمان (٤٨/١) ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد لا تُعْرَفُ له علة بوجه من الوجوه ، فقد احتجاً جميعاً بعبد الله بن بريده ، عن أبيه ، واحتج مسلم بالحسين بن واقد ولم يخرجاه بهذا اللفظ ، ولهذا الحديث شاهد صحيح على شرطهما جميعاً ، وصححه الألباني في " صحيح الترغيب والترهيب " (٢٢٦/١) .

وعن عبدالله بن شقيق العقيلي (١) - رضي الله عنه - قال : « كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفرٌ غير الصلاة » (٢) .

والصلاة سبب في سعادة المسلم وفلاحه في الدنيا والآخرة ، يقول الله تعالى : ﴿ قد أفلح المؤمنون \* الذين هم في صلاتهم خاشعون ﴾ (٣) . والصلاة الكاملة المبنية على الخشوع والخضوع تُنير القلب وتهذب النفس وتتهيأ صاحبها عن كل منكر ورديلة ، يقول الله تعالى : ﴿ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون ﴾ (٤) ، وهي عون للمسلم على أمور دينه ودنياه ، يقول الله تعالى : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين \* الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون ﴾ (٥) .

وهي راحة وطمأنينة لأهل الإيمان ، لأنها من أولها إلى آخرها ذكرٌ ودعاءٌ وتذلُّلٌ وخضوعٌ بين يدي الله ، يقول سبحانه : ﴿ قل إن الله يُضِلُّ من يشاء ويهدي إليه من أناب \* الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ (٦) .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول لبلال (٧) : « يا بلال ! أقم الصلاة ، أرحنا بها » (٨) .

ويقول عليه الصلاة والسلام : « وجعلت قرّة عيني في الصلاة » (٩) .

وعن علي - رضي الله عنه - قال : كان آخر كلام النبي صلى الله عليه وسلم : « الصلاة الصلاة ، اتقوا

(١) - هو : عبدالله بن شقيق ، أبو عبدالرحمن أو أبو محمد العقيلي البصري ، تابعي ثقة من أهل البصرة ، روى عن عمر بن الخطاب ، وكان مُجاب الدعوة ، توفي في ولاية الحجاج على العراق ، وقيل : في سنة ١٠٨ هـ . ينظر : " تهذيب التهذيب " (١٥٧/٣) .

(٢) - أخرجه الإمام الحاكم في " المستدرک " كتاب الإيمان ، (٤٨/١) ح (١١) ، وصححه الشيخ الألباني في " صحيح الترغيب والترهيب " ، كتاب الصلاة ، باب الترهيب من ترك الصلاة تعمداً ، (٢٢٧/١) ح (٥٦٤) .

(٣) - سورة المؤمنون ، الآية : (١ - ٢) .

(٤) - سورة العنكبوت ، جزء من الآية : (٤٥) .

(٥) - سورة البقرة ، الآيتان : (٤٥ - ٤٦) .

(٦) - سورة الرعد ، الآيتان : (٢٧ - ٢٨) .

(٧) - هو : بلال بن رباح التميمي الحبشي ، أبو عبدالله أو أبو عبدالرحمن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخازنه على

بيت ماله ، أحد السابقين في الإسلام وغُذِب في الله ، وشهد بدرًا والمشاهد كلها خرج مع البعوث للدعوة والتعليم بالشام وسكن هناك حتى مات بدمشق في عهد عمر ، روى له البخاري ومسلم ٤٤ حديثاً ،

ينظر : " الإصابة " (٤٥٥/١ - ٤٥٦) ، " تهذيب التهذيب " (٣٧٤/١) .

(٨) - أخرجه الإمام أحمد في " المسند " (٤٥٢/٥) ح (٢٣٠٨١) . وصححه الألباني في " صحيح الجامع الصغير " رقم : (٧٨٩٢) .

(٩) - أخرجه الإمام النسائي في " سننه " كتاب عشرة النساء ، باب حُباب النساء ، (٧٤/٧) ح (٣٩٥٠) ،

ولفظه : " حُبِّبَ إليَّ النساء والطيب ، وجعلت قرّة عيني في الصلاة " ، والإمام أحمد في مسنده " (٢٥١/٣) ح (١٣٠٤١) ، وصححه الشيخ الألباني في " صحيح الجامع الصغير " ، (٥٩٤/١) ح (٣٠٩٨) .

الله فيما ملكت أيمانكم» (١) .

ولذا فقد استعمل الرسول ﷺ المنهج الحسي لبيان فضلها ، والنهي عن بعض المخالفات فيها ، والتحذير من تركها والتهاون بها ، والأحاديث الواردة في ذلك كثيرة وحافلة بالصور البلاغية الرائعة من التشبيه والتمثيل وغيرها ، وسأختار طائفة منها لبيان المنهج الحسي من خلالها :

### أولاً: الصلوات الخمس تكفر الذنوب وتزيل الخطايا

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « رأيت لو أن نهرأ بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمساً ، ما تقول ذلك يُبقي من درنه (٢) ؟ » قالوا : لا يُبقي من درنه شيئاً . قال : « فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله به الخطايا » (٣) . وفي رواية الإمام مسلم : « فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا » (٤) .

وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار غمر (٥) على باب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات » (٦) .

إن المحافظة على الصلوات الخمس المفروضة في أوقاتها مع جماعة المسلمين ، من أفضل الأعمال الصالحة وأزكاها ، والرسول ﷺ أراد أن يقرّر لأمتيه فضل الصلاة ، ويؤكد أجرها العظيم وقوة تأثيرها الحسي والمعنوي في تكفير الخطايا

(١) - أخرجه الإمام أبو داود في " سننه " كتاب الأدب ، باب في حق المملوك ، (٣٥٩/٥) ح (٥١٥٦) ،

والإمام ابن ماجه ، " سننه " كتاب الوصايا ، باب هل أوصى رسول ﷺ (٣١٠/٣) ح (٢٦٩٨) .

(٢) - " الدرر " : الوسخ . " النهاية في غريب الحديث " (١١٥/٢) مادة : (درن) .

(٣) - أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب مواقيت الصلاة ، باب : الصلوات الخمس كفارة ، (١٧٩/١) ، ح (٥٢٨) .

(٤) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب المشي إلى الصلاة تمحي به الخطايا وترفع به الدرجات (٣٨٧/١) ، ح (٦٦٧) .

(٥) - " غمر " الغمر : الماء الكثير . أي يغمر من دخله ويغطيه . ينظر " النهاية " (٣٨٣/٣) ، مادة : غمر .

(٦) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب المشي إلى الصلاة تمحي به الخطايا وترفع به الدرجات ، (٣٨٧/١) ، ح (٦٦٨) .

والذنوب ، فقال لأصحابه : « أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات ... الحديث » (١) .

فمثلَ ﷺ الصلوات الخمس وأثرها في تطهير المرء المسلم من الآثام ، بذلك النهْر العذب الفرات الذي يجري ببابه ، يغتسل منه كل يوم خمس مرات ، ولا شك أن هذا الاغتسال المتكرر يزيل جميع الأوساخ والأدران وحتى لا يُبقي لها أثر ، وقد بين العلماء أن المراد بالخطايا في الحديث الصغائر ، يقول الحافظ ابن حجر نقلاً عن ابن بطلال (٢) : « يؤخذ من الحديث أن المراد الصغائر خاصة لأنه شبه الخطايا بالدرن ، والدرن صغيرٌ بالنسبة إلى ما هو أكبر من القُرُوح والخُرَاجات » (٣) .

« ومن التناسق الفني الجميل في الحديث أن يجعل المعصية وسخاً ودرناً تتقزز النفس السَّوية منه وتتفر ، والصلوات الخمس كنهر جار يغتسل فيه المرء خمس مرات كل يوم فماذا يبقى عليه من درنه وذنسه ؟ إنَّه لا يبقى شيء . فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهنَّ الخطايا » (٤) .

ونقل الحافظ ابن حجر عن ابن العربي (٥) قوله : « وجه التمثيل أن المرء كما يتدنس بالأقذار المحسوسة في بدنه وثيابه ويطهره الماء الكثير ، فكذلك الصلوات تطهر العبد عن أقذار الذنوب حتى لا تبقى له ذنباً إلا أسقطته » (٦) .

وقد استشفَّ بعض المحللين معاني جميلة في الحديث فقال : « وحسبك ما توحى به كلمة ( نهر ) النكرة من رِقَّةٍ وصفاءٍ وعذوبة ، وعظمة ، وما توحى به ( الباء ) ، بين النهْر والباب من الالتصاق حتى كأنَّ الدَّار تجري من تحتها الأنهار وما يُخيل إلينا الفعل المضارع ( يغتسل ) من استحضار الصُّورة من التجدد والحدوث طرفي النهار وزلفاً من الليل ، يدل عليهما العدد المحصور في اليوم ، ثم

- (١) - " المصدر السابق " (٣٨٧/١) ، ح (٦٦٧) .
- (٢) - هو : العلامة أبو الحسن ، علي بن خلف بن بطلال البكري ، عالم بالحديث من أهل قرطبة ، ويُعرف بابن اللجَّام ، وكان من كبار المالكية ، له شرح صحيح البخاري ، توفي عام ٤٤٩ هـ . ينظر : " سير أعلام النبلاء " (٤٧/١٨) ، " الأعلام " (٣٨٥/٤) .
- (٣) - " فتح الباري بشرح صحيح البخاري " ، (١٦/٢) .
- (٤) - " التصوير الفني في الحديث النبوي " للصبَّاح ، (ص/٣٠٠) .
- (٥) - هو : محمد بن عبدالله بن محمد المعافري الإشبيلي المالكي ، أبوبكر بن العربي ، قاض من حفاظ الحديث ، ولد سنة ٤٦٨ هـ ، ورحل إلى المشرق ، وبرع في الأدب ، وبلغ رتبة الاجتهاد ، ولي قضاء إشبيلية ، ومات بقرب فاس عام ٥٤٣ هـ . ينظر : تذكرة الحفاظ (١٢٩٤/٤) والأعلام (٢٣٠/٦) .
- (٦) - " فتح الباري بشرح صحيح البخاري " ، (١٥/٢) .



يَطْرُد هذا مع العمر صعوداً بإضافة لفظ العموم إليه ( كل يوم ) دلالة على اتصال النَّعِيم ودوامه » (١) .

ويقول الدكتور عبدالباري طه : « وينبغي أن تتأمل في هذا النظم العالي من البلاغة النبوية ، وأول ما يطرق آذاننا هذا الاستفهام « أرايتم ... » ودلالته التشويقية المثيرة إلى ما هو آت من بعد لعظيم أثره وجليل قدره » (٢) .

والرسول ﷺ في بيانه لعظم أجر الصلوات الخمس ، وتأثيرها القوي في محو المعاصي والآثام التي يقترفها المرء المسلم ، آثار حاسة الإبصار عند المدعوين بمشهد حسي ذهني ، يعرفونه تمام المعرفة ، وهو ذلك النَّهْر الجاري المتدفق كثرة وعذوبة وصفاء ، وقد قابل ﷺ بين تكرار الصلوات الخمس وأثرها في إزالة الذنوب وتكرار الاغتسال وأثره في ذهاب الأوساخ والأدناس ، وهذا التقابل بين محو الخطايا وإزالة الأدران فيه من التشويق والإثارة ما يجعل المدعو ينظر بخياله إلى ذلك المشهد المألوف بعناية واهتمام ، وكأنَّه ينظر إليه معاينة ، « فتكرار الصلوات الخمس يمحو الخطايا ، كما أن تكرار الاغتسال لا يبقى من الدَّرَن شيئاً ، وهنا ينتقل المؤمن كلما توضأ ليصلي ، أو كلما سمع النداء إلى تصور نهر لا يُجْهَدُه بَعْدهُ ، إذ هو قريب ببابه ، وتصور درن يؤذيه بقاؤه ، إذ هو مشين فوق جسمه ، وتصور اغتسال يورث النَّشْاط ويُرْزِل الدَّرَن ، فيرى نفسه مندفعاً إلى الصلاة سعيداً بها لِيَنْقَى مما يَشِينُهُ ، ويبرأ مما يُثْقَلُهُ » (٣) .

وهناك أحاديث أخرى تتعلق بهذا الموضوع اشتملت على منهج حسي توضح أيضاً فضل الصلوات الخمس وتكفيرها للخطايا والسيئات ، أكتفي بإيرادها هنا كشواهد لحديث جابر وأبي هريرة - ﷺ - فعن أبي عثمان (٤) ، قال كنت مع سلمان - ﷺ - تحت شجرة ، فأخذ غصناً منها يابساً فهزّه ، حتى تحات (٥) ورقه ، ثم قال : يا أبا عثمان ! ألا تسألني لمَ أفعل هذا ؟ قلت : ولم تفعله ؟

(١) - " الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية " ، دكتور / عز الدين علي السيد ، (ص/١٥٦) ، طبعة : دار إقرأ ، بيروت ، ط : ٢ ، ١٤٠٦هـ .

(٢) - " أثر التشبيه في تصوير المعنى - قراءة في صحيح مسلم " (ص/٩٩) .

(٣) - " الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية " (ص/١٥٦) .

(٤) - أبي عثمان : واسمه شراحيل بن مرثد الصنعاني الشامي ، أدرك أبا بكر وشهد الإمامة وفتح دمشق ، روى عن سلمان وأبي الدرداء وأبي هريرة ومعاوية ، وهو من الثقات صاحب الفتوح ، ويروي المراسيل . ينظر : " تهذيب التهذيب " ، (٤٨٣/٢) .

(٥) - " تحات " : أي تساقط ورقه . ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (٣٣٧/١) ، مادة : حتّ .

قال : هكذا فعل بي رسول الله ﷺ ، وأنا معه تحت الشَّجْرَة ، فأخذ منها غصناً يابساً فهزّه ، حتى تحات ورقه فقال : « يا سلمان ألا تسألني لم أفعل هذا ؟ » قلت : ولم تفعله ؟ قال : « إنَّ المسلم إذا توضأ فأحسن ، ثم صلى الصلوات الخمس تحاتت خطاياهم كما تحات هذا الورق <sup>(١)</sup> ، وقال : ﴿ وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين ﴾ <sup>(٢)</sup> » <sup>(٣)</sup> .

وعن أبي سعيد الخدري - رضى الله عنه - أنه سمع النبي ﷺ يقول : « الصلوات الخمس كفارة لما بينها » . ثم قال رسول : « رأيت لو أنَّ رجلاً كان يعمل وكان بين منزله وبين معتمله <sup>(٤)</sup> خمسة أنهار ، فإذا أتى معتمله عمل فيه ما شاء الله ، فأصابه الوسخ أو العرق ، فكلماً مرَّ بنهر اغتسل ، ما كان ذلك يبقى من درنسه ؟ فكذلك الصلاة ، كلما عمل خطيئة فدعا واستغفر ، غفر له ما كان قبلها » <sup>(٥)</sup> .

وعن عبدالله بن مسعود - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « تحترقون <sup>(٦)</sup> تحترقون ، فإذا صليتم الصبح غسلتها <sup>(٧)</sup> ، ثم تحترقون تحترقون ، فإذا صليتم الظهر غسلتها ، ثم تحترقون تحترقون ، فإذا صليتم العصر غسلتها ، ثم تحترقون تحترقون ، فإذا صليتم المغرب غسلتها ، ثم تحترقون تحترقون ، فإذا صليتم العشاء غسلتها ، ثم تنامون فلا يكتب عليكم حتى تستيقظوا <sup>(٨)</sup> » <sup>(٩)</sup> .

(١) - أي أن المسلم إذا توضأ وضوءاً صحيحاً ، ثم حافظ على الصلوات الخمس المفروضة ، وذلك بأن يؤديها أداءً صحيحاً في بيوت الله بخشوع وخضوع ، كانت سبباً في تكفير الذنوب وزوالها عن صاحبها كما تتساقط أوراق الشجر في الخريف .

(٢) - سورة هود ، الآية : (١١٤) .

(٣) - أخرجه الإمام أحمد في " مسنده " (٥٤٤/٥) ، ح (٢٣٧٠٢) ، وحسنه الشيخ الألباني في " صحيح الترغيب والترهيب " (١٤٤/١) ح (٣٥٩) .

(٤) - مثلاً ضربه الرسول ﷺ ليبين به فضل المحافظة على الصلوات الخمس ، وكيفية تكفيرها للذنوب .

(٥) - أخرجه الإمام المنذري في " الترغيب والترهيب من الحديث الشريف " كتاب الصلاة ، الترغيب في الصلوات الخمس والمحافظة عليها (٢٣٤/١) ح (٥) ، وعزاه إلى البزار ، والطبراني في " الأوسط " ، و " الكبير " بإسناد لا بأس به ، وحسن إسناده الشيخ الألباني في " صحيح الترغيب والترهيب " (ص/١٤١) ح (١٤١) .

(٦) - عبَّر الرسول ﷺ عن اقتراف المعاصي وأثرها السيء على المسلم بالاحتراق ، أي كأنها نارٌ تحرق من وقع فيها ، والمعنى : تقعون في الهلاك بسبب الذنوب الكثيرة .

(٧) - وعبَّر ﷺ كذلك عن أثر الصلوات الخمس في تكفير الخطايا بالغتسل ، دلالة النظافة والإنقاء .

(٨) - أي أن الإنسان إذا نام فلا يكتب عليه خطيئة .

(٩) - ذكره الإمام المنذري في " الترغيب والترهيب " كتاب الصلاة ، الترغيب في الصلوات الخمس والمحافظة عليها والإيمان بوجوبها (٢٣٤/١) ح (٧) ، وعزاه إلى الطبراني في " الصغير " ، " الأوسط " وقال : " إسناده حسن ، ورواته مجتمع بهم في الصحيح " ، وتابعه الشيخ الألباني فحسن إسناده أيضاً في " صحيح الترغيب والترهيب " (ص/١٤١ - ١٤٢) ح (٣٥٤) .

وعن عبدالله بن عمر - رضي الله عنه - قال سمعت رسول الله يقول : « إنَّ العبد إذا قام يُصَلِّي أتى بذنوبه فجُعِلت على رأسه وعاتقه ، فكُلما ركع أو سجد تساقطت عنه (١) » (٢) .

### ثانياً : خطورة التهاون بصلاة الجماعة

صلاة الجماعة من أفضل القربات التي تزداد بها الحسنات ، فتفضل صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة ، لحديث عبدالله بن عمر - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة » (٣) .

وهي واجبة على كل مسلم بالغ عاقل ، لا يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق يقول عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - : « لقد رأيتنا وما يتخلف عن الصلاة إلا منافق معلوم النفاق ، ولقد كان الرجل يُؤتى به يُهادى بين الرجلين (٤) حتى يُقام في الصف » (٥) .

والأحاديث الواردة في التحذير من تركها كثيرة بعضها اشتمل على منهج حسي ومن ذلك : ما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - : أن رسول الله ﷺ قال : « والذي نفسي بيده ، لقد هممت أن أمر بحطب فيحطب ، ثم أمر بالصلاة فيؤذن لها ثم أمر رجلاً فيؤم الناس ، ثم أخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم ، والذي نفسي بيده ،

- (١) - الحديث يقرر تكفير الذنوب والخطايا بصورة غاية في الجمال والتجسيم ، فالذنوب أفعال وأوزار معنوية لكنّها هاهنا في الحديث تبدو أمام أعين خيال المدعوين أفعالاً حسية ملموسة ، فالخطايا مرفوعة على رأسه وعاتقه ، وكلما ركع أو سجد ، تساقطت من حوله . ينظر : " التصوير الفني من الحديث النبوي " محمد الصباغ (ص/٣٠١) بتصرف .
- (٢) - أخرجه ابن حبان في " صحيحه " كتاب الصلاة ، باب فضل الصلوات الخمس (٢٦/٥) ح (١٧٣٤) وصححه الألباني في " صحيح الجامع الصغير " ، (٣٤٣/١) ح (١٦٧١) .
- (٣) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الأذان ، باب : فضل صلاة الجماعة ، (٢٠٦/١) ، ح (٦٤٥) ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب فضل صلاة الجماعة وبيان التشديد في التخلف عنها ، (٣٧٧/١) ، ح (٦٥٠) .
- (٤) - " يهادى بين الرجلين " : أي يمشي بينهما متكئاً عليهما ، والتهدي : المشي الثقيل مع التمايل يميناً وشمالاً ، " مشارق الأنوار على صحاح الآثار " للقاظمي عياض (٣٣٤/١) ، مادة : (هدي) .
- (٥) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب صلاة الجماعة من سنن الهدي ، (٣٧٩/١) ، ح (٦٥٤) .

لو يعلم أحدهم : أنه يجد عرقاً سميناً <sup>(١)</sup> أو مرماتين <sup>(٢)</sup> حسنتين لشهد العشاء <sup>(٣)</sup> .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر ، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوأ <sup>(٤)</sup> ، ولقد هممت أن أمر بالصلاة فتقام ، ثم أمر رجلاً فيصلي بالناس ، ثم أنطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار <sup>(٥)</sup> .

وعن أبي الدرداء <sup>(٦)</sup> - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من ثلاثة في قرية ولا بدو ، لا تقام فيهم الصلاة <sup>(٧)</sup> ، إلا قد استحوذ عليهم الشيطان <sup>(٨)</sup> ، فليكن بالجماعة ؛ فإنما يأكل الذئب

(١) - " عرقاً سميناً " : "العرق بالسكون : العظم إذا أخذ عنه معظم اللحم ، وجمعه : عرقاق ، وهو جمع نادر يقال : عرقت العظم ، واعترقته ، وتعرقته إذا أخذت عنه اللحم بأسنانك " ، " النهاية " (١٢٠/١) . ونقل العيني عن الأزهرى في التهذيب قوله : " هي العظام التي يؤخذ منها هبر اللحم ويبقى عليها لحوم رقيقة طيبة فتكسر وتطبخ .. ، ويؤكل ما على العظام من لحم رقيق وتشمس العظام ، ولحمها من أطيب اللحم عندهم " ، " عمدة القارئ " (٣٣١/٤) .

(٢) - " مرماتين " : المرماة : هي ظلف الشاة ، وقيل : ما بين ظلفي الشاة من اللحم ، وقيل المرماة : السهم الصغير الذي يتعلم به الرمي ، وهو أحقر السهام وأدناها : أي لو دعي إلى أن يعطى سهمين من هذه السهام لأسرع الإجابة ، وقال : أبو عبيدة : هذا حرف لا أدري ما وجهه إلا أنه هكذا يُفسر بما بين ظلفي الشاة ، يُريد به حقارته . ينظر : " النهاية " (٢٦٩/١ - ٢٧٠) مادة : (رمى) ، " فتح الباري " (١٥٢/٢) ، " عمدة القارئ " (٣٣١/٤) .

(٣) - منقول عليه : أخرجه الإمام البخاري في : " صحيحه " كتاب الأذان ، باب وجوب صلاة الجماعة (٢٠٦/١) ، ح (٦٤٤) . والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب فضل صلاة الجماعة وبيان التشديد في التخلف عنها ، (٣٧٧/١) ح (٦٥١) واللفظ له .

(٤) - " ولو حبوأ " الحبوأ : هو أن يمشي على يديه وركبتيه ، أو يزحف زحفاً على استه . ينظر : " مشارق الأنوار على صحاح الآثار " (٢٢٣/١) ، مادة : (حبو) ، " النهاية في غريب الحديث " (٣٣٦/١) مادة : (حبأ) .

(٥) - أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الأذان ، باب فضل صلاة العشاء في جماعة (٢٠٨/١) ، ح (٦٥٧) ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب فضل صلاة الجماعة وبيان التشديد في التخلف عنها ، (٣٧٨/١) ، ح (٦٥١) .

(٦) - هو : عويمر ، وقيل : عامر بن مالك بن زيد بن قيس الأنصاري الخزرجي ، أبو الدرداء ، كان أخيراً أهل داره إسلاماً ، فحسن إسلامه ، وكان من أفاضل الصحابة وفقهائهم وحكمائهم ، أخى الرسول ﷺ بينه وبين سلمان الفارسي ، شهد أحداً وما بعده من المشاهد مع رسول الله ﷺ ، ولي القضاء بدمشق ، ثم انقطع للعبادة ، توفي بالشام في عهد عثمان بن عفان ، وله ١٧٩ حديث . ينظر : " أسد الغابة " (١٥٩/٤) ، " الإصابة " (٦٢١/٤) ، " سير أعلام النبلاء " (٢٣٥/٢) ، " الأعلام " (٩٨/٥) .

(٧) - " لا تقام فيهم الصلاة " أي صلاة الجماعة .

(٨) - " استحوذ عليهم الشيطان " أي استولى عليهم وحواهم إليه . " النهاية في غريب الحديث " (٤٥٧/١) مادة : (حوذ) .

القاصية (١) (( (٢) .

تهديد نبوي مخيف ترتجف له القلوب ، وتتشعر منه الجلود ، لما يوحى من التهديد والوعيد والتحقير للمتخلفين عن أداء صلاة الجماعة في بيوت الله ، تهاوناً وكسلاً وإعراضاً ، بدأه ﷺ بالقسم لخطورة الفعل وشناعته ، فقال : « والذي نفسي بيده ... » ومعلوم أن القسم من المؤكدات القوية في اللغة العربية ، « وكان عليه الصلاة والسلام يؤكد به ما يستحق المقام تأكيده من المعاني ، وكانت ألفاظه في البيان الكريم متفاوتة القوة مع تفاوت المثيرات والدوافع ، فيقول مرة : « والله » وثانية : « وأيم الله » وأخرى : « والذي نفسي بيده » ... الخ » (٣) .

يقول العيني - رحمه الله - « فائدة القسم تأكيد الكلام به ، ويستفاد منه جواز القسم على الأمر المهم توكيداً وإن لم يكن هناك ما يستدعي الحلف » (٤) .

وقد أقسم ﷺ في الحديث الأول مرتين ، الأولى : أكد فيها عزمه على إحراق بيوت المنافقين الذين يتخلفون عن صلاة الجماعة ، وأدوار ذلك الإحراق مخيفة أيضاً ، فأمره ﷺ بجمع الحطب ، يثير الخوف والرعب لأنه مادة الإحراق ، وأمره من ينوب عنه في إمامة الناس ، معنى ذلك أنه سيتخلف عن الصلاة ، ويتولى تنفيذ العقوبة بنفسه ﷺ ، وهذا مما يزيد الوعيد قوة ، ويزداد به المتخلفون خوفاً إلى خوفهم ، « وكلمة « فأحرق » مخيفة أيضاً ، « فهي تدل على التكثير ، يقال : حرقه بالتشديد : إذا بالغ في تحريقه » (٥) .

ويقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : « ومن فوائد الحديث تقديم الوعيد والتهديد على العقوبة ، وسرته أن المفسدة إذا ارتفعت بالأهون من الزجر اكتفى به عن الأعلى من العقوبة » (٦) .

(١) - " القاصية " : أي المنفردة عن القطيع البعيدة منه ، يريد أن الشيطان يتسلط على الخارج عن الجماعة وأهل السنة ، ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (٧٥/٤) مادة : (قصا) ، " حاشية السيوطي على سنن النسائي " (٤٤٢/٢) .

(٢) - أخرجه الإمام أبو داود في " سننه " كتاب الصلاة ، باب في التشديد في ترك الجماعة (٣٧١/١) ح (٥٤٧) ، والإمام النسائي في " سننه " كتاب الإمامة ، باب التشديد في ترك الجماعة (٤٤١/١) - (٤٤٢) ح (٨٤٦) ، وحسنه الشيخ الألباني في " صحيح سنن أبي داود " (١٦٢/١ - ١٦٣) ح (٥٤٧) ، وفي " صحيح سنن النسائي " (٢٨١/١) ح (٨٤٦) ، وفي " صحيح الترغيب والترهيب " (ص ١٧٢) ح (٤٢٥) .

(٣) - " الحديث النبوي من الوجهة البلاغية " للدكتور : عز الدين علي السيد ، (ص/١٠٤) .

(٤) - " عمدة القارئ شرح صحيح البخاري " ، (١٦٣/١) .

(٥) - " عمدة القارئ شرح صحيح البخاري " للعيني ، (٣٣١/٤) .

(٦) - " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، (١٥٣/٢) .

« إن حكاية عزمه ﷺ صورة واقعية لعقوبة شديدة كان قد همَّ بإيقاعها عليهم ... صورة متعاقبة الحلقات تنتهي بحرق بيوتهم وهم فيها .. وإنه لأمر رهيب » (١) .  
القسم الثاني : جيء به لتأكيد الأول ، يقول العيني : « أعاد يمينه لأجل المبالغة في التهديد » (٢) .

والرَّسول ﷺ بعد هذا القسم بين أهدافهم الدنيئة ، وآمالهم وتطلعاتهم المحدودة وحرصهم الشَّدِيد على أي شيء يسير تافه من حطام الدنيا ، بقوله : « لو يعلم أحدكم أنه يجد عرقاً سميناً أو مرماتين حسنتين لشهد العشاء » (٣) .

ويعلق الحافظ ابن حجر - رحمه الله - على الحديث فيقول : « وفيه الإشارة إلى ذمَّ المتخلفين عن الصلاة بوصفهم بالحرص الشديد على الشيء الحقير من مطعوم أو ملعوب به ، مع التفريط فيما يحصل من رفيع الدرجات ومنازل الكرامة » (٤) .

ويقول الحافظ السيوطي (٥) - رحمه الله - : « إن أحد هؤلاء المتخلفين عن الجماعة لو علم أنَّه يدرك الشيء الحقير والنَّزْر اليسير من متاع الدنيا أو ليهوها لبادر إلى حضور الجماعة إيثاراً لذلك على ما أعدّه الله تعالى له من الثواب على شهود الجماعة وهو صفة لا يليق بغير المنافقين » (٦) .

« إنهم قوم انتهازيون منافقون لا يعلمون ما أعدّه الله من الثواب العظيم لمن يشهد الجماعة لأنهم لو كانوا يعلمون هذا ويصدقون به لسارعوا إلى المسجد ، والدليل على ذلك أنه لو علم أحدكم أنه سيجد عظماً سميناً في صلاة العشاء لحضرها مع أنها أثقل صلاة على المنافقين . وليس من شك في أن هذه الموازنة بين عزوفهم عن الصلاة وبين الإقبال على المسجد عند وجود عظم فيه ، تكشف لنا طبيعة هؤلاء القوم الزاهدين في الخير والثواب الحريصين على حطام الدنيا مهما كان تافهاً » (٧) .

(١) - التصوير الفني في الحديث النبوي " مرجع سابق ، (ص/٣٠٧) .

(٢) - عمدة القارئ شرح صحيح البخاري " ، (٣٣١/٤) .

(٣) - سبق تخريجه " (ص/١٦٨) .

(٤) - " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، (١٥٣/٢) .

(٥) - هو عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين السيوطي ، جلال الدين ، إمام حافظ مؤرخ أديب ، نشأ في القاهرة يتيماً ، ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس ، وألف الكتب ، له نحو : ستمائة مصنف منها الكتاب الكبير ، والرسالة الصغيرة ، ومن كتبه " الإقتان في علوم القرآن " ، " إسعاف المبتطأ في رجال الموطأ " ، " الأشباه والنظائر في فروع الشافعية " توفي سنة ٩١١ هـ . ينظر : " شذرات الذهب " (٥٢/٨) ، " الأعلام " (٣٠١/٣) .

(٦) - " حاشية السيوطي على سنن النسائي " تحقيق مكتب تحقيق التراث الإسلامي ، (٤٤٢/٢ - ٤٤٣) ، ط : ٣ ، ١٤١٤ هـ .

(٧) - " التصوير الفني في الحديث النبوي " مرجع سابق ، (ص/٣٠٧ - ٣٠٨) .

وفي التعبير النبوي بالعرق ، والمرماة ، دلالة على حرص أولئك المنافقين على التافه اليسير من الدنيا ، ولكن كيف يصف العرق بأنه سمينا ، والمرماة بأنها حسنة ؟ أجاب على ذلك الحافظ ابن حجر فقال : « وإنما وصف العرق بالسمن والمرماة بالحسن ليكون ثمَّ باعث نفساني على تحصيلها » (١) . وصلاة الجماعة خفيفة على أهل الإيمان ، وثقيلة على أهل النفاق لخبث سرائرهم ونواياهم ، ومخادعتهم للحق وأهله ، يقول الله تعالى عنهم : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَآءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٢) .

يقول الأستاذ سيد قطب - رحمه الله - : « فهم لا يقومون إلى الصلاة بحرارة الشوق إلى لقاء الله ، والوقوف بين يديه ، والاتصال به ، والاستمداد منه .. إنما هم يقومون يراءون الناس . ومن ثمَّ يقومون كسالى ، كالذي يؤدي عملا ثقيلًا » (٣) . ويقول في موضع آخر : « وما كان الله ليقبل هذه الحركات الظاهرة التي لا تحدوا إليها عقيدة ولا يصاحبها شعور دافع . فالباعث هو عمدة العمل والنية هي مقياسه الصحيح » (٤) .

ولذلك يقول ﷺ في الحديث الثاني : « إنَّ أثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر ، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوًا » (٥) . « أي يزحفون إذا منعهم مانع المشي كما يزحف الصغير » (٦) .

ويقول الإمام الكرمانى - رحمه الله - : « لو يعلمون ما فيهما من الفضل والخير ثم لم يستطيعوا الإتيان إليها إلا حبوًا لحبوا إليهما ولم يفوتوا جماعتهما » (٧) . وفي حديث أبي الدرداء ، ضرب ﷺ مثلًا للمتخلف عن صلاة الجماعة والمتهاون بها ، بالغنم القاصية ، أي الشاة المنفردة عن القطيع البعيدة منه ، والمراد أن الشيطان يتسلط على من يعتاد الصلاة بالانفراد ولا يُصلي مع الجماعة (٨) .

(١) - " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، (١٥٣/٢) .

(٢) - سورة النساء ، الآية : (١٤٢) .

(٣) - " في ظلال القرآن " ، (٧٨٤/٢) .

(٤) - " المرجع السابق " ، (١٦٦٥/٣) .

(٥) - تقدم تخريجه ، (ص/١٦٨) .

(٦) - " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، (١٦٦/٢) .

(٧) - " صحيح البخاري بشرح الكرمانى " ، (٤٤/٥) .

(٨) - يُنظر : " حاشية الإمام السندي على سنن النسائي " (٤٤٢/٢) ، تحقيق مكتب التراث الإسلامي ، ط : ٣ ، ١٤١٤ هـ .

والحديث فيه تهديد شديد لأولئك الذين يتهاونون في إقامة صلاة الجماعة ، وكان ذلك التهديد معروفاً في مشهد حسي للمدعوين وكأنهم يرونه بأعينهم ، شاة انفردت عن جماعة الغنم فمكنت بذلك الذئب من نفسها ، فكذلك المنفرد الشاذ عن صلاة الجماعة ، أو عن جماعة المسلمين على خطر عظيم ، « والربط بين صلاة الجماعة والتزام الجماعة يشير إلى أن الحرص على صلاة الجماعة مما يحفظ وحدة الأمة ، ويضمن سلامتها من كيد الأعداء » (١) .

والرسول ﷺ في تحذيره للمتخلفين عن أداء الصلاة في بيوت الله مع جماعة المسلمين في النصوص السابقة أثار حاستي : البصر ، واللمس ( الشعور بالألم ) ، بصورة رائعة جميلة مزجت بين فضل الجماعة وخطورة التهاون في أدائها في بيوت الله ، وجعلت المدعوين أمام مشاهد حسية مؤثرة ، ففي الحديث الأول : ذلك المشهد المخيف ، غضب شديد من الرسول ﷺ يراه الصحابة بأعينهم ، ورجال يجمعون الحطب ، وعزم على إشعال النار في بيوت أولئك المنافقين ، وهذا يصور الألم الذي يعاني منه الإنسان والهول الذي يلاقيه عندما يتعرض هو وأهله ومنزله للتحريق بالنار .

والمشهد الثاني : ذلك المثل الحسي الذي يُصور نفوس المنافقين ، وحرصهم الشديد على كل ما هو تافه وحقير من أمور الدنيا ، بينما لا يهتمون بأمر الآخرة ولا يحرصون على ما فيه كرامتهم عند الله تعالى ، وهو ذلك العظمُ المحاط بنتف قليلة اللحم لا تسمن ولا تغني من جوع ، والمخاطبون من الصحابة يُدركون مراد الرسول ﷺ ، وضرب هذا المثل الحسي الحقير ، وأنه جاء به لبيان تفاهة مقاصد أولئك المنافقين .

المشهد الثالث : بيان صفة ملازمة للمنافقين وهي التثاقل عن الصلاة ، وخاصة العشاء والفجر ، لعدم علمهم بالأجر والثواب المترتب لمن حافظ عليها مع المسلمين والرسول ﷺ حثهم حثاً بليغاً فقال : « ولو يعلمون ما فيهما - أي من الأجر - لأتوهما ولو حبواً » . والمدعوون يتصورون تلك الصورة الحسية المؤلمة وهي زحف الإنسان على يديه ورجليه بين الأتربة والأحجار ، والأشجار والأشواك ،

(١) - " التصوير الفني في الحديث النبوي " مرجع سابق ، (ص/٤٠٣) .



ليؤدي صلاة الجماعة في بيت الله ، ومع ذلك فإن الألم يهون عليه مع ما أعده الله للمؤمنين من الأجر العظيم في الآخرة .

المشهد الرابع : إثارة لحاسة البصر ، لتلك الصورة الحسية المتأثرة بالبيئة العربية التي فيها المراعي والغنم والذئب ، فالمدعو يتصور تلك الشاة المنفردة عن القطيع ، والخطورة التي تحيط بها من السباع الضارية والذئاب الجائعة بسبب تركها للقطيع وتخليها عن المجموع مما يجعلها فريسة سهلة ولقمة سائغة في فم السباع وأنياب الذئاب ، وفي هذا تحذير شديد للمسلم وتخويف وردع له حتى لا يترك الجماعة قيد شبر ولا يتخلف عن إخوانه فيستولي عليه الشيطان ويغرقه في الوسواس .

### ثالثاً : تحذير المصلين من مسابقة الإمام وبسط الذراعين في السجود

من المعلوم أن أول ما يحاسب عليه العبد المسلم يوم القيامة الصلاة ، فإن قُبِلت قُبِلت جميع الأعمال ، وإن فسدت فالأعمال الأخرى تبع لها ، يشهد لذلك قوله ﷺ : « أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة ، فإن صلحت ، صلح سائر عمله ، وإن فسدت فسد سائر عمله » (١) .

ولذلك كان حق على المسلم أن يقيمها بأركانها وواجباتها وسننها ، ويقدر ما يقع فيها من الفساد والنقص والمخالفة ، بقدر ما يقل الأجر والفلاح .

وقد نهى - عليه الصلاة والسلام - عن كثير من المخالفات التي تقع من بعض المصلين ، بأساليب دعوية متنوعة ، ومؤثرة ، قصد من ورائها تنفير المدعو من الوقوع فيها ، ومن ذلك :

أ - شناعة مسابقة الإمام :

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : « أما يخشى أحدكم - أو ألا يخشى أحدكم - إذا رفع رأسه قبل الإمام ، أن يجعل الله رأسه رأس حمار » أو يجعل الله صورته صورة حمار ؟ » (٢) . وفي رواية : « أن يجعل الله وجهه وجه

(١) - أخرجه الإمام الطبراني في " الأوسط " (٥١٢/٢) ح (١٨٨٠) عن أنس بن مالك ، وذكره الإمام السيوطي في " الجامع الصغير " (٨٧/٣) ، وصححه الشيخ الألباني في " صحيح الجامع الصغير " (٥٠٣/١) ح (٢٥٧٣) ، وفي " سلسلة الأحاديث الصحيحة " (٣٤٣/٣) ح (١٣٥٨) ، وفي " صحيح الترغيب والترهيب " (ص/١٥٠) ح (٣٧٢) عن عبدالله بن قرظ .

(٢) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الأذان ، باب إثم من رفع رأسه قبل الإمام (٢١٨/١) ، ح (٦٩١) ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الصلاة ، باب تحريم سبق الإمام بركوع أو سجود ونحوهما (٢٦٩/١) ، ح (٤٢٧) .

حمار ؟ » (١) .

أمر الرسول ﷺ بتحسين الصلاة والخشوع فيها ، وإتمام ركوعها وسجودها ، ومتابعة المأموم لإمامه في جميع حركاته ، وعدم مسابقتها ، يقول ﷺ : « أيها الناس ! إني إمامكم فلا تستبقوني بالركوع ولا بالسجود ، ولا بالقيام ولا بالانصراف ... » (٢) .

ويقول ﷺ : « إنما جعل الإمام ليؤتمَّ به ، فإذا كبر فكبروا ، وإذا سجد فاسجدوا ، وإذا رفع فارفعوا ... » (٣) .

وقد صور ﷺ حال المأموم الذي يسابق إمامه في مشهد حسي شنيع ، فيه تهديد ووعد له ، بأن يجعل الله رأسه رأس حمار ، وتكون صورة وجهه كصورة وجه الحمار ، « فخشية المصلي أن يجعل الله رأسه رأس حمار ، أو صورته تؤكد في نفسه لزوم متابعة إمامه وعدم مسابقتها » (٤) ، واختيار الرسول ﷺ للمشبه به وهو « الحمار » للتفجير من ذلك الفعل المحرم ، كما أشار إلى ذلك بعض العلماء بقوله : « والصورة البيانية بدأت باستفهام « أما يخشى » وهنا تناسق بين الاستفهام وبين التشبيه ، فالرسول ﷺ يستفهم استفهاماً إنكارياً ، إشارة إلى إنكار الفعل ... » (٥) .

وقد اختلف العلماء في مفهوم العقوبة المترتبة على مسابقة الإمام ، هل هي على سبيل الحقيقة الحسية ، أم الحقيقة المعنوية ؟

فقال بعضهم : يحتمل أن يرجع ذلك إلى أمر معنوي ، فإنَّ الحمار موصوف بالبلادة فاستعير هذا المعنى بما يجب عليه من فرض الصلاة ومتابعة الإمام . وقالوا : إنَّ مما يؤيد هذا الرأي ، أن التحويل لم يقع مع كثرة الفاعلين والمخالفين . وقيل : يحتمل أن يراد بالتحويل المسخ أو تحويل الهيئة الحسية أو المعنوية أو هما معا .

(١) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الصلاة ، باب تحريم سبق الإمام بركوع أو سجود ونحوهما (٢٦٩/١) ، ح (١١٦/٤٢٧) .

(٢) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الصلاة ، باب الأمر بتحسين الصلاة والنهي عن مسابقة الإمام (٢٦٨/١) ، ح (٤٢٦) .

(٣) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الصلاة ، باب إنما جعل الإمام ليؤتمَّ به ، (٢٥٨/١) ، ح (٤١١) .

(٤) - " الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية " للدكتور / عز الدين علي السيد ( ص / ١٢٨ - ١٢٩ ) .

(٥) - " أثر التشبيه في تصوير المعنى - قراءة في صحيح مسلم " ، مرجع سابق ( ص / ٧٨ ) .

وحمله آخرون : على ظاهرة إذ لا مانع من جواز وقوع ذلك (١) .  
والذي يراه الباحث أن تحمل الأحاديث على ظاهرها ، لتبقى قوة الترهيب من ارتكاب هذا الفعل ، ومما يقوي ذلك ما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : « **أما يخشى الذين يرفع رأسه قبل الإمام ، أن يحول الله رأسه رأس الكلب** » (٢) .  
يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : « فهذا يبعد المجاز لانقضاء المناسبة التي ذكروها في بلاد الحمار » (٣) .

ويقول القاضي عياض - رحمه الله - : « فيه وعيد وتحذير من أخذ الله تعالى له ومسخه إياه وقلبه صورته بصورة الحمار الذي هو غاية في البلادة ، وإليه ينتهي ضرب المثل في الجهل والبلادة ، وهذا لما عكس حكم الصلاة ومعنى الإمامة ، والتقدم والافتداء وصير نفسه بذاته إماماً جاء بغاية المناقضة والمضادة التي لا يفعلها إلا المنتهي في الجهالة كالحمار فيخشى أن الله يقلبه في الصورة التي اتصف بمعناها » (٤) .

والرسول ﷺ في تهديده هذا ، أثار حاسة الإبصار عن طريق التشبيه والموازنة بين رأس الإنسان تلك الخلقة السوية ، قال تعالى : ﴿ **لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم** ﴾ (٥) ، ورأس الحمار ، الذي خلق بكيفية تليق به هو ، ولأن صورة الحمار عند العربي تستعمل في الذم فجاء بها للتفجير والتحذير من ذلك الفعل المخالف في الصلاة ، والمخاطبون يدركون هذه الصورة ، ويدركون المراد منها أتم إدراك ، وبذلك يتحقق مراد الرسول ﷺ من استعماله للمنهج الحسي في التفجير من تلك المخالفة.

### ب - النهي عن بسط الذراعين في السجود :

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال « **اعتدلوا في السجود ، ولا يبسط أحدكم ذراعيه انبساط الكلب** » (٦) .

(١) - ينظر : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " (٢/٢١٥) ، " عمدة القارئ شرح صحيح البخاري " (ص/٤٠٧) .

(٢) - أخرجه الإمام ابن حبان في " صحيحه بترتيب ابن بلبان " كتاب الصلاة ، باب ما يكره للمصلي وما لا يكره (٦٠/٦) ، ح (٢٢٨٣) ، وقال محقق الكتاب الأستاذ : شعيب الأرنؤوط : " إسناده صحيح " ، طبعة مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط : ٣ ، ١٤١٨هـ .

(٣) - " فتح الباري " (٢/٢١٥-٢١٦) .

(٤) - " إكمال المعلم بفوائد مسلم " (٢/٣٤١) .

(٥) - سورة التين ، الآية : (٤) .

(٦) - أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الأذان ، باب لا يفترس ذراعيه في السجود (١/٢٥٠) ، ح (٨٢٢) . والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الصلاة ، باب الاعتدال في السجود ، ... ، (١/٢٩٨) ، ح (٤٩٣) .

وعن جابر - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال « إذا سجد أحدكم فليعتدل ، ولا يفترش ذراعيه افتراش الكلب » (١) .

والرسول ﷺ في هذا الحديث يأمر بالاعتدال في السجود وينهى عن الافتراش . والاعتدال : توسط بين الافتراش والقبض بوضع الكفين على الأرض ورفع المرفقين عنها ، والبطن عن الفخذ (٢) .

وهكذا كان سجوده ﷺ ، فإنه كان يُجافي حتى يرى بياض إبطيه ، فعن ميمونة بنت الحارث (٣) ؛ قالت : « كان رسول الله ﷺ إذا سجد جافي ، حتى يرى من خلفه وضغ إبطيه » (٤) .

والاعتدال في السجود يُظهر على صاحبه التواضع وشدة الإقبال على الصلاة ، يُؤيد ذلك ما ذكره العيني في « العمدة » ، بقوله : « والحكمة فيه أنه أشبه للتواضع وأبلغ في تمكين الجبهة من الأرض وأبعد من هيئات الكسالى ، فإن المنبسط يشبه الكسالى ويُشعر حاله بالتهاون وقلة الاعتناء بها والإقبال عليها » (٥) .

أمّا افتراش الذراعين في السجود فهي كيفية مكروهة ينبغي للمصلي أن ينزه نفسه عنها لمشابهتها لافتراش الكلاب والسباع ، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : « فإن التشبّه بالأشياء الخسيسة مما ينبغي تركه في الصلاة » (٦) .

والرسول ﷺ نهى الافتراش في السجود بأسلوب أثار فيه حاسة الإبصار لدى المدعويين لينظروا عن طريق التخيل والتصوير الذهني إلى تلك الهيئة التي هي صفة فطرية في الكلاب والسباع ، والمدعوون يعرفون تمام المعرفة تلك الصفة ، لأنها مستقاة من بيئتهم ، مما يجعلهم ينفرون منها ، ويبتعدون عنها ، وبخاصة وهم سجود في صلاتهم بين يدي الله عز وجل ، فقد ثبت في الصحيح أن أقرب ما يكون العبد

(١) - متفق عليه : أخرجه الإمام الترمذي في " سننه " أبواب الصلاة ، باب ما جاء في الاعتدال في السجود ، (٦٥/٢) ، ح (٢٧٥) . وقال : حديث جابر حديث حسن صحيح . وصححه الشيخ الألباني في كتابه " صحيح سنن الترمذي " ، (٨٧/١) ، ح (٢٢٦) .

(٢) - ينظر : " حاشية السندي على سنن النسائي " (٥٦٢/٢) .

(٣) - هي : ميمونة بنت الحارث الهلالية العامرية ، أم المؤمنين ، تزوجها النبي ﷺ سنة سبع ، كان اسمها بوة فسامها رسول الله ﷺ ميمونة ، روت عنه ٧٦ حديثاً ، وروى عنها ابن عباس ، وعبدالله بن شداد وعطاء بن يسار وغيرهم ، توفيت بسرف ( بين مكة والمدينة ) حيث بنى بها الرسول ﷺ سنة ٥١ هـ ، وصلى عليها ابن عباس - رضي الله عنه - . ينظر : " الإصابة " (٣٢٢/٨ - ٣٢٤) ، " تهذيب التهذيب " (٥٦١/٦) .

(٤) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " ، كتاب الصلاة ، باب ما يجمع صفة الصلاة وما يفتح به ويختتم به (٤٩٥/١) ، ح (٤٩٧) .

(٥) - " عمدة القارئ بشرح صحيح البخاري " (١٦٣/٥) .

(٦) - " فتح الباري بشرح صحيح البخاري " (٣٥٢/٢) .

من ربه وهو ساجد ، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - ؛ أن رسول الله ﷺ قال : « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، فأكثروا الدعاء » (١) .

يقول الدكتور الصباغ - حفظه الله - : « والصورة مستقاة من حياة المخاطبين مما يجعل تأثرهم بها وإدراكهم لها في الذروة من الدقة » (٢) .

والحق أن ذلك التصوير مؤثر في النفوس غاية التأثير ، لمشابهة تلك الهيئة التي تقع من بعض المصلين في السجود بما تتصف به الكلاب والسباع ، وهناك نصوص أخرى تشتمل على منهج حسي فيها تحذير من بعض المخالفات التي تؤثر على تمام الصلاة وكمالها ، أقتصر على ذكرها من غير شرح ، اكتفاءً بما بينته فيما سبق ، ومن ذلك :

ما رواه جابر بن سمرة (٣) ؛ قال : كنا إذا صلينا مع رسول الله ﷺ ؛ قلنا : السلام عليكم ورحمة الله . السلام عليكم ورحمة الله . وأشار بيده إلى الجانبين (٤) فقال رسول الله ﷺ : « علام ثومنون بأيديكم كأنها أذنان خيل شمس » (٥) ؟ إنما يكفي أحدكم أن يضع يده على فخذه . ثم يسلم على أخيه من على يمينه وشماله » (٦) .

وعن عبدالله بن عباس - رضي الله عنه - ؛ أنه رأى عبدالله بن الحارث (٧) يصلي .

(١) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الصلاة ، باب ما يقال في الركوع والسجود ، (٢٩٤/١) ، ح (٤٨٢) .

(٢) - " التصوير الفني في الحديث النبوي " (ص/٣١٧) .

(٣) - جابر بن سمرة بن جندب ، أبو عبدالله ، ويقال : أبو خالد ، العامري السوائي حليف بني زهرة ، وأمّه أخت سعد بن أبي وقاص . له ولأبيه صحبة ، نزل الكوفة وابتنى بها داراً في بني سوادة ابن عامر ، قيل أنه توفي سنة ست وسبعين من الهجرة ، في ولاية بشر بن مروان ، ينظر : " تهذيب الكمال في أسماء الرجال " للمزي ، (٤/٤٣٧ - ٤٣٩) ، " الإصابة " (١/٥٤٢ - ٥٤٣) .

(٤) - أي إلى اليمين وإلى اليسار .

(٥) - " خيل شمس " هي جمع شموس ، وهو النفقور من الدواب الذي لا يستقر لشغبه وحدته ، أذناها كثيرة الحركة والاضطراب . ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (٢/٥٠١) مادة : شمس ، " حاشية

السيوطي على سنن النسائي " (٣/٨٠٧) . ومراد الرسول ﷺ نهى الصحابة - رضي الله عنهم - عن الإشارة باليد عند السلام والخروج من الصلاة ، إذ كانوا يشيرون بأيديهم عن أيمانهم وعن شمائلهم ، وقد شبه عليه الصلاة والسلام تلك الحركة الصادرة من بعض الصحابة عند السلام بالخيل الشمس ، وتشبيه أيدي أولئك المشيرين بأذنان الخيل فيه تفير من تلك العادة المكروهة في الصلاة .

(٦) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الصلاة ، باب الأمر بالسكون في الصلاة ، والنهي عن الإشارة باليد ورفعها عند السلام ... ، (١/٢٧٠) ، ح (٤٣١) .

(٧) - هو : عبدالله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب القرشي الهاشمي ، أبو محمد المدني ، ولد على عهد النبي ﷺ فحطه ، اصطاح عليه أهل البصرة حين مات يزيد بن معاوية ، فأقره ابن الزبير روى عن النبي ﷺ مرسل ، وعن أبي بن كعب وابن عباس ، وأبيه وغيرهم من التابعين الثقات ، توفي سنة ٧٩هـ ، فصلى عليه سليمان بن عبدالمك ودفن بالأبواء . ينظر : " تهذيب التهذيب " (١٤/٣٩٦) ، " سير أعلام النبلاء " (١/٢٠٠) .

ورأسه معقوص <sup>(١)</sup> من ورائه . فقام فجعل يَحْتَهُ . فلما انصرف أقبل إلى ابن عباس فقال : مالك ورأسي ؟ فقال : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنما مثل هذا مثل الذي يُصلي وهو مكتوف » <sup>(٢)</sup> .

وعن عبدالرحمن بن شبل <sup>(٣)</sup> قال : « نهى رسول الله ﷺ عن نقرة الغراب <sup>(٤)</sup> ، وافتراش السبع ، وأن يوطن الرجل المكان في المسجد كما يوطن البعير <sup>(٥)</sup> » <sup>(٦)</sup> .

وعن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال : « أوصاني خليلي ﷺ بثلاث ، ونهاني عن ثلاث ، أوصاني بالوتر قبل النوم ، وصيام ثلاثة أيام من كل شهر ، وركعتي الضحى ، قال : ونهاني عن الالتفات وإقعاء وإقعاء <sup>(٧)</sup> القرد ، ونقر كنقر الديك » <sup>(٨)</sup> .

(١) - " معقوص " : أي الشعر المعقوص ، وهو نحو المضفور ، وأصل العقص : اللثي . وهو إدخال أطراف الشعر في أصوله ، والمراد أنه إذا كان شعره منشوراً سقط على الأرض عند السجود فيعطي صاحبه ثواب السجود به ، وإذا كان معقوصاً صار في معنى مالم يسجد . ينظر " النهاية في غريب الحديث " (٢٧٥/٣ - ٢٧٦) . والمعنى : أن الذي يُصلي وقد لفَّ شعره وسط رأسه ، وفعل به كما تفعل النسوة ، فإنما مثله كمثل الرجل المكتوف ، الذي شُدَّت يداه فلا تقعان على الأرض في السجود ، والمراد من التشبيه التفتير من أمر مكروه في الصلاة ، مع أن العلماء ذكروا أن الكراهة كراهة تنزيه ، فلو صلى كذلك فقد أساء وصحت صلاته . ينظر : " شرح النووي على صحيح مسلم " (٢٠٩/٤) ، " سنن النسائي بشرح السيوطي " (٥٦٣/٢ - ٥٦٤) .

(٢) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الصلاة ، باب أعضاء السجود والنهي عن كف الشعر والثوب وعقص الرأس في الصلاة ، (٢٩٧/١ - ٢٩٨) ، ح (٤٩٢) .

(٣) - هو : عبدالله بن شبل بن عمرو الأنصاري الأوسي ، كان أحد نقباء الأنصار وفقهائهم ، نزل الشام وتوفي في إمارة معاوية بن أبي سفيان . ينظر : " تهذيب الكمال في أسماء الرجال " (١٦٣/١٧) مؤسسة الرسالة ، ط : ١ ، ١٤١٣ هـ ، " تهذيب التهذيب " (٣٥٣/٣) .

(٤) - " نقرة الغراب " : يريد تخفيف السجود ، وأنه لا يمكن فيه إلا قدر وضع الغراب منقاره فيما يريد أكله . ينظر : " النهاية في غريب الحديث " . (١٠٤/٥) مادة : (نقر) .

(٥) - والمعنى : أن يألف الرجل مكاناً معلوماً من المسجد لا يصلي إلا فيه كالبعير لا يأوي من عطنه إلا إلى مبارك دمت قد أوطنه واتخذة مناخاً لا يبرك إلا فيه . ينظر : " سنن النسائي بشرح السيوطي " (٥٦٣/٢) .

(٦) - أخرجه الإمام أبي داود في " سننه " كتاب الصلاة ، باب صلاة من لا يقيم صلبه في الركوع والسجود (٥٣٩/١) ح (٨٦٢) ، والإمام النسائي في " سننه " كتاب التطبيق ، باب النهي عن نقرة الغراب (٥٦٢/٢ - ٥٦٣) ح (١١١١) ، وحسنه الشيخ الألباني في " صحيح سنن أبي داود (٢٤٣/١ - ٢٤٤) ح (٨٦٢) ، وفي " صحيح سنن النسائي " (٣٦٠/١) ح (١١١١) .

(٧) - " الإقعاء " هو أن يُلصق الرجل بلبنته بالأرض ، وينصب ساقيه وفخذه ، ويضع يديه على الأرض " النهاية في غريب الحديث " (٨٩/٤) مادة : (قعاء) ، والمراد من التشبيه ، النهي والتفتير من تلك الجلسة في الصلاة .

(٨) - أخرجه الإمام أحمد في " المسند " (٣٥٠/٢) ح (٧٥٨٠) ، وصححه الشيخ الألباني في " صحيح الترغيب والترهيب " (٢٢٢/١) .

**المطلب الثاني : استخدام المنهج الحسي لبيان أحكام**

**الزكاة والصوم .**

وفيه مسلكان :

**المسلك الأول : الترغيب في الصدقة ، وبيان عقوبة مانع**

**الزكاة .**

**المسلك الثاني : بيان فضل الصوم .**

## المسلك الأول

### التَّغْيِيبُ فِي الصَّدَقَةِ ، وَبَيَانُ عَقُوبَةِ مَانِعِ الزَّكَاةِ بِالْمَنْهَجِ الْحَسِّيِّ

#### أولاً : التَّغْيِيبُ فِي الصَّدَقَةِ بِالْمَنْهَجِ الْحَسِّيِّ

من المعلوم أنَّ الزكاة هي الحق المفروض المُحدَّد في مال المسلم ، أمَّا الصدقة فهي أوسع دائرة ، ولم تحدد بوقت ولا زمن معين ، فكان ذلك إكراماً من الله تعالى لأمة محمد ﷺ ، لتفوز بعظيم الأجر والثواب ، وقد رغب الإسلام في باب الصدقة ترغيباً عظيماً ينشرح له صدر الكريم ، ويدفع البخيل إلى البذل والعطاء ، يقول الله تعالى : ﴿ مثلُ الذين يُنْفِقون أموالهم في سبيلِ الله كمثلِ حبةِ أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ﴾ (١) ، ويقول سبحانه : ﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله أجر كريم ﴾ (٢) .

وقال ﷺ : « أَيُّمَا مُسْلِمٍ كَسَا مُسْلِمًا ثَوْبًا عَلَى عُرْيٍ ، كَسَاهُ اللَّهُ مِنْ خُضْرِ الْجَنَّةِ ، وَأَيُّمَا مُسْلِمٍ أَطْعَمَ مُسْلِمًا عَلَى جُوعٍ أَطْعَمَهُ اللَّهُ مِنْ ثَمَارِ الْجَنَّةِ ، وَأَيُّمَا مُسْلِمٍ سَقَى مُسْلِمًا عَلَى ظَمَأٍ سَقَاهُ اللَّهُ مِنَ الرَّحِيقِ الْمَخْتُومِ » (٣) .  
والرَّسُولُ ﷺ حَتَّى عَلَى الصَّدَقَةِ فِي أَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ اشْتَمَلَتْ عَلَى مَنْهَجِ حَسِّيٍّ مُؤَثَّرٍ وَمِنْ ذَلِكَ :

ما رواه أبو هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدَلٍ تَمْرَةً (٤) مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ ، وَلَا يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ إِلَّا الطَّيِّبُ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ ، ثُمَّ يَرْبِيهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا يُرْبِي أَحَدَكُمْ فَلَوْهَ (٥) ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ » (٦) .

(١) - سورة البقرة ، الآية : (٢٦١) .

(٢) - سورة الحديد ، الآية : (١١) .

(٣) - أخرجه الإمام أبو داود في " سننه " كتاب الزكاة ، باب في فضل سقي الماء ، (٣١٤/٢) ، ح (١٦٨٢) ، وضعفه الشيخ الألباني في " ضعيف سنن أبي داود " (ص/١٣٣) ، ح (١٦٨٢) .

(٤) - " عدل تمرة " العدل بمعنى المثل ، أي : بمثل قيمة التمرة . ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (١٩١/٣) مادة : (عدل) .

(٥) - " فلوه " أي مهرة ، وقيل : هو كل فطيم من ذات حافر ، والجمع أفلاء كعدو وأعداء ، وضرب به المثل لأنه يزيد زيادة بيضة . ينظر : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " (٣٢٨/٣) .

(٦) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الزكاة ، باب الصدقة (٤٢٠/١) ، ح (١٤١٠) والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الزكاة ، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها ، (٥٨١/٢) ، ح (١٠١٤) .



وفي رواية : « إلا أخذها الله بيمينه . فيرببها كما يُرببني أحدكم فلوؤه أو قلوصة <sup>(١)</sup> . حتى تكون مثل الجبل أو أعظم » <sup>(٢)</sup> .

وعن سعيد بن يسار <sup>(٣)</sup> أنه سمع أبا هريرة - رضي الله عنه - يقول : قال رسول الله ﷺ : « ما تصدق أحدٌ بصدقةٍ من طيبٍ ولا يقبل الله إلا الطيب - إلا أخذها الرحمن بيمينه <sup>(٤)</sup> وإن كانت تمرّة فتربو في كفّ الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يُرببني أحدكم فلوؤه أو قصىته <sup>(٥)</sup> » <sup>(٦)</sup> .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه ، فيرببها لأحدكم كما يُرببني أحدكم مهزه . حتى إن اللقمة لتصير مثل أحدٍ » <sup>(٧)</sup> .

هذا الحديث برواياته دليل واضح على مدى رحمة الله بعباده ، وسعة فضله وكرمه ، وأنه يُعطي الأجر الكثير على العمل اليسير ، وقد صور النبي ﷺ ذلك الفضل وقربته إلى أذهان المخاطبين ببراعة فائقة ودقة متناهية ، فالمشبه في الحديث: تربية الرحمن للصدقة التي هي من مال طيب ، والمشبه به : تربية الإنسان

(١) - " قلوصة " القلوص : الفتية من الإبل ، وهي أول ما يركب من الإناث إلى أن تنثني فإذا أنثت فهي ناقة . ينظر : " لسان العرب " (٨١/٧) مادة : (قلص) .

(٢) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الزكاة ، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها ، (٥٨١/٢) ، ح (٦٤/١٠١٤) .

(٣) - سعيد بن يسار ، أبو الحباب المدني ، مولى ميمونة زوج النبي ﷺ ، قيل : إنه توفي سنة سبع عشرة ، وقيل سنة ست عشرة ومئة ، وهو ابن ثمانين سنة ، ينظر : " تهذيب الكمال في أسماء الرجال " (١٢٢/١١) رقم الترجمة (٢٣٨٥) .

(٤) - من عقيدة أهل السنة والجماعة إثبات ما أثبتته الله تعالى لنفسه وأثبتته له رسوله محمد ﷺ من الأسماء والصفات من غير تكيف ولا تشبيه ولا تمثيل ، وفي هذا الحديث ثبتت لله تعالى اليد والكف على وجه الكمال من غير تشبيه ولا تكيف ولا تمثيل ، يقول الإمام الترمذي : " قال أهل العلم من أهل السنة والجماعة تؤمن بهذه الأحاديث ولا تتوهم فيها تشبيهاً ولا نقول كيف ، هكذا روي عن مالك وابن عيينة وابن المبارك وغيرهم " ، ويقول العلامة الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه الله - في تعليقه على " فتح الباري " مستدركا على الحافظ ابن حجر تأويله : " هذه التأويلات ليس لها وجه ، والصواب إجراء الحديث على ظاهره ، وليس في ذلك بحمد الله محذور عند أهل السنة والجماعة لأن عقيدتهم الإيمان بما جاء في الكتاب والسنة الصحيحة من أسماء الله سبحانه وصفاته ، وإثبات ذلك لله على وجه الكمال مع تنزيهه تعالى عن مشابهة المخلوقات ، وهذا هو الحق الذي لا يجوز العدول عنه ، وفي هذا الحديث دلالة على إثبات اليمين لله سبحانه وعلى أنه يقبل الصدقة عن الكسب الطيب ويضاعفها .. " . ينظر : " فتح الباري " (٣٢٩/٣) .

(٥) - " فصيله " : الفصيل هو ما فصل عن اللبن من أولاد البقر . ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (٤٥١/٣) مادة : (فصل) .

(٦) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الزكاة ، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها ، (٥٨١/٢) ، ح (١٠١٤) .

(٧) - أخرجه الإمام الترمذي في " سننه " كتاب الزكاة ، باب ما جاء في فضل الصدقة ، (٥٠/٣) ح (٦٦٢) ، وضعفه الشيخ الألباني في " ضعيف سنن الترمذي " (ص/٧٦) ح (١٠٦) ، إلا أن أصل المعنى ثابت في الحديث الصحيح السابق رقم (٦٦١) من " سنن الترمذي " .

فلوّه (مُهره) أو فصيله أو قلوّصه ، وهو أمرٌ حسي منتزع من البيئة العربية آنذاك ، وقد أثار ﷺ بواسطته حاسة الإبصار ، فصوّر للمدعو كيف يُنمي الله تعالى صدقة العبد المسلم إن كانت من كسب طيب ، خالصة له سبحانه ، وكأنه يرى ذلك المشهد ماثلاً أمامه ، فالعربي يُعنى بتربية الفلوّ عناية بالغة ، ويزيد وينمو هذا المهر زيادة بينه ، ونمواً واضحاً ، بسبب حسن العناية ، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : « وضرب به المثل لأنه يزيد زيادة بينة ، ولأنّ الصدقة نتاج العمل وأحوج ما يكون النتاج إلى التربية إذا كان فطيماً ، فإذا أحسن العناية به انتهى إلى حدّ الكمال ، وكذلك عمل ابن آدم لاسيما الصدقة - فإنّ العبد إذا تصدق من كسب طيب لا يزال نظر الله إليها يكسبها نعت الكمال حتى تنتهي بالتضعيف إلى نصاب تقع المناسبة بينه وبين ما قدّم نسبة ما بين التمرة إلى الجبل » (١) .

ويقول الدكتور محمد الصباغ - حفظه الله - : « والحقيقة أنّ في التمثيل بتربية المهر لتربية الأجر براعة فائقة ودقة متناهية ، لأنّ المهر يُنزل من الجهد في تربيته ما لا يُنزل في غيره من الحيوان » (٢) .

ومعلوم أنّ الفلوّ (المهر) هذا ربما لا يتوافر للناس جميعاً فأتى ﷺ ببديل له حيث قال في الرواية الأولى عند الإمام مسلم : « ... كما يربي أحدكم فلوّه أو فصيله » ، وقال ﷺ في الرواية الثانية : « .... كما يربي أحدكم فلوّه أو قلوّصه » والفصيل والقلوص لا يكاد يخلو بيت من بيوت العرب منهما .

واختياره ﷺ التمرة في المشبّه أمرٌ له دلالته فقد كان الأسودان « التمر والماء » طعام بيوت رسول الله ﷺ لأيام طويلة ، وشبه الجزيرة العربية بلد يكثر فيه التمر والتعبير عن الصدقة بتمرّة يفيد قلة المتصدّق به ومع ذلك فسيكون عليه عظيم الثواب (٣) .

والحديث برواياته يبين عظم أجر الصدقة وإن كانت يسيرة ، فيقول ﷺ : « ... حتى تكون مثل الجبل » وفي الرواية الثانية « ... حتى تكون مثل الجبل أو أعظم » ، وفي الرواية التي أخرجها الإمام الترمذي حدّد - عليه الصلاة والسلام - ذلك فقال : « ... حتى إنّ اللقمة لتصير مثل أحدٍ » ، فما أعظم الأجر الذي يعطيه

(١) - " فتح الباري ، بشرح صحيح البخاري " (٣/٣٢٨) .

(٢) - " التصوير الفني في الحديث النبوي " (ص/٩٢) .

(٣) - ينظر : " أثر التشبيه في تصوير المعنى - قراءة في صحيح مسلم " لعبد الباري طه ، (ص/١٣٥) .  
بتصرف يسير .

الله على الصدقة المقبولة ، والمدعو عندما يتخيل هذا العطاء الجزيل ، وأنه مثل ذلك الجبل العظيم الذي يعرفه تمام المعرفة ، فإنه يسارع إلى الصدقة ، بل إن هذا الأسلوب النبوي الكريم فيه حث على العمل والإنتاج والكسب الحلال ، لينفق منه في سبيل الله ، وإذا كان الله تعالى ينمي تلك اللقمة أو التمرة حتى تكون مثل جبل أحد ، فما بالك بالذين يتصدقون بالأموال الكثيرة من كفالة الأيتام المستمرة ، وبناء المساجد ، وتوقيف الأوقاف وغيرها من سبل الخير المتنوعة ، لاشك أن الأجر أعظم بكثير ، وفضل الله ليس له حد .

وعلى كل فإن التصوير الوارد في جميع الروايات قد أدى الغرض المقصود منه ، وهو الحث على الصدقة من المال والكسب الحلال مهما كان قليلا ، ولا يعتذر الإنسان لضيق ذات اليد ، ولا يحتقر الشيء اليسير من الصدقة فإن الرسول ﷺ يقول : « اتقوا النار ولو بشق تمره . فمن لم يجد ، فبكلمة طيبة » (١) .

ويقول الدكتور : عبدالباري طه : « وقد اعتمدت هذه التشبيهات في عناصرها ومادتها على ما هو موجود ومشاهد في البيئة العربية : « تمر . خيل . نوق . جبال » فوضحت المعاني ورسختها في الأذهان بل جعلت الخيال ينتقل من تمره لا يُعتنى بها إلى « قلو » يُعتنى بتربيته ويُبذل فيها جهداً إلى فصيل أو قلوص ... إلى أن يرى الخيال هذه التمرة التي لا يعتنى بها وقد جعلها الرحمن - بفضله وكرمه - مثل أعظم الجبال » (٢) .

والحاصل أن الصدقة فضلها عظيم ، فهي سترٌ يستتر به المؤمن من النار فعن عدي بن حاتم - رضي الله عنه (٣) - قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « من استطاع منكم أن يستتر من النار ولو بشق تمره فليفعل » (٤) .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - ، قال : ضرب رسول الله ﷺ مثل البخيل والمتصدق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد ، قد اضطررت أيديهما إلى تذيئهما

(١) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الزكاة ، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمره أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار (٥٨٣/٢) ح (٦٨/١٠١٦) .

(٢) - " أثر التشبيه في تصوير المعنى - قراءة في صحيح مسلم " (ص/١٣٦) .

(٣) - هو : عدي بن حاتم بن عبدالله بن سعد الطائي ، أمير ، صحابي ، من الأجواد العقلاء ، كان رئيس طيء في الجاهلية والإسلام ، أسلم سنة ٩ هـ ، وقام في حرب الردة بأعمال كبيرة ، وشهد فتح العراق ، والجليل وصفين والنهروان ، وسكن الكوفة ومات بها وعاش أكثر من مائة سنة . ينظر : " الإصابات " (٣٨٨/٤ - ٣٩٠) ، " تهذيب التهذيب " (١٠٤/٤) .

(٤) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " ، كتاب الزكاة ، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمره أو كلمة طيبة ، وأنها حجاب من النار (٥٨٢/٢) ح (١٠١٦) .

وتراقبيهما (١) ؛ فجعل المتصدق كلما تصدق بصدقة انبسطت عنه حتى تغشى أنامله وتعفو أثره ؛ وجعل البخيل كلما همَّ بصدقة قلصت (٢) ، وأخذت كل حلقة بمكانها .  
قال أبو هريرة - رضي الله عنه - : فأننا رأيت رسول الله ﷺ ، يقول بإصبعه هكذا في جيبه ، فلو رأيتَه يُوسِّعُها ولا تُوسِّعُ (٣) .

قيل : « ضُربَ المثلُ بهما لأنَّ المنفق يسترهُ اللهُ تعالى بنفقته ويستتر عوراتهُ في الدنيا والآخرة كستر هذه الجبَّة (٤) لابسها ، والبخيل كمن لبس جبَّةً إلى ثدييه فيبقى مكشوفاً بادي العورة مفتضحاً في الدنيا والآخرة » .

وقيل : « يريد أن المنفق إذا أنفق كُفرت الصدقة ذنوبه ومحتتها ، كما أنَّ الجبَّة إذا أسبغت عليه سترته ووقته ، والبخيل لا تطاوعه نفسه على البذل فيبقى غير مكفر عنه الآثام ، كما أنَّ الجبة تبقى من بدنه مالا تسترهُ فيكون معرضاً للآفات » (٥) .  
والحديث من باب ضرب الأمثال للتقريب والإفهام .

### ثانياً : الترهيب من منع الزكاة بالمنهج الحسي

شُرعت الزكاة لأنها تطهر المال وتركيه ، قال تعالى : ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصلِّ عليهم إنَّ صلاتك سكن لهم ﴾ (١) ، وهي من أسس الأخوة الإيمانية في الإسلام ، قال الله تعالى : ﴿ فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين ﴾ (٢) .

وتطبيق هذه الفريضة في المجتمع المسلم ، يُشيع بين أفرادهِ روح التعاون والتكافل ، وبذلك تزول الأحقاد من قلوب الفقراء على الأغنياء ، ويعمُّ الأمن والرِّخاء ، وهي كذلك تطهر المزكي من الشح والبخل والذنوب والخطايا ، وتعودُّه على الكرم والجود والبذل والعطاء ، والإنفاق في سبيل الله عن طيب نفس ، رجاءً

(١) - " الثراقي " : جمع ثرقوة ، وهي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق ، ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (١٨٧/١) ، مادة : (ترق) .

(٢) - " قلصت " : أي ارتفعت واجتمعت . ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (١٠٠/٤) ، مادة : (قلص) .

(٣) - أخرجه الإمام أحمد في " المسند " (٦٩٢/٢) ح (١٠٧٤٩) ، وصححه الشيخ الألباني في " صحيح الترغيب والترهيب " (٣٦٤/١) ح (٨٦٤) ، وأصله في الصحيحين ، وسيأتي تخريجه في مبحث الأخلاق (ص/ ٢٤٢) .

(٤) - " عمدة القارئ شرح صحيح البخاري " (٢٤٦/٧) .

(٥) - " المرجع السابق " (٢٤٦/٧) .

(٦) - سورة التوبة ، جز من الآية : (١٠٣) .

(٧) - سورة التوبة ، جزء من الآية : (١١) .

فيما عند الله من الأجر والثواب ، وما انتشر الفقر في كثير من بلاد المسلمين إلا عندما عطلوا هذه الفريضة العظيمة ، وإلى هذا المعنى يُشير الشيخ رشيد رضا - (١) - رحمه الله - بقوله : « ولو أقام المسلمون هذا الركن من دينهم لما وجد فيهم - بعد أن كثر الله عليهم ووسع عليهم في الرزق - فقير مدقع ولا ذو غرم مفتح ولكن أكثرهم تركوا هذه الفريضة فجنوا على دينهم وملتهم وأمتهم فصاروا أسوأ من جميع الأمم مالا في مصالحهم المالية والسياسية حتى فقدوا ملكهم وعزهم وشرفهم... » (٢).

ولأهمية الزكاة ومنزلتها في الإسلام يعدُّ من جردها كافرا بالله تعالى ، مرتدا عن الإسلام ، ومن منعها بخلا فإنه فاسق يستحق العقوبة في الدنيا والآخرة ، والرسول ﷺ حذر من منْعها ، وبين عقوبة تاركها ، وقد صور ﷺ تلك العقوبة بالمنهج الحسي مما كان لها عظيم الأثر في نفوس المخاطبين من الصحابة وغيرهم من المؤمنين إلى قيام الساعة ومن ذلك :

ما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها ، إلا إذا كان يوم القيامة صَفَّحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره ، كلما بردت أعيدت له ، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتى يقضى بين العباد ، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار ... » (٣) .

وعن جابر بن عبدالله الأنصاري - رضي الله عنه - يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من صاحب إبل لا يفعل منها حقها (٤) ، إلا جاءت يوم القيامة أكثر ما كانت قط وقعد لها بقاع قرقر (٥) . تستنُّ (٦) عليه بقوائمها وأخفافها ، ولا صاحب بقر لا يفعل فيها حقها ، إلا جاءت يوم القيامة أكثر ما كانت ، وقعد لها بقاع قرقر ، تنطحه بقرونها وتطؤه بقوائمها ، ولا صاحب غنم لا يفعل فيها حقها . إلا جاءت

(١) - هو : محمد رشيد بن علي رضا القلموني ، صاحب مجلة المنار وأحد رجال الإصلاح ، ولد عام ١٢٨٢هـ ، بقلمون في لبنان ، وتعلم بها ثم رحل إلى مصر سنة ١٣١٥هـ ، فلزم الشيخ محمد عبده وتلمذ عليه واستقر بمصر إلى أن توفي عام ١٣٥٤هـ ، وأشهر آثاره مجلة المنار التي أفردت الفتوى منها فصارت في ستة مجلدات ، ينظر : " الأعلام " (١٢٦/٦) .

(٢) - " تفسير القرآن الحكيم " محمد رشيد رضا (٤٤٣/١٠) مطبعة المنار ، ١٣٤٦هـ ، بدون ذكر رقم الطبعة .

(٣) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الزكاة ، باب إثم مانع الزكاة (٥٦٦/٢) ح (٩٨٧) .

(٤) - أي لا يؤدي زكاتها .

(٥) - " وقعد لها بقاع قرقر " : أي يطبخ لها بمكان مستو . ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (٤٨/٤) مادة : (قرقر) .

(٦) - " تستنُّ " أي تجري ، وتلج في عودها وإقبالها وإدبارها . ينظر : " مشارق الأنوار " ، (٢٧٦/٢) ، مادة (سنن) .

يوم القيامة أكثر ما كانت ، وقد لها بقاع قرقر ، تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها ، ليس فيها جماء<sup>(١)</sup> ولا منكسر قرنها ، ولا صاحب كنز لا يفعل فيه حقه ، إلا جاء كثره يوم القيامة شجاع أقرع<sup>(٢)</sup> . يتبعه فاتحاً فاه . فإذا أتاه فرّ منه ، فيناديه : خذ كنزك الذي خبأته فإنا عنه غني . فإذا رأى أن لا بدّ منه . سلك يده في فيه . فيقضمها قضم الفحل<sup>(٣)</sup> ۞ (٤) .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثل له ماله<sup>(٥)</sup> يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان<sup>(٦)</sup> ، يطوقه<sup>(٧)</sup> ثم يأخذ بلهزمتيه - يعني شذقيه - يقول : أنا مالك أنا كنزك ثم تلا هذه الآية : ﴿ ولا يحسبن الذين يخلون ﴾<sup>(٨)</sup> ۞ (٩) .

في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - يُصور الرسول ﷺ عذاب مانع الزكاة بصورة حسية مخيفة مفرعة ، تتخلع لمطلعها القلوب ، فجعل الجزاء من جنس العمل ، فالذهب والفضة من المعادن الثمينة التي يكون بها قوام حياة الناس الاقتصادية ، ومنع الزكاة منهما جحود لنعمة الله ونكران لفضله ، وتمرد على أمره وأمر رسوله ﷺ ، ولذلك كان الوعيد شديداً والعذاب أليماً ، فقد جاء في التنزيل قوله تعالى : ﴿ ... والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم \* يوم يُحْمَى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ﴾ (١٠) .

- (١) - " جماء " الجماء : التي لا قرن لها . ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (٣٠٠/١) مادة : (جمم) .
- (٢) - " شجاع أقرع " : الشجاع ، الحية الذكر ، والأقرع الذي تفرع رأسه أي تمعط لكثرة سنمه . ينظر " فتح الباري " (٣١٧/٣) .
- (٣) - " فيقضمها قضم الفحل " : القضم : الأكل بأطراف الأسنان ، أي : يأكلها أكل الفحل . ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (٧٧/٤) مادة : قضم " صحيح مسلم بشرح النووي " ، (٧١/٧) .
- (٤) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الزكاة ، باب إثم مانع الزكاة ، (٥٦٨/٢ - ٥٦٩) ح (٩٨٨) .
- (٥) - " مثلّ له ماله " أي صنّير ماله على صورة شجاع . ينظر : " فتح الباري " (٣١٧/٣) .
- (٦) - " زبيبتان " : أي النكتتان السوداوان فوق عينيه ، وقيل هما نقطتان تكتنفان فاهما ، ويقال للحية ذو الزبيبتين أخبث ما يكون من الحيات ، وهما علامات الحية الذكر المؤذي . ينظر : " فتح الباري " (٣١٧/٣) ، " عمدة القارئ " (١٨١/٧) .
- (٧) - " يطوقه " : أي يصير له ذلك الثعبان طوقاً يلتف عليه . ينظر " فتح الباري " (٣١٧/٣) ، " وعمدة القارئ " (١٨١/٧) .
- (٨) - سورة آل عمران ، جزء من الآية : (١٨٠) .
- (٩) - أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الزكاة ، باب إثم مانع الزكاة ، (٤١٧/١ - ٤١٨) ، ح (١٤٠٣) .
- (١٠) - سورة التوبة : الآيتان (٣٤ - ٣٥) .

يقول الإمام ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره : « .. كما أن هذه الأموال لما كانت أعز الأشياء على أربابها كانت أضراً الأشياء عليهم في الدار الآخرة فيحتمى عليها في نار جهنم وناهيك بحرّها فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم » (١) .  
ويعلّل الإمام الشوكاني (٢) تخصيص هذه الأعضاء بالعذاب فيقول : « وخصّ الجباه والجنوب والظهور لكون التألم بكيها أشدّ لما في داخلها من الأعضاء الشريفة » (٣) .

والرسول ﷺ بين في الحديث أن هذه الصفائح من نار ، ثم يُحْمَى عليها في نار جهنم فتزداد حرّاً إلى حرّها كما في قوله تعالى : ﴿ تصلى ناراً حامية ﴾ (٤) ، وبين الأبي - رحمه الله - المبالغة الواردة في الآية والحديث ، فيقول : « معنى المبالغة التي أشار إليها أن إسناد الحمي إلى النار ، مع أنه معلوم أن كل نار فهي حامية ، إشارة إلى المبالغة في تناهي حرّ هذه النار التي تجعل فيها هذه الصفائح ، والتعريض بأن نار الدنيا بالنسبة إليها كأنها ماء بارد يُستلذ به » (٥) .

والمدعو يتصور ذلك العذاب الذي يقاسيه مانع الزكاة يوم القيامة ، وكأنّه يراه بعينه في الدنيا فالذهب والفضة التي لا تؤدي زكاتها تصفح يوم القيامة صفائح من نار ، وليس هذا فحسب ؛ بل يُحْمَى عليها مرة ثانية ، ليكون العذاب بها أشدّ ، ثم يؤتى بمانع الزكاة فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره ليعمّ العذاب جميع بدنه ، وكلّما بردت تلك الصفائح أحميت مرة أخرى وأعيدت له ، ليستمر العذاب ، وتستمر الحرارة في تلك الصفائح في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، فيالهول المصيبة ، وبالعظم العذاب على أولئك العصاة المخالفين !

يقول الأبي : « وما أشدّ هذا الوعيد على أرباب الأموال المقصرين في الحقوق ، ولو عقلوا مضمونه ولا حول ولا قوة إلا بالله ، والعاقل من لا يعدل بالسلامة شيئاً ،

(١) - تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، (٤٦٣/٢ - ٤٦٤) ، تقديم : عبدالقادر الأرئوط ، مكتبة الفيحاء - دمشق ، ط : ١ ، ١٤١٤هـ .

(٢) - هو : محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني ، مفسر محدث ، فقيه ، أصولي ، مؤرخ ، أديب ، نحوي ، مجتهد ، من كبار علماء اليمن ، ولد بخولان ، ونشأ بصنعاء ، وولي قضاءها ، له ١١٤ مؤلفاً ، منها : " نيل الأوطار " ، " إرشاد الفحول " ، " فتح القدير " ، " البدر الطالع بمحاسن ما بعد القرن السابع " توفي عام ١٢٥٠هـ . ينظر : " الأعلام " (٢٩٨/٦) ، " معجم المؤلفين " (٥٤١/٣) .

(٣) - " فتح القدير " للشوكاني ، (٤٠٧/٢) ، طبعة / دار الخير ، ١٤١٣هـ .

(٤) - سورة الغاشية : الآية (٤) .

(٥) - " صحيح مسلم بشرح الأبي " (٤٢٣/٣) .

وإذا كانت الأجسام والنفوس تضعف عن مقاساة حرّ الشمس ، فكيف بنار الدنيا ؟ فكيف بنار جهنّم ؟ فكيف بعظيم غضب الله تعالى فيهما )) (١) .

ب - صورة حسية مهينة أخرى ، ترتجف القلوب لسماع تفاصيلها ، وتقشعر الجلود لتصور ذلك العذاب المؤلم نفسياً وجسدياً لصاحب الإبل والبقر والغنم الذي لا يؤدي زكاتها فإنه يؤتى به يوم القيامة فيبطح في أرض واسعة مستوية ، ثم تأتي الإبل فتطؤه بأخفافها ، وتعضه بأفواهاها ، وتأتي البقر فتنتطحه بقرونها وتطؤه بقوائمها ، وتأتي الغنم فتنتطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها ، وهكذا يستمر عليه العذاب ، « كَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أَخْرَاهَا رُدًّا عَلَيْهِ أَوْلَاهَا » (٢) .

إنه مشهد ترهيبى رادع لمن تُسول له نفسه إمساك زكاة ماله ، والحديث فيه إثارة لحاسة البصر والإحساس .

ج - الصورة التعذيبية الثالثة : يُصَيَّرُ المال أو الكنز الذي لم يؤدّ صاحبه زكاته في الدنيا ثعباناً عظيم الهامة بشع الصورة مليئاً بالسّم القاتل يتبعه وهو فاتح فاه ، فيفر صاحب المال ، فيلحق به ويناديه على صيغة التهكم والتبكيث « خذ كنزك الذي خبأته فانا عنه غني ، فإذا رأى أن لا بدّ منه ، سلك يده في فيه فيقضمها قضم الفحل » (٣) . أي يأكلها أكل « الذكر القوي من كل حيوان » (٤) .

والرسول ﷺ شَبَّه قضم الثعبان ليد مانع الزكاة بقضم الفحل ، وقد أفاد التشبيه السرعة والشراهة في الأكل ، والتنفير من هذه الصورة الكريهة المخيفة التي لا يحب العاقل أن يقع تحت وطأتها ، وبالتالي فهو تحذير من منع الزكاة (٥) .

وفي النّص الثالث الذي يرويه أبو هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - يصور ﷺ مشهداً آخر من التعذيب وهو مجيء ذلك المال على صورة شجاع أقرع يلتف على صاحبه ثم يمسكه بشدقيه ، ويتكلم ويقول : أنا مالك أنا كنزك .

ولكن ما السرّ في تخصيص الشدقين والأصابع بالعذاب ؟ ذكر العلماء تعليقات منها ما نقله الأبى عن الطيبي بقوله : « لعلّ السرّ في تخصيص الشدقين والأصابع ،

(١) - صحيح مسلم بشرح الأبى " (٤٢٣/٣) .  
 (٢) - سبق تخريجه " (ص/١٨٥ - ١٨٦) برقم (٩٨٧) .  
 (٣) - سبق تخريجه " (ص/١٨٥ - ١٨٦) .  
 (٤) - ينظر : " المعجم الوسيط " (٢/٦٧٦) مادة : (قضم) .  
 (٥) - ينظر : " أثر التشبيه في تصور المعنى " لعبدالباري طه سعيد ، (ص/١٢٨) .



أنَّ المانع لحق الله في المال كان يكتسبه بيديه ويفتخر بشدقيه ، فَخُصًّا بالذكر»<sup>(١)</sup> وهذا تعليل جميل لأنَّ الجزاء يكون من جنس العمل ، كما مرَّ معنا في الأحاديث السابقة ، وغيرها ، كحديث عمرو بن شعيب<sup>(٢)</sup> عن أبيه عن جده أن امرأة أتت رسول الله ﷺ ومعها ابنة لها ، وفي يد ابنتها مسكتان غليظتان من ذهب . فقال لها : « أتعطين زكاة هذا ؟ » قالت : لا ، قال : « أيسرك أن يسورك الله بهما يوم القيامة سوارين من نار ؟ » قال : فخلعتهما وألقتهما إلى النبي ﷺ وقالت : هما لله عز وجل ولرسوله<sup>(٣)</sup> .

(١) - " صحيح مسلم بشرح الأبى " (٤٣٧/٣) .

(٢) - هو : عمرو بن شعيب بن محمد بن عبدالله بن عمرو بن العاص ، الإمام المحدث ، أبو إبراهيم أو أبو عبدالله ، القرشي السهمي ، فقيه أهل الطائف ومحدثهم ، حدَّث عن أبيه ، وعن سعيد بن المسيب ، وطاووس ، وسليمان بن يسار وغيرهم ، وعنه الزهري ، وقتادة وعطاء بن أبي رباح . قال الإمام أحمد : له مناكير ، يعتبر بحديثه ، توفي سنة ١١٨ هـ . ينظر : " سير أعلام النبلاء " (١٦٥/٥) - (١٨٠) ، " تهذيب التهذيب " (٤٨/٨ - ٥٥) ، " شذرات الذهب " (١٥٥/١) .

(٣) - أخرجه الإمام أبي داود في " سننه " كتاب الزكاة ، باب الكنز ، ما هو ؟؟ وزكاة الحلي ، (٢١٢/٢) ح (١٥٦٣) وحسنه الألباني في " صحيح أبي داود " (٤٢٨/١) ح (١٥٦٧) ، وفي " صحيح الترغيب والترهيب (٣٢٣/١) ح (٧٦٦) .

## المسلك الثاني

### بيان فضل الصوم بالمنهج الحسي

الصوم عبادة خفية تتجلى فيها معاني العبودية الكاملة لله تعالى ، فالصائم يجوع ويعطش ، وأصناف الطعام ، والماء البارد أمامه وفي مقدوره ، لكنه أثر حب الله ورضاه ، والرغبة فيما عنده فامتنع وصبر ، ولهذا تولى الله جزاء الصائمين بنفسه سبحانه وتعالى فقال : « كل عمل ابن آدم له ، الحسنه بعشر أمثالها ، إلى سبعمائة ضعف ، قال الله : إلا الصيام ، فهو لي وأنا أجزي به ، يدع الطعام من أجلي ، ويدع الشراب من أجلي ، ويدع لذته من أجلي ، ويدع زوجته من أجلي ... » (١) .

وهو ركن من أركان الإسلام الخمسة كما ثبت في الصحيح عن عبدالله بن عمر - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان » (٢) .

وكما أنه فريضة على هذه الأمة ، فكذلك هو عبادة قديمة عرفتھا الأديان السماوية قبل الإسلام ، يقول الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ (٣) . ومع ذلك فقد وسَّع الله على أمّة محمد ﷺ وأكرمها بصيام التطوع لتتميز عن الأمم الماضية بسبب الخيرية الثابتة لهذه الأمة ، يقول الله تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ (٤) ، والرسول ﷺ - أوضح فضل الصيام بعامة ، وصيام رمضان خاصة في أحاديث كثيرة منثورة في كتب السُّنة ، اشتمل بعضٌ منها على منهج حسي دعوي مؤثر يتبين ذلك من خلال النص النبوي التالي :

- (١) - أخرجه الإمام ابن خزيمة في " صحيحه " كتاب الصيام ، باب ذكر إعطاء الرب عز وجل الصائم أجره بغير حساب ، (١٩٧/٣) ح (١٨٩٧) ، وقال عنه محقق الكتاب ، الدكتور محمد الأعظمي : ( إسناداه صحيح ) ، المكتب الإسلامي ، بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها .
- (٢) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الإيمان ، باب : دُعَاؤُكُمْ إيمانكم ، (٢٨/١) ح (٨) واللفظ له ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الإيمان ، باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام (٥٢/١) ح (٢١/١٦) .
- (٣) - سورة البقرة ، الآية : (١٨٣) .
- (٤) - سورة آل عمران ، الآية : (١١٠) .

فمن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال صلى الله عليه وسلم : « قال الله كلُّ عمل ابن آدم له إلا الصَّيَّام ، فاتَّهَّ لي وأنا أجزي به ، والصَّيَّامُ جُنَّةٌ <sup>(١)</sup> ، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث <sup>(٢)</sup> ولا يصخب <sup>(٣)</sup> ، فإن سابَّه أحدٌ أو قاتله فليقل إنِّي امرؤ صائم ، والذي نفس محمد بيده لخلوف <sup>(٤)</sup> فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك <sup>(٥)</sup> . للصائم فرحتان يفرحهما : إذا أفطر فرح بفطره ، وإذا لقي ربه فرح بصومه » <sup>(٦)</sup> .

هذا الحديث بعضه قدسي وبعضه نبوي ، والذي يهمنا منه هو قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك » . ومن يتأمل هذا الخطاب النبوي المؤكد بالقسم ، وأفضل التفضيل (أطيب) يجد أنَّه قد أثار حاسة الشم لدى المخاطب بأسلوب مؤكد مثير لانتباه المدعو وإحساسه . فوازن - عليه الصلاة والسلام - بين تلك الرائحة المستكرهة طبعاً والتي تنبعث من فم الصائم بعد الزوال ، وبين رائحة المسك ، تلك الرائحة الطيبة الزكية التي تنتشرح لها النفوس وتنتشي ، وجعل صلى الله عليه وسلم رائحة فم الصائم أحب وأطيب عند الله تعالى ، وهذا الأسلوب فيه بيان جلي واضح لفضل الصيام فإذا كانت تلك الرائحة المستكرهة التي تخرج من فم الصائم بسبب خلو المعدة من الطعام ، محبوبة عند الله ، وتقرَّب منه وتكون سبباً لرضاه . فإن المسلم يحرص غاية الحرص على إقامة صيام الفريضة على الوجه الذي يُرضي الله ، ويتزود من صيام النفل ما استطاع إلى ذلك سبيلاً .

- (١) - " والصَّيَّامُ جُنَّةٌ " : أي وقاية وستر ، بقي صاحبه ما يؤذيه من الشهوات . ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (٣٠٨/١) مادة : (جنن) ، " حاشية السيوطي على سنن النسائي " (٤٧٢/٤) .
- (٢) - " يرفث " : الرفت كلمة جامعة لكل ما يريد الرجل من المرأة ، وقيل الكلام الفاحش . ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (٢٤١/٢) مادة : (رفث) ، " حاشية السيوطي على سنن النسائي " (٤٧٢/٤) .
- (٣) - " يصخب " : الصَّخْبُ والسَّخْبُ : الضَّجَّةُ ، الصَّاخَّةُ : الصيحة التي تَصْحُخُ الأسماع : أي تفرعها وتُصْمِيئُهَا . ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (١٤/٣) مادة : (صخب) .
- (٤) - " لخلوف فم الصائم " : الخلوف تغير رائحة الفم . وأصلها في النبات أن ينبت الشيء بعد الشيء ؛ لأنها رائحة حدثت بعد الرائحة الأولى . يقال خلف فمه يخلف خلفه وخلُوفاً . ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (٦٧/٢) مادة (خلف) .
- (٥) - " المسك " : ضرب من الطيب يتخذ من ضرب من الغزلان . ينظر : " المعجم الوسيط " (ص/٨٦٩) مادة : (مسك) .
- (٦) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الصوم ، باب : فضل الصوم (٥٦٤/٢) ، ح (١٨٩٤) ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الصيام ، باب فضل الصيام ، (٦٦٣/٢) ، ح (١٦٣/١١٥١) واللفظ له .

ومعلوم أن الله تعالى مُنَزَّه عن استطابة الرِّوَّاح واستلذاها ، لكن الرسول ﷺ عبَّر برائحة المسك لتقريب ذلك إلى أذهان المدعويين ، وللدلالة على القبول والرضا من الله تعالى لتلك الرائحة التي يستكرهها النَّاس ، يؤيد ذلك ما ذكره الإمام القرطبي في شرحه على صحيح مسلم حيث قال : « لا يتوهم : أن الله تعالى يستطيب الرِّوَّاح ، ويستلذها ، كما يقع لنا من اللذة والاستطابة ؛ إذ ذاك من صفات افتقارنا ، واستكمال نقصنا ، وهو الغني بذاته ، الكامل بجلاله وتقدسه . على أننا نقول : إنَّ الله تعالى يُدرك المُدركات ، ويُبصر المبصرات ، ويسمع المسموعات على الوجه اللائق بجماله وكماله وتقدسه عن شبه مخلوقاته ، وإنما معنى هذه الأطيبة عند الله تعالى راجعة إلى أنَّ الله تعالى يُثيب على خُلوف فم الصائم ثواباً أكثر مما يثيب على استعمال روائح المسك ، حيث ندب الشَّرْع إلى استعماله فيها كالجمع والأعياد وغير ذلك » (١) .

وقد أجاد الدكتور عبدالباري طه في كلامه على الحديث من الوجهة البلاغية ، حيث يقول : « فيه دلالة على أن طيب الرائحة وأرجها قد جمع بين المسك وخلفة فم الصائم ، وأنَّ ما اتفق النَّاس على علوه في استطابة النفوس إليه وانشراحها به وأنسها وانتشائها إنما هو أدنى منزلة في هذا عند الله تعالى من خلفه فم الصائم ، تلك الخلفة التي قد تَنفّر بعض النفوس فتري فيها ما يَقْبِضُهَا ويدخل الوحشة فيها ، وفي هذا تعليم للأمة ألا تنظر في الأشياء على ما يبدو لها منها وإنما تنظر إلى منازعها ومبعثها والغاية التي رمي بها إليها ، فليست العبرة في الإسلام وموازينه بما تحسُّ النفوس وتدرِّك الحواس من ظواهر الأشياء ، بل بما تعيه القلوب وتدرِّكه الألباب من كنه الأشياء وحقائقها . فالإتيان بصورة المعنى في هذا الحديث على ذلك النحو فيه ما لا يكون لأزاهير التشبيه أن تتفق عنه ، وما لا يكون لأطياره أن تتناغى به ، فهو فوق الجمع بين المسك وخلفة فم الصائم في طيب الرائحة وعلو الخلفة عليه .. وفيه دفع للمسلم أن يحرص على تلك الخلفة ففيها مرضاة ربه ، فشأن الحبيب إذا علم أن حبيبه يعشق عطرأ أن يصطفيه فلا يقابله إلا وقد لفتهُ شذاه وسبقه إليه عرفه وأرجه » (٢) .

(١) - " المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم " لأبي العباس أحمد بن عمر القرطبي ، (٢١٥/٣ - ٢١٦) ، بتحقيق : محيي الدين مستو وآخرون ، طبعة : دار ابن كثير ، الكلم الطيب ، دمشق ، الطبعة الأولى

١٤١٧هـ .

(٢) - " أثر التشبيه في تصوير المعنى " ، (ص/١٦٤) .

أعود فأقول : إن تلك الموازنة الحسية من الرسول ﷺ بين رائحة قم الصائم ، ورائحة المسك كان لها تأثير قوي على المخاطبين من صحابة رسول الله ﷺ ، فكانوا أفضل الناس تعظيماً وحباً لشهر الصيام ، وأكثرهم حرصاً على صيام التطوع فمنهم من كان يتابع الصيام كعبدالله بن عمرو بن العاص - ﷺ - ومنهم من يتمنى طول البقاء في الدنيا لصيام الهواجر ، يُروى عن معاذ بن جبل (١) - ﷺ - أنه كان يقول وهو على فراش الموت : « اللهم إنك تعلم أنني لم أكن أحب البقاء في الدنيا ولا طول المكث فيها لجري الأنهار ولا لغرس الأشجار ولكن كنت أحب البقاء لمكابدة الليل الطويل ، وظماً الهواجر في الحرّ الشديد ، ولمزاحمة العلماء بالركب في حلق الذكر » (٢) .

وقد رغب ﷺ في الصيام بصور حسية مؤثرة متنوعة أخرى ، فتارة يستخدم المسافات ، وتارة يستخدم الأرقام ، فعن أبي أمامة - ﷺ - أن النبي ﷺ قال : « من صام يوماً في سبيل الله جعل الله بينه وبين النار خندقاً كما بين السماء والأرض » (٣) .

وعن أبي سعيد الخدري - ﷺ - قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يصوم عبداً يوماً في سبيل الله إلا باعد ذلك النار عن وجهه سبعين خريفاً » (٤) .

(١) - هو : معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي ، أبو عبدالرحمن ، صحابي جليل ، كان أعلم الأمة بالحلال والحرام ، وأحد الستة الذين جمعوا القرآن في عهد الرسول ﷺ ، شهد العقبة ، وشهد بدر ، والمشاهد كلها مع الرسول ﷺ بعنه قاضياً ومرشداً لأهل اليمن ، ثم عاد إلى المدينة بعد وفاته ﷺ ، ولأه عمر على الشام ، ومات بها سنة ١٨هـ ، روى عن الرسول ﷺ ١٥٧ حديثاً . ينظر : " أسد الغابة " (٣٧٦/٤) ، " الإصابة " (١٠٧/٦) .

(٢) - " حلية الأولياء وطبقات الأصفياء " لأبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني (١١٩/٥) دراسة وتحقيق مصطفى عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط : ١ ، ١٤١٨هـ .

(٣) - أخرجه الإمام الترمذي في " سننه " ، أبواب الجهاد ، باب ما جاء في فضل الصوم في سبيل الله ، (١٦٧/٤) ، ح (١٦٢٤) وقال عنه : هذا حديث غريب من حديث أبي أمامة ، إلا أن الشيخ الألباني صححه في " صحيح سنن الترمذي " ، وقال عنه : " حسن صحيح " ، (١٢٤/٢) ، ح (١٣٢٥) ، وحسنه في " صحيح الترغيب والترهيب " (٤١٤/١) ، وهو في سلسلة الأحاديث الصحيحة " (١٠٠/٢) ح (٥٦٣) .

(٤) - أخرجه الإمام الترمذي في " سننه " كتاب فضائل الجهاد ، باب ما جاء في فضل الصوم في سبيل الله ، (١٦٦/٤) ح (١٦٢٣) ، وقال عنه : " حديث حسن صحيح " وصححه الألباني في " صحيح سنن الترمذي " (١٢٤/٢) ح (١٤٢٤) وهو في " صحيح الترغيب والترهيب " (٤١٤/١) ح (٩٧٨) .

**المطلب الثالث : استخدام المنهج الحسيّ لبيان أحكام الحجّ**

**والجهاد .**

وفيه مسلكان :

**المسلك الأول : بيان بعض أحكام الحج بالمنهج الحسيّ .**

**المسلك الثاني : بيان فضل الجهاد في سبيل الله بالمنهج**

**الحسيّ .**

## المسلك الأول

### بيان بعض أحكام الحج بالمنهج الحسي

الحجُّ هو قصد البيت الحرام على وجه التعظيم بأفعال مخصوصه ، وفي زمن مخصوص <sup>(١)</sup> . وهو من القواعد والأسس التي قام عليها بناء الإسلام ، قال ﷺ : « بني الإسلام على خمس ... وحج البيت » <sup>(٢)</sup> .

وقرن الله تعالى وجوبه بالاستطاعة والقدرة على أدائه قال سبحانه : ﴿ والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ﴾ <sup>(٣)</sup> ، ومع ذلك فإن وجوبه في العمر مرة واحدة ، وما زاد على ذلك يعتبر تطوعاً ، يدل لذلك ما رواه أبو هريرة - رضى الله عنه - قال : خطبنا رسول الله ﷺ فقال : «أيها الناس ! قد فرض الله عليكم الحجَّ فحجُّوا» فقال رجل : أكل عام يا رسول الله ! فسكت حتى قالها ثلاثاً . فقال رسول الله ﷺ : « لو قلت نعم لوجبت ، ولما استطعتم » ، ثم قال « ذروني ما تركتكم ، فإنما أهلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم ، واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه » <sup>(٤)</sup> .

والرسول ﷺ بين أحكام الحج ، وكل ما يتعلق به من أركان ، وواجبات وسنن ، ومحظورات ، وكان - عليه الصلاة والسلام - يستخدم في بيانه وتعليمه للناس مناسك الحج ، بعض المحسوسات المعروفة عندهم لتقريب البعيد ، وبيان المشكل ، وإيضاح الغامض ، وإبراز فضل الحج على كثير من العبادات ، وبما أن الحج عبادة تحتاج إلى الاقتداء والتطبيق العملي ، كما فعل رسول الله ﷺ مع أصحابه - رضى الله عنه - فسيكون بيان المنهج الذي سلكه الرسول ﷺ في دعوته لتوضيح بعض أحكام الحج من خلال عرضي للأمريين الآتيين :

- (١) - ينظر : " فتح الباري " (٤٤٢/٣) ، " عمدة القارئ " (٣٨٦/٧) ، " توضيح الأحكام من بلوغ المرام " تأليف / عبدالله البسام ، (٢٥٣/٣) .
- (٢) - متفق عليه : " سبق تخريجه " ( ص / ١٩١ ) .
- (٣) - سورة آل عمران ، جزء من الآية : (٩٧) .
- (٤) - أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب الحج ، باب فرض الحج مرة في العمر ، (٧٩٥/٢) ، ح (١٣٣٧) .

### أولاً : التعليم بالقدوة بياناً وتطبيقاً

الرَّسول ﷺ هو صاحب السَّيرة الحسنة والخلق العظيم ، فكان إذا أمر بشيء عمل به أولاً ، والناس بعمله يقتدون ، فكان بحق قدوة حسنة لعباد الله ، كما حكى الله تعالى عن ذلك بقوله : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ﴾ (١) .

« ولا ريب أنَّ التعليم بالفعل والعمل أقوى وأوقع في النفس ، وأعون على الفهم والحفظ ، وأدعى إلى الاقتداء والتأسي ، من التعليم بالقول والبيان ، وأنَّ التعليم بالفعل والعمل هو الأسلوب الفطري للتعليم ، فكان ذلك أبرز وأعظم أساليبه ﷺ في التعليم » (٢) .

يدلُّ لذلك ردُّ الجُلندي - ملك عُمان (٣) على عمرو بن العاص (٤) - ﷺ - عندما بعثه الرسول ﷺ يدعوهُ إلى الإسلام ، فقال : « لقد دُئني على هذا النَّبِيِّ الأُمِّيِّ : أنَّه لا يأمر بخير إلا كان أول أخذ به ، ولا ينهى عن شرٍّ إلا كان أول تاركٍ له ، وأنه يَغْلِبُ فلا يَنْطُرُ ، ويَغْلِبُ فلا يَهْجُرُ - أي لا يقول القبيح من الكلام - وأنَّه يفي بالعهد ، وينجز الوعد ، وأشهد أنه نبي » (٥) .

وكان التعليم بالقدوة هو السُّمة البارزة في بيان الرَّسول ﷺ للنَّاس مناسك الحج والعمرة ، فإهلاله بالحج ، وكيفية لبسه للإحرام ، وطوافه بالبيت ، وسعيه بين الصفا والمروة ، ووقوفه بعرفة ، ونزوله بمزدلفة ، ورميه للجمرات ، ونحره

(١) - سورة الأحزاب ، الآية : (٢١) .

(٢) - الرسول المعلم ﷺ وأساليبه في التعليم " للشيخ / عبدالفتاح أبو غنَّدة ، (ص/٦٥) طبعة دار البشائر الإسلامية ، بيروت - لبنان ، ط : ٢ ، ١٤١٧هـ ، وينظر أيضاً : " الوسائل التعليمية في القرآن والسنة والآثار عن الصحابة " د . عبدالرحمن بن محمد بلعوص ، وهو بحث منشور في " مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية " (ص/٤٦٢) العدد الثالث عشر ، ذو القعدة ، ١٤١٥هـ .

(٣) - هو : الجُلندي بن المستكبر بن الحرَّاز بن عبدالعزيز بن معولة بن عثمان بن زهران الأزدي العُماني ، كان ملك عمان ، أسلم هو وابناه : يقر ، وعبدُ علي يد عمرو بن العاص وأسلم بإسلامهم بشر كثير ، ولم يرو النَّبِيَّ ﷺ . ينظر : " أسد الغابة " (٣١٣/١) ، " الإصابة " (٦٣٧/١ - ٦٣٨ ، ٦٤٠ - ٦٤١) .

(٤) - هو : عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن كعب بن لؤي القرشي السهمي ، أبو عبدالله ، وقيل : أبو محمد ، داهية قريش ، ورجل العالم ، من يُضرب به المثل في الفطنة والذَّهاء ، والحزم ، أسلم قبل الفتح في صفر سنة ثمان ، هاجر إلى رسول الله ﷺ مسلماً في أوائل سنة ثمان ، وفرح الرسول ﷺ بقدومه ، أمره الرسول ﷺ على بعض الجيوش ، وجهزه للغزو ، افتتح إقليم مصر وولي أمرته زمن عمر بن الخطاب ، وصدرًا من دولة عثمان بن عفان ، ثم أعطاه معاوية الإقليم ، وأطلق له مغلَّة ست سنين لكونه قام بئصرته ، توفي سنة (٤٣هـ) . ينظر : " سير أعلام النبلاء " (٣/٥٤ - ٧٧) ، " الإصابة " (٥٣٧/٤ - ٥٤١) .

(٥) - " الإصابة في تمييز الصحابة " لابن حجر (١/٦٣٧) .



للهدى ، وغير ذلك من أحكام الحج التي طبّقها الرسول ﷺ عملياً ، والصّحابة -  $\text{رضي الله عنهم}$  - يرونه ويقنطون بفعله ، ولحرصه -  $\text{رضي الله عنه}$  - على التوسعة على أمّته ، في الوقوف بعرفة ، ومزدلفة ، والنحر ، نبّه الصحابة -  $\text{رضي الله عنهم}$  - حتى لا يفهم عنه أنّه لا يُجزئ أداء النّسك إلا في موقفه  $\text{رضي الله عنه}$  ، ولذلك قال  $\text{رضي الله عنه}$  : « نحرنا هاهنا ، ومنى كلّها منحر ، فاتحروا في رحالكم ، ووقفت هاهنا وعرفة كلّها موقف ووقفت هاهنا . وجمّع (١) كلّها موقف » (٢) .

وسيتضح - إن شاء الله تعالى - منهج الرسول ﷺ في دعوة الناس بالقُدوة العملية في الحج في المثاليين التاليين :

#### أ - مخالفة هدي المشركين في الدّفع من عرفة والمشعر الحرام :

عن المسور بن مخرمة (٣) -  $\text{رضي الله عنه}$  - قال خطبنا رسول الله ﷺ بعرفة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أمّا بعد فإنّ أهل الشرك والأوثان كانوا يدفعون من هاهنا (٤) عند غروب الشّمس حيث تكون الشّمس على رؤوس الجبال مثل عمائم الرّجال على رؤوسها فهديّنا مخالفاً لهديهم ، وكانوا يدفعون من المشعر الحرام (٥) عند طلوع الشّمس على رؤوس الجبال مثل عمائم الرّجال على رؤوسها فهديّنا مخالفاً لهديهم » (٦) .

وفي هذا الحديث أعلن الرسول ﷺ مخالفته لهدى المشركين في الدّفع من عرفة وقد حدّد المكان بإشارة محسوسة حيث قال وهو بعرفة « أما بعد فإنّ أهل الشرك والأوثان كانوا يدفعون من هاهنا » وحدّد الوقت الذي كانوا يدفعون فيه بقوله « عند غروب الشمس على رؤوس الجبال مثل عمائم الرّجال على رؤوسها » وهذه الأمور

(١) - " جَمَعَ " : وهي المزدلفة - بفتح الجيم . ينظر : " مشارق الأنوار على صحاح الآثار " للقاضي عياض (١٩٦/١) مادة : (جمع) .

(٢) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " عن جابر -  $\text{رضي الله عنه}$  - كتاب الحج ، باب ما جاء أنّ عرفة كلها موقف (٧٢٨/٢) ح (١٤٩/١٢١٨) .

(٣) - هو المسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي الزهري ، أبو عبدالرحمن ، أمّه الشفاء بنت عوف أخت عبدالرحمن بن عوف ، روى عن النبي ﷺ ، وعن أبيه وخاله عبدالرحمن بن عوف وأبي بكر وعمر بن الخطاب ، وأبي هريرة ، وابن عباس ، وغيرهم ، ولد بعد الهجرة بسنتين ، وقدم المدينة في ذي الحجة بعد الفتح سنة ثمان ، وهو غلام ابن ست سنين ، كان يلزم عمر بن الخطاب ، وكان من أهل الفضل والدين ، قيل انه توفي في حصار ابن الزبير سنة ٦٤هـ ، أو ٦٥هـ ، ينظر : " الإصابة " (٩٣/٦) ، " تهذيب التهذيب " (٤٢٢/٥) .

(٤) - " من هاهنا " أي من عرفة .

(٥) - " المشعر الحرام " أي مزدلفة .

(٦) - أخرجه الإمام الحاكم في " المستدرک " كتاب التفسير ، (٣٠٤/٢) ح (٣٠٩٧) وقال عنه : " هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه " وواقفه الذهبي .

محسوسة لديهم لأنها شمس ، وجبال وعمائم رجال ، وهم أهل مكة والحديث بعرفة وقد بين الرسول ﷺ الوقت الذي يرتضيه بفعله حيث استمر بموقفه بعرفة « حتى غربت الشمس وذهبت الصفرة قليلاً » (١) .

هذا بعرفة ، وأما المشعر فوقف فيه إلى الإسفار ولم يتحرّ طلوع الشمس ، خلافاً لما كان أهل الجاهلية يفعلونه من تعجل في الدّفع من عرفة ، وتأخر في الدّفع من المشعر ولذا قال في آخر الحديث « فهدّيتنا مخالف لهديهم » .

### ب - هديه ﷺ في رمي الجمار :

عن جابر بن عبدالله - رضي الله عنه - قال : رأيت رسول الله ﷺ يرمي على راحلته يوم النحر ويقول لنا : « لتأخذوا عني مناسككم ، فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجّتي هذه » (٢) .

ففي هذا الحديث بين الرسول ﷺ كيفية رمي الجمار بالتطبيق العملي ، والمخاطبون من الصحابة يرون فعله ويسمعون كلامه ، لأنه يرمي وهو على راحلته بائن للناس ، ليقتدوا به ، ولذلك قال ﷺ : « خذوا عني مناسككم » ، أي اقتدوا بي في جميع المناسك ، يقول الإمام القرطبي - رحمه الله - « وهو أمرٌ للاقتداء به ، وحوالة على فعله الذي وقع به البيان لمجملات الحجّ في كتاب الله . وهذا كقوله ﷺ : « صلّوا كما رأيتموني أصلي » (٣) ... وكونه ﷺ رمى ركباً ليظهر للناس فعله » (٤) . ولما رأى الرسول ﷺ تضرر الناس وازدحامهم عند الجمار ، ومبالغتهم في حصى الرمي ، نهاهم عن أذية بعضهم ، وبين لهم مقدار الحصى التي يرمون بها الجمرات ، فقال ﷺ : « يا أيها الناس ! لا يقتل بعضكم بعضاً ، وإذا رميتم الجمره فارموا بمثل حصى الخذف » (٥) (٦) .

(١) - من حديث جابر عند الإمام مسلم ، وقد سبق تخريجه قريباً (ص/١٩٧) .

(٢) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الحج ، باب رمي جمرة العقبة ، (٧٦٩/٢) ح (١٢٩٧) .

(٣) - " المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم " (٣/٣٩٩) .

(٤) - " المرجع السابق " (٣/٣٩٩ ، ٤٠٠) .

(٥) - " الخذف " : هو رميك حصاة أو نواة تأخذها بين سبابتك وترمي بها ، ومعنى ذلك أن الخذف حصى صغار ، كحب البندق ، والحمص ، ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (١٦/٢) مادة خذف ، " المفهم " (٣/٤٠١) بتصريف يسير .

(٦) - أخرجه الإمام أبو داود في " سننه " كتاب المناسك ، باب رمي الجمار ، (٤٩٤/٢) ح (١٩٦٦) وحسنه الشيخ الألباني في " صحيح سنن أبي داود " (١/٥٥١) ح (١٩٦٦) .

فحدّد لهم ﷺ المقدار المشروع في الرمي بالتمثيل الحسي ، بقوله ﷺ : « فارموا بمثل حصى الخذف » ، وقد طبّقه عملياً بنفسه ورآه الناس ، يقول جابر بن عبدالله - رضى الله عنه - : « رأيت النبي ﷺ رمى الجمرة بمثل حصى الخذف » (١) .

يقول الإمام القرطبي - رحمه الله - : « واختلف في مقدارها ، وكلهم يكرهون الكبار ؛ لما جاء عنه ﷺ أنه قال في هذا : « إياكم والغلو في الدين » (٢) » (٣) .

وهكذا كان ﷺ حريصاً على أن يكون بارزاً للناس ليقبّلوا به في جميع مناسك الحج ، ولذلك كان راكباً على ناقته القصواء في معظم المناسك ليراه الناس ويعملوا عمله .

ومما يدلّ على أنّ التعليم بالقدوة له أثر عظيم في النفوس واستجابة سريعة في التطبيق والامتثال ، ما وقع في قصة الحديبية ، عندما أمر الرسول ﷺ الصحابة - بالتحلل من العُمرة ، فلم يمتثلوا ، فغضب لذلك ، يروي الإمام البخاري في "صحيحه" ، أنّ رسول الله ﷺ لما فرغ من قضية الكتاب قال لأصحابه : « قوموا فانحروا ثم احلقوا » . قال : فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات ، فلم يَقم منهم أحد ، فدخل على أم سلمة - رضي الله عنها - فذكر لها ما لقي من الناس ، فقالت أم سلمة : ياتبي الله ، أتُحبُّ ذلك ، اخرج لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بُدُنك ، وتدعو حالقك فيحلقك . فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك ، نحر بُدُنَه ، ودعا حالقه فحلقه ، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضهم غمّاً ... » (٤) .

والشاهد في الحديث : فعل الرسول ﷺ ومباشرته للنحر والحلق ، وسرعة استجابة الصحابة - رضى الله عنهم - في الاقتداء بالرسول ﷺ ، مع ما في نفوسهم من الغمّ والمشقة في أمر الصلح ، ورجوعهم بغير فتح .

(١) - أخرجه الإمام مسلم في "صحيحه" كتاب الحج ، باب استحباب كون حصى الجمار بقدر حصى الخذف (٧٧٠/٢) ح (١٢٩٩) .

(٢) - أخرجه الإمام النسائي في "سننه" كتاب المناسك ، باب التقاط الحصى ، (٢٩٦/٥) ح (٣٠٥٧) ، والإمام ابن ماجه في "سننه" كتاب المناسك ، باب قدر حصى الرمي ، (٤٨٠/٣) ح (٣٠٢٩) ، والإمام الحاكم في "المستدرک" كتاب المناسك ، باب : رمي الجمار مقدار الحصى ، (٢٣٧/١) ح (١٧١١) وقال : " هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه " ، وصححه الشيخ الألباني في "صحيح سنن ابن ماجه" (٤٩/٣) ح (٢٤٧٣) مكتبة المعارف ، الرياض ، ط : ١ ، ١٤١٩هـ ، وصححه أيضاً في "سلسلة الأحاديث الصحيحة" (٢٧٨/٢) ح (١٢٣) .

(٣) - "المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم" (٤٠١/٣) .

(٤) - كتاب الشروط ، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب ، كتابة الشروط (٨٣٧/٢) ح (٢٧٣١ - ٢٧٣٢) .

ويعلق الإمام العيني - رحمه الله - على عدم امتثال الصحابة لأمر رسول الله ﷺ ، فيقول : « هذا لم يكن منهم مخالفة لأمره ﷺ ، وإنما كانوا ينتظرون إحداث الله تعالى لرسوله ﷺ خلاف ذلك فيتم لهم قضاء نسكهم ، فلما رأوه جاز ما قد فعل النحر والحلق علموا أنه ليس وراء ذلك غاية تنتظر فبادروا إلى الائتثار بقوله ، والإيتساء بفعله » (١) .

وبالجملة فالدعوة والتعليم بالقُدوة العملية له أثر قوي في النفوس ، لأنه يعتمد على المشاهدة الحسية المباشرة ، وبما أن هذا الأسلوب الدعوي بهذه المكانة فحريّ بالدعاة إلى الله تعالى ، أن يقتفوا أثر نبيهم ﷺ ، ويحرصوا على تطبيق الإسلام تطبيقاً عملياً في جميع شؤون حياتهم ، حتى يتأسى الناس بهم ، ويكون لدعوتهم قبولاً عندهم .

### ثانياً : بيان فضل الحج والعمرة

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال سمعت النبي ﷺ يقول : « من حجَّ لله فلم يرفث ولم يفسق (٢) رجع كيوم ولدته أمه » (٣) .

كما هو واضح في هذا الحديث أن من كان حجّه خالصاً لوجه الله تعالى ، وابتعد عن اقتراف الآثام ، فإنه يعود من حجّه وقد غُفر له ، وذلك أن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً صواباً ، قال تعالى : ﴿ لِيَبْلُوكُمْ أَيَكْمَ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ (٤) .

وعن أبي أمامة الباهلي - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : « ... إن الله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً ، وابتغى به وجهه » (٥) .

(١) - " عمدة القارئ شرح صحيح البخاري " (٢٤٣/١١) ، وينظر أيضاً : " زاد المعاد في هدي خير العباد " لابن قيم الجوزية (٣٠٨/٣) .

(٢) - " الفسق " قيل : هو الخروج عن الاستقامة ، وبه سمي العاصي : فاسقاً ، وقيل : هو اسم جامع لكل خروج عن طاعة الله . ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (٤٤٦/٣) ، " إحياء علوم الدين " (٤٠٨/١) .

(٣) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الحج ، باب فضل الحج المبرور ، (٤٥٥/١) ح (١٥٢١) ، واللفظ له ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الحج ، باب فضل الحج والعمرة ويوم عرفة ، (٨٠٢/٢) ، ح (١٣٥٠) .

(٤) - سورة الملك ، جزء من الآية : (٢) .

(٥) - أخرجه الإمام النسائي في " سننه " كتاب الجهاد ، باب من غزا يلتمس الأجر والذكر ، (٣٣٣ ، ٣٣٢/٦) ، ح (٣١٤٠) ، وقال عنه الشيخ الألباني ، في " صحيح سنن النسائي " " حسن صحيح " (٣٨٣/٢) ، (٣٨٤ ح (٣١٤٠) ، وصححه في كتابه " صحيح الترغيب والترهيب " (٦/١) ح (٦) ، وهو في " سلسلة الأحاديث الصحيحة " (٨١/١) ح (٥٢) .

والرَّسُول ﷺ عبَّر عن فضل الحج في تكفير الذنوب بأمر حسي عن طريق التشبيه التمثيلي ، كما أشار إلى ذلك الإمام العيني بقوله : « أي رجوع مشابهاً نفسه في البراء من الذنوب كيوم ولدته أمه » (١) .

ويقول الدكتور عبدالباري طه : « فقد شبَّه حاله عند رجوعه من حجٍّ لا رفث فيه ولا فسوق بحاله عند ولادته لا إثم عليه طهره الله من كلِّ شائبة ، .. فهو تشبيه تمثيلي » (٢) .

وبهذه يكون الرَّسُول ﷺ قد قرَّب أثر الحج الخالص إلى ذهن المخاطب في صورة حسية منتزعة من الأسرة التي يعيش فيها ، وكما يكون الشوق قوياً لأداء هذه العبادة عند سماع هذا الخطاب النبوي المؤثر .

وقد بين الرسول ﷺ ذلك الفضل العظيم للحج ، بصور حسية متعددة ، غايتها الترغيب والتشويق لأداء هذه العبادة فرضاً ونفلاً ، فعن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « تابعوا بين الحجِّ والعمرة فإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذَّنُوبَ ، كما ينفي الكير (٣) خبث الحديد والذهب ، وليس للحجَّة المبرورة ثواب إلا الجنَّة » (٤) .

إنه تشبيه في غاية الروعة والجمال ، فشبَّه الحج والعمرة بكير الحدَّاد الذي يُوقد فيه النار لإزالة خبث الحديد والذهب والفضة ، فهما يُذهبان الفقرَ والذنوبَ والخطايا كما يُذهب الكير خبث الحديد ، وهذه صورة حسية معروفة ، منتزعة من بيئة المخاطبين ، ومثله قول الرسول ﷺ : « ... إنَّ المدينة كالكير تُخْرَجُ الخبيث ، لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها كما ينفي الكيرُ خبث الحديد » (٥) .

ولعلَّ الغرض من التشبيه هنا بيان قيمة المدينة المنورة وفضلها (١) ، كما أنَّه في الحديث السابق أيضاً لبيان فضل الحج والعمرة .

- (١) - عمدة القارئ شرح صحيح البخاري " (٤٠٣/٧) .
- (٢) - أثر التشبيه في تصوير المعنى " (ص/١٧٥) .
- (٣) - " الكيرُ " بالكسر : كير الحدَّاد وهو المبنى من الطين ، وقيل : السَّرَق الذي يُنْقَسَخُ به النَّارُ ، والصحيح الأول . ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (٢١٧/٤) مادة : (كير) . بتصرف يسير .
- (٤) - أخرجه الإمام الترمذي في " سننه " كتاب الحج ، باب ما جاء في ثواب الحج ، (١٧٥/٣) ح (٨١٠) وقال عنه : حديث حسن صحيح غريب ، من حديث عبدالله بن مسعود ، وصححه الشيخ الألباني في " صحيح سنن الترمذي " (٢٤٤/١) ، ح (٦٥٠) وقال عنه : " حسن صحيح " .
- (٥) - أخرجه الإمام مسلم في : " صحيحه " كتاب الحج ، باب المدينة تنفي شرارها ، (٨١٦/٢) ح (١٣٨١) .
- (٦) - " أثر التشبيه في تصوير المعنى " (ص/١٨٠) .

وقد رعب الرسول ﷺ في الحج بصورة حسية أخرى ، حيث قال : « حُجُّوا ، فإنَّ الحجَّ يغسل الذنوب كما يغسل الماء الدرن » (١) . (٢) .

فالرسول ﷺ شبه الحجَّ في تطهيره للمسلم من الذنوب والخطايا بالماء الصافي الذي تزال به الأقدار والأوساخ ، وكل أحد من المخاطبين يُدركُ هذا التشبيه ولا يخفى عليه شيء من مدلوله ، مما يجعل النَّفس مشرئبة ، ومُحيِّة لهذه العبادة العظيمة .

وهكذا يُصور الرسول ﷺ الأمور المعنوية في صور حسية ، يعرضها على المخاطب ، وكأنه يراها بعينه ، وقد رأينا ذلك واضحاً جلياً في ترغيبه ﷺ في الحجَّ والعمرة ، وغيرهما من الأحكام والعبادات التي سبق بيانها .

(١) - " الدرّن " : الوسخ . ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (١١٥/٢) مادة (درن) .

(٢) - " الترغيب والترهيب من الحديث الشريف للحافظ زكي الدين عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري " كتاب الحج ، (٦٦/٢) ح (١٤) ، وعزاه إلى " الأوسط " للطبراني . وحسنه الشيخ الألباني ، بذكر ذلك تعليقاً على أصل الكتاب والذي لم يطبع إلى الآن فيما أعلم ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط : ٣ ، ١٣٨٨هـ .

## المسلك الثاني

### بيان فضل الجهاد في سبيل الله بالمنهج الحسي

الجهاد في سبيل الله تعالى فريضة إسلامية كتبها الله تعالى على الأمة الإسلامية لترفع لواء الحق ، وتزيل العوائق ، لانتشار الدعوة ، وحمايتها ، لأن القوة نصير الحق ، بها يثبت في الأرض ، ومنها يستمد الاستمرار في الحياة ، وقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين بإعداد تلك القوة بقدر الاستطاعة ، قال سبحانه : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل تُرهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ﴾ (١) .

يقول العلامة السعدي - رحمه الله - : « أي ( وأعدوا ) لأعدائكم الكفار الساعين في هلاككم ، وإبطال دينكم ، ( ما استطعتم من قوة ) أي كل ما تقدر عليه ، من القوة العقلية والبدنية ، وأنواع الأسلحة ، ونحو ذلك ، مما يعين على قتالهم ، فدخل في ذلك أنواع الصناعات التي تعمل فيها أصناف الأسلحة والآلات من المدافع ، والرشاشات ، والبنادق ، والطائرات الجوية ، والمراكب البرية والبحرية .. وتعلم الرمي ، والشجاعة والتدبير » (٢) .

نعم إنه لا بد للإسلام من قوة ينطلق بها في الأرض لتحرير الإنسان من العبودية للبشر ، إلى عبادة الله وحده ، وتكون هذه القوة مُرْهبة لأعداء الله حتى لا يفكروا في الاعتداء على ديار الإسلام ، ولا يقفوا في وجه الحق عند انتشاره في الأرض (٣) ومن الإعداد التدريب على الرمي الذي هو ملاك القوة العسكرية ، فعن عقبه بن عامر (٤) - رضي الله عنه - يقول : سمعت رسول الله ﷺ ، وهو على المنبر يقول :

- (١) - سورة الأنفال ، جزء من الآية : (٦٠) .
- (٢) - " تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان " اختصار / عبدالرحمن بن معلا اللويحق ، (ص/٢٨٥ - ٢٨٦) ، مؤسسة الرسالة ، - بيروت ، ط : ٢ ، ١٤١٧هـ .
- (٣) - ينظر : " في ظلال القرآن " لسيد قطب " (٣/١٥٤٣) بتصرف .
- (٤) - هو : عقبه بن عامر بن عبيس بن عمرو بن عدي الجهني ، صحابي جليل ، كان قارئاً عالماً بالفرائض والفقهاء ، فصيح اللسان شاعراً ، له السابقة والهجرة ، وهو أحد من جمع القرآن ، ومصحفه بمصر على غير التأليف الذي في مصحف عثمان ، ولي إمرة مصر من قبل معاوية ، وتوفي في آخر خلافة معاوية سنة ٥٨هـ . ينظر : " تهذيب التهذيب " (٤/١٤٨) ، " الإصابة " (٤/٤٢٩ - ٤٣١) .

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي ،  
ألا إن القوة الرمي » (١) .

وليس الرمي كل القوة العسكرية لكنه أنكأها على العدو ، فإنه قد يرمى قائد  
المعركة ، فينهزم أصحابه ، ويسلم المسلمون من الخسائر البشرية والمادية (٢) .  
والجهاد وسيلة دعوية متميزة يبدأ بجهاد النفس وينتهي ببيعها في سبيل الله ،  
ولقد « كان رسول الله ﷺ في الذروة العليا منه فاستولى على أنواعه كلها ، فجاهد  
في الله حق جهاده بالقلب والجنان ، والدعوة والبيان والسيف والسنان » (٣) ، وهو -  
أي الجهاد - « يوضح الهدف الكبير الذي يسعى المسلمون إلى تحقيقه ، وهو حرية  
اعتناق الناس للإسلام في سائر أرجاء الأرض ، وتكوين القوة العسكرية والسياسية  
اللازمة لدعم هذه الحرية وحماية المسلمين الجدد » (٤) .

ومعلوم أن فضل الجهاد والشهادة في سبيل الله عظيم ، ولذلك فإن من يدخل  
الجنة لا يحب أن يخرج منها إلا المجاهد ، يُحب أن يعود إلى الدنيا يقتل مرات لما  
يرى من فضل الشهادة ، فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : « ما من  
أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا ، وأن له ما على الأرض من شيء غير  
الشهيد ، فإنه يتمنى أن يرجع فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة » (٥) . وفي  
رواية : « لما يرى من فضل الشهادة » (٦) .

وقد أوضح الرسول ذلك الفضل في صور حسية متنوعة ترغيباً وتشويقاً فيما  
أعدّه الله تعالى للمجاهدين من النعيم والأجر الجزيل في الآخرة ، ومن ذلك :

- (١) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الإمارة ، باب فضل الرمي والحث عليه ، وذم من علمه ثم نسيه . (١٢٠٨/٣) ح (١٩١٧) .
- (٢) - ينظر : " المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم " (٧٥٩/٣) بتصرف .
- (٣) - " زاد المعاد في هدي خير العباد " لابن قيم الجوزية ، (٣٨/٢) ، ينظر : " منهج الدعوة النبوية في المرحلة المكية " للشيخ علي بن جابر الحربي ، (ص/٣٢٥) ، طبعة الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة ، ط : ١ ، ١٤٠٦هـ .
- (٤) - " المجتمع المدني في عهد النبوة " للدكتور أكرم ضياء العمري (ص/١٨) مطبعة المدينة المنورة ، ١٤٠٤هـ .
- (٥) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الجهاد والسير ، باب : تمنى المجاهد أن يرجع إلى الدنيا ، (٨٧٢/٢) ح (٢٨١٧) ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الإمارة ، باب فضل الشهادة في سبيل الله تعالى . (١١٩٠/٣) ح (١٠٩/١٨٧٧) واللفظ له .
- (٦) - " المرجع السابق " (١١٩٠/٣) ح (١٨٧٧) .



### أولاً : الجهاد أفضل الطاعات

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قيل للنبي ﷺ : ما يعدل الجهاد في سبيل الله عز وجل ؟ . قال : « لا تستطيعونه » قال : فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثاً ، كل ذلك يقول : « لا تستطيعونه » . وقال في الثالثة : « مثل المجاهد في سبيل الله كممثل الصائم القائم القانت بآيات الله . لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد في سبيل الله تعالى » (١) .

التمثيل في هذا الحديث قائم على الموازنة الحسية ، بين الجهاد في سبيل الله ، وبين طاعة لا يستطيع القيام بها المخاطب ، وكان سبب هذا التمثيل ، سؤال الصحابة - رضي الله عنهم - لرسول الله ﷺ عن عمل يعدل الجهاد ؟ فأجابهم - عليه الصلاة والسلام - أنهم لا يستطيعون ذلك ، ويتكرر الحوار مرتين أو ثلاثاً ، حتى إذا تهيات النفوس إلى السماع أجاب ﷺ بهذا التمثيل الرائع المقنع : « مثل المجاهد في سبيل الله كممثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد في سبيل الله تعالى » .

« يا الله !! من من الناس يستطيع هذا ؟ إذا تصورنا مجاهداً ظلَّ سنة في الجهاد ، فهل يستطيع إنسان أن يحصل على ما يعدل ثوابه ؟ هل يستطيع أن يبقى سنة في عبادة مستمرة لا نوم فيها ولا راحة ولا انقطاع عن أعمال الطاعة .. ؟ إن هذا أمرٌ مستحيل » (٢) .

والتشبيه الذي جاء به رسول الله ﷺ فيه إثارة قوية لأذهان المخاطبين ، لأنهم أهل الجهاد ويعلمون ما يقع فيه من التعب والمشقة والآلام الجسدية ، وهم أيضاً أهل صيام وصلاة وصدقة وذكر ودعاء وتلاوة للقرآن ، ويعلمون كذلك أن هذه العبادات فيها تعب ومشقة على النفس وهي متفرقة ، فما بالك وهي مستمرة لا يفتر صاحبها ليلاً ولا نهاراً حتى يرجع المجاهد ؟ ، بدهاهة إن هذا أمر لا تستطيع النفس البشرية تحمله ولا القيام به ، من أجل ذلك كان ثواب المجاهد عظيم ، لا يعدله عمل من الأعمال الصالحة ، يوضح هذا المعنى ما ثبت في " الصحيحين " عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : « جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : دُئني على عمل يعدل الجهاد ،

(١) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الجهاد والسير ، باب فضل الجهاد والسير ، (٨٦٢/٢) ح (٢٧٨٥) ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الإمارة ، باب فضل الشهادة في سبيل الله ، (١١٩٠/٣) ح (١٨٧٨) واللفظ له .

(٢) - " التصوير الفني في الحديث النبوي " ، مرجع سابق (ص/٣٣٨) .

قال : « لا أجذه » قال : « هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تَدْخُلَ مَنْجِدَكَ فتقوم ولا تَفْتَرُ وتصوم ولا تَفْطُر » ؟ قال : « ومن يستطيع ذلك ؟ ... » (١) .  
ومعنى ذلك « أن كل ما يصدر من المجاهد في حالتي نومه ويقظته ، وسكونه وحركته هو عمل صالح يُكْتَبُ له ثوابه دائماً ، بدوام أفعاله ، إذ لا يتأثى لغيره فيه ؛ لأنه على كل حال في الجهاد ، وملابس أحواله ، وذلك : أنَّ المجاهد إمَّا أن ينال من العدوَّ أو يغيظه ، أو يُروِّعه ، أو يُكْثِرُ سوادَ المسلمين ، أو يُصِيبُه نصباً أو مَخْمَصَةً ، وكل ذلك أعمال كثيرة لها أجور عظيمة » (٢) ، كما قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْنُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْحَسَنِينَ ﴾ (٣) .

ومما سبق اتضح أنَّ التشبيه الذي جاء به الرَّسول ﷺ عن طريق الموازنة الحسية كان له أثر قوي في نفوس المخاطبين ، لأنَّه أثار أموراً حسية يُمارسونها في حياتهم ، كالجهد وما فيه من التعب والنصب ، والصيام وما فيه من العطش والإحساس بألم الجوع ، وصلاة الليل ، وما فيها من السَّهر وطول القيام ، وبهذا المنهج الدَّعوي توصل الرَّسول إلى إقناع المدعوين بأنَّ الجهاد في سبيل الله تعالى عمل عظيم يفوق ما يَعْرِفه الناس من أعمال الطاعات ، وأنه لا تعدله طاعة أخرى .

### ثانياً : ريم المسك يفوم من جرم الشهيد يوم القيامة

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « والذي نفسي بيده ، لا يُكَلِّمُ (٤) أحدٌ في سبيل الله - والله أعلم بمن يُكَلِّمُ في سبيله - إلا جاء يوم القيامة ، اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِّ والرَّيْحُ رِيْحُ الْمِسْكِ » (٥) .

- (١) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الجهاد والسير ، باب فضل الجهاد والسير ، (٨٦٢/٢) ح (٢٧٨٥) ، واللفظ له ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الإمارة ، باب فضل الشهادة في سبيل الله (١١٩٠/٣) ح (١٨٧٨) .
- (٢) - " المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم " (٧٠٨/٣) .
- (٣) - سورة التوبة ، جزء من الآية : (١٢٠) .
- (٤) - " يُكَلِّمُ " الكَلْمُ : الجرح . ينظر " النهاية في غريب الحديث " (١٩٩/٤) مادة : (كلم) .
- (٥) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الجهاد والسير ، باب : من يخرج في سبيل الله عز وجل ، (٨٦٧/٢) ح (٢٨٠٣) ، واللفظ له ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الإمارة ، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله ، (١١٨٨/٣) ح (١٨٧٦) .

عند المخاطبين فقد قرر أنّ الجهاد فُواق ناقة يُوجبُ لصاحبه الجنة ، وهذه صورة جاءت عن طريق الكناية .... وهي مأخوذة من البيئة العربية التي تعتمد على الناقة<sup>(١)</sup> .

وهكذا يكون الترغيب في الجهاد في سبيل الله وبيان فضله ، بهذا المنهج الحسي المؤثر الذي يصور الأمور المعنوية بأمر حسية مشاهدة تجعل المخاطب أكثر شوقاً لطلب الشهادة في سبيل الله ، رجاءً فيما عند الله من الفضل العظيم ، والنزّل الكريم .

(١) - " التصوير الفني في الحديث النبوي " (ص/٣٧٦) .

## المبحث الثالث : استخدام المنهج الحسي

### لتقويم الأخلاق :

وفيه تمهيد ومطلبان :

**المطلب الأول : استخدام المنهج الحسي لبيان الأخلاق**

**المحمودة والحثّ عليها .**

**المطلب الثاني : استخدام المنهج الحسي لبيان الأخلاق**

**المذمومة والتحذير منها .**

## تمهيد :

لقد خلق الله بني آدم وركّز في نفوسهم غرائز الخير والشر وجعلهم مستعدين لقبول كل منهما ولكنهم يحتاجون إلى مؤثرات خارجية لتنمية غرائز الخير لديهم ، والتغلب على غرائز الشرّ والسيطرة عليها ؛ ومن أجل ذلك كانت بعثة الرّسول ﷺ وفي ذلك يقول الله تعالى ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويُزكّهم ويُعلّمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾ (١) .

والتزكية تتضمن تنمية غرائز الخير وتشجيعها ، ومحو غرائز الشرّ والسيطرة عليها ؛ ولذلك قال رسول الله ﷺ : (( إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ )) (٢) .

وقد سعى رسول الله ﷺ منذ بعثته إلى تقويم الأخلاق ، وتهذيبها ، بقوله وعمله فتَمَّ الله به كلّ فضيلة ، وأزاح به كلّ رذيلة فغرس في القلوب الأمانة ، والصبر ، والعفة ، وأبعد عنها الخيانة ، والكذب والبخل .

ومن الوسائل التي استخدمها الرّسول ﷺ لتحقيق هذا الهدف الأسمى ، الدعوة إلى الله بالمنهج الحسي ، حيث غرس في النفوس حبّ الأخلاق الفاضلة ، بإثارة الحواس بأمور حسية ، حوّلت المعاني المجردة إلى صور حسية ، كان لها عظيم الأثر في نفوس المدعوين ، وفي هذا المبحث أتناول بتوفيق الله تعالى - نماذج من الأحاديث المُشتملة على منهج حسي في موضوع الأخلاق ، سواء كانت حسنة للترغيب فيها والاستزادة منها ، أم سيئة للتحذير منها والابتعاد عنها ، ويشتمل هذا المبحث على تمهيد أعرّف فيه الخلق لغة واصطلاحاً وأبين أهمية الأخلاق في الإسلام ، ومطلبين أذكر في الأول نماذج من الأخلاق الفاضلة ، وفي الثاني نماذج من الأخلاق السيئة ، وذلك فيما يلي :

(١) - سورة الجمعة ، الآية : (٢) .

(٢) - أخرجه الإمام أحمد في " المسند " من حديث أبي هريرة ، (٥٠١/٢) ، ح (٨٩٢٧) ، والإمام الحاكم في " المستدرک " كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (٦٧٠/٢) ح (٤٢٢١) ، وصححه أيضاً الشيخ الألباني في " صحيح الجامع الصغير " (٤٦٤/١) رقم : (٢٣٤٩) .

### أ - تعريف الخلق لغةً واصطلاحاً

(( الخلق لغةً بضم اللام وسكونها : وهو الدِّين والطَّبَع والسَّجِيَّة ))<sup>(١)</sup>  
 (( والمروءة ))<sup>(٢)</sup> .

واصطلاحاً : عرفه الإمام الغزالي - رحمه الله - فقال : هو : (( عبارة عن هيئة في النَّفْس راسخة ، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر ، من غير حاجة إلى فكر وروية ))<sup>(٣)</sup> .

وقال ابن الأثير<sup>(٤)</sup> - رحمه الله - : (( حقيقته أنَّه لصورة الإنسان الباطنة وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها ، بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها ، ولهما أوصاف حسنة وقيحة ))<sup>(٥)</sup> .

وقال الميداني - حفظه الله - في تعريف الأخلاق هي : (( صفة مُستقرَّة في النفس - فطرية أو مكتسبة - ذات آثار في السلوك محمودة أو مذمومة ))<sup>(٦)</sup> .

### ب - أهمية الأخلاق في الإسلام

سبقَت الإشارة إلى اهتمام الرَّسول ﷺ بتَهذيب الأخلاق ، وإتمام ما نقص منها حيث قال : (( إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ ))<sup>(٧)</sup> .

وتبرز أهمية الأخلاق الحسنة في النَّقَاطِ التَّالِيَةِ :-

(١) - ثناء الله تعالى على رسول الله ﷺ بالخلق العظيم في قوله سبحانه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ ﴾<sup>(٨)</sup> .

ولذلك لَمَّا سُئِلَتْ عائشة - رضي الله عنها - عن خلق رسول الله ﷺ قالت

(١) - " لسان العرب " ( ٨٦/١٠ ) مادة ( خلق ) ، " القاموس المحيط ( ص / ١١٣٧ ) مادة ( خلق ) .

(٢) - " القاموس المحيط " ، ( ص / ١١٣٧ ) مادة ( خلق ) .

(٣) - " إحياء علوم الدين " ( ٨٦/٣ ) .

(٤) - هو : المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني الجزري ، أبو السَّعَادَاتِ المشهور بابن الأثير ، المحدث اللغوي الأصولي ، ولد ونشأ في جزيرة ابن عمر ، وانتقل إلى الموصل ، فاتصل بصاحبها ، فكان من أخصائه ، وأصيب بالنقرس حتى شلت يدها ورجلاه إلى أن توفي ، من تصانيفه : " النهاية في غريب الحديث " ، " جامع الأصول في أحاديث الرسول " ، توفي عام ٦٠٦ هـ . ينظر : " سير أعلام النبلاء " ( ٤٨٨/٢١ - ٤٩١ ) ، " بغية الوعاة " ( ٢٧٤/٢ ) .

(٥) - " النهاية في غريب الحديث " ( ٧٠/٢ ) .

(٦) - " الأخلاق الإسلامية وأسساها " ( ١٠/١ ) لعبدالرحمن حسن الميداني ، دار القلم ، دمشق ، سورية ، ط : ١٤١٣ هـ .

(٧) - " سبق تخريجه قريباً " ، ( ص / ٢١٠ ) .

(٨) - سورة القلم ، الآية : (٤) .

للسائل أليست تقرأ القرآن ؟ ، قال : بلى ، قالت : (( فإنَّ خلقَ نبيِّ الله ﷺ كان القرآن )) (١) .

(٢) - أنَّها أثقل الأعمال في الميزان يوم القيامة يدلُّ على ذلك قوله ﷺ : (( ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن )) (٢) .

(٣) - أنَّها من أكثر ما يدخل النَّاسُ الجنة ، يدلُّ على ذلك قوله ﷺ : في جوابه لمن سأله عن أكثر ما يدخل النَّاسُ الجنة : (( تقوى الله وحسن الخلق )) (٣) .

(٤) - أقرب النَّاسِ إلى رسول الله ﷺ يوم القيامة وأحبهم إليه أحسنهم خلقاً يدلُّ على ذلك قوله ﷺ : (( إنَّ من أحبكم إليَّ وأقربكم منِّي مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً )) (٤) .

(٥) - بحسن الخلق يبلغ المسلم درجة الصَّائم القائم يدلُّ على ذلك ما روي عن رسول الله ﷺ أنَّه قال : (( إنَّ المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصَّائم القائم )) (٥) .

وبعد تعريف الأخلاق ، وبيان أهميتها أعرض لنماذج من الأخلاق المحمودة مراعيًا في اختيارها أهمية الخلق ووضوح الدعوة إلى الله تعالى بالمنهج الحسي فيه وذلك فيما يلي :

(١) - أخرجه الإمام مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض (٤٣١/١ - ٤٣٢) ح (٧٤٦) .

(٢) - أخرجه الإمام الترمذي في " سننه " باب ما جاء في حسن الخلق (٣٦٣/٤) ح (٢٠٠٢) وقال عنه " حسن صحيح " وصححه الشيخ الألباني في " صحيح سنن الترمذي " (١٩٤/٢) ح (١٦٢٨) .

(٣) - أخرجه الإمام الترمذي في " سننه " كتاب البرِّ والصَّلة ، باب : ما جاء في حسن الخلق (٣٦٢/٤) ح (٢٠٠٤) ، وقال عنه : " هذا حديث صحيح غريب " ، وحسنه الشيخ الألباني في " صحيح سنن الترمذي " (١٩٤/٢) ح (١٦٣٠) .

(٤) - أخرجه الإمام الترمذي في " سننه " كتاب البرِّ والصَّلة ، باب ما جاء في معالي الأخلاق (٣٧٠/٤) ح (٢٠١٨) ، وصححه الشيخ الألباني في " صحيح سنن الترمذي " (١٩٦/٢) ح (١٦٤٢) .

(٥) - أخرجه الإمام أبو داود في " سننه " كتاب الأدب ، باب في حسن الخلق (١٤٩/٥) ح (٤٧٩٨) ، وصححه الشيخ الألباني في " صحيح سنن أبي داود " (١٧٨/٣) ، والإمام الترمذي في " سننه " بلفظ آخر ، كتاب البرِّ والصَّلة ، باب ما جاء في حسن الخلق ، (٣٦٢/٤) ح (٢٠٠٢) .

**المطلب الأول : استخدام المنهج الحسي لبيان الأخلاق المحمودة والحث عليها .**

وفيه ثلاثة مسالك :

**المسلك الأول : بيان أهمية خلق الأمانة ، وبيان كيفية رفعها .**

**المسلك الثاني : بيان فضل خلق الصبر وحاجة الدعاة إليه .**  
**المسلك الثالث : تثبيت خلق العفة في النفوس .**



سبقت الإشارة إلى أن الرسول ﷺ اهتم بموضوع الأخلاق ؛ لأنه إنمَّا جاء ليُتمِّم مكارمها ، وقد استخدم الرسول ﷺ المنهج الحسي لغرس الأخلاق الفاضلة في نفوس المدعوين ، وتحذيرهم من الأخلاق السيئة ، فمن ذلك توضيحه ﷺ لأهمية الأمانة والصبر والعفة .

وهذه النماذج ستكون مجال الحديث في المسالك الثلاثة التالية :

## المسلك الأول

### بيان أهمية الأمانة والمراحل التي تمرُّ بها

وهي : لغةً ضد الخيانة <sup>(١)</sup> ، قال ابن فارس <sup>(٢)</sup> :

(( الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان : أحدهما الأمانة التي هي ضد الخيانة ومعناها سُكون القلب ، والآخر التصديق )) <sup>(٣)</sup> .

**واصطلاحاً :** عرفها الميداني بأنها (( خُلُقٌ ثابتٌ في النَّفْسِ يَعِفُّ به الإنسان عما ليس له به حق ، وإن تهيأت له ظروف العدوان عليه ، دون أن يكون عُرْضةً للإدانة عند النَّاسِ ، ويؤدي به ما عليه أو لديه من حق لغيره ، وإن استطاع أن يهضمه ، دون أن يكون عُرْضةً للإدانة عند الناس )) <sup>(٤)</sup> .

والأمانة مرتبطة بالإيمان وجوداً وعدمًا وزيادة ونقصاً فلا أمانة لمن لا إيمان له ولا إيمان إذا انعدمت الأمانة .

يدل على ذلك قوله ﷺ في آخر حديث حذيفة - ﷺ - (( ويقال للرجل ما أعقله وما أظرفه وما أجلده وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان )) <sup>(٥)</sup> .

(١) - ينظر : " معجم مقاييس اللغة " لأبي الحسين أحمد بن فارس (١٣٣/١) ، " لسان العرب " (٢١/١٣) .  
" القاموس المحيط " (ص / ١٥١٨) .

(٢) - هو : أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي ، أبو الحسن ، من أئمة اللغة والأدب ، أصله من قزوين ، وأقام مدة في همدان ، ثم انتقل إلى الري فتوفي فيها عام ٣٩٥ هـ . ومن كتبه : " معجم مقاييس اللغة " ، " جامع التأويل في تفسير القرآن " ، ينظر : " بغية الوعاة في طبقات النحاة " (٣٥٢/١) ترجمة رقم (٦٨٠) ، " معجم المؤلفين " (٢٢٣/١) .

(٣) - " معجم مقاييس اللغة " (١٣٣/١) .

(٤) - " الأخلاق الإسلامية وأسسها " عبدالرحمن حسن حبيكة الميداني (٦٤٥/١) .

(٥) - سيأتي تخريجه قريباً .

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : (( قد يُفهم منه أن المراد بالأمانة في الحديث الإيمان ، وليس كذلك بل ذكر ذلك لكونها لازمة الإيمان )) (١) .

وقد أوضح الرسول أن الأمانة نزلت واستقرت في أصول القلوب ، وأخبر بأنّها سنذهب ، وتتعهد من القلوب حتى لا يبقى لها وجود في أي قلب .

قال حذيفة - رضي الله عنه - : (( حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر ، حدثنا (( أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ، ثم علموا من القرآن ، ثم علموا من السنة )) ، وحدثنا عن رفعها قال : (( ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه ، فيظل أثرها مثل الوكّت (٢) . ثم ينام النومة فتقبض ، فيبقى أثرها مثل المجل (٣) ، كجمر دحرجته على رجلك فنفط وليس فيه شيء ، فيصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة ، فيقال : إن في بني فلان رجلاً أميناً ، ويقال للرجل ما أعقله وما أظرفه وما أجده ! وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان )) ولقد أتى عليّ زمان وما أبالي أيكم بايعت ؛ لئن كان مسلماً رده عليّ الإسلام ، وإن كان نصرانياً رده عليّ ساعيه ، فأما اليوم ، فما كنت أبايع إلا فلاتاً وفلاتاً )) (٤) .

وفي هذا الحديث صور الرسول صلى الله عليه وسلم المراحل التي تمر بها الأمانة حيث بين أنّها في المرحلة الأولى وهي مرحلة التمام والاكتمال (( نزلت في جذر قلوب الرجال )) ، ولا يخفى أنّ الخلق الذي ينزل في أصل القلب ، سيكون قوياً ومحكماً ثابتاً لا تحركه المطامع ، ولا تزعزعه الشدائد والمحن ، ثمّ إنّ الرسول بيّن أنّ الأمانة بعد أن نزلت في جذر القلوب ، استتارت بنور الوحي والعلم بالأوامر والنواهي التي تُعدّ المحافظة على الالتزام بها فعلاً وتركاً أساس الأمانة (( ثم علموا من القرآن ثم علموا من السنة )) .

(١) - "فتح الباري شرح صحيح البخاري" (٣٤٢/١١) .

(٢) - "الوكّت" : وهو الأثر اليسير ، يقال : وكّنت البسرة إذا ظهرت فيها نكتة من الأرتطاب . ينظر : "مشارك الأنوار" (٣٥٩/٢) مادة ( و ك ت ) .

(٣) - "المجل" : هي النفاخات التي تخرج في الأيدي عند كثرة العمل مملوءة ماء ، ينظر : "المرجع السابق" (٤٧٠/١) مادة ( م ج ل ) .

(٤) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في "صحيحه" كتاب الرقاق ، باب : رفع الأمانة (٢٠٣٧/٤) ح (٦٤٩٧) واللفظ له ، والإمام مسلم في "صحيحه" كتاب الإيمان ، باب رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب ، وعرض الفتن على القلوب (١١٦/١) ح (١٤٣) .

ويدلّ هذا الحديث على أنّ أصل الأمانة فطريّ ، لأنّ الله أنزلها في جذر القلوب لكنّ التربية والتوجيه أساسان في تدعيمها وتقويتها (١) .

وبيّن ﷺ أنّها في المرحلة الثانية تُرفع رفعا مفاجئا ، ولا يبقى منها إلا القليل (( ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل الوكت )) والتعبير بالوكت وهو الأثر اليسير أو النقطة في الشيء تخالف لونه (٢) ، يدلّ على أنّ الرّفْع الأول ليس رفعا كلياً يتضح ذلك من خفة أثره بالنسبة لما بعده وهو قوله : (( ثم ينام النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل المجمل كحجر دحرجته على رجلك فنفظ فتراه مُنتبر وليس فيه شيء )) (٣) .

وهذا تشبيه تمثيلي لما يبقى من الأمانة ، بعد الرّفْع الثاني ، بالمجل ، وهو ما يحدث في الجلد من تنفط بعد إصابة النار له ، ومعناه أنّ الأمانة تخفّ جداً في هذه المرحلة فلا تبقى لها حقيقة في الواقع ، وفي هذا الحديث تصوير حسي رائع لمراحل الأمانة ، وكيفية رفعها .

فالأمانة أمرٌ معنويّ ، لكنّها بهذا التّصوير اتضحت اتضاح المحسوسات ، حيث أوضح الرّسول ﷺ محلّ نزولها وأنّها في أصول القلوب مؤكداً استحكامها في قلوب ذلك الجيل الذي كانت الأوامر تنزل فيقولون : ﴿ سمعنا وأطعنا ﴾ (٤) .

وتنزل النواهي فيقولون : (( انتهينا )) (٥) .

وبيّن أنّها تُرفع على سبيل التدرّج من قلوب أقوام ، طال عليهم الأمد فقسّ قلوبهم ، واستخفوا بأمر الله ونهيه ، كما عبّر الصحابي الجليل أنس بن مالك - رضي الله عنه - ذلك بقوله : (( إنكم تعملون أعمالاً أدق في أعينكم من الشعر إن كنا لنعدّها على عهد رسول الله من الموبقات )) (٦) .

(١) - ينظر : " الأخلاق الإسلامية وأسسها " للميداني (١/٦٥٠ ، ٦٥١) .

(٢) - ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (٥/٢١٨) مادة (وكت) .

(٣) - ينظر : " روائع من أقوال الرّسول ﷺ " عبدالرحمن حبنكة الميداني (ص/٣٢٤) ، دار القلم ، دمشق ، سورية ، ط : ١٤١٢ هـ .

(٤) - سور البقرة ، جزء من الآية : (٢٨٥) .

(٥) - أخرجه الإمام أبو داود في " سننه " كتاب الأثرية ، باب في تحريم الخمر ، (٤/٧٩) ح (٣٦٧٠) ، والإمام النسائي في " سننه " ، كتاب الأثرية ، باب تحريم الخمر ، (٨/٦٨١) ح (٥٥٥٥) . وصححه الشيخ الألباني في " صحيح سنن أبي داود " ، (٢/٤١٥ - ٤١٦) ح (٣٦٧٠) .

(٦) - أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الرقاق ، باب ما يتقى من حقّرات الذنوب (٤/٢٠٣٦) ، ح (٦٤٩٢) .

وفي هذا البيان النبوي دليل على أهمية الأمانة ، والتحذير من تضييعها ؛ لأنها قد تُقبض من قلب المرء وهو لا يشعر إذا استهان بأمر الله ونهيه ، ومما يؤكد أهمية الأمانة ثناء الله على أصحابها ووصفه إياهم بالفلاح في قوله عز وجل : ﴿ والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ﴾ (١) .

و (( الأمانة من أبرز أخلاق الرُّسل عليهم الصلاة والسلام لأنها شرط لاصطفائهم بالرَّسالة ، فلولا أن يكونوا أمناء لما استأمنهم الله على رسالاته لخلقه )) (٢) .

ففي سورة الشعراء بين الله قول نوح - ﷺ - لقومه ، وكذلك هود ، وصالح ولوط ، وشعيب - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين : ﴿ إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون \* إنسي لكم رسول أمين ﴾ (٣) .

والرَّسول ﷺ اشتهر اتصافه بالأمانة حتى كان يُعرف بالأمين قبل بعثته (٤) ، وهو كما قال هرقل : (( لم يكن ليذر الكذب على النَّاس ويكذب على الله )) (٥) . وقد كان أصحاب الرسول يُرَغَّبون في هذه الصِّفة وهذا الخلق ، ويتصفون به ولذلك ثبت أنَّهم لما أراد رسول الله ﷺ أن يبعث مع نصارى نجران رجلاً أميناً من أصحابه استشرفوا لذلك - ﷺ - ففي الصحيحين من حديث حذيفة - رضى الله عنه - قال : جاء العاقب والسيد صاحباً نجران إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعناه قال : فقال أحدهما لصاحبه لا تفعل فوالله لئن كان نبياً فلاعنناه لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا قالوا : إنا نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلاً أميناً ولا تبعث معنا إلا أميناً ، فقال : (( لأبعثنَّ معكم رجلاً أميناً حق أمين )) ، فاستشرف لها أصحاب رسول الله ﷺ

(١) - سورة المؤمنون ، الآية : (٨) .

(٢) - " الأخلاق الإسلامية وأسسها " (٦٤٨/١) ، وينظر أيضاً : " موسوعة أخلاق القرآن " د . أحمد الشرباصي ( ١٩/٢ - ٢٠ ) ، دار الرائد العربي ، بيروت - لبنان ، ط : ١ ، ١٤٠١ هـ .

(٣) - سورة الشعراء ، الأيتان : (١٠٦ - ١٠٧) ، وكذلك الأيتان : (١٢٤ - ١٢٥) والأيتان : (١٤٢ - ١٤٣) وكذلك الأيتان : (١٦١ - ١٦٢) ، والأيتان : (١٧٧ - ١٧٨) .

(٤) - ينظر : " السيرة النبوية " لابن هشام (٢٢٩/١) .

(٥) - أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب بدء الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ

(٦) (٢٤/١) ح (٧) ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الجهاد والسير ، باب كتاب النبي ﷺ - إلى هرقل

يدعوه إلى الإسلام (١١١٧/٣) ح (١٧٧٣) .

فقال : (( قم يا أبا عبيدة بن الجراح <sup>(١)</sup> )) فلما قام قال رسول الله ﷺ : (( هذا أمين هذه الأمة )) <sup>(٢)</sup> .

ونصه ﷺ على أن أبا عبيدة أمين هذه الأمة مع وجود أبي بكر وعمر وغيرهما من فضلاء الصحابة - ﷺ - لا يعني نقصاً في أمانتهم ، ولكنها مزبنة لا تقتضي التفضيل .

وارتباط الأمانة بالإيمان يدلُّ على أنَّها لا ترتفع بالكلية من قلوب جميع الناس لأن الرسول ﷺ قال : (( لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق )) <sup>(٣)</sup> . ولكنها قد تقلَّ وتندر جداً كما يدلُّ على ذلك قول حذيفة - ﷺ - (( أمّا اليوم فما كنت أباع إلا فلاناً وفلاناً )) <sup>(٤)</sup> . وقد قال هذا في زمانه فكيف بزماننا !! يقول الدكتور عبدالباري طه : (( والحديث من نبوءاته وكأني به يُصوّر حالنا التي نرزح من تحتها إذ لا تكاد تجد فينا أميناً )) <sup>(٥)</sup> .

- (١) - هو : أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال القرشي الفهري ، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وشهد بدرًا وأحد والمشاهد مع رسول الله ﷺ ، هاجر إلى الحبشة الثانية ، كان أول من سمي أمير الأمراء ، أمّره عمر على جيش اليرموك بعد وفاة الصديق ، فكان على أمر الشام حتى توفي في طاعون عمواس عام ١٨هـ ، ينظر : " أسد الغابة " (٢٤٩/٥) ، " الإصابة " (٤٧٥-٤٧٨) .
- (٢) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب المغازي ، باب قصة أهل نجوان (١٣٢٢/٣) ح (٤٣٨٠) والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل أبي عبيدة (١٤٩٩/٤) ح (٢٤٢٠) .
- (٣) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب قول النبي ﷺ " لا تزال طائفة من أمتي ... " (٢٢٨٣/٤) ح (٧٣١١) ، والإمام مسلم في " صحيحه " ، كتاب الإمارة ، باب قوله ﷺ " لا تزال طائفة من أمتي ... " (١٢٠٩/٣) ح (١٩٢٠ - ١٩٢١) .
- (٤) - سبق تخريجه " (ص/٢١٥) .
- (٥) - " أثر التشبيه في تصوير المعنى " (ص / ٢٧) .

## المسلك الثاني

### بيان فضل خلق الصبر ، وحاجة الدعوة إليه

الصَّبْرُ فِي اللُّغَةِ : الحَبْس ، وكل من حبس شيئاً فقد صبره .  
ويأتي بمعنى الثَّبات كما في قوله تعالى : ﴿ استعينوا بالصبر ﴾<sup>(١)</sup> أي بالثبات  
على ما أتم عليه من الإيمان .

والصَّبْرُ نقيض الجزع ؛ والمراد حبس النَّفْس عند الجزع<sup>(٢)</sup> .  
وفي الاصطلاح :

(( هو ترك الشَّكْوَى من ألم البلوى لغير الله لا إلى الله ))<sup>(٣)</sup> .

ويُعرفه الميداني بقوله (( الصبر قوة خَلْقِيَّة من قوى الإرادة ، تُمْكِّن الإنسان  
من ضبط نفسه لتحمل المتاعب والمشقات والآلام ، وضبطها عن الاندفاع بعوامل  
الضَّجْر والجزع ، والسَّام والملل ، والعجلة والرعونة ، والغضب والطيش ،  
والخوف والطمع ، والأهواء والشهوات والغرائز ))<sup>(٤)</sup> .

وقال الإمام ابن قيم الجوزية - رحمه الله تعالى :

(( أصل هذه الكلمة هو : المنع والحبس ؛ فالصبر حبس النفس عن الجزع ،  
واللسان عن التشكي ، والجوارح عن لطم الخدود وشق الثياب ونحوهما ... ))<sup>(٥)</sup> .

والصَّبْر من أمَّهات الأخلاق الإسلامية ، وله مجالات كثيرة ؛ ولذلك حرص  
الرَّسُول ﷺ على غرسه في قلوب أصحابه ، بقوله وعمله فقد صبر على أذى  
أهل الشرك وهو بمكة قبل الهجرة ؛ حيث كانوا يعاملونه أسوأ معاملة فقد وضعوا  
السَّلي على ظهره وهو ساجد<sup>(٦)</sup> ، وخنقه ابن أبي مُعيط<sup>(٧)</sup> بثوب جعله في

(١) - سورة البقرة ، جزء من الآية : (٤٥) .

(٢) - ينظر : " لسان العرب " لابن منظور ، (٤/٤٣٨ - ٤٣٩) ، مادة (صَبْر) .

(٣) - " التعريفات " للجرجاني : ( ص / ١٧٢ ) .

(٤) - " الأخلاق الإسلامية وأسسها " عبدالرحمن الميداني ( ٢ / ٣٠٥ ) .

(٥) - " عدَّة الصابرين وذخيرة الشاكرين " لشمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، تحقيق : محمد  
عثمان الخشت ، ( ص / ٢٧ ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط / ٤ ، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .

(٦) - أخرج الحديث الذَّل على ذلك الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب مناقب الأنصار ، باب ما لقي النبي

ﷺ من المشركين ( ٣ / ١١٧٦ ) ح ( ٣٨٥٤ ) .

(٧) - هو : عبقة بن أبان بن ذكوان بن أمية بن عبد شمس ، من مقدمي قريش في الجاهلية ، كان شديد الإيذاء

للرسول ﷺ - والمسلمين عند ظهور الدعوة فأسروه يوم بدر وقتلوه ثم صلبوه ، وهو أول مصلوب في  
الإسلام . ينظر : " البداية والنهاية " ( ٣ / ٣٠٥ ) ، " والأعلام " ( ٤ / ٢٤٠ ) .

عنقه (١) ، وتفننوا في آذاه كثيراً ، ولما شكأ إليه أصحابه - ﷺ - وطلبوا منه أن يستصر لهم ذكراً بما أصاب من قبلهم من الأذى وأظهر عدم الرضى بذلك القول ، فقد روي الإمام البخاري بسنده أن خباباً (٢) - ﷺ - قال : (( أتيت النبي ﷺ وهو في ظل الكعبة - وقد لقينا من المشركين شدة - فقلنا : يا رسول الله ، ألا تدعو الله ؟ . فقعده وهو مُحمرّ وجهه فقال : (( لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد ، مادون عظامه من لحم أو عصب ، ما يصرفه ذلك عن دينه ، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنتين ما يصرفه ذلك عن دينه ، وليتمنّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله )) (٣) .

وفي هذا الحديث تربية عظيمة على خلق الصبر للمخاطبين به ، وكلّ من يسمعه من هذه الأمة إلى أن تقوم الساعة ؛ لأنّ الصبر على مثل هذه الآلام التي ذكرها رسول الله ﷺ في هذا الحديث بالغ الصعوبة ، لأنّ الجسم يتألم صاحبه إذا شيك بشوكة ، فما بالك به إذا مُرّق بمشاط الحديد؟! أو وضع المنشار من أعلاه إلى أسفله ، إنّ مجرد سماع مثل هذا الصنيع تعتصر له القلوب ألماً ، وقد صبر أولئك المؤمنون عليه ، ولم يردّهم عن دينهم وإيمانهم ، وقد زال من هؤلاء الصّابرين الألم وانقطع العذاب ، وانغمسوا في رحمة الله ونعيمه ، فيحق لأهل الإيمان أن يتخذوهم قدوة وأسوة في تحمل المشاق والصبر على الأذى في سبيل دينهم .

وقد دلّت آيات كثيرة على هذا المعنى فذكرت بما أصاب السّابقين من الأنبياء وأتباعهم ، وأمرت بالتأسي بهم ، منها قوله تعالى : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب ﴾ (٤) .

وقوله تعالى : ﴿ فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ﴾ (٥) .

(١) - أخرجه الإمام البخاري الحديث الدّال على ذلك في " صحيحه " كتاب مناقب الأنصار ، باب ما لقي

النبي ﷺ وأصحابه من المشركين (١١٧٧/٣) ح (٣٨٥٦) .

(٢) - هو : خباب بن الارت بن جندلة بن سعد بن خزيمه التميمي ، أبو يحيى أو أبو عبدالله ، كان من السّابقين الأولين ، وكان ممن عذبهم المشركون في مكة فصبّروا ، ثمّ هاجر وشهد المشاهد كلها ، ونزل الكوفة فمات بها سنة ٣٧هـ ، وقيل غير ذلك ، وعمره ٧٣ سنة ، روى له البخاري ومسلم وغيرهما ٣٢ حديثاً . ينظر : " أسد الغابة " (٩٨/٢) ، " الإصابه " (٢٢١/٢) .

(٣) - أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب مناقب الأنصار ، باب : ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين (١١٧٦/٣) ح (٣٨٥٢) .

(٤) - سورة البقرة : الآية (٢١٤) .

(٥) - سورة الأحقاف ، جزء من الآية : (٣٥) .

وقوله تعالى : ﴿ اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب ﴾ (١).

يقول الأستاذ سيد قطب - رحمه الله - (( اصبر ... )) (( إنما الإشارة إلى الطريق المطروق في حياة الرُّسل - عليهم صلوات الله - الطريق الذي يضمهم أجمعين فكُلهم سار في هذا الطريق . كُلهم عانى . وكلهم ابتلى ، وكلهم صبر ، وكان الصَّبْر هو زادهم جميعاً ، وطابعهم جميعاً )) (٢) .

وقال تعالى ﴿ إِنَّمَا يُوفِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٣) .

يقول العلامة الشيخ عبدالرحمن السعدي (٤) - رحمه الله - في تفسير هذه الآية : (( وهذا عام في جميع أنواع الصَّبْر : الصَّبْر على أقدار الله المؤلمة ، فلا يتسخطها والصبر عن معاصيه ، فلا يرتكبها ، والصبر على طاعته حتى يؤديها ، فوعده الله الصابرين أجرهم بغير حساب ، أي بغير حدٍ ، ولا عدٍ ولا مقدار ، وما ذاك إلا لأفضلية الصَّبْر ومحلّه عند الله ، وأنه مُعِين على كل الأمور )) (٥) .

وقد أمر الله رسوله ﷺ والمؤمنين بالصبر في آيات كثيرة ، وقد نوّه رسول الله ﷺ بشأن الصَّبْر وأكد أهميته من ذلك قوله مبيناً مكانة بعض الطاعات (( ... والصلاة نور والصدقة برهان ، والصبر ضياء )) (٦) .

قال الإمام ابن رجب - رحمه الله - مُعلقاً على هذا الحديث : (( وأما الصَّبْر ، فإنه ضياء والضياء : هو النُّور الذي يحصل فيه نوع حرارة وإحراق كضياء الشمس بخلاف القمر ، فإنه نورٌ محضٌ ، فيه إشراق بغير إحراق ... - ثم قال - ولما كان الصَّبْر شاقاً على النَّفْس ، يحتاج إلى مجاهدة النَّفْس وحبسها ، وكفّها عما تهواه ، كان ضياء )) (٧) .

وبيان الرسول ﷺ لما كان يُصيب أهل الإيمان من أذى ، وآلام ومقاساة ؛ بحيث تُمزق لحومهم وعظامهم بمشاط الحديد ، ويقطعون بالمناشير ، إرباً إرباً ، فيه تربية لأصحابه - ﷺ - على خُلُق الصَّبْر ؛ لأنهم يعلمون مقدار الألم الذي

(١) - سورة ص ، الآية : (١٧) .

(٢) - " في ظلال القرآن " (٣٠١٦/٥) .

(٣) - سورة الزُّمر ، جزء من الآية : (١٠) .

(٤) - هو : عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله السعدي التميمي : مفسر من علماء الحنابلة ، من أهل نجد ، مولده ووفاته في عنيزة بالقصيم ، وهو أول من أنشأ مكتبة فيها سنة ١٣٥٨هـ ، له نحو ٣٠ مؤلفاً ، منها :

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، توفي سنة ١٣٧٦هـ ، ينظر : " الأعلام " (٣٤٠/٣) .

(٥) - " تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان " ، ( ص / ٦٦٧ ) .

(٦) - أخرجه الإمام مسلم في ( صحيحه ) كتاب الطهارة ، باب فضل الوضوء (١/١٧٢) ، ح (٢٢٣) .

(٧) - " جامع العلوم والحكم " (٢٤/٢ - ٢٥) .



يُصيب الإنسان بتمزيق جسده ، ففي الحديث إثارة لحاسة الشُّعور بالألم ؛ لتبيين قوة صبر أهل الإيمان ، وتحملهم الأذى في سبيل دينهم ، وإذا كان السَّابِقون من أهل الإيمان ، يُصيبهم ما نُكر من أذىً ويصبرون ويتحملون ، فحريٌّ بكل مؤمن أن يسير على نهجهم ويحذو حذوهم ؛ لأن الله جاعل لكل من أُوذي في سبيله وصبر مخرجاً كما جعل للمؤمنين من هذه الأمة وغيرها مخرجاً ، إمّا بالنصر على الأعداء أو الشَّهادة في سبيل الله . ﴿ قل هل تربصون بنا إلاَّ إحدى الحُسنيين ﴾ (١) .

(( والله ليُتمنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الرَّأكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلاَّ الله )) (٢) . ولهم كذلك الأجر العظيم من الله سبحانه ، ومن جزائهم أن الله يجعل صبرهم ضياءً لهم ، وتثبيتاً على الحق واستقامة عليه يقول الإمام القرطبي - رحمه الله - : (( ... هو الصَّبْر على العبادات ، والمشاق والمصائب ، والصَّبْر عن المخالفات ، والمنهيات ، كاتِّباع هوى النَّفس والشَّهوات وغير ذلك ، فمن صابر في تلك الأحوال متثبتاً فيها ، مقابلاً لكل حال بما يليق به ، ضاعت له عواقب أحواله ، ووضحت له مصالح أعماله ، فظفر بمطلوبه ، وحصل له من الثَّواب على مرغوبه )) (٣) .

وإذا تأملت النُّصوص الواردة في مجال الصَّبْر ، تبين لك أنَّها قد استوعبت من المعاني ، ما يكفي لغرس هذا الخلق العظيم في قلوب المؤمنين ، وتثبيته وتقويته في حياتهم وإليك بعض النقاط الدالة على ذلك :

### (١) - التذكير بما أصاب السَّابِقين من أهل الإيمان :

وفي هذا المعنى وردت نصوص كثيرة في الكتاب والسنة منها قوله تعالى حكاية لحوار الرُّسل مع أممهم : ﴿ ولنصبرنَّ على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون ﴾ (٤) .

وقد حكى لنا القرآن كذلك صبر إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- على ذبح ابنه ، وإذعان الابن وصبره لأمر الله ، قال تعالى مبيناً حوارهما في ذلك : ﴿ يا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى ، قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا

(١) - سورة التوبة ، جزء من الآية : (٥٢) .

(٢) - أخرجه الإمام البخاري بتمامه في " صحيحه " كتاب المناقب ، باب : علامات النبوة في الإسلام (٣/١١١٤) ح (٣٦١٢) .

(٣) - " المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم " (١/٤٧٧) .

(٤) - سورة إبراهيم ، جزء من الآية : (١٢) .

تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين \* فلما أسلما وتلَّهُ للجبين \* ونادياهُ أن يا إبراهيم \* قد صدقت الرؤيا إننا كذلك نجزي المحسنين \* إن هذا هو البلاء المبين ﴿ (١) .  
ومن ذلك أيضاً قوله تعالى في خبر أيوب عليه الصلاة والسلام : ﴿ واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب ﴾ (٢) ، ثم قال سبحانه في آخر الآيات ﴿ إننا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب ﴾ (٣) .

وقول رسول الله ﷺ في الحديث المتقدم : (( لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد ، مادون عظامه من لحم أو عصب ، ما يصرفه ذلك عن دينه )) (٤) .

ويؤكد هذا المعنى أيضاً أن الرسول ﷺ لما اتهم في عدالته في قسمة بعض الأموال ، وقيل : (( هذه قسمة ما أريد بها وجه الله )) فلما بلغه ذلك احمرت وجنتاه وقال : (( يرحم الله أخي موسى لقد أوزي بأكثر من هذا فصبر )) (٥) .

يقول الميداني حول هذا المعنى : (( ويعرض الله لنا أمثلة الصابرين ليكونوا لنا أسوة حسنة نقتدي بهم فنصبر مثل صبرهم ، أو مثل بعض صبرهم كلما اقتضت حكمة الله تعالى أن يبتلينا بشيء من مصائب الحياة الدنيا ، في الأنفُس أو في الأجساد ، أو في الأموال ، أو في الثمرات ، حتى يكون لنا عنده أجر الصابرين ، ونرتقي عنده إلى منازل المحسنين المقربين العابدين أولي الألباب )) (٦) .

## (٢) - بيان كون المصائب يرفع الله بها الدرجات ويكفر بها الخطايا :

سبقَت الإشارة إلى بعض النُصوص الدالة على ذلك مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٧) .

وقد بين رسول الله ﷺ أجر الصابرين على المصائب في أحاديث كثيرة ، وبين أن المصائب تذهب الخطايا ويكفرها الله بها ، ومن ذلك ما ثبت في الصحيحين

- (١) - سورة الصافات ، الآيات : (١٠٢ - ١٠٦) .
- (٢) - سورة ص ، الآية : (٤١) .
- (٣) - سورة ص ، جزء من الآية : (٤٤) .
- (٤) - " سبق تخريجه " ( ص / ٢٢٠ ) .
- (٥) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الزكاة ، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر مسن قوي إيمانه (٦٠٨/٢) ح (١٠٦٢) .
- (٦) - " الأخلاق الإسلامية وأسسها " مرجع سابق (٣١٨/٢) .
- (٧) - سورة الزمر ، جزء من الآية : (١٠) .

من حديث أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - قالت قال رسول الله ﷺ : (( ما من مصيبة تُصيب المسلم إلا كفر الله بها عنه حتى الشوكة يُشاكها )) (١) .

وما ثبت فيهما أيضاً من حديث أبي سعيد وأبي هريرة - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال : (( ما يُصيب المسلم من نصبٍ ولا وصبٍ ، ولا همٌّ ، ولا حزن ولا أذى ، ولا غمٌّ ، حتى الشوكة يُشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها )) (٢) .

وفي صحيح الإمام البخاري من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال سمعت النبي ﷺ يقول : (( إن الله قال : إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته منهما الجنة )) (٣) . يريد : عينيه .

وفي الصحيح من حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت : قال رسول الله ﷺ : (( ما يُصيب المؤمن من شوكة فما فوقها إلا رفعه بها درجة ، أو حطَّ عنه بها خطيئة )) (٤) .

قال القاضي عياض - رحمه الله - معلقاً على روايات هذا الحديث ، وقوله : (( ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها إلا كتب له بها درجة )) ، وفي الرواية الأخرى : (( رفعه الله بها درجة )) وفي الأخرى : (( إلا كتب الله له بها حسنة )) أي تصيبه شوكة وهو أدنى الأذى ، ومصائب الدنيا ورفعته الدرجات ، وزيادة الحسنات بذلك خلاف من ذهب أنها تكفر فقط )) (٥) .

### (٣) - الصبر من أدلة تجاوز الامتحان .

دلَّت آيات كثيرة على أن الله يبتلي عباده بالنعم ، والنقم ليميز أهل الصبر

من غيرهم .

(١) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب المرضى ، باب ما جاء في كفارة المرضى (١٨٠٧/٤) ، ح (٥٦٤٠) ، واللفظ له ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب البرِّ والصلة ، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن .. (١٥٨٢/٤) ، ح (٤٩/٢٥٧٢) .

(٢) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب المرضى ، باب ما جاء في كفارة المرضى (١٨٠٧/٤) ، ح (٥٦٤١ - ٥٦٤٢) ، واللفظ له . والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب البرِّ والصلة والآداب ، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض .. (١٥٨٢/٤) ، ح (٢٥٧٣) .

(٣) - أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب المرضى ، باب : فضل من ذهب بصره (١٨١٠/٤) ، ح (٥٦٥٣) .

(٤) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب البرِّ والصلة ، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه (١٥٨١/٤) ، ح (٤٧/٢٥٧٢) .

(٥) - " إكمال المعلم بفوائد مسلم " (٤٢/٨) .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَنبَلُونَكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبَلُوا أَخْبَارَكُمْ ﴾ (١) . وقال سبحانه ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ ﴾ (٢) . وقال تعالى : ﴿ وَنَبَلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ (٣) .

فالمؤمن الذي إذا ابتلاه الله تعالى بشيء من الخير أو الشر فصبر على هذا الابتلاء محتسبا منه تعالى ما أعدّه للصابرين من الأجر الجزيل كان من جملة الناجحين المفلحين .

وفي ضوء ما تقدّم يتضح لنا أنّ الدعاة إلى الله تعالى هم أحوج الناس إلى الصبر ، ولأنّ الله تعالى جعل الصبر شرطاً في نيل الإمامة في الدين قال الله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ (٤) .

ولمّا بين الله أنّ التواصي بالحق من شروط الفلاح والسّلامة من الخسران ، أتبعه بالتواصي بالصبر ، قال تعالى : ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ (٥) . وفي وصية لقمان لابنه : ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (٦) .

(١) - سورة محمد ، الآية : (٣١) .  
 (٢) - سورة آل عمران ، الآية : (١٤٢) .  
 (٣) - سورة الأنبياء ، جزء من الآية : (٣٥) .  
 (٤) - سورة السجدة ، الآية : (٢٤) .  
 (٥) - سورة العصر ، الآية : (٣) .  
 (٦) - سورة لقمان ، الآية : (١٧) .

## المسلك الثالث

### تثبيت خُلُق العِفَّة في النُّفوس

العِفَّة : لغة الكفَّ عمًا لا يحل ، وما لا يجمل (١) .

واصطلاحاً : عرفها الأصفهاني بأنَّها : (( حصول حالة للنفس تمتنع بها عن غلبة الشهوة عليها )) (٢) .

ويُعرفها الميداني ، فيقول : (( العِفَّة : هي كفُّ النفس عن المحارم ، وعمًا لا يجمل بالإنسان فعله )) (٣) .

ومنها : العِفَّة عن اقتراف الشهوة المحرمة ، وعن أكل المال الحرام ، وعن ممارسة ما لا يليق بالإنسان أن يفعله مما لا يتناسب مع مكانته الاجتماعية ، وممَّا يراه الناس من الدناءات ، كالجشع في الولايم والتسابق على أطايب الطعام ... (٤) .

والعِفَّة خُلُقٌ عظيمٌ ذو مجالات واسعة ، والنَّاس يحتاجون إليه مثل حاجتهم إلى الصَّبْر ، والأمانة وقد جاء الأمر بالعِفَّة في آيات منها قول الله تعالى : ﴿ وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يُغنيهم الله من فضله ﴾ (٥) .

وقوله تعالى : ﴿ ومن كان غنياً فليستعفف ﴾ (٦) .

وأمر بها رسوله ﷺ ضمناً بنهيه عن ضدها في قوله تعالى : ﴿ ولا تُمدَّنْ عينيك إلى ما متَّعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدُّنيا لفتنتهم فيه وورزق ربك خير وأبقى ﴾ (٧) .

وأثنى رسول الله ﷺ على أصحاب العفة وأخبر أنهم من أهل الجنة ، فقال : (( وأهل الجنة ثلاثة نو سلطان مقسط متصدق موفَّق ، ورجلٌ رحيمٌ رقيق القلب

(١) - ينظر : " لسان العرب " (٢٥٣/٩) مادة (عفف) ، " القاموس المحيط " ( ص / ١٠٨٤ ) .

(٢) - " المفردات في غريب القرآن " ( ص / ٣٣٩ ) لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصبهاني ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، طبعة دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، بدون تحديد الطبعة وتاريخها .

(٣) - " الأخلاق الإسلامية وأسسها " (٥٨١/٢) .

(٤) - " المرجع السابق " (٥٨١/٢) .

(٥) - سورة النور ، جزء من الآية : (٣٣) .

(٦) - سورة النساء ، جزء من الآية : (٦) .

(٧) - سورة طه ، الآية : (١٣١) .

بغير حقه كالذي يأكل ولا يشبع ، ويكون شهيداً عليه يوم القيامة )) (١) .

وفي هذا الحديث العظيم شبه الرسول ﷺ الدنيا بالزهرة في حُسْنِهَا ونضارتها وبهجتها ، وصرح بأنَّها مما يخافه على أمته ، بل جاء في لفظ : أنَّه لا يخشى على الأمة إلا المال وزهرته ذلك في قوله : (( والله ما أخشى عليكم أيها النَّاسُ إلا ما يُخرج الله لكم من زهرة الدنيا )) (٢) .

وفي رواية أنَّها أخوف ما يخافه على أمته (( أخوف ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا )) (٣) .

وضرب رسول الله ﷺ مثلاً لمن ينتفع بالمال ولا يبلغ به حدَّ الهلاك ، (( بأكلة الخضر )) من بهيمة الأنعام التي تأكل إلى حدِّ الامتلاء ، لكنَّها تستفرغ حتى يزول عنها أذى المأكول وتحتفظ بمنفعته قال القاضي عياض - رحمه الله - : (( .. ضوب - العليَّة - لهم مثلاً يُشير إلى حالة البطر والمقتصد المُكثر الذي يُفرق ما جمع على صفة ينتفع بها فقال - العليَّة - )) (( إنَّ مما يُنبِت الربيع يقتل حبطاً أو يلم )) ... ثم قال (( فأشار بهذا إلى أنَّ الاعتدال والتوسط في الجمع أحسن ، ثم خشي أن يقع في النفس أن من المكثرين من لا ينفعه إكثاره ، فضرب لهم المثل بأكلة الخضر ، وشبَّهها بمن يجمع ثم يُفرِّقه في وجوه المعروف )) (٤) .

وقال السنوسي (٥) - رحمه الله - : (( في قوله : (( حتى امتدَّت خاصرتها )) استقبلت عين الشَّمْس )) أن المقتصد المحمود العاقبة ، وإن جاوز حد الاقتصاد في بعض الأحيان وقرب من السرف المذموم لغلبة الشهوة المذكورة في الإنسان وهو المعنى بقوله : (( أكلت حتى امتدَّت خاصرتها )) لكنَّه يرجع من قريب عن ذلك الحد المذموم ، ولا يلبث عليه ، بل يلتجئ إلى الدلائل النَّيرة والبراهين

(١) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الزكاة ، باب : الصدقة على اليتامى (٤٣٧/١) ح (١٤٦٥) واللفظ له ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الزكاة ، باب تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا (٥٩٩/٢) ح (١٢٣/١٠٥٢) .

(٢) - هذا اللفظ لمسلم في " صحيحه " كتاب الزكاة ، باب تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا ، (٥٩٩/٢) ، ح (١٢١/١٠٥٢) .

(٣) - المرجع السابق : (٦٠٠/٢) ، ح (١٢٢/١٠٥٢) .

(٤) - " إكمال المعلم بفوائد مسلم " (٥٨٧/٣) ، وينظر أيضاً : " فتح الباري " (٢٥٢/١١) .

(٥) - هو : محمد بن محمد بن يوسف السنوسي ، أبو عبدالله التلمساني ، أحد أعيان علماء المالكية في عصره ، محدث ، متكلم منطقي ، مقرئ ، مشارك في بعض العلوم ، عرض المدونة في الفقه المالكي على والده ، له مؤلفات منها : شرح صحيح مسلم المُسمَّى " مكمل إكمال الإكمال " ، توفي سنة ٩٨٥ هـ . ينظر : " شجرة الثور الزكية في طبقات المالكية " (ص/٢٦٦) ، " نيل الابتهاج " للتبكي (٣٢٥ - ٣٢٩) .

الواضحة الدّافعة الحرص المَهلك القامعة له ، وهو المدلول عليه بقوله (( استقبلت عين الشمس فتلظت )) (١) .

وفي هذا الحديث بيّن الرسول ﷺ أنّ في المال أموراً تدعو النفوس إلى الرّغبة فيه وذلك لأنّه مثل الزّهرة بهاءً وحسناً ، وهو (( خضر حلو )) وبيّن أنّ الانهماك في تحصيله دون تعقل بمطاوعة ذلك الميل الفطري قد تُؤدّي إلى هلاك صاحبه ، كما تهلك المفرطة في الأكل من بهيمة الأنعام .

وقد اختار الرسول ﷺ لهذه الأمثال والتشبيهات أموراً مألوفة لدى المخاطبين ، يعرفون حقيقتها مشاهدة ومعينة فقد (( شبّه المال في الرّغبة فيه والميل إليه ، وحرص النفوس عليه بالفاكهة الخضراء الحلوة المُستلذّة ، فإنّ الأخضر مرغوب فيه على انفراده والحلو كذلك على انفراده فاجتماعهما أشدّ (٢) ، وأعمق أثراً في نفوس المخاطبين ، والخضرة والحلاوة أمران مألوفان عند المخاطبين .

وشبّه المسرف في أخذ المال الذي لا يتحرّى حليته بمن يأكل ولا يشبع )) وهو الذي به داء لا يشبع بسببه أو شبهه بالبهيمة الرّاعية التي تأكل ولا تشبع أي أنّ هذا الإنسان كلّما نال من المال شيئاً إزدادت رغبته فيه ، واستقلّ ما في يده والغرض التحذير من الطمّع ، والدّعوة إلى الرّضا بما تيسر في عفاف وإن كان قليلاً )) (٣) .

ولا يخفى ما في هذه العبارات النبوية المحسوسة من تشنيع للحرص والشّره ، وزرع وتثبيت لخلق العفة في نفوس المخاطبين ، وجميع من يبلغهم هذا الخطاب ، من هذه الأمة إلى أن تقوم السّاعة ، وإذا كانت العِفّة تعني الكف عن جميع القبائح والمحرمات ، والتغلب على جميع الشّهوات والنزوات ، فهي من أعظم الأخلاق وأشملها ؛ لأنّها تشمل الصّبر على الحاجة والاكتفاء بالقليل من المال ، وليست مقصورة على ذلك ، فالصبر عن الشّهوة الجنسية عفة ، قال الله تعالى : ﴿ وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله ﴾ (٤) .

والصّبر عن أكل الحرام عفة ، قال تعالى : ﴿ ومن كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف ﴾ (٥) .

(١) - " مكمل إكمال الإكمال " (٥٣٤/٣) .

(٢) - " أثر التشبيه في تصوير المعنى " (ص/١٤٢) .

(٣) - " المرجع السابق " (ص/١٤٤) .

(٤) - سورة النور ، جزء من الآية : (٣٣) .

(٥) - سورة النساء ، جزء من الآية : (٦) .

وكفّ اللسان عن القبيح من القول عفة ، وغضّ البصر وكفه عن النّطلع إلى العورات وكلّ ما لا يجوز النّظر إليه عِفَّةٌ ، قال الله تعالى : ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبيرٌ بما يصنعون ﴾ (١) .

وحفظ النساء عوراتهنّ وعدم تعريضهنّ للناس للفتنة عِفَّةٌ ، قال تعالى : ﴿ والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً فليس عليهن جناحٌ أن يضعن ثيابهنّ غير متبرجاتٍ بزينة وأن يستعففن خيرٌ لهن والله سميعٌ عليمٌ ﴾ (٢) .

وحرّيُّ بأمة محمد ﷺ وخاصة الدعاة إلى الله تعالى ، أن يكونوا على مستوى القدوة في أخلاقهم ومعاملاتهم ، ليكونوا سبباً في هداية غيرهم فيحصل لهم بذلك الأجر العظيم ، والله أسأل أن يجعلنا من أهل العِفَّة ، وأن يرزقنا التحلّي بكل خلق فاضل .

(١) - سورة النور ، الآية : (٣٠) .

(٢) - سورة النور ، الآية : (٦٠) .



## المطلب الثاني : استخدام المنهج الحسي لبيان الأخلاق المذمومة والتحذير منها .

وفيه ثلاثة مسالك :

- المسلك الأول : قُبْحُ الخيانة والتحذير منها .
- المسلك الثاني : قُبْحُ الكذب ، والتحذير منه .
- المسلك الثالث : قُبْحُ البخل ، والتحذير منه .

## المطلب الثاني

### استخدام المنهج الحسي لبيان الأخلاق المذمومة والتحذير منها

سبقَت الإشارة إلى أن الرسول ﷺ إنَّمَا بعثه الله لِيُتَمِّمَ مكارم الأخلاق ، ولم يأل جهداً في استخدام أي وسيلة تُتَمِّم الأخلاق الفاضلة وتُنمِيها ، وتقضي على الأخلاق السيئة وتزِيحها ، وقد ذكرت في المطلب الأول نماذج من الأخلاق الفاضلة استخدم الرسول ﷺ المنهج الحسي لترسيخها وتثبيتها ، في النفوس ، وفي هذا المطلب سأذكر - بحول الله تعالى - نماذج من الأخلاق السيئة ، استخدم الرسول ﷺ المنهج الحسي لإزالتها والتحذير منها ، وذلك فيما يلي :

## المسلك الأول

### قُبْحُ الخيانة والتحذير منها

سبق الحديث عن أهمية الأمانة ومكانتها بين الأخلاق ، والخيانة عكس الأمانة فهي غدرٌ في القيام بمسؤولية أو التخلي عن الواجب فيها ، وفي حديث حذيفة - رضي الله عنه - ما يدلُّ على أنَّ الأمانة سترُفع من قلوب الرِّجال ، ومعلوم أنَّ الأمانة إذا نزلت من القلوب خلفتها الخيانة ، وفي حديث حذيفة يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : (( ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل الوكْت ثم ينام النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل المِجَل كجمر دحرجته على رجلك فنفسه فتراه منتبراً وليس فيه شيء )) (١) .

يقول الدكتور عبدالباري طه : (( فالتشبيهات الواردة في الحديث النبوي الشريف تعتبر صورة تمثيلية بيانية ، رائعة لمراحل زوال الأمانة ، وفيها بيان لحال المرء حين يلج باب الخيانة ، فتزل قدمه ، فلا ينتهي إلا في الدرك الأسفل من الضلالة )) (٢) .

وقد بيّن الرسول صلى الله عليه وسلم خطر الخيانة والغدر ببيانه سوء عاقبة أصحابها ، وعظم افتضاحهم يوم القيامة فقد ثبت في الصحيح من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (( إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة ، يرفع لكل غادر لواء فقيل : هذه غدرة فلان بن فلان )) (٣) .

وفي رواية أخرى عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم : (( لكل غادر لواء عند استه يوم القيامة )) (٤) .

وفي هذا الحديث بيّن الرسول صلى الله عليه وسلم خُطورة الخيانة وشناعتها ، لما يعرض لصاحبها من فضيحة في ذلك اليوم العصيب الذي يجمع الله فيه الأولين والآخرين

(١) - سبق تخريجه (ص / ٢١٥) .

(٢) - " اثر التشبيه في تصوير المعنى " (ص / ٢٧) .

(٣) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " ، كتاب الأدب ، باب : ما يدعى الناس بأبائهم (١٩٤٥/٤) ح (٦١٧٨) والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الجهاد والسير ، باب : تحريم الغدر (١٠٩٣/٣ - ١٠٩٤) ح (١٧٣٥) .

(٤) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الجهاد والسير ، باب : تحريم القدر (١٠٩٥/٣) ح (١٧٣٨) .

في صعيد واحد ، فيكون جزاؤه أن يرفع له لواء وينادي عليه (( هذه غدره فلان بن فلان )) .

وفي الرواية الأخرى أن اللواء يُنصب عند استه زيادة في تحقيره والتشنيع به واستخدام الرسول ﷺ للواء وبيانه أنه يُرفع للغادر ، يتناسب مع حال مخاطبين لأنهم يعرفون الأتوية ، بل يعرفون نصبها للتشهير بنوي الغدر والخيانة يقول الإمام القرطبي - رحمه الله - مُعلقاً على هذا الحديث : (( هذا منه ﷺ خطاب للعرب بنحو ما كانت تفعل ، وذلك أنهم يرفعون للوفاء راية بيضاء ، وللغدر راية سوداء ، ليُشهروا به الوفي فيعظموه ، ويمدحوه ، والغادر فيذمُّوه ، ويلوموه بغدره فمقتضى هذا الحديث : أن الغادر يفعل به مثل ذلك ؛ ليُشهر بالخيانة والغدر ، فيذمه أهل الموقف )) (١) .

وقال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : (( كأنه عومل بنقيض قصده لأن عادة اللواء أن يكون على الرأس فنصب عند السُّل زيادة في فضيحتة ؛ لأن الأعين غالباً تمتد إلى الأتوية ، فيكون ذلك سبباً لامتدادها إلى التي بدت له ذلك اليوم ، فيزداد بها فضيحتة )) (٢) .

وفي ضوِّء روايات هذا الحديث يتضح أن الخيانة دركات بعضها أشنع من بعض وأعظم إثماً ، فقد جاء في رواية أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : (( لكلِّ غادر لواء يوم القيامة يُرفع له بقدر غدره ألا ولا غادر أعظم غدرًا من أمير عامّة )) (٣) .

قال القاضي عياض - رحمه الله - : (( المراد بغدر أمير العامّة إما للغدر في عهده معه ، أو لرعيته بخيانتته لهم ، وقلة حوطته عليهم ، وغدره لأمانتهم التي قلدها وعهدهم الذي لزم عنقه ، أو يكون المراد أن الأمير هو المغدور .. )) (٤) .

وقال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : (( وفي الحديث غلظ تحريم الغدر لاسيما من صاحب الولاية العامّة ، لأنَّ غدره يتعدى ضرره إلى خلق كثير ، ولأنه غير مضطر إلى الغدر لقدرته على الوفاء .. )) (٥) .

- (١) - " المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم " (٣/٥٢٠) .
- (٢) - " فتح الباري شرح صحيح البخاري " (٦/٣٢٧ / ٣٢٨) .
- (٣) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الجهاد ، باب تحريم الغدر (٣/١٠٩٥) ح (١٦/١٧٣٨) .
- (٤) - " إكمال المعلم بفوائد مسلم " (٦/٤١) .
- (٥) - " فتح الباري شرح صحيح البخاري " (٦/٣٢٨) ، " عمدة القارئ شرح صحيح البخاري " (١٢/٢٥٢) .

ومما يدلُّ على عظيم خطر الخيانة أن الله عز وجل نفى محبته عن أهل الخيانة قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾ (١) .

وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾ (٢) .

والخيانة من خلال أهل النفاق ، علامات المنافقين ، ففي الصحيح من حديث عبدالله عمرو - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : (( أربعٌ خلالٌ من كُنَّ فيه كان منافقاً خالصاً : من إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر ، ومن كانت فيه خصلةٌ مِنْهُنَّ ، كانت فيه خصلةٌ من النفاق حتى يدعها )) (٣) .

وهذا الحديث دال على قبح الخيانة والتفكير منها ، ويكفيها قبحاً كونها من خصال المنافقين ، حتى إن لم يحمل الحديث على ظاهره من أن المتصنف بهذه الخصال يصير منافقاً نفاقاً اعتقادياً ، يخلد صاحبه في النار ؛ لأنه بمجرد اتصافه بهذا الخلق القبيح يكون متصفاً بخلق من أخلاق المنافقين .

قال القاضي عياض معلقاً على هذا الحديث : (( قد توجد هذه الأوصاف الآن فيمن لا يطلق عليه اسم النفاق ، فيحتمل أن يكون الحديث محمولاً على زمنه ﷺ وكان ذلك علامة للمنافقين من أهل زمانه ، ولاشك أن أصحابه كانوا مُبرئين من هذه النقائص مُطهرين منها ، وإنما كانت تظهر في زمانه في أهل النفاق ، أو يكون ﷺ أراد بذلك من غلب عليه فعل هذه واتخذها عادة تهاوناً بالديانة ، أو يكون أراد النفاق اللغوي الذي هو إظهار خلاف المضمَر )) (٤) .

والخيانة إذا شاعت في قوم اضطربت أحوالهم ، وانتشرت فيهم الفوضى والخلل الذميمة ، فلم يأمنوا على نفس ولا مال ، ولا عرض ، وكيف يأمن وهو في جوار أهل الخيانة ؟ ، وكيف يجد راحة من لا يثق برفيق يتعامل معه ، ولا يأمن أن يخونه ويغدر به إذا وجد الفرصة لذلك ، أو تمكَّن منه وقد بين الرسول ﷺ خطر خيانة الجار ، وأكد نفي إيمان من لا يأمنه جاره بأسلوب القسم المُكرَّر ، ففي

(١) - سورة الأنفال ، جزء من الآية : (٥٨) .

(٢) - سورة النساء ، الآية : (١٠٧) .

(٣) - متفق عليه أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الجزية والموادعة ، باب : إثم من عاهد غدر (٩٨١/٢) ح (٣١٧٨) ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الإيمان ، باب : بيان خصال المنافق (٧٧/١) ، ح (٥٨) .

(٤) - " إكمال المعلم بفوائد مسلم " (٣١٣/١) .

الصَّحِيحِينَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : (( وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ ، وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ ، وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ )) .  
 قيل : ومن يا رسول الله ؟ . قال : (( الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارَهُ بَوَائِقِهِ (١) )) (٢) .  
 وهذا الحديث يؤكد حرص رسول الله على إبعاد الخيانة عن جميع أفراد المجتمع المسلم ، وحلول الأمانة محلها فهو يسعى إلى أن يصل المجتمع إلى الحالة التي أخبر أنها ستقع في قوله ﷺ : (( وَاللَّهُ لَيَتَمَنَّ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّكَّابُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ مَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ وَالذَّنْبَ عَلَى غَنَمِهِ )) (٣) .  
 وهكذا يجب على الدعاة أن يnehجوا هذا النهج ويسعوا في بناء خلق الأمانة في قلوب المدعويين ، ويبعدوا الخيانة بالتحذير منها ، وبيان سوء عاقبتها وما لها من أثر سيئ في هدم بنية المجتمع المسلم ، وقطع الأواصر والصِّلات بين أفرادها ، وزرع البلبال والفتن في أوساطه ، والواقع المشاهد في المجتمعات التي لا تُطبق شرع الله يكفي دليلاً محسوساً على خطورة هذا الخلق المقيت .  
 والله أسأل أن يُعيننا من الغدر والخيانة ، ويرزقنا الصِّدق والأمانة .

(١) - "بوائقه" : أي غوائله ومضارّه . ينظر : "مشارك الأنوار" (١٠٢/١) مادة (ب ا ق) .  
 (٢) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في "صحيحه" ، كتاب الأدب ، باب : إثم من لا يأمن جاره بوائقه (١٩٠٢/٤) ، ح (٦٠١٦) واللفظ له ، والإمام مسلم في "صحيحه" كتاب الإيمان ، باب : بيان تحريم إيذاء الجار (٦٩/١ - ٧٠) ح (٤٦) .  
 (٣) - "سبق تخريجه" (ص/٢٢٢) .

## المسلك الثاني

### قبح الكذب والتحذير منه

وردت نصوص كثيرة في الحث على التحلي بالصدق ، والتخلي عن الكذب والابتعاد عنه ، قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون ﴾ (٢) .

وحدث رسول الله ﷺ على الصدق ، وحذر من الكذب وبين أن الصدق يهدي إلى البر ، وأن الكذب يهدي إلى الفجور ، فعن عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله ﷺ : (( عليكم بالصدق . فإن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة . وما يزال الرجل يصدق حتى يكتب عند الله صديقاً . وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً )) (٣) .

وبين رسولنا ﷺ شدة عقوبة أصحاب الكذب ، وما ينالهم من عقاب اليم ، وأوضح ذلك بتصوير حسي يفرغ القلوب ، ويردع الكذوب ، قال ﷺ (( ... فانطلقنا فأتينا على رجل مستلق لقفاه ، وإذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد<sup>(٤)</sup> ، وإذا هو يأتي أحد شقي وجهه فيشرشر شذقه إلى قفاه . ومنخره إلى قفاه ، وعينه إلى قفاه . ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول ، فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانب كما كان ، ثم يعود عليه فيفعل مثل ما فعل المرة الأولى )) (٥) .

(١) - سورة التوبة ، جزء من الآية : (١١٩) .

(٢) - سورة النحل ، الآية : (١٠٥) .

(٣) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الأدب ، باب : قول الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ (١٩٢٣/٤) ح (٦٠٩٤) ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب

البر والصلة والأدب ، باب : قبح الكذب ، وحسن الصدق وفضله (١٥٩٦/٤) ح (١٠٥/٢٦٠٧) واللفظ له .

(٤) - "كلوب من حديد" : الكلوب والكلاب ، حديدة معوجة الرأس كالخطاف ، وهي مفرد جمعها كلابيب .

ينظر : " لسان العرب " (٧٢٥/١) مادة (كلب) ، " مشارق الأنوار " (٤٢٧/١) مادة (ك ل ب) .

(٥) - أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب التعبير ، باب : تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح (٢٢٠٥/٤) ح (٧٠٤٧) .

وفي هذا الحديث أخبر رسول الله ﷺ أنه شاهد أهل الكذب وهم يُعذبون أبلغ عذاب وأشنعه وقد صورَّ هذا المشهد بفظاعته وشِدَّة ألمه تصويراً حسيّاً حيث ذكر أنّه رأى الكاذب وهو (( مستلق لبقاه )) لا لينام ويستريح لكن ليذوق العذاب الذي أعدّه الله له ، إنَّه العذاب الشَّدِيد القاسي الفظيع : (( وإذا آخر قائم عليه بكتوب من حديد )) . يشقُّ شدقه إلى القفا ، ومنخره إلى القفا وعينه كذلك ، وزيادة في إيلاسه لا ينتهي الأمر عند هذا الحد ، ولا يتوقف العذاب ، بل يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به كما فعل بالأول ، فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانب كما كان ، ثم يعود عليه فيفعل مثل ما فعل المرة الأولى وحلقات هذا المشهد متتالية متلاحقة ، كلما انتهت إحداها تلتها أخرى ، فلا ينقطع العذاب إلا بمقدار المسافة بين الشَّدقين ، أو بين الشَّدق والمنخر أو العين ، ﴿ إنَّ المجرمين في عذاب جهنم خالدون \* لا يفترُّ عنهم وهم فيه مُبلسون ﴾ (١) .

والكذب من أسوأ الأخلاق وأردئها ؛ ولذلك ذكره رسول الله ﷺ في علامات المنافقين وذلك في قوله : (( آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب ... )) (٢) .

وحذر أمته منه ، فروى أنه قال : (( يا أيها النَّاس ، ما يحملكم أن تتابعوا على الكذب كتتابع الفراش في النَّار ، الكذب كلُّه على ابن آدم حرام )) (٣) .

وروى الإمام مالك (٤) في الموطأ أن رسول الله ﷺ سئل أيكون المؤمن جباناً؟ قال (( نعم )) فقيل له : أيكون المؤمن بخيلاً؟ قال : (( نعم )) فقيل : أيكون المؤمن كذاباً؟ قال : (( لا )) (٥) .

والكذب من أخلاق أهل النار وأوصافهم يدل على ذلك قوله ﷺ : (( وأهل النار خمسة الضعيف الذي لا زبر له (٦) ، الذين هم فيكم تبعاً لا يتبعون أهلاً ولا مالاً ..

(١) - سورة الزخرف ، الآيتان : (٧٤ - ٧٥) .  
(٢) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الإيمان ، باب : علامة المنافق (٣٥/١) ح (٣٣) ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الإيمان ، باب : بيان خصال المنافق (٧٨/١) ح (٥٩) .  
(٣) - أخرجه الإمام أحمد في " المسند " (٥٠٣/٦) ح (١١/٢٧٥٥٧) .  
(٤) - هو مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري ، أبو عبدالله ، إمام دار الهجرة ، وأحد الأئمة الأربعة ، وإليه تنسب المالكية ، ولد ، وتوفي في المدينة ، كان صلباً في دينه بعيداً ، عن الأمراء والملوك ، من أشهر كتبه : " الموطأ " ألّفه لما سألته المنصور العباسي أن يضع كتاباً للناس يحملهم على العمل ، توفي : (عام ١٧٩هـ) . ينظر : " سير أعلام النبلاء " (٤٣/٨) ، " تهذيب التهذيب " (٣٢٦/٥ - ٣٢٩) .  
(٥) - أخرجه الإمام مالك في " الموطأ " ، باب ما جاء في الصدق والكذب ، (٤٠٩/٤) ح (١٩٢٧) . قال الزرقاني : " وهو موقوف له حكم الرفع " ، دار الآفاق ، بيروت ، لبنان ، ط : ٢ ، ١٤٠١هـ .  
(٦) - " لا زبر له " أي لا عقل له ، وقيل : الذي ليس عنده ما يعتمد عليه ، وقيل الذي لا مال له . " مشارق الأنوار " (٣٨٦/١) مادة ( ز ب ر ) .



ونكر البخل والكذب ((<sup>(١)</sup>).

ويكون الكذب أعظم إثماً إذا صاحبه الحلف ، لقطع خصومة ، أو استحقاق مال ظلماً فقد صح عنه ﷺ أنه قال : (( من حلف على يمين يقطع بها مال امرئ ، هو عليها فاجر ، لقي الله - عز وجل - وهو عليه غضبان ))<sup>(٢)</sup> .

وعند الإمام الترمذي عن عبدالله بن أنيس الجهني<sup>(٣)</sup> - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : (( ما حلف حالف بالله يمين صبر<sup>(٤)</sup> ، فأدخل فيها مثل جناح بعوضة إلا كانت نكتة في قلبه إلى يوم القيامة ))<sup>(٥)</sup> .

وهذه النصوص تدلُّ على قبح الكذب وخطره ؛ لأنه من أسباب دخول النار ومن أوصاف أهلها ، ومن خلال أهل النفاق ، وصاحبه ينال من العذاب أشدّه ، ويكفي تنفيراً من الكذب ، ما بيّنه الرسول ﷺ من العذاب الذي يلقيه صاحبه بعد موته ، وقد صورّه رسول الله ﷺ ذلك التّصوير الحسي الجلي الذي يعرفه المُخاطبون تمام المعرفة ، إنّه التمزيق والتقطيع لأشدّ الأعضاء إحساساً وأكثرها تأثراً بالألم ، الفم من ناحيته ، والعينان ، والمنخران ، فياله من عذاب ما أوجعه ، وباله من خطر ما أعظمه ، أنى لمن يعلم أنّ الكذاب يصير إلى هذه الحال ثم يكذب ويقول غير الحق ، مع إيمانه بصدق ما أخبر به الصادق المصدوق ﷺ ، وقد انتشر الكذب في زماننا هذا ، حتى صار النّاس يعلنونه ويجاهرون به استخفافاً بحرّمات الله عز وجل ، فليعلم هؤلاء أنّ عذاب الله لهم بالمرصاد - إن لم يتوبوا إلى الله عز وجل ويتحرّوا الصدق في أقوالهم وأعمالهم ، وليعلموا أنّ الكلمة أمانة يجب رعايتها ، وسأعرض لهذا بتفصيل أكثر في مبحث الاستفادة من المنهج الحسي في العصر الحاضر لتقويم الأخلاق - إن شاء الله تعالى - .

(١) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الجنّة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنّة (١٧٤١/٤) ح (٢٨٦٥) .

(٢) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب المساقاة ، باب : الخصومة في البر والقضاء فيها ، (٧٠٢/٢ - ٧٠٣) ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الإيمان ، باب : وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار (١١٣/١) ح (١٣٨) واللفظ له .

(٣) - هو : عبدالله بن أنيس بن أسعد بن حرام الجهني ثم الأنصاري ، كان مهاجراً أنصارياً من أهل العقبة ، شهد بدرًا وأحداً وما بعدهما ، وروى عن النبي ﷺ ، وعمر وأبي أمية ، توفي عام ٧٤هـ ، ينظر : أسد الغابة (١١٩/٣) ، وتهذيب التهذيب (٩٤/٣) .

(٤) - " يمين صبر " : أي التي ألزم بها وحبس عليها ، وكانت لازمة لصاحبه من جهة الحكم ، ينظر : هلمش سنن الترمذي (٢٣٦/٥) .

(٥) - أخرجه الإمام الترمذي في " سننه " كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة النساء (٢٣٦/٥) ، ح (٣٠٢٠) ، وحسنه الشيخ الألباني في " صحيح سنن الترمذي " (٣٧/٣ ، ٣٨) ، ح (٣٢٢٢) .

## المسلك الثالث

### قبح البخل والتحذير منه

لقد جاءت نصوص كثيرة تدعو إلى الكرم والبذل من المال الذي جعل الله الإنسان مُستخلفاً فيه إلى الأجل الذي قدره الله له في سابق علمه وقدره ، قال تعالى : ﴿ وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ (١) .

وجاءت نصوص أخرى تنهي عن البخل وتحذر منه وتشنع على أصحابه قال تعالى : ﴿ هَأَنتُمْ هَؤُلَاءِ تَدْعُونَ لِتُنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لِمَنْ بَلَّ هُوَ شَرًّا لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (٣) .

وثبت عنه ﷺ أنه قال : (( اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم )) (٤) .

وبيّن رسول الله ﷺ أن الحرص على الدنيا ، يفسد الدين فعن كعب بن مالك الأنصاري (٥) - ﷺ - قال : قال رسول الله ﷺ : (( ما ذئبان جاتعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف ، لدينه )) (٦) .

وقد صور رسول الله ﷺ حال البخيل والمُتصدق وأعطاهما مثلاً رائعاً ؛ حيث بيّن أن المُنفق المُعتاد للبذل ، تساعد نفسه على العطاء ، حتى يكون عادة له وخلقاً

(١) - سورة الحديد ، جزء من الآية : (٧) .

(٢) - سورة محمد ، جزء من الآية : (٣٨) .

(٣) - سورة آل عمران ، جزء من الآية : (١٨٠) .

(٤) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الظلم (١٥٨٤/٤) ح (٢٥٧٨) .

(٥) - هو : كعب بن مالك بن عمر بن القين بن كعب بن سواد الأنصاري الخزري ، شاعر رسول الله ، وأحد الثلاثة الذين خلفوا فتاب عليهم ، شهد العقبة ، والوقائع كلها ، توفي سنة ٥٠ هـ ، وعمر له ٧٧ سنة ،

روى عن رسول الله ٨٠ حديثاً . ينظر : " الإصابة (٤٥٦/٥) ، " سير أعلام النبلاء " (٥٢٣/٢) .

(٦) - أخرجه الإمام الترمذي في " سننه " كتاب الزهد باب ٤٣/ ، وقال : " هذا حديث حسن صحيح " ، وصححه الشيخ الألباني في " صحيح سنن الترمذي (٢٨٠/٢) ح (١٩٣٥) .

فيكون بذلك جواداً سمح النَّفس ، وأماً البخيل فلا تطاوعه نفسه على البذل ، فيعتاد البُخل حتى يكون له عادة وخلقاً تتقبض نفسه كلما أراد البذل فلا يطيقه (١) .

ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : (( مثلُ البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جُبَّتَان من حديد من ثديهما إلى تراقيهما ، فأماً المنفق فلا يُنْفِق إلا سبغت أو وفرت - على جلده حتى تخفي بنانه وتعفو أثره . وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئاً إلا لزقت كل حلقة مكانها فهو يُوسِّعها ولا تتسع )) (٢) .

وفي هذا الحديث بين الرسول ﷺ ما يعانیه البخيل ، من ضيق وحرَج في الإنفاق ؛ حيث شَبَّهه بلبس جُنَّة حديدية ، أو جُبَّة ، وبَيَّن أن هذه تلتصق بجلده وتلزم كل حلقة منها مكانها ، فإذا جاهد نفسه محاولاً توسعتها ، لم تطاوعه في ذلك ، فيركن إلى الأمر الواقع ويترك الإنفاق والتَّصَدُق (( وهذا مثل ضربيه النبي ﷺ للبخيل والمتصدق ، فشبههما برجلين أراد كل واحدٍ منهما أن يلبس درعاً يستتر به من سلاح عدوه ، فصَبَّها على رأسه ليلبسها ، والدَّرْع أول ما تقع على الصُّدر والثديين إلى أن يدخل الإنسان يديه في كميتها ، فجعل المنفق كمن لبس درعاً سَابِغَةً فاسترسلت عليه حتى سترت جميع بدنه ، وهو معنى قوله : (( وتعفو أثره )) أي تستر جميع بدنه ، وجعل البخيل كمثل رجل غُلَّت يداه إلى عنقه ، كلما أراد لبسها اجتمعت في عنقه فلزمت ترقوته ، وهو معنى قوله (( قلصت )) أي تضامَّت واجتمعت ، والمراد أنَّ الجواد إذا همَّ بالصدقة انفسح لها صدره وطابت نفسه فتوسعت في الإنفاق ، والبخيل إذا حدَّث نفسه فضاقت صدره وانقبضت يداه )) (٣) .

قال تعالى ﴿ ومن يُوق شح نفسه فأُولئِكَ هم المفلحون ﴾ (٤) .

وهذه الآية تدلُّ على أنَّ الإنسان مجبول على حُبِّ الخير والمال والحرص عليه ، ويؤكد ذلك قوله تعالى : ﴿ وإنه لحبُّ الخير لشديد ﴾ (٥) ، والله تعالى يقبي

(١) - ينظر : " الأخلاق الإسلامية وأسسها " (٤٠٤/٢) .

(٢) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الزكاة ، باب : مثل المتصدق والبخيل (٤٢٩/١) ، ح (١٤٣٣) ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الزكاة ، باب : مثل المنفق والبخيل (٥٨٦/٢) ، ح (١٠٢١) .

(٣) - " فتح الباري بشرح صحيح البخاري " نقلاً عن الخطابي ، (٣٥٩/٣ - ٣٦٠) ، ينظر : " عمدة القارئ بشرح صحيح البخاري " (٢٤٦/٧) .

(٤) - سورة الحشر ، جزء من الآية : (٩) .

(٥) - سورة العاديات ، الآية : (٨) .

من شاء من عباده شح أنفسهم ويُسِرهم للخير ، ويسهل عليهم إنفاق المال مع محبتهم له ، وبالجملة فإن (( لكل إنسان في الإنفاق قدر لا بد له منه ، فأشدُّ النَّاسُ بُخلاً ينفق على ضروراته ما يُقيم أوده ، ثم بعد ذلك لا يوجد بشيء مهما قل .

إذن كل واحد من النَّاسِ يُنفق قدرًا معينًا ، سواء أكان كريماً أم بخيلاً ، وهذا القدر هو الذي شبهه رسول الله ﷺ بالجَبَّةِ من الحديد التي تُغطي الجسم من الترقوة إلى التَّيْبِينِ ، وهي من الضَّيِّقِ بحيث تحبس يديه وتضمُّهما إلى التراقي ، أما البخيل فيبقى في إنفاقه في حدود الضَّرورة لا يجاوزها إلى غيرها فلا يُطعم أحداً ولا يوجد بشيء ، وقد يعظم هذا البخل حتى يكون على نفسه فيحرمها من كل شيء إلا مما لا بدَّ له منه ، وهو في هذا الحال محكوم بنفسه الخسيسة الشحيحة الدنيئة فقد يريد في لحظة ولكنه سرعان ما ينهزم أمام نفسه .

وإذا طال به الأمر اعتاد مثل هذا اللون من التقدير والبخل والبقاء فيه ، ولنا أن نتصور الإنسان البخيل عارياً إلا من هذه الجَبَّةِ التي لا تستر من جسمه إلا قدراً يسيراً ، ويبقى كُله عارياً .. إنَّ مواطن الضَّعْفِ فيه بادية للعيان ، وعبوبه معروضة على كل إنسان تُلفت نظر الغادي والرائح ((<sup>(١)</sup> .

وقد شبَّه الرَّسول ﷺ الحريص على المال الذي يجمعه بلا حدود ويُسرف في أكله بالبهيمة التي تسرف في أكل ما يعجبها من الخضر حتى تنتفخ وتهلك حبطاً ، قال ﷺ : (( إنَّ هذا المال خضرة حلوة ، وإنَّ كلَّ ما أنبت الربيع يقتل حبطاً أو يكَم ))<sup>(٢)</sup> .

وهذه النصوص التي أوردتها تدل على قبح البُخل ، وخطورته ؛ لأنَّه يؤدي إلى سخط الله وعذابه ، وصاحبه ممنوع من كلِّ خير ميسر لكلِّ شر ، والمُنْفِق السَّخِي بخلاف ذلك والرَّسول ﷺ قد حذر من البخل بذلك التصوير الحسِّي الذي تعرضت لبيانه ونقلت كلام أهل العلم في إيضاحه ، ولاشك أنَّ أهل الإيمان الذين يستجيبون لأمر الله ورسوله ﷺ ويتبعون عن كلِّ ما نهى الله عنه ورسوله ﷺ سيجدون في هذه النصوص أقوى رادع عن البُخل ، وهكذا كان سلف هذه الأمة أصحاب بذل وعطاء ، يواسون الفقراء ويُطعمون المساكين ، والله أسأل أن يهدينا لأحسن الأخلاق ويصرف عنا سيئها .

(١) - " التصوير الفني في الحديث النبوي " ( ص / ٣٥٣ ) .

(٢) - " سبق تخريجه " ( ص / ٢٢٨ ) .

## الفصل الثاني

# أساليب الدّعوة إلى الله بالمنهج الحسي في السنّة النبوية

ويشتمل على : تمهيد ، وأربعة مباحث :

- المبحث الأول : أسلوب ضرب الأمثال .
- المبحث الثاني : أسلوب القصة .
- المبحث الثالث : أسلوب المقارنة .
- المبحث الرابع : أسلوب الحوار .

## الفصل الثاني

### أساليب الدعوة إلى الله بالمنهج الحسي في السنة النبوية

#### تمهيد

#### أولاً: تعريف الأساليب لغةً واصطلاحاً

الأساليب جمع أسلوب ، والأسلوب في اللغة : الطريق (١) ، يُقال : سلكت أسلوب فلان في كذا ، أي طريقته ومذهبه ، وأسلوب الكاتب : طريقته في كتابته (٢) ، ويقال : أخذت في أساليب القول : أي أفانين منه (٣) .  
وفي الاصطلاح هي : « الطرق التي يسلكها الداعي في دعوته » أو « كيفيات تطبيق مناهج الدعوة » (٤) .

ويُعرفها الدكتور علي عبدالحليم بقوله : « أسلوب الدّعوة إلى الله هو : الطريقة أو المذهب الذي يلجأ إليه الدّاعي إلى الله ؛ ليحقق بذلك أهداف الدّعوة » (٥) .

ويمكن أن تُعرّف الأساليب الحسية بأنها : الطرق المتعدّدة والمتنوعة المشتملة على الأمور الحسية ، التي يستعملها الدّاعية في دعوته لتحقيق الأهداف الدّعوية المنشودة .

#### ثانياً: أهمية اختيار الأسلوب المناسب في الدّعوة إلى الله

تبدو أهمية استخدام الأساليب المناسبة في الدّعوة إلى الله ، من خلال استقراء

- (١) - ينظر : " القاموس المحيط " ( ص / ١٢٥ ) مادة : ( سلب ) .
- (٢) - ينظر : " المعجم الوسيط " ( ٤٤٣ / ١ ) مادة : ( سلب ) .
- (٣) - ينظر : " لسان العرب " ( ٤٧٣ / ١ ) مادة : ( سلب ) .
- (٤) - " المدخل إلى علم الدعوة " للبيانوني ، ( ص / ٤٧ ) .
- (٥) - " فقه الدعوة إلى الله " ( ٢١٥ / ١ ) دار الوفاء للطباعة والنشر ، مصر ، ط : ٣ ، ١٤١٢ هـ .

النُّصُوص التي تحضُّ على الدَّعوة والقيام بها وتحملُ أعبائها ، كما في قوله تعالى : ﴿ ومن أحسن قولاً لمن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ﴾ (١).

وكما ورد في صحيح مسلم عن أبي هريرة -رضي الله عنه- ؛ أن رسول الله ﷺ قال : « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه ، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ... » (٢) .

وبما أن الدعوة إلى الله تعالى بهذه المكانة السَّامية ، فقد رسم الله تعالى لنبيه محمد ﷺ وللدَّعاة من بعده منهجاً قوياً ومسلكاً رشيداً في دلالة النَّاس على الخير وتحذيرهم من الشرِّ ، وذلك باختيار الأساليب الدعوية المناسبة لأحوال المدعوين ، فقال تعالى في كتابه الكريم لرسوله ﷺ : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾ (٣) .

وفي هذه الآية تنوع وتعدُّد في الأساليب ، مراعاة لأحوال المخاطبين فالدعوة بالحكمة أسلوب . والدعوة بالموعظة الحسنة أسلوب ، والدَّعوة بالمجادلة بالتي هي أحسن أسلوب . فعلى الدَّاعية أن يدرس ميول النَّاس ورغباتهم واتجاهاتهم ، وأن يكون على علمٍ ودراية بالأساليب المناسبة والمؤثرة في نفوسهم .

يقول الدكتور محمد السيد الوكيل : « وإنما تعدَّدت ... الأساليب لتعدَّد البيئات ، واختلاف الطُّبائع ، وتباين الأفكار ، فالبيئة الحضريَّة تختلف عن البيئة البدويَّة ، والمجتمعات المتقفَّة تُبَّان المجتمعات الجاهلة ، والإنسان الحادُّ الطبع لا يُصلحُه ما يُصلح الهين اللين ، ودوو الحرف والمهن لا يناسبهم ما يناسب العمَّال والزُّراع ... وقد يحتاج الدَّاعية الواحد في البيئة الواحدة إلى تنويع الأسلوب والمراوحة في التفكير لأنَّه قد يخفى عليه بعض النَّواحي الهامَّة في دراسة المجتمع ، ويغيب عنه جانب من الجوانب التي ينبغي ملاحظتها ، فيدعو ولا يُستجاب له ، ويعظ ولا تلين له القلوب فحينئذٍ يحتاج إلى مراجعة نفسه وتغيير

(١) - سورة فصلت ، الآية : (٣٣) .

(٢) - كتاب العلم ، باب من سنَّ سنَّة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة ، (٤/٦٣٦) ح (٢٦٧٤) .

(٣) - سورة النحل ، الآية : (١٢٥) .

أسلوبه ، ويظل يحاسب نفسه ، ويتفقد أسلوبه حتى يرى الاستجابة والقبول» (١) .

وقد اقتدى الرسول ﷺ بمناهج القرآن الكريم في تنويع الأساليب ، فسلك في دعوته للناس أساليب متعددة منها : المنهج الحسي ، الذي كان له أبلغ الأثر في نفوس المدعوين على تباين أفكارهم وبيئاتهم واختلاف أجناسهم وأعمارهم وثقافتهم . من أجل هذا سأعرض في هذا الفصل لبعض أساليب الدعوة إلى الله بالمنهج الحسي التي استعملها الرسول في دعوته للناس ومدى تأثيرها عليهم .

(١) - "أسس الدعوة وآداب الدعاة" (ص / ١٢٨) . طبعة دار المجتمع - جدة ، ط : ٢ ، ١٤٠٦هـ .



## **المبحث الأول : أسلوب ضرب الأمثال .**

وفيه مطلبان :

### **المطلب الأول : تعريف المثل وبيان أهميته .**

أولاً : تعريف المثل لغةً واصطلاحاً .

ثانياً : بيان أهمية المثل .

### **المطلب الثاني : أمثلة أسلوب ضرب الأمثال .**

أولاً : بيان وحدة الأنبياء في الدعوة إلى التوحيد وختم النبوة .

ثانياً : بيان شدة حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على هداية

الناس ونجاتهم من النار .

ثالثاً : بيان مفهوم الحرية في الإسلام .

## المبحث الأول أسلوب ضرب الأمثال

### المطلب الأول : تعريف المثل وبيان أهميته :

#### أولاً : تعريف المثل لغةً واصطلاحاً

أ - المثلُ في اللغة :

الشَّبهُ والنَّظيرُ ، وجمعه أمثالٌ .

والمثَلُ : الحُجَّةُ ، والحديثُ ، والصفةُ ، ومنه قوله تعالى : ﴿ مثل الجنة التي

وعِد المتقون ﴾ (١) ، والمتمثالان : المتشابهان . وتمثل بالشيء ضربه مثلاً ، ويقال :

تمثل الشيء له ، وفي التنزيل : ﴿ فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً ﴾ (٢) .

والمِثَالُ : المقدارُ والقصاصُ ، وصفةُ الشيءِ ، وجمعه أمثلةٌ ، ومثَّل ومثَّلَ

الشيء له تمثيلاً : صورَه له حتَّى كأنَّه ينظر إليه (٣) .

ب - المثلُ في الإصطلاح :

يمكن أن يُعرَّفَ بأنَّه : صورة حية ماثلة لمشهد واقعي أو متخيل ، مرسومة

بكلمات مُعبَّرة موجزة ، يُؤتى بها غالباً لتقريب ما يُضرب له من طريق الاستعارة

أو الكناية أو التشبيه (٤) .

أو أنه : تقديم الأفكار والمعاني بصورة مثَّل يضرب لتجسيد تلك الأفكار

المجردة بصورة محسوسة ملموسة يعرفها كل النَّاس أو أكثرهم على أقل

تقدير (٥) .

(١) - سورة الرَّعد ، جزء من الآية : (٣٥) .

(٢) - سورة مريم ، جزء من الآية : (١٧) .

(٣) - ينظر : " لسان العرب " ( ٦١٠/١١ - ٦١٣ ) . مادة (مثل) .

(٤) - " الصُّورة الفنية في المثل القرآني " د . محمد حسين علي ( ص / ٦٢ ) ، دار الهدى - بيروت ، ط : ١ ، ١٩٩٢ م .

(٥) - " الرُّسول العربي المربي " عبدالحميد الهاشمي ، ( ص / ٣٨٨ ) ، دار الهدى - الرياض ، ط : ٢ ، ١٤٠٥ هـ .

### ثانياً : أهمية ضرب الأمثال

للمثل في الكلام مكانة مهمة ، ووظيفة لا تنكر فائدتها ، فله تأثير قوي في تقريب المعاني إلى الأذهان (١) ، وحسن العرض وجمال التصوير ، يقول في ذلك الإمام ابن قيم الجوزية : « وقد ضرب الله ورسوله الأمثال للناس لتقريب المراد وتفهم المعنى ، وإيصاله إلى ذهن السامع ، واحضاره في نفسه ، بصورة المثل الذي مثَّلَ به ليكون أقرب إلى تَعَقُّله وفهمه ، وضبطه واستحضاره ، فإنَّ النَّفسَ تأنس بالنظائر والأشياء ، وتتفر من الغربة والوحدة وعدم النَّظير ... » (٢) .

ويبرز الجرجاني - رحمه الله - تأثير الأمثال في تحسين الكلام فيقول : « واعلم أنَّ مما اتفق عليه العقلاء أنَّ التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني ، أو برزت هي باختصار في معرضه ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته ، كساها أبهةً ، وكسبها منقبة ورفع من أقدارها ، وشبَّ من نارها وضاعف قواها في تحريك النفوس لها ، ودعا القلوب ، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صباغة وكفاً (٣) ، وقسر الطِّباع على أن تعطيه محبةً وشغفاً » (٤) .

كما يُبرز الماوردي (٥) - رحمه الله - عند وصفه لعمل الأمثال وتأثيرها تلك الأهمية فيقول : « لها من الكلام موقع في الأسماع ، وتأثير في القلوب ، فلا يكاد الكلام المرسل يبلِّغ مبلغها ولا يؤثر تأثيرها ، لأنَّ المعاني بها لائحة والشواهد بها

(١) - ينظر : " الأمثال في القرآن الكريم " لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي تحقيق / سعيد محمد نمر الخطيب (ص/٢٢) . بتصريف يسير ، وينظر أيضاً : " ضرب الأمثال في القرآن - أهدافه التربوية وآثاره " إعداد عبدالمجيد البيانوني (ص/٣٤) وما بعدها ، دار القلم - دمشق ، الدار الشامية - بيروت ، ط : ١ ، ١٤١١هـ ، " أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع تأملات وتدبر " عبدالرحمن حسن حنبله الميداني (ص/٦١ - ٦٥) ، دار القلم - دمشق ، ط : ٢ ، ١٤١٢هـ .

(٢) - " أعلام الموقعين عن رب العالمين " ( ٢٩١/١ ) .

(٣) - يقال كَلِّفْتُ بهذا الأمر ، إذا ولعت به وأحببته . ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (١٩٦/٤) مادة : (كلف) .

(٤) - " أسرار البلاغة في علم البيان " ( ص / ١٤٥ - ١٤٦ ) . تحقيق محمد رشيد رضا ، أسامة صلاح الدين دار إحياء العلوم ، بيروت ، ط : ١ ، ١٤١٢هـ .

(٥) - هو : أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري ، علم من أعلام الفكر الإسلامي ، وفقه حافظ من أكبر فقهاء الشافعية ، ورجل من أبرز رجال السياسة في الدولة العباسية ، وأديب مثقن ، عاش في أزهى عصور الثقافة الإسلامية ، حيث امتدت حياته بين سنتي (٣٦٤هـ و ٤٥٠هـ) أي أنه عاش ٨٦ سنة ، ولي القضاء في بلدان شتى ، ثم سكن بغداد ، له مصنفات كثيرة منها " النكت " تفسير للقرآن ، " أدب الدنيا والدين " ، " الأحكام السلطانية " وغيرها ، توفي في ربيع الأول سنة ٤٥٠هـ . ينظر : " سير أعلام النبلاء " (١٨/٦٤ - ٦٨) ، " شذرات الذهب " (٣/٢٨٥ - ٢٨٦) .

واضحة ، والنفوس بها واقعة ، والقلوب بها واثقة والعقول لها موافقة ، فذلك ضرب الله الأمثال في كتابه العزيز ، وجعلها من دلائل رسله وأوضح بها الحجّة على خلقه ، لأنّها في العقول معقولة ، وفي القلوب مقبولة (١) .

والأمثال في السنة النبوية خير معين للدّاعية على استجماع معاني الكلام ، والإلمام بأطرافه وأبعاده ، فلها دورها في التّربية والتّأثير على المخاطبين ، كما لها دلالتها على التّمكّن من الفهم وحسن العرض والأداء وسرّ ذلك أنّها تُصور المعقول بصورة المحسوس ، وقد تُصور المعلوم بصورة الموجود ، والغائب بصورة المشاهد الحاضر ، فيستعين العقل على إدراك ذلك عن طريق الحواس .

ومن خلال الاستقراء والتأمل في الأمثال الواردة في السنة النبوية نجد أنّها جاءت على أربعة أضرب (٢) :

(١) - أمثال ظاهرة مُصرّحة : وهي التي صرّح فيها بلفظ المثل ، أو ما يدل على التشبيه ويظهر فيه معنى المثل وصورته بشكل واضح .

فمن عبدالله بن كعب عن أبيه (٣) - رضي الله عنه - قال ﷺ : « مثل المؤمن كالخامة من الزرع ، تفيئها الرّيح مرّة ، وتعد لها مرّة . ومثل المنافق كالأرزة ، لا تزال حتى يكون انجعافها مرّة واحدة » (٤) .

(٢) - أمثال خفية كامنة : وهي التي لم يُصرّح فيها بلفظ المثل ، بل يُلمّحُ معناه بصورة خفية ، كقول الرسول ﷺ في التمثيل لبيان فضل البر والإحسان إلى النّاس : « اليد العليا خير من اليد السفلى » (٥) .

(١) - " أدب الدنيا والدين " ( ص / ٢٧٥ - ٢٧٦ ) ، تحقيق . مصطفى السقا ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط : ٤ ، ١٣٩٨هـ .

(٢) - ينظر : ظاهرة الأمثال في الكتاب والسنة وكلام العرب " مصطفى عيد الصياصنة (ص/٦٣ - ٦٥) ، دار المعراج الدولية ، الرياض ، ط : ١ ، ١٤١٢هـ .

(٣) - عبدالله بن كعب بن مالك بن أبي بن كعب الأنصاري السلمي ، كان فيمن لحق النبي ﷺ . ينظر : " أسد الغابة " (٣/٢٤٩) ، " فتح الباري " (١٠/١١١) .

(٤) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب المرضى ، باب : ما جاء في كفارة المرضى مثل المؤمن كالزرع ، ومثل الكافر كشجر الأرز ، (٤ / ١٧١٦) ح ( ٢٨١٠ ) .

(٥) - جزء من الحديث المتفق على صحته : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الزكاة ، باب : الاستعفاف عن المسألة (١/٤٣٩) ح (١٤٧٢) ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الزكاة ، باب أن اليد العليا خير من اليد السفلى (٢/٥٩٢) ح (١٠٣٥) .

(٣) - أمثال مرسلّة : وهي عبارة عن جُمَل أرسلت إرسالاً ، من غير تصريح بلفظ التشبيه ، ثم جرت مجرى الأمثال ، كقول الرسول ﷺ : « الحياء شعبة من الإيمان » (١) .

(٤) - أمثال قصصية : وهي عبارة عن تلك الأمثال ، التي اتخذت شكلاً قصصياً إلا أنّ المدلول أو المغزى المثلي فيها بيّن . ومن ذلك : ما جاء عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنّ رسول الله ﷺ قال : « بينما رجل يمشي فاشتد عليه العطش ، فنزل بئراً فشرب منها ، ثم خرج ، فإذا هو بكلب يلهث ، يأكل الثرى من العطش ، فقال : لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي فمأخفة ، ثم أمسكه بفيه ، ثم رقى ، فسقى الكلب ، فشكر الله له ، فغفر له ، قالوا : يا رسول الله وإن لنا في البهائم أجراً ؟ قال : في كلّ كبدٍ رطبة أجر » (٢) .

والذي سنتناوله الدراسة ، ويتم بيان المنهج الحسي من خلاله ، هو ما صرّح فيه بلفظ المثل طلباً للاختصار ، ووضوح المنهج ، وإليك بعضاً من ذلك :

(١) - أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الإيمان ، باب : الحياء من الإيمان (٣٢/١) ح (٢٤) ، بلفظ " .. دعه فإنّ الحياء من الإيمان " .

(٢) - أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب المساقاة ، باب فضل سقي الماء (٧٠٤/٢) ح (٢٣٦٣) .

## المطلب الثاني

### أمثلة على أسلوب ضرب الأمثال

#### أولاً : وحدة الأنبياء في الدعوة إلى التوحيد ، وختم النبوة

لا غرو أن تتفق الرسائل السماوية في المسائل الكلية ، والدعوة إلى توحيد الله ، وإفراده بالعبادة ، فجميع رسل الله - عليهم الصلاة والسلام - يتلقون الوحي من مصدر واحد عن الله تعالى ، يقول سبحانه : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نوحٍ والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً \* ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً ﴾ (١) .

والهدف المنشود عندهم واحد وهو أفراد الله تعالى بالعبادة ، ونبذ ما سواه من المعبودات الباطلة ، يقول تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ (٢) .

ويقول : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ (٣) .

« وقد استهدفت جميع الشرائع السماوية في عباداتها وتشريعاتها وأحكامها ما يحقق مصالح الناس في الدنيا ، ويهيئهم للظفر بسعادة الآخرة » (٤) ، يقول تعالى : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾ (٥) .

وبعث الله تعالى محمداً ﷺ فختم به الرسل - عليهم الصلاة والسلام - قال الله تعالى : ﴿ ما كان محمدٌ أباً أحدهم من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾ (٦) .

- (١) - سورة النساء ، الآيتان : (١٦٣ - ١٦٤) .
- (٢) - سورة الأنبياء ، الآية : (٢٥) .
- (٣) - سورة النحل ، الآية : (٣٦) .
- (٤) - " ميثاق النبيين " لعبد الوهاب عبدالسلام طويلة (ص / ٢٨) . دار القبلة - جدة ، مؤسسة علوم القرآن - بيروت ، ١٤١٠ هـ ، بدون ذكر رقم الطبعة .
- (٥) - سورة الشورى ، جزء من الآية : (١٣) .
- (٦) - سورة الأحزاب ، جزء من الآية : (٤٠) .

وهذه الحقائق هي التي أوضحتها الرسول ﷺ بهذا البيان النبوي المعجز ،  
والمثال الحسي المشاهد ، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - : « أن رسول الله ﷺ :  
« مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنياناً فأحسنه وأجمله . إلا موضع  
لبنة من زاوية من زواياه . فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون :  
هلا وضعت هذه اللبنة ! قال فإنا اللبنة . وأنا خاتم النبيين » (١) .

وقد اشتمل هذا الحديث على تصوير تمثيلي رائع جمع بين جمال الأسلوب  
وحسن التشبيه ، أراد منه ﷺ أن يبين للمدعويين حقيقة عقدية مهمة ، ألا وهي  
اتفاق جميع الأنبياء والمرسلين في الدعوة إلى التوحيد ومكارم الأخلاق ، وأنه  
خاتم الأنبياء والمرسلين . فشبّه ﷺ ذلك برجل بنى بيتاً أودع فيه من الإبداع  
والتجميل وبراعة التنسيق ما يجعله قميلاً بأن يروق للناظر وينتزع إعجاب  
المتأمل غير أن الإعجاب الكامل بهذا البناء لم يتم بسبب تلك اللبنة ، مما جعل  
أولئك المتأملين في روعة البناء وحسنه يتمنون اكتمال البناء بوضع اللبنة في  
مكانها حتى يزداد البناء جمالاً ، وتقرّ أعين الناظرين باكتماله ، وبعد اكتمال  
الصورة الحسية في أذهان المدعويين ، قال ﷺ : « أنا اللبنة وأنا خاتم النبيين »  
فاختصر ﷺ الأحقاب من لذن أبينا آدم - عليه السلام - إلى بعثته ﷺ في كلمات  
معدودة ، حملت في طياتها مشهداً حسياً واضحاً أبان عن الفكرة المراد تقريرها  
ببيان زال معه كل شك وريب ، وأوجد عند المدعويين قناعة ذهب معها كل تساؤل .  
والمثل النبوي يكشف بجلاء عن مكانة وفضل الرسول ﷺ على سائر  
الأنبياء والمرسلين ، يقول الإمام الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : « وفي  
الحديث ضرب الأمثال للتقريب والإفهام ، وفضل النبي ﷺ على سائر النبيين ،  
وأن الله ختم المرسلين ، وأكمل به شرائع الدين » (٢) .

وبين بعض المعاصرين الأثر البلاغي للتمثيل في تصوير المعنى الذي سبق  
لأجله الحديث ، فقال : « ورد للحديث روايات أخرى متقاربة وجميعها توضح  
مكانة وفضيلة الرسول ﷺ ، وأنه خاتم النبيين الذي اكتمل به بناء صرح

(١) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب المناقب ، باب : خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم (١٠٩٧/٣) ح (٣٥٣٥) ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الفضائل ، باب ذكر كونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، (١٤٢٩/٤) ح (٢٢٨٦) ، واللفظ له .

(٢) - " فتح الباري " (٦ / ٦٤٦) ، ويُنظر أيضاً : " المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم " للقرطبي (٨٨/٦) ، " عمدة القارئ " للعيني (١٥٨/١٣) .

الأنبياء وهو من باب ضرب الأمثال لتوضيح المعاني وتقريبها للإفهام وكشف حقائق الأشياء ، وهو تشبيه تمثيلي لأنه تشبيه حالة بحالة ، وجاء فيه المُشبهه نكرة وجاءت بعده الجملة صفة له فالرَّسول ﷺ شِبْهُ الأنبياء وما بعثوا به من إرشاد النَّاس إلى مكارم الأخلاق بدار أُسِّت قواعده ورُفِع بنيانه وبقي منه موضع لبنة ، فرسول الله تلك اللبنة وخاتم النَّبيين ، والغرض من التَّشبيه بيان أنَّ دين الأنبياء جميعاً واحداً وإن اختلفت الفروع ... ويضاف إلى هذا بيان فضل الرَّسول ﷺ على سائر الأنبياء ، وأنَّ الله ختم به المرسلين وأكمل شرائع الدين « (١) .

ولحرصه ﷺ على تثبيت عقيدة ختم النبوة في نفوس المخاطبين من أصحابه وأُمَّته من بعده فقد حسمها ﷺ بقوله : « وَأَنَا خَاتَم النَّبِيِّينَ » (٢) . مهتدياً بقول الله تعالى : ﴿ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ (٣) .

يقول الحافظ ابن كثير - رحمه الله - : « فمن رحمة الله تعالى بالعباد إرسال محمد ﷺ إليهم ، ثم من تشريفه لهم ، ختم الأنبياء والمرسلين به ، وإكمال الدِّين الحنيف له ، وقد أخبر الله تبارك وتعالى في كتابه ؛ ورسوله ﷺ في السنة المتواترة عنه أنَّه لا نبي بعده ، ليعلموا أنَّ كل من ادَّعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفَّاك دجَّال ضال مُضل » (٤) .

ويعلق بعض الباحثين المعاصرين على الحديث فيقول : « ... وبذلك يكون بناء النبوة قد تمَّ وكُمِّلَ بعد مجيء رسول الله ﷺ الذي قد ختم به ذلك البناء فكان بذلك آخر الأنبياء وبذلك تقرَّرَ عقيدة ختم النبوة في نفوس هذه الأمة ولا يبقى هناك مجال للكذب والادعاء » (٥) .

(١) - " أثر التشبيه في تصوير المعنى " لعبدالباري طه ، ( ص / ٢٥٣ ) .

(٢) - " سبق تخرجه " ( ص / ٢٥٣ ) .

(٣) - سورة الأحزاب ، جزء من الآية : ( ٤٠ ) .

(٤) - " تفسير القرآن العظيم " ( ٣ / ٣٩٤ ) .

(٥) - " عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية " ، لأحمد بن سعد الغامدي ( ص / ٤٠ ) ، دار طيبة للنشر والتوزيع - الرياض ، ط : ١ ، ١٤٠٥ هـ .



### ثانياً : شدة حرص الرسول ﷺ على هداية الناس ونجاتهم من النار (١)

لقد عُرف عنه ﷺ ، حرصه الشديد على هداية النَّاسِ أجمعين ، شفقة منه ورحمة بعباد الله ، وقد بلغ ذلك الحرص إلى حدِّ الأسى والحزن والتَّحسُّر على عدم استجابتهم ، يقول الله تعالى واصفاً ذلك الحال : ﴿ ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون . إنَّ الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ (٢) .

ويقول سبحانه : ﴿ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إنَّ الله عليهم بما يصنعون ﴾ (٣) .

وقد جسَّدَ الرَّسولُ صلى الله عليه وسلم للمخاطبين ذلك الحرص بأمثال حسية لكونها من أبلغ الأساليب الدَّعوية في البيان والإقناع ومن ذلك :

مارواه أبو هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال : قال رسول الله ﷺ : « مثلي كمثل رجُلٍ استوقد ناراً ، فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التي في النار يقعن فيها ، وجعل يحجزهنَّ ويغلبنه فيتقحمنَ فيها . قال فذلك مثلي ومثلكم . أنا أخذ بحجزكم (٤) عن النار هلمَّ عن النار ، هلمَّ عن النار فتغلبوني تقحمون فيها » (٥) . وفي رواية : " فجعل الجنادب (٦) والفراش يقعن فيها . وهو يدبُّهنَّ وأنا أخذ بحجزكم عن النار وأنتم تفلتُونَ من يدي » (٧) .

الحديث برأوياته المتعددة من جوامع كلمه ﷺ ، وهو من باب ضرب الأمثال

(١) - للفائدة : ينظر ويراجع ما كتبه شيخنا الدكتور / فضل إلهي في كتابه الموسوم " الحرص على هداية الناس في ضوء النصوص وسير الصالحين " ، إدارة ترجمان الإسلام ، ط : ١ ، ١٤١١هـ . فقد أجاد وأفاد أجزل الله له المثوبة .

(٢) - سورة النحل ، الآيتان : ( ١٢٧ - ١٢٨ ) .

(٣) - سورة فاطر ، جزء من الآية : ( ٨ ) .

(٤) - " فأنا أخذ بحجزكم " : جمع حَجَزَة ، وهي موضع شدِّ الإزار ، ثم قيل للإزار حُجَزَة للمجادلة . وأحتجز الرَّجُلُ بالإزار إذا شدَّه على وسطه ، وتحاجز القوم إذا أخذ بعضهم بحجزه بعض ، وإذا أمسك الرَّجُلُ من يخاف سقوطه أخذ بذلك الموضع منه . ينظر : ( النهاية في غريب الحديث " ( ٣٤٤/١ ) ملادة : (حجز) . " شرح الأبي على صحيح مسلم " ( ١٩ / ٨ ) .

(٥) - متفق عليه ، أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الرقاق ، باب : الانتهاء عن المعاصي ، ( ٢٠٣٤/٤ ) ح ( ٦٤٨٣ ) ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الفضائل ، باب شفقتة ﷺ على أمته ، ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم ( ١٤٢٨/٤ ) ح ( ١٨/٢٢٨٤ ) واللفظ له .

(٦) - " الجنادب " جمع جُنْدَب ، وهو ضرب من الجراد ، وقيل هو الصرَّار الذي يشبه الجراد . ينظر " النهاية في غريب الحديث " ( ٣٠٦/٢ ) مادة : ( جندب ) ، " شرح الأبي على صحيح مسلم " ( ١٩/٨ ) .

(٧) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الفضائل ، باب شفقتة ﷺ على أمته ، ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم ، ( ١٤٢٨/٤ ) ح ( ٢٢٨٥ ) .

لتوضيح المعاني ، وكشف الحقائق للمدعويين بأوجز عبارة ، وأيسر أسلوب ، ليعلموا مدى شفقتة ورحمته بأمتة ، وحرصه ﷺ على هدايتهم ، كما وصفه الله تعالى بقوله : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيزٌ عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوفٌ رحيمٌ ﴾ (١) .

فشبَّه الرسول ﷺ حاله مع أمتة « في حرصه على نجاتهم ، ومبالغته في زجرهم عن الإقدام على المعاصي وألوان الغواية المُرِينَةِ لهم ، مع حرصهم على الوقوع فيها . مُعرضين عن النَّصْح ، غير ملتفتين للمُنذر الذي يبصِّرهم بعاقبة إعراضهم - شبَّه حاله هذه مع النَّاس بحال رجل أوقد ناراً ، فانجذبت الفراشات إليها ، وفرحت بضوئها ، وانخدعت بزِينتها ، فسعت إليها ، وألقت بنفسها فيها دون تبصر أو تروء ولكن الرَّجُل - وقد منحه الله العقل والبصيرة يدرك عاقبة هذا التَّهور ، ويعلم النَّهاية النَّعسة البائسة لهذه المخلوقات الضعيفة ، لذلك يمنعها ويدفعها ويحول بينها وبين أن تُلقَى بنفسها : فتلقَى مصيرها التَّكد ، ولكن جهالتها تغلبها وحُمقها يدفعها ، واستهواء الضَّوء إياها يسوقها أن تُلقَى بنفسها إلى التَّهلكة مغالبة من يمنعها ، مُنْقَلِة ممن يحول دون اندفاعها » (٢) .

ويقول الإمام القرطبي - رحمه الله - : « وهذا مثل لاجتهاد نبينا ﷺ في نجاتنا ، وحرصه على تخليصنا من الهلكات التي بين أيدينا ، ولجهلنا بقدر ذلك ، وغلبة شهواتنا علينا ، وظفر عدونا اللعين بنا ، حتى صرنا أحقر من الفراش والجنادب ، وأذل من الطين اللازب » (٣) .

ويُعلِّق الحافظ ابن حجر - رحمه الله - على الحديث مبيناً المقصود من التمثيل فيقول : « وحاصله أنَّه شبَّه تهافت أصحاب الشَّهوات والمعاصي التي تكون سبباً في الوقوع في النار بتهافت الفراش بالوقوع في النَّار اتِّباعاً لشهواتها ، وشبَّه ذبَّه العُصاة عن المعاصي بما حذَّرهم به وأنذرهم بذبِّ صاحب النَّار الفراش عنها » (٤) .

(١) - سورة التوبة ، الآية : (١٢٨) .

(٢) - نظرات فقهية وتربوية في أمثال الحديث مع تقدمه في علوم الحديث " تأليف الدكتور / عبدالمجيد محمود عبدالمجيد (ص/١١٧ - ١١٨) . مكتبة الصديق - الطائف ، ط : ٢ ، ١٣٤١هـ .

(٣) - " المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم " ( ٨٧/٦ ) .

(٤) - " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ( ٣٢٦/١١ ) .

إنَّ في هذا المثل النبوي تصويراً رائعاً يؤكد حرصه ﷺ على هداية الناس وإنقاذهم من النار ، وقد وصف ذلك المشهد بتصوير واضح يسهلُ على العقل تخيُّله ، يقول الدكتور عبد الباري طه : « وهذا تمثيل مشاهد ملموس لمن عاش في البيئة العربية ، فهم يوقدون النَّار لأسباب كثيرة ويشاهدون تقحُّم الجناب والذَّواب والفراش فيها » (١) .

ومن تأمل معنى هذا المثل ودقَّة اختيار ألفاظه يجد أنَّ الرَّسول ﷺ قد لاقى مُعاناةً شديدة ، من الهمِّ والحزن والعنت والمشقة في سبيل دعوته ، وانظر إلى قوله ﷺ : « فأنا أخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقحِّمون فيها » . كيف يُصوِّر تلك المُعاناة وذلك الحرص الشديد على هداية النَّاس ؟ وفي الوقت نفسه انفلات النَّاس وعدم إيمانهم واندفاعهم وراء الشَّهوات والغرائز دون تعقل أو تفكير أو تدبر في العواقب الوخيمة لتلك المعاصي والآثام ، يقول الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ طغى \* وآثر الحياة الدنيا \* فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى \* وَأَمَّا مَنْ خاف مقامَ رَبِّهِ وَهَمَّى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى \* فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ (١) .

وفي معترك تلك المُعاناة من أجل إيلاج الدَّعوة إلى النَّاس ، كان ﷺ يحرص على اختيار الأساليب والوسائل المؤثِّرة التي تقربُّ الفكرة إلى أذهان المدعوين ، مع مراعاة التجديد في الطَّرح حتى لا يملَّ الناس .

والأمثال النَّبوية من أبلغ الأساليب الدَّعوية في البيان والإقناع ، ولهذا أكثر منها النَّبِيُّ ﷺ ، ونوعٌ فيها وضرب للفكرة الواحدة أكثر من مثل ، كما هو واضح من حرصه ﷺ على نجاته من النَّار ، فقد جاء تصوير ذلك في حديث آخر ، فعن أبي موسى الأشعري (٣) - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عن النَّبِيِّ ﷺ قال : « إِنَّ مِثْلِي وَمِثْلَ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ كَمِثْلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمَهُ . فَقَالَ : يَا قَوْمِ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بَعِينِي . وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعَرِيانُ فَانْتَجَا . فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ .

(١) - " أثر التشبيه في تصوير المعنى " ( ص / ٢٥٢ ) .

(٢) - سورة النازعات ، الآيات : ( ٣٧ - ٤١ ) .

(٣) - هو : عبدالله بن قيس بن سليم الأشعري ، مشهور باسمه وكنيته ، عدّه بعضهم في مهاجري الحبشة ، وقيل : لم يهاجر ، وإنما صادف قدومه مع قومه قدوم مهاجري الحبشة إلى رسول الله ﷺ بعد فتح خيبر سنة سبع ، استعمله النبي ﷺ على بعض مناطق اليمن ، وكان عاملاً لعمر على البصرة ، ولعثمان على الكوفة ، وكان أحد الحكمين بصفين ثم اعتزل الفتنة ، اختلف في تاريخ وفاته ، وفي مكانها ، فهي ما بين (٤٢هـ - ٥٢هـ) . ينظر : " الإصابة " ( ١٨١/٤ ) ، " الأعلام " ( ١١٤/٤ ) .

فأدلجوا فانطلقوا على مهلتهم . وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم . فصبَّحهم الجيش<sup>(١)</sup> فأهلكهم واجتاحهم . فذلك مثل من أطاعني واتَّبَع ما جئتُ به . ومثل من عصاني وكذَّب ما جئتُ به من الحق »<sup>(٢)</sup> .

فشبهه ﷺ نفسه وما جاء به من الهدى والعلم ، واختلاف الناس في الاستجابة لدعوته ، بين مصدِّق ومُكذِّب وعاقبة ذلك ، بحال النذير العريان ، وهو مثل يضرب في تحقق الخبر<sup>(٣)</sup> .

واختلف في أول من قال هذا المثل ، وأنسب ما قيل فيه ما ذكره الإمام النووي - رحمه الله - حيث قال : « قال العلماء : أصله أن الرَّجُل إذا أراد إنذار قومه وإعلامهم بما يوجب المخافة نزع ثوبه وأشار به إليهم إذا كان بعيداً منهم ليخبرهم بما دهمهم وأكثر ما يفعل هذا ربينة القوم وهو طليعتهم ورقبيهم ، قالوا : وإنَّما يفعل ذلك لأنَّه أبين للنَّاظر وأغرب وأشنع منظراً فهو أبلغ في استحثاثهم في التأهب للعدو »<sup>(٤)</sup> .

وهذا التمثيل مُنتزَع من البيئة العربية التي يعيش فيها الرَّسول ﷺ والصَّحابة - ﷺ - ومستوحى من الغارات والحروب التي كانت تنشب بين الحين والآخر<sup>(٥)</sup> . وقد كان من عادة العرب إذا أرادوا التهويل في الإنذار أن يُغيروا من ملابسهم وهيئاتهم ، بل قد يصل الأمر إلى المثلة مبالغة في الإنذار ، وقد روت لنا كتب السيرة كيف أنَّ أبا سفيان<sup>(٦)</sup> حين خشي على قافلته من المسلمين في غزوة

(١) - "فصبَّحهم الجيش" : أي أتاها صباحاً . وهذا أصله ثم كثر استعماله حتى استعمل فيمن طرق بغيته في أي وقت . "فتح الباري" ( ٣٢٤/١١ ) .

(٢) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في "صحيحه" كتاب الرقاق ، باب : "الانتهاه عن المعاصي (٢٠٣٤/٤) ح (٦٤٨٢) ، والإمام مسلم في "صحيحه" كتاب الفضائل ، باب شفقتة ﷺ على أمته ، ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم ، (١٤٢٧/٤) حديث (٢٢٨٣) . واللفظ له .

(٣) - ينظر : "مجمع الأمثال" لأبي الفضل أحمد بن محمد الميداني ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، (٣١/١ - ٣٢) ، دار الجيل - بيروت ، ١٤١٦ هـ ، بدون ذكر رقم الطبعة .

(٤) - "شرح الإمام النووي على صحيح مسلم" (٤٨/١٥) .

(٥) - ينظر : "أثر التشبيه في تصوير المعنى .. للدكتور عبد الباري طه ، (ص / ٢٥٠) ، بتصريف يسير .

(٦) - هو : صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، أبو سفيان القرشي ، مشهور باسمه وكنيته ، أسلم عام الفتح ، وشهد حنيناً والطائف ، كان من المؤلفة ، وكان قبل ذلك رأس المشركين يوم أحد ، ويوم الأحزاب ، اختلف في وفاته فقيل توفي في إحدى وثلاثين ، قيل : اثنتين وثلاثين ، وقيل : أربع وثلاثين ، وقيل غير ذلك ، قال الواقدي : توفي وهو ابن ثمان وثمانين . وقيل غير ذلك . ينظر : "أسد الغابة" (١٢/٣) ، "الإصابة" ، (٣٣٢/٣) ، "تهذيب التهذيب" (٥٣٩/٢) .

بدر، استأجر ضمضم بن عمرو<sup>(١)</sup> بعشرين مثقالاً ، وأمره أن يُخبر قريشاً أنّ محمداً ﷺ قد عرض لعيرهم ، وأمره أن يُجذع بعيره إذا دخل مكة - أي يقطع أذنيه إنذاراً بالشر المستأصل - ويحولّ رحله ، ويشقّ قميصه من قبله ودُبُرِه ، ويصيح الغوث الغوث<sup>(٢)</sup> .

ومعلوم أنّ المقصود من هذا التشبيه الدقيق في مدلوله وألفاظه ، التأكيد على صدق الرسول ﷺ ، وعلى حرصه الشديد على هداية الناس ، وقد صور لنا جابر بن عبدالله - رضى الله عنه - موقفاً يبين لنا مدى ذلك الحرص حيث يقول : « كان النبي ﷺ إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته ، واشتد غضبه ، حتى كأنه نذير جيش يقول : « صَبَّحْكُمْ وَمَسَّكُمْ » . ويقول : « بعثت أنا والساعة كهاتين » . ويقرن بين السبابة والوسطى<sup>(٣)</sup> .

وبعد هذا البيان يتضح لنا مدى تأثير هذا المثل النبوي الذي استعمله الرسول ﷺ لتجسيد حرصه ﷺ على هداية أمته ، ونجاتهم من عذاب الله في صورة حسية من بيئة المدعوين ، كان لها عظيم الأثر في نفوسهم ، وهكذا ينبغي للدعاة إلى الله تعالى أن يقتفوا أثر نبيهم ﷺ في الحرص على هداية الناس ، ببيان الخير لهم وحثهم على فعله ، وبيان الشر لهم ، وتحذيرهم منه .

(١) - هو : ضمضم بن عمرو الغفاري ، أجبر أبي سفيان ، وصريخ قريش قبل معركة بدر الكبرى ، ولم يُعرف له إسلام . ينظر : " السير النبوية لابن هشام " (٢/٢٠٠) ، " عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير " (١/٣٨٠) ، تأليف أبي الفتح محمد بن محمد بن سيد الناس ، تحقيق : د . محمد العيد الخطراوي ، محي الدين مستو ، مكتبة دار التراث ، المدينة المنورة ، ط : ١ ، ١٤١٣هـ .

(٢) - " إمتاع الأسماع بما للنبي ﷺ من الأنباء والأحوال والحفدة والمتاع " لتقي الدين أحمد بن علي المقرئ ، تحقيق : محمد عبدالحميد النميسي (١/٧٦) دار الأنصار - القاهرة ، ط : ١ ، ١٤٠١هـ .

(٣) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة ، (٢/٤٩٦) ح (٨٦٧) .

### ثالثاً : وجوب الأخذ على أيدي الظلمة حفاظاً على أمن المجتمع

عن النعمان بن بشير (١) - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال : « مثل القائم على حدود الله (٢) والواقع فيها (٣) : كمثل قوم استهموا (٤) على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها . فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نُؤذ من فوقنا فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً » (٥) .

مثلٌ نبوي في منتهى الروعة والجمال ، يُشبه فيه الرسول ﷺ حال المجتمع بما فيه من أخيار وأشرار ، بما فيه من صالحين ومفسدين برُكَّاب سفينة في بحر متلاطم الأمواج ، وقد انقسموا بعد الاقتراع إلى قسمين ، قسم في أعلى السفينة يتمتعون بفسحة المكان ورؤية البحر ، والقرب من الماء ، وقسم في أسفل السفينة بعيدون عن الماء ، محرومون من المناظر الخلابة وجمال الطبيعة ، وكانوا إذا احتاجوا الماء ، ظهروا إلى أعلى السفينة واستأذنوا من إخوانهم في جلب الماء والمرور من نصيبهم ، ومع كثرة التردد والمرور وقع الأذى على إخوانهم في أعلى السفينة ، وعلى إثر ذلك فكر رُكَّاب أسفل السفينة في أمر يمنعهم من أذية إخوانهم ، فقال بعضهم : لو تقبنا في نصيبنا تقباً نجلب منه الماء ولم نُؤذ من فوقنا فاستحسنوا الفكرة وعزموا على تنفيذها فسمع من بأعلى السفينة ، فاستتكروا هذا الفعل الذي لا ينمُّ عن عقل سليم ولا تفكير رشيد ، وقد بين الرسول ﷺ أنهم

(١) - هو : - النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي ، من صغار الصحابة ، ولد قبل وفاة النبي ﷺ بثمان سنين وسبعة أشهر ، وهو أول مولود من الأنصار بعد الهجرة ، روى عن النبي ﷺ ، وعنه سالم ، وعروة ، توفي سنة (٦٥هـ) ، ينظر : " أسد الغابة " (٢٢/٥) ، " الإصابة في تمييز الصحابة " (٥٣٠/٣) .

(٢) - " القائم على حدود الله " : أي المستقيم على ما منع الله تعالى من مجاوزتها ؛ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . ينظر : " عمدة القاريء " (٣٨١/١٠) .

(٣) - " والواقع فيها " : أي في الحدود . التارك للمعروف المرتكب للمنكر . ينظر : " المرجع السابق " (٣٨١/١٠) .

(٤) - " استهموا " : أي اتخذ كل واحد منهم سهماً ؛ أي نصيباً من السفينة بالقرعة . ينظر : " المرجع السابق " (٣٨١ / ١٠) .

(٥) - أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الشركة ، باب : هل يقرع في القسمة الإستهام فيه . (٧٤٩/٢ - ٧٥٠) ح (٢٤٩٣) .

إن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم سلموا من الغرق وسارت بهم السفينة إلى برِّ الأمان .

وهكذا حال المجتمع البشري فوق هذه الأرض ، « فيه فساق يرتكبون المعاصي ويقترفون المنكرات ، وفيه صالحون يقيمون حدود الله ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .... وإذا كان وجود الفريق الأول من العصاة أمراً لا بد منه لِمَا رُكِبَ في الفطرة البشرية من الضَّعْف والتعرض للخطأ والزَّلَّ فإنَّ وجود الفريق الثاني من الصَّالِحين الأُمَّارين بالمعروف النَّهائين عن المنكر ضرورة ماسَّة . فإن لم يوجد هذا الفريق تقوض المجتمع وذهب ربحه ، لأنَّ المفسدين لا يجدون من يأخذ على أيديهم ... إنهم يخرقون سفينة المجتمع ولا يلقون من يصدِّهم عن ذلك ... وفي ذلك دمار المجتمع » (١) .

إنَّ الصَّالِحين إذا قصرُوا في واجِبهم من بيان الحقِّ للنَّاس ، ولم يأخذوا على أيدي المفسدين يكثر الفساد وينتشر ، وتتقلب موازين الحقِّ في أذهان بعض النَّاس حتى يصير المعروف منكراً والمنكر معروفاً ، حينئذ يوشك أن يَنزل العقاب والهلاك من الله تعالى فيعمَّ الصَّالح والطَّالح ، فعن أبي بكر الصديق (٢) - ﷺ - أنَّ النبي ﷺ قال : « إنَّ النَّاس إذا رأوا الظَّالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمَّهُم الله بعقاب منه » (٣) .

وعن أم المؤمنين زينب بنت جحش (٤) - رضي الله عنها - أنها سألت النبي ﷺ - فقالت : يا رسول الله أنهلكُ وفينا الصَّالِحون ؟ قال : « نعم إذا

(١) - " التصوير الفني في الحديث النبوي " مرجع سابق ( ص / ٤٢٨ ) .  
 (٢) - هو : الخليفة الراشد أبو بكر بن أبي قحافة عبدالله بن عثمان بن عامر بن كعب التيمي القرشي ، أول الخلفاء ، وأول من آمن بالرسول ﷺ من الرِّجال ، ولد بمكة ، ونشأ سيِّداً غنياً ، عالماً بأنساب العرب وسيرها ، لُقِّب بعالم قريش ، روى عن رسول الله ﷺ ١٤٢ حديثاً ، توفي عام ١٣ هـ . ينظر : " أسد الغابة " ( ٢٠٧/٤ ) ، " الإصابة " ( ١٤٥/٤ ) ، " الأعلام " ( ٢٠٧/٤ ) .  
 (٣) - أخرجه الإمام الترمذي بتمامه في " سننه " كتاب الفتن ، باب ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر ( ٤٦٧/٣ ) ح ( ٢١٦٨ ) وقال عنه " هذا حديث صحيح " وصححه الشيخ الألباني في كتابه : " صحيح سنن الترمذي " ، ( ٢٣٢/٢ ) ، ح ( ١٧٦١ ) .  
 (٤) - هي : زينب بنت جحش بن رثاب الأسدية أم المؤمنين ، إحدى شهيدات النساء في صدر الإسلام ، طلقها زيد بن حارثة ، وكان اسمها ( برة ) فتزوج بها النبي ﷺ ، وسماها زينب ، وكانت من أجمل النساء ، وبسببها نزلت آية الحجاب ، توفيت عام ٢٠ هـ ، وروت عن رسول الله ﷺ ( ١١ ) حديثاً . ينظر : " أسد الغابة " ( ٤٦٥/٥ ) ، " الإصابة " ( ١٥٣/٨ ) ، " الأعلام " ( ٦٦/٣ ) .

## كثُر الخبث (١) .

والصالحون يصيبهم العذاب بسبب سكوتهم ، ويعتثون يوم القيامة على نياتهم وأعمالهم ، فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت يا رسول الله إن الله إذا أنزل سطوته بأهل الأرض ، وفيهم الصالحون فيهلكون بهلاكهم ؟ فقال : « يا عائشة إن الله إذا أنزل سطوته بأهل نعمته وفيهم الصالحون فيصابون معهم ، ثم يعتثون على نياتهم وأعمالهم » (٢) .

وحين يقوم الدعاة والمصلحون ، الأمر بالمعروف والنَّاهون عن المنكر بواجبهم تجاه الإصلاح وإنكار المنكرات وعدم الرضا بها ، فمن سُنَّة الله تعالى أن ينجي الذين ينهون عن السوء ، كما أخبر سبحانه وتعالى عن أهل قرية من قرى بني إسرائيل ، كانت حاضرة البحر ، وقد حرَّم الله عليهم الصيد يوم السبت ، إذ هو يوم عبادة ، وليس يوم لهو وصيد ، فاعتدوا ولم يمتثلوا أمر ربهم ، فجاءت طائفة أهل العلم والإيمان فحذروهم من مَغَبَّة فعلهم ، وسوء صنيعهم ، فلم يمتثلوا ، واستمروا على اعتدائهم وفسقهم ، فأخذهم الله بذنوبهم ، وانجى الذين نهوا عن السوء (٣) ، يقول الله تعالى عنهم : ﴿ واسئلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً ويوم لا يستطيعون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون \* وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً قالوا معذرةً إلى ربكم ولعلمهم يتقون \* فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون \* فلما عتو عن ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردةً خاسئين ﴾ (٤) .

(١) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الفتن ، باب : قول النبي ﷺ : " ويل للعرب من شرٍ قد اقترب " ، ( ٢٢١١/٤ ) ح ( ٧٠٥٩ ) ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الفتن وأشرط الساعية ، باب اقترب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج ، ( ١٧٤٩/٤ ) ح ( ٢٨٨٠ ) .

(٢) - أخرجه الإمام ابن حبان في " صحيحه " كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة ، باب إخباره عن البعث والجزاء وأحوال الناس ( ٣٠٥/١٦ ) ح ( ٧٣١٤ ) ، وقال عنه محقق الكتاب الأستاذ شعيب الأرنؤوط : " صحيح لغيره " ، وصححه الشيخ الألباني في " صحيح الجامع الصغير " ( ٣٥١/١ ) ح ( ١٧١٠ ) ، " السلسلة الأحاديث الصحيحة " ( ١٥٧/٤ ) ح ( ١٦٢٢ ) .

(٣) - ينظر : " أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير " لأبي بكر الجزائري ، ( ٩٤/٢ - ٩٥ ) بتصرف .

(٤) - سورة الأعراف ، الآيات : ( ١٦٣ - ١٦٦ ) .



يقول الأستاذ سيد قطب - رحمه الله - : « وقد انقسم سكان القرية الواحدة إلى ثلاثة أمم : أمة عاصية محتالة . وأمة تقف في وجه المعصية والاحتيال وقفة إيجابية بالإنكار والتوجيه والنصيحة ، وأمة تدع المنكر وأهله ، وتقف موقف الإنكار السلبي ولا تدفعه بعمل إيجابي ... فلما لم يجد النصيح ، ولم تنفع العظة ، وسد السادرون في غيهم ، حقت كلمة الله وتحققت نذره ، فإذا الذين كانوا ينهون عن السوء في نجوة من السوء . وإذا الأمة العاصية يحلُّ بها العذاب الشديد .... ، فأما الفرقة الثالثة - أو الأمة الثالثة - فقد سكت النص عنها ... ربما تهوينا لشأنها - وإن كانت لم تؤخذ بالعذاب - إذ أنها قعدت عن الإنكار الإيجابي ، ووقفت عند حدود الإنكار السلبي ، فاستحقت الإهمال وإن لم تستحق العذاب » (١) .

والحديث بما فيه من جمال البيان النبوي ، وروعة البلاغة المحمدية (٢) ، حدّد مفهوم الحرّية الفردية في الإسلام ، فجعل حرّية الفرد مقيدة بمصلحة الأمة ، وقضى على الحرّية المطلقة التي تُهدد كيان المجتمع المسلم ، فليس للإنسان أن يقول : أنا حرّ أفعل ما أشاء من المعاصي والمخالفات ، لأنّ هذا تمرد على نظام الجماعة وإضرار بمصالح الآخرين ، ومعلوم « أنّ الحرية المطلقة ليس لها مكان في هذا الكون المحكوم بقوانين يسير على وفقها ولا يخرج عن دائرتها ، وإلاّ لكانت الفوضى التي تستحيل معها الحياة » (٣) .

وبالجملة فإنّ هذا المثل النبوي الكريم ، حوى من البلاغة والبيان وقوة التأثير على المخاطبين من صحابة رسول الله ﷺ مما جعلهم يتصوّرون حال المجتمع بعناصره المختلفة من ناحية الضلال والفساد ، وما يجب على المصلحين فعله تجاه أهل الفساد من أصحاب الأهواء والشهوات وغيرهم ممن يُريدون خرق نظام المجتمع المسلم ، بإفساد عقائد الناس وأخلاقهم وآدابهم وتصوراتهم .

(١) - " في ظلال القرآن " ( ١٣٨٥/٣ ) .

(٢) - ينظر : " قطوف من رياض السنة " تأليف الدكتور / صالح أحمد رضا ، ( ص / ٥١ ) ، دار القلم ، دمشق ، ط : ٢ ، ١٤١٠ هـ .

(٣) - " نظرات فقهية وتربوية في أمثال الحديث " تأليف الدكتور / عبدالمجيد محمود عبدالمجيد ، ( ص / ١٨٩ ) .

وتكمن قوة التأثير في الحديث أنه قرَّب إلى أذهان المدعوين أمراً معنوياً ، وأصلاً عظيماً من أصول الدين وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمثال حسي جميل ، برُكَّاب سفينة تشق طريقها في عُباب البحر ، بما فيه من المخاطر والصعوبات ، وقد صوِّر عليه الصلاة والسلام ذلك الأمر تصويراً دقيقاً ، وكأنَّ المُخاطب يرى ذلك المشهد بعينه فقَسَّم الرُّكَّاب إلى قسمين قسم في أعلى السفينة يتمتعون بالقرب من الماء وشفاء الجو والطمأنينة والراحة ، وقسم في أسفل السفينة ؛ وهو مكان ضيق محجوب عن الجمال والنُّور ، أهله في معاناة وتعَب ، وضنك .

الأخيار في النُّور ، والأشرار وأهل المعاصي والمنكرات في الظلِّمة .

## المبحث الثاني : أسلوب القصة .

وفيه تمهيد ومطلبان :

**المطلب الأول : تعريف القصة وبيان أهم خصائصها .**

**المطلب الثاني : القصة النبوية وعلاقتها بالمنهج الحسي .**

## المبحث الثاني

### أسلوب القصة

#### تمهيد

القصة فن أدبي رائع يجذب النفوس ويأسرها ، « وأسلوب من أجمل أساليب التصوير وأعمقها في النفس ، ذلك أن النفس البشرية ميّالة لسماع القصة ، تجد الأُنس والمتعة في متابعة أحداثها وقد تجد فيها ما تريده أو ما تحياها فيترك ذلك فيها من التأثير والاستمتاع ما لا تبلغه وسيلة أخرى » (١) .

ومما يزيد النفوس انجذاباً وميلاً إلى سماع القصص ، أنّها في الغالب تُحبُّ الاستطلاع وتهوى زيادة المعلومات .

يقول البهي الخولي - رحمه الله - : « غريزة حُبّ الاستطلاع تعلق عين السامع وأذنه ... وانتباهه بشفتي القصصي البارِع استشرافاً لمعرفة ما خفي من بقية الأنباء » (٢) .

ومما يدل على هذا الميل الفطري نحو القصة ، ما جاء في الحديث الصحيح أن الرسول ﷺ ذكر قصة موسى مع الخضر ثم قال : « وددنا أن موسى كان صبر فقصَّ الله علينا من خبرهما » (٣) .

ولعلم الله سبحانه وتعالى بهذا الميل وهو العليم بما خلق ﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾ (٤) .

فقد قصَّ على رسوله ﷺ أحسن القصص في كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، يقول تعالى : ﴿ نحن نقصُّ عليك أحسن القصص بما أو حينا إليك هذا القرآن وإن كنتَ من قبله لمن الغافلين ﴾ (٥) .

(١) - " التصوير الفني في الحديث النبوي " للدكتور / محمد الصباغ ( ص / ٤٩٨ ) .

(٢) - " تذكرة الدعاة " ( ص / ٣٨ ) ، مكتبة دار الفلاح - الكويت ، ط : ٦ ، ١٣٩٩ هـ .

(٣) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " ، كتاب الأنبياء ، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام ، ( ١٠٥٣/٢ ) ح ( ٣٤٠٠ ) والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الفضائل ، باب من فضائل الخضر عليه السلام ، ( ١٤٧٣/٤ ) ح ( ٢٣٨٠ ) .

(٤) - سورة الملك ، الآية : (١٤) .

(٥) - سورة يوسف ، الآية : (٣) .

وبين سبحانه وتعالى الغاية من وراء ذلك القصص فقال : ﴿ فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ﴾ (١) ، وقال : ﴿ لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً يُفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ (٢) .

والقصص القرآني أحد الأساليب التي استعملها القرآن الكريم في ترسيخ مبادئ العقيدة وإيضاح أسسها (٣) ، وبيان أصول شرائع الأنبياء ، يقول الله تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ إلاّ نوحى إليه أنّه لا إله إلاّ أنا فاعبدون ﴾ (٤) .

وأيضاً لتثبيت قلب النبي ﷺ ومن بعده من الدعاة والمصلحين (٥) ، كما أخبر الله عن ذلك في كتابه العزيز بقوله : ﴿ وكلاً نقصُ عليك من أنباء الرُّسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين ﴾ (٦) ، وغير ذلك من أخبار الأنبياء والمرسلين وأتباعهم ، وقصص المكذبين وما أصابهم من العذاب جرّاء تكذيبهم ، ولكون السُّنة النَّبوية امتداداً وبياناً للقرآن الكريم فقد نهج الرُّسول ﷺ منهج القرآن في استخدام القصة كأسلوب من أساليب الدّعوة إلى الله تعالى ، وتقريب الحقائق والأحداث إلى الأذهان في صور مُحبّبة إلى النفوس ، يشهد لذلك ما سبقت الإشارة إليه في قصة موسى مع الخضر (٧) ، وما ورد عن الرُّسول ﷺ عندما قَسَمَ الغنائم يوم حنين فآثر أناساً فقال رجل : والله إنّ هذه القسمة ما عدلَ فيها ، وما أريد بها وجه الله فقال عليه الصلاة والسلام : « فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله ؟ رحم الله موسى فقد أُوذي بأكثر من هذا فصبر » (٨) .

(١) - سورة الأعراف ، جزء من الآية : (١٧٦) .

(٢) - سورة يوسف ، الآية : (١١١) .

(٣) - " مباحث في علوم القرآن " للدكتور . مناع القطان ، ( ص / ٣٠٧ ) مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان ، ط : ١٧ ، ١٤١١هـ .

(٤) - سورة الأنبياء ، الآية : (٢٥) .

(٥) - " دراسة ناقدة لأساليب التربية المعاصرة في ضوء الإسلام " ، فتحية رسلان ، ( ص / ٦٩ ) طبعة مؤسسة تهامة ، جدة ١٤٠٣هـ .

(٦) - سورة هود ، الآية : (١٢٠) .

(٧) - " سبق تخريجها ، (ص/٢٦٦) .

(٨) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب فرض الخمس ، باب ما كان النبي ﷺ ، يُعطى المؤلفات لقلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه (٩٦٨/٢) ح (٣١٤٣) ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الزكاة ، باب إعطاء المؤلفات لقلوبهم على الإسلام (٦٠٤/٢) ح (١٠٥٩) .

والقصص النبوي يأتي في المنزلة الثانية بعد قصص القرآن الكريم ، وقد أشار إلى ذلك الأستاذ البهي الخولي - رحمه الله - بقوله : « ومن القصص الذي يجب أن تستعين به قصص رسول الله ﷺ ، وهو قصص كان يختاره عليه الصلاة والسلام من تاريخ السابقين ليشرح ما يريد من المعاني بالأمثلة الحية الواقعية ، وهذا القصص يأتي في المرتبة بعد قصص القرآن الكريم » (١) .

وقد زخرت السنة النبوية بالكثير من النصوص المعروضة بأسلوب قصص يشدُّ النَّاسَ نحو مبادئ الدِّين ، وتعاليمه السَّامية ، ولذلك كانت القِصَّة أسلوباً مؤثراً ، ودعامة من دعامات الدَّعوة إلى دين الله تعالى ، ووسيلة من وسائلها ، فعن طريق حُبِّ النَّاسِ للقصص وميلهم إليه تصبح النَّفوس أوعية مفتوحة يصبُّ فيها الدَّاعية ما يشاء فيبلغ القرار (٢) .

يقول الدكتور تهامي نفرة : « دلت التجربة التربوية على أنَّ أشدَّ المواعظ ... الدينية نفاذاً إلى القلوب ما عُرض في أسلوب قصصي يحمل على المشاركة الوجدانية للأشخاص ، والتأثر بالأحداث ، والانفعال بالمواقف » (٣) .

وبعد هذه التوطئة يحسن التعريف بالقصة بشكل عام ، ومن ثمَّ تعريف القصة في السنة النبوية ، وإليك بيان ذلك .

(١) - " تذكرة الدَّعاة " ( ص / ٥٩ ) ، مرجع سابق .

(٢) - ينظر : " المرجع السابق " ( ص / ٤٥ ) . بتصريف .

(٣) - " سيكولوجية القصة في القرآن " ( ص / ٤٤ ) ، الشركة التونسية للتوزيع ، عام ١٩٧٤م ، بدون ذكر رقم الطبعة .

**المطلب الأول : تعريف القصة وبيان أهم خصائصها  
في السنة النبوية .**

وفيه مسلكان :

**المسلك الأول : تعريف القصة لغةً واصطلاحاً .**

**المسلك الثاني : أهم خصائص القصة النبوية .**

## المسلك الأول : تعريف القصة لغةً واصطلاحاً

### أولاً : القصة في اللغة

أصل القصّ عند العرب : تتبّع الأثر ، يقال قصصت الشيء إذا تتبعت أثره شيئاً بعد شيء (١) ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَقالت لأخته قُصِيه ﴾ (٢) أي تتبعي أثره ، وكقوله تعالى : ﴿ فارتدّا على آثارهما قصصاً ﴾ (٣) . أي رجعا من الطريق الذي سلكاه يقصان أثر سيرهما بمعنى يتتبعانه (٤) .

ويردُ بمعنى البيان والإنباء (٥) ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون ﴾ (٦) ، بمعنى : يُبين لهم ما اختلفوا فيه (٧) ، والإنباء ، نحو قوله تعالى : ﴿ ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ﴾ (٨) أي أنبأناك بأخبار بعضهم ولم نُطلعك على ما كان من شأن آخرين منهم (٩) .

ومن هنا نجد أنّ المفهوم اللغوي لكلمة ( قصّ ) يدور حول التتبع لأمر ما ، وبيانه ، والإخبار به (١٠) . والقاصُّ : الذي يأتي بالقصة على وجهها كأنه يتتبع معانيها وألفاظها (١١) .

والعرب تجعل حكاية كل خبر قصّة ، إلا أنّ المتأمل فيما تعارف عليه أهل العلم والأدب أنّ القصة لون من الأخبار ذو طبيعة خاصة ، وعلى ذلك فكل قصّة خبر وليس كل خبر قصّة (١٢) .

- (١) - "لسان العرب" (٧٤/٧) مادة : (قصص) .
- (٢) - سورة القصص ، جزء من الآية ، (١١) .
- (٣) - سورة الكهف ، الآية : (٦٤) .
- (٤) - "لسان العرب" (٧٥/٧) ، مادة : (قصص) .
- (٥) - "المرجع السابق" (٧٤/٧) ، "والنهاية في غريب الحديث" لابن الأثير (٧٠/٤) ، مادة : (قصص) .
- (٦) - سورة النمل ، الآية : (٧٦) .
- (٧) - ينظر : "الجامع لأحكام القرآن" لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ، (١٥٣/١٣) .
- (٨) - سورة غافر ، الآية : (٧٨) .
- (٩) - ينظر : "جامع البيان عن تأويل أي القرآن" لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٨٦/١٢ ، ٨٧) ، دار الفكر - بيروت ، عام ١٤٠٨هـ ، بدون ذكر رقم الطبعة ، "الجامع لأحكام القرآن" للقرطبي (٢١٧/١٥) .
- (١٠) - ينظر : "مختارات من القصص الصحیح في السنة النبوية - دراسة تحليلية تربويه" د . طلعت محمد عفيفي سالم (ص/١٦) ، دار الزهراء للإعلام العربي - القاهرة ، ط : ١ ، ١٤٠٨هـ .
- (١١) - ينظر : "لسان العرب" (٧٤/٧) .
- (١٢) - ينظر : "صحيح القصص النبوي" للدكتور . عمر سليمان الأشقر (ص/١٢) دار النفائس للنشر والتوزيع - الأردن ، ط : ١ ، ١٤١٨هـ .



### ثانياً : القصة في الاصطلاح

وقبل البدء بتعريف القصة في السنة النبوية أودُّ أن أشير إلى بعض التعريفات للقصة في القرآن الكريم ، والقصة بمفهومها العصري . فقد عرفها أبو بكر الرازي <sup>(١)</sup> بقوله : " قصص القرآن إخباره عن أحوال الأمم الماضية والنبوات السابقة والحوادث الواقعة " <sup>(٢)</sup> . ويقول في موضع آخر : « والقصص هو مجموع الكلام المشتمل على ما يهدي إلى الدين ويرشد إلى الحق ويأمر بطلب النجاة » <sup>(٣)</sup> . فيزيد على الحسن الذي تضمنه القصص شيئاً آخر إذ يثبت للقصة القرآنية قوة التأثير والهداية والإرشاد والإنجاء .

أمّا القصة بالمفهوم العصري فقد عرّفت بتعريفات منها :  
 - عرفها بعضهم بقوله : « القصة هي حكاية نثرية تستمد من الخيال أو الواقع أو منهما معاً وتبني على قواعد معينة من الفنّ الكتابي » <sup>(٤)</sup> .  
 - وقال آخرون : « القصة هي أحد أنواع النثر الفني ، ونمط من أنماط الأساليب الجمالية ، تقوم على عوامل كثيرة من التشويق ، والحوار والحبكة ، والوحدة الموضوعية ، وحلّ المشكلات عن طريق تسلسل الأحداث وربط المشاهد بعضها ببعض » <sup>(٥)</sup> .  
 - ويعرفها الدكتور : محمد بن سليمان الأشقر فيقول : « القصة فنّ حكاية الحوادث والأعمال بأسلوب لغوي ينتهي إلى غرض مقصود » <sup>(٦)</sup> .

(١) - هو : محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين بن علي التيمي البكري الطبرستاني ، الرازي ، الشافعي ، المعروف بالفخر الرازي ، مفسر ، متكلم ، فقيه ، أصولي ، حكيم ، أديب ، شاعر ، طبيب ، مشارك في كثير من العلوم الشرعية والعربية وغيرها ، ولد بالرّي سنة ٥٤٤ هـ ، اشتغل بالعلم ، وانتشرت تواليفه في البلاد شرقاً وغرباً ، كان يتوقّد ذكاءً ، من مؤلفاته : " مفاتيح الغيب في تفسير القرآن " ، " شرح الوجيز للغزالي في فروع الفقه الشافعي " وغيرها ، بدت منه في مؤلفاته بلايا وعظائم وانحرافات عن السنة ، والله يعفو عنه ، فإنه توفي على طريقة حميدة ، توفي بهراة يوم عيد الفطر سنة ٦٠٦ هـ ، وله بضع وستون سنة . ينظر : " سير أعلام النبلاء " ( ٥٠٠/٢١ ) ، " معجم المؤلفين " ( ٥٥٨/٣ ) .  
 (٢) - " مفاتيح الغيب " ( التفسير الكبير ) ( ٢٤٩/٣ ) للإمام فخر الدين الرازي ، دار الكتب العلمية - طهران ، ط : ٢ ، بدون ذكر سنة الطبع .  
 (٣) - " المرجع السابق " ( ٧٠٢/٣ ) .  
 (٤) - " المعجم الوسيط " لأحمد الزيات وآخرون ، ( ص / ٧٤٠ ) مادة " قصص " . بتصريف يسير .  
 (٥) - ينظر : " مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة " العدد : ( ٥٢ ) سنة ( ١٤٠١ هـ ) ، ( ص / ١٠٨ ) .  
 (٦) - " معجم علوم اللغة العربية عن الأئمة " د . محمد بن سليمان الأشقر ، ( ص / ٣٢٠ ) ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط : ١ ، ١٤١٥ هـ .

### المسلك الثاني : أهم خصائص القصة النبوية

تتميز القصة النبوية عن غيرها من القصص عدا القصة القرآنية  
بخصائص من أهمها :  
أولاً : الواقعية والصدق <sup>(١)</sup> :

ومعنى ذلك أنّ القصة النبوية تصفُ الواقع والحدّثُ وصفاً صحيحاً بما فيه  
من جوانب الخير والشر ، ولا تجنح إلى الخيال في اختيار موضوعاتها . وإنما  
تعتمد على الواقع اعتماداً كلياً .

وهذا هو الفارق بينها وبين القصص الأدبي الذي لا يلتزم الواقع بل يبني  
مادته القصصية على الخيالات والافتراضات ، ومن هنا يلتبس الحق بالباطل ،  
والله قد نهى عن ذلك في كتابه العزيز بقوله : ﴿ ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا  
الحق وأنتم تعلمون ﴾ <sup>(٢)</sup> .

يقول الأستاذ : أنور الجندي « وأخطر ما تواجهه القصة هو الخروج من عالم  
الواقع إلى عالم ليس موجوداً في الحقيقة ، فهي تقدّم للمحرومين العاجزين  
تعويضاً خيالياً وهمياً عن جميع حاجاتهم الهامة ، فتقتل فيهم الحافز القوي ،  
وتُميت فيهم الضمير وتُضللهم عن مقاييس العقل ، وترفع عنهم تكاليف  
الحياة » <sup>(٣)</sup> .

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ القصة في القرآن والسنة عندما تتحدث عن  
جوانب الشرّ فإنما تصفُ الواقع كما هو ، لأنّ الإنسان لديه استعداد للخير  
والشرّ ، وذكرها لجانب الشرّ لا تقصد به إجازة الانحراف ، كلاً ! إنّما تصور  
الإنسان على هذه الصورة المزدوجة التي هي طبيعته الحقيقية . تصوّره في  
لحظات ضعفه ولحظات قوته ، لحظات هبوطه ولحظات رفعته ، اللحظات التي  
يلصق فيها بطين الأرض واللحظات التي يُشرق فيها بنور الله <sup>(٤)</sup> . ومع أنّ القصة

(١) - ينظر : " خصائص القصة الإسلامية " تأليف الدكتور / مأمون فريز جرّار ، (ص/٢٢٩) ، طبعة  
دار المنارة - جدة ، ط : ١ ، ١٤٠٨هـ .

(٢) - سورة البقرة : الآية (٤٢) .

(٣) - " أخطاء المنهج الغربي الوافد " ، (ص/٣٢٢) دار الكتاب اللبناني ، ط : ١ ، عام ١٩٧٩م .

(٤) - ينظر : " منهج الفن الإسلامي " (ص/٥٤) للأستاذ / محمد قطب ، دار الشروق ، بيروت ،  
ط : ٦ ، ١٤٠٣هـ .

النَّبَوِيَّةُ تصف حالة الضَّعْف والهَيُوط عند الإنسان ، إلا إنها لا تَمُجِّد تلك اللَّحظة ، ولا تَسُلِّط عليها الأضواء ، وإنما تدفع الإنسان إلى الارتفاع عليها ، والسمو بنفسه فوقها<sup>(١)</sup> ، والواقع في النُّصوص القصصية في السنة النبوية أنَّها تركز على لحظة الإنابة ، والأمثلة على ذلك كثيرةٌ منها : قصة قاتل المائة<sup>(٢)</sup> ، يقول الدكتور : طلعت محمد عفيفي مُعلِّقاً على بعض أحداث القصة : « ... فلقد ذكر ماضيه السيء في سطور قليلة ، ثم أسهبت القصة في بيان لجوئه إلى التوبة ، وإفاقته من الغفلة ، وتميَّز تسليط الضوء على لحظة الإفاقة في هذه الروايات المتعددة لترحيب الله به ، وقبوله لتوبته ، ممثلاً في تقريب أرض التوبة وإبعاد أرض المعصية »<sup>(٣)</sup> .

وعلى العكس من ذلك القصص الغربية المنحرفة ، فإنَّها تبحث عن نقطة الضَّعْف البشري ، فتسلط عليها الأضواء ، وتسجلها بالتفصيل ، وتشدِّد بها ، وكأنها حققت انتصاراً عظيماً على الآداب والمثُل العليا في المجتمع ، وهكذا عندما تتقلب موازين الحق ، فإنَّ المُنكر يصبح معروفاً ، والمعروف منكراً ، ولا ذنب أعظم من الكفر .

## ٢ - عِفَّةُ الأُسْلُوبِ :

الأُسْلُوبُ القصصي هو الرِّدَاءُ الظَّاهري الذي تكتسي به المعاني ، فإذا كان الأُسْلُوبُ قوياً وجميلاً ونظيفاً ، ارتفعت قيمة المعنى ، وإذا كان الأُسْلُوبُ ضعيفاً وهابطاً فإنَّه يُؤثر على قيمة المعنى بالتدني وعدم القبول ، وفي ذلك يقول أبو العباس القلقشندي<sup>(٤)</sup> : « الألفاظ في المعاني بمنزلة الثياب من الأبدان ، فالوجه الصبيح يزداد حسناً بالحلل الفاخرة والملابس البهية ، والقبيح يزول عنه بعض القبح ، كما أنَّ الحَسَنَ ينقص حُسْنُهُ برثائه ثيابه ، وعدم بهجة ملبوسه ،

(١) - ينظر : " المرجع السابق " ( ص ٥٥ - ٥٦ ) .

(٢) - منقول عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب أحاديث الأنبياء ، باب : حديث الغار ، ( ١٠٧٨/٢ ) ح ( ٣٤٧٠ ) والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب التوبة ، باب قبول توبة التائب ( ١٦٨٣/٤ ) ، ح ( ٢٧٦٦ ) .

(٣) - " مختارات من القصص الصحيح في السنة النبوية دراسة تحليلية تربوية " ( ص/٣٢ ) .

(٤) - هو : أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي الشافعي ، نزل القاهرة ، أبو العباس ، أديب فقيه ، كتب في الإنشاء ، وناب في الحكم ، وفي أبنائه وأجداده علماء أجلاء ، ومن أفضل تصانيفه : " صبح الأعشى في قوانين الإنشاء " في ١٤ مجلداً ، توفي في القاهرة عام ٨٢١ هـ . ينظر : " شذرات الذهب " ( ١٤٩/٧ ) ، " الأعلام " ( ١٧٧/١ ) ، " معجم المؤلفين " ( ٣١٧/١ ) .

والقبيح يزداد قبحاً إلى قبحه ، فالألفاظ ظواهر المعاني ، تحسن بحسنها ،  
وتقبح بقبحها » (١) .

ومن هنا نجد أن القصص النبوي سلك مسلك القصص القرآني من ناحية  
موضوع القصة ، والزمان والمكان والأشخاص ، وطهارة الألفاظ ، فتجده يصور  
لحظة الضعف البشري عندما يقع في الخطيئة بأسلوب نظيف ، مُترفع عن  
الألفاظ والعبارات المتدنية الساقطة ، وهذا هو منهج الإسلام في معالجة الأخطاء  
والانحرافات ، يقول الأستاذ : محمد قطب - حفظه الله - عند حديثه عن سمات  
القصص القرآني : « ولكن منشأ النظافة أنه حين يلمّ بلحظة « الضعف البشري »  
لا يصنع منها بطولة تستحق الإعجاب والتصفيق ! إنّه يعرضها عرضاً « واقعياً »  
خالصاً ، ولكنه لا يقف عندها طويلاً ، وإنما يُسرع ليُسلط الأنوار على لحظة  
الإفاقة ، لحظة التغلب على الضعف البشري ، لأنّها الجديرة بتسليط الأنوار  
عليها ، وهي في حقيقتها « الإنسان » الذي كرمه الله وفضله على كثير من  
الخلق وعهد إليه بالخلافة الراشدة في هذه الأرض » (٢) .

ومن الأمثلة على عفة الأسلوب القصصي في السنة النبوية ما يلي :

- ما جاء في قصة « أصحاب الغار » من قول المرأة التي راودها ابن عمّها عن  
نفسها ؛ « اتق الله ولا تقض الخاتم إلا بحقه » (٣) .

وأيضاً ما جاء في قصة « الكفل » من قول الرسول ﷺ : « ... على أن  
يطأها » وقوله : « فلماً قعد منها مقعد الرجل من امرأته » (٤) .

وهكذا يعف الأسلوب النبوي عند التعرض لمواقف الفاحشة ، وما يدور بين  
الرجل وامرأته ، حيث يستعمل من الكنايات ما يُغني عن الألفاظ الصريحة ، التي

(١) - " صبح الأعشى في صناعة الإنشاء " تأليف أحمد بن علي القلقشندي ، شرح وتعليق : محمد حسين  
شمس الدين (٢١٠/٢) دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط : ١ ، ١٤٠٧هـ .

(٢) - " منهج الفن الإسلامي " ( ص / ١٥٩ ) ، " منهج التربية الإسلامية " للأستاذ / محمد قطب (١٩٦/١) دار  
الشروق ، ط : ٦ ، ١٤٠٢هـ .

(٣) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الإجارة ، باب من استأجر أجيرواً فترك أجره  
فعمل فيه المستأجر فزاد ، أو من عمل في مال غيره فاستفضل ، (٦٦٩/٢) ح (٢٢٧٢) والإمام مسلم في  
" صحيحه " كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح  
الأعمال ، (١٦٦٨/٤) ح (٢٧٤٣) .

(٤) - أخرجه الإمام الترمذي في " السنن " كتاب صفة القيامة ، باب : ٤٨ ، (٦٥٧/٤ - ٦٥٨) ح (٢٤٩٦)  
وقال عنه : " حديث حسن " ، وضعفه الشيخ الألباني في " ضعيف سنن الترمذي " (ص/٢٨٦) ح (٤٤٨) .

لا فائدة من ذكرها ، شأنه شأن القرآن الكريم في التزام الأدب والرقي والحرص على نظافة الأسلوب ، فقد قال الله تعالى في كتابه : ﴿ أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةُ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾ (١) . فكئى عن الجَمَاعُ بالرفث .

وعلى العكس من هذا الأسلوب الطاهر العفيف ، ما تنادي به المذاهب المعاصرة المنحرفة في القصة ، فهي تقول : « لا شأن للأخلاق في الأدب » (٢) ، وتقول : « ليس للأدب أن يُعطل عمله ليسأل عن قواعد الأخلاق » (٣) .

### ٣ - تحديد الغاية ووضوح الهدف :

القصص النبوي يحمل في طياته غايات سامية وأهدافاً نبيلة ، وقد أشار القرآن الكريم إلى المهمة الأساسية التي أرسل من أجلها نبينا محمد ﷺ فقال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِراً وَنَذِيراً \* وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً ﴾ (٤) .

إذا الغاية التي يسعى الرسول ﷺ لتحقيقها هي تعريف الناس بربهم ، وتوثيق صلتهم به ، وفي سبيل هذه الغاية تتعاون عدة وسائل للوصول إلى الهدف المنشود ومن بين هذه الوسائل القصة ، ومن ثمَّ فإنَّ القِصَّةَ في نظر الدَّاعية ليست مقصودة لذاتها ، أو للتسلي ، أو لقتل الأوقات ، وإنَّما هي حلقة في سلسلة مترابطة تهدف إلى تربية الفرد وتكوين المجتمع الصالح (٥) .

يقول الأستاذ البهي الخولي - رحمه الله - : « ليس الغرض أن ينظر الدَّاعية إلى التاريخ نظرة المدرس الذي يجمع المعلومات جمعاً علمياً مرتباً ثمَّ يقدمها لطلابه ، وليس الغرض أن يتطرقَّ الدَّاعية فيقص القصص للتسلية وتضييع الوقت في غير عناء - فإننا نرى كثيرين يركبون هذا النهج التافه فيسوقون القصة تلو القصة دون ربط بينهما ودون غاية مقصودة بكل منها - وإنَّما ينظر الدَّاعية

(١) - سورة البقرة ، الآية : (١٨٧) .

(٢) - " أخطاء المنهج الغربي الوافد " (ص / ٢٨٥) مرجع سابق .

(٣) - " المرجع السابق " (ص / ٣٣٤) .

(٤) - سورة الأحزاب ، الآيتان : (٤٥ - ٤٦) .

(٥) - ينظر : " القصص في الحديث النبوي " للدكتور : محمد بن حسن الزبير (ص/٦٦) ، يطلب الكتاب من

المؤلف ، ط : ٤ ، عام ١٤١٨هـ .

إلى التاريخ على أنه مستودع لأخطاء الإنسانية وصوابها وضلالها وهداها ، وما جنت في عواقبها من خير وشر ، وياخذ من ذلك لموضوعه بمقدار <sup>(١)</sup> .  
ومن ينظر في قصص السنة النبوية يجد أنه ملتزم بتحقيق أهداف دينية بحتة منها :

- أ - أنه يجعل من المعاني المجردة مواقف حسية توقظ الضمير ، وتعرف الناس بقضايا العقيدة الصحيحة ، وتمكنها من نفوس المدعوين وتربيتهم على المثل العليا والأخلاق النبيلة .
- ب - يعرض الأحداث والمواقف التاريخية بأسلوب قصصي جذاب ، يشد السامع إلى متابعة تلك الأحداث وتسلسلها الزمني ، فتكون أقرب إلى الذهن مما لو قُدمت في صورة حقائق جافة لا حياة فيها ولا حيوية <sup>(٢)</sup> .
- ج - يهدي إلى أخذ العظة والعبرة وتثبيت المؤمن على لزوم الدعوة إلى الحق ونصرته ، ولذلك إذا أراد عليه الصلاة والسلام أن يقوي عزائم أصحابه - ﷺ - ، ويشد من أزرهم في مواجهة الباطل وأهله قصاً عليهم قصص الثابتين على الحق ممن ابتلوا في دينهم فيقول : « كان الرجل فيمن قبلكم يُحفر له في الأرض فيجعل فيه ، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه ، فيشق باثنتين ، وما يصده ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد مادون لحمه من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن دينه .... » <sup>(٣)</sup> .
- د - ويهدف أيضاً إلى تثبيت المعلومات المجردة ، في الذهن ، مما يوفر الوقت والجهد للدعاة والمصلحين ، والمربين .

(١) - تذكرة الدعاة " ( ص / ٢٩١ ) مرجع سابق .

(٢) - ينظر : " دراسة ناقدة لأساليب التربية المعاصرة في ضوء الإسلام " فتحية الحلواني ، ( ص /

٨٠ ) . بتصرف يسير .

(٣) - أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ،

( ٣ / ١١١٤ ) ، حديث ( ٣٦١٢ ) .

**المطلب الثاني : القصة النبوية وعلاقتها بالمنهج**

**الحسي .**

وفيه تمهيد ومسلكان :

**المسلك الأول : القصة النبوية كأسلوب من أساليب**

**المنهج الحسي .**

**المسلك الثاني : أمثلة حسية من قصص السنة النبوية .**

## المطلب الثاني

### القصة النبوية وعلاقتها بالمنهج الحسي

#### تمهيد :

إنَّ الدَّعوة إلى لفت أنظار المدعوين إلى الأشياء المحسوسة منهج له أهدافه وغاياته يُوصِلُ المخاطب إلى الاقتناع ، ولا يزال هذا المنهج مُوصِلاً إلى عبادة الله وطاعته والرَّغبة في ثوابه والنَّجاة من عقابه ، وسيبقى ذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وقد أشار القرآن الكريم في آيات كثيرة يلفت فيها أنظار النَّاس إلى الآيات الحسية ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنَّهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع النَّاس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابَّة وتصريف الرياح والسَّحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون ﴾ (١) ، وقوله تعالى : ﴿ إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنَّهار لآيات لأولي الألباب \* الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه فقنا عذاب النار ﴾ (٢) .

وفيما يتعلّق بالقصة النبوية وعلاقتها بالمنهج الحسي ، فإنَّ ذلك يتبين بما يلي :

(١) - سورة البقرة ، الآية : (١٦٤) .

(٢) - سورة آل عمران ، الآيتان : (١٩٠ - ١٩١) .



## المسلك الأول

### القصة النبوية كأسلوب من أساليب الدعوة إلى الله بالمنهج الحسي

من المعلوم أنّ القصة أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله في القرآن والسنة النبوية ، وهو بدون شك أسلوب مؤثّر وفَعّال ، ومع ذلك فإنّ ارتباطه بالمنهج الحسي يزيده قوة وتأثيراً ، وتتجلى تلك العلاقة في نظر الباحث في أمور من أهمّها:

#### أولاً : تصوير المعاني المجردة إلى مشاهد حسية

وهذا الأمر هو لبّ الدّعوة إلى الله تعالى بالمنهج الحسي ، يضاف إلى ذلك جمال القصة في السنة النبوية وحُسن عرضها ، فهي تُصوّر الأحداث والمواقف تصويراً يأخذ بمجامع القلوب ، ويجعل من المعاني الذهنية مشاهد حسية كأنّها ماثلة للعيان ، ويصف الأستاذ : سيد قطب - رحمه الله - ذلك التصوير فيقول : « فهو يُعبّر بالصورة المُحسّنة المتخيّلة ، والمشهد المنظور ، .... ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة ، فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة ؛ وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد ؛ وإذا النموذج الإنساني شاخص حيّ ، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية ، فأما الحوادث والمشاهد ، والقصص والمناظر فيردّها شاخصة حاضرة ؛ فيها الحياة ، وفيها الحركة ؛ فإذا أضاف إليها الحوار فقد استوفى لها كل عناصر التخييل » (١) .

#### ومثال ذلك :

قصة الرؤيا التي رآها النبي ﷺ ، ورأى فيها ألواناً من العذاب يُصيب العُصاة في الآخرة . فعن سمرة بن جندب (٢) - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال : كان رسول الله ﷺ

(١) - "التصوير الفني في القرآن" (ص / ٣٦) ، دار الشروق ، ط / ٨ ، ١٤٠٣هـ .

(٢) - هو سمرة بن جندب بن هلال خديج بن مرّة ذي الرياستين الفزاري ، أبو سعيد - مع اختلاف في الكنية - صاحب النبي ﷺ ، سكن البصرة ، استخلف على البصرة مرتين ، وكان شديداً على الحرورية ، وكان - أيضاً - من الحفاظ المكثرين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، توفي بالبصرة سنة ٥٨هـ ، سقط في قدر مملوءة ماءً حاراً كان يتعالج بالقعود عليها من كزاز شديد أصابه فسقط في القدر الحارّة فمات رضي الله عنه وأرضاه . ينظر : "تهذيب الكمال" (١٣٢/١٢) رقم الترجمة (٢٥٨٥) ، "الإصابة" (١٥٠/٣) .

- يعني - مما يُكثر أن يقول لأصحابه : « هل رأى أحد منكم من رؤيا » . قال : فيقصُّ عليه من شاء الله أن يقصُّ ، وإنَّه قال ذات غداة : « إنَّه أتاني الليلة آتيان ، وإتتهما إبتعثاني ، وإتتهما قالاً لي انطلق ، وإنِّي انطلقت معهما ، وإتانا أتينا على رجل مضطجع ، وإذا آخر قائم عليه بصخرة ، وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيثلغ<sup>(١)</sup> رأسه ، فيتدهده<sup>(٢)</sup> الحجر هاهنا ، فيتبع الحجر فيأخذه ، فلا يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان ، ثمَّ يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل به في المرَّة الأولى ، قال : قلت لهما : سبحان الله ما هذان قال : قالاً لي : انطلق انطلق ، ... إلى أن قال - : فإني رأيت منذ اللَّيلة عجباً ، فما هذا الذي رأيت ؟ قال : قالاً لي : أما إنا سنُخبرك ، أمَّا الرجل الأول الذي أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر ، فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه<sup>(٣)</sup> وينام عن الصلاة المكتوبة ...»<sup>(٤)</sup>.

هذا الحديث يُعد قطعة قصيدة رائعة ، تصور بكل جلاء ووضوح العقوبة الأخروية لرافض القرآن بعد أخذه ، والنائم عن الصلاة المفروضة ، وكأنا نرى هذه العقوبة ماثلة أمامنا واقعاً ملموساً تتملاه العين مع الحسِّ والخيال ، رجل مضطجع ، ورجلٌ آخر قائم عليه بصخرة عظيمة يهوى بها على رأسه فينهشم من شدَّة الضربة ، ويتدحرج الحجر ، فيلحق به ذلك الرَّجل ، ويحمله ويرجع إلى ذلك الرَّجل المضطجع وقد عاد رأسه صحيحاً سليماً ، فيفعل به كما فعل به في المرة الأولى .

إنَّ هذا التصوير القصصي يحمل في طياته ترهيباً شديداً تتخلع لهولاه نياط القلوب - فلا حول ولا قوة إلا بالله - .

وإذا كان الإنسان يتألَّم من وخز الإبرة ، فما بالك بتلك العقوبة الأليمة التي لا صبر للإنسان عليها ، ولا يستطيع دفعها عن نفسه ؟ إن هذه الرؤيا التي سيقت

(١) - " الثلغ " : الشَّرْخُ وهو كسر الشيء الأجوف . وقيل : هو ضربك الشيء الرطب بالشيء اليابس حتى ينشخ . ينظر : " النهاية " ( ٢٢٠/١ ) ، " فتح الباري " ( ٤٦١/١٢ ) .  
 (٢) - " فيتدهده " : أي يتدحرج ، والمراد أنَّه دفعه من علو إلى أسفل . ينظر : " النهاية " ( ١٤٣/٢ ) ، " فتح الباري " ( ٤٦١/١٢ ) .  
 (٣) - " فيرفضه " أي يتركه . ينظر : " فتح الباري " ( ٤٦٤/١٢ ) .  
 (٤) - أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب التعبير ، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصُّبح ، ( ٢٢٠٥/٤ ) ح ( ٧٠٤٧ ) .

بأسلوب قصصي يُثير الاهتمام ، ويلفت الأنظار ، فيها ترهيب شديد لمن ينأمون عن الصلاة المفروضة عمداً وتهاوناً ، ولمن يرفضون القرآن ، فلا يقرأونه ولا يعملون به ، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : « رفض القرآن بعد حفظه خيانة عظيمة ، لأنه يوهم أنه رأى فيه ما يوجب رفضه فلما رفض أشرف الأشياء وهو القرآن ، عوقب في أشرف الأعضاء وهو الرأس » (١) .

وبهذا التصوير القصصي يكون الرسول ﷺ قد قرّب إلى أذهان المخاطبين تلك العقوبة الأليمة في مشهد حسي ، واقعي كأنهم يرونه حقيقة بأعينهم ، وقد كان لهذا الترهيب من تلك المعاصي أثراً واضحاً في حياة الصحابة - رضوان الله عليهم - فكانوا أحرص الناس على أداء الصلاة المفروضة مع جماعة المسلمين في وقتها ، وأكثر الناس اهتماماً بكتاب الله تعالى تلاوةً ، وحفظاً ، وتدبراً ، وعلماً وعملاً ، وهكذا ينبغي لمن سمع هذا الترهيب أن يكون له رادعاً ، وزاجراً عن ترك القرآن والنوم عن صلاة الفريضة .

(١) - " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ( ٤٦٤/١٢ ) ، " عمدة القارئ شرح صحيح البخاري " ( ٥٦/٢٠ ) .

### ثانياً : تقريب الأحداث والمواقف إلى ذهن المخاطب

من المهام الدعوية والتربوية للقصة النبوية المشتملة على منهج حسي تقريب الأشياء المعنوية إلى ذهن المخاطب ، وذلك بعرضها في صور حسية ، ماثلة أمام المدعو وكأنه يراها بعينه ، أو يدركها بحواسه الأخرى « لأن إبراز المعقول في هيئة المحسوس وتصويره بصورته يزيده وضوحاً وبياناً .... وكم من معنى جميل زاده التمثيل روعة وجمالاً ووضوحاً ، فكان ذلك أدعى لتقبل النفس له ، واقتناع العقل به » (١) .

ومن أمثلة ذلك : ما ذكره الرسول ﷺ في حديث الرؤيا المتقدم من بيان بعض الأمور التي رآها عليه الصلاة والسلام ، ومن ذلك قوله : « ... فانطلقنا فأتينا على مثل الثور - قال : وأحسب أنه كان يقول - فإذا فيه لغط (٢) وأصوات ، قال : فاطلغنا فيه ، فإذا فيه رجالٌ ونساءٌ عراةٌ ، وإذا هم يأتهم لهب من أسفل منهم ، فإذا أتاهم ذلك اللهبُ ضوضوا (٣) ، قال : قلت لهما : ما هؤلاء ؟ قال : قالوا لي : انطلق انطلق ، قال : فانطلقنا ، فأتينا على نهر - حسبت أنه كان يقول - أحمر مثل الدم وإذا في النهر رجلٌ سابح يسبح ، وإذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة ، وإذا ذلك السابح يسبح ما يسبح ، ثم يأتي ذلك الذي قد جمع عنده الحجارة ، فيفغر له فاه فيلقمه حجراً فينطلق يسبح ، ثم يرجع إليه كلما رجع إليه فغر له فاه فآلقمه حجراً ، قال قلت لهما ما هذان ؟ قالوا لي : انطلق انطلق .... إلى أن قال - : « .... وأما الرجال والنساء العراة الذين في مثل بناء التنور ، فإنهم الزناة والزواني ، وأما الرجل الذي أتيت عليه يسبح في النهر ويلقم الحجر فإِنَّه أكل الربا ... » الحديث (٤) .

في هذا الجزء من القصة النبوية تصوير للعذاب الذي يُصيب الزناة والزواني وأكلة الربا في الآخرة ، وقد قرَّبه عليه الصلاة والسلام إلى أذهان

(١) - " وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون " ، تأليف : عبد الوهاب العثمان ، ( ص / ٧ ) الدار السلفية - بدون تاريخ ولا تحديد الطبعة .

(٢) - " لغط " : اللغظ هو الصوت والضجة التي لا يفهم معناها . ينظر : " النهاية في غريب الحديث " ( ٢٥٧/٤ ) مادة ( لغط ) .

(٣) - " ضوضوا " : أي ضجوا واستغاثوا . والضوضاء : أصوات الناس وغلبتهم . ينظر : " النهاية في غريب الحديث " ( ١٠٥/٣ ) مادة : ( ضوضو ) .

(٤) - " تقدم تخريجه " ( ص / ٢٨٠ ) .

المخاطبين من الصحابة رضي الله عنهم بضرب الأمثلة الحسية من بيئتهم العربية . فعند وصفه للعذاب الذي أعدّه الله للزناة قال : « فأتينا على مثل التنور » . والتنور : هو ما يصنع فيه الخبز ، وهو معروف عند المخاطبين وموجود بكثرة في بيئتهم ، والرّسول صلى الله عليه وآله استعمل هذا الأمر المحسّ لتقريب أمر غيبي من أمور الآخرة ، وهو ذلك العذاب العظيم الذي يصيب الزناة والزواني في ذلك التّور العظيم الذي لا يعلم سعته وشدة حرارته إلا الله تعالى ، ومع ذلك فهم عراة تأتيهم النّسار من تحتهم ، وقد بين العلماء رحمهم الله الحكمة من ذلك ، فقال الإمام ابن حجر - رحمه الله - : « مناسبة العري لهم لاستحقاقهم أن يفضحوا لأنّ عادتهم أن يستتروا في الخلوة فعوقبوا بالهتك ، والحكمة في إتيان العذاب من تحتهم كون جنابيتهم من أعضائهم السّفلى » (١) .

ويصف أيضاً الرّسول صلى الله عليه وآله عذاب أكلة الرّبّا ، ويقربّه إلى أذهان المدعويين بأمثلة حسية معروفة عندهم ، كقوله صلى الله عليه وآله : « فأتينا على نهر أحمر مثل الدم » فاستعمل صلى الله عليه وآله الألوان لتحديد لون ذلك النّهر ، فقال : « أحمر مثل الدم » وحُمْرة الدّم لا تخفى على المدعويين من الصحابة - رضي الله عنهم - وفي الغالب أنّ العقوبات تكون من جنس المعاصي ، ولذلك يقول ابن حجر (٢) : « إنّما عوقب آكل الرّبّا بسباحته في النّهر الأحمر وإقامه الحجارة لأن أصل الرّبّا يجري في الدّهب ، والدّهب أحمر ، وأمّا إقام الملك له الحجر فإنّه إشارة إلى أنّه لا يغني عنه شيئاً ، وكذلك الرّبّا فإن صاحبه يتخيل أنّ ما له يزداد والله من ورائه يحقه » (٣) .

وأما تأثير هذا الأسلوب القصصي الذي اشتمل على منهج حسي فهو ذو أثر قوي فعّال ؛ لأنّه أوضح بجلاء هذا العذاب المهين الذي أعدّه الله للزناة ، وأكلة الرّبّا ولذلك فإنّ التصوير النّبوي لأحداث العقوبة ومواقفها فيه ترهيب وتحذير من الوقوع في هذه المعاصي الخطيرة ، والتي هي من كبائر الذنوب .

(١) - " فتح الباري " ، ( ١٢ / ٤٦٤ ) .

(٢) - " فتح الباري " ( ١٢ / ٤٦٥ ) .

(٣) - نقلاً عن ابن هبيرة .

## المسلك الثاني

### أمثلة حسية من قصص السنة النبوية

يمتاز الأسلوب القصصي في السنة النبوية بالسهولة ووضوح العبارة وقوة التأثير ، فإذا انضم إلى ذلك اشتماله على منهج حسي كان أكثر وضوحاً ، وأقوى تأثيراً ، ولذلك لم تخل القصص النبوية من توضيح بعض الأمور والأحداث عن طريق إثارة الحواس لتقريبها إلى ذهن المخاطب ترغيباً في فعل الخيرات ، أو ترهيباً من فعل المنكرات ، أو تسلية للصبر على المحن والابتلاءات ومن ذلك :

#### أولاً : تسلية الرسول ﷺ لأصحابه ببيان بعض ابتلاءات الأمم الماضية

فمن خباب بن الأرت قال : شكونا إلى رسول الله ﷺ - وهو متوسدٌ بُرْدَةٌ<sup>(١)</sup> له في ظل الكعبة - قلنا له : ألا تستنصر لنا ألا تدعو الله لنا ؟ قال : « كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض ، فيجعل فيه ، فيجاء بالمنشار<sup>(٢)</sup> فيوضع على رأسه فيشق باثنتين ، وما يصده ذلك عن دينه ، ويمشط بأمشاط الحديد<sup>(٣)</sup> . ما دون لحمه من عظم وعصب ، وما يصده ذلك عن دينه ، والله ليتمن هذا الأمر ، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ، لا يخاف إلا الله ، أو الذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون »<sup>(٤)</sup> .

من سنن الله تعالى في خلقه أن يتعرض الدعوة إلى الله تعالى واتباعهم لصنوف المحن والابتلاءات والايذاء ، وذلك تزكية وتطهيراً واختباراً من الله تعالى لهم ،

(١) - " بُرْدَةٌ " : البرد نوع من الثياب معروف ، والبرْدَةُ الثَّمَلَةُ المخططة . ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (١١٦/١) مادة (برد) .

(٢) - " المنشار " أداة للقطع والنحت ، يقال : نشر الخشب ينشرها نشرأ ونحتها ، وفي الصحاح : قطعها بالمنشار - والنشارة : ما سقط منه ، والمنشار : ما نُشر به ، ينظر : " لسان العرب " (٢٩/٥) مادة (نشر) .

(٣) - " وُيْمَشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ " : أمشاط جمع مشط ، وهو ما يُمَشَطُ به الشعر ، يقال : مشط شعره يمشطه ويمشطه مشطاً : رجّله ، وأمشاط الحديد على صورة المشط المعروف . ينظر : " لسان العرب " (٤٠٢/٧) مادة : (مشط) .

(٤) - أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب المناقب ، باب : علامات النبوة في الإسلام ، (١١٤/٣) ح (٣٦١٢) .

قال جلَّ وعلا : ﴿ أَلَمْ \* أَحْسَبِ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ \*  
ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمنَّ الله الذين صدقوا وليعلمنَّ الكاذبين ﴾ (١) .

وقد ابتُلِيَ الرَّعِيلُ الْأَوَّلُ من صحابة رسول الله ﷺ ابتلاءً عظيماً وزلزلوا  
زلزلاً شديداً وصبَّ عليهم كفار قريش صنوفاً وألواناً من العذاب ، بسبب  
إسلامهم ، وإيمانهم بالله تعالى .

فعن سعيد بن جبیر (٢) - ﷺ - قال : قلت لعبد الله بن عباس - ﷺ - :  
« أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله ﷺ من العذاب ما يُعذرون به  
في ترك دينهم ؟ قال : نعم والله إن كانوا ليضربون أحدهم ويُجيعونه ويُعطشونه  
حتى ما يقدر أن يستوي جالساً من شدة الضرِّ الذي به حتى يعطيهم ما سألوه  
من الفتنة حتى يقولوا له : اللات والعزى إلهاً من دون الله ؟ فيقول : نعم ،  
افتداءً منهم بما يبلغون من جهدهم » (٣) .

وعن جابر بن عبدالله - ﷺ - أن رسول الله ﷺ مرَّ بعمَّار وأهله وهم  
يعذبون فقال : « أبشروا آل عمَّار وآل ياسر فإنَّ موعدكم الجنة » (٤) .

وقد شكى الصحابة - ﷺ - إلى رسول الله ﷺ ذلك الابتلاء العظيم  
بالتعذيب الجسدي ، والحصار الاقتصادي والسُّخرية والاستهزاء ، والغمز واللمز  
وغير ذلك مما لا يُحتمل ، فأراد أن يُصبرهم ويُسلِّمهم فقص عليهم بعض ما نزل  
بمن قبلهم من المؤمنين من العذاب والابتلاء ، ووصف لهم - عليه الصلاة  
والسلام - ذلك الابتلاء العظيم ، وذلك التفتُّن من قبل أعداء الله في تعذيب  
أوليائه وكأنَّهم يرون ذلك المشهد القصصي المخيف ماثلاً أمام أعينهم فقال :

(١) - سورة العنكبوت ، الآيات : (١ - ٣) .

(٢) - هو : سعيد بن جبیر بن هشام ، الإمام الحافظ المقرئ المفسر الشهيد ، أبو محمد ، ويقال : أبو عبدالله  
الأسدي الوائلي ، أحد الأعلام ، تابعي جليل ، سمع من ابن عباس كثيراً ، ومن ابن عمر ، وأبي موسى  
الأشعري ، وأنس ، وأبي سعيد الخدري ، كان من أوعية العلم ، قتله الظالم الجبار ، الحجاج بن يوسف في  
شعبان سنة خمس وتسعين ، وعمره ٥٧ سنة ، ينظر : " سير أعلام النبلاء " ( ٣٢١ - ٣٤٣ ) ، " تهذيب  
التهذيب " ( ٢٩٦/٢ - ٢٩٨ ) .

(٣) - هذا الأثر أخرجه ابن الأثير في " أسد الغابة " ( ١٢٠٤/٤ ) من طريق ابن اسحاق ، وذكره الحافظ ابن  
كثير في " البداية والنهاية " ( ٧٦/٣ ) من طريق ابن اسحاق أيضاً ، يقول الصويان عن درجة الحديث " حسن  
لغيره " في كتابه " القصصية " ( ٣٥٧/١ ) . يراجع التخریج في حاشية ( السيرة النبوية لابن هشام )  
( ٣٤٣/١ - ٣٤٤ ) .

(٤) - أخرجه الإمام الحاكم في " المستدرک " كتاب معرفة الصحابة ( ٤٣٨/٣ ) ح ( ٥٦٦٦ ) وقال عنه :  
" صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه " ووافقه الذهبي .

« كان الرَّجُلُ فيمن قبلكم يُحفر له في الأرض فيجعل فيه » ، والمخاطبون يتصورون تلك الحفرة وما فيها من الضيق والظنك مع أنها المرحلة الأولى من العذاب ، وفيها إثارة لحاسة الإبصار لتنتظر عن طريق الخيال إلى ذلك الابتلاء العظيم .

المرحلة الثانية : « فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين ، وما يصده ذلك عن دينه .... » .

وفي هذا الأسلوب النبوي إثارة لحاسة اللمس ( الشعور بالألم ) والبصر لأنَّ المنشار معروف عند المخاطبين فهو آلة قطع مُسنَّنة تستعمل في قطع ونشر الأشجار والأخشاب وغيرها ، واستعمله الطغاة والمجرمون في قتل وتعذيب المؤمنين بالله تعالى ، فيا لهول المطلع عندما يتصور المدعو إنساناً يوضع المنشار في مفرق رأسه ويُنشر حتى يسقط إلى شقين ! ، ومع هذا التعذيب الشديد ، والتكيل الأليم فإنَّ أولئك المؤمنين ثابتون على دينهم حتى آخر لحظة في حياتهم . ويحكي الرسول ﷺ نوعاً آخر من العذاب فيقول : « ويُمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم وعصب ، وما يصده ذلك عن دينه ... » .

إن المخاطبين من الصحابة - ﷺ - يسمعون هذه المشاهد القصصية المروعة من التعذيب والتكيل لإخوان لهم سبقوهم على نفس الطريق والمنهج يستسهلون كل ما يأتيهم من الإبتلاء والتعذيب ، ويتلقونه بصدور مليئة بالإيمان والصبر ، منشرحة بالرضى عن الله تعالى مُحبة لرسوله ﷺ ، كما يقول خبيب بن عدي (١) - ﷺ - عندما أجمعت قريش على قتله وصلبه :

ولسنتُ أبا لي حين أقتلُ مسلماً \* على أي شقِّ كان في الله مضجعي  
وذلك في ذاتِ الإلهِ وإنْ يشأ \* يُبارك على أوصالِ شلُو مُمزَّع  
فلاست بمبدي للعدو تخشعاً \* ولا جزعاً ، إنِّي إلى الله مرجعي (٢) .

(١) - هو : خبيب بن عدي بن مالك بن عامر الأنصاري الأسدي ، شهد بدرًا ، وكان فيمن بعثه النبي ﷺ مع بني لحيان ، فلما صاروا بالرَّجيع غدروا بهم ، وقتلوه ، وأسروا خبيبا وزيد بن الدثنة ، فباعوهما بمكة ، حتى صلبوهما بالتتعيم . ينظر : " أسد الغابة " ( ١٠٣/٢ ) ، " الإصابة " ( ٢٢٥/٢ ) ، " سير أعلام النبلاء " ( ٢٤٦/١ ) .

(٢) - " زاد المعاد في هدى خير العباد " لابن قيم الجوزية ، ( ٢٤٥/٣ ) ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وعبدالقادر الأرنؤوط ، طبعة مؤسسة الرسالة ١٤١٢ هـ .



ويقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : « كان هؤلاء الذين فعل بهم ذلك أنبياء وأتباعهم ، قال : وكان في الصحابة من لو فعل به ذلك لصبر إلى أن قتل : وما زال خلق من الصحابة وأبنائهم فمن بعدهم يؤذون في الله ، ولو أخذوا بالرخصة لساغ لهم » (١) .

ثم بين - عليه الصلاة والسلام - أن الإسلام سينتصر وينتشر في أرجاء المعمورة ويعم الأمن والاستقرار والرخاء « حتى يسير الرّكب من صنعاء إلى حضرموت ، لا يخاف إلا الله ، أو الذئب على غنمه ؛ ولكنكم قوم تستعجلون » (٢) .  
فكما هو واضح في هذا الجزء من القصة استخدام الرسول ﷺ للمسافات بين المدن وهو أمر حسي معروف ، استعمله الرسول ﷺ لإقناع المدعوين من الصحابة - ﷺ - بأن ذلك الابتلاء من التعذيب والخوف والذل سيزول ويخلفه العدل والأمن والعز ، والنصر والتمكين ، وهذا من معجزاته ﷺ ، لأنه أخبر عن أمر غيبي وقد تحقق ، ووعد من الله تعالى لمن نصر دينه وذب عن نبيه بقول الله تعالى : ﴿ ... ولنصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز \* الذين إن مكّاهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور ﴾ (٣) .

وبهذا نخلص إلى أن هذه القصة النبوية القصيرة بما فيها من حسن العرض وجمال الأسلوب ودقة التركيب وقوة المعنى ، قد كان لها تأثير عظيم في نفوس من فتن في دينه من أصحاب محمد ﷺ وازداد تأثير القصة باشتغالها على أمور حسية أوضحت المقصود ، وقربت المعاني إلى أذهان المدعوين ، ووصف حال أولئك المؤمنين الصادقين وهم يُعدّون ، وكأنهم يرونهم بأعينهم ، وهذا مما يزيدهم إيماناً مع إيمانهم ، وصبراً إلى صبرهم ، ويوجدُ عندهم قناعة بأنهم على الحق ، وأن العاقبة للمتقين .

(١) - " فتح الباري " ( ٢٠٤/٧ ) نقلا عن ابن التين .

(٢) - " سبق تخريجه " ( ص / ٢٨٤ ) .

(٣) - سورة الحج ، الآيتان : ( ٤٠ - ٤١ ) .

## ثانياً : العقوبة العاجلة للمتكبرين

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال : (( بينما رجل يمشي في حلة <sup>(١)</sup> تُعجبه نفسه مُرجل جُمَّته <sup>(٢)</sup> يختال في مشيته <sup>(٣)</sup> ، قد أعجبته جُمَّته ويرداه إذا خسف الله به الأرض ، فهو يتجلجل <sup>(٤)</sup> في الأرض حتى تقوم الساعة )) <sup>(٥)</sup> ، وفي رواية أخرى عند مسلم : (( بينما رجل يتبختر <sup>(٦)</sup> )) <sup>(٧)</sup> .  
قصة قصيرة وسريعة في أحداثها ، عرضت الموقف بإيجاز ، وبينت أسباب الكبر ، وأعقبت ذلك بالمفاجأة الأليمة القاسية .

رجل يمشي مُعجب بنفسه وحُلته وشعره يختال في مشيته إذ خسف الله به الأرض ، فنال جزاءه الأليم الطويل <sup>(٨)</sup> .

ومن المعلوم أن الكبر مذموم بكل أشكاله وصوره واليسير منه سبب في حرمان المتكبر من دخول الجنة لما ثبت في الحديث الصحيح عن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : (( لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر )) <sup>(٩)</sup> . لأن الكبرياء رداء الله تعالى فمن نازعه شيئاً منها عدّبه ،

(١) - " الحلة " : واحدة الحُلل ، وهي برود اليمن ، ولا تسمى حلة إلا أن تكون ثوبين من جنس واحد ،  
" النهاية في غريب الحديث " (٤٣٢/١) .

(٢) - " مرجل جُمَّته " الجُمَّة : هي مجتمع الشعراء إذا تدلّى من الرأس إلى المنكبين وإلى أكثر من ذلك وأما الذي لا يتجاوز الأذنين فهو الوفرة ، وترجيل الشعر : تسريحه ودهنه . " فتح الباري " (٢٧٢/١٠) .

(٣) - " يختال في مشيته " الخيلاء بالضم والكسر : الكبر ، ومعنى يختال في مشيته : أي يتكبر فيها ينظر : " النهاية " (٩٣/٢) .

(٤) - " يتجلجل " أي يغوص في الأرض حين يُخسف به ، والجلجلة : حركة مع صوت : " النهاية في غريب الحديث " (٢٨٤/١) يقول ابن حجر رحمه الله - : " فالمعنى يتجلجل في الأرض أي ينزل فيها مضطرباً متدافعا " " فتح الباري " (٢٧٢/١٠) .

(٥) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب اللباس ، باب من جرّ ثوبه خيلاء ، (١٨٤٨/٤) ح (٥٧٨٩) . والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب اللباس والزينة ، باب تحريم التبختر في المشي مع إعجابه بثيابه (١٣١٦/٣) ح (٢٠٨٨) واللفظ له .

(٦) - " يتبختر " : أي المتبختر في مشيه ، وهي مشية المتكبر المعجب بنفسه . ينظر : " النهاية في غريب الحديث " ، (١٠١/١) مادة (بختر) .

(٧) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب اللباس والزينة ، باب تحريم التبختر في المشي مع إعجابه بثيابه (١٣١٦/٣) ، ح (٥٠/٢٠٨٨) .

(٨) - ينظر : " التصوير الفني في الحديث النبوي " مرجع سابق ، (ص/٥١٠) .

(٩) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الإيمان ، باب تحريم الكبر ، وبيانه ، (٨٩/١) ح (٩١) .

فعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة - رضي الله عنهما - قالوا : قال رسول الله ﷺ :  
 (( العزُّ إزاره ، والكبرياء رداؤه . فمن ينازعني عذبتة )) (١) .

ويقول سبحانه وتعالى في " الحديث القدسي " (( الكبرياء ردائي والعظمة  
 إزاري فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار )) (٢) .

وبما أن القصة لها تأثير في النفس ترغيباً وترهيباً ، لذا استعملها  
 الرسول ﷺ في هذا الحديث للتحذير من الكبر وبيان عقوبته ، وقد أثار عليه  
 الصلاة والسلام أذهان المخاطبين بأشياء حسية يمارسونها في حياتهم  
 اليومية كقول الرسول ﷺ في وصف ذلك الرجل المتكبر : « مُرَجَّلٌ جُمَّتْهُ »  
 ومعلوم أن ترجيل الشعر من الأمور المعروفة عند المخاطبين .

الوصف الثاني : قوله ﷺ : « بينما رجل يتبختر » أي يمشي مشية فيها  
 حركات حسية يقصد من ورائها الكبر والتعاضم والترفع على الناس ،  
 والمخاطبون يتصورون تلك المشية المليئة بالكبر ، فيكرهون صاحبها  
 وينفرون منه .

والزينة في الأصل أمر محمود شرعاً ، يقول الله تعالى : ﴿ يا بني آدم  
 خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين ﴾ (٣) .  
 وفي موضع آخر يُنكر الله تعالى على من حرّم زينته التي أخرجها لعباده  
 فقال : ﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين  
 آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ﴾ (٤) ، إلا أن الزينة المؤدية إلى الكبر  
 والتعالي على الناس بغير الحق محرمة بنص القرآن ، يقول الله تعالى :  
 ﴿ قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن  
 تشركوا ما لم يتزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾ (٥) .

(١) - " المرجع السابق " كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الكبر ، ( ٤ / ١٦٠٥ ) ح ( ٢٦٢٠ ) .  
 (٢) - أخرجه الإمام أبو داود في " سننه " كتاب اللباس ، باب ما جاء في الكبر ( ٤ / ٣٥٠ ) ،  
 ح ( ٤٠٩٠ ) ، وصححه الشيخ الألباني في " صحيح سنن أبي داود " ( ٢ / ٥١٧ ) ، ح ( ٤٠٩٠ ) .  
 (٣) - سورة الأعراف ، الآية : ( ٣١ ) .  
 (٤) - سورة الأعراف ، الآية : ( ٣٢ ) .  
 (٥) - سورة الأعراف ، الآية : ( ٣٣ ) .

وإعجاب المرء بنفسه أمر مذموم شرعاً ؛ لأنه يُؤدي إلى الكبر واحتقار الناس ، يشهد لذلك ما نقله ابن حجر عن القرطبي قوله : " إعجاب المرء بنفسه هو ملاحظته لها بعين الكمال مع نسيان نعمة الله ، فإن احتقر غيره مع ذلك فهو الكبر المذموم " (١) .

وجاء في " الفتح " (٢) عن بعض العلماء جزمهم بأن الرجل المذكور في الحديث هو : قارون (٣) .

وقد قص الله تعالى علينا خبره عندما خرج متكبراً متعالياً بزينته على قومه فقال سبحانه : ﴿ فخرج على قومه في زينته قال الذين لا يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم \* وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها إلا الصّابرون \* فحسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين ﴾ (٤) .

وقد أوضح الرسول ﷺ ذلك الخسف بأسلوب ترتجف لسماعه القلوب فقال : ( فهو يتجلجل في الأرض حتى تقوم الساعة ) والجلجلة أمر حسي جمع بين الحركة والصوت .

والمدعوون من أصحاب رسول الله ﷺ بتصورهم لتلك العقوبة الأليمة والمستمرة إلى يوم القيامة كانوا أكثر الناس تواضعاً ورحمة بعباد الله ، ولذلك امتدحهم الله تعالى بقوله : ﴿ محمدٌ رسول الله والذين آمنوا معه أشداء على الكفار رُحماء بينهم تراهم رُكعاً سُجّداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود .... ﴾ (٥) .

وقال سبحانه : ﴿ .... أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يُجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ﴾ (٦) .

(١) - " فتح الباري " (٢٧٢/١٠) .

(٢) - " المرجع السابق " (٢٧٢/١٠) .

(٣) - هو قارون بن بصهر بن قاهث . وعند أكثر أهل العلم : أنه كان ابن عم موسى - - ، وكان يُسمى الثور لحسن صوته بالتوراة ، ولكنه نافق كما نافق السّامري ، فأهلكه البيغي لكثرة ماله وكنوزه ، وقصته معروفة في القرآن الكريم . ينظر : " البداية والنهاية " (٢٨٨/١) .

(٤) - سورة القصص ، الآيات : (٧٩ - ٨١) .

(٥) - سورة الفتح ، جزء من الآية : (٢٩) .

(٦) - سورة المائدة ، جزء من الآية : (٥٤) .

وبالجملة فإن هذه القصة تصور لنا حال ذلك الرجل المتكبر والأرض تبتلعه ويتحرك فيها حركة قاسية مؤلمة ، يتلقى من خلالها أشدّ العذاب حتى تقوم الساعة ، وفي هذا زجر شديد لعباد الله المؤمنين وتحذيرهم من الكبر ودعوة إلى الابتعاد عن أسبابه ودواعيه . والدعاة والمصلحون والأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر من باب أولى ، يقول الدكتور طلعت محمد عيفي : « ولئن كان الكبر - بشتى مظاهره - مذموماً من جميع الناس ، فإنه يكون من الدعاة أشدّ ذمّاً ، وذلك لحاجة الناس إلى علمهم وفقههم ، فإذا تعالى الداعية على الناس وتكبر عليهم في مظهره أو مخبره فإنه بذلك يضلّ ويضلّ ويكون علمه ودعوته حُجّة عليه لا له . فما أحرى أن يتجملّ الدعاة بأدب التواضع في المظهر والمخبر ، ليحملوا الناس على حبّهم ، وبالتالي تثمر دعوتهم فيهم » (١) .

(١) - مختارات من القصص الصحيح في السنة النبوية - دراسة تحليلية تربوية " ، (ص/١٤٦) .

**المبحث الثالث : أسلوب المقارنة (الموازنة) وأمثلتها :**  
وفيه مطلبان :

**المطلب الأول : تعريف المقارنة ، وبيان أهميتها في  
الدعوة إلى الله بالمنهج الحسي .**

**أولاً : تعريف المقارنة لغةً واصطلاحاً .**

**ثانياً : أهمية المقارنة في الدعوة إلى الله بالمنهج الحسي .**

**المطلب الثاني : أمثلة حسية لأسلوب المقارنة .**

**أولاً : المعيار الصحيح للمفاضلة في الإسلام .**

**ثانياً : مقدار التفاوت بين نعيم الدنيا والآخرة .**

**ثالثاً : النهي الشديد عن الجلوس على القبور .**

## المطلب الأول

### تعريف المقارنة ، وبيان أهميتها في

### الدعوة إلى الله بالمنهج الحسي

#### أولاً : تعريف المقارنة لغةً واصطلاحاً

- ١ - المقارنة في اللغة : مأخوذة من قارن الشيء الشيء مقارنة<sup>(١)</sup> ، تقول : « قارنت بين الشيئين والقران الحبل يُقرن به شيان »<sup>(٢)</sup> ، « وقارن الشيء بالشيء وازنه به »<sup>(٣)</sup> .
- ٢ - المقارنة اصطلاحاً : لم أجد من عرفها تعريفاً اصطلاحياً مع البحث والتنقيب ، ولكن يمكن أن تُعرف في ضوء المعنى اللغوي بأنها : الجمع بين أمرين يتضح باجتماعهما وتقابلهما أمرٌ ، لو لم يذكر لأمكن خفاؤه وغموضه .  
أو أنها : الموازنة بين أمرين أو أكثر لإظهار الأفضلية ، أو بيان الرتبة ومقدار الرُحجان ، والله أعلم .

#### ثانياً : أهمية أسلوب المقارنة في الدعوة إلى الله بالمنهج الحسي

تبرز أهمية المقارنة الحسية في الدعوة إلى الله ، وفي الخطاب بصفة عامّة ، بقوة الإيضاح ، وإفهام المخاطب بأقصر طريق ، يُضاف إلى ذلك أنّ « هذا الأسلوب قد جمع بين الإمتاع والإقناع ، أمّا الإمتاع فلأنّ السّامع والقارئ يكونان أمام صورة تربط بين شيء معروف وأمر جديد يتعرفانه ، وأمّا الإقناع فلأنّ الموازنة تجعل الإنسان يأخذ بالرأي الذي يدل عليه الدليل »<sup>(٤)</sup> .

(١) - ينظر " لسان العرب " ( ٣٣٦/١٣ ) مادة : ( قرن ) .  
(٢) - " معجم مقاييس اللغة لأبي الحسن أحمد بن فارس ، ( ٧٦/٥ ) .  
(٣) - " المعجم الوسيط " ( ص / ٧٣٠ ) مادة ( قرن ) .  
(٤) - " التصوير الفني في الحديث النبوي " مرجع سابق ( ص / ٥١٤ ) .

وتأمل معي ما جاء عن سهل بن سعد - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء » (١) .  
 فعن طريق المقارنة في هذا الحديث بين الرسول ﷺ قيمة الدنيا عند الله تعالى ،  
 فوازن بين الدنيا وبين جناح البعوضة ، بل إنَّها عند الله أقل من ذلك ، ولذلك  
 نرى الكفار يتعمون فيها أكثر من المسلمين في أحيان كثيرة .  
 فالحديث اشتمل على العناصر الثلاثة التي سبقت الإشارة إليها ، وبيان ذلك فيما  
 يلي :

**أولاً : الإيضاح :** الذي لا يشوبه غموض ، وذلك لأنَّ الرسول ﷺ بين قيمة  
 الدنيا ووزنها عند الله تعالى بأمر حسي معروف عند المدعوين وهو جناح البعوضة .  
**ثانياً : الإمتاع :** وهو انشراح النَّفس لمعرفة القيمة الحقيقية للدنيا ، وبالتالي  
 لا يحزن الإنسان عليها إذا أدبرت ، ولا يفرح بها إذا أقبلت : قال تعالى : ﴿ لكيلا  
 تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختار فخور ﴾ (٢) .  
**ثالثاً : الإقناع :** ويتحقق بقوة تأثير أسلوب المقارنة في نفوس المخاطبين ،  
 لأنَّ الرسول ﷺ وازن بين أمر يراه النَّاس في أعينهم عظيماً وهو الدنيا ، وأمر  
 حقير لا يلتفت إليه وهو جناح البعوضة ، ومن ثمَّ ترك حرية الاختيار للمخاطب  
 ليوازن هو أيضاً ، ويختار ما يدل عليه الدليل .  
 ومثل ذلك ما جاء عن عبدالله بن مُغفل (٣) - رضي الله عنه - قال : قال رجل للنبي ﷺ :  
 يا رسول الله : والله إني لأحبُّك . فقال : « انظر ماذا تقول ؟ » قال : والله إني لأحبُّك  
 - ثلاث مرات - فقال ﷺ : « إن كنت تحبني فأعدَّ للفقر تجفافاً (٤) ؛ فإنَّ الفقر

(١) - أخرجه الإمام الترمذي في " سننه " كتاب الزهد ، باب ما جاء في هوان الدنيا على الله ، (٤/٥٦٠) ح (٢٣٢٠) وقال عنه : " هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه " وصححه الشيخ الألباني في " صحيح سنن الترمذي " (٢/٢٦٩) ح (١٨٨٩) .

(٢) - سورة الحديد ، الآية : (٢٣) .

(٣) - هو : عبدالله بن مُغفل بن عبد نهم بن عفيف بن أسحم بن ربيعة بن عدي بن ثعلبة بن ذويب المزني أبو سعيد ، ويقال : أبو عبدالرحمن ، سكن المدينة ، ثم تحول إلى البصرة ، وهو من أصحاب الشجرة ، وذكر في ترجمته أنه كان من البكائين في غزوة تبوك ، ينظر : " تهذيب التهذيب " (٣/٢٦٢) " الإصابة في تمييز الصحابة " (٥/١٦٣) .

(٤) - " تجفافاً " جف الشيء - جفوا ، وجفوا : يبس ، وجف الشيء تجفيفاً ، وتَجَفَّأ : يبس ، والجَفْفُ : اليابس الغليظ من الأرض . ينظر : " المعجم الوسيط " (ص/١٢٧) مادة ( جَفَّ ) .



أسرع إلى من يُحِبُّني من السَّيْلِ إلى مُنتَهاه» (١) .

فوازن الرسول ﷺ بين سرعة السيل إلى منتهاه ، وسرعة الفقر إلى من يحب الرسول ﷺ ، لأنه سيجود بما له في سبيل الله ، فيصيبه الفقر (٢) .  
ومن هنا يتقرر أنَّ المقارنة من الأساليب الدعوية المؤثرة في نفوس المخاطبين ، لاشتمالها على أمثلة حسية تتضح بها المعاني المجردة وغيرها ، ولعلَّ في الأمثلة التالية ما يؤكد ذلك :

(١) - أخرجه الإمام الترمذي في سننه " كتاب الزهد ، باب ما جاء في فضل الفقر ، (٥٧٦/٤) حديث (٢٣٥٠) وقال عنه : " حديث حسن غريب " ، وضعفه الشيخ الألباني في " ضعيف سنن الترمذي " (ص/٢٦٥) ، وفي سننه أبو الوازع جابر بن عمرو وهو مختلف فيه . ينظر : " حاشية رياض الصالحين " (ص/١٩٠) ، تحقيق : عبدالعزيز رباح ، أحمد يوسف الدقاق ، دار ميمون - دمشق ، ط : ١٢ ، ١٤١١هـ .

(٢) - ينظر : " التصوير الفني في الحديث النبوي " ( ص / ٥٢٢ ) .

## المطلب الثاني

### أمثلة حسية لأسلوب المقارنة

#### أولاً : المعيار الصحيح للمفاضلة في الإسلام

يختلف النَّاسُ اختلافاً متبايناً في تقويم الأشخاص ، والحكم عليهم ، وذلك راجع إلى الأهواء ، والمقاصد ، والاعتزاز بالمناظر دون النَّظر إلى بواطن الأمور ، ومقدار قرب وبعُد العبد من ربه تعالى ، ولذلك حسم الرَّسول ﷺ هذا الاختلاف ، وقرَّرَ الحكم العادل ، والميزان الصحيح للأفضلية والخيرية ، وأنها قد تكون بعيدة عن المتوقع في ميزان العباد ، وأوضح ذلك بأسلوب المقارنة الحسي على النحو التالي .

فعن سهل بن سعد السَّاعدي - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أنه قال : مرَّ رجلٌ على رسول الله ﷺ فقال لرجل عنده جالس : « ما رأيك في هذا ؟ » . فقال : يا رسول الله ، هذا رجل من فقراء المسلمين ، هذا حريٌّ إن خطب أن لا يُنكح ، وإن شفع أن لا يُشَقَّع ، وإن قال أن لا يُسمع لقوله ، فقال رسول الله ﷺ : « هذا والله خيرٌ من ملء الأرض من مثل هذا » (١) .

مما لا يخفى أنَّ الاستعانة بالأحداث الجارية ، والأمر الحسية المشاهدة أسلوب نبوي له تأثيره العميق على المدعويين ، لما فيه من الإثارة وشدَّ الانتباه إلى المعاني المراد تقريرها في نفس المدعو ، وفي هذا الحديث نرى استعمال الرسول ﷺ المقارنة كأسلوب دعوي يشتمل على المنهج الحسي ، فقارن بين ذلك الرَّجل الغني الشريف في قومه ، الذي ترتفع الأبصار إليه لمكانته وشرفه ، وبين ذلك الرجل الفقير المُعَدَم الذي لا يُؤبَهُ له ولا يُنظر إليه ، والمدعو يشاهد كلا الرَّجلين ، وقد طلب منه الرسول ﷺ أن يُبدي رأيه فيما رأى ، فقال : هذا رجل من عليَّة القوم ، وهو حريٌّ إن خطب أن لا يُرد ، للطمع في شرفه وماله ، وإن شفع في أمر أن لا تُردُّ شفاعته لتقدير الناس له .

(١) - أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب النكاح ، باب : الأتقاء في الدين ، (١٦٣٩/٣) ح (٥٠٩١) .

وقال في الرَّجُل الآخر : هذا حريٌّ إنَّه لا يُتَكح ، وإن شفع في أمر لا تقبل شفاعته وإن قال قولاً لا يُسمع منه ، لفقره وضعفه وهوانه على النَّاس .  
وبعد هذه المقارنة المُشتملة على تلك الأسئلة المثيرة للانتباه ، المُنشِطة للذهن والتفكير ، أجاب الرسول ﷺ إجابة مغايرة لما في ذهن المخاطب فقال ﷺ : « هذا والله خير من ملء الأرض من مثل هذا » (١) .

إنَّها إجابة في غاية الإقناع للمدعو ولغيره ممن يسمع هذا الخطاب البليغ الذي بدأه الرسول ﷺ بالقسم ، واشتمل على مقارنة حسية ظهر معها البون الشاسع ، والتفاوت الكبير بين الرجلين .

وبهذا الأسلوب المؤثر لفت الرسول ﷺ نظر المدعو إلى الميزان الصحيح ، والتقويم السديد الذي يجب أن يُقوِّم الناس به ، وهو التقوى ، كما جاء ذلك في كتاب الله العزيز ، في قوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴾ (٢) .

يُعلق صاحب الظلال على هذه الآية فيقول : « وليس لِلنَّون والجنس واللُّغة والوطن وسائر هذه المعاني من حساب في ميزان الله . إنَّما هناك ميزان تتحدَّد به القيم ، ويُعرف به فضل النَّاس : ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ » (٣) .

وقد حدَّر الله تعالى رسوله ﷺ ، من الانخداع بالمظاهر البرَّاقة من جمال الأجسام ، وحُسن الكلام ، إذا لم يكن هناك إيمان وتقوى ، فقال سبحانه في وصف المنافقين : ﴿ وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كلَّ صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنَّى يؤفكون ﴾ (٤) . وأخبر سبحانه وتعالى أنَّه لا يُقيم لمن كفر به وصدَّ عن سبيله وزناً يوم القيامة ، يقول تعالى : ﴿ أولئك الذين كفروا بآياتِ ربه ولقاءه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً ﴾ (٥) .

(١) - " سبق تخريجه " ( ص / ٢٩٦ ) .

(٢) - سورة الحجرات ، الآية : (١٣) .

(٣) - " في ظلال القرآن " ( ٣٣٤٨/٦ ) .

(٤) - سورة المنافقون ، الآية : (٤) .

(٥) - سورة الكهف ، الآية : (١٠٥) .

وقد أشار الرسول ﷺ إلى هذه الآية في الحديث الصحيح ، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - ، عن رسول الله ﷺ قال : « إِنَّهُ لِيَأْتِي الرَّجُلَ الْعَظِيمَ السَّمِينِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ ، وَقَالَ : اقْرَأُوا ﴿ فَلَا نَقِيمَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنَا ﴾ (١) » (٢) .

وهذه الموازنة الحسية في حق الذين كفروا بالله واليوم الآخر ، أمّا أهل الإيمان والتقوى فَمَهْمَا ضَعُفَتْ أَجْسَامُهُمْ وَبَلِيَتْ ثِيَابُهُمْ ، وَخَشُنَ عَيْشُهُمْ ، فَإِنَّ لَهُمْ شَأْنًا عَظِيمًا فِي مِيزَانِ اللَّهِ تَعَالَى ، يَدُلُّ لَذَلِكَ مَا سَبَقَ بَيَانُهُ ، وَمَا رَوَاهُ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ - رضي الله عنه - قَالَ : سَمِعْتُ عَلِيًّا - رضي الله عنه - يَقُولُ : أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ ابْنَ مَسْعُودٍ فَصَعِدَ عَلَى شَجَرَةٍ ، أَمَرَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ مِنْهَا بِشَيْءٍ ، فَنَظَرَ أَصْحَابَهُ إِلَى سَاقِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ حِينَ صَعِدَ الشَّجَرَةَ ، فَضَحِكُوا مِنْ حُمُوشَةِ سَاقِيهِ (٣) ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا تَضْحَكُونَ ؟ لِرَجُلٍ عَبْدُ اللَّهِ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَحَدٍ » (٤) .

فكما هو واضح في هذا الحديث ، أراد الرسول ﷺ أن يؤدّب بعض الصحابة الذين ضحكوا من دقة ساقى عبدالله بن مسعود ، فلفت أنظارهم عن طريق المقارنة الحسية حيث وازن رضي الله عنه بين ساقيه الدقيقتين ، وبين جبل أحد ، مؤكّداً أنهما في ميزان الله تعالى أثقل من ذلك الجبل العظيم ، فتبين عن طريق هذه الموازنة الحسية فضل عبدالله بن مسعود ، وتقرر في أذهان المدعوين أنّ القيمة الحقيقية إنما هي بالإيمان والتقوى ، والعمل الصالح الذي يؤهل صاحبه لدخول الجنة ، ولذلك كان عامّة من يدخل الجنة الضعفة والمساكين الأنقياء من المسلمين كما ثبت ذلك في الصحيح عن أسامة بن زيد - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : « قَمَتِ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ ، فإِذَا

(١) - سورة الكهف ، الآية : (١٠٥) .

(٢) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب التفسير ، تفسير سورة الكهف ، (١٤٧٠/٣) حديث (٤٧٢٩) واللفظ له ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، كتاب صفة القيامة والنار (١٧٠٣/٤) ح (٢٧٨٥) .

(٣) - أي : دقة ساقيه ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (٤٤٠/١) مادة (حمش) .

(٤) - أخرجه الإمام أحمد في " المسند " (١٣٩/١) ح (٩١٩) ، والهيتمي في " مجمع الزوائد " (٢٨٨/٩) - (٢٨٩) وقال : بعد أن عزاه إلى أحمد وأبي يعلى والطبراني : رجالهم رجال الصحيح غير أم موسى وهي ثقة ، والحديث : إسناده حسن . ينظر تخريجه والحكم عليه في : " حاشية مسند الإمام أحمد " ، إشراف الدكتور : عبدالله بن عبدالمحسن التركي ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، عادل مرشد ، (٢٤٤/٢) ح (٩٢٠) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط : ١ ، ١٤١٤ هـ .

عامّة من دخلها المساكين ، وأصحاب الجَدِّ (١) محبوسون ، غير أن أصحاب النَّار قد أمر بهم إلى النَّار وقمت على باب النَّار فإذا عامّة من دخلها النِّساء (٢) .  
وفي موضع آخر يُقابل الرَّسول ﷺ بين أهل الجنّة وأهل النَّار ، فيقول :  
« ألا أخبركم بأهل الجنّة ؟ كل ضعيف مُتَضَعِّف (٣) ، لو أقسم على الله لأبره ، ألا أخبركم بأهل النَّار ؟ كُلَّ عَتَل (٤) جواظ (٥) مستكبر (٦) » (١) ، وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- ؛ أن رسول الله ﷺ قال : « رَبُّ أشعث مدفوع بالأبواب ، لو أقسم على الله لأبره » (٧) .

وبهذا يتبين أنّ أسلوب المقارنة أسلوب دعوي له تأثيره القوي ، ففي نفوس المدعويين لاشتماله على أمور حسية يدركها المخاطب فيصل عن طريقها إلى القناعة العقلية ، وفي هذا المثال أكد الرسول ﷺ بأنّ أصالة النَّسب ، ورفعة الشَّرَف ، وكثرة العرض ليس لها وزن في ميزان الله تعالى إذا لم تُحَطَّ بسياج الإيمان والتقوى .

### ثانياً : مكانة الجهاد في سبيل الله وعظم نعيم الآخرة

الجهاد في سبيل الله ذروة سنام الإسلام ، به تُرتفع عن المسلمين الدّلة والمهانة ويصبح لهم كيان قوي وعزّة ومنعة ، ولذلك كان فرضاً لازماً مكتوباً على الأمة ، يقول الله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٨) .

- (١) - " الجَدُّ " : أي الغنى . ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (٢٤٤/١) مادة (جدد) .
- (٢) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب النكاح ، باب : لا تأذن المرأة في بيت زوجها لأحد إلا بإذنه ، (١٦٧٢/٣) ح (٥١٩٦) ، الإمام مسلم في " صحيحه " ، كتاب الرقاق ، باب أكثر أهل الجنة الفقراء ، وأكثر أهل النار النساء ، وبيان الفتنة بالنساء ، (١٦٦٦/٤) ح (٢٧٣٦) .
- (٣) - " مُتَضَعِّف " : يريد الذي يتضعفه الناس ويتجبرون عليه في الدنيا للفقر ورثاثة الحال . " النهاية " (٨٨/٢) مادة (ضعف) .
- (٤) - " العتل " هو الشّدِيد الجاف ، والفظ الغليظ من الناس . " النهاية " (١٨٠/٣) مادة (عتل) .
- (٥) - " جواظ " الجوامع المنوع . وقيل الكثير اللحم المختال في مشيئته ، " النهاية " (٣١٦/١) ، مادة (جوظ) .
- (٦) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب التفسير ، باب : ﴿ عتل بعد ذلك زعيم ﴾ (١٥٧١/٣) ح (٤٩١٨) ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء ، (١٧٣٦/٤) حديث (٢٨٥٣) .
- (٧) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء ، (١٧٣٧/٤) ح (٢٨٥٤) .
- (٨) - سورة البقرة ، الآية : (٢١٦) .

وقد أعدَّ الله للمجاهدين في سبيله أجراً عظيماً ، وثواباً جزيلاً ، وأيُّ ثواب أعظم مما جاء في قوله تعالى : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً ، بل أحياء عند ربهم يُرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ﴾ (١) .

ومما جاء في قول الرسول ﷺ : « إنَّ في الجنَّةِ مائة درجةٍ أعدَّها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ... » (٢) .  
والحديث الذي تتناوله الدراسة يبين شيئاً من ذلك الفضل ، عن طريق الموازنة الحسية بين نعيم الدنيا ونعيم الآخرة .

فعن سهل بن سعد الساعدي - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « رباط (٣) يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها ، وموضع سوط (٤) أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها ، والروحة (٥) يروحها العبد في سبيل الله ، أو الغدوة (٦) خير من الدنيا وما عليها » (٧) .

وعن أنس بن مالك - رضى الله عنه - ، عن النبي ﷺ « لروحة في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها ، ولقاب قوس (٨) أحدكم من الجنة أو موضع قيد : يعني سوطه ، خير من الدنيا وما فيها ، ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل

(١) - سورة آل عمران ، الآية : (١٦٩) .

(٢) - أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الجهاد والسير ، باب : فضل الجهاد والسير ، (٨٦٤/٢) ح (٢٧٩٠) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

(٣) - الرِّبَاطُ في الأصل : الإقامة على جهاد العدو بالحرب .. ، وأصل المرابطة أن يربط الفريقان خيولهم في ثغر ، كلُّ منهما مُعدَّ لصاحبه ، فسُمِّيَ المقام في الثغور رباطاً . ينظر : " النهاية " (١٨٥/٢ - ١٨٦) مادة : (ربط) .

(٤) - " السُّوط " : الذي يُجَلَّدُ به ، والأصل : سواط ، وجمعه أسواط ، وسياط ، وسمي السُّوط سوطاً لأنَّه إذا سيط به إنسان أو دابةٌ خلط الدَّمُ باللحم ( لسان العرب ) (٣٢٦/٧) مادة : (سوط) .

(٥) - " الرُّوحَةُ " بالفتح المرة الواحدة من الرواح ، وهو الخروج في أي وقت كان من زوال الشمس إلى غروبها . ينظر : " النهاية " (٢٧٤/٢) مادة : روح ، " فتح الباري " (٣٣٠/١١) .

(٦) - " الغدوة " : من طلوع الشمس إلى الزوال ، وهي بالفتح المرة الواحدة من الغدو ، وهو الخروج في أي وقت من أول النهار إلى انتصافه ، ينظر : " النهاية " (٣٤٦/٣) مادة : (غدا) ، " فتح الباري " (٣٣٠/١١) .

(٧) - أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الجهاد والسير ، باب : فضل رباط يوم في سبيل الله ، (٨٩٢/٢) ح (٢٨٩٢) .

(٨) - " لقاب قوس أحدكم " أي قدرة ؟ والقاب : معناه القدر ، وكذلك القيد ، وقيل القاب : ما بين مقبض القوس وسيئته ، وقيل المراد بالقوس هنا : الذراع الذي يقاس به ، وكان المعنى : بيان فضل قدر الذراع من الجنة . ينظر : " فتح الباري " (١٧/٦) .

الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحاً ، ولنصيفها <sup>(١)</sup> على رأسها خير من الدنيا وما فيها <sup>(٢)</sup> .

الدعوة إلى الله تعالى بالمنهج الحسي في هذين الحديثين قائمة على أسلوب المقارنة ، أي أن الرسول ﷺ ، أثار أذهان المدعوين ولفت أنظارهم إلى أمور حسية من بيئتهم ، يعرفونها تمام المعرفة ، فقال عليه الصلاة والسلام - في الحديث الأول : « وموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما عليها » .

وفي الحديث الثاني : « ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ، ولملأته ريحاً ، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها » .

فالسوط : أداة ضرب صغيرة ، ولا يخفى على المخاطبين من أوصافها شيء ، وإذا وضعت في مكان ما فإنها لا تشغل منه إلا حيزاً يسيراً ، فإذا كان مثل ذلك الموضع الصغير من الجنة خير من الدنيا وما عليها ، فما بالك بما هو أعظم منه ! وامرأة واحدة من أهل الجنة ، لو قدر أنها خرجت على أهل الأرض لملأت بجمالها ما بين السماء والأرض نوراً وضياءً ، ولملأت أيضاً ما بينهما برائحتها الطيبة الزكية ، وخمارها على رأسها خير من الدنيا بأكملها ، وما فيها من كنوز ثمينة ، ومعادن نفيسة .

إن المخاطب عندما يُقارن بين نعيم الدنيا ، والشيء اليسير من نعيم الآخرة يجد أن الفرق شاسع ولا يخفى أن هذه المقارنة التي جاء بها الرسول ﷺ إنما هي لتقريب بعض الحقائق الغائبة من أمور الآخرة فحسب وإلا فالدنيا كلها لا تساوي ذرة واحدة مما في الجنة .

ينقل الإمام ابن حجر عن ابن دقيق العيد <sup>(٣)</sup> - رحمهما الله تعالى - تعليقه على قول الرسول ﷺ : « خير من الدنيا وما فيها » ، فيقول : « يحتمل وجهين :

- (١) - " ولنصيفها " التصيف : الخمار . ينظر : " النهاية " (٦٦/٥) مادة : (نصف) .
- (٢) - أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الجهاد والسير ، باب الحور العين وصفتهن .. الخ ، (٨٦٥/٢) ح (٢٧٩٦) عن أنس بن مالك رضي الله عنه .
- (٣) - هو : محمد بن علي بن وهب بن مطيع المعروف بابن دقيق العيد ، من أكابر العلماء بالأصول ، قاض ، مجتهد ، أصله من منفلوط . ولي قضاء الديار المصرية ، واستمر إلى أن توفي بالقاهرة ، ومن مؤلفاته : " إحكام الأحكام " ، " شرح الأربعين حديثاً " للنووي ، مات عام ٧٠٢ هـ . ينظر : " طبقات الشافعية " (٨٤/٣) ، " الأعلام " (٢٨٣/٦) ، " معجم المؤلفين " (٥٥٣/٣ - ٥٥٤) .

**أحدهما :** أن يكون من باب تنزيل المغيب منزلة المحسوس تحقيقاً له في النَّفْس لكون الدنيا محسوسة في النَّفْس مُسْتَعْظِمة في الطَّبَاع فلذلك وقعت المُفاضلة بها ، وإلا فَمِنَ المعلوم أنَّ جميع ما في الدنيا لا يُساوي ذرَّةً مما في الجنَّة .

**الثاني :** أنَّ المراد أنَّ هذا القدر من الثواب خير من الثواب الذي يحصل لمن لو حصلت له الدنيا كلها لأنفقها في طاعة الله » (١) .

ثم يقول ابن حجر : « والحاصل أنَّ المراد تسهيل أمر الدنيا وتعظيم أمر الجهاد ، وأنَّ من حصل له من الجنَّة قدر سوط يصير كأنَّه حصل له أمر أعظم من جميع ما في الدنيا ، فكيف بمن حصل منها أعلى الدَّرَجَات والنُّكْتة في ذلك أنَّ سبب التأخير عن الجهاد الميل إلى سبب من أسباب الدنيا فنَّبه هذا المتأخر أنَّ هذا القدر اليسير من الجنة أفضل من جميع ما في الدنيا » (٢) .

ويُعلِّق الإمام العيني - رحمه الله - على قول الرسول ﷺ : « لقاب قوس أحدكم من الجنة » فيقول : « أي موضع سوط في الجنة ، يريد ما صَعُر في الجنة من المواضع كلها من بساتينها وأرضها ، فأخبر أنَّ قِصَرَ الزَّمان وصغِير المكان في الآخرة خير من طویل الزَّمان وكبير المكان في الدنيا تزهداً وتصغيراً له وترغيباً في الجهاد ، إذ بهذا القليل يعطيه الله في الآخرة أفضل من الدنيا وما فيها ، فما ظنَّكَ بمن أتعب فيها نفسه وأنفق ماله » (٣) .

ويقول الإمام القرطبي - رحمه الله - معلقاً على قول الرسول ﷺ : « خير من الدنيا وما عليها » : « يعني : أنَّ الثواب الحاصل على مشية واحدة في الجهاد خير لصاحبه من الدنيا كلها لو جُمعت له بحذافيرها » (٤) .

وعلى هذا يكون الرسول ﷺ قد رَغِبَ في الجهاد بأسلوب المقارنة الحسية ، واتضح للمخاطب وغيره ، ذلك الفضل العظيم ، الذي يَنعم به المجاهد في سبيل الله ، ولذلك كان الصحابة - رضِيَ اللهُ عنهم - يتنافسون في الاشتراك في المعارك ضد أعداء الله تعالى رجاء أن يفوزوا بالشهادة في سبيل الله ، لعلمهم بمقدار أجر المجاهد ، ولإيمانهم بتحقيق ذلك في الآخرة .

(١) - " فتح الباري " (١٨/٦) .

(٢) - " فتح الباري " (١٨/٦) .

(٣) - " عمدة القارئ " ، (٣٣١/١١) .

(٤) - " المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم " ، (٧٠٩/٣ - ٧١٠) .



### ثالثاً: الجلوس على الجمر أهون من الجلوس على القبور

من المُسَلَّم به أنَّ المسلم له حرمة حيًّا وميتاً « فيُعامل بالأدب ، وبالتسليم عليه وبغير ذلك » (١) ، ولذلك نهى الرَّسول ﷺ في أحاديث متفرقة في كتب السُّنة ، عن الجلوس على القبر ، وقد استعمل الرَّسول ﷺ في ذلك النَّهي أسلوب المقارنة الحسية للتحذير من ذلك العمل المحرم ، فعن أبي هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال : قال رسول ﷺ : « لَأَنْ يَجْلِسَ أَحَدُكُمْ عَلَى جَمْرَةٍ فَتُحْرَقَ ثِيَابُهُ ، فَتَخْلُصَ إِلَى جِلْدِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَجْلِسَ عَلَى قَبْرِ » (٢) .

ففي هذا الحديث مقارنة بين الجلوس على الجمر ، والجلوس على القبر ، وقد أثار الرَّسول ﷺ بهذه المقارنة حاسة الشُّعور بالألم والمُخاطب إذ يتصور جلوسه على الجمر والنَّار تحرق ثيابه ، وتتعدَّها إلى جسمه فيشعر بالألم الشَّدِيد ، ومعلوم أنَّ الإنسان إذا رأى النَّار وأحسَّ بحرارتها فإنه يبتعد عنها ، ويَفرُّ من حرِّها ، فكذلك إذا رأى القبر يجب عليه الابتعاد عنه فلا يمشي عليه ، ولا يجلس عليه ولا يتكئ عليه ، ولا يتخذ المقابر طريقاً لأنَّ في ذلك إهانة للأموات .

وبهذا يكون الرَّسول ﷺ قد استعمل أسلوب المقارنة لتحذير المخاطبين من الجلوس على القبور والتَّعرض لها بما يُقلِّل من حرمتها ، ولهذا التحذير النَّبوي وقع شديد على النَّفس ، يُؤلِّد عند المخاطب شعوراً بحرمة المُسلم الميت وكرامته ، فيتعامل معه بالأدب الرَّفيع وكأنَّه حي ، ومن ذلك السَّلَام عليه ، والدُّعاء له بخير وإزالة الأذى عنهم ، يقول أحد الصحابة : كان رسول الله ﷺ يُعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر : « السَّلَام عليكم أهل الدِّيَار من المؤمنين والمسلمين . وإنا ، إن شاء الله بكم للاحقون . أسأل الله لنا ولكم العافية » (٣) .

وأيضاً الابتعاد عن أذيته بالجلوس على قبره ، أو المشي عليه ، كما قد ورد النَّهي بذلك ، فعن عقبة بن عامر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال : قال رسول الله ﷺ : « لَأَنْ أَمْشِيَ عَلَى جَمْرَةٍ أَوْ سَيْفٍ ، أَوْ أَخْصَفُ (٤) نَعْلِي بِرَجْلِي ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَمْشِيَ

(١) - " المرجع السابق " (٦٢٧/٢) .

(٢) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الجنائز ، باب النهي عن الجلوس على القبر والصلاة عليه ، (٥٥٦/٢) حديث (٩٧١) .

(٣) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الجنائز ، باب ما يُقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها ، (٥٥٩/٢) حديث (٩٧٥) .

(٤) - " أخْصَفُ " أصل الخصف الضمُّ والجمع ، ويخفف نعله هو خرزها طاقة على أخرى . ينظر : " مشارق الأنوار على صحاح الآثار " (٣٠٢/١) مادة : (خصف) .

على قبر مسلم ، وما أبالي أوسط المقابر قضيت حاجتي <sup>(١)</sup> ، أو وسط السوق <sup>(٢)</sup> ، وكذلك ما جاء عن بشير بن الخصاصية <sup>(٣)</sup> ؛ قال : بينما أنا أمشي مع رسول الله ﷺ فقال : « يابن الخصاصية ! ما تنقم على الله ؟ أصبحت تماشي رسول الله . » فقلت : يا رسول الله ! ما أنقم على الله شيئاً . كل خير قد أتانيه الله . فمررت على مقابر المسلمين . فقال " « أدرك هؤلاء خيراً كثيراً » . ثم مررت على مقابر المشركين . فقال : « سبق هؤلاء خيراً كثيراً » . ؟ ، قال فالتفت فرأى رجلاً يمشي بين المقابر في نعليه فقال : « يا صاحب السببيتين <sup>(٤)</sup> ! ألقهما » <sup>(٥)</sup> .

ويرى الإمام النُّووي - رحمه الله - تحريم الجلوس على القبور <sup>(٦)</sup> . ويقول الأبى - رحمه الله - : « وكالجلوس على القبور في المنع ، الاستناد إليها والاتكفاء عليها كذلك ، وكذا المشي بقبر ، بطريق أخرى ، ولا سيما بالنعال ، فإن دعت الضرورة إلى المشي تخطيت القبور ، ولا يُبيح المشي عليها وجود طرق قديمة عليها ، لأن ذلك يزيدا إهانة ، وكاد أن يكون القعود عليها كبيرة » <sup>(٧)</sup> .

مما سبق نخلص إلى أن أسلوب المقارنة الذي استعمله الرسول ﷺ في التحذير من الجلوس على القبور ، أسلوب له تأثيره القوي في نفوس المخاطبين ، وذلك لاشتماله على أمور حسية ، تُثير عند المدعو الشعور بالألم وهو الإحراق بالنار ، عند ذلك يقارن بين ذلك الإحراق وبين الجلوس على قبر المسلم ، فيجد أن عذاب الجالس على القبر أعظم من ذلك الإحراق .

(١) - " قضيت حاجتي " : كناية عن البول أو الغائط ، والمعنى أن الإنسان لا يستطيع قضاء حاجته وسط السوق لوجود الناس ، فكذلك المقابر

(٢) - أخرجه الإمام ابن ماجه في " سننه " كتاب الجنائز ، باب ما جاء في النهي عن المشي على القبور والجلوس عليها (٢٦٢/٢) ح (١٥٦٧) ، والحديث صححه الشيخ الألباني في كتابه " صحيح سنن ابن ماجه " (٣٥/٢) ح (١٢٨٣) .

(٣) - هو : بشير بن مَعْبُد ، وقيل : ابن زيد بن معبد بن ضباب بن سبغ بن سدوس ، وقيل : ابن شراحيل بن سبع السدوسي المعروف بابن الخصاصية ، وكان اسمه زحماً فسماه الرسول ﷺ بشيراً ، نزل البصرة ، ينظر : " تهذيب التهذيب " (٣٥٣/١) ، " الإصابة في تمييز الصحابة " (٤٤٥/١) .

(٤) - " السببيتين " : أي صاحب النعلين ، وسميت سببياً ، لأن شعرها قد سبت عنها بالدبغ . ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (٣٣٠/٢) مادة (سبت) .

(٥) - أخرجه الإمام أبو داود في " سننه " ، كتاب الجنائز ، باب المشي في النعل بين القبور ، (٣٢٣٠/٣) ح (٣٢٣٠) ، والإمام الترمذي في " سننه " كتاب الجنائز ، باب كراهية المشي بين القبور في النعال السببية ، (٤٠١/٤) ح (٢٠٤٧) ، وابن ماجه في " سننه " كتاب الجنائز ، باب ما جاء في خلع النعلين في المقابر ، (٢٦٣/٢) ح (١٥٦٨) وحسنه الشيخ الألباني في " صحيح سنن ابن ماجه " (٣٦/٢) ح (١٢٨٤) .

(٦) - " شرح الإمام النُّووي لصحيح مسلم " (٣٨/٧) .

(٧) - " شرح الأبى لصحيح مسلم " (٣٨٤/٣) .

## المبحث الرابع : أسلوب الحوار وأمثله :

وفيه مطلبان :

**المطلب الأول : تعريف الحوار ، وأهميته في الدعوة إلى الله .**

أولاً : تعريف الحوار لغةً واصطلاحاً .

ثانياً : أهمية الحوار في الدعوة إلى الله .

**المطلب الثاني : أمثلة حسنة على أسلوب الحوار .**

أولاً : بيان قيمة الدنيا في الآخرة .

ثانياً : بيان كون أمة محمد ﷺ نصف أهل الجنة .

ثالثاً : التنفير من الغيبة .

## المطلب الأول

### تعريف الحوار ، وبيان أهميته في الدعوة إلى الله بالمنهج الحسي

#### أولاً : تعريف الحوار لغةً واصطلاحاً

أ - الحوار في اللغة : أصله من الحور وهو الرجوع عن الشيء وإلى الشيء ، وفي الحديث : « من دعا رجلاً بالكفر وليس كذلك حار عليه » ، وكل شيء تغير من حال إلى حال ، فقد حار يحور حوراً ؛ قال لبيد (١) :  
وما المرء إلا كالشهاب وضوئه \* يحور رماداً بعد إذ هو ساطع  
والمحاورة هي مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة . وهم يتحاورون أي يتراجعون الكلام (٢) .

وقد ورد في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع :

الأول : في قصة أصحاب الجنة في سورة الكهف : ﴿ فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً ﴾ (٣) .  
الثاني : في القصة نفسها ﴿ قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً ﴾ (٤) .  
الثالث : في صدر سورة المجادلة ﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما ﴾ (٥) .

ب \_ واصطلاحاً : من خلال الاستقراء يرى الباحث أن التعريفات التي يمكن

أن يُعرّف بها الحوار لا تخرج عن المعنى اللغوي .

(١) - هو : لبيد بن ربيعة بن عامر بن مالك العامري بن مالك العامري ، كان من فحول الشعراء ومن أصحاب المعلقات ، وفد على النبي ﷺ سنة وفد قومه ، فأسلم وحسن إسلامه ، وفي الحديث : " أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد : " ألا كل شيء ما خلا الله باطل " ، وترك الشعر بعد إسلامه ، سكن الكوفة وعاش طويلاً ، مات عام ٤١ هـ . ينظر : " أسد الغاية " (٤/٢٦٠) ، " الإصابة " (٥/٥٠٠ - ٥٠٤) .

(٢) - ينظر " لسان العرب " (٤/٢١٧ - ٢١٨) ، مادة : (حور) .

(٣) - سورة الكهف ، الآية : (٣٤) .

(٤) - نفس السورة ، الآية : (٣٨) .

(٥) - سورة المجادلة ، الآية : (١) .

ومن ذلك ما عرّفه به بعض الباحثين بقوله : « الحوار : هو نوع من الحديث يتم بين شخصين - على الأقل - يتبادلان فيه وجهات النّظر لكل منهما فرصة متكافئة في طرح الآراء ، والرّد عليها » (١) .

وقيل فيه أيضاً : هو « مراجعة الكلام والحديث بين طرفين ينتقل من الأول إلى الثاني ثم يعود إلى الأول وهكذا ، دون أن يكون بين هذين الطرفين ما يدل بالضرورة على وجوب خصومة » (٢) .

وفي ضوء المعنى اللغوي والاصطلاحي يمكن أن يُعرّف الحوار بأنه : مراجعة في قول بين طرفين لإزالة شبهة أو إقامة حجة ، وإظهار حقيقة (٣) .

### ثانياً : أهمية أسلوب الحوار في الدعوة إلى الله

كان الحوار وما يزال من أنجح الأساليب الدّعوية وأقواها تأثيراً في نفوس المخاطبين ، وذلك لاحترامه وتقديره للعقل ، وتركيزه على إقامة الحجّة ، والإقناع ، وجعل المخاطب في حرّية تامة لعرض رأيه والدّفاع عن فكرته ، وقد رسم القرآن الكريم منهجاً لهذا الأسلوب ، فكان الغالب في دعوة الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام لأقوامهم بأسلوب الحوار القائم على الحجّة والبُرهان ، كما جاء ذلك في حوار إبراهيم - عليه السلام - مع أبيه ، وقومه ، وإنكاره عليهم عبادة الأصنام ، يقول الله تعالى : ﴿ ولقد آتينا إبراهيم رُشده من قبل وكُنّا به عالمين \* إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التّمائيل التي أنتم لها عاكفون \* قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين \* قال لقد كنتم أنتم وعآباؤكم في ضلال مبين \* قالوا أجنّتنا بالحق أم أنت من اللاعنين \* قال بل ربّكم ربّ السماوات والأرض الذي فطرهنّ وأنا على ذلكم من الشّاهدين \* وتا الله لأكيّدنّ أصنامكم بعد أن تولوا مُدبرين \* فجعلهم جُذاداً إلاّ كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون \* قالوا من فعل هذا بأهتنا إنّه لمن الظّالمين \* قالوا سمعنا فتىّ يذكرهم يُقال له إبراهيم \* قالوا فأتوا به على أعينِ النَّاسِ لعلهم يشهدون \* قالوا عانت فعلت هذا بأهتنا يا إبراهيم \* قال بل فعله كبيرهم هذا فسلّوهم إن كانوا ينطقون \* فرجعوا إلى أنفسهم

(١) - " التربية الذاتية من الكتاب والسنة " هاشم علي الأهدل ، ( ص/١١٨ ) ، دار الأهدل ، مكة ١٤١٣هـ ، بدون ذكر رقم الطبعة .

(٢) - " في أصول الحوار " إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي (ص/١٤) ، ط : ١ ، ١٤١٦هـ .

(٣) - ينظر : " أصول الحوار وآدابه في الإسلام " للدكتور صالح عبدالرحمن حميد (ص/٦) دار المنارة ، جدة ، ط : ١ ، ١٤١٥هـ .

فقالوا إنكم أنتم الظالمون \* ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون \* قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم \* أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون ﴿١﴾ .

وأيضاً حوار نوح - ﷺ - مع قومه (٢) ، وشعيب - ﷺ - مع قومه (٣) ، وموسى - ﷺ - مع عدو الله فرعون (٤) ، وغير ذلك كثير مما جاء في الكتاب العزيز .

ومن يتأمل تلك النماذج الدعوية الحية يجد « أن القرآن الكريم يعتمد اعتماداً كبيراً على أسلوب الحوار ، في توضيح المواقف وجلاء الحقائق وهداية العقل ، وتحريك الوجدان ، واستجاشة الضمير ، وفتح المسالك التي تؤدي إلى حسن التلقي والاستجابة ، والتدرج بالحجة ، احتراماً لكرامة الإنسان وإعلاءً لشأن عقله الذي ينبغي أن يفتتح على بينة ونور » (٥) .

ويأتي خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ فيقيم دعوته على الحوار بكل أشكاله وصوره ، ومن ذلك :

حوار الرسول ﷺ مع الصحابة - ﷺ - لإثبات رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة ، كما جاء في حديث أبي سعيد الخدري - ﷺ - أن ناساً في زمن رسول الله ﷺ قالوا : يا رسول الله ! هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال رسول الله ﷺ « نعم » قال : « هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحواً ليس معها سحب ؟ وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحواً ليس فيها سحب ؟ » قالوا : لا يا رسول الله ! قال « ما تضارون في رؤية الله تبارك وتعالى إلا كما تضارون في رؤية أحدهما » (٦) .

وحواره ﷺ مع الرجل الذي جاءه يريد أن ينفي ابنه شكاً منه في نسبته إليه ، فعن أبي هريرة - ﷺ - قال : جاء رجلٌ من بني فزارة إلى النبي ﷺ فقال : إن

(١) - سورة الأنبياء ، الآيات : (٥١ - ٦٧) .

(٢) - الأعراف ، الآية : (٥٩) .

(٣) - سورة هود ، الآية : (٨٤) .

(٤) - سورة الشعراء ، الآية : (١٦ - ٣٥) .

(٥) - " في أصول الحوار " إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، (ص/١٧) .

(٦) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ ، (٤/٢٣٢١) ح (٧٤٣٩) والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الإيمان ، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى ، (١/١٤٥) ح (١٨٣) واللفظ له .

امرأتي ولدت غلاماً أسود ، فقال النبي ﷺ : « هل لك من إبل ؟ » قال : نعم قال : « فما ألوانها ؟ » قال : حُمْرٌ . قال : « هل فيها من أورك ؟ » قال : إنَّ فيها لورقاً . قال : « فأنتى أتاها ذلك ؟ » قال : عسى أن يكون نزعاً عرق . قال : « وهذا عسى أن يكون نزعاً عرقاً » (١) .

وحواره ﷺ أيضاً مع الأنصار - ﷺ - في أعقاب معركة حنين (٢) ، وحواره مع الشَّاب الذي جاءه يستأذنه في الزَّنا (٣) ، وغير ذلك مما هو مُتَنَاطِرٌ في كتب السُّنَّة . وبالجملة « فإنَّ أسلوب الحوار من أقوى أساليب الإقناع وما ذاك إلاَّ لأنَّه يُعَرِّفُ بالأساس العقلائي والمنطقي لأي قضية تُطرح ، ليرقى بالمتلقي من أسلوب التقليد الأعمى ، إلى أسلوب إعمال الفكر ، وإيضاح الحقائق ، والحرية في مناقشة أي فكرة تعترض له ، حتى يجد الحل الذي يتمشى مع الفطرة السليمة والعقل الصحيح دون أن تُفرض عليه بالقوة » (٤) .

ومع هذه الأهمية البارزة لأسلوب الحوار في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وقوة تأثيره على المخاطبين ، فإنَّه إذا ما انضم المنهج الحسي إليه يزداد به وضوحاً وتَبَرُّزُ المعاني المُجرَّدة في قوالب حسية ، يكون تأثيرها أعمق في نفوس المدعوين ولعلَّ في الأمثلة التالية ما يوضح ذلك .

- (١) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الطلاق ، باب إذا عرَضَ بنفي الولد ، (١٧٠٨/٤) ح (٥٣٠٥) ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب اللعان (٩١٨/٢) ح (١٥٠٠) واللفظ له .
- (٢) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب المغازي ، باب غزوة الطائف (١٣٠٧/٣) ح (٤٣٣١) والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الزكاة ، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبير من قوى إيمانه ، (٦٠٧/٢) ح (١٠٦١) .
- (٣) - " سبق تخريجه " (ص/١١) من هذا البحث .
- (٤) - " الإقناع في التربية الإسلامية " إعداد / سالم بن سعيد بن حبار ، (ص/١٠٠) طبعة دار الأندلس الخضراء - جدة ١٤١٩هـ .

## المطلب الثاني

### أمثلة على أسلوب الحوار المشتمل على منهج حسي

#### أولاً : بيان قيمة الدنيا في الآخرة

الدُّنيا حلوة خَصِيْرَة ، ومُحِبِّبَة إلى النُّفوس ، قال تعالى : ﴿ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ (١) ، وقال سبحانه ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ (٢) ، فحبُّ الدُّنيا والتسَمُّكُ فيها غريزة فطرية عند الإنسان ، لا يُلام عليها ، إنَّمَا اللُّومُ والمُواخِذَةُ يوجهان لمن رضي بالحياة الدنيا ومكَّنَّها من قلبه ، ونسي لقاء الله والدَّارَ الآخِرَةَ ، يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِمَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ أُولَئِكَ مَاوَاهُم النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (٣) ، وقال تعالى : ﴿ بَلْ تُؤَثِّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا \* وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ (٤) .

ولمعرفة الرَّسُولِ ﷺ بهذه الغريزة وتَأصُّلِهَا في الإنسان ، أراد أن يبين - عليه الصلاة والسلام - مكانة الدُّنيا وقيمتها بالنسبة للآخرة ، فاستعمل الحوار كأسلوب من أساليب المنهج الحسي ليوضح لأصحابه مكانة الدُّنيا عند الله عز وجل .  
فعن جابر بن عبد الله - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِالسُّوقِ ، دَاخِلًا مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ (٥) ، وَالنَّاسُ كَنَفَتْهُ (٦) ، فَمَرَّ بِجَدِيَّ اسْك (٧) مَيْتٍ ، فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَهُ بِأَذْنِهِ ثُمَّ قَالَ : « أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ هَذَا لَهُ بِدْرَهْمٍ ؟ » .  
فَقَالُوا : مَا نَحِبُّ أَنَّْهُ لَنَا بِشَيْءٍ . وَمَا نَصْنَعُ بِهِ ؟ .

- (١) - سورة الفجر ، الآية : (٢٠) .
- (٢) - سورة العاديات ، الآية : (٨) .
- (٣) - سورة يونس ، الأيتان : (٧ ، ٨) .
- (٤) - سورة الأعلى ، الأيتان : (١٦ ، ١٧) .
- (٥) - " العالوية " : اسم لكل مكان جهة نجد من المدينة من قراها وعمائرها إلى تهامة فهي العالوية ، وما كان دون ذلك من جهة تهامة فهي السافلة . " معجم البلدان " (٢٨٨/٣) .
- (٦) - " كَنَفَتْهُ " : الكنف والكنفة ناحية الشيء ، وناحيتنا كل شيء كنفاه ، والجمع أكناف ، والكنف الجانب والناحية . " لسان العرب " (٣٠٨/٩) مادة : (كنف) .
- (٧) - " بجدي أسك " الجدي الذكر من أولاد المعز . والجمع أجذ وجذاء ، والجذاية والجذاية جميعا : الذكور والأنثى من أولاد الضبَاء إذا بلغ ستة أشهر أو سبعة ، " لسان العرب " (١٣٥/١٤) مادة (جدي) ، والأسك : قيل : هو الصغير الأذنين الملتصقهما ، وهو أيضا الذي لا أذنان له ، والذي قطعتم أذناه ، تقول : سككته أي اصطلمت أذنيه ، وهو أيضا : الأصم الذي لا يسمع . ينظر : " مشارق الأنوار على صحاح الآثار " (٢٦٨/٢) مادة (سك) .



قال : « أتحبون أنه لكم ؟ » .

قالوا : والله ! لو كان حياً كان عيباً فيه ، لأنه أسك . فكيف وهو ميت ؟ .

قال : « فوالله ! للدنيا أهون على الله من هذا عليكم » (١) .

من المعلوم أنّ الأحداث الجارية والوقائع العملية لها تأثير قوي على حياة الناس « وكان الرسول ﷺ يستعين في تعليمه وتوجيهه وإرشاده للصحابة - بما يطرأ من أحداث ، أو بما يمرُّ بهم من مواقف عملية في حياتهم ، وكان يتخيَّر من هذه الأحداث أو المواقف العملية أمثلة واقعية يستمد منها العبرة أو الموعظة أو الحكمة التي يريد أن يوصلها إليهم . ولاشك أنّ هذا الأسلوب في التعليم والتوجيه أشدُّ وقعاً ، وأعمق أثراً في النفس من مجرد النصيحة أو الموعظة التي تحدث دون أن تصاحبها مواقف عملية معينة تُلفت النظر ، وتشدُّ الانتباه » (٢) ، وقد أوضح - عليه الصلاة والسلام - للمدعوين القيمة الحقيقية للدنيا ، ومقدارها بالنسبة لما عنده سبحانه وتعالى من النعيم المقيم ، واستعمل في تقرير ذلك أسلوب الحوار والمقارنة لإثارة انتباه الصحابة - ﷺ - إلى ذلك المشهد الحسي الذي تنفر النفوس والطباع لمجرد رؤيته ، أو القرب منه ؛ إذ لا نفع فيه ، بل إنّ الأذى يحصل للإنسان بمجرد دنوّه منه ومشاهدته إياه ، وهذا المشهد الحسي الذي أوضح به الرسول ﷺ مكانة الدنيا عند الله مائلٌ بين أعين الصحابة ، والرسول ﷺ لم يكتف بالإشارة إلى الجدي بل أمسك بأذنه دفعاً للاحتمال ، وإمعاناً في التوضيح ، مستخدماً أسلوب التدرج والتكرار حيث قال « أيكم يحبُّ أن هذا له بدرهم ؟ » فقالوا ما نحبُّ أنه لنا بشيء . وما نصنع به ؟ . ثم كرَّر الرسول ﷺ السؤال بقوله : « أتحبون أنه لكم ؟ » وكان من منهجه ﷺ في دعوته التكرار ، حيث يكرر ما يقوله للصحابة - ﷺ - ثلاث مرات حتى يفهموه ويستوعبوه ، يقول أنس بن مالك - ﷺ - « إن النبي ﷺ إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى يُفهم عنه ... » (٣) ؛ لأنّ التكرار يُرسِّخ الأفكار ، ويزيدها وضوحاً ، « ومن مبادئ التعليم الهامة ... التكرار ، فهو

(١) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " . كتاب الزهد والرقائق (١٧٩٧/٤) ح (٢٩٥٧) .  
 (٢) - " الحديث النبوي وعلم النفس " للدكتور : محمد عثمان نجاتي ، ( ص / ١٩٠ ) ، ط : ٢ ، دار الشروق القاهرة ، ط : ٢ ، ١٤١٣ هـ . بتصريف .  
 (٣) - أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب العلم ، باب : من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه ، ( ٥٨/١ ) ح (٩٥) .

يعمل على الاحتفاظ بما يكتسبه الفرد من معلومات أو مهارات . وإنّ معظم ما يتعلمه الإنسان يحتاج إلى تكرار أو تدريب حتى يتمّ التعلم . وبينت الدراسات الحديثة العلاقة الوثيقة بين مستوى التذكّر وبين عدد مرات التكرار ، فالتكرار يُثَبِّتُ المعلومات والمهارات ويُساعد على جَوْدَةِ التذكّر » (١) .

وبهذا الحوار وما صاحبه من تكرار وتدرج هيا الرسول ﷺ نفوس الصحابة للتفكير في إدراك حقيقة الدنيا ؛ لأنّهم أقرّوا أنّ الجدي الأسك معيبٌ وهو حي فكيف به وهو ميت؟! فأكد لهم . تلك الحقيقة التي يُريد تقريرها بقوله : « فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم » .

ومن خلال هذه المقارنة بين مكانة جيفة ذلك الجدي المعيب عند المخاطبين ، ومكانة الدنيا عند الله اتضح للصحابة أنّ الدنيا لا قيمة لها عند الله عز وجل ما دامت أهون عليه من الجدي الميت عليهم والاستعانة بمثل هذه المواقف الواقعية في حياة الناس في عملية التعليم والتوجيه ، والدعوة والإرشاد أفضل كثيراً في توصيل الأفكار وفي الإقناع بها من مجرد النصح والتوجيه بالكلام فقط دون مصاحبة مثل هذه المواقف الواقعية التي تشد الانتباه ، وتلفت الأنظار .

وقد بيّن الرسول ﷺ هوان الدنيا على الله تعالى ، في نصوص كثيرة أخرى اشتملت على منهج حسي مؤثّر ، ومن ذلك :

ما جاء عن سهل بن سعد - رضي الله عنه - قال : كنّا مع رسول الله ﷺ بذي الحليفة (١) فإذا هو بشاةٍ شائلةٍ برجلها (٢) . فقال « أترَوْنَ هذه هيّنة على صاحبها ؟ فوالذي نفسي بيده ! للدنيا أهون على الله ، من هذه على صاحبها . ولو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضةٍ ما سقى كافراً منها قطرة أبداً » (٣) .

(١) - الحديث النبوي وعلم النفس " د . محمد عثمان نجاتي ، ( ص / ١٨٥ - ١٨٦ ) .  
 (٢) - " ذو الحليفة " : بضم الحاء وفتح اللام تصغير حلفاء نبت عروف بتلك المنطقة وتسمى الآن - أبار علي - وتبلغ المسافة بينها وبين المسجد النبوي (١٣) كيلاً ، ومنها إلى مكة (٤٢٠) كيلو متر ، فهي أبعد المواقف ، وهي ميقات أهل المدينة ومن أتى عن طريقهم . ينظر : " معجم البلدان " ( ١٧٧/٧ ) ، " توضيح الأحكام من بلوغ المرام " سام ( ٢٨٥/٣ ) .  
 (٣) - أي أنّها مينة متفخة .  
 (٤) - أخرجه ابن ماجه في " سننه " كتاب الزهد ، باب مثل الدنيا ، ( ٤/٤٦٨ ) ح ( ٤١١٠ ) ، وصححه الشيخ الألباني في " صحيح سنن ابن ماجه ( ٣/٣٤٧ ) ح ( ٣٣٣٤ ) .

وعن المُستورد بن شدّاد (١) - أخي بني فهر - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « والله ! ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه - وأشار يحي بالسبابة - في اليمِّ (٢) فلينظر بم ترجع ؟ » (٣) .

يقول الإمام النووي - رحمه الله - : « ومعنى الحديث : ما الدنيا بالنسبة إلى الآخرة في قصر مدتها وفناء لذاتها ، ودوام الآخرة ، ودوام لذاتها ، ونعيمها إلا كنسبة الماء الذي يعلق بالإصبع إلى باقي البحر » (٤) ، ومما يدل على هوان الدنيا على الله أنّه يحيي منها أهل محبته ، فعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال : « إن الله تعالى يحيي عبده المؤمن الدنيا وهو يحبّه كما تحمّون مريضكم الطعام والشرب تخافون عليه » (٥) ، والرّسول ﷺ هو الذي يعرف قيمتها ولذلك لم يركن إلى نعيمها الزائل .

أي عبدالله بن مسعود ؛ قال : اضطجع النبي ﷺ على حصير . فأثّر في جلده فقلت : بأبي وأمي ، يا رسول الله ! لو كنت آذنتنا ففرشنا لك عليه شيئاً يقيك منه ! فقال رسول الله ﷺ : « ما أنا والدنيا ! إنّما أنا والدنيا كراكب استظلّ تحت شجرة . ثم راح وتركها » (٦) .

وقد جاء التصريح بقلة متاع الدنيا بالنسبة لما في الآخرة في قوله تعالى : ﴿ فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل ﴾ (٧) ، لأنّ الحياة الحقيقية الدائمة في الجنة ، أمّا الدنيا فهي لعب ولهو كما وصفها الله تعالى في قوله : ﴿ وما هذه الحياة

- (١) - هو : المستورد بن شدّاد بن عمرو بن حسل بن الأحب بن حبيب بن عمرو بن سفيان بن محارب بن فهر القرشي الفهري المكي ، له ولأبيه صحبة ، روى عن النبي ﷺ ، وعن أبيه ، وحديثه في الصحيح والترمذي وغيرهما ، شهد فتح مصر ، واختط بها ، قيل : إنه توفي بالإسكندرية سنة ٤٥هـ . ينظر : "الإصابة" (٧١/٦ - ٧٢) ، "تهذيب التهذيب" (٣٩٤/٥ - ٣٩٥) .
- (٢) - "اليم" : البحر . ينظر : "النهاية في غريب الحديث" (٣٠٠/٥) مادة (يم) .
- (٣) - أخرجه الإمام مسلم في "صحيحه" كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب فناء الدنيا ، وبيان الحشر يوم القيامة (١٧٣٨/٤) ح (٢٨٥٨) .
- (٤) - "صحيح مسلم بشرح النووي" (١٩٠/١٧) بتحقيق الشيخ خليل مأمون شيحا ، ط/٤ ، دار المعرفة - بيروت ١٤١٨هـ .
- (٥) - أخرجه الإمام الحاكم في "المستدرک" كتاب الطب (٢٣١/٤) ح (٧٤٦٥) ، وقال : "إسناده صحيح" ووافقه الذهبي .
- (٦) - أخرجه الإمام ابن ماجة في "سننه" كتاب الزهد ، باب مثل الدنيا (٤٦٨/٤) ح (٤١٠٩) ، وصححه الشيخ الألباني في "صحيح سنن ابن ماجة" (٣٩٤/٢) ح (٣٣١٧) ، وفي "سلسلة الأحاديث الصحيحة" (٧٢٤/١) ح (٤٣٩) .
- (٧) - سورة التوبة ، الآية : (٣٨) .

الدُّنيا إلا هو ولعب وإن الدَّار الآخرة هي الحيوان لو كانوا يعلمون ﴿ (١) .  
 وقوله تعالى : ﴿ اعلموا أنَّما الحياة الدُّنيا لعب ولهو وزينة وتفاخرٌ بينكم وتكاثُر  
 في الأموال والأولاد كمثل غيثٍ أعجب الكُفَّار نباته ثمَّ يهيج فتراه مُصْفَراً ثمَّ يكون  
 حُطاماً وفي الآخرة عذابٌ شديدٌ ومغفرةٌ من اللّهِ ورضوان وما الحياة الدُّنيا إلا متاع  
 الغرور ﴿ (٢) .

يقول الأستاذ : سيد قطب - رحمه الله - : « والحياة الدُّنيا حين تُقاس بمقاييسها  
 وتوزن بموازينها تبدو في العين وفي الحسُّ أمراً عظيماً هائلاً . ولكنها حين تُقاس  
 بمقاييس الوجود وتوزن بميزان الآخرة تبدو شيئاً زهيداً تافهاً . وهي هنا في هذا  
 التصوير تبدو لعبة أطفال بالقياس إلى ما في الآخرة من جدٍ تنتهي إليه مصائر أهلها  
 بعد لعبة الحياة » (٣) .

والذي ينبغي أن يُعلم أن الدُّنيا ليست مذمومة لذاتها ؛ بل لكونها مُلهية عن  
 الآخرة ، وعائقة عن الوصول إلى الله تعالى ، وقد جاء الأمر من الله تعالى بالسعي  
 في الأرض لطلب الرِّزق والانتفاع بما أحلَّ الله من الطيبات وبما أباح من زينة  
 الحياة الدُّنيا ، يقول الله تعالى : ﴿ هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها  
 وكلوا من رزقه وإليه النُّشور ﴿ (٤) ، ويقول سبحانه : ﴿ قل من حرم زينة الله التي  
 أخرج لعباده والطيبات من الرِّزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدُّنيا خالصة يوم  
 القيامة ﴿ (٥) .

ويعمَّ المطية الدُّنيا إذا بلغت بصاحبها الآخرة ، يقول الخليفة الراشد علي بن  
 أبي طالب - عليه السلام - عندما سمع رجلاً يذمُّها : « الدُّنيا دار صدق لمن صدقها ودار  
 نجاة لمن فهم عنها ، ودار غنى لمن تزود منها » (٦) .

(١) - سورة العنكبوت ، الآية : (٦٤) .

(٢) - سورة الحديد ، الآية : (٢٠) .

(٣) - " في ظلال القرآن " (٣٤٩١/٦) .

(٤) - سورة الملك ، الآية : (١٥) .

(٥) - سورة الأعراف ، جزء من الآية : (٣٢) .

(٦) - " أدب الدنيا والدين " لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي ، ( ص / ١٣٤ ) ، مرجع سابق .

« واعلم أنه ليس من الزُّهد ترك المال ، وبذله على سبيل السَّخاء والقوة ، واستمالة القلوب ، وإنما الزُّهد أن تترك الدُّنيا للعلم بحقارتها بالنسبة إلى نفاسة الآخرة » (١) .

وبهذا الأسلوب الحواري الحسي يتحقق مُراد الرُّسُول ﷺ في بيان القيمة الحقيقية للدُّنيا بالنسبة للآخرة وما أعده الله تعالى للمؤمنين فيها من أصناف التَّعْليم المُقيم ، كما قال ﷺ : « فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » (٢) ، ولذلك كان المخاطبون من الصحابة - ﷺ - أعظم الناس زهداً في الدُّنيا ، وأقلهم انشغالاً بها وبزخارفها وزينتها لعلمهم أنها فانية .

### ثانياً : بيان كون أمة محمد ﷺ نصف أهل الجنة

لقد اختار الله محمداً ﷺ وفضله على الأنبياء ، واختار أُمَّته كذلك وفضلها على الأمم ، ومما تبرز فيه تلك الأفضلية أنَّهم مع قلة عددهم يكونون نصف أهل الجنة ، وقد بين رسول الله ﷺ في حديث « عرض الأمم » ما يؤكد هذه الأفضلية حيث قال : « عُرِضت عليَّ الأمم ، فجعل النَّبِيُّ والنَّبِيَّانِ يَمْرُونَ مَعَهُم الرِّهْطَ ، والنَّبِيُّ ليس معه أحدٌ ، حتى رُفِعَ لي سوادٌ عظيمٌ ، قُلْتُ : ما هذا ؟ أُمَّتي هذه ؟ قيل : بل هذا موسى وقومه ، قيل انظر إلى الأفق ، فإذا سوادٌ يملأ الأفق ، ثمَّ قيل لي : انظر هاهنا وهاهنا في آفاق السَّماء ، فإذا سوادٌ قد ملأ الأفق ، قيل هذه أمتك ويدخل الجنة من هؤلاء سبعون ألفاً بغير حساب ... » (٣) .

ومع أنَّ هذه الأمة آخر الأمم إلا أنَّها أكثرها دُخولاً للجنة ، وفي هذا الحديث استعمل الرُّسُول ﷺ الأسلوب الاستفهامي الحواري المُشتمل على منهج حسي ، لبيان نسبة المسلمين إلى غيرهم من الأمم .

(١) - " مختصر منهاج القاصدين " ( ص / ٣٥٥ ) للإمام أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ، تحقيق زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي - بيروت ، ط : ٥ ، ١٤٠٣ هـ .

(٢) - أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب التوحيد ، باب : قول الله تعالى : ﴿ يريدون أن يبذلوا كلام الله ﴾ ( ٢٣٣٩ / ٤ ) ح ( ٧٤٩٨ ) .

(٣) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الطب ، باب : من اكتوى أو كوى غيره وفضل من لم يكتو ( ١٨٢٥ / ٤ ) ح ( ٥٧٠٥ ) ، واللفظ له ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الإيمان ، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب ( ١ / ١٦٨ ، ١٦٩ ) ح ( ٢٢٠ ) .

فمن عبدالله - يعني ابن مسعود - رضي الله عنه - قال : قال لنا رسول الله ﷺ : « أما ترضون أن تكونوا رُبُعَ أهل الجنة ؟ » .  
قال فكبرنا .

ثم قال : « أما ترضون أن تكونوا ثلثَ أهل الجنة ؟ » .  
قال فكبرنا .

ثم قال : « إنِّي لأرجو أن تكونوا شطرَ أهل الجنة . وسأخبركم عن ذلك . ما المسلمون في الكفار إلا كشعرة بيضاء في ثور أسود . أو كشعرة سوداء في ثور أبيض » (١) .

وفي رواية أخرى : « إن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود ، أو كالرقمة في ذراع الحمار » (٢) . (٣) .

وقد اشتمل هذا الحديث العظيم على أسلوب حوارى مؤثر ومُتَّع للمخاطبين من الصحابة - رضي الله عنهم - ، وقد تقدّم هذا الحوار النبويّ أمرٌ شقٌّ على الصحابة واشتدّ معه خوفهم ، وهو قول الرسول ﷺ : « يقول الله : يا آدم ! فيقول : لبيك وسعديك ! والخير في يديك ! قال : يقول : أخرج بعث النار . قال : وما بعث النار ؟ قال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين . قال : فذاك حين يشيب الصغير ، وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد » (٤) . قال فاشتدّ ذلك عليهم . قالوا : يارسول الله ! أئنا ذلك الرجلُ ؟ فقال : « أبشروا فإن من يأجوج ومأجوج ألفاً ، ومنكم رجلٌ ... » (٥) .

فالمدعوون من الصحابة - رضي الله عنهم - لما سمعوا أن تسعمائة وتسعة وتسعين في النار وواحد في الجنة خافوا خوفاً شديداً ، وضاق عليهم الأرض بما رحبت ، « واستقلّوا عدد أهل الجنة منهم ، واستبعد كل واحد منهم أن يكون هو ذلك الواحد

(١) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الرقاق ، باب : كيف الحشر ؟ ( ٢٠٤٥/٤ ) ح ( ٦٥٢٨ ) ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الإيمان ، باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة ، ( ١٧٠/١ ) ح ( ٢٢١ ) . مع اختلاف يسير في ألفاظ الحديث .

(٢) - " كالرقمة في ذراع الحمار " يقول القاضي عياض : " هي كالدائرة فيه " ، " مشارق الأنوار على صحيح الآثار " ( ٣٧٣/١ ) مادة : ( رقم ) .

(٣) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الرقاق ، باب : قوله عز وجل : « إن زلزلة

الساعة شيء عظيم » ، ( ٢٠٤٦/٤ ) ح ( ٦٥٣٠ ) ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الإيمان ، باب قوله : " يقول الله لأدم أخرج بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين " ( ١٧٠/١ ) ح ( ٢٢٢ ) .

(٤) - سورة الحج ، جزء من الآية : (٢) .

(٥) - " جزء من الحديث السابق " .

فسكن النبي ﷺ خوفهم ، وطيب قلوبهم » (١) . فقال « أبشروا فإن من يأجوج ومأجوج ألفا ، ومنكم رجلٌ » .

ولم يقتصر الرسول ﷺ على هذه البشارة فحسب ، إنمَّا واصل الحوار مع المخاطبين بأسئلة تحمل في طياتها زيادة البشارة والإكرام والتدرج والحرص الشديد على نجاة أمته من النار ودخولها الجنة ، ولذلك قال : « أما ترضون أن تكونوا رُبُع أهل الجنة ؟ » .. « أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة ؟ » .. ثم قال « إنِّي لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة ... » (٢) .

يقول الإمام النووي - رحمه الله - : « أمَّا تكبيرهم فليسروهم بهذه البشارة العظيمة . وأمَّا قوله ﷺ رُبُع أهل الجنة ثمَّ الشطر ، ولم يقل أولاً شطر أهل الجنة فلفائدة حسنة وهي : أن ذلك أوقع في نفوسهم وأبلغ في إكرامهم فإن إعطاء الإنسان مرة بعد أخرى دليل على الاعتناء به ، ودوام ملاحظته » (٣) .

ثم انتقل ﷺ إلى ضرب الأمثلة الحسية من بيئة المخاطبين ، فقال : « ما المسلمون في الكفار إلا كشعرة بيضاء في ثور أسود . أو كشعرة سوداء في ثور أبيض » . وفي رواية : « أو كالرقمة في ذراع الحمار » (٤) .

ففي هذا المقطع من الحديث استعمل الرسول ﷺ الألوان في الإيضاح والبيان وتقريب المعاني المجردة بأمثلة حسية تبين الفكرة التي يريد الرسول ﷺ إيصالها إلى أذهان المدعوين ، وهي بيان أن نسبة المسلمين إلى الكفار كنسبة الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود ، أو مثل الشعرة السوداء في جلد الثور الأبيض ، أو الرقمة في ذراع الحمار خالية من الشعر ، وقد اشتملت هذه العبارات على إيضاح أزال الرعب والخوف الذي نزل بالمخاطبين من صحابة رسول الله ﷺ وذلك بالصورة الحسية التي صورها لهم ﷺ ، فهي « صورة مشاهدة يراها الناس : ثور أسود فيه شعرة بيضاء واحدة ، أو ثور أبيض فيه شعرة سوداء وعند التحليل يظهر أن هذا التشبيه في غاية الرقة واللطف حيث كشف بطريقة محسوسة عن قلة عدد المسلمين ، وفي الوقت نفسه أوضح أنهم ظاهرون متميزون وسط هذا الغناء من

(١) - " المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم " للقرطبي (١/٤٧٠) .

(٢) - تقدم تخريجه ( ص / ٣١٦ ) .

(٣) - " صحيح مسلم بشرح النووي " (٣/٩٥) .

(٤) - " سبق تخريجه " ( ص / ٣١٦ ) .

النَّاس فهم كرام والكرام قليل . فالشَّعْرَة البيضاء في ثور أسود أو الشعرة السوداء في ثور أبيض لا شك أنَّها تكون ظاهرة واضحة تَلَفَّت الأنظار » (١) .  
 والتصوير في الحديث تصوير تمثيلي . فقد شبه الرَّسول ﷺ حال المسلمين يوم القيامة بحال غيرهم ، « ومن الصُّورة التمثيلية يَظْهَر أنَّ المسلمين برغم هذه القلة فيهم فهم شطر الجنَّة ، وكانَّ أهل الجنَّة في أهل النَّار كشعرتين في ثور .... شعرة للمسلمين من الأمة المحمدية ، وشعرة للمؤمنين من غيرها » (٢) .  
 والرواية الأخرى تؤيد ما ذكر من أنَّ التَّشْبِيه تمثيلي ، فقد جاء في قول الرَّسول ﷺ : « إن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود » (٣) .

وبهذا الأسلوب الحوارى المثير ، والتمثيل الرائع الجميل ، والبلاغة النبوية العالية تحقق مُراد الرَّسول ﷺ من إفهام المخاطبين من الصحابة - ﷺ - ، وإعطائهم صورة حسية واضحة عن فضل الله تعالى على أمة محمد ﷺ ، وأنها أكثر الأمم دخولا للجنة .

### ثالثاً : التنفير من الغيبة

من المعلوم أنَّ اللسان من أقوى الحواس أثراً ، وهو أيضاً من أخطرها ، وأخوف ما كان يخافه رسول الله ﷺ على أمته ، كما جاء ذلك عن سُفيان بن عبدالله التَّقفي (٤) - ﷺ - قال : قلت يا رسول الله حدثني بأمر أعتصم به قال : « قل ربي الله ثم استقم » قلت : يارسول الله ما أخوف ما تخاف عليَّ ؟ فأخذ بلسان نفسه ، ثم قال : « هذا » (٥) .

(١) - " أثر التشبيه في تصوير المعنى - قراءة في صحيح مسلم " للدكتور عبدالباري طه (ص / ٦٥) .  
 (٢) - " المصدر السابق " (ص / ٦٥) .  
 (٣) - " سبق تخريجه " (ص / ٣١٦) .

(٤) - هو : سُفيان بن عبدالله بن أبي ربيعة بن الحارث التَّقفي الطائفي ، صحابي جليل ، استعمله عمر بن الخطاب على الطائف بعد ما عزل عثمان بن أبي العاص عنها ونقله إلى البحرين ، شهد غزوة حنين مع المشركين ثم أسلم بعد ذلك في عام الوفود . ينظر : " أسد الغابة " (٢/٢١٩) ، " الإصابة " (٢/٥٤) مطبعة السعادة ، مصر .

(٥) - أخرجه الإمام الترمذي في " سننه " كتاب الزهد ، باب ما جاء في حفظ اللسان ، (٦٠٧/٤) (٢٤١٠) ، وقال عنه : " هذا حديث حسن صحيح " وقد روى من غير وجه عن سُفيان بن عبدالله التَّقفي ، وصححه الشيخ الألباني في " صحيح الترمذي " (٢/٢٨٧) ح (١٩٦٥) .



والإنسان مسؤولٌ ومحاسبٌ على كل كلمة ينطق بها ، قال تعالى : ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم إنَّ السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً ﴾ (١) . وقال سبحانه : ﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾ (٢) . من أجل هذا ينبغي للمسلم أن يحفظ لسانه من الكلام ، إلا إذا كان الكلام خيراً ، وهو الذي ظهرت مصلحته ، ومتى شك في ظهور المصلحة ، فلا يتكلم (٣) . فقد ثبت في الصحيح عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً ، أو ليصمت » (٤) .

ومن أخطر مزالق اللسان الغيبة ، وهي كما عرفها رسول الله ﷺ : « ... ذكرك أخاك بما يكره » قيل : أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال ﷺ : « إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته » (٥) .

وقد جاءت نصوص الكتاب والسنة بتحريمها والتشجيع على من وقع فيها ، ولكون الحديث مقتصراً على السنة فقد استعمل الرسول ﷺ أساليب متنوعة للتحذير منها ، والتنفير من الوقوع فيها ، ومن ذلك الأسلوب الحواري المشتغل على منهج حسي . فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : جاء الأسلمي (١) إلى رسول الله ﷺ ، فشهد على نفسه بالزنا أربع شهادات يقول : أتيت امرأة حراماً وفي كل ذلك يعرضُ عنه رسول الله ﷺ ، فذكر الحديث إلى أن قال : « فما تريد بهذا القول ؟ قال : أريد أن تطهرني (٢) ، فأمر به رسول الله ﷺ أن يرجم ، فرجم ، فسمع رسول الله ﷺ رجلين من الأنصار يقول : أحدهما لصاحبه : انظر إلى هذا ستر الله عليه فلم يدع نفسه حتى رجم رجم الكلب قال فسكت رسول الله ﷺ ، ثم سار

(١) - سورة الإسراء ، الآية : (٣٦) .

(٢) - سورة ق ، الآية : (١٨) .

(٣) - ينظر : " رياض الصالحين " للنووي ( ص / ٤٤٥ ) ، بتحقيق : عبدالعزيز رباح ، أحمد يوسف الدقلق طبعة دار المأمون - دار الثقافة العربية ١٤١١هـ .

(٤) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الأدب ، باب : إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه (٤/١٩٣٣) ح (٦١٣٨) ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الإيمان ، باب الحث على إكرام الضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان (١/٧٠) ح (٤٧) .

(٥) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب البر ، باب تحريم الغيبة (٤/١٥٨٨) ح (٢٥٨٩) .

(٦) - هو : ماعز بن مالك الأسلمي معدود في المدنيين ، كتب له رسول الله ﷺ كتاباً بإسلام قومه ، وهو الذي اعترف بالزنى فرجمه . ينظر : " أسد الغابة " (٤/٢٧٠) ، " الإصابة " (٥/٥٢١) .

(٧) - أي تتقذني من الذنب بالحد وإقامة العقاب في الدنيا لأسلم من عذاب الله في الآخرة " حاشية الترغيب والترهيب " (٣/٥٠٩) .

ساعة ، فمرّ بجيفة حمار شائل برجله ، فقال : أين فلان وفلان (١) ؟ فقالوا : نحن ذا يا رسول الله ، فقال لهما : « كُلام من جيفة هذا الحمار » ، فقالا : يا رسول الله غفر الله لك ، من يأكل من هذا ؟ فقال : رسول الله ﷺ « ما نلتُما من عرض هذا الرَّجُل أنفاً أشدُّ من أكل هذه الجيفة ، فو الذي نفسي بيده إنَّه الآن في أنهار الجنة ينغمس فيها » (٢)(٣) .

وهكذا يتبين لنا أنه كان من منهج الرَّسُول ﷺ في الدَّعوة إلى الله تعالى استغلال الأحداث والمناسبات . وانتهاز الفرص ، والاستفادة منها في غرس المفاهيم التَّربوية الصَّحيحة في نفوس المدعوين . وفي هذا الحديث أراد الرَّسُول ﷺ أن يُربي هذين الرَّجُلين اللذين وقعا في عرض ذلك الرَّجُل والذي جاء يَطْلُب من رسول الله ﷺ تنفيذ حكم الله عليه وتطهيره من لوثة الذَّنْب في الدُّنيا ، ليسلم من عذاب الله في الآخرة .

وقد سمع الرَّسُول ﷺ تلك المقولة فأسرَّها في نفسه مُتَحِيناً الفرصة المواتية لجزرها عن ذلك المُنكر العظيم ، ومضى ، ومضى الصحابة - ﷺ - معه حتى مروا بتلك الجيفة المنتنة فسأل عن الرَّجُلين وحاورهما فقال : « أين فلان وفلان ؟ » .

فقال : نحن ذا يا رسول الله .

فقال لهما : « كُلام من جيفة هذا الحمار » .

فقالا : يا رسول الله غفر الله لك . من يأكل من هذا ؟

فقال : « ما نلتُما من عرض هذا الرَّجُل أنفاً أشدُّ من أكل هذه الجيفة » .

وبهذا الحوار القاسي المشتمل على ذلك المشهد الحسي الذي تنفر الطَّبَّاع السَّليمة منه ، استثَّار الرَّسُول ﷺ حواس المدعوين ، فهم يسمعون كلامه وحواره

(١) - أي الرَّجُلان اللذان اغتابا الرَّجُل الذي أُقيم عليه الحد .  
 (٢) - أي يتمتع بنعيم الجنة ، ويغتسل من مائها العذب . ينظر : " حاشية الترغيب والترهيب " (٣/٥١٠) .  
 (٣) - أخرجه الإمام أبو داود في " سننه " كتاب الحدود ، باب رجم ماعز بن مالك ، (٤/٥٨٠ ، ٥٨١) ح (٤٤٢٨) ، والإمام المنذري في كتابه ( الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ) فيما جاء في الترهيب من الغيبة والبهت وبيانهما والترغيب في ردهما (٣/٥٠٩ ، ٥١٠) ح (١٩) . وقال عنه الحافظ ابن كثير في تفسيره (٤/١٩٣) : ( اسناده صحيح ) ، المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ، ط : ١٤١٨ هـ ، وأصل الحديث في الصحيحين ، فقد أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الحدود ، باب : رجم الحصن (٤/٢١٢٥) ح (٦٨١٤) ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الحدود ، باب من اعترف على نفسه بالزنى (٣/١٠٦٦) ح (١٦٩٤) .

الشَّدِيد معهم ، ويرون بأعينهم بشاعة تلك الجيفة المُنْتنة ، وَيَسْمُونَ بأنوفهم الروائح الكريهة المنبعثة منها ، وبقوله ﷺ : « كَلَامٌ مِنْ جِيْفَةِ هَذَا الْحَمَارِ » آثار حاسَّة الذَّوْق عندهما ، فازدادت الكراهة وَعَظُم الاستقباح ، ولذلك كانت التَّربُّية بهذا المشهد قوية ومؤثرة في نفوس المدعوين ، وكيف لا يكون التأثير عظيماً ، والرَّسول ﷺ هو الذي يُحاور هذين الرَّجُلين وهما يشاهدان تلك الجيفة البشعة ، ويقارنا بينها وبين ما وقعا فيه من الغيبة والسُّخْرية من ذلك الرَّجُل الذي جاد بنفسه لله تعالى توبة من الذَّنْب ورغبة في الطُّهر ، وبهذين الأسلوبين أعني أسلوب الحوار والمقارنة أوضح الرَّسول ﷺ للمدعوين أنَّ الغيبة من أشدَّ المعاصي قبحاً ، وأعظمها وزراً .

والمخاطب عندما يحاسب نفسه ويوازن بين الوقوع في عِرْض أخيه المسلم ، والأكل من تلك الجيفة القذرة فإنَّه يجد أنَّ الأكل منها . أخف ، وذلك لاقتصار الضَّرر على الأكل نفسه ، وسلامته من عذاب الآخرة ، أمَّا الغيبة فإن ضررها متعدِّ إلى الآخرين وعذابها في الآخرة عظيم ، ولذلك كانت « محرمة بالإجماع ، ولا يُستثنى من ذلك إلا ما رجحت مصلحته كما في الجرح والتعديل ، أو النَّصِيحة ، وكذا ما جرى مجرى ذلك . ثم بقيتها على التحريم الشَّدِيد والزَّجر الأكيد » (١) .

وقد شبهها الحق تبارك وتعالى بأكل لحم الإنسان وهو ميت ، في قوله سبحانه ﴿ أَيُّبِ أَحَدِكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ (٢) .

يقول الحافظ ابن كثير - رحمه الله - : « أي كما تكرهون هذا طبعاً فأكروهوا ذلك شرعاً ، فإن عقوبته أشدُّ من هذا ، وهذا التفسير عنها والتحذير منها كما قال ﷺ في العائد في هبته : « كَالْكَلْبِ يَقِيءُ ثُمَّ يَرْجِعُ فِي قَيْئِهِ » (٣) (٤) .

ويجزم الإمام القرطبي - رحمه الله - بأنها من كبائر الذنوب ، حيث يقول : « لا خلاف أنَّ الغيبة من الكبائر وأنه يجب التوبة منها إلى الله تعالى » (٥) .

(١) - " أفات اللسان " لإبراهيم المشوخي ، ( ص / ٢٧ ) ، مكتبة المنار - الأردن ، ط : ٣ ، ١٤٠٦ هـ .  
 (٢) - سورة الحجرات ، جزء من الآية : (١٢) .  
 (٣) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الهبات ، باب تحريم الرجوع في الصدقة والهبة بعد القبض إلا ما وهبه لولده وإن سفل . ( ١٠٠٥ / ٣ ) ح ( ١٦٢٢ ) .  
 (٤) - " تفسير القرآن العظيم " ( ٢٧٣ / ٤ ) .  
 (٥) - " الجامع لأحكام القرآن " ( ٢٢٠ / ١٦ ) بتصرف يسير .

ويقول عنها ابن حجر الهيتمي (١) - رحمه الله - : « إنَّ فيها أعظم العذاب وأشدَّ النَّكَال ، فقد صح فيها أنَّها أربى الرِّبَا ، وأنَّها لو مُزجت بماء البحر أنتنته وغيَّرت ريحه ، وأنَّ أهلها يأكلون الجيف في النَّار ، وأنَّ لهم رائحة مُنتنة فيها ، وأنَّهم يعذبون في قبورهم ، وبعض هذه كافية في الكبيرة ، فكيف إذا اجتمعت ؟! » (٢) .

ولا شك أنَّها محرمة وكبيرة من كبائر الذُّنوب ، يشهد لذلك نصوص كثيرة من السنة نذكر بعضاً منها :

من ذلك ما رواه ابن عباس - رضي الله عنهما - : « أن رسول الله ﷺ خطب النَّاس يوم التَّحر فقال : « يا أيها النَّاس أيُّ يوم هذا » . قالوا : يوم حرام ، قال : « فأيُّ بلد هذا » . قالوا : بلد حرام ، قال : « فأيُّ شهر هذا » قالوا : شهر حرام ، قال : « فإنَّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام ، كحرمة يومكم هذا ، في بلدكم هذا ، في شهركم هذا » .

فأعادها مراراً ، ثم رفع رأسه فقال : « اللَّهُمَّ هل بَلَّغت ، اللَّهُمَّ هل بَلَّغت » (٣) . وما جاء عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنَّه سمع النَّبِيَّ ﷺ يقول : « إنَّ العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزلُّ بها إلى النَّار أبعد مما بين المشرق والمغرب » (٤) .

والمغتابون لهم رائحة كريهة يُعرفون بها يوم القيامة ، فعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال : كُنَّا مع النَّبِيَّ ﷺ فارتفعت ريح مُنتنة ، فقال رسول الله ﷺ : « أتدرون ما هذه الرِّيح ؟ هذه ريح الذين يغتابون المؤمنين » (٥) .

ومن شدة قُبْح الغيبة : أنَّها لو كانت أمراً حسيّاً وألقيت في البحر لأفسدته بتلك الرائحة الكريهة ، يدلُّ لذلك ما جاء عن عائشة - رضي الله عنها - قالت :

- (١) - هو : أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي المصري ، أبو العباس ، شيخ الإسلام ، فقيه باحث ، تلقى العلم في الأزهر ، ومات بمكة ، له مؤلفات كثيرة ، منها : " الصواعق المحرقة على أهل البدع والضلال والزندقة " ، " تحفة المحتاج لشرح المنهاج " في فقه الشافعية . مات عام ٩٦٥هـ . ينظر : " البدر الطالع " (١/١٠٩) ، " الأعلام " (١/٢٣٤) .
- (٢) - " الزواجر عن اقتراف الكبائر " لأبي العباس أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي (١٥/٢) دار المعرفة - بيروت ، ١٤٠٢هـ . بدون ذكر رقم الطبعة .
- (٣) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الحج ، باب الخطبة أيام منى (١/٥١٣) ح (١٧٣٩) واللفظ له . والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات ، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال ، (٣/١٠٥٥) ح (١٦٧٩) .
- (٤) - أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الرقاق ، باب : حفظ اللسان ، (٤/٢٠٣٢) ح (٦٤٧٧) .
- (٥) - أخرجه الإمام أحمد في " المسند " (٣/٤٤٥) ح (١٤٧٦٨) ، والإمام المنذري في " الترغيب والترهيب " (٣/٥١١) ، وقال : " رواه أحمد وابن أبي الدنيا ، ورواه أحمد ثقات " ، والحديث أسناده حسن . ينظر : " حاشية المسند " (٩٧/٢٣) تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، عادل مرشد ، سعيد اللحام .

قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ : حَسْبُكَ ، من صَفِيَّةَ كَذَا وكَذَا ..... ، : تعني قصيرة ، فقال :  
 « لَقَدْ قُلْتُ كَلِمَةً لَوْ مُزِجْتُ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزِجْتَهُ » قالت : وحكيت له إنساناً ، فقال :  
 « مَا أَحَبُّ أُنْتِي حَكَيْتَ إِنْسَانًا وَأَنْ لِي كَذَا وكَذَا » (١) .

وبهذا نخلص إلى أن استعمال الرسول ﷺ لأسلوب الحوار المُشتمل على منهج حسي ، كان له الأثر البالغ في تفجير السامعين من الوقوع في هذه الجريمة البشعة ، التي هي أشدّ نتناً ، وأكثر استنقاراً من الأكل من تلك الجيفة المنتنة .

(١) - أخرجه الإمام أبوداود في " سننه " كتاب الأدب ، باب في الغيبة ، (١٩٢/٥) ح (٤٨٧٥) ، والإمام الترمذي في " سننه " كتاب صفة القيامة ، باب (٥١) ح (٢٥٠٢) وقال عنه : " حديث حسن صحيح " وصححه الشيخ الألباني في كتابه " صحيح سنن الترمذي " (٣٠٦/٢) ح (٢٠٣٤) .

## الفصل الثالث : أصناف المدعوين بالمنهج

### الحسِّي في السُّنة النبوية :

وفيه مبحثان :

**المبحث الأول : دعوة المسلمين بالمنهج الحسِّي  
في السُّنة النبوية .**

**المبحث الثاني : دعوة غير المسلمين بالمنهج  
الحسِّي في السُّنة النبوية .**

## المبحث الأول : دعوة المسلمين بالمنهج الحسي في السُّنة النَّبوية.

وفيه تمهيد ومطلبان :

**المطلب الأول : دعوة المأ والأشراف بالمنهج الحسي .**

**المطلب الثاني : دعوة عامة المسلمين بالمنهج الحسي .**

### تمهيد

اقتضت حكمة الله تعالى أن يجعل رسالة نبينا محمد ﷺ آخر الرّسالات الإلهية إلى العالمين ، فلذلك اشتملت على عدّة خصائص لم تشتمل عليها الرّسالات السابقة ، وكان من أهمها :

**العمومية :** ويقصد بها أنّها عامّة للنّاس كافّة ، أسودهم وأبيضهم ، أحمرهم وأصفرهم ، عربهم وعجمهم ، ذكرهم وأنثاهم ، صغيرهم وكبيرهم ، إنسهم وجنّهم وقد دلت على هذه العمومية مجموعة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة ومن ذلك :

قول الله تعالى : ﴿ قل يا أيّها النّاس إنّني رسول الله إليكم جميعاً ﴾ (١) .

وهذا الخطاب الإلهي موجّه للنبي ﷺ ، وفيه الأمر له بإبلاغ النّاس كافّة بأنه مرسل إليهم لإنقاذهم من عبادة المخلوقات إلى عبادة الخالق ، التي من أجلها خلقوا ، قال تعالى : ﴿ وما خلقت الجنّ والإنس إلّا ليعبدون ﴾ (٢) .

يقول الإمام الطبري - رحمه الله - : « قلّ يا محمد للنّاس كلّهم إنّي رسول الله إليكم جميعاً لا إلى بعضكم دون بعض كما كان من قبلي من الرّسل ، مرسلًا إلى بعض النّاس دون بعض ، فمن كان منهم كذلك فإنّ رسالتي ليست إلى بعضكم دون بعض ولكنها إلى جميعكم » (٣) .

ويقول سبحانه في محكم كتابه : ﴿ وما أرسلناك إلّا كافّةً للناس بشيراً ونذيراً ﴾ (٤) .

أي : وما أرسلناك إلّا للناس كافّة أي عامّة .

وقال أبو إسحاق الزّجاج - رحمه الله - (٥) : « أي وما أرسلناك إلّا جامعاً للنّاس بالإنذار والإبلاغ » (٦) .

(١) - سورة الأعراف ، جزء من الآية : (١٥٨) .

(٢) - سورة الذاريات ، الآية : (٥٦) .

(٣) - " جامع البيان في تأويل أي القرآن " (٨٢/٩) .

(٤) - سورة سبأ ، جزء من الآية : (٢٨) .

(٥) - هو : إبراهيم بن السري بن سهل ، أبو إسحاق الزّجاج : عالم بالنحو واللغة ، كان في صباه يخرط الزّجاج ، مال إلى النحو ، وتعلم على يدي المبرد ، من مؤلفاته " معاني القرآن " ، " الاشتقاق " ، " خلق الإنسان " ، " إعراب القرآن " ولد في بغداد ، وتوفي بها سنة (٣١١هـ) . ينظر : " سير أعلام النبلاء " (٣٦٠/١٤) ، " بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة " (٤١١/١ - ٤١٣) .

(٦) - ينظر كلام الزّجاج في : " الجامع لأحكام القرآن " للقرطبي (١٩٢/٤) .



أما من السنة النبوية فمنها : قوله ﷺ : « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي ، كان كل نبي يُبعث إلى قومه خاصة وبُعثت إلى كلِّ أحرر وأسود » (١) .

ويُعلق الإمام القرطبي - رحمه الله - على هذا الحديث فيقول : « قوله : « وبُعثت إلى الأحرر والأسود ، يعني كافة الخلق كما في قوله تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس ﴾ (٢) ، والحرمان : عنى بهم البيض ، وهم العجم ، والسودان : العرب لغلبة الأدمة عليهم ، وغيرهم لسوادهم » (٣) .

ومن خصائص الرسالة المحمدية الشمولية ، ويقصد بها ما حوته رسالة محمد ﷺ من توجهات ربانية لإصلاح البشرية ، في كل المجالات التي تُنظم حياة الإنسان ، فلم تترك شيئا إلا بينته من ولادته ، طفولته ، شيخوخته ، موته ، حياته ، مجالات نشاطاته المادية والروحية ، الفردية والجماعية ، الثقافية والفكرية ، السياسية والاقتصادية ، كل ذلك وغيره شملته الشريعة الإسلامية بأدابها وتوجهاتها ، تصريحها وتلميحها ، شرحها وإيجازها .

وقد عبّر أحد العلماء عن ذلك بقوله : « إنّها الرسالة التي امتدت طولا حتى شملت آباد الزّمن ، وامتدت عرضا حتى انتظمت آفاق الأمم ، وامتدت عمقا حتى استوعبت شؤون الدنيا والآخرة » (٤) .

ومن الخصائص أيضا الاستمرارية ، ويقصد بها صلاحية هذه الرسالة لكل زمان ومكان ، ولكل أمة وجيل ، فالرسول ﷺ هو خاتم الأنبياء ورسالته آخر الرسالات ، قال تعالى : ﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً ﴾ (٥) .

(١) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب التيمم ، باب : قوله تعالى : ﴿ فإن لم تجدوا ماء فتيّموا صعيدا طيبا ﴾ ، (١/١٢٥) ح (٣٣٥) ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، (١/٣١٠) ح (٥٢١) ، واللفظ له .

(٢) - سورة سبأ ، جزء من الآية : (٢٨) .

(٣) - المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم (٢/١١٦) .

(٤) - " الخصائص العامة للإسلام " للدكتور يوسف القرضاوي (ص/١٠٥) . مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط : ٨ ، ١٤١٤هـ .

(٥) - سورة الأحزاب ، الآية : (٤٠) .

فرسالته ﷺ كانت بهذه الخصائص العامّة ، تتعامل مع أصناف المدعوين بما يتلاءم وإدراكهم ، واختلاف بيناتهم ، ومستوياتهم الثقافية والفكرية ، وفي ضوء هذه الخصائص نجد أنّ الرسول ﷺ قد خاطب كل إنسان بما يتلاءم ومستواه ، مستخدماً في خطابه ودعوته المنهج الحسي الذي كان له عظيم الأثر في التأثير والاستجابة ، وهو ما سنتناوله في المطالب التالية - بعون الله وتوفيقه - .

## المطلب الأول : دعوة المأ والأشرف بالمنهج الحسي .

وفيه ثلاثة مسالك :

- المسلك الأول : دعوة العلماء بالمنهج الحسي .
- المسلك الثاني : دعوة الأمراء بالمنهج الحسي .
- المسلك الثالث : دعوة الأغنياء بالمنهج الحسي .

سبق الحديث عن شمولية دعوته ﷺ وأنها عامّة للنّاس أبد الأبدين .  
 وبقي أن أبين تلك الأساليب الحسية الرائعة التي كان يستخدمها من أعطي  
 جوامع الكلم ﷺ في إقناع النّاس بما يفهمون مع اختلاف طبقاتهم ومستوياتهم ، وذلك  
 في مطلبين :

## المطلب الأول دعوة الملأ والأشراف

ويقصد بالملأ والأشراف : عليّة القوم ، وهم الذين يتحمّلون من المسؤوليات ما لا  
 يتحمّله غيرهم كالعلماء والأمرء والأغنياء وغيرهم ، وسيكون الحديث عن دعوتهم  
 بالمنهج الحسيّ في ثلاثة مسالك :

## المسلك الأول دعوة العلماء بالمنهج الحسيّ

العلماء ورثة الأنبياء ، فلذلك صارت مسؤوليتهم أخطر من غيرهم فهم الذين تقع  
 على عواتقهم مسؤولية تبليغ الدّعوة إلى النّاس كافّة ؛ فلذلك فُضّلوا على  
 غيرهم إن هم قاموا بدورهم وإلاّ كان عليهم وبالاً ؛ لأنّ الله تبارك وتعالى أخذ عليهم  
 الميثاق ببيان العلم ، بقوله : ﴿ وإذ أخذ اللّهُ ميثاق الذين أتوا الكتاب لثبّينته للنّاس  
 ولا تكتمونه ... ﴾ (١) .

يقول الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى - : « ... وفي هذا تحذير للعلماء أن  
 يسلكوا مسلكهم . يعني علماء أهل الكتاب - فيصيبهم ما أصابهم ، ويسلك بهم  
 مسالكهم ، فعلى العلماء أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النّافع الدّال على العمل  
 الصّالح ولا يكتمون منه شيئاً ... » (٢) .

وفي الحديث « من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار » (٣) .

(١) - سورة آل عمران ، جزء من الآية : (١٨٧) .  
 (٢) - " تفسير القرآن العظيم " (٥٧٩/١) .  
 (٣) - أخرجه الإمام أحمد في " مسنده " (٣٤٧/٢) وسيأتي تنمّة تخريجه قريباً في (ص/٣٣٩) .

**أولاً : بيان فضل العلماء وعلو منزلتهم في ضوء الحديثين التاليين :**

**الحديث الأول :**

\* عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه (١) - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم - كمثل الغيث أصاب أرضاً فكان منها نقية (٢) ، قبلت الماء فأنبتت الكلأ (٣) والعشب الكثير وكانت منها أجادب (٤) ، أمسكت الماء ، فنفع الله بها الناس ، فشربوا وسقوا ورعوا ، وأصاب منها طائفة أخرى ، إنما هي قيعان (٥) لا تمسك ماءً ولا تبت كلاً ، فذلك مثل من فقه في دين الله - ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به » (١) .

ما أعظم هذه البلاغة النبوية ، وما أشد وضوح الأمثال الحسية التي ضربها الرسول صلى الله عليه وسلم ليقوم يعلمون ما مثل به صلى الله عليه وسلم ، ويذركون تمام الإدراك الصور المنتزعة من كلامه صلى الله عليه وسلم حيث أراد أن يبين للناس من هذه الأمثال الحسية عدة أمور وهي :

١ - شبه صلى الله عليه وسلم نفع ما جاء به بنفع الغيث والمطر الذي ينزل على الناس وهم في أمس الحاجة إليه ، فبعد ما كانت أرضهم جديبا لا تستقر بها حياة ، فإذا هي بعد الغيث رياض وأنهار فكذلك بالنسبة لاستقبال القلوب العطاش إلى الإيمان برسالته فبعد ما كانت ميتة أحيها الله تعالى بالهدى الذي جاء به .

(١) - أبو موسى الأشعري ، عبدالله بن قيس بن سليم .. الأشعري ، مشهور باسمه وكنيته ، وعدّه بعضهم في مهاجري الحبشة ، وقيل لم يهاجر ، وإنما صادف قدومه مع قومه قديم مهاجري الحبشة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد فتح خيبر سنة سبع من الهجرة ، استعمله النبي صلى الله عليه وسلم على بعض مناطق اليمن ، وكان عاملاً لعمر على البصرة ، ولعثمان على الكوفة ، وكان أحد الحكمين بصفين ، ثم اعتزل الفتنة ، مختلف في تاريخ وفاته وفي مكانها فهي ما بين (٤٢ - إلى ٥٢هـ) . ينظر : " أسد الغابة " (٣/٢٤٥) ، " الإصابة في تمييز الصحابة " لابن حجر (٣/٣٥١) .

(٢) - " نقية " : أي طيبة كما في رواية مسلم " فكانت منها طائفة طيبة " ، " صحيح مسلم بشرح النووي " (٤٨/١٥) ، تحقيق / خليل مأمون شيخا ، طبعة دار المعرفة ، بيروت .

(٣) - " الكلأ " قال الكرمانى : هو النبت يابساً ورطباً ، ينظر : " الكواكب الدراري بشرح الكرمانى " (٥٦/٢) .

(٤) - " أجادب " : الأجادب من الأرض : مالا ينبت الكلأ ، ومعناها : أنها جردة بارزة لا يسترها شيء ، وقيل الأجادب : صلاب الأرض التي تمسك الماء فلا يسرع إليه النضوب . ينظر : " المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم " (٦/٨٣) ، " إكمال المعلم بفوائد مسلم " (٧/٢٤٩) .

(٥) - " قيعان " : القيعان هي الأرض المستوية المساء التي لا تبت . ينظر : " فتح الباري " (١/٢١٢) .

(٦) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب العلم ، باب : فضل من علم وعلم (١/٥٣) ح (٧٩) ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الفضائل ، باب بيان مثل ما بعث النبي صلى الله عليه وسلم من الهدى والعلم (٤/١٤٢٧) ح (٢٢٨٢) .

٢ - وشبهه ﷺ العلماء بالأرض الطيبة التي تنتفع بالمطر فتُعشَب وتُمسك الماء للنَّاس ، فكذلك العلماء يستفيدون مما جاء به ﷺ من العلم ، ثم يفيدونه غيرهم .

٣ - وشبهه ﷺ صنفاً آخر حرّمهم اللّه حلاوة الاستقبال لهذا الدّين ، بالأرض الصّلبة التي لا تتأثّر بالمطر ، فلا هي تُنبتُ عُشباً ، ولا هي تمسك ماءً ينفع النَّاس فكذلك بعض النَّاس - والعياذ بالله - لا يستفيدون مما جاء به ﷺ من الهدى والرّحمة ، وغيرهم أولى بعدم الإفادة منهم ؛ لأنّ فاقد الشيء لا يُعطيه .

هكذا أبرز ﷺ فضل العلم والعلماء في هذه الصّورة المُشوِّقة التي تسترعي من المخاطب الانتباه لها وجمع كل حواسه لاستقبالها ، ويتأمّل في ذلك التوافق العجيب بين المشبّه والمشبّه به ووجه الشبّه .

فالمشبّه : هو ما جاء به رسول الله ﷺ من الهدى والعلم .  
والمشبّه به : الغيث .

ووجه الشبه : الصّفة الجامعة بين العلم والغيث من النواحي التالية :

- ١ - الحياة : فكما أنّ الغيث يُحي الأرض بعد موتها ، فكذلك العلم فيه حياة القلوب .
- ٢ - العلو : فالغيث ينزل من السّماء ، كذلك الهدى نزل على رسول الله ﷺ من السّماء .
- ٣ - الطّهارة : فكما أنّ الغيث طاهر ونقي ، فكذلك الهدى والعلم طاهر من كل باطل .
- ٤ - العموم : فكما أنّ الغيث إذا نزل شمل السّهل والجبل ، والحجر ، والمدر .  
فكذلك ما جاء به رسول الله ﷺ من الهدى والعلم شامل وعام لجميع النَّاس .  
يقول الإمام العيني - رحمه الله - : « فيه تشبيه ما جاء به النَّبِي ﷺ من الدّين بالغيث العام الذي يأتي النَّاس في حال حاجتهم إليه وتشبيه السّامعين له بالأرض المختلفة ؛ فالأول تشبيه المعقول بالمحسوس ، والثاني تشبيه المحسوس بالمحسوس ... » إلى أن قال : « ... وأمّا وجه الشبّه فهو الصّفة الجامعة بين العلم والغيث ، فإنّ الغيث يُحي البلد الميت ، والعلم يُحي القلب الميت » (١) .

(١) - " عمدة القارئ شرح صحيح البخاري " ( ٢٨/٢ ) ، " الكواكب الدّراري شرح صحيح البخاري " للكرماني ( ٥٨/٢ ) .

والحقيقة أن ما قاله العيني وأشار إليه من بلاغة الرسول ﷺ إنما هو نزرٌ يسير فهو أفصح من نطق بالضاد ، وأبلغ من عبر عن المعاني مستخدماً في إيصال المعلومات لكل مستقبل بما يفهم مستخدماً في ذلك كل ما يُقربها إليه بصورة واضحة ؛ فيضرب الأمثلة الحسية والمعنوية حرصاً منه على هداية البشرية .

يقول الإمام النووي - رحمه الله - ؛ في شرحه لهذا الحديث العظيم : « .. أمّا معاني الحديث ، ومقصوده فهو تمثيل الهدى الذي جاء به ﷺ بالغيب ، ومعناه أن الأرض ، ثلاثة أنواع ، وكذلك الناس :

فالنوع الأول من الأرض ينتفع بالمطر ، فيحي بعد أن كان ميتاً وينبت الكلاً فينتفع به الناس ، والدواب ، والزرع وغيرها ، وكذا النوع الأول من الناس يبلغه الهدى والعلم ، فيحفظه فيحیی قلبه ، ويعمل به ، ويعلم غيره فينتفع وينتفع . والنوع الثاني من الأرض : ما لا تقبل الانتفاع في نفسها ، لكن فيها فائدة ، وهي إمساك الماء لغيرها ، فينتفع بها الناس ، والدواب ، وكذا النوع الثاني من الناس لهم قلوب حافظة ، لكن ليست لهم أفهام ثاقبة ، ولا رؤسوخ لهم في العقل يستنبطون به المعاني والأحكام ، وليس عندهم اجتهاد في الطاعة والعمل به فهم يحفظونه حتى يأتي طالب محتاج متعطش لما عندهم من العلم أهلّ للنفع والانتفاع فيأخذهم منهم فينتفع به ، فهؤلاء نفعوا بما بلغهم .

والنوع الثالث من الأرض السبّاخ التي لا تُنبِت ونحوها ، فهي لا تنتفع بالماء وتُمْسكه لينتفع به غيرها ، وكذا النوع الثالث من الناس ليست لهم قلوب حافظة ، ولا أفهام واعية ، فإذا سمعوا العلم لا ينتفعون به ، ولا يحفظونه لنفع غيرهم » (١) .

فالأول : إشارة إلى العلماء ، والثاني إلى النقلة ، والثالث إلى من لا علم له ولا نقل (٢) .

هكذا نجد أن قصب السبق ، والقدر المعلن قد حازه الصنف الأول ، وهم العلماء الذين انتفعوا ونفعوا ، وفيه الإشادة بهم ، والدعوة إلى الاتصاف بصفاتهم حيث

(١) - شرح النووي لصحيح مسلم " (٤٨/١٥) .  
(٢) - ينظر : " عمدة القارئ شرح صحيح البخاري " (٢٨/٢) .

سَجَّلَ ﷺ هذه الفضيلة لهم بصورة حسية مقتبسة من البيئة التي كان يعيشها ﷺ ، وصحابته الكرام ، فهو مثال حسي واضح كوضوح الشمس في رابعة النهار ، يفهمه جميع المخاطبين ببسر وسهولة .

يقول أحد المعاصرين : « فإنَّ الصورة البيانية مقتبسة من البيئة التي كان يعيش فيها الرَسُولُ ﷺ والصحابَة - رضوان الله عليهم - وقد أدَّت هذه الصُورة البيانية ، الغرض المقصود منها فالسَّامعون كانوا يعرفون قيمة الغيث وقيمة العُشب والكلأ ، فتركت هذه الصُورة أثراً عميقاً في نفوسهم حين نزلت عليها نزول الغيث على التربة النقيّة الطيبة » (١) .

### الحديث الثاني :

\* عن قيس بن كثير (٢) قال : قَدِمَ رجلٌ من المدينة على أبي الدرداء وهو بدمشق فقال : ما أقدمك يا أخي ؟ قال : حديث بلغني أنك تُحدِّثُه عن رسول الله ﷺ قال : أما جنّت لحاجة ؟ قال : لا قال : أما قدمت لتجارة ؟ قال : لا . قال : ما جنّت إلا في طلب هذا الحديث . قال : فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من سلك طريقاً يبتغي فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنّة ، وإنَّ الملائكة لتضع أجنحتها رضاً لطالب العلم ، وإنَّ العالم ليستغفر له من في السَّمَاوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء ، فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، إنَّ العلماء ورثة الأنبياء وإنَّ الأنبياء لم يُورثوا ديناراً ولا درهماً ، إنَّما ورثوا العلم ، فمن أخذ به فقد أخذ بقسط وافر » (٣) .

هكذا صور الرسول ﷺ العالم بهذه الصُورة المُشرقة التي يتمنّى كل إنسان أن يتصف بها ، وأن يكون أفضل من سائر النَّاس ، وهي دعوة منه ﷺ إلى التنافس في طلب العلم وما ذلك إلا لأنَّ فائدته تتعدى إلى الآخرين ، أمَّا العبادة فإنَّ فائدتها لا تتجاوز صاحبها ، فانظر - رحمننا الله وإياك - إلى هذا التشبيه الحسي ،

(١) - أثر التشبيه في تصوير المعنى " مرجع سابق ( ص / ٢٤٨ ) .

(٢) - هو : قيس بن كثير ، ويقال : كثير بن قيس الشافعي تابعي من أهل الشام ، روى عن أبي الدرداء فسي فضل العلم وروى عنه ابنه كثير بن كثير بن قيس ، وداود بن جميل ، " تهذيب الكمال " ، ( ١٤٩/٢٤ ) ترجمة رقم : ( ٤٩٥٥ ) .

(٣) - أخرجه الإمام الترمذي في " سننه " كتاب العلم ، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة ، ( ٤٨/٥ - ٤٩ ) ح ( ٢٦٨٢ ) ، وصححه الشيخ الألباني في كتابه " صحيح سنن الترمذي " ( ٣٤٢/٢ ) ح ( ٢١٥٩ ) .



### ثانياً : مسؤولية العلماء عن العمل بعلمهم

تقدّمت الإشارة إلى فضل العلم ، والعلماء العاملين بعلمهم ، وما ذلك إلا لكونهم « ورثة الأنبياء والأنبياء هم المبلّغون عن الله ، فكذلك العلماء مبلّغون وحاملون لهذا العلم الذي فيه إسعاد البشرية ، وقد أمروا بذلك كما تكرر ذلك في أحاديث الرسول ﷺ « .. بلغوا عني ، ولو آية .. » (١) ، « ألا ليبلغ الشاهد الغائب .. » (٢) .

فالتبليغ عصمة للمجتمع من الانحراف ، وتفشي الرذائل ، فمتى ما تخلى العلماء عن مسؤوليتهم في أي مجتمع من المجتمعات انحط ذلك المجتمع إلى أسفل سافلين كما هو مشاهد في كثير من البلاد التي لا يقوم العلماء بمسؤوليتهم فيها ، وقد حذر ﷺ العلماء المتقاعسين عند تحمل مسؤولياتهم ، في تبليغ العلم ، والعمل بما علموا بقوله : « يُجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار ، فتندلق (٣) أفتابه في النار ، فيدور كما يدور الحمار برحاه (٤) فيجتمع أهل النار عليه فيقولون ! أي فلان ما شأنك ؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر ؟ قال : كنت أمركم بالمعروف ولا آتية وأناكم عن المنكر وآتية » (٥) .

تصوير دقيق لمنظر شنيع ، ومشهد كئيب لحال ذلك الرجل الذي كان في الدنيا يأمر بالمعروف ، ولا يأتية وينهى عن المنكر ويأتية ، وقد بين الرسول ﷺ سوء عاقبته وأن عقوبته كانت شديدة وأليمة ، يُؤتى به يوم القيامة فيلقى في النار لأنه عرف الحق - ولم يعمل به ودعا الناس إليه ، وخالفهم إلى ضيئه ، فهو المنافق الخالص . قال الله تعالى : ﴿ إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً ﴾ (٦) .

- (١) - أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الأنبياء ، باب : ما ذكر عن بني إسرائيل ( ١٠٧٥/٢ ) .
- (٢) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الحج ، باب الخطبة أيام منى ( ٥١٣/١ ) ح ( ١٧٤١ ) ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب النساء ، باب تغليظ تحريم الدماء ( ١٠٥٥/٣ ) ح ( ١٦٧٩ ) .
- (٣) - " فتندلق " الاندلاق : خروج الشيء من مكانه ، يريد خروج أمعائه من جوفه . ينظر : " النهاية في غريب الحديث " ( ١٣٠/٢ ) مادة (دلق) .
- (٤) - " الرّحاً " : الاستدارة بالشيء - " النهاية في غريب الحديث " ابن الأثير ( ٢١١/٢ ) مادة (رحا) .
- (٥) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " ، كتاب بدء الخلق ، باب صفة النار ، وأنسها مخلوقة ( ١٠٠٧/٢ ) ح ( ٣٢٦٧ ) ، واللفظ له ، والإمام مسلم في : " صحيحه " كتاب الزهد والرقائق ، باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن المنكر ويفعله ( ١٨١١/٤ ) ح ( ٢٩٨٩ ) .
- (٦) - سورة النساء ، الآية : ( ١٤٥ ) .

فالمناقق دائماً يُظهر مالا يُبطن ، فكذلك هذا الذي عَلمَ ، ولم يَعْمَلْ ، ونهى ولم ينته . « ودوران الحمار بالرَّحَى من الصُّور المُحسَّنة ، تُشاهد في كثير من البيئات التي تستخدم هذا الحيوان أو غيره في إدارة الرَّحَى ، فإذا تمثلنا هذه الصُّورة رأيناها بعد سماع الحديث صورة هذا الرَّجُل في دوران قهري يضمره ولا يسره ويجُهدُه ولا يُسعدُه ومنظره مؤلم لا يرضاه الحمار لو لم يكن له رأس حمار ، إنَّه من أعجب المشاهد في النَّار » (١) .

هكذا نجد التعبير النَّبوي الَّذي حوى أبلغ صور التَّعبير الحسي للأمر بالمعروف ، الذي لم يَأْتَمِر ، والنَّاهي عن المنكر الذي لم ينته عنه وكفى بهذا التَّشبيه رادعاً ، وبهذا الوعيد زاجراً . فانظر إلى هذه الصورة : « يُؤتى بالرَّجُل يوم القيامة فيلقى في النَّار ، تندلق أفتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار بالرَّحَى » .

فالمشبه : صورة الرَّجُل في النَّار وقد خرجت أمعاؤه من بطنه فيدور بها على مرأى ومسمع من أهل النار ، ليزداد بذلك عذاباً إلى عذابه .

والمشبه به : صورة الحمار يدور بالرَّحَى ، والغرض من التَّشبيه : التَّحْقير والتَّنفير من صورة المشبه (٢) .

وبعد هذا التصوير والتَّمثيل يَجِيءُ دور البيان ، وقد التهبت النفوس إشفاقاً وارتعدت شوقاً إلى معرفة الرَّجُل (٣) ، ومعرفة ذنبه الذي آل به إلى هذه الحالة العجيبة ، فيأتي البيان في صورة اجتماع أهل النَّار إلى هذا الرَّجُل الذي يُعذب بهذا العذاب الأليم ، فإذا هو معروف لديهم بأنَّه كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيتعجبون لمصيره ، وكيف أنَّه كان يتصف بصفات أهل الجنَّة إلا أنَّه وبعد ما كان يكتم عنهم من حقيقته في الدُّنيا يُعلن أمامهم بأنَّه كان يأمرهم ولا يَأْتَمِر ، وينهاهم ولا ينتهي (٤) ، إنَّ هذا العذاب الأليم ، وتلك الفضيحة المُخزية هي نتيجة المقت الرِّباني الذي يحلُّ بالذين يقولون ما لا يفعلون ، قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ \* كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (٥) ،

(١) - الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية " مرجع سابق (ص / ١٦٩) .

(٢) - ينظر : " أثر التَّشبيه في تصوير المعنى " مرجع سابق (ص / ٣٢٧) .

(٣) - الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية " مرجع سابق (ص / ١٧٠) .

(٤) - " المرجع السابق " (ص / ١٧٠) .

(٥) - سورة الصف ، الآيتان : (٢ ، ٣) .

وفي التوبيخ الوارد في قوله تعالى : ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ﴾ (١) .

وهل بعد هذا البيان من بيان؟! ، وهل بعد هذا التصوير الحسي أي غموض أو خفاء لشناعة ما آل إليه أمر هذا المخادع؟! والله إن هذا الحديث لحري بكل عالم وبكل داعية أن يجعله نصب عينيه ، وأن يتذكر دائماً ما حلَّ بهذا الرجل .  
وبهذا الأسلوب النبوي الفريد ، والمنهج الدعوي السديد الذي يترك أثراً قوياً في نفوس السامعين ، ويلفت أنظارهم إلى حقيقة ، وهي أنه يجب على الإنسان أن ياتمر بالمعروف قبل أن يأمر به ، وينتهي عن المنكر قبل أن ينهى عنه ، ففي هذا أقوى دعوة للعلماء ، وتحذير لهم من مخالفة أعمالهم لأقوالهم ، أن يكونوا قدوة في القول والعمل والسلوك . لينالوا شرف الدنيا وسعادة الآخرة .

(١) - سورة البقرة ، الآية : (٤٤) .

### ثالثاً : مسؤولية العلماء عن تبليغ علمهم وعدم كتمانهم

في الفقرة السابقة ، كان الحديث عن الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم ، وفي هذه الفقرة سأحدث عن مسألة كتمان العلم ، وهي لا تقل خطورة عن الأولى ؛ لأن العلم من أهم ثمراته العمل به ، ثم نشره وبذله للعامة ، ابتغاء ما عند الله ، وقد بين الرسول ﷺ بالمنهج الحسي خطورة كتم العلم ، وعدم تبليغه للناس فقال :

« من سئل عن علم علمه ثم كتمه أجم يوم القيامة بلجام من نار » (١) .

هكذا كانت العقوبة فظيعة وشنيعة ، لكنها تناسب حال من يرزقه الله العلم النافع ويسأل عنه فيمتنع من تبليغه ؛ لأنه متى ما قصر المتعلم عن أداء واجبه تجاه مجتمعه ببذل علمه ، وإشاعته بين الناس ، ناسب أن يعاقب هذه العقوبة الشنيعة الأليمة ، وفي فمه الذي كان ينبغي له أن يكون مصدر اتصال بالآخرين فلماً لم يحم بهذا الواجب ، شهّر به يوم القيامة بهذا اللجام والذي يوضع في فمه جزاءً وفاقاً ، فكتمان العلم منافٍ للمسؤولية المناطة بالعلماء . « لأن تعلم العلم إنمّا يقصد لنشره ونفعه للناس ، وبكتمه يزول ذلك الغرض الأكيد ، فكان بعيداً عما هو في صورة العلماء والحكماء » (٢) .

فالرسول ﷺ ، صور عقوبة كاتم العلم تصويراً حسياً مقتبساً هذه الصورة من بيئة المخاطبين ، فاللجام عادة يوضع في فم الدواب كالخيل والبغال والحمير ، لترويضها عند الركوب وهو أمر معروف ومشاهد يومياً للمخاطبين ، « وفي الصورة تناسق رائع وانسجام بين الذنب والعقوبة ، فالسكوت عن تبليغ العلم إجمام للسان ، فهو يستحق أن يلجم يوم القيامة » (٣) .

إن المخاطب حينما يتصور تلك الصورة المهينة والمؤلمة أشد الإيلام لكاتم العلم وهو يبدو كأنه دابة ملجمة بلجام من نار ، لا شك أنه سينزجر عن كتم العلم ،

(١) - أخرجه الإمام أحمد في " المسند " (٣٤٧/٢) ح (٧٥٥٦) ، والإمام الترمذي في " سننه " كتاب العلم ، باب ما جاء في كتمان العلم (٢٩/٥) ح (٢٦٤٩) وقال : " حديث حسن " ، وصححه الشيخ الألباني في كتابه " صحيح سنن الترمذي " (٣٣٦/٢) ح (٢١٣٥) .

(٢) - ينظر : " تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي " للإمام محمد بن عبدالرحمن المباركفوري (٣٤١/٧) ، طبعة دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : ١ ، ١٤١٠ هـ .

(٣) - " التصوير الفني في الحديث النبوي ، مرجع سابق (ص ١٩٣) .

وبذلك تحصلُ الفائدة للمجتمع الذي هو أمانة في رقاب العلماء وحقّ عليهم أن يدّئوه إلى ما يصلح دينه ودنياه .

والعقوبة الواردة في الحديث متعلقة بالعلم اللازم التعليم كاستعلام كافر عن الإسلام ما هو ؟ أو حديث عهد به عن تعليم صلاة حضر وقتها ، وكالمستفتي في الحلال والحرام ، فإنّه يلزم في هذه الأمور الجواب (١) ، لأنّه يحتاج إليه السائل في أمر دينه .

والعالم إذا قصر وكتّم علمه ، فقد عصى الله تعالى ، ودخل تحت الوعيد في قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ \* إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا فَاُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢) .

يقول الإمام الحافظ ابن كثير - رحمه الله - « هذا وعيدٌ شديدٌ لمن كتّم ما جاء به الرُّسل من الدَّلالاتِ البينة على المقاصد الصَّحيحة ، والهُدى النَّافِع للقلوب من بعد ما بينه الله لعباده من كُتُبِهِ التي أنزلها على رُسُلِهِ » (٣) .

وبهذه الآية الكريمة استدل العلماء على وجوب تبليغ العلم الحق ، وأنّ الذي يكتم ما أنزل من البينات والهدى ملعون (٤) .

وقد شبهه ﷺ العالم الذي يتعلم العلم ولا يُعلمه للناس بصاحب الكنز الذي يكتنزه ولا يخرج الحق الواجب منه من زكاة وغيرها ، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - : أن رسول الله ﷺ قال : « مثل الذي يتعلم العلم ، ثم لا يحدث به كمثل الذي يكتنز الكنز ثم لا ينفق منه » (٥) .

ومعلوم أنّ جزاء الذين يكتنزون الذهب والفضة أليم وشديد يوم القيامة يقول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْتَنُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب

(١) - تحفة الأحوذى بشرح الترمذى " مرجع سابق ( ٣٤١/٧ ) .

(٢) - سورة البقرة ، الآيتان : ( ١٥٩ - ١٦٠ ) .

(٣) - تفسير القرآن العظيم " مرجع سابق ( ٢٧٣/١ ) .

(٤) - ينظر : " الجامع لأحكام القرآن " مرجع سابق ( ١٢٤/٢ ) بتصريف .

(٥) - ذكره الإمام المنذرى في " الترغيب والترهيب من الحديث الشريف " كتاب العلم ، الترهب من كتّم العلم ( ١٢٢/١ ) وعزاه إلى الطبراني في " الأوسط " ، وفي إسناده ابن لهيعة ، إلا أن الشيخ الألباني حسن إسناده في " صحيح الترغيب والترهيب " ( ص/٥٢ ) ، ح ( ١١٨ ) .

أليم \* يوم يُحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكفرون ﴿١﴾ .

هكذا بين ﷺ ، بالمنهج المحسوس والصورة الحية خطورة تقاعس ، العلماء عن واجبهم تجاه الأمة من التبليغ والتوجيه والإرشاد إلى دين الله ، وما يؤدي إليه من خطر عظيم وشر كبير ؛ إذ في نكولهم عن القيام بواجبهم انتشار الجهل وتفشي الأمراض الخلقية ، وشيوع المنكرات وتعاضم الجرائم والمفاسد التي ما كان يمكن درؤها إلا بقيام العلماء بواجب النصح والتذكير والتعليم ، اقتداءً بنبيهم ﷺ وأصحابه وأتباعه ، وعلماء الأمة رحمهم الله تعالى .

(١) - سورة التوبة ، الآيتان : (٣٤ ، ٣٥) .

**المسلك الثاني : دعوة الأمراء بالمنهج الحسي .**

**أولاً : خطورة الإمارة ، والترهيب من الحرص عليها .**

**ثانياً : بيان فضل الأمة المقسطين .**

**ثالثاً : تحذير الأمراء والولاة من الظلم والجور .**

### أولاً : خطر الإمارة والترهيب من الحرص عليهما

من المعلوم أنّ أي مجتمع مهما كان نوعه متحضراً كان أو مختلفاً لا بد له ممن يتولّى شؤونَه وينظّم أمورَه ، ويوجهه ويشرف عليه ، وهذا الأمر غريزي ، ولذلك نجدَه عند الحيوانات ، وفي عالم الحشرات ، كعالم النحل ، والنمل ، وغير ذلك مما لا يحصيه إلا الله .

فالإمارة ضرورة اجتماعية لا بد من وجودها لقيادة المجتمع وضبطه ، وتوجيهه الوجهة الصحيحة ، ومع ذلك ففيها من الخطورة ما يكفي رادعاً عنها ، ففيها الابتلاء بالجاه والسلطان ، والابتلاء بحقوق الرعية ، والابتلاء بالقدرة على ارتكاب بعض القضايا التي لا يقدر على القيام بها سوى أصحاب السلطان ، فلهذا كله كان التوجيه النبوي واضحاً في مسألة الإمارة - كما هو في غيرها - ، وقد استعمل الرسول ﷺ المنهج الحسيّ للتحذير من الحرص عليهما في أحاديث كثيرة منها :

ما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « إنكم ستحرصون على الإمارة ، وستكون ندامة يوم القيامة فنعم المرزعة ، وبئست الفاطمة (١) » (٢) .  
وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « ويلّ للأمرء ، ويلّ للعرفاء (٣) ، ويلّ للأمناء . لِيَتَمَيَّنَّ أَقْوَامٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ ذَوَائِبَهُمْ (٤) . مُعَلَّقَةٌ بِالثَّرِيَا (٥) ، يُدَلِّدُونَ (٦) بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَأَنَّهُمْ لَمْ يَلَوْا عَمَلًا » (٧) .

(١) - " فنعم المرزعة ، وبئست الفاطمة " أي نعم أولها ، وبئس آخرها . ينظر : " الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري " (١٩٨/٢٤) .

(٢) - أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه كتاب الأحكام ، باب : ما يكره من الحرص على الإمارة (٢٢٣٤/٤) ح (٧١٤٨) .

(٣) - " ويلّ للعرفاء " العرفاء : جمع عريف ، وهو القيم بأمور القبيلة ، أو الجماعة من الناس يلي أمورهم ، ويتعرف الأمير منه على أحوالهم . " النهاية في غريب الحديث " (٢١٨/٣) مادة (عرف) .

(٤) - " ذوائبهم " : الذوائب جمع ذوابة ، وهي الشعر المضفور من شعر الرأس . " النهاية في غريب الحديث " مادة (ذاب) . وقيل : " الذوابة " : الضفير من الشعر إذا كانت مرسلة ، فإذا كانت ملوية فهي : عقيصة . ينظر : " المصباح المنير " (ص/١١١) مادة : (نوب) ، " لسان العرب " (٣٧٩/١) ، مادة (ذاب) .

(٥) - " الثرياً " : نجم معروف ، وإذا أطلقت العرب ( النجم ) أرادوا الثريا وهو علم عليها بالآلاف والسلام . ينظر : " المصباح المنير " (ص/٣٠٦) مادة (نجم) ، يقول ابن منظور : وفي التنزيل العزيز ﴿ والنجم إذا هوى ﴾ قال أبو إسحاق : أقسم الله تعالى بالنجم ، وجاء في التفسير أنه : الثريا ، وكذلك سمعتها العرب . " لسان العرب " (٥٦٩/١٢) مادة (نجم) .

(٦) - " يُدَلِّدُونَ " : أي معلقون بين السماء والأرض ، والتدلُّد : هو التهتل ، والاضطراب في المشي ، ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (١٢٩/٢) مادة (دللد) ، " المعجم الوسيط " (٢٩٢/١) مادة : (تلكل) .

(٧) - أخرجه الإمام ابن حبان في " صحيحه " باب الخلافة والإمارة (٣٣٥/١٠) ح (٤٤٨٣) ، بدون ذكر " العرفاء والأمناء " وقال شعيب الأرنؤوط : " إسناده صحيح " ، وأخرجه الإمام الحاكم في " المستدرک " كتاب الأحكام (١٠٢/٤) ح (٧٠١٦) ، وقال عنه : " هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه " ووافقه الذهبي .



وعنه - ﷺ - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ليوشك رجل أن يتمنى أنه خراً من الثريا لم يل من أمر الناس شيئاً » (١) .

وهذه الأحاديث الثلاثة اشتملت على منهج حسي فيه ترهيب شديد يتضح من خلاله خطر الحرص على الإمارة ، والعرافة وغيرها من الولايات ، وبيان المنهج ومدى قوة تأثيره سيكون على النحو التالي :

أ - في الحديث الأول : يُصور الرسول ﷺ حال الأمراء والولاة مع الإمارة تصويراً حسياً منتزع من البيئة القريبة من حس المخاطبين ، فقد جعل الإمارة كالأم المرضعة لولدها ، فهو يتلذذ ويستمتع بطعم الحليب لكن سرعان ما يفظم ويمنع فيتألم ويُعبّر عن ذلك بالصياح والصراخ ، ولكن أتى له . وكذلك الإمارة فإن فيها المال ، والجاه ، واللذات الحسية والوهمية أولاً ، ولكن آخرها القتل ، أو العزل ، ومطالبة التبعات في الآخرة (٢) .

يقول ابن الأثير - رحمه الله - : « ضرب المرضعة مثلاً للإمارة وما تُوصَّله إلى صاحبها من المنافع ، وضرب الفاطمة للموت الذي يهدم عليه لذاته ، ويقطع منافعها دونه » (٣) .

ويقول الحافظ ابن حجر (٤) - رحمه الله - : « نعم المرضعة » أي في الدنيا ، « وبئست الفاطمة » أي بعد الموت ، لأنه يصير إلى المحاسبة على ذلك ؛ فهو كالذي يُعظم قبل أن يستغني ، ، فيكون في ذلك هلاكه » (٥) .

وقد نبه ﷺ في الحديث على مسألة مهمة ، وهي أن الدنيا والتكالب على ما فيها والحرص على استيفاء ملذاتها ، ما هو إلا مثل الرضيع الذي يتلذذ برضاعته ، وفجأة تنقطع هذه الرضاعة ، فكذلك كل ما في الدنيا بهذه المثابة ، وما كان كذلك فحريّ بالعاقل ألا يحرص عليه .

ب - والحديث الثاني : يقول فيه ﷺ : « لِيَتَمَنَّيَنَّ أَقْوَامٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّ ذَوَابَّهُمْ مَعْلُوقَةٌ بِالْثَرِيَا يُدَلُّوْنَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَأَنَّهُمْ لَمْ يَلُؤُوا عَمَلًا » .

(١) - أخرجه الإمام الحاكم في " المستدرک " كتاب الأحكام (١٠٢/٤) ح (٧٠١٥) وقال " صحيح الإسناد ولم يخرجاه " ووافقه الذهبي .

(٢) - ينظر : " الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري " للكرمانى (١٩٨/٢٤) .

(٣) - " النهاية في غريب الحديث " (٢٣٠/٢) مادة : ( وضع ) .

(٤) - نقلًا عن الداودي .

(٥) - " فتح الباري شرح صحيح البخاري " (١٣٥/١٣) .

فقد أثار ﷺ تحاسة الشعور بالألم عند المخاطبين بإثارة حسية مخيفة ، أناس مُعلقون بالثرثريا بشعور رؤوسهم ، بين السماء والأرض ولك أن تتخيل هذا المشهد الحسي المؤلم ، وكم تكون شدة المعاناة والألم والحسرة والعذاب لذلك الإنسان الذي شدَّ بشعر رأسه بين السماء والأرض ، أنه عذاب في غاية الشدة والقسوة ؛ لأنه لا أمل في النجاة فإمّا أن يظلّ معلقاً بشعره وهو يتألم طيلة حياته ، أو أنه يسقط من هذا البعد الشاهق إلى هلاكه .

ومع ذلك فإن الأمراء والولاة والعرفاء والأمناء الذين فرطوا فيما وكلّ إليهم من أعمال ، يتمنون يوم القيامة أنه قد فعل بهم ذلك العذاب في الحياة الدنيا ، وأنهم لم يلوا من أمر الناس شيئاً ، لشدة الحساب وكثرة التبعات في الآخرة .

وهذا التحذير النبوي المشتمل على منهج حسي فيه من الزجر والوعيد ما هو كفيل بردع كل إنسان عن التشوف للمسؤولية ، وخاصة إذا كان غرضه خدمة نفسه وإغفال مصالح الآخرين ، وإذا تأملت هذه الصورة لاحظت ما كان يقصد ﷺ من الحث على عدم التنافس في الإمارة والعرافة .

**ج - وفي الرواية الثانية تأكيداً لهذا المعنى وذلك في قوله ﷺ : « ليوشك رجلٌ**

**أن يتمنى أنه خرّ من الثريا ولم يل من أمر المسلمين شيئاً » .**

أي أنّ هذا واقع عندما يقف أمراء الجور على ما أعدّه الله تعالى لهم من النكال ، والعذاب الأليم جزاءً لأفعالهم التي ارتكبوها في الدنيا ضدّ من ليس لهم ناصر إلا الله وحده .

إنّ الإمارة ، والولاية ابتلاء وامتحان ومقاساة ، كما أنّها سعادة في الدنيا ورحمة في الآخرة لمن أخذها بحقها وأدّى ما يجب عليه من حقوقها وأقام في رعيته التي استرعاه الله إياها كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، يقول ﷺ - عن العلاقة بين الراعي ورعيته « ... إنّما مثلكم ومثلهم كمثل رجل استرعى إبلاً أو غنماً ، فرعاها ثمّ تحين سقيها فأوردها حوضاً ، فشرعت فيه ، فشربت صفوه وتركت كدره ، فصفوه لكم وكدره عليهم » (١) .

وقد علّق الدكتور عبدالباري طه - على هذا الحديث فقال : « فهو تشبيه حالة بحالة فهو ﷺ شبّه حال الرعية مع وولاتها وأمرائها بحال رجل استرعى إبلاً أو غنماً

(١) - أخرجه الإمام مسلم بتمامه في " صحيحه " كتاب الجهاد والسير ، باب استحقاق القاتل سلب القاتل ، (١١٠٢/٣) ح (١٧٥٣) .

ثم تحين سقيها ، فأوردها حوضاً فشرعت فيه ، فشربت صفوه ، وتركت كدره .  
ووجه الشبّه : صورة منتزعة من هذه الحال تفيد أنّ الرّعية يأخذون صفو الأمور  
حيث تصلهم أعطياتهم وحقوقهم بغير فكر ولا معاناة ، ويُبتلى الأمراء والولاة  
بمقاساة الأمور وحفظ الحقوق لأصحابها » (١) .

وبعد هذا الإيضاح ، فإنّ السلامة لا يعد لها شيء ، أي : أنّ سلامة الإنسان من  
تولّي المسؤوليات نعمة عظيمة ، وراحة له في الدنيا ، وسلامة له في الآخرة ، لكن  
إذا ألزم بها وأجير عليها فليستعن بالله ، وليعدل فيما تولّى ، ليحظى بسعادة الدنيا ،  
ونعيم الآخرة ، وهذا ما سابينه في الفقرة الثانية .

(١) - " أثر التشبيه في تصوير المعنى " (ص/٢١٠) .

### ثانياً : بيان فضل الأئمة المقسطين

الإمامة كما أسلفت ليست كلها مذمومة ، فهي لا تُذمُّ لذاتها ، ولا تُمدحُ أيضاً لذاتها ، وإنما الذم أو المدح فيما ترتب عليها من عدل وظلم ، وقسط وجور ، ورحمة بالرعية ، وقسوة عليهم ، وإيصال الحقوق لأهلها ، أو أكلها بالباطل ، وإقامة شرع الله وتنفيذ أحكامه ، أو اتباع الشيطان وتحكيم الهوى .

وقد بشر الرسول ﷺ الأمراء ، المقسطين ، ورغبهم فيما عند الله من الفضل العظيم ، مستخدماً في هذا الترغيب والتبشير المنهج الحسي ، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : « سبعة يُظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : الإمام العادل ... » (١) .

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ المقسطين عند الله على منابر من نور » (٢) ، عن يمين الرحمن عز وجل ، وكتبا يديه يمين ؛ الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا » (٣) .

وفي رواية عنه : « إنَّ المقسطين على منابر من لؤلؤ » (٤) يوم القيامة بين يدي الرحمن عز وجل بما أقسطوا في الدنيا » (٥) .

هذه الأحاديث تحمل صوراً حسية رائعة تأسر الألباب ، وتأخذ القلوب ففي ذلك اليوم الذي تبلغ فيه القلوب الحناجر ، وفي ذلك اليوم الذي تكاد فيه الشمس تلامس رؤوس النَّاس ، وفي ذلك اليوم الذي يصل فيه العرق إلى تراقي الناس وحناجرهم لشدة الهول وحرارة وهج الشمس ، فإذا علم الإمام أنه بعدالته يكون بمنأى عن هذه الشدائد كلها ، لا يرهقه قتر ولا ذلة لأنه مع أهل النعيم ينعم بالظل الظليل

(١) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الأذان ، باب : من جلس في المسجد ينتظر الصلاة ، وفضل المساجد (٢٠٩/١) ح (٦٦٠) واللفظ له ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الزكاة ، باب فضل إخفاء الصدقة (٥٩٠/٢) ح (١٠٣١) .

(٢) - " على منابر من نور " : المنابر جمع مقرده منبر ، وهو مرقاة الخطيب ، سمي منبراً لارتفاعه ، وعلوه ، وانتبر الأمير : ارتفع فوق المنبر . ينظر : " لسان العرب " (١٨٩/٥) مادة (نبر) ، " القاموس المحيط " (ص/٦١٦) ، " المصباح المنير " ، (ص/٣٠٤) مادة (نبر) .

(٣) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الإمارة ، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر ، والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم (١١٥٩/٣) ح (١٨٢٧) .

(٤) - " على منابر من لؤلؤ " : اللؤلؤ : الدر ، وهو يتكون من الأصداف ، من رواسب أو جوامد صلبه لماعة مستديرة في بعض الحيوانات المائية الدنيا من الرخويات ، واحده : لؤلؤة . ينظر : " القاموس المحيط (ص/٦٥) ، " المعجم الوسيط " (ص/٨١٠) مادة (لؤلؤ) .

(٥) - أخرجه الإمام الحاكم في " المستدرک " كتاب الأحكام (١٠٠/٤) ح (٧٠٠٦) ، وقال : " هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه " ، وقال الإمام الذهبي في " التلخيص " : " قد أخرجاه " .

وأنته نال هذه المنزلة ، بالعدالة في الرعية ، فكان جزاؤه ، الأمن يوم الروع ، والدعة يوم تذهل كل مرضعة عن رضيعها يوم يفر المرء من قراباته ، فإذا تصور الأئمة هذا المشهد ، وهذه المنزلة العالية ، فهل يمكن بعد هذا ألا يعدلوا ، وهم قد عرفوا ما أعدّه الله تعالى للإمام العادل ! هكذا قصد ﷺ بهذا التشبيه الحسي ردع الأئمة عن الظلم ، يقول الدكتور محمد الصباغ - حفظه الله - : « نص زاخرٌ بالصور الرائعة :

أولى هذه الصور : صورة الظلّ الوحيد . الظلّ الوارف الظليل في يوم تندو الشمس فيه من الخلائق حتى يلجمهم العرق .. في هذا اليوم لا يكون إلا هذا الظلّ الذي ينعم سبعة من الناس به ، يظلمهم الله ويُسعدهم .. والحديث يُصور لنا هذا الواقع الغيبي عن طريق الوصف » (١) .

ولمزيد فضل الإمام العادل ؛ نرى النبي ﷺ يُقدّمه على غيره من السبعة المذكورين في الحديث ، يقول الإمام العيني - رحمه الله - : « قدّم الإمام العادل في ذكر السبعة لكثرة مصالحه ، وعموم نفعه ، فالإمام العادل يُصلح الله به أموراً عظيمة ، ويقال ليس أحد أقرب منزلة من الله تعالى بعد الأنبياء من الإمام العادل » (٢) . وإذا نظرنا إلى الحديث الثاني ، وتأمّلنا حال المقسطين يوم القيامة وهم على تلك المنابر العالية المضيئة المرصعة بالؤلؤ والجواهر ، والتي أعدّها الله تعالى لمن أقسط فأوفى ، وعدل فأجزى ، وأعطى كل ذي حق حقه ، نجد أنّ ذلك مما يتنافس فيه المتنافسون ، ويُسمر عن ساعد الجدّ فيه المُشمرّون .

وهذا الفضل ليس خاصاً لمن تقلّد الولاية العظمى ، فهو يُعمّ جميع الولايات ، يقول القاضي عياض - رحمه الله - : « المقسطون العادلون ، وقد فسره آخر الحديث بقوله : « الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا » فدلّ هذا على أنّ الفضل لكل من عدل فيما تقلده من خلافة وإمارة ، أو ولاية يتيم ، أو صدقة أو غير ذلك ، أو فيما يلزم من حقوق أهله ، أو من يقوم به » (٣) .

(١) - " التصوير الفني في الحديث النبوي " (ص/١١٦) ، وينظر كذلك : قطوف من الأدب النبوي " رياض صالح جنزرتلي (ص/٧٨) دار القرآن الكريم - بيروت ، بدون ذكر رقم الطبعة والتاريخ ، " قطوف من رياض السنة " د / صالح أحمد رضا ، (ص/١٥٣) مرجع سابق .

(٢) - " عمدة القارئ شرح صحيح البخاري " (٣٥١/٤) .

(٣) - " إكمال المعلم بفوائد مسلم " (٢٢٧/٦) .

ويعلق الدكتور الصباغ - حفظه الله - على الحديث ، فيقول : « يُقرَّر الحديث جزاء العادلين عند الله فيبدو لنا أنه جزاء عظيم جد عظيم ، والحلول على المنابر رفع للمكانة وعناية بمن يحلُّ بها ، وهذه المنابر لا عهد لنا بها ... إنَّها منابر من نور .

وبهذه الصُّورة تتحقق الإشارة ولفت نظر الناس جميعاً إلى الذين يرقونها لأنَّها من نور ، والنُّور يلفت الأنظار ؛ ولأنَّها منابر مُرصَّعة ، وكونها عن يمين الرَّحمن شيءٌ بالغ التَّكريم والعناية ، ذلك أنَّ مجرد القرب من الله تبارك وتعالى غاية الإكرام . ترى الواحد من النَّاس يفخر بأنَّه يُجالس رجلاً ذا مكانة ، فكيف بمن يجلس على منابر من نور عن يمين الرَّحمن عز وجل وكلتا يديه يمين » (١) .

(١) - " التصوير الفني في الحديث النبوي " (ص/١٧١) .

### ثالثاً : تحذير الأمراء والولاة من الظلم والجور

رأينا في الوقفات السابقة بعض التوجيهات النبوية فيما يتعلق بأصحاب العدالة وما أعدّه الله تعالى للمقسطين ، حيث صورَ ﷺ ذلك في صورة حسية ناطقة بأسمى المعاني ومنبهة على أغلى ما يُطلب من الأمانى ، فأىُّ عزٍّ بعد هذا وأىُّ مطلبٍ سواه ؟

وفي الأحاديث التالية يبين ﷺ مصير ذوي الظلم والجائر ، مصير الذين شروا الحياة الدنيا بالآخرة .

فعن معقل بن يسار (١) - ﷺ - قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « مامن عبد يسترعيه الله رعية ، فلم يُحطها بنصحها ، لم يجد راحة الجنة » (٢) .

وعن معاوية بن أبي سفيان (٣) - ﷺ - قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « سيكون بعدي أمراء يقولون ولا يردُّ عليهم ، يتقاحمون (٤) في النار كما تتقاحم القردة » (٥) .

#### أ - الحديث الأول :

بين رسول الله ﷺ فيه أن نُصح الرعية واجب على كل من ولاه الله أمراً من أمور أمته وحذر من الظلم والخيانة تحذيراً عظيماً يؤثّر في نفس كل مؤمن

(١) - هو : معقل بن يسار بن عبدالله المزني ، نسبة إلى مزينة وهي والدة عثمان بن عمرو المزني تُسبوا إليها ، صحابي جليل أسلم قبل الحديبية ، وشهد بيعة الرضوان ، كنيته أبو علي ، على المشهور ، ينسب إليه " نهر معقل بالبصرة " روى عن النبي ﷺ ، وعن النعمان بن مقرن ، وروى عنه عمران بن حصين ، وعمرو بن ميمون وغيرهما ، سكن البصرة ، ومات بعد الستين . ينظر : " الإصابة في تمييز الصحابة " (١٤٦/٦) ، " تقريب التهذيب " (ص/٩٦٠) .

(٢) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الأحكام باب من استرعى رعية فلم ينصح (٢٢٣٤/٤) ح (٧١٥٠) واللفظ له ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الإيمان ، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار " (١١٦/١) ح (١٤٢) .

(٣) - هو : معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي ، مؤسس الدولة الأموية بالشام ، ولد بمكة وأسلم يوم فتحها ، وتعلّم الكتابة والحساب ، فجعله رسول الله ﷺ من كتّابه ، ولاه عمر على الأردن ثم دمشق ، وولاه عثمان على الشام كلها ، نشب الحروب بينه وبين علي حتى انتهى الأمر بإمامته في الشام وإمامة علي في العراق ، حتى سلّم الحسن بن علي له الخلافة سنة ٤١هـ . مات في دمشق عام ٦٠هـ . له ١٣٠ حديثاً . ينظر : " أسد الغابة " (٣٨٥/٤) ، " الإصابة " (١٢٠/٦ - ١٢٣) .

(٤) - " يتقاحمون في النار " أي : يقعون فيها ، يقال : اقتحم الإنسان الأمر العظيم وتحمه إذا رمى نفسه فيه من غير روية وثبتت : " النّهاية في غريب الحديث " (١٨/٤) مادة (قحم) ، يقول القاضي عياض : " والتقحم الرمي في المهالك ، والقاء الإنسان نفسه فيها " ، " مشارق الأنوار " (٢١٢/٢) مادة (قحم) .

(٥) - ذكره الإمام الهيثمي في " مجمع الزوائد ومنبع الفوائد " باب : في أئمة الظلم والجور وأئمة الضلالة ، (٢٣٦/٥) وقال : " رواه الطبراني في الكبير والأوسط وأبو يعلى ، ورجاله ثقات ، وصححه الشيخ الألباني في " صحيح الجامع الصغير " (٦٧٦١) ح (٣٦١٥) .

باستخدامه المنهج الحسي الدال على أن من لم يحط بالرعية بالنصيح لم يجد للجنة رائحة وناهيك بتلك الخسارة التي توعد به الصادق المصدوق عليه السلام حيث لا يجد تلك الرائحة الزكية التي توجد من مسافات بعيدة كما قال عليه السلام : « وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا » (١) .

وفي رواية صحيحة تحديد تلك المسافة « بأربعين عاماً » (٢) ، وفي رواية « سبعين خريفاً » (٣) ، فإذا كان كل مسلم تابع أو متبوع يطمح في الوصول إلى الجنة والنعيم بما تحويه مما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، فإذا به يجد النص عن المعصوم - عليه الصلاة والسلام - يوضح وبشكل قاطع بأن من أنعم الله عليه في الدنيا وأعطاه المال والجاه وابتلاه أيضاً بولاية أياً كان نوعها عامة أو خاصة ، ولم يف بحق من ولي عليهم ، ولم ينصح لهم لم يجد رائحة الجنة ، والتي تشم من المسافات البعيدة فماذا سيكون موقف من يطمح إلى دخول الجنة ؟ فما عليه إذا إلا الانقياد لشرع الله والنصح لله ولرسوله وللمسلمين والحكم عليهم ، وفيهم بما جاء عن الله على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم .

يقول الإمام ابن قيم الجوزية - رحمه الله - : « وريح الجنة نوعان : الأول : ريح يوجد في الدنيا تشمه الأرواح أحياناً لا تدركه العباد .

الثاني : ريح يدرك بحاسة الشم للأبدان كما تشم روائح الأزهار وغيرها ، وهذا يشترك أهل الجنة في إدراكه في الآخرة من قرب وبعد فأما في الدنيا فقد يدركه ما شاء الله من أنبيائه ورسله ، وهذا الذي وجدته أنس بن النضر (٤) - عليه السلام - يجوز أن يكون من هذا القسم ، وأن يكون من الأول - والله أعلم - » (٥) .

(١) - سبق تخريجه " في الفصل الأول من هذا البحث (ص ١١٣ - ١١٤) .  
(٢) - أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " ، كتاب الديات ، باب إثم من قتل بغير جرم (١٥٦/٤) ح (٢١٥٦) .

(٣) - أخرجه الإمام الترمذي في " سننه " كتاب الديات ، باب ما جاء فيمن يقتل نفساً معاهدة (٢٠/٤) ح (١٤٠٣) وقال : " حديث حسن صحيح " ، وصححه الشيخ الألباني في " صحيح سنن الترمذي " (٥٧/٢) ح (١١٣٢) .

(٤) - هو : أنس بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام الأنصاري الخزرجي النجاري ، عم أنس بن مالك ، غاب عن معركة بدر ، فلما كان يوم أحد قاتل فيه المشركين قتالاً شديداً حتى استشهد فيه ، وبه بضع

الأسماء واللغات " (١٢٨/١) دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها .  
(٥) - " صحيح حادي الأرواح " لابن قيم الجوزية تخريج واختصار / عبدالمجيد أحمد الدخاخي (ص/١٤٥) ، دار المرابطين للنشر والتوزيع ، ط : ٣ ، ١٤١٣هـ .



ويقول أيضاً : « وقد أشهد الله سبحانه عبادَه في هذه الدَّارِ آثاراً من آثار الجنَّةِ وأنموذجاً منها ، من الرِّائحة الطَّيِّبَةِ ، واللَّذاتِ المَشْتَهَاةِ والمناظرِ البهيَّةِ والفاكهةِ الحسنةِ ، والنَّعيمِ والسُّرورِ ، وقُرَّةِ العَينِ كما جعل سبحانه نارَ الدُّنيا والآمها ، وغمومها وأحزانها تذكر بنار الآخرة » (١) .

ونقل العيني تعليق ابن بطال على هذا الحديث حيث قال : « هذا وعيدٌ شديدٌ على أئمة الجور ممن ضيع من استرعاه الله أو خانهم ، أو ظلمهم ، فقد توجه إليه الطلب بمظالم العباد يوم القيامة فكيف يقدر على التَّحَلُّلِ ممن ظلم أُمَّةً عظيمةً » (٢) .  
ويقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - تعليفاً على غشِّ الرَّعيةِ : « فظلمهم بأخذ أموالهم ، أو سفك دمائهم ، أو انتهاك أعراضهم ، وحبس حقوقهم وترك تعريفهم ما يجب عليهم في أمر دينهم ودنياهم ، وبإهمال إقامة الحدود فيهم وردع المفسدين منهم ، وترك حمايتهم ، ونحو ذلك .. » (٣) .

يقول القاضي عياض - رحمه الله - : « ومعناه بيِّنٌ في التحذير من غشِّ المسلمين لمن قلَّده الله شيئاً من أمرهم ، واسترعاه عليهم ، ونصبه خليفة لمصلحتهم وجعله واسطةً بينه وبينهم في تدبير أمورهم في دينهم ودنياهم ... » (٤) .

ويقول الأبى - رحمه الله - : « لا يُقصر الحديث على الأمراء بل هو تمام في كل من وكل إليه حفظ غيره ، كما قال ﷺ : « كلِّم راع ، فالإمام راع والرَّجلُ في أهله راع ... » وكذا العبد والمرأة في مال السيد والزَّوج » (٥) .

ففي هذا الحديث بين ﷺ وأظهر ما يصير إليه حال من استرعاه الله رعيةً ، ثم لم يحسن القيام عليها . بالإبعاد الشديد من الجنَّةِ حتى أنَّه من شدة بُعده منها لا يشمُّ رائحتها التي تُشمُّ من مسافة مائة سنة ، وكذا استخدم ﷺ حاسة الشمِّ للتفكير من غشِّ الرَّعيةِ .

### ب - الحديث الثاني :

في هذا الحديث دلالة على نبوته ﷺ ، لإخباره عن أمر غيبي من أمور المستقبل وقد عرض ﷺ هذا الحديث في صورة مثيرة للانتباه مألوفة عند المخاطبين

(١) - " صحيح حادي الأرواح " (ص/١٤٥) مرجع سابق .

(٢) - " عمدة القارئ " (١١٦/٥) .

(٣) - " فتح الباري شرح صحيح البخاري " (١٣٧/١٣) .

(٤) - " إكمال المعلم بفوائد مسلم " (٤٤٦/١) .

(٥) - " إكمال إكمال المعلم " (٤١٦/١) .

وهذه الصورة هي تتابع القردة الواحد تلو الآخر من مكان وعر مُهلك ، فكذلك يكون الأمراء والولاة الذين لا يسمعون معروفًا ، ولا يأمرّون به ، ولا يتركّون من يأمر به أن يأمر الذين يأتون المنكر ولا ينهاون عنه ، ولا تأمن رعيّتهم بوائقهم ، يقولون الكذب والبهتان والزُّور ، ولا يُردُّ عليهم ذلك مخافة شرّهم وبطشهم . فهؤلاء سيكون مصيرهم كما أخبر الرّسول ﷺ ، يتساقطون في النّار الواحد تلو الآخر من غير روية ولا تأن ، وما ذلك إلا لشدة الزّجر والتّعنيف من الملائكة ، فيكون عذابهم من جنس عملهم ، فهم في الدنيا كانوا يتنافسون على الإمارة ، ويقتحمون الأمور الصعاب ، ويرتكبون الفظائع والمحرمات من أجل الوصول إليها ، وهامهم في الآخرة يدخلون النار ويتساقطون فيها بالصورة نفسها ، والعزيمة نفسها ، فنعود بالله من مصير الظالمين .

**المسلك الثالث : دعوة الأغنياء بالمنهج الحسي .**

**أولاً : حث الأغنياء على الإنفاق من مال الله الذي آتاهم .**

**ثانياً : تحذير الأغنياء من الرجوع في الصدقة .**

**ثالثاً : ترويب الأغنياء من منع زكاة الأموال .**

## المسلك الثالث

### دعوة الأغنياء بالمنهج الحسي

يُعدُّ المال نعمة لمن وفقه الله تعالى لتوجيهه إلى مرضاة الله ، وأنفقه في طرق الخير ، كالجهاد في سبيل الله بالمفهوم الشامل ، لكل خير ، ويدل على ذلك قوله ﷺ : « نعم المال الصالح للرجل الصالح » (١) ، وهو أيضاً ابتلاء ونقمة ومسؤولية أمام المولى سبحانه يوم القيامة ، يقول الرسول ﷺ : « لا تزولُ قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيما أفناه ، وعن علمه فيما فعل ، وعن ماله من أين اكتسبه ، وفيما أنفقه ، وعن جسمه فيما أبلاه » (٢) .

وقد كان للمال الصالح أثره في مسيرة الأمة المسلمة ، فأبوبكر - ﷺ - هو الذي جهز الرّواحل لموكب الهجرة المباركة ، وعثمان - ﷺ - هو الذي أنفق على جيش العسرة وجهزه ، والنماذج في هذا المعنى كثيرة .

« وإن هذا المال خضيرة حلوة ، فنعم صاحب المسلم ما أعطى منه المسكين ، واليتيم ، وابن السبيل - أو كما قال ﷺ : « وإنه من يأخذه بغير حقه كالأذي يأكل ولا يشبع ، ويكون شهيداً عليه يوم القيامة » (٣) .

وقد بين الرسول ﷺ للأغنياء فضل الإنفاق في سبيل الخير ، ورغبتهم في ذلك ، وحذرهم من إمساكه وعدم أداء الحق الواجب فيه .

وحول هاتين النقطتين سأتناول الحديث فيما يلي : مبيناً منهج الرسول ﷺ في دعوة الأغنياء والموسرين بالمنهج الحسي .

- (١) - أخرجه الإمام أحمد في " المسند " عن عمرو بن العاص - ﷺ - (٢٦٩/٤) ح (٣/١٧٧٣٠) . والحديث : " إسناده صحيح على شرط مسلم " . ينظر : " حاشية مسند الإمام أحمد بتحقيق : شعيب الأرنؤوط ، عادل مرشد ، عامر غضبان (٣٣٧/٢٩ - ٣٣٨) ، ح (١٧٨٠٢) .
- (٢) - أخرجه الإمام الترمذي في " سننه " عن أبي بركة الأسلمي ، كتاب صفة القيامة ، باب في القيامة (٦١٢/٤) ح (٢٤١٧) ، وصححه الشيخ الألباني في " صحيح سنن الترمذي " (٢٩٠/٢) ، ح (١٩٧١) .
- (٣) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " ، كتاب الزكاة ، باب : الصدقة على اليتامى (٤٣٧/١) ح (١٤٦٥) اللفظ له ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الزكاة ، باب : تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا (٥٩٩/٢ ، ٦٠٠) ح (١٠٥٢) .

### أولاً : حث الأغنياء على الإنفاق من مال الله الذي أتاهم

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « من تصدَّق بعدل تمررة من كسب طيب ، ولا يقبل الله إلا الطيب - وإن الله يتقبلها بيمينه ، ثم يرُبِّها لصاحبها كما يرُبِّي أحدكم قلوَّة <sup>(١)</sup> حتى تكون مثل الجبل » <sup>(٢)</sup> .

وعن الحارث الأشعري <sup>(٣)</sup> - رضي الله عنه - : أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بها ، ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها وإنه كاد أن يبطئ بها منها : « وأمركم بالصدقة ، فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو فأوثقوا يده إلى عنقه ، وقدموه ليضربوا عنقه فقال : أنا أفديه منكم بالقليل والكثير ففدا نفسه منهم ... » <sup>(٤)</sup> .

قوله ﷺ : « ولا يقبل الله إلا الطيب » جملة معترضة بين الشرط والجزاء ؛ لتأكيد المعنى السابق <sup>(٥)</sup> « .. من كسب طيب .. » .

قال الإمام القرطبي - رحمه الله - « وإنما لا يقبل الله الصدقة بالحرام ؛ لأنه غير مملوك للمتصدق <sup>(٦)</sup> » .

« قلوَّة » « ضرب به المثل لأنه يزيد زيادة بينة ؛ ولأن الصدقة نتاج العمل ، وأحوج ما يكون النتاج إلى التربية إذا كان فطيماً ، فإذا أحسن العناية به انتهى إلى حد الكمال ، وكذلك عمل ابن آدم لا سيما الصدقة <sup>(٧)</sup> فإن الله يتقبلها من المتصدق ويزيد في قليلها ويضاعف الأجر لصاحبها إلى ما شاء الله .

(١) - " قلوَّة " : بفتح الفاء وضم اللام : المُهر الصَّعِير ، وقيل هو كل فطيم من ذوات الحافر ، والجمع أفلاء كعدو وأعداء ، " النهاية في غريب الحديث " (٤٧٤/٣) مادة : (فلا) ، " فتح الباري " (٣٢٨/٣) .

(٢) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الزكاة باب الصدقة من كسب طيب (٤٢٠/٢) ح (١٤١٠) واللفظ له ، والإمام مسلم في " صحيحه " ، كتاب الزكاة ، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها (٥٨١/٢) ح (٦٤/١٠١٤) .

(٣) - الحارث بن أبي الحارث الشامي ، صحابي ، يُكنى بأبي مالك ، تفرد بالرواية عنه أبو سلام . " الإصابة في تمييز الصحابة " (٦٦١/١) ، " تهذيب الكمال في أسماء الرجال " مرجع سابق (٢١٧/٥) رقم (١٠١٢) .

(٤) - أخرجه الإمام الترمذي في " سننه " ، كتاب الأمثال ، باب ما جاء مثل الصلاة والصيام والصدقة (١٤٨/٥) ح (٢٨٦٣) ، وصححه الشيخ الألباني في " صحيح سنن الترمذي " (٣٧٩ - ٣٧٨/٢) ح (٢٢٩٨) .

(٥) - " فتح الباري " (٣٢٨/٣) .

(٦) - " المفهم شرح تلخيص كتاب مسلم " (٥٩/٣) ، " فتح الباري " (٣٢٨/٣) .

(٧) - " فتح الباري " (٣٢٨/٣) .

قوله « حتى تكون مثل الجبل » ، وفي رواية « حتى تكون أعظم من الجبل » (١) قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : « والظاهر أن المراد بعظمها أن عيئها تعظم لتثقل في الميزان ، ويحتمل أن يكون ذلك معبراً به عن ثوابها » (٢) .

وفي هذين الحديثين دعوة واضحة بالمنهج الحسي ، وتشبيهه بمألوف عند المخاطبين ، لإبراز أهمية الصدقة للمتصدق ، فهو وإن كان في ظاهر الأمر ينقص ماله بما ينفقه منه ، إلا أنه في الحقيقة يُنميهِ ويربِّيه فيزداد يوماً بعد يوم ، حتى أن التمرة الصَّغيرة يجدها عند الله يوم القيامة مثل الجبال من الحسنات ، كما يقوم الإنسان برعاية فلوله شيئاً فشيئاً حتى يبلغ الكمال .

وكذلك فإنَّ المتصدق يُنقذ نفسه من مهلكة محققة كما هي حال الأسير الذي وقع في يد العدو فشذوا يديه إلى عنقه وقدموه لضرب عنقه ، ففدى نفسه من ماله من هذا الهلاك المحقق فكذلك الإنسان مأسور من أعدائه النَّفْس والهوى ، والشَّيطان فكانه إذا تصدق من ماله ، أعتق نفسه من هذا السَّجن ومن هذا المصير المحتوم .

فأي شح يبقى في النَّفْس بعد هذا التشبيه البليغ ، وأي بخل يجعل الإنسان يبخل على نفسه ، فيهلكها وهو قادرٌ على إنقاذها .

فما أروع هذا التشبيه ، وما أشدَّ تأثيره في نفوس العقلاء ، فتباً لمن يبخل عن نفسه ، وقد وسَّع الله عليه وأغناه ؛ لأنَّ من يبخل فإنما يبخل عن نفسه ، يقول الله تعالى : ﴿ ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وإن تولَّوا يستبدل قوماً غيركم ثمَّ لا يكونوا أمثالكم ﴾ (٣) .

(١) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الزكاة ، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها ، (٥٨١/٢) ح (١٠١٤) .

(٢) - " فتح الباري " (٣/٣٢٩) .

(٣) - سورة محمد ، الآية : (٣٨) .

### ثانياً : تحذير الأغنياء من الرجوع في الصدقة

سبقت الإشارة إلى أن المال ابتلاءً ، وذلك لأن غريزة حبه كامنة في نفس كل إنسان والمفلح من وقاه الله شح نفسه ، قال الله تعالى : ﴿ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ (١) .

وقد يتغلب الإنسان على غريزة حب المال فينفقه ، ثم تعاوده نفسه فتدعوه إلى العود فيما أعطى ، والرجوع فيما وهب وقد يكون ذلك العود بأخذه بثمن أقل ؛ لحاجة من تصدق عليه به ؛ ولذا عالج الرسول ﷺ هذه المسألة بالمنهج الحسي للتعفير من ذلك الفعل بتشبيهه بالعود في القيء .

فعن زيد بن أسلم (٢) عن أبيه (٣) قال : سمعت عمر - رضي الله عنه - يقول حملت على فرس في سبيل الله ، فأضاعه الذي كان عنده ، فأردت أن أشتريه وظننت أنه يبيعه برخص ، فسألت النبي ﷺ عن ذلك فقال : « لا تشتريه ، ولا تعد في صدقتك وإن أعطاكه بدرهم ، فإن العائد في صدقته كالعائد في قيئه » (٤) .

وفي رواية لمسلم : « إنمًا مثل الذي يتصدق بصدقة ثم يعود في صدقته كمثل الكلب يقيء ، ثم يأكل قيئه » (٥) .

هذا الحديث برواياته المتعددة ، وبطرقه المختلفة يقرر مسألة مهمة وهي حرمة العود في الصدقة وعدم جواز ذلك تحت أي ظرف ، وأي دافع .

والتصوير الحسي بارزٌ وظاهرٌ في الحديث برواياته المتعددة فقد صور الرسول ﷺ الرجوع في الصدقة تصويراً تنقزز منه النفوس ، وتنفر منه الطباع السوية ،

(١) - سورة التغابن ، جزء من الآية : (١٦) .

(٢) - هو : زيد بن أسلم العدوي العمري المدني الفقيه ، فقيه مفسر كان مع عمر بن عبدالعزيز أيام خلافته ، واستقدمه الوليد بن يزيد في جماعة من فقهاء المدينة إلى دمشق ، وكانت له أيضاً حلقة في المسجد النبوي ، وكان ثقة كثير الحديث . توفي سنة ١٣٦هـ . ينظر : " سير أعلام النبلاء " (٣١٦/٥) ، " والأعلام " (٥٦/٣) .

(٣) - هو : أسلم ، الفقيه ، الإمام أبو زيد ، ويقال ؛ أبو خالد القرشي ، العدوي ، العمري ، مولى عمر بن الخطاب ، قيل : هو من سبي عين التمر ، وقيل : عاني ، وقيل حبشي ، اشتراه عمر بمكة ، إذ حج بالناس في العام الذي يلي حجة الوداع ، زمن الصديق ، توفي سنة (٨٠هـ) ، وقيل : مات في خلافة عبدالملك ، ينظر : " سير أعلام النبلاء " (٩٨/٤ - ١٠٠) ، " تهذيب التهذيب " (٢٢٩/١) .

(٤) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الزكاة ، باب هل يشتري الصدقة (٤٤٥/١) ح (١٤٩٠) واللفظ له ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الهبات ، باب كراهة شراء الإنسان ما تصدق به ممن تصدق عليه (١٠٠٤/٢) ح (١٦٢٠) .

(٥) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الهبات ، باب تحريم الرجوع في الصدقة والهبة بعد القبض إلا ما وهبه لولده وإن سفل (٦/٢) ح (١٦٢٢) .

فالكلب نجس ومستقذر شرعاً وطبعاً ، فما بالك إذا قاء ثم رجع يأكل قيئه مرة أخرى « فيالله ما أشد نفورنا من هذه الفعلة التي نجحت الصورة أي نجاح في إثارة تقزُّرنا ونفورنا ولو كان الذي يفعل هذا إنساناً لكان شيئاً مقزرفاً ، فما بالنا ونحن نتصور من يفعل ذلك كلباً يقيء ويأكل قيئه مرة أخرى » (١) .

يقول الإمام العيني - رحمه الله - : « الغرض من التشبيه تقبيح صورة ذلك الفعل : أي كما يقبح أن يقيء ثم يأكل ، كذلك يقبح أن يتصدق بشيء ثم يجره على نفسه بوجه من الوجوه » (٢) .

وهذا التحذير الشديد والتصوير الحسي الشنيع من الرجوع في الصدقة والهبة وإن كان عاماً في كل من يتصدق بشيء ثم يعود فيه ولو كان غير غني ، إلا أن الأغنياء ، وأهل اليسار أولى من غيرهم ؛ لأنهم أصحاب الأموال والهبات ، وعند ما يستعمل الداعية إلى الله تعالى هذا المنهج الدعوي لدعوة الأغنياء وتحذيرهم من الرجوع في صدقاتهم وهباتهم ، وعدم إتباعها بالمن والأذى فإنه سينجح في دعوته ويكون التأثير بإذن الله قوياً ومؤثراً .

وقد تقدم الحديث عن بعض القضايا التي تتعلق بدعوة الأغنياء إلى البذل وحثهم على إعطاء حقوق الله ، وعدم منعها في الفصل الأول فليرجع إليه (٣) .

(١) - " التصوير الفني في الحديث النبوي " مرجع سابق (ص/٣٢٨) .

(٢) - " عمدة القارئ " مرجع سابق ، (٣٤٦/٧) ، وينظر كذلك " فتح الباري " (٤١٤/٣) .

(٣) - ص (١٨٠ - ١٨٩) .



### ثالثاً : ترهيب الأغنياء من منع زكاة أموالهم

الزكاة ركن من أركان الإسلام ، ويعتبره البعض الركن الاجتماعي الذي عالج مشكلة الفقر بطريقة جذرية ، تحلّ جميع مشكلات الفقراء ، لو طبّقت كما ينبغي ، ويشهد لذلك أننا لو قمنا بعملية حسابية يسيره لحسابات أحد أصحاب رؤوس الأموال ، فإننا نجد أنّ زكاته السنوية يمكن أن تحلّ مشاكل عشرات الآلاف من الأسر الفقيرة ولأهميتها جاءت مقرونة بالصلاة في كثير من الآيات القرآنية .

وهي فريضة فرضها الله ورسوله بشروطها وأركانها المعروفة ، وقد حثّ ﷺ أصحاب الأموال على أداء هذه الشعيرة الإسلامية ، التي تُشيع في الأمة روح التعاون والتآخي ، وتزرع المحبة والرضا ، والغبطة في المجتمع الإسلامي (١) ، وأمر رسول الله ﷺ بإعطائها عن طيب نفس وحذر من الامتناع من أدائها والأحاديث في ذلك كثيرة وأكتفي بحديث استخدم فيه المصطفى ﷺ المنهج الحسي للتحذير من التقاعس عن أداء هذه الفريضة العظيمة ، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صُفِّحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم ، فيكوى بها جنبه وجبينه ، وظهره ، كلّما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يُقضى بين العباد ، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار ... » (٢) .

وفي هذا الحديث استخدم ﷺ المنهج الحسي ، فصور مصير مانع الزكاة بأبلغ أسلوب ، وأوضح صورة ، وكان السامع يرى المنظر أمام عينيه ، فيرى مشهداً ينخلع له لبّ اللبيب ، وتتكسر له خواطر أهل الإيمان أجمعين ، وترق له أفئدتهم لعلمهم بهول ذلك الموقف الذي يجمع الله فيه الخلائق للفصل بينها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، وكل منها ينتظر ماذا سيقضي الله به عليه ؟ ﴿ يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية ﴾ (٣) ، وقال تعالى : ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ (٤) .

(١) - تقدم الحديث عن ترهيب من منع الزكاة في الفصل الأول ( ص / ١٨٥ - ١٩٠ ) .

(٢) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الزكاة ، باب إثم مانع الزكاة ( ٥٦٦ / ٢ ) ح ( ٩٨٧ ) .

(٣) - سورة الحاقة ، الآية : ( ١٨ ) .

(٤) - سورة الزلزلة ، الأيتان : ( ٧ ، ٨ ) .

والنَّاسُ يَنْتَظِرُونَ وَزْنَ أَعْمَالِهِمْ ، وَلَكِنْ مَانِعَ الزَّكَاةَ تَعَجَّلَ لَهُ عِقَابَتَهُ ،  
وهو في المحشر ، وقد بيَّن الرسول ﷺ أَنَّ هَذَا الْمَالَ الَّذِي لَمْ يُوَدَّ صَاحِبُهُ حَقَّهُ فِي  
الدُّنْيَا ، يُجْعَلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَفَائِحَ مِنْ نَارٍ ، ثُمَّ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ لِتَزْدَادَ  
حَرَارَةَ ، وَيُكْوَى بِهَا صَاحِبُهَا فِي أَشَدِّ الْأَعْضَاءِ إِحْسَاسًا وَشَعُورًا بِالْأَلَمِ ، الْجَنْبِ  
وَالظَّهْرِ وَالْجَبِينِ ، وَيَسْتَمِرُّ ذَلِكَ بِإِعَادَةِ الْحَرَارَةِ إِلَيْهَا كُلَّمَا بَرَدَتْ ، وَفِي هَذَا مِنْ  
الزَّجْرِ وَالرَّدْعِ مَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ ، فَهَلْ يُمْكِنُ لِلْمُسْلِمِ الْعَاقِلِ بَعْدَ وَقُوفِهِ عَلَى ذَلِكَ ، أَوْ  
سَمَاعِهِ لِمَا قَالَهُ الرَّسُولُ ﷺ عَنْ مَصِيرِ مَانِعِ الزَّكَاةِ ! أَنْ يَرْضَى لِنَفْسِهِ رَفِيقًا ؟ ! .  
وفي ضوء ما تقدم يتبين عظم مسؤولية العلماء والأمرء ، والأغنياء ، فهم قادة  
المجتمع وساسته ، فإذا صلحوا نال المجتمع خيراً كثيراً ، وإن ضلُّوا ، وحادوا عن  
الطريق السَّوِيِّ الَّذِي رَسَمَهُ الْإِسْلَامُ . هَلَكُوا ، وَهَلَكَتِ الْأُمَّةُ بِهَلَاكِهِمْ ، فَلِذَا يُلْزَمُهُمُ  
التَّعَاوُنُ وَالْمَنَاصِحَةُ فِيمَا يَعُودُ عَلَى الْمَجْتَمَعِ بِالْخَيْرِ وَالْأَمْنِ وَالْأَمَانِ ، وَالرِّخَاءِ  
وَالعَيْشِ الْهَنِيِّ ، وَأَيْضًا يَحْصُلُونَ عَلَى عِزِّ الدُّنْيَا وَنَعِيمِ الْآخِرَةِ .

## المطلب الثاني : دعوة عامة المسلمين بالمنهج

### الحسي .

وفيه مسلكان :

**المسلك الأول : أصناف المدعوين باعتبار الجنس :**

أولاً : دعوة الرجال بالمنهج الحسي .

ثانياً : دعوة النساء بالمنهج الحسي .

**المسلك الثاني : أصناف المدعوين باعتبار السنّ :**

أولاً : دعوة الكبار بالمنهج الحسي .

ثانياً : دعوة الشباب وصغار السنّ بالمنهج

الحسي .

**المسلك الأول : أصناف المدعوين باعتبار الجنس .****أولاً : دعوة الرجال بالمنهج الحسي :**

- أ - تحذير الرجال من ترك صلاة الجماعة .
- ب - ترغيب الرجال في الصلاة على الجنائز  
وتشجيعها ودفنها .

**ج - دعوة الرجال إلى العدل بين النساء .****ثانياً : دعوة النساء بالمنهج الحسي :**

- أ - حث النساء على الهدية ولو بالقليل .
- ب - ترهيب النساء من التبرج والسفور .
- ج - ترهيب النساء من النياحة وشق الجيوب .

## المسلك الأول

### أصناف المدعوين باعتبار الجنس

إنَّ دعوة الرَّسُول دعوة عامة - كما أسلفت ، فهي لكافة البشر الكبير والصغير ، الرَّجُل والمرأة ، الحاكم والمحكوم ، السَّيِّد والمسود ، العالم والجاهل ، الغني والفقير ، ولكن لبلاغته ﷺ كان يستخدم لكل فئة من النَّاس ما يصلحهم ويتلاءم مع أعمارهم ، ومستوياتهم المختلفة من حيث الجنس والسِّنَّ - والمكانة الاجتماعية وقد سبق الحديث عن أهمِّ طبقات المجتمع كالعلماء ، والأمراء والأغنياء وسأتناول الآن دعوته ﷺ لعامة المسلمين بأصنافهم المختلفة .

#### أولاً : دعوة الرِّجَال بالمنهج الحسي

الرِّجَال منهم العلماء ، والأمراء ، والأغنياء ، وقد سبق الحديث باعتبارهم ذوي صفات خاصة بهم ، أمَّا هنا فالخطاب موجَّه للجميع بما فيه الفئات الثلاث السابقة ، وإذا تأملنا نصوص السُّنَّة النَّبَوِيَّة نجد أنَّ الرَّسُول ﷺ خصَّ الرِّجَال دون النِّسَاء بخطاب خاصٍّ يدعوهم فيه إلى الله تعالى بالمنهج الحسي ، أمراً ونهياً ترغيباً وترهيباً في أمثلة متعددة منها :

#### أ - تحذير الرِّجَال من ترك صلاة الجماعة

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنَّ رسول الله ﷺ قال : « والذي نفسي بيده لقد هممت أن أمر بحطبٍ فيحطب ، ثُمَّ أمر بالصَّلَاة فيؤدَّن لها ، ثُمَّ أمر رجلاً فيؤمُّ النَّاس ثُمَّ أخالف إلى رجالٍ فأحرق عليهم بيوتهم والذي نفسي بيده لو يعلم أحدٌهم أنَّه يجد عرقاً سميماً أو مرماتين حسنتين لشهد العشاء » (١) .

في هذا الحديث تهديدٌ شديدٌ ، ووعيد لمن يتهاونون بصلاة الجماعة التي هي فرضٌ على الرِّجَال خاصَّة وقد بين الرَّسُول ﷺ أنه كاد أن يهَمَّ بمعاينة هؤلاء بتلك العقوبة الرَّادعة لهم ، ولغيرهم ممن يبلغه هذا الخطاب النَّبَوِي البليغ ، وقد بين

(١) - الحديث متفق عليه : " سبق تخريجه في الفصل الأول " (ص/١٦٨) .

الرَّسُولَ ﷺ دناءة قصد هؤلاء المنافقين وضعف إيمانهم ؛ حيث يتهافتون إلى الأمور الزهيدة من المطاعم الحقيرة « والذي نفسي بيده لو يعلم أحدهم أنه يجد عرقاً سمياً أو مَرَمَاتين حسنتين لشهد العشاء » ، ولكنهم يتكاسلون عن أداء ذلك الواجب الذي يضاعف الله به أجر الصلّاة إلى سبع وعشرين درجة ، ويسلم القائم به من العقاب والعذاب ، ويهيئ الله له به نزلًا في الجنة ، ولا يخفى ما يشتمل عليه هذا الحديث من منهج حسي قد أبرز دناءة رأي هؤلاء الذين يستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير وقد سبق الحديث عن هذا وبيان المنهج الحسي فيه بشيء من البسط والتفصيل في الفصل الأول .

### ب - دعوة الرجال للعدل بين النساء

العدل أساس من الأسس التي قام عليها الإسلام ، فهو مطلوب في كل شيء ؛ فبالعدل قامت السماوات والأرض ، والعدل إعطاء كل ذي حق حقه ، من زوجة أو ابن ، أو أب ، أو كل من له علاقة بالإنسان ؛ لأنه مطالب بإشاعة روح العدالة ونبذ الظلم .

وبما أنّ الإنسان ذو غرائز وميول ، عادية قد تتحرف به عن المسار الصحيح فقد يكون أكثر ميلاً وألفة لبعض النّاس دون بعض وهذا أمر يشيع كثيراً بين المتزوجين من أكثر من امرأة ، فقد حذر الرسول ﷺ الأزواج من هذه الفعلة مخبراً عن مصيرهم ومآلهم بسبب حيفهم وظلمهم ، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : « من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما ، جاء يوم القيامة وشقه مائل »<sup>(١)</sup> ، وفي رواية « وشقه ساقط »<sup>(٢)</sup> ، وفي أخرى : « وأحد شقيه ساقط »<sup>(٣)</sup> . هذه صورة من صور العذاب الأليم الذي أعده الله لمن لم يعدل بين الزوجات ، وغلب الغرائز النفسية ومال مع واحدة دون الأخرى ، فالجزاء من جنس العمل فإنه يأتي يوم القيامة بشق مائل يعرضه إلى خطر السقوط عند مروره على الصراط .

- (١) - أخرجه الإمام أبو داود في " سننه " كتاب النكاح ، باب القسم بين النساء ، (٦٠٠/٢) ح (٣١٣٢) ، وصححه الشيخ الألباني في " صحيح سنن أبي داود " (٥٩٣/١) ، ح (٣١٣٣) .
- (٢) - أخرجه الإمام الترمذي في " سننه " كتاب النكاح ، باب التسوية بين الضرائر ، (٤٤٧/٣) ح (١١٤١) ، وصححه الشيخ الألباني في " صحيح سنن الترمذي " ، (٣٣٣/١) ح (٩١٢) .
- (٣) - أخرج الإمام ابن ماجه في " سننه " كتاب النكاح ، باب القسم بين النساء (٤٧٨/٢) ح (١٩٦٩) ، وصححه الشيخ الألباني في " صحيح سنن ابن ماجه " (١٥٦/٢) ح (١٦١٦) .

ورواية الترمذي ، وابن ماجة تبين شناعة العذاب وقوته فكيف يستطيع الحركة من هو ساقط النَّصْف؟!

إنَّ الرَّسُولَ ﷺ ، صَوَّرَ لِلْمَخَاطِبِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ ، وَغَيْرِهِمْ ذَلِكَ الْعَذَابَ تَصْوِيرًا حَسِيًّا دَقِيقًا ، وَقَرَّبَهُ إِلَى أَذْهَانِهِمْ حَتَّى كَانَتْهُمْ يَرُونَهُ بِأَعْيُنِهِمْ ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ تِلْكَ الصُّورَةَ الَّتِي بَيْنَهَا لَهُمُ الرَّسُولُ ﷺ مِنْ بَيْنَتِهِمْ ، فَإِنَّ مَرَضَ الْفَالَجِ إِذَا أَصَابَ الْإِنْسَانَ مَالٌ أَحَدٌ شَقِيهٌ وَصَارَ عَاجِزًا عَنِ الْحَرَكَةِ ، وَبِالتَّالِيِ فَإِنَّ تَأْتِيرَ ذَلِكَ فِي النَّفْسِ سَيَكُونُ قَوِيًّا .

والحديث برواياته المختلفة دعوة صريحة للرجال ، وأمر لهم بالعدل بين النساء وترهيب لهم من الظلم ، والحيث .

والعدل المأمور به في الحديث هو ما كان في مقدور الرجال فعله من النِّقَاقِ وَالسَّكَنِ وَحُسْنِ الْعِشْرَةِ أَمَّا مِيلَ الْقُلُوبِ فَإِنَّهُ غَيْرُ دَاخِلٍ فِي الْقِسْمِ بَيْنَ النِّسَاءِ ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَمْلِكُهُ ، لَمَّا رَوَى عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ يَقْسِمُ بَيْنَ نِسَائِهِ ثُمَّ يَعْدِلُ ، ثُمَّ يَقُولُ « اللَّهُمَّ هَذَا قِسْمِي فِيمَا أَمْلِكُ ، فَلَا تَلْمَنِي فِيمَا تَمْلِكُ وَلَا أَمْلِكُ » (١) .

وَالرِّجَالُ مَهْمَا حَرَّصُوا عَلَى الْعَدْلِ بَيْنَ النِّسَاءِ فَلَنْ يَقْدِرُوا عَلَى ذَلِكَ ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوا كَالْمَلْعَلَّةِ ﴾ (٢) .

يقول الإمام ابن كثير - رحمه الله - : « أي لن تستطيعوا أيها الناس أن تساووا بين النساء من جميع الوجوه فإنه وإن كان واقع القسم الصوري ليلة وليلة فلا بد من التفاوت في المحبة والشهوة والجماع » (٣) .

وقيل إن الآية نزلت في أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - يعني أن النبي ﷺ كان يحبها أكثر من غيرها (٤) .

(١) - أخرجه الإمام أبو داود في " سننه " كتاب النكاح ، باب القسمة بين النساء (٦٠١/٢) ح (٢١٣٤) ، وضعفه الشيخ الألباني في " ضعيف سنن أبي داود " (ص/١٦٥) ح (٢١٣٤) . مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط : ١ ، ١٤١٩هـ .

(٢) - سورة النساء ، الآية : (٢٩) .

(٣) - " تفسير القرآن العظيم " مرجع سابق (٧٥٠/١) .

(٤) - ينظر : " المرجع السابق " (٧٥٠/١) .

وعلى كل فإنّ الرّجال مُطالبون بالعدل فيما يقدرّون على العدل فيه كالمرءات ، والنّفقة والهدايا ، والكلمة الطيبة ، وقد حذّر ﷺ من ضدّ هذه الأمور ، وأخبر - وهو الصادق - بما سيؤول إليه مصير أهل الجور والظلم ، حتى وكأنّ السّامع يشاهد ما سيحدث لهؤلاء وبالتالي - فالعاقل سيتجنّب كل الأسباب التي تؤدي إلى هذا المصير المحسوس المخزي ﴿ يوم يقوم النّاس لرب العالمين ﴾ (١) .

### ثانياً : دعوة النّساء بالمنهج الحسيّ

إنّ النّاظر في نصوص القرآن الكريم والسّنّة النبوية ، يجد أمثلة كثيرة تُخاطب المرأة المسلمة مباشرة ، وتخصّها بخطاب مستقل عن الرّجل ، وذلك إكراماً لها وإيضاحاً لحقوقها ، ومكانتها في المجتمع ؛ لأنّها دعامة البيت ، وعليها يُعتمد في تربية الأبناء ، وتوجيههم الوجهة الصّالحة ، فلذلك كان التّركيز عليها ، وعلى هدايتها ، وصيانة عرضها ، وكرامتها ، وإيعادها عن مواطن الرّيب والشّبّه في نصوص القرآن والسّنّة النبوية ، ومن ذلك :

قول الله تعالى : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ (٢) .

وقال جل وعلا : ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ ﴾ (٣) .

وقد اشتملت السنّة المطهرة على مئات الأحاديث التي توجّه النّساء إلى فعل الخير ، والابتعاد عن الشرّ ومواطنه ، وقد خصّص ﷺ جزءاً من وقته لوعظ النّساء وإرشادهنّ إلى ما يصلح أمور دينهنّ ، فعن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - : أنّ رسول الله ﷺ قال : « يا معشر النّساء تصدقن وأكثرن الاستغفار ، فإنّي رأيتهنّ أكثر أهل النّار فقالت امرأة منهنّ جرّلة (٤) وما لنا يا رسول الله أكثر أهل

(١) - سورة المطففين ، الآية : (٦) .

(٢) - سورة الأحزاب ، جزء من الآية : (٣٣) .

(٣) - سورة النور ، جزء من الآية : (٣١) .

(٤) - " جرّلة " أي امرأة تامّة الخلق ، وقيل ذات كلام جزل : أي قوي شديد . ينظر : " النهاية في غريب

الحديث " (١/٢٧٠ ، مادة (جزل) .



النَّار؟ قال : « تكثرن اللعن وتكفرن العشير ... » (١) .

وبما أن الحديث عن منهجه ﷺ في دعوة النساء بالمنهج الحسي فسأذكر بعض الأمثلة الدالة عليه ، وذلك فيما يلي :

### أ - حث النساء على الهدية ولو بالقليل

عن أبي هريرة - رضى الله عنه - عن النبي ﷺ قال : « يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ، ولو فرسن (٢) شاة » (٣) .

في هذا الحديث نداء صريح ، وحث أكيد للنساء المسلمات على الصدقة والهدية ولو باليسير ؛ لأن الهدية إذا قيدت بالأشياء الثمينة صعب الالتزام بها والمداومة عليها ، والنساء المتجاورات بحاجة إلى أن يتعاهدن هذا التوجيه النبوي الكريم ؛ لأن الهدية أقرب طريق إلى القلوب وأسرع نفاذاً في كسب الود . كما أخبر بذلك الرسول ﷺ : « تهادوا فإن الهدية تذهب وحر الصدر .. » (٤) .

فما أحوج النساء اليوم إلى العمل بهذا التوجيه النبوي في هذا الزمن وخاصة أننا نرى أن المتجاورين والمتجاورات في أحيان كثيرة لا يعرف أحد منهم اسم جاره ، فلو أخذ أحدهما زمام المبادرة وقدم هدية للأخر لكان في ذلك خير كثير ، وكسر لحاجز الوحشة الذي قد يكون موجوداً بين المتجاورين ، ولو كانت الهدية بهذا الحجم اليسير .

وفي هذا المعنى - بالغ ﷺ في النهي عن احتقار ما يهدى مهما كان قليلاً وضئيلاً ، ودلل على ذلك القليل بأمر محسوس من بيئة المخاطبات وهو « فرسن الشاة » ومعلوم أن الفرسن أقل أعضاء الشاة نفعاً وأقلها لحماً ، وهذه الحقارة فيه محسوسة ومشاهدة .

(١) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الإيمان ، باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات ... (٨٤/١) ح (٧٩) .

(٢) - " الفرسن " هو كالأقدم من الإنسان ، وهو ما دون الرسخ وفوق الحافر ، وهو عظم قليل اللحم ، للشاة والبعير ، بمنزلة الحافر للذابة . ينظر : " مشارق الأنوار " للقاضي عياض (١٨٩/٢) مادة (فرس) . " فتح الباري " (٢٣٤/٥) ، " عمدة القارئ " (٢٥/١١) .

(٣) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " ، كتاب الهبة وفضلها ، باب الهبة وفضلها والتحريض عليها (٧٧٥/٢) ح (٢٥٦٦) والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الزكاة ، باب الحث على الصدقة ولو بالقليل ... (٥٩٠/٢) ح (١٠٣٠) .

(٤) - أخرجه الإمام الترمذي في " سننه " كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في شفقة المسلم على المسلم (٤٤١/٤) ح (٢١٣٠) ، وقال : " هذا حديث غريب من هذا الوجه " وضعفه الشيخ الألباني في " ضعيف سنن الترمذي " (ص/٢٤٣) ح (٣٧٨) ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، دمشق ، ط : ١ ، ١٤١١ هـ .

يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : « وأشير بذلك إلى المبالغة في إهداء الشيء اليسير وقبوله لا إلى حقيقة الفِرنسَن ؛ لأنَّه لم تَجْر العادة بإهدائه ، أي لا تمنع جارة من الهدية لجارتها الموجود عندها لاستقلاله بل ينبغي أن تجود لها بما تيسر وإن كان قليلاً فهو خير من العدم ، وذكر الفرسن على سبيل المبالغة » (١) .

ويقول الإمام العيني - رحمه الله - : « وفي الحديث الحضُّ على التهادي ولو باليسير لما فيه من استجلاب المودة وإذهاب الشَّحْناء ، ولما فيه من التعاون على أمر المعيشة والهدية وإن كانت يسيرة فهي أدل على المودة ، وأسقط للمؤنة وأسهل على المُهدي لا طراح التكلف ، والكثير قد لا يتيسر كلُّ وقت ، والمواصلة باليسير تكون كالكثير » (٢) .

وبهذا يكون الرسول قد لفت أنظار المسلمات إلى الأمر بحسن الجوار لا سيما إن كان الجار مُحْتاجاً ، فالهدية بين الجيران نوعٌ من التكافل الاجتماعي لا يحمل معنى المهانة والحرص بقبول الزكاة والصدقة (٣) .

#### ب - ترهيب النساء من التبرج والسفور

السفور تبذل ومهانة ، والسفور خزي وندامة ، يُفْضِي بالمرأة إلى أن تُعَاف وتُتْرَكَ ؛ لأنَّ محاسنها تصير مشاعة للجميع ، فلذلك صانها الإسلام ، وحجبها إلا عن محارمها ، ومن أباح الله له النَّظْر إليها بنكاح شرعي ، وقد استعمل الرسول المنهج الحسي لتحذير المسلمات من التبرج والسفور ، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال قال رسول الله ﷺ : « صنغان من أهل النَّار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها النَّاس ، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإنَّ ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا » (٤) .

ففي هذا الحديث وصف دقيق ، وتصويرٌ رائعٌ جميلٌ يشتمل على منهج حسي فيه ترهيب عظيم ، ووعيدٌ شديدٌ لأولئك النسوة اللاتي خالفن أمر الله ، وتعدين

(١) - "فتح الباري" ( ٢٣٤/ ) .

(٢) - "عمدة القارئ" ( ٢٥/١١ ) .

(٣) - ينظر : "التصوير الفني في الحديث النبوي" مرجع سابق (ص/٣٣٠) .

(٤) - "سبق تخرجه" في الفصل الأول (ص/١١٤) .

حدوده ، واتَّصَفن بما لا يرضاهنَّ من التَّبَرُّج والسُّفور ، ومن ذلك قول الرسول ﷺ : « ونساءٌ كاسيات عاريات » .

وقد قيل في معناه ثلاثة أوجه :

أحدها : كاسيات من نعم الله تعالى عاريات من الشُّكر .

الثاني : كاسيات يكشفن بعض جسدهنَّ ، ويسبلن الخمر من ورائهنَّ فتتكشف صدورهنَّ ، فهُنَّ كاسيات بمنزلة العاريات إذا كان لا يستر لباسهنَّ جميع جسدهنَّ .

الثالث : يلبسن ثياباً رفاقاً تصف ما تحتها ، فهُنَّ كاسيات في ظاهر الأمر عاريات في الحقيقة (١) .

والحقيقة أنَّ هذه الأوجه الثلاثة ، بل وأشد منها مشاهد في بعض البلاد الإسلامية وهذا من المعجزات الكثيرة الدالة على نبوته ﷺ ، حيث جاء الأمر على ما وصف .

وقوله : « مميلات مائلات » أي زائغات عن طاعة الله ، وما يلزمهنَّ من حفظ الفروج .

« مميلات » يعلمن غيرهنَّ مثل فعلهنَّ ، وقيل : « مائلات » متبخترات في مشيهنَّ ، مميلات لأكتافهنَّ وأعطافهنَّ .

وقيل : « مائلات » يمتشطن المشطة الميلاء ، وهي مشطة البغايا « مميلات » يمشطن غيرهنَّ تلك المشطة الميلاء (٢) .

يقول الدكتور الصَّبَّاح - حفظه الله - « ليس هناك أوجز من هذا التصوير للنساء اللاتي يمشين في الشوارع لابسات ثياباً قصاراً جداً دون أكمام ، وربَّما يكون ثوب إحداهنَّ مفتوحاً من موضع الصُّدر والظهر والجانبين ، فمن تلبسه تكون كاسية لأنَّ عليها كساءً ومن تلبسه تكون عارية ؛ لأنَّها لا تستر من جسمها ومفاتنها شيئاً ، بل لا تكاد تخفي إلا القبيح ... » (٣) .

ثم قال ﷺ : « رؤوسهن كاسنمة البخت المائلة » ، والبُخت : إيبل معروفة مشهورة بعظم سنامها ، ويقال ناقة ميلاء إذا كان سنامها يميل إلى أحد شقيها .

(١) - يُنظر : " إكمال المعلم بفوائد مسلم " للقاظمي عياض (٣٨٦/٨) ، " صحيح مسلم بشرح النووي " (٣٣٦/١٤) ، " إكمال إكمال المعلم " للأبي (٢٨٥/٧) .

(٢) - يُنظر : " إكمال المعلم بفوائد مسلم " (٣٨٦/٨ - ٣٨٧) ، وينظر أيضاً : " أثر التشبيه في تصوير المعنى " مرجع سابق (ص ٢٣٢) .

(٣) - " التَّصْوِيرُ الفَنِّي فِي الحَدِيثِ النَّبَوِيِّ " مرجع سابق (ص ١٨٠) .

ولذلك ترى الواحدة من هؤلاء النساء ، الكاسيات العاريات قد أعدت شعرها ، ورفعته بتسريحة معينة حتى بدا كأنه سنام بختية (١) .

وقد شبه ﷺ أمراً حسياً بأمر حسي آخر معروف عند المخاطبات تمام المعرفة ومن كانت هذه حالها من النساء فلتعلم أن مصيرها هو الذي أخبر به ﷺ إلا وهو « النار » فلتتق الله المرأة ، ولا توبق نفسها فتدخلها جهنم ، وتحرمها من شم رائحة الجنة والتي توجد من مسافة عشرات السنين ، فإذا كانت الرائحة الطيبة التي تفوح من الجنة تشم من مسافات بعيدة ، ومع ذلك فإن ذلك الصنف لا يجد تلك الرائحة مما يدل على المبالغة في حرمانهن من دخول الجنة ، وأنهن من أصحاب النار ويئس المصير .

وبهذا المنهج الدعوي الذي يحمل في طياته التهديد والوعيد يكون الرسول ﷺ قد حذر النساء المسلمات من الاتصاف بهذه الصفات التي تؤدى إلى هذا المصير الأليم .

### ج - ترهيب النساء من النجاسة وشفق الجيوب

من علامة قوة الإيمان التسليم بقضاء الله والصبر على كل ما يتعرض له الإنسان من المصائب والمحن ، وقد بشر الله الصابرين بقوله تعالى : ﴿ وبشر الصابرين ﴾ (٢) ، والنجاسة على الميت تنم عن عدم الصبر وعدم الرضا بأقدار الله ، وهي كثيراً ما تحدث للنساء ، فلذلك حذرهن ﷺ بقوله : « النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتَبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ (٣) مِنْ قَطْرَانَ (٤) ، وَدِرْعٌ

(١) - ينظر : " المرجع السابق " (ص/١٨٠) بتصرف يسير .

(٢) - سورة البقرة ، جزء من الآية : (١٥٥) .

(٣) - " السربال " بالكسر : القميص ، وقيل كل ما لبس فهو سربال ، وتطلق السربال على الذروع ، ولذلك

قيل في قوله تعالى ﴿ سرايل تقيكم الحر ﴾ ، إنَّها القميص ، تقي الحر ، والبرد ، فأكتفى بالحر كأن

ما وقى من الحروقي من البرد ﴿ وسرايل تقيكم بأسكم ﴾ أنَّها الذروع يتقى بها من الطعن والضرب

والرَّمي " لسان العرب " (٣٣٥/١١) مادة (سربل) ، " القاموس المحيط " (ص/١٣١١) مادة (السربال) .

(٤) - " قطران " القطر بالكسر ، النَّحَّاسُ الذائِبُ أو ضرب منه ، وقيل : هو قطران الإبل الذي تُهَنَّا به . أي

قمصانهم من قَطْرَانَ تُطلى به جلودهم حتى يعود ذلك الطلاء كسرايل ، وخصَّ القطران لسرعة

اشتعال النار فيه مع نتن رائحته . ينظر : " لسان العرب " (١٠٥/٥) مادة (قطر) ، " القاموس المحيط

(ص/٥٩٦) ، " فتح القدير " الشوكاني (٣/١٣٥) .

من جَرَبٍ (١) « (٢) .

وكما هو معلوم فإنَّ النِّيَاحَةَ حرام على جميع الأمة سواءً في ذلك الرِّجال والنِّساء ، وهي من أمر الجاهلية لقول الرِّسول ﷺ : « أربَع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهنَّ ، الفخر في الأحساب ، والطَّعن في الأنساب ، والاستسقاء بالنِّجوم ، والنِّيَاحَةُ » (٣) .

ولكن الرِّسول ﷺ - خصَّ النِّساء بالذكر هنا - لما جُبِنَ عليه من رقة القلوب ، وقلة الصِّبر ، وغلبة العواطف ، ولما يشعرون به من الضَّعف والحاجة إلى ذوي قرابتهنَّ ، فبيِّن لهنَّ من خلال هذا الخطاب الذي يحمل في طياته الترهيبُ الشَّدِيد والتهديد بالعذاب الأليم يوم القيامة .

والنِّص النَّبَوِي يُصوِّرُ العَقُوبَةَ الأخروية للنَّايحة تصويراً حسيّاً حتَّى وكأنَّ المدعوات المُسلِّمات يرونها بأعينهنَّ ، وذلك لأنَّ الرِّسول ﷺ ، أثار حاسَّة النَّظر عندهنَّ ، والشَّمُّ والشُّعُور بالألم بأمور حسية من بيئة المدعوات ، وهي: السَّرْبَال ، والقَطْران والدَّرْع ، والجَرَبُ ، ومن المألوف أنَّ السَّرْبَال من الألبسة التي يتقي بها من لهيب الحرِّ وزمهير البرد ، والدَّرْع يُتقى به من الطَّعن ، والضَّرْب والرَّمي ، والقَطْران سائل أسود كريه الرائحة ، والجرب مرض يظهر على جلود النَّاس والإبل ، ولكن غير المألوف أن يكون السَّرْبَال من القَطْران والدَّرْع من الجرب ! إنَّه « عذابٌ مهينٌ وفضيحةٌ مُخزية ، ولباسٌ مُستقذر يتقزَّر النَّاس منه ، إنَّ للقَطْران رائحة كريهة ولونا أسود فكيف إذا كان السَّرْبَال منسوجاً منه ؟ ، وإنَّ مرَّأى المصاب بالجرب يدعو إلى التَّقزَّر .. فما القول في ثوب مصنوع من الجرب ؟ » (٤) .

والملاحظ في هذا النِّص النَّبَوِي الشريف ، هو تقريب الأمور المعنوية إلى أذهان السَّامعات بأمور محسوسة معروفة لديهنَّ من أجل أن يبتعدن عن كلِّ ما يؤدي

(١) - " جَرَب " الجرب داء معروف ، بثرٌ يعلو أبدان النَّاس والإبل ، " لسان العرب " (٢٥٩/١) ، ونقل البغوي عن أهل الطبِّ حول الجرب . فقال : " وفي كتب الطبِّ أنَّ الجرب خلطٌ غليظ يحدث تحت الجلد من مخالطة البلغم للدم يكون معه بُثور ، ورُبُّما حصل معه هُزال لكثرتة ، " المصباح المنير " (ص/٥٤) مادة (جرب) ، المكتبة العصرية ببيروت - الطبعة الأولى ١٤١٧هـ .

(٢) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه ، كتاب الجنائز ، باب التشديد في النياحة (٥٣٦/٢) ح (٢٩٣٤) .

(٣) - " المرجع السابق " (٥٣٦/٢) ح (٢٩٣٤) .

(٤) - " التصوير الفني في الحديث النبوي " (ص/١٢٦ - ١٢٧) .

إلى الوقوع في مثل هذا العذاب الشديد ، وإنَّ العاقلة مِنْهُنَّ وهي تسمع كلام الصَّادِقِ المصْدوقِ ﷺ ، لن يبقى أمامها إلاَّ الابتعاد عن النِّيَاحَةِ التي تُوْدِي إلى هذا العذاب وتُخْرِج صاحبها من زُمْرَةِ أهل الإسلام ، « ليس منا من نظم الخُدود ، وشقَّ الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية » (١) .

يقول الإمام العيني - رحمه الله - : « النَّوْحُ حَرَامٌ بِالْإِجْمَاعِ ، لِأَنَّهُ جَاهِلِيٌّ وَكَانَ ﷺ يَشْتَرِطُ عَلَى النِّسَاءِ فِي مَبَايِعَتِهِنَّ عَلَى الْإِسْلَامِ أَنْ لَا يَنْحُنَّ » (٢) .  
وغالباً ما يكون الجزاء من جنس العمل ، يقول الدكتور الصَّبَّاحُ - حفظه الله - :  
« وذكر الملابس للنائحة ؛ لأنَّها في الدُّنْيَا غالباً ما تشق ثيابها فهي ستكُسى في ذلك اليوم ثياباً ولكن من هذا النَّوْعِ الْفَرِيدِ الْبَغِيضِ » (٣) .

(١) - أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " ، كتاب الجنائز ، باب التشديد في النياحة ، (٣٨٦/٢) ح (١٢٩٤) .  
(٢) - " عمدة القارئ " (٤٥٢/٦ - ٤٥٣) .  
(٣) - " التصوير الفني في الحديث النبوي " (ص/١٢٧) .

### المسلك الثاني : أصناف المدعوين باعتبار السنّ .

أولاً : دعوة الكبار بالمنهج الحسيّ :

أ - الأمر بالصبر على عوج النساء .

ب - بيان فضل رعاية البنات .

ج - ترغيب الأباء في العطف على الصغار والشفقة عليهم .

ثانياً : دعوة الشباب وصغار السنّ بالمنهج الحسيّ :

أ - دعوة الشباب عن طريق القدوة والممارسة العملية .

ب - ترغيب الشباب في النكاح .

ج - تعليم الصبيان آداب الطعام .

### أولاً : دعوة الكبار بالمنهج الحسي

عندما يكون الحديث عن منهج الرسول ﷺ في الدعوة إلى الله لأي فئة من الفئات لا يعني ذلك إغفال الفئة الأخرى ؛ لأنه قد تقرر في الأذهان شمولية رسالة النبي ﷺ وإنما المقصود إبراز بعض الجوانب في دعوته ﷺ لتكون نبراساً يهتدى بها ، وطريقاً يسلكه الدعاة إلى الله ، ومنهجاً يتعاملون به مع فئات المجتمع ، ومن ذلك :

#### أ - الأمر بالصبر على عوج النساء

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « استوصوا بالنساء ، فإن المرأة خلقت من ضلع ، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيراً » (١) .  
وفي رواية « المرأة كالضلع ، إن أقمتها كسرتها ، وإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج » (٢) .

وفي رواية « إن المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة فإن استمتعت بها استمتعت بها ، وبها عوج وإن ذهبت تقيمتها كسرتها ، وكسرتها طلقها » (٣) .

في الحديث توجيه نبوي كريم ، يوضح المسلك الصحيح في تعامل الرجال مع النساء ، وأن من طبائهن ما جبلن عليه خلقة ولن يستطيع الرجال تغييره مهما اجتهدوا ، وبالتالي يجب عليهم التعامل معهن على هذا الأساس ، وقد وضح ﷺ هذا المعنى في تشبيهه حسي ملموس ، ومعروف لدى المخاطبين كلاً طرفي التشبيه ، فالمشبه به الضلع وهو معروف بالاعوجاج ومعروف بسهولة الكسر ، والمشبه بالنساء ؛ فهن أيضاً معروفات بطبائهن لدى الرجال ، مشهورات بالمشاكسات ، والتنكر للجميل ، وكفران العشير ، وهي أمور جبلن عليها فمن أراد تقويمهن وأصر على ذلك ، فإن الأمور قد تتطور إلى أن تصل إلى درجة الطلاق الذي هو بمثابة الكسر للضلع .

(١) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب النكاح ، باب الوصاية بالنساء (٤/١٦٦٧) ح (٥١٨٦) ، الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الرضاع ، باب الوصاية بالنساء (٢/٨٨٣) ، ح (٦٢/١٤٦٨) .

(٢) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الرضاع ، باب الوصاية بالنساء ، (٢/٨٨٣) ح (١٤٦٨) .

(٣) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الرضاع ، باب الوصاية بالنساء (٢/٨٨٣) ، ح (٦١/١٤٦٨) .



فالرسول ﷺ بهذا المنهج الدعوي الحسي أعطي طريقة واضحة للرجال في التعامل مع النساء ، وحثهم على الصبر على ما يبدرُ مِنْهُنَّ ، مما يؤدي إلى استقرار البيت وتفهم حالة المرأة ، ولهذا قال في الحديث : « فإِنَّ اسْتَمْتَعَتْ بِهَا اسْتَمْتَعَتْ بِهَا وَبِهَا عَوْجٌ » .

يقول الإمام العيني - رحمه الله - : « أي تواصوا أيُّها الرِّجَالُ في حقِّ النِّسَاءِ بالخير ... وخصَّ النِّسَاءَ بالذكر لضعفهنَّ ، واحتياجهنَّ إلى من يقوم بأمرهنَّ ، يعني اقبلوا وصيتي فيهنَّ واعملوا بها واصبروا عليهنَّ وارفقوا بهنَّ ، وأحسنوا إليهنَّ » (١) .

ويقول أيضاً : « وقيل الحديث لم يذكر فيه النساء إلا بالتمثيل بالضلع والاعوجاج الذي في أخلاقهنَّ منه ؛ لأنَّ في الضلع عوجاً فلا يتهاى الانتفاع بهنَّ إلا بالصبر على اعوجاجهنَّ » (٢) .

ويقول الإمام النووي - رحمه الله - : « وفي الحديث ملاطفة النساء ، والإحسان إليهنَّ والصبر على عوج أخلاقهنَّ ، واحتمال ضعف عقولهنَّ وكراهة خلافهنَّ بلا سبب ، وأنَّه لا مطمع باستقامتها ، والله أعلم » (٣) .

ويقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : « كأنَّ فيه رمزاً إلى التقويم برفق بحيث لا يبالغ فيه فيكسر ، ولا يتركه فيستمر على عوجه ... » (٤) .

ويقول أيضاً : « فيؤخذ منه أن لا يتركها على الاعوجاج إذا تعدت ما طُبعت عليه من النقص إلى تعاطي المعصية بمباشرتها ، أو ترك الواجب ، وإنَّما المراد أن يتركها على اعوجاجها في الأمور المباحة ، وفي الحديث النَّدْبُ إلى المداراة » (٥) .

ويقول الدكتور الصباغ : « تشبيهه رائع بيِّن أنَّ العوج في المرأة لا مفرَّ منه فمن رضي بما قسم الله له منها استمتع وسرَّ ، ومن أراد أن يُغير سنَّة الله في خلقه ، وحاول تقويم العوج استحال عليه أن يعيش معها ، وكان الطلاق ... » (٦) .

ويقول الدكتور عبدالباري طه : « وفي هذا الحديث يُشَبَّه الرَّسُولُ المرأة بالضلع في الانحناء والاعوجاج ... ويوضِّح وجه الشبَّه فيقول : « إذا ذهب

(١) - " عمدة القارئ " (٣٦٨/١٢) .

(٢) - " المرجع السابق " (٣٦٨/١٢) .

(٣) - " شرح النووي لصحيح مسلم " (٢٢٩٨/١٠) .

(٤) - " فتح الباري " (١٦٢/٩) .

(٥) - " المرجع السابق " (ص / ١٦٢ ، ١٦٣) .

(٦) - " التصوير الفني في الحديث النبوي " (ص / ٥٥٣) .

تُقيّمها كسرتها وإن تركتها استمتعت بها وفيها عوج . وهذا تشبيهه حال بحال : يُشَبَّه حال المرأة في صعوبة إقامتها على الجأدة ، واحتفاظها بذلك في حال الضلَع في استعصائه على أن يستقيم ، وأن نفعه في أخذه على ما خُلِق ، فذلك جيِّلة وخلقَه ، وما كان كذلك فالحكمة الانتفاع به على ما جُبِلَ عليه . (١) .

ويقول أيضاً : « وهذا التَّشْبِيه يُفِيدُ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَطْمَعُ فِي اسْتِقَامَةِ الْمَرْأَةِ كَمَا أَنَّه لَا يَطْمَعُ فِي اسْتِقَامَةِ الضَّلَعِ ، وَهُوَ فِي الْوَقْتِ نَفْسَهُ دَعْوَةٌ إِلَى مَلَاظِمَةِ النِّسَاءِ ، وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِنَّ ، وَالصَّبْرِ عَلَى عَوْجِ أَخْلَاقِهِنَّ وَكِرَاهَةِ طَلَاقِهِنَّ ... » (٢) .  
وهكذا اشتمل هذا الحديث على القواعد الأساسية في التعامل مع النساء ، حيثُ وضع الرَّسُولُ ﷺ لِلرِّجَالِ قَوَاعِدَ التَّعَامُلِ مِنْ خِلَالِ مَسَارِينِ :

**الأول :** « استوصوا بالنساء خيراً » فهذا أمر منه ﷺ ، والأصل في الأمر أنه للوجوب .

**الثاني :** ترك التَّشَدُّدِ فِي مَعَامِلَتِهِنَّ وَمَحَاسِبَتِهِنَّ عَلَى كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ بَدَرَتْ مِنْهُنَّ لِأَنَّهِنَّ قَدْ جُبِلْنَ عَلَى بَعْضِ الطَّبَائِعِ الَّتِي لَا يُمْكِنُ أَنْ تَزُولَ مِنْهُمَا حَاوِلِ الْأَزْوَاجِ ، وَخَاصَّةً إِذَا لَمْ تَكُنْ هَذِهِ التَّصَرُّفَاتُ مُخَالَفَةً لِشَرَعِ اللَّهِ ، وَهَذِهِ الْوَصِيَّةُ خَاصَّةً لِلْأَزْوَاجِ وَفِي الزَّوْجَاتِ خَاصَّةً .

### ب - بيان فضل رعاية البنات

كان للعرب - قبل الإسلام ، مواقف مشينة ومُزْرِية من المرأة عموماً ، والبناتُ خصوصاً ، فالمرأة عندهم مثل المتاع لا قيمة لها غير الاستمتاع بها ، ونظراً لهذه المكانة المهينة لها عندهم ، كان الواحد منهم إذا ولدت له بنت وقع الخبر منه موقع السُّهْمِ مِنَ الْمَقْتَلِ ، وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ الْمُنْهَجَ فَقَالَ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوِداً وَهُوَ كَظِيمٌ \* يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (٣) .

ولتفادي وقوع البنات في الأسر والاسترقاق أو فعل الفاحشة ، أو خوف الفقر ،

(١) - " أثر التشبيه في تصوير المعنى " (ص/١٩٠) .

(٢) - " المرجع السابق " (ص/١٩٠) .

(٣) - سورة النحل ، الأيتان : (٥٨ - ٥٩) .

وعدم القدرة على إطعامهن ، لجأ بعضهم إلى التَّخْلُص مِنْهُنَّ « بالوَأد (١) » ، وقد جاء الإسلام ، ففضى تماماً على هذا الجهل المركب عند العرب ، فعزَّز دور المرأة وحفظ لها مكانتها كأمّ تجب طاعتها وكأختٍ ، تجب صيانتها وصلة رحمها ، وكبنتٍ تجب تربيتها والإنفاق عليها ، وجعل في كلِّ ذلك الأجر الوفير وذلك ما بيَّنه رسول الله ﷺ ، فيما رواه أنس بن مالك - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال : قال رسول الله ﷺ : « من عال جاريتين حتى تَبْلُغا جاء يوم القيامة أنا وهو وضَمَّ أصابعه » (٢) .

وفي رواية الإمام الترمذي عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من عال جاريتين دخلت أنا وهو الجنة كهاتين » . وأشار بأصبعيه (٣) .

ونقل الحافظ ابن حجر - عن ابن بطال قوله : « حقّ على من سمع هذا الحديث أن يعمل به ليكون رفيقاً للنبي ﷺ في الجنة ، ولا منزلة في الآخرة أفضل من ذلك » (٤) .

ويقول الدكتور الصباغ - حفظه الله - : « القيام بأمور اليتيم ، والبنات عمل يُرَشِّحُ صاحبه ليكون مع رسول الله ﷺ في الجنة ، ويستخدم الرسول ﷺ الإشارة بإصبعيه ليدلّ على أن من يفعل ذلك يكون مرافقاً له في الجنة » (٥) .

والحديث كما هو واضح من الأحاديث التي استخدم فيها الرسول ﷺ المنهج الحسي ليقرب المعلومة إلى أذهان السامعين دون اللجوء إلى كثير من الشرح ، بإشارته ﷺ بإصبعيه الكريمتين عبّرت عن كثير من الكلام ووضّحت قرب من أحسن إلى بناته من رسول ﷺ في الجنة ، وهو مطلبٌ ، وهدفٌ يسمو إليه كلّ مسلم ، وقد بيّن ﷺ ما هو محبّب طبعاً وشرعاً ، وأخبر أنه من أهمّ الوسائل لدخول الجنة ، كما يؤيد ذلك قوله ﷺ في الحديث الثاني : « من ابتلي بشيءٍ من البنات فصبر عليهنّ كُنَّ له حجاباً من النار » (٦) .

(١) - " الواد " أي : القتل ، كان إذا ولد لأحدهم في الجاهلية بنت دفنها في التراب حيّة . ينظر : " الفائق في غريب الحديث " (٣٤١/٣) مادة (واد) ، " النهاية في غريب الحديث " (١٤٣/٥) مادة (واد) ، ، " لسان العرب " (٤٤٢/٣) ، مادة (واد) .

(٢) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب البر والصلة والآداب ، باب فضل الإحسان إلى البنات (١٦٩/٤) ح (٢٦٣١) .

(٣) - أخرجه الإمام الترمذي في " سننه " كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في النفقات على البنات والأخوات (٣١٩/٤) ، ح (١٩١٤) ، وصححه الشيخ الألباني في " صحيح سنن الترمذي " (١٧٩/٢) ح (١٥٦٣) .

(٤) - " فتح الباري شرح صحيح البخاري " (٤٥١/١٠) .

(٥) - " التصوير الفني في الحديث النبوي " (ص/٥٢٦) .

(٦) - أخرج الإمام الترمذي في " سننه " كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في النفقات على البنات والأخوات (٣١٩/٤) ، ح (١٩١٣) ، وصححه الشيخ الألباني في " صحيح سنن الترمذي " ، (١٧٨/٢) ح (١٥٦١) .

وفي رواية أخرى - « من ابتلي من البنات بشيء فأحسن إليهن كن له ستراً من النار » (١) .

يقول الإمام القرطبي - رحمه الله - « ابتلي : امتحن واختبر ، وأحسن إليهن : صائهن ، وقام بما يصلحهن ونظر في أصلح الأحوال لهن ، فمن فعل ذلك وقصد به وجه الله تعالى ، عافاه الله تعالى من النار ، وباعده منها وهو المعبر عنه بالستر من النار ، ولا شك في أن من لم يدخل النار دخل الجنة » (٢) .

ويقول أيضاً : « يفيد بحكم عمومه أن الستر من النار يحصل بالإحسان إلى واحدة من البنات فأما إذا عال زيادة على الواحدة فيحصل له زيادة على الستر من النار السبق مع رسول الله ﷺ إلى الجنة » (٣) .

#### ج - ترغيب الكبار في العطف على الصغار والشفقة عليهم

الصغير لا حول له ولا قوة ، لا يستطيع أن يجلب لنفسه نفعاً ولا يدفع عنها ضرراً ؛ فلذلك جعل الله تعالى في قلوب الآباء والأمهات رحمة لأبنائهم وشفقة عليهم وخوفاً من ضياعهم وهلاكهم فهم يقونهم السوء ، ويزودون عنهم كل مكروه بنفس راضية وقلب مفعم بالمحبة والابتهاج ، يسهرون لينايم وليدهم ويجوعون ليشبع ، إذا مرض حزنوا وإذا فرح فرحوا ينسون آلامهم لألمهم ، وأحزانهم لأحزانهم ، وقد استخدم الرسول ﷺ المنهج الحسي لتجسيد تلك الرحمة في واقع الآباء والأمهات ، وحثهم على جعلها سلوكاً مستمراً مع أبنائهم الصغار ، فعن عمر ابن الخطاب - رضي الله عنه - أنه قال : قدم على رسول الله ﷺ بسبي (٤) ، فإذا امرأة من السبي تبغي (٥) ، إذ وجدت صبياً في السبي أخذته ، فألصقت به بطنها ، وأرضعته، فقال لنا رسول الله ﷺ : « أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار ؟

(١) - متفق عليه : أخرج الإمام البخاري في " صحيحه " ، كتاب الزكاة ، باب اتقوا النار ولو بشق تمره والقليل من الصدقة (٤٢٢/١) ح (١٤١٨) ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب البر والصلة .. ، باب فضل الإحسان على البنات (١٦٠٨/٤) ح (٢٦٢٩) .

(٢) - " المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم " (٦٣٦/٦) .

(٣) - " المرجع السابق " .

(٤) - " السبي " هو ما غلب عليه من بني آدم واسترق ، ومعناه في الحديث ما غلب عليه المسلمون بعد المعركة من نساء وأطفال المشركين . ينظر : " مشارق الأنوار " (٢٥٥/٢) مادة ( س ب ي ) ، " لسان العرب " (٣٦٧/١٤ ، ٣٦٨) ، " المعجم الوسيط " (ص/٤١٥) مادة ( سبي ) .

(٥) - " تبغي " : أي تطلب ولدها ، وقيل : معنى تبغي : أي تسعى . ينظر : " المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم " (٨٥/٧) .

قلنا : لا يا رسول الله وهي تقدرُ على أن لا تطرحه . فقال رسول الله ﷺ :  
« لله أرحم بعباده من هذه بولدها » (١) .

يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : « وفيه ضرب المثل بما يُدرك بالحواس لما لا يُدرك بها لتحصيل معرفة الشيء على وجهه ، وإن كان الذي ضرب به المثل لا يُحاط بحقيقته لأنَّ رحمة الله تعالى لا تُدرك بالعقل ، ومع ذلك فقربها النَّبِيُّ لِلسَّامِعِينَ بحال المرأة المذكورة » (٢) .

ويقول الدكتور الصَّبَاغ - حفظه الله - : « موازنة بين أمرين أحدهما رَأَى المشاهدون لوحة واقعية حيَّة فيها الرَّحمة مجسَّدة بكل ما يمكن أن تحفل به الدُّنيا من تجسيد لمعنى الرَّحمة ، والثَّانِي : أمرٌ غيبي يُريد الرَّسول ﷺ تقريره .... فكانت هذه الحادثة والتعليق عليها أَقْدَرُ في التَّعبير عن هذا الأمر من ألفاظ لغات الدُّنيا » (٣) ، فالرَّسول ﷺ استنمَّ هذه الحادثة المُعبِّرة كل التَّعبير عن مدى الشَّقَّة ، ونسيان كلِّ المآسي لهذه المرأة ، المأسورة لَمَّا رأت طفلها ، نسيت ما هي عليه من أسر وغلبة رجال أراد ﷺ أن يُبين لأصحابه أمراً غيبياً لا يُحاط بكنهه وهو رحمة الله التي وسعت كل شيء ، فإن كلَّ ما في الكون هو جزء من المائة مقسم على كل الخلائق ، يتراحمون به فيما بينهم ، والباقي أخرَّة الله تعالى ليرحم به عباده يوم القيامة ، فعن أبي هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « جعل الرَّحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين ، وأنزل في الأرض جزءاً واحداً ، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق . حتى ترفع الدَّابَّة حافرها عن ولدها ، خشية أن تُصيبه » (٤) .

وعن سلمان الفارسي - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ الله خلق يوم خلق السَّمَاوَات والأرض مائة رحمة ، كلُّ رحمة طِبَاق ما بين السَّمَاء والأرض ، فجعل منها في الأرض رحمة ، فيها تعطف الوالدة على ولدها ، والوحش والطَّير بعضها على بعض . فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرَّحمة » (٥) .

(١) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه ، كتاب الأدب ، باب رحمة الولد وتقيلبه ومعانقته (١٨٩٨/٤) ح (٥٩٩٩) ، والإمام مسلم في " صحيحه " ، كتاب التوبة ، باب سعة رحمة الله تعالى ، وأنها سبقت غضبه (١٦٧٦/٤) ح (٢٧٥٤) واللفظ له .

(٢) - " فتح الباري شرح صحيح البخاري " (٤٤٦/١٠) .

(٣) - " التصوير الفني في الحديث النبوي " (ص / ٨٨) .

(٤) - متفق عليه : " سبق تخريجه " في الفصل الأول من هذا البحث ، (ص / ٥٣) .

(٥) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " ، كتاب التوبة ، باب سعة رحمة الله تعالى ، (١٦٧٥/٤) ح (٢٧٥٣) .

يقول القاضي عياض مُعلقاً على حديث « سلمان الفارسي » - ﷺ - في قوله ﷺ : « كُلَّ رَحْمَةٍ طَبَاقٌ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ » أي ملؤها فكانتْهَا تَعَمُّ ذَلِكَ فيكون طبقاً له « (١) .

ويقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - « المراد بها التعظيم والتكثير ، وقد ورد التَّعْظِيمُ بهذا اللَّفْظِ فِي اللَّغَةِ وَالشَّرْعِ كَثِيراً » (٢) .

(١) - " إكمال المعلم بفوائد مسلم " (٢٥٣/٨) .  
(٢) - " فتح الباري شرح صحيح البخاري " (٤٤٦/١٠) .

### ثانياً : دعوة الشباب وصغار السن بالمنهج الحسي

مرحلة الشباب من أدق المراحل في حياة الإنسان ، وأطولها مُدَّة ، وأشدّها تأثيراً ، فهم يحملون نفوساً خصبة ، صالحة للخير قابلة للإصلاح ، وقلوباً صافية لم تقتحمها بعد عادات سيئة ، ولا تقاليد ضارّة متأصّلة في النفوس ، ولا ضروب من الأخلاق التي تتراكم عادة لدى الكبار ، ومن أجل هذا كانوا أسرع فئات المجتمع إلى قبول النّصيحة ، والاستجابة للدعوة ، إضافة إلى ما فيهم من نشاط في الأبدان ، وحِدَّة في العقول ورغبة في البذل والتضحية (١) .

ولمّا كانت هذه المرحلة من العمر بهذه المكانة من القدر اهتم بها الرّسول ﷺ اهتماماً كبيراً فكان يسوسهم « سياسة توائم بين صفاتهم المتناقضة ، وطباعهم المقلدة وبين شعورهم المتأجج وخيالهم الجامح .. كان يشجعهم في مواطن التشجيع ، ويؤاخذهم في مواطن المؤاخذة ، ويعطف عليهم في مقام العطف . ويشد عليهم في مواقف الشدة ، ويوجههم إلى الخير ، ويُفترهم من الشرِّ ، ويرغبهم في التضحية ويُحبِّب إليهم الفداء ، ويستعين بما فيهم من قوى الصبر والاحتمال على بناء مجتمع فاضل يقوم على الإسلام ولا شيء سواه » (٢) .

والشباب على مدار التاريخ ، وعلى اختلاف الدّعوات هم أكثر النّاس تأثراً وأسرعهم استجابة ، بخلاف الكبار من الشيوخ والملا والأشراف فإنهم كانوا دائماً هم المكذّبين والمحاربين للأنبياء والمرسلين والدعاة المخلصين ، ولم يقف بهم الأمر عند التّكذيب ، بل كانوا يُحذرون النّاس من اتباع الرّسل ، كما في قوله تعالى : ﴿ وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعبيّاً إنكم إذا لخاسرون ﴾ (٣) .

ويحرضون الطغاة عليهم كما في قوله سبحانه : ﴿ وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآهتك قال سننقتل أبناءهم ونستحي نساءهم وإننا فوقهم قاهرون ﴾ (٤) .

(١) - يُنظر : " المنهاج النبوي في دعوة الشباب " تأليف / سليمان بن قاسم العيد ، (ص/٨) طبعة دار العاصمة بالمملكة العربية السعودية ، ط : ١ ، عام ١٤١٥هـ .

(٢) - يُنظر : " مقال ( مع الشباب ) مجلة الوعي الإسلامي " العدد ١٤٧ ، ربيع الأول عام ١٣٩٧هـ - (ص/٩٢) ، يُنظر أيضاً : " علم النفس الدعوي " د / عبدالعزيز بن محمد النغمشي (ص/١١٩ - ١١٠) دار المسلم للنشر والتوزيع - الرياض ، ط : ١ ، عام ١٤١٥هـ .

(٣) - سورة الأعراف ، الآية : (٩٠) .

(٤) - سورة الأعراف ، الآية : (١٢٧) .

والشباب على خلافهم فهم أسرع استجابة ، وأقوى إيماناً ، فهؤلاء أصحاب الكهف فتية آمنوا بربهم كما قال تعالى عنهم : ﴿ نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى ﴾ (١) .

يقول الأستاذ سيد قطب - رحمه الله - : « إنهم فتية أشدّاء في أجسامهم ، أشدّاء في إيمانهم ، أشدّاء في استنكار ما عليه أقوامهم » (٢) .

وأيضاً أتباع نبي الله موسى - عليه السلام - يصفهم الله تعالى بقوله : ﴿ فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملإيهم أن يفتنهم وإن فرعون لعال في الأرض وإنه لمن المسرفين ﴾ (٣) .

يقول الإمام ابن كثير - رحمه الله - « يخبر الله تعالى أنه لم يؤمن بموسى - عليه السلام - إلا قليل من قوم فرعون من الذرية وهم الشباب على وجل وخوف منه ومن ملئه أن يردهم إلى ما كانوا عليه من الكفر » (٤) .

وكذلك بالنسبة لدعوة رسولنا محمد ﷺ كان الشباب هم السابقين للاستجابة لها ، فكانوا هم جنودها والمنافحين عنها ، والدعاة إليها على هدى وبصيرة وهم كثير ، منهم : علي بن أبي طالب - عليه السلام - - فما هو يقتم نفسه فداءً لرسول الله ﷺ وهو ابن عشرين ونيف ، ينام في فراش رسول الله ﷺ ، ويعلم أن السيوف قد تتناوشه وتحتوشه في كل لحظة .. ويبقى في موطن الخطر ثلاثة أيام متواليات يوزع الأمانات لأهلها ، ويمضي مهاجراً وحيداً إلى الله ورسوله وقد دميت قدماه من أهوال الطريق (٥) ، ويعقد له اللواء أميراً وداعية للإسلام إلى أهل خيبر (٦) .

وبعث الرسول ﷺ مصعب بن عمير (٧) - عليه السلام - إلى أهل المدينة قارئاً ومعلماً

(١) - سورة الكهف ، الآية : (١٣) .

(٢) - " في ظلال القرآن " (٢٢٦٢/٤) .

(٣) - سورة يونس ، الآية : (٨٣) .

(٤) - " تفسير القرآن العظيم (٥٦٢/٢) .

(٥) - ينظر : " زاد المعاد " (٥١/٣) ، " السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة " للدكتور : محمد بن محمد أبو شهبه (٤٧٥/١) دار القلم ، دمشق ، ط : ١ ، ١٤٠٩هـ .

(٦) - ينظر : " صحيح البخاري " كتاب المغازي ، باب غزوة خيبر (١٢٨١ ، ١٢٨٠/٣) ح (٤٢١٠) .

(٧) - هو : مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف ، القرشي ، صحابي شجاع من السابقين إلى الإسلام ولقي بذلك أنواعاً من العذاب من قبل أهله ، فهاجر إلى الحبشة ، ثم رجع ، ثم كان أول من قدم المدينة للهجرة ، فكان أول من جمع الجمعة فيها ، وأسلم على يده سادة الأنصار ، وشهد بدرأ وحمل اللواء يوم أحد فاستشهد فيه . ينظر : " الإصابة " (٩٨/٦) ، " سير أعلام النبلاء " (١٤٥/١) .



وفقيهاً وما هي إلا بضعة أشهر حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا دخلها الإسلام (١) .

وعين أسامة بن زيد - رضي الله عنه - قائداً على كبار الصحابة - رضي الله عنهم - وهو لم يبلغ العشرين من عمره (٢) .

وعلى هذا الأساس كان الرسول ﷺ يُعَدُّ الشَّبَابَ وَيُرَبِّبُهُمْ وَيَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لِيَحْمِلُوا أَعْيَابَ الدَّعْوَةِ مِنْ بَعْدِهِ وَيُنشُرُوا الْإِسْلَامَ فِي آفَاقِ الْمَعْمُورَةِ ، وَلَقَدْ أَدْرَكَ الْأَعْدَاءُ أَهْمِيَةَ هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ مِنَ الْعُمْرِ فَرَسَمُوا الْخُطَطَ الْمُحْكَمَةَ لِإِفْسَادِ الشَّبَابِ الْمُسْلِمِ ، فَتَارَةً يَأْتُونَهُ مِنْ قَبْلِ الشَّبَهَاتِ ، وَأُخْرَى مِنْ قَبْلِ الشَّهَوَاتِ ، وَقَدْ اسْتَعْمَلُوا مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ الْوَسَائِلَ الْمَادِيَّةَ وَالْمَعْنَوِيَّةَ الَّتِي تَحْتَوِي عَلَى دَرَجَةٍ كَبِيرَةٍ مِنَ التَّأْثِيرِ وَلَفَتِ الْإِنْتِبَاهَ ، « فَمَنْ الْأَجْدَرُ بِدَعَاةِ الْإِسْلَامِ أَنْ يَفِيقُوا مِنْ غَفْلَتِهِمْ ، وَيَسْتَيْقِظُوا مِنْ سُبَاتِهِمْ وَيَطْرَحُوا عَنْهُمْ ثِيَابَ الْكَسَلِ وَالْجُمُودِ ، وَيَقْتَنِصُوا بِدَعْوَتِهِمُ الشَّبَابَ ، فَهَمُّ أَرْقَ قُلُوبًا وَأَلِينُ أَفْئِدَةً ، وَأَسْرَعُ اسْتِجَابَةً .. فَلَا بَدَّ مِنْ إِدْرَاكِ الشَّبَابِ قَبْلَ أَنْ يَنْحَرِفَ بِهِمُ الْمَفْسُدُونَ وَيَتَخَفَّفَهُمُ الْكَافِرُونَ » (٣) .

وكان من منهج الرسول ﷺ في دعوة الشباب ، دعوتهم إلى الله تعالى بالمنهج الحسي لما فيه من التشويق والإثارة ، ولفت الانتباه ، وقوة التأثير ، ولعل شيئاً من ذلك يتضح في النقاط التالية :

### أ - دعوة الشباب عن طريق القدوة والممارسة العملية

من أنجح الوسائل في الحفاظ على الشباب غرس معاني العقيدة الإسلامية الصحيحة في نفوسهم ، عبادة وسلوكاً ، واعتقاداً ، وعملاً فمتى ما أخذوا هذه الأمور من مصدرها الصحيح كان التوفيق - بإذن الله - حليفهم ، والهداية طريقهم ، والإسلام منهجهم وسلوكهم علموا ، وعلموا ، ولا أدل على ذلك من بعض الأمثلة التي سأذكرها إن شاء الله .

(١) - ينظر : " السيرة النبوية " لأبي محمد عبد الملك بن هشام (٤٢/٢ - ٤٥) تحقيق وتعليق ودراسة ، الشيخ عادل أحمد عبدالموجود ، الشيخ علي محمد معوض ، طبعة مكتبة العبيكان - الرياض ، ط/١ ، ١٤١٨هـ .

(٢) - ينظر : " الطبقات الكبرى " لابن سعد (١٨٩/٢ - ١٩١) دار صادر - بيروت . بدون تحديد الطبعة وتاريخها .

(٣) - المنهاج النبوي في دعوة الشباب " (ص/٤٦) ، مرجع سابق .

فعن مالك بن الحويرث (١) - رضي الله عنه - قال : أتينا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ونحن شببة (٢) متقاربون فأقمنا عنده عشرين يوماً وليلة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم رحيماً رقيقاً ، فلمّا ظنّ أنّنا قد اشتهدنا أهلنا - أو قد اشتقنا - سألنا عمّن تركنا بعدنا فأخبرناه ، قال : « ارجعوا إلى أهليكم ، فاقموا فيهم ، وعلموهم ، ومروهم » وذكر أشياء أحفظها أو لا أحفظها : « وصلّوا كما رأيتموني أصلي ، فإذا حضرت الصلاة فليؤدّن لكم أحدكم ، وليؤمّمكم أكبركم » (٣) .

وعن سهل بن سعد الساعدي - رضي الله عنه - قال : « ولقد رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم قام عليه - أي على المنبر - فكبر وكبر الناس وراءه ، وهو على المنبر . ثم رفع فنزل القهقري حتى سجد في أصل المنبر ، ثم عاد حتى فرغ من آخر صلاته ، ثم أقبل على الناس فقال : « يا أيها النّاس إني صنعت هذا لتأتّموا بي ، وتعلموا صلاتي » (٤) .

يقول الإمام النووي - رحمه الله - : « فبين صلى الله عليه وسلم أن صعود المنبر وصلاته عليه - إنّما كان للتعليم ليرى جميعهم أفعاله صلى الله عليه وسلم بخلاف ما إذا كان على الأرض فإنّه لا يراه إلا بعضهم من قرب منه » (٥) .

ويقول القاضي عياض - رحمه الله - : « وفي صلاته عليه الصلاة والسلام تمام تعليم بالفعل » (٦) .

فالأفعال أمور محسوسة مشاهدة ، محفوظة لمن رآها ، ولها من التأثير ما ليس لغيرها ، فلذلك كان الصحابة - رضي الله عنهم - يحرصون كل الحرص على ملازمة الرسول صلى الله عليه وسلم لمعرفة وتسجيل كلّ ما يصدر عنه من قول وفعل وتقرير ، كما أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم

(١) - هو : مالك بن الحويرث بن أشيم بن زياد بن خشيش بن عبد ياليل ، بن ناشب بن غيرة ، بن سعد بن ثابت اللثي ، وقيل فيه مالك بن الحويرثة ، نقله ابن حجر عن البغوي قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في شببة من قومه فعلمهم الصلاة وأمرهم بتعليم قومه إذا رجعوا إليهم ، سكن البصرة سنة ٧٤هـ ، ينظر : " الاستيعاب " (٣/٣٥٤ - ٣٥٥) ، " أسد الغابة " (٤/٢٧٧) ، " الإصابة " (٣/٣٢٢ - ٣٢٣) .

(٢) - " شببة " : جمع مفردا شاب . ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (٢/٤٣٨) مادة ( شيب ) .

(٣) - متفق عليه : أخرج الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الأذان ، باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة والإقامة (١/٢٠٣) ح (٦٣١) . واللفظ له ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب من أحق بالإقامة (١/٣٩٠) ح (٦٧٤) .

(٤) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " ، كتاب الصلاة ، باب الصلاة في السطوح والمنبر (١/١٤٠) ح (٣٧٧) ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب جواز الخطوة والخطوتين في الصلاة (١/٣٢٣) ح (٥٤٤) ، واللفظ له .

(٥) - " شرح النووي لصحيح مسلم " (٥/٣٧) .

(٦) - " إكمال المعلم بفوائد مسلم " (٢/٤٧٨) .

أرجأ إجابات لكثير من الصحابة إلى أن يبين لهم بالأفعال ، كالسائل مثلا عن وقت الصلاة (١) ، وكأمره ﷺ بأخذ المناسك عنه (٢) ، والدعوة إلى الله بالمنهج الحسي العملي من السمات البارزة في سيرة الرسول ﷺ ولنا فيه الأسوة الحسنة ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ﴾ (٣) .

فلتكن أفعالنا قبل أقوالنا ، وأخلاقنا عنوانا لبواطننا .

### ب - تنقيب الشباب في النكاح

الزواج سكن ، ورحمة ، واستقرار ، وعفة ، وهو المنفذ الوحيد في العصر الحاضر ، بعد أن ألغى الرق وأصبح شيئا من الماضي لإشباع الغرائز الجنسية التي وضعها الله تعالى في الرجال والنساء من أجل استمرار الحياة - إلى ما شاء الله - فكل أشكال الاتصال التي لا تكون عن طريق الزواج الشرعي جعل الإسلام فيها عقوبات تردع عنها ، ورغَّب في النكاح وأجاز التعدد كل ذلك حماية للأعراض والأخلاق وقد حثَّ ﷺ الشباب على الزواج .

فعن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : قال لنا النبي ﷺ : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة (٤) فليتزوج ، فإنه أخص للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء (٥) » (١) .

يقول الأبى (٦) - رحمه الله - : « خاطب الشباب بناءً على الغالب لقوة الداعي فيهم بخلاف الشيوخ ، والمعنى معتبر إذا وجد في الشيوخ » (٨) .

(١) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب أوقات الصلوات الخمس (٣٥٨/١) ح (٦١٣) .

(٢) - سبق تخريجه " (ص/١٩٨) .

(٣) - سورة الأحزاب ، جزء من الآية : (٢١) .

(٤) - " الباءة " فيها أربع لغات : المد مع التاء ، وبدون التاء ، والثالثة بلا مد ، والرابعة " الباهة " بغير مد ، الواو لا من المهموز الأصلي . ينظر : " مشارق الأنوار " (١٠١/١) مادة (بات) ، " صحيح مسلم بشرح النووي " (١٧٦/٩) .

(٥) - " وجاء " : الوجاء أن ترض أنثيا الفعل رضا شديدا يذهب شهوة الجماع ، أراد أن الصوم يقطع النكاح كما يقطعه الوجاء . ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (١٥٢/٥) مادة (وجأ) .

(٦) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب النكاح ، باب قوله ﷺ من استطاع منكم الباءة فليتزوج (١٦٣٢/٣) ح (٥٠٦٦) ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب النكاح ، باب استحباب النكاح لمن تآقت نفسه إليه ووجد مؤنة .. (٨٢٦/٢) ح (١٤٠٠) .

(٧) - نقلا عن تقي الدين .

(٨) - " إكمال المعلم بفوائد مسلم " (٦/٥) .

ويقول أيضا « .. أحال على الصَّوم لما فيه من كسر الشَّهوة ، فإنَّ شهوة النِّكاح تابعة لشهوة الأكل تقوى بقوته ، وتضعف بضعفه » (١) .

ويقول الإمام النووي - رحمه الله - : « والمراد هنا أنَّ الصَّوم يقطع الشَّهوة ويقطع شر المنى » (٢) .

ويقول الإمام العيني - رحمه الله - : « وذلك أنَّ الله تعالى أحلَّ النِّكاح ونَدب نبيه ﷺ إليه ليكونوا ( أي الشباب ) على كمال من دينهم ، وصيانة لأنفسهم من غضٍّ أبصارهم ، وحفظ فروجهم ... ثمَّ أعلم أنَّ النَّاسَ كلَّهم لا يجدون طولا إلى النَّساء ، وربما خافوا العنت بعقد النِّكاح ( فوجههم إلى ما يقطع ) شهواتهم وهو الصِّيَام ، فإنَّه وجاء وهو مَقْطَع للانتشار وحركة العروق التي تتحرك عند شهوة الجماع » (٣) .

#### ج - تعليم الصبيان آداب الطعام

لم يترك الرَّسول ﷺ أمرا من الأمور إلا وبينه لأُمَّته من بناء العقيدة الإسلامية الصَّحيحة إلى الآداب والأخلاق حتى الرِّفق بالحيوانات ، والمحافظة على البيئة وغير ذلك ، يقول الله تعالى : ﴿ لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيز عليه ما عتصم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾ (٤) .

ومن رحمته ﷺ بأُمَّته كبارا وصغارا توجيهاته الكريمة التي شملت جميع الميادين - كما أسلفت - ومنها تعليم آداب الطعام للشباب والصبيان مستخدما المنهج الحسي لتوجيههم إلى الآداب الفاضلة ، ومن ذلك :

مارواه عمر بن أبي سلمة (٥) - رضي الله عنه - قال : كنت غلاما في حجر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيش (٦) في الصحفة فقال لي رسول الله ﷺ : « يا غلام ! سَمِّ

(١) - المرجع السابق " (٧/٥) .

(٢) - شرح النووي لصحيح مسلم " (١٧٧/٩) .

(٣) - عمدة القارئ شرح صحيح البخاري " (٣١/٩) .

(٤) - سورة التوبة ، الآية : (١٢٨) .

(٥) - هو : عمر بن أبي سلمة بن عبد الأسد بن هلال المخزومي ، القرشي ، ربيب النبي ﷺ ، أمه أم سلمة أم المؤمنين ، ولد بالحبيشة في السنة الثانية ، وكان يوم الخندق هو وابن الزبير في الخندق ، روى عن النبي ﷺ روى عنه ابنه محمد وابن المسيب وعروة وغيرهم ، ولي البحرين في عهد علي بن أبي طالب ومات بالمدينة سنة ٨٣هـ . ينظر : " تهذيب الأسماء واللغات " (١٦/٢) دار الكتب العلمية - بيروت ، الإصابة " (٥١٩/٢) مطبعة السعادة - مصر ، ط : ١ ، سنة ١٣٢٨هـ .

(٦) - " تطيش " تتحرك وتمتد إلى نواحي الصحفة لا تستقر على موضع واحد . " فتح الباري " (٤٣٢/٩) .

الله وكل بيمينك وكل مما يليك » فما زالت تلك طعمتي (١) بعد (٢) .

في الحديث توجيه نبوي كريم مليء بالرفق واللين والرّحمة لصبي خالف أدب الطعام ، فأخذ يمدُّ يده إلى نواحي الصّحفة ، ويأكل من ناحية الآخرين كما هي عادة الصّبيان والأطفال ، ولكن رسول الله ﷺ لم يترك الحادثة تمرُّ بل إنَّه وجَّه الغلام والحاضرين إلى الآداب الشرعية الإسلامية في الأكل فقال مخاطباً الغلام : « يا غلام سمَّ الله وكل بيمينك ، وكل مما يليك ، فأثار الرّسول ﷺ بهذا التوجّيه ذهن المخاطب ليسترعي انتباهه إلى أمرين حسيين هما : قوله « كل بيمينك » « وكل مما يليك » ، فاليمين محسوسة ومشاهدة والمكان الذي أرشده ﷺ للأكل منه قريب ومُشاهد ، فكان الأمر بالنسبة للغلام في غاية الوضوح ، وفي غاية الرفق ، والعطف ، والحنان مما كان له الأثر الكبير في نفس المدعو ، حيث يقول عن نفسه ( ما زالت تلك طعمتي بعد ) ، فلم يحد عن هذا التوجيه النبوي الكريم ومن تأمّله يجد أنّ الرّسول ﷺ رتبّه حسب الأهمية ، البدء بالتسمية ، ثم الأكل باليمين ، ثم الأكل مما يليه .

ففي الأولى والثانية طردٌ للشيطان ، وفي الثالثة تأديب وتقويم واتزان لغلام حدّث لم يأخذ بعد من الأدب النبوي ما يقوم به سلوكه ويتعامل به مع الآخرين (٣) . وفي الحديث استحباب الأكل والشرب باليمين إلا لعذر ، واستحباب الأكل مما يليه ؛ لأنّ أكله من موضع يد صاحبه سوء عشرة وترك مروءة .

يقول القاضي عياض - رحمه الله - « وهي أيضاً سنة متفق عليها ( أي الأكل باليمين ) لأن كل أكل جاء مما يليه من الطعام ، فإدخال غيره يده عليه وتركه ما أمامه قبيح ، ومشاركته له فيما في حوزته بغير إذنه ، مع ما في ذلك من تقزّر النفوس بما خاضت فيه الأيدي ، واختلفت فيه أصابع الغير وليس كلّ أحد يستحسن ذلك منهم لا سيما في الطعام الرطب والأوراق وأشباههما ولما فيه من الجشع والحرص على الطعام ، وإيثار النفس على المؤاكل وكلّ هذا مذموم » (٤) .

(١) - " طعمتي " : أي حالتي في الأكل : " النّهاية في غريب الحديث " (١٢٦/٣) مادة : ( طعم ) .  
 (٢) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " ، كتاب الأطعمة ، باب التسمية على الطعام ، والأكل باليمين (١٧٣٢/٤) ح (٥٣٧٦) ، واللفظ له ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الأشربة ، باب الأمر بتغطية الإناء وإسكار وإغلاق الأبواب وذكر اسم الله عليها (١٢٧٣/٣) ح (٢٠٢٢) .  
 (٣) - " شرح النووي لصحيح مسلم " (١٩٣/١٣) .  
 (٤) - " إكمال المعلم بفوائد مسلم " (٤٨٩/٦) .

ويقول السنوسي - رحمه الله - : « فإن أخذ الأجود من بين يدي صاحبه فلا خفاء أن فيه جفاء وسوء معاشرة ، وقلة مودة ، وإخلال بالمروءة ، حيث أثر نفسه على غيره ، وانتقل إلى درجة البهائم في عدم مبالاتها عند الأكل والشهوة وغيرها بل كرم الطبيعة يقتضي ضدَّ هذا ، وهو نقله الأجود إن كان بين يديه إلى يد غيره ويؤثره على نفسه » (١) .

هكذا بيّن الرسول ﷺ بأسلوب فيه رحمة وعطف لغلام غير لم يعرف سمو مكارم الأخلاق وما يجب عليه أن يتأدّب به في حالة مؤاكلته لغيره ، وخاصة الكبار ووضع ﷺ ذلك بأمر محسوسة لتكون راسخة في ذهنه طوال حياته ، وكذا السامعين ، وهو توجيه مازال ماثلاً أمام كل مسلم وكأنّه توجيه صادر ليومه ، وأن كل مسلم معنيّ به ، وموجه إليه .

(١) - " شرح السنوسي على صحيح مسلم " المسمى : " مُكَمَّل إكمال الإكمال " (١٣٦/٧) ، ضبط وتصحيح محمد سالم هاشم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط : ١ ، ١٤١٥ هـ .

**المبحث الثاني : دعوة غير المسلمين بالمنهج الحسي  
في السنة النبوية.**

وفيه مطلبان :

- المطلب الأول : دعوة المشركين بالمنهج الحسي .**
- المطلب الثاني : دعوة أهل الكتاب بالمنهج الحسي .**

**المطلب الأول : دعوة المشركين بالمنهج الحسي .**

ويشتمل على تمهيد وثلاثة مسالك :

**المسلك الأول : إنذار المشركين وتخويفهم من عذاب الله .**

**المسلك الثاني : إظهار عجز آلهة المشركين .**

**المسلك الثالث : دعوة المشركين بالمعجزات وخوارق**

**العادات .**



## المطلب الأول

### دعوة المشركين بالمنهج الحسي

#### تمهيد

المشركون هم الذين اتخذوا من دون الله إلهاً آخر ، يُعظّمونه ويرجونه ويخافونه . وقد يكون الشيء المألوه عندهم صنماً أو إنساناً أو شيطاناً أو غير ذلك . قال تعالى : ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يُحِبُّونهم كحبِّ الله والذين آمنوا أشدَّ حُباً لله ﴾ (١) .

وقد انتشر الشُّرك في الجزيرة العربية قبل بعثة الرُّسول ﷺ ، انتشاراً عجيبيّاً وكان الناس يعبدون الأصنام حتى بلغ من أمرهم أنّ كان لكلِّ أسرة صنمها الخاص بها تُعظّمه وتقدّسه وتسأله قضاء الحاجات وتفريج الكُرُبات . وقد ابتدع هذه الأصنام وأدخلها الجزيرة العربية (٢) ودعا الناس إلى عبادتها عمرو بن لحي الخزاعي (٣) .

وقد بلغ من جهلهم أن نحتوا ألّهتهم بأيديهم ، وهي جماد . من حجر أو خشب أو حتى من تمر ، ومع ذلك كانوا يعتقدون فيها من النُّصرة والتوفيق والتسديد مالا يعتقدونه في الخالق الرازق - سبحانه وتعالى - .

وفي هذا الجوّ الوثنيّ وهذه البيئّة المليئة بما يُسخط الله من صرف العبادة لغيره وانتشار الرِّبَا ، والخمر والميسر ، والزَّنا ، والظُّلم ، والاستبداد والقهر ، وسيطرة القويّ على الضَّعيف ، في هذه البيئّة أرسل الله رسوله محمداً ﷺ هادياً إلى طريق الحق والسَّداد ، ولكن هذا النُّور الذي جاء به لم يقبله إلاّ من كتب الله له السَّعادة

(١) - سورة البقرة ، جزء من الآية : (١٦٥) .

(٢) - ينظر : " كتاب الأصنام " لأبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي (ص/٨) بتحقيق : الأستاذ : أحمد زكي باشا ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، ط : ٢ ، ١٣٤١ هـ ، " تلبيس إبليس " للإمام جمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي (ص/٦٤) دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط : ١ ، ١٤٠٣ هـ . ينظر : " إغاثة اللهفان من مصادب الشيطان " لابن قيم الجوزية (٢/٢١٠) .

(٣) - هو : عمرو بن لحي بن حارثة بن عمرو بن عامر الأزدي ، من قحطان ، أوّل من غير دين إسماعيل ، ودعا العرب إلى عبادة الأوثان ، وكان قوله وفعله عندهم كالشُّرع المُتَّبَع لمكانته فيهم ، وهو الذي قال فيه الرُّسول ﷺ : " رأيت عمرو بن عامر يجرُّ قصبه في النَّار . وكان أوّل من سيَّب السَّوانب " ينظر : " صحيح البخاري " ، كتاب المناقب ، باب قصّة خزاعة (٤/٥١٨) ح (٣٥٢٢) ، ينظر : " البداية والنهاية " (٢/١٨٧) ، " الأعلام " (٥/٨٤) .

في الدنيا والآخرة ، وقد ظلَّ على العداة له أكابر قريش ، فظلموا يقاومونه بكل وسائل المقاومة ، وأوذى ﷺ بشتى أنواع الإيذاء البدني والروحي والنفسي ، من اتهام بالسحر والكهانة ، والجنون والشعر ، وحُوصِر هو وأهله حصاراً لم يشهد له التآريخ مثيلاً ، حيث مُنِع البيع لهم أو الشراء منهم ، والسَّلام عليهم ومواساتهم وزيارتهم حتى من أقرب أقاربهم وجرى له كل ذلك على أيدي قومه من مشركي قريش ، وبني عُمومته ، وعشيرته وقد صبر على أذى الجميع ، وكانت الآيات القرآنية تنزل تثراً لتسليته وتُصَبِّرُه ، يقول تعالى : ﴿ فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرُّسل ولا تستعجل لهم ﴾ (١) ، ﴿ واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولاتك في ضيق مما يمكرون ﴾ (٢) .

وقد نال الأذى أصحابه وخاصَّة المُستضعفين منهم فنكَّل بهم المشركون أشدَّ التَّكْيَل ، وصبُّوا عليهم العذاب صبًّا ، حتى جعل الله لهم مخرجاً إمَّا بالشَّهادة في سبيله كما وقع لياسر (٣) ، وسمية (٤) ، أو بالهجرة إلى الحبشة أو المدينة ، وفيما يلي أعرض نماذج من دعوته ﷺ للمشركين بالمنهج الحسي في المسالك التالية .

(١) - سورة الأحقاف ، جزء من الآية : (٣٥) .

(٢) - سورة النحل ، الآية : (١٢٧) .

(٣) - هو : ياسر العنسي ، حليف آل مخزوم ، قدم من اليمن ، فحالف أبا حذيفة بن المغيرة ، فزوجه أمة له يُقال لها : سُمَيَّة ، فولدت له عمَّاراً ، فأعتقه أبو حذيفة ، ثم كان عمَّاراً وأبوه ممن سبق إلى الإسلام " الإصابة " (٥٠٠/٦) .

(٤) - هي : سُمَيَّة بنت خُباط ، مولاة أبي حذيفة بن المغيرة ابن عبدالله بن مخزوم ، والدة عمَّار بن ياسر ، كانت سابعة سبعة في الإسلام ، عذبا أبو جهل وطعنها في قلبها ، فكانت أول شهيدة في الإسلام . ينظر : " الإصابة " (١٨٩/٨ - ١٩٠) .

## المسلك الأول

### إنذار المشركين وتخويفهم من عذاب الله

لقد كان رسول الله ﷺ حريصاً على هداية قومه أشدَّ الحرص فقام بإنذارهم وتخويفهم استجابة لأمر الله له بذلك ، فعن عبدالله بن عباس - رضي الله عنه - قال : لما نزلت : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ <sup>(١)</sup> . سعد النبي ﷺ على الصفا فجعل يُنادي : (( يا بني فهر ، يا بني عدي )) لبطون قريش ، حتى اجتمعوا ، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو ، فجاء أبولهب وقريش ، فقال ﷺ : (( أرايتكم لو أخبرتكم أنّ خيلاً بالوادي تُريد أن تُغير عليكم أكنتم مصدقي )) قالوا : نعم ما جربنا عليك إلا صدقاً ، قال ﷺ : (( فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد )) ، فقال أبولهب <sup>(٢)</sup> : نَبَأَ لك سائر هذا اليوم ، ألهذا جمعنا ، فنزلت : ﴿ تَبَّتْ يدا أبي لهب وتب \* ما أغنى عنه ماله وما كسب ﴾ <sup>(٣)</sup> <sup>(٤)</sup> .

وعن قبيصة بن المخارق <sup>(٥)</sup> وزهير بن عمرو <sup>(٦)</sup> - رضي الله عنه - قال : لما نزلت ، وأنذر عشيرتك الأقربين ، قال : انطلق نبي الله ﷺ إلى رضة <sup>(٧)</sup> من جبل فعلا

(١) - سورة الشعراء ، الآية : (٢١٤) .

(٢) - هو : عبدالعزى بن عبدالمطلب بن هشام ، من قريش : عم رسول الله ﷺ وأحد الأشراف الشجعان في الجاهلية ، يُكنى أبا عتبة ، وكان من أشدَّ الناس عداوة للمسلمين في الإسلام . كان غنياً عتياً ، كبير عليه أن يتبع ديناً جاء به ابن أخيه ، فأذى أنصاره وحرص عليهم وقاتلهم ، كان أحمر الوجه ، مُشرقاً ، فلقب في الجاهلية بأبي لهب ، مات بعد وقعة بدر بأيام ، ولم يشهدا . ينظر : " نسب قريش " (ص/١٥٧ - ١٥٩) ، " المحبر " (ص/١٥٧) ، " الطبقات الكبرى " لابن سعد (١/٩٣) .

(٣) - سورة المسد ، الأيتان : (١ - ٢) .

(٤) - متفق عليه : أخرج الإمام البخاري في " صحيحه " ، كتاب التفسير ، باب : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين .. ﴾ (١٤٩٧/٣) ح (٤٧٧٠) واللفظ له ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الإيمان ، باب : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين .. ﴾ (١/١٦٤) ، ح (٢٠٨) (٣٤٨) .

(٥) - هو : قبيصة بن المخارق بن عبدالله بن شداد بن معاوية بن ربيعة الهلالي ، أبو بشر ، له صحبة ، روى عن النبي ﷺ ، وروى عنه ولده قطن ، وكثاة بن نعيم ، وأبو عثمان النهدي ، وغيرهم وقد سكن البصرة - رضي الله عنه - ، ينظر : أسد الغابة (٤/١٩٢) ، " تهذيب التهذيب " (٤/٥١٦) ، " الإصابة " (٥/٣١٢) .

(٦) - هو : زهير بن عمرو الهلالي من هلال بن عامر بن صعصعة ، وقيل : إنه باهلي ، ويقال : النصري من بني معاوية ، صحابي جليل ، سكن البصرة ، من تلاميذه أبو عثمان النهدي ، قال البيهقي : لا أعلم له إلا حديث الإنذار . ينظر : " أسد الغابة " (٢/٢١١) ، " الإصابة " (٢/٤٧٦ - ٤٧٧) ، " تهذيب التهذيب " (٢/٢٠٨ - ٢٠٩) .

(٧) - رضة : واحدة الرضم والرضمام ، وهي دون الهضاب . وقيل : صخور بعضها على بعض ، ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (٢/٢٣١) . مادة (رضم) .

أعلاها حجراً ، ثم نادى : (( يا بني عبد مناف إني نذير . إنمّا مثلي ومثلكم كمثّل رجل رأى العدو فاتطلق يرباً<sup>(١)</sup> أهله ، فخشى أن يسبقوه فجعل يهتف : يا صباحاه ))<sup>(٢)</sup> .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : لمّا أنزلت هذه الآية : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ دعا رسول الله ﷺ قُرَيْشاً ، فاجتمعوا فعمّ وخصّ ، فقال : (( يا بني كعب بن لؤي ! أنقذوا أنفسكم من النّار ! يا بني مرة بن كعب ! أنقذوا أنفسكم من النّار ! يا بني عبد شمس ! أنقذوا أنفسكم من النّار يا بني هاشم ! أنقذوا أنفسكم من النّار . يا بني عبدالمطلب ! أنقذوا أنفسكم من النّار . يا فاطمة ! أنقذي نفسك من النّار ! فإني لا أملك لكم من الله شيئاً ، غير أنّ لكم رحماً سابّأها ببلاؤها ))<sup>(٣)</sup> .

وعن عبدالله بن عباس - رضي الله عنه - قال : لمّا نزلت ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ ورهطك منهم المخلصين خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصّفا فهتف : (( يا صباحاه )) فقالوا من هذا ؟ فاجتمعوا إليه فقال : (( رأيتم إن أخبرتكم أنّ خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل أنتم مصدّقي ؟ )) قالوا : ما جرّبنا عليك كذبا . قال : (( فإني نذير لكم بين يدي عذابٍ شديد )) قال أبو لهب تبّاً لك ، ما جمعنا إلا لهذا ثمّ قام فنزلت : ﴿ تبّت يدا أبي لهب وتب ﴾<sup>(٤)</sup> ((<sup>(٥)</sup> .

هذه الروايات بمجموعها تشتمل على مشاهد حسّية في مجال دعوة المشركين إلى الله تعالى بالمنهج الحسي :

### المشهد الأول : صعود الرّسول ﷺ الجبل له دلالة واضحة على قصده ﷺ

في إثارة حاسّة الإبصار لدى المدعوين حيث وقف أمامهم فوق الجبل وهم يرونه

(١) - " يرباً " ربا / يرباً : أي يحفظهم من عدوهم ، ينظر : النهاية في غريب الحديث (١٧٩/٢) مادة (ربا) .

(٢) - أخرجه الإمام مسلم ، كتاب الإيمان ، باب : قوله تعالى : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ ، (١٦٤/١) ح (٢٠٧) .

(٣) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " ، كتاب التفسير ، باب : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ ، (١٤٩٧/٣) ، ح (٤٧٧١) ، والإمام مسلم في " صحيحه " ، كتاب الإيمان ، باب قوله تعالى : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ ، (١٦٣/١) ، ح (٢٠٤) ، واللفظ له .

(٤) - سورة المسد ، الآية : (١) .

(٥) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الإيمان ، باب : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ ، (١٦٤/١) ، ح (٢٠٨) .

بأعينهم ، وذلك لإشعارهم بأن ما سيقوله لهم أمرٌ خطيرٌ ، وهذه الطريقة معروفة لدى العرب في الجاهلية ، حيث إنَّ أحدهم كان إذا أراد أن يُشعر النَّاس بحادث هامٌ يفعل أموراً منها :

[١] - يصعد إلى مكان عالٍ ليراه النَّاس .

[٢] - يُناديهم بأعلى صوته فقال : (( واصباحاه )) ، أو نحو ذلك من ألفاظ النَّداء المُشعرة بالخطر .

[٣] - شق الثياب ليُشعرهم بخطر الأمر الذي يُناديهم من أجله .

فقد استفاد الرَّسول ﷺ من هذه الطريقة غير أنَّه لم يتعرَّ عن ثيابه لعدم شرعيته . بل قال عن نفسه : (( أنا النَّذِير العريان ))<sup>(١)</sup> ، مُعبِّراً عن خطورة الأمر الذي جاء به<sup>(٢)</sup> .

**المشهد الثاني :** قوله ﷺ : (( إنما مثلي ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فاتطلق

يربأ أهله ... )) .

هذا تشبيه تمثيلي رائع حيث شبَّه الرَّسول ﷺ نفسه برجل أراد أن ينقذ أهله من العدو الذي أوشك أن يُداهم منزلهم أو قريتهم ، والغرض من ذلك بيان شففته ﷺ على قومه وأنَّه يريد أن ينقذهم من عذاب الله عز وجل وخشي أن يأتيهم العذاب بغتة وهم لا يشعرون ، لذلك استعمل ﷺ الجملة المعروفة عندهم في الإشعار بأهمية الأمر فقال : (( واصباحاه )) . فهو تشبيه حالة بحالة وهيئة بهيئة معروفة في أذهانهم كما اختار ﷺ الألفاظ الموحية المعبِّرة عن البلاغة النبوية العالية . فقد اختار كلمة (( يربأ أهله )) التي تدلُّ على شدَّة الحرص والحفظ ، وحبِّ التَّضحية لهم ولسلامتهم من وقوع أمر عظيم<sup>(٣)</sup> .

**المشهد الثالث :** يُستفاد من قوله ﷺ لقومه ، وهم من عرفوه بالصدِّق والأمانة

والجدِّيَّة في القول والعمل ، والابتعاد عن اللُّهو والهزل (( أرايتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تُريد أن تُغير عليكم أكنتم مصدقي )) ، وقولهم (( ما جربنا عليك إلا صدقا )) . ففيه تذكير لهم بأمر يعلمونه بالضرورة ، وهو مُستقرٌّ في أذهانهم حتَّى

(١) - سبق تخريجه " في الفصل الثَّاني ( ص / ٢٥٧ - ٢٥٨ ) .

(٢) - ينظر : " المدخل إلى علم الدعوة " ( ص / ٢٩٤ - ٢٩٥ ) .

(٣) - ينظر : " أثر التشبيه في تصوير المعنى " ، مرجع سابق ، ( ص / ٦٧ - ٦٨ ) .

كانه محسوس لديهم عامة ، فمحمد ﷺ معروف عندهم بالصدق ، وقد اعترفوا له بذلك في مواقف عدة هذا واحد منها .

**المشهد الرابع :** قوله ﷺ : (( فإني لا أملك لكم من الله شيئاً غير أن لكم رحماً سأبئها ببلال لها )) . وهذا المشهد وإن كان يغلب عليه المنهج العاطفي ، فإنه أيضاً مشتمل على منهج حسي ، حيث عبّر رسول الله ﷺ عن صلته لقرابته ، وذوي رحمه ، بأنّها (( بلال )) .

قال القاضي عياض - رحمه الله - مُعلقاً على هذا اللفظ نقلاً عن الأصمعي (١) : (( أي وصلتها ونديتها بالصلة ، وإنما شُبِّهت قطيعة الرِّحم بالحرارة تطفأ بالبرد كما يقال : سقيته شربة بردُ بها عطشه )) (٢) .

وقال الدكتور الصَّبَّاح - حفظه الله - مشيراً إلى هذا المعنى : (( وقد بدا لي فهم للصورة على نحو آخر ، فذهبت إلى أن البلال إحياء لأن الأرض عندما تبتل تحيا ، وكذلك النَّبَات من مغروس ، وورد مقطوع ، فإنَّ بله بالماء إحياء له وإنعاش وليس الموضوع موضوع إطفاء فقوله : (( أبلها ببلالها )) يريد أحييها وأصلها ولا أميتها فأقطعها )) (٣) .

ومن وجهة نظري أنَّ الحديث قد يشمل المعنيين معاً ، ولا تناقض بينهما لأنَّ ما نقل القاضي عياض عن الأصمعي يدلُّ على أنَّ (( البلال )) لإطفاء حرارة القطيعة والذي فهمه الدكتور الصَّبَّاح من النَّص أنَّ (( البلال )) إحياء ، والإحياء والإطفاء كلاهما إنقاذ من مهلكة ، فالنَّبَات إذا احتاج إلى الماء وظهر فيه الذبول ؛ إنَّما تعود إليه الحياة بالماء ، وفي إطفاء المُشْتعل أيّاً كان إنقاذ له من المهلكة ، وهكذا جاء رسول الله ﷺ ليُخرج النَّاس من الظُّلُمَات إلى النُّور ، قال تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْتِ الْبُرُوقَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ (٤) .

وقال ﷺ : (( فإني نذيرٌ لكم بين يدي عذابٍ شديد )) (٥) .

(١) - هو : عبد الملك بن قريب بن عبد الملك ، الأصمعي البصري ، العلامة الحافظ اللُّغوي ، كان كثير التطواف في البلاد ، يقتبس علومها ويتلقى أخبارها ، ويُتخف بها الخلفاء . مولده في البصرة عام ١٢٢ هـ ، ومات فيها عام ٢١٦ هـ . ينظر : " سير أعلام النبلاء " (١٧٥/١٠) ، " الأعلام " (١٦٢/٤) .

(٢) - " إكمال المعلم بفوائد مسلم " (١/٥٩٢ - ٥٩٣) .

(٣) - " التَّصْوِيرُ الفَنِّي فِي الحَدِيثِ النَّبَوِيِّ " مرجع سابق ( ص / ٤٣٢ - ٤٣٣ ) .

(٤) - سور إبراهيم ، الآية : (١) .

(٥) - " سبق تخريجه " ، ( ص / ٣٩١ ) .

## المسلك الثاني

### إظهار عجز آلهة المشركين

سبقَت الإشارة إلى أنَّ العرب قبل البعثة ، كانوا يعبدون آلهة شتَّى ، وأصناماً كثيرة اتخذوها مع الله ، يتقربون إليها بأنواع القربات ، ويُسمونها بما شاءوا من التسميات ، وهذه الآلهة اتخذوها لأنفسهم من الجمادات من حجارة أو أخشاب ، أو طعام ، وهذه الأشياء كلها لا تُصلح لعبادة العقلاء ؛ لأنها لا تملك لأنفسها نفعاً ولا تدفع عنها ضرراً ، فكيف عابديها ، أو تسمع لهم دعاء ، قال الله تعالى : ﴿ إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ﴾ (١) ، ولما مكن الله لرسوله ﷺ عام الفتح ، أظهر للعرب عجز آلهتهم التي كانوا يعبدونها ، لأنها تساقطت وتهاوت أمام الحق ولم تُدافع عن نفسها حينما طعنها النبي ﷺ بالعود . فكان كلما ضرب الواحد منها على وجهه سقط لققاه ، أو من قفاه سقط لوجهه (٢) .

فمن عبدالله - ﷺ - قال : دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب (٣) فجعل يطعنها بعود في يده ، ويقول : ﴿ جاء الحق وزهق الباطل ﴾ (٤) ، ﴿ جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد ﴾ (٥) ، (١) .

وعن أبي هريرة - ﷺ - في حديث طويل (( ... وأقبل رسول الله ﷺ حتى أقبل إلى الحجر فاستلمه ، ثم طاف بالبيت ، قال : فأتى على صنم إلى جنب البيت كانوا يعبدونه ، قال : وفي يد رسول الله ﷺ قوس وهو أخذ بسية (٦) القوس ، فلما أتى على الصنم جعل يطعنه في عينه ، ويقول : ﴿ جاء الحق وزهق الباطل ﴾

- (١) - سورة فاطر ، جزء من الآية : (١٤) .
- (٢) - ينظر : " إكمال الإكمال " للأبي (٤١٣/٦) .
- (٣) - التَّصْنِبُ : بضم الصاد وسكونها ، حجر كانوا ينصبونه في الجاهلية ، ويتخذونه صنماً فيعبدونه ، والجمع : أنصاب . ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (٦٠/٥) ، مادة ( نصب ) .
- (٤) - سورة الإسراء ، جزء من الآية : (٨١) .
- (٥) - سورة سبأ ، جزء من الآية : (٤٩) .
- (٦) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي ، باب : أين ركز النبي ﷺ الرأية يوم الفتح ، (١٢٩٦/٣) ح (٤٢٨٧) ، وكتاب المظالم ، باب هل تكسر الدنان التي فيها الخمر (٧٤٤/٢) ح (٢٤٧٨) ، والإمام مسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير ، باب إزالة الأصنام من حول الكعبة (١١٢٥/٣) ح (١٧٨١) .
- (٧) - " سية القوس " : ما عطف من طرفيها ، فهما سبتان ، والجمع سيات " النهاية في غريب الحديث " (٤٣٥/٢) مادة ( سية ) .

فلما فرغ من طوافه أتى الصفا فعلا عليه حتى نظر إلى البيت فجعل يحمده الله ويدعو بما شاء أن يدعو (١) .

وهذا الحديث برواياته يُمثّل مشهداً حسياً واقعياً ، يدلُّ دلالة واضحة على بطلان ما هم عليه لأنَّ هذه الأصنام التي اتخذوها آلهة ، يطلبون منها الحاجات ، ويتقربون لها بالقربيات ، وهي عاجزة ذليلة لا حراك لها ، ولا نُطق لها ، فكيف تجبر عائداً بها ، أو تجيب داعياً إذا دعاها ، وفي هذا الموقف كبير شبهة بما فعله الخليل - عليه الصلّاة والسّلام - بأصنام قومه ، وقصّه علينا المولى سبحانه في كتابه ، قال تعالى حكاية عنه : ﴿ وتا الله لأكيذن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين \* فجعلهم جذاذاً إلاّ كبيراً لهم لعلمهم إليه يرجعون ﴾ (٢) .

يقول الأستاذ سيد قطب - رحمه الله - : (( وتحوّلت الآلهة المعبودة إلى قطع صغيرة من الحجارة والأخشاب المهشّمة .. إلاّ كبير الأصنام فقد تركه إبراهيم ﴿ لعلمهم إليه يرجعون ﴾ ويسألونه كيف وقعت الواقعة وهو حاضر فلم يدفع عن صغار الآلهة ، ولعلمهم حينئذٍ يُراجعون القضية كلّها فيرجعون إلى صوابهم ، ويُذركون ما في عبادة هذه الأصنام من سخف وتهافت )) (٣) .

يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : (( فعل النبي ﷺ ذلك لإذلال الأصنام وعابديها ، وإظهار أنّها لا تتفع ولا تضر ولا تدفع عن نفسها شيئاً )) (٤) .  
وقد تلا الرسول ﷺ قول الله تعالى : ﴿ جاء الحق وزهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقاً ﴾ مع طعنه لأصنامهم .

يقول الإمام ابن كثير - رحمه الله - : (( الآية تهديد ووعد لكفار قريش ، فإنّه قد جاءهم من الله الحق الذي لا مزية فيه ، ولا قبل لهم به ، وهو ما بعثه الله به من القرآن والإيمان ، والعلم النافع وزهق باطلهم )) (٥) .  
والحق هو توحيد الله والإيمان به ، كما أنّ الباطل عبادة الأصنام ، والتّوجه لها بالقربيات .

(١) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " ، كتاب الجهاد والسير ، باب فتح مكة (١١٢٣/٣ - ١١٢٤) ، ح (١٧٨٠) .

(٢) - سورة الأنبياء ، الآيتان : (٥٧ - ٥٨) .

(٣) - " في ظلال القرآن " (٢٣٨٦/٤) .

(٤) - " فتح الباري " (٦١٠/٧) .

(٥) - " تفسير القرآن العظيم " (٨٣/٣) .



وكما سبقت الإشارة إليه كانت هذه هي الضربة القاضية بالبيان العملي والقولي على معبودات أهل مكة وغيرهم من العرب ، وهكذا أوضح الرسول ﷺ لأهل مكة عجز أصنامهم ، ومن ثمَّ عدم استحقاقها للعبادة ، ولم يترك الرسول ﷺ منها كبيراً ولا صغيراً ؛ لأنَّه حطَّمها تحطيماً نهائياً إلى الأبد ، واختلف موقفه ﷺ منها عن موقف الخليل ﷺ من قومه في كون الرسول ﷺ كان تغييره قسرياً وبمشهدٍ من عبَّادها ، وإبراهيم ﷺ كاد قومه في حال غيبتهم ولكنَّه صارحهم لمَّا عادوا وأبان لهم سخفهم وسخف معبوداتهم : ﴿ أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون ﴾ (١) .

وقد اكتفى الرسول ﷺ بهذا الفعل المحسوس عن محاوره قومه في شأن أصنامهم ؛ لأنَّهم شاهدوها وهي تُطعن بالعود فتتساقط ، فظهر لهم هوانها وضعفها حيث لم تستطع أن تدفع عن نفسها الضرَّ .

## المسلك الثالث

### دعوة المشركين بالمعجزات والخوارق

وقبل الدخول في هذا الموضوع ، أودُّ أن أشير إلى تعريف العلماء للمعجزة ؛ حيث عرفوها بأنّها : الأمر الخارق للعادة المقرون بالتحديّ ، الدالّ على صدق الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - الواقع على وفق دعوى المتحدّي به مع أمن المعارضة .

وسُمّيت معجزة لعجز البشر عن الإتيان بمثّلها (١) . ولم يعط نبي من الأنبياء - عليهم الصلّاة والسّلام - معجزة أو كرامة إلا أعطى نبينا محمداً ﷺ مثّلها أو أعظم منها . وتنقسم المعجزة إلى محسوسة ومعنوية ، فمن المعجزات المعنوية القرآن الكريم ، والمعجزات الحسية كثيرة ، وسأذكر أمثلة منها فيما يلي :

#### أ - معجزة انشقاق القمر

سبق الحديث عن هذه المعجزة (٢) ، بصفتها وسيلة حسية أيّد الله تعالى بها رسوله محمداً ﷺ في دعوته للناس عامّة في إثبات العقيدة ، وهنا سيكون الحديث عنها كوسيلة حسية لدعوة المشركين .

فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أنّه حدّثهم : أنّ أهل مكّة سألوا رسول الله ﷺ أن يُريهم آية ، فأراهم انشقاق القمر (٣) .

وعن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فلقنتين فستر الجبل فلقة . وكانت فلقة فوق الجبل فقال رسول الله ﷺ : (( اللهم اشهد )) (٤) .

(١) - ينظر : " سبل الهدى والرّشاد في سيرة خير العباد " للإمام محمد بن يوسف الصالحى الشامي ، تحقيق : الشيخ عادل عبدالوجود ، الشيخ علي محمد معوض (٩/٤٠٥ - ٤٠٦) ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط : ١ ، ١٤١٤هـ ، وينظر أيضاً : " المواهب اللدنيّة بالمنح المحمدية " لأحمد بن محمد بن أبي بكر الخطيب القسطلاني (١/٣٤٦) ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها .

(٢) - سبق تخريجه " في الفصل الأول ، ( ص / ٧١ ) وما بعدها .

(٣) - سبق تخريجه " في الفصل الأول ( ص / ٧٢ ) .

(٤) - سبق تخريجه " في الفصل الأول ( ص / ٧٢ ) .

لقد كان الرسول ﷺ حريصاً أشدَّ الحرص على هداية قومه ، وكان دائم الدعوة لهم ، وقد عارضه المشركون معارضة قوية ، مُعلنين التحدي لدعوته ، وكان مما تحدّوه به ، سؤالهم وطلبهم من الرسول ﷺ أن يُريهم آية حسية دالة على صدقه ، تمثل مشهداً حسياً يروونه بأعينهم ، ويؤمنون أنهم لا طاقة لهم بإحداث مثله ، ولا للبشر جميعاً ، ولذا لما رأوها قالوا : (( سحرنا محمد )) (١) .

وقال الله تعالى : ﴿ وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ﴾ (٢) .

ومعجزة إنشقاق القمر ثابتة لا شك فيها ، وهي أيضاً من أعظم المعجزات الحسية التي أيدَّ الله تعالى بها رسوله ﷺ ، يقول القاضي عياض - رحمه الله - : (( آية انشقاق القمر من أمهات آيات نبينا ﷺ ، ومعجزاته وقد رواها عدّة من الصحابة ، وظاهر الآية أيضاً ، وقياسها وما بعدها من تمادي قريش في التكذيب يشهد لقوله تعالى : ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾\* وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ﴾ (٣) )) (٤) .

ويقول الإمام القرطبي - رحمه الله - : (( انشق القمر نصفين ؛ أي وقع ذلك الانشقاق على حقيقته ، ووجد ذلك بمكة بمنى ، بعد أن سألت قريش رسول الله ﷺ آية ، فأراهم انشقاظه على نحو ما ذكر ، ثم إنَّ عبدالله بن مسعود أوضح كيفية هذا الانشقاق ، حتى لم يترك لقائل مقالاً ، فقال : وكانت فلقة وراء الجبل وفلقة دونه )) (٥) .

وانشقاق القمر معجزة عظيمة محسوسة خارجة عن عادة المعجزات (٦) ، وكان الأولى بزعماء قريش الذين سألوا الرسول ﷺ ، تلك المعجزة الحسية التي لاتدع حجة لمعانده بعد مشاهدتها ، وخاصة إذا كانت تلبية لطلبه ، وإقامة للحجة عليه ، كان الأولى بهم الإيمان والتسليم والتصديق ، ولكنهم كما قال الله تعالى : ﴿ فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور ﴾ (٧) .

(١) - أخرجه الإمام الترمذي في " سننه " كتاب التفسير ، سورة القمر ، (٣٩٨/٥) ح (٣٢٨٩) ، وصحح إسناده الشيخ الألباني في " صحيح سنن الترمذي " (١١٢/٣) ح (٢٦٢٢) .

(٢) - سورة القمر ، الآية : (٢) .

(٣) - " السورة السابقة " الآيتان : (١ ، ٢) .

(٤) - " إكمال المعلم بفوائد مسلم " (٨ / ) .

(٥) - " المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم " (٤٠٣/٧) .

(٦) - ينظر : " عمدة القارئ " للعيني (٢٢٨/١٣) .

(٧) - سورة الحج ، جزء من الآية : (٤٦) .

ويقول الحافظ ابن حجر ، نقلاً عن الخطابي : (( انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعدلها شيء من آيات الأنبياء ، وذلك أنه ظهر في ملكوت السماء خارجاً عن جملة طباع ما في هذا العالم من الطبائع ، فليس مما يطمع في الوصول إليه بحيلة ، فلذلك صار البرهان به أظهر )) (١) .

وقد أنكر الفلاسفة انشقاق القمر متمسكين بأن الآيات العلوية لا يتهدأ فيها الانحراف والالتئام ، وقد فند الحافظ ابن حجر - رحمه الله - هذه الشبهة ، ورد عليهم رداً وافياً ، أثبت فيه الحق (٢) ، وأن القول بخلاف ما هو ثابت شرعاً مردود على قائله مهما كان ذلك القائل ، ولا عبرة بالشبهة العقلية إذا عارضت ما هو ثابت في الوحي .

ومما تتميز به هذه المعجزة التي أظهرها الله تعالى تصديقاً لنبوة نبينا ﷺ ، شمولها للمطالبين بها وغيرهم ، وشدة وضوحها وجلالتها للناظرين ، وكونها ظهرت لأهل الأرض ، وهي واقعة في السماء ، فلو كانت البراهين والحجج الساطعة تكفي للهداية ، لاهتدى هؤلاء عند رؤيتهم لها ، ﴿ ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين ﴾ (٣) .

(١) - " فتح الباري " (٢٢٤/٧) .

(٢) - ينظر : " المرجع السابق " (٢٢٤/٧) .

(٣) - سورة القصص ، جزء من الآية : (٥٦) .

### ب - معجزة نزول العِذْق من النَّخْلَة ورجوعه إلى مكانه

تعدُّ هذه المعجزة الخارقة للعادة والمألوف ، من معجزاته الكثيرة ﷺ ، وقد تقدم الحديث عنها في الفصل الأول كحادثة حسية تدل على نبوة نبينا محمد ﷺ (١) ، وهنا يُستدل بها على دعوة الرُّسول ﷺ للمشركين بالمعجزات الحسية ، لترغيبهم بالدُّخول في دين الله تعالى ، فعن عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - قال : جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ ، قال : بم أعرف أنك نبي ؟! قال : (( إن دعوت الله هذا العِذْق من هذه النَّخْلَة تشهد أنني رسول الله )) فجعل ينزل من النَّخْلَة حتى سقط إلى النبي ﷺ ثم قال : (( ارجع )) فعاد ، فأسلم الأعرابي (٢) .

وفي رواية : (( قال جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ قال : بما أعرف أنك رسول الله ؟ قال : (( أرأيت إن دعوت الله هذا العِذْق من هذه النَّخْلَة أتشهد أنني رسول الله ؟ )) قال : نعم ، قال : فدعا العِذْق فجعل ينزل من النَّخْلَة حتى سقط في الأرض فجعل ينفذ حتى أتى رسول الله ، ثم قال له : (( ارجع )) ، فرجع حتى عاد إلى مكانه ، فقال : أشهد أنك رسول الله وأمن (٣) .

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال كُنَّا مع رسول الله ﷺ في سفر ، فأقبل أعرابي ، فلمَّا دنا منه قال له رسول الله ﷺ : (( أين تريد )) . قال . إلى أهلي ، قال : (( هل لك في خير )) قال : وما هو ؟ قال : (( تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأنَّ محمداً عبده ورسوله )) . قال : ومن يشهد على ما تقول ؟ قال : (( هذه السَّلْمَة )) (٤) . فدعاها رسول الله ﷺ وهي بشاطئ الوادي ، فأقبلت تخذُ (٥) الأرض خذًا حتى قامت بين يديه ، فاستشهدها ثلاثًا ، فشهدت ثلاثًا أنَّه كما قال ، ثمَّ

(١) - (ص ٧٥ - ٧٧) .

(٢) - " سبق تخريجه " في الفصل الأول (ص ٧٦) .

(٣) - أخرجه الإمام الحاكم في " المستدرک " كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين ، (٦٧٦/٢) ح (٤٢٣٧) وقال : " هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه " ، ووافقته الذهبي ، والإمام

أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي في " دلائل النبوة " ، باب : مشي العِذْق الذي دعاه محمد ﷺ إليه حتى وقف بين يديه ثم رجوعه إلى مكانه بإذنه وما في ذلك من دلائل النبوة (١٥/٦) توثيق وتخريج : الدكتور عبدالمعطي قلعجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط : ١ ، ١٤٠٥ هـ .

(٤) - " السَّلْمَة " واحدة السَّلْم ، وهو نوع من شجرة البادية ، وورقها القرص الذي يدبغ به . ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (٣٩٥/٢) مادة ( سلم ) .

(٥) - " تخذُ " الخذُ : الشَّقُّ في الأرض . ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (١٣/٢) مادة ( خدد ) .

رجعت إلى منبتها ، ورجع الأعرابي إلى قومه وقال : إن اتبعوني أتيتك بهم ، وإلا رجعت مكثت معك (١) .

مما هو معلوم من سيرته ﷺ في الدعوة إلى الله ، حرصه الشديد على هداية الناس ودخولهم في دين الله تعالى ، فكان لا يترك وسيلة حسية تُعين على ذلك إلا استفاد منها في جذب الناس إلى الإسلام ، وكان بعض المشركين أصحاب عناد للدعوة وتحذُّ ظاهر ، فأمدَّ الله تعالى نبيه بالمعجزات الحسية ، ليجيب عن أسئلتهم التي لم يقصدوا من ورائها العلم ، بل كان هدفهم التَّحذِّي ، لكن إذا أراد الله هداية أحد من عباده فلا مردَّ له ﴿ والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ (٢) .

يتضح هذا في سؤال الأعرابي للرسول ﷺ ، بقوله : ( بم أعرف أنك نبي ؟! ) أي أنه يريد من الرسول ﷺ أن يثبت له بالدليل الحسي الذي يراه بعينه أنه نبي ، فدعا رسول الله ﷺ عنق النخلة ، فأخذ ينزل منها حتى استقر عند النبي ﷺ ، ثم قال له : (( ارجع )) فعاد إلى مكانه ، قال الراوي : فأسلم الأعرابي ، وفي رواية للحديث أنه قال : أشهد أنك رسول الله (٣) ؛ لأنه رأى أمراً معجزاً لا قبل للبشر به وأنه لا يمكن أن يقع ذلك إلا من نبي مؤيد من عند الله .

وفي الحديث الثاني : يخبر عبدالله بن عمر - رضي الله عنه - أنه كان في سفر مع رسول الله ﷺ ، وأنه دنا منهم أعرابي مشرك فدعاه الرسول ﷺ إلى الإسلام ، بقوله : (( هل لك في خير )) قال : وما هو ؟ قال : (( تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله )) .

فطلب الأعرابي من الرسول ﷺ دليلاً حسياً يشهد لقوله ، بقوله : ( ومن يشهد على ما تقول ) قال ﷺ : (( هذه السلمة )) فنظر إليها الأعرابي ، ودعا الرسول ﷺ الشجرة ، وهي بناحية الوادي ، فجاءت تشق الأرض شقاً حتى انقبضت بين يدي رسول الله ﷺ (( فاستشهدها ثلاثاً ، فشهدت ثلاثاً أنه كما قال ، ثم رجعت إلى منبتها ، ورجع الأعرابي إلى قومه وقال : إن اتبعوني أتيتك بهم ، وإلا رجعت مكثت معك )) وهذا مما يدل على إسلامه وإيمانه بنبوة نبينا محمد ﷺ .

(١) - أخرجه الإمام الذارمي في "سننه" باب : ما أكرم الله به نبيه من إيمان الشجر به والبهايم والجن (١٤/١) ح (١٦) ، تحقيق د . مصطفى ديب البغا ، طبعة دار القلم - دمشق ، ط/١ ، ١٤١٢هـ ،

والإمام البيهقي في "دلائل النبوة" (١٤/٦ - ١٥) .

(٢) - سورة النور ، جزء من الآية : (٤٦) .

(٣) - "سبق تخريجه" قريباً (ص/٤٠٤) .

(( وإذا كان النَّبَات قد أطاع الرسول ﷺ في دعوته له ، وهو غير عاقل ، فإنَّ الأولى بكل عاقل أن يطيعه ، ويستجيب لأمره ، ويعمل بشريعته ... ولا شك أن دعوة شجرة ، وإجابتها لتلك الدعوة ، وسعيها حتى تقف بين يدي الرسول ﷺ ، وتكلمها ونطقها بالشهادتين حدث عظيم ، وأمر خارق للعادة )) (١) .

ولكن ما العجيب في ذلك وجميع ما في الكون مؤمن بالله ويسبح بحمده فطرةً ، تسبيحاً لا يعلمه ولا يسمعه إلا هو سبحانه ، ولا نفقهه نحن ، قال تعالى ﴿ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ (٢) ، والسَّمَاء والأرض أتتا الله طائعتين ، قال تعالى : ﴿ ثم استوى إلى السَّماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين ﴾ (٣) ، فيجب ألا يستنكر ذلك الكافر ، ولا يستعظمه فالله قادر على كل شيء ولا يعجزه شيء ، وهذه مخلوقاته يقول لها كن فتكون . وهكذا يتضح لنا حرص الرسول ﷺ على دعوة المشركين باستعماله جميع الأساليب والوسائل التي تؤدي إلى إقناعهم ، وترغيبهم في الدخول في دين الله تعالى . وهذه المعجزة تضاف إلى معجزاته ﷺ الكثيرة ، وهي كفيلاً بإقناع المدعوين ، لمشاهدتهم لذلك الحدث العظيم الذي لا يقدر عليه إلا الله ، ولا يكون إلا على يد من أراد الله إعزازه ، وإظهار دينه على الدين كله ولو كره المشركون .

(١) - " معجزات النبي المختار من صحيح الأخبار " مرجع سابق (ص / ٧٠ - ٧٢) بتصريف يسير .

(٢) - سورة الإسراء ، جزء من الآية : (٤٤) .

(٣) - سورة فصلت ، الآية : (١١) .

## المطلب الثاني : دعوة أهل الكتاب بالمنهج

الحسي .

وفيه تمهيد ومسلكان :

**تمهيد : تعريف أهل الكتاب .**

**المسلك الأول : ترغيب أهل الكتاب في دخول الإسلام**

**ببيان عظيم أجرهم في ذلك .**

**المسلك الثاني : ترهيب أهل الكتاب من رفض الإسلام**

**والتمادي على الكفر .**



## المطلب الأول

### دعوة أهل الكتاب بالمنهج الحسي

#### تمهيد

أهل الكتاب هم اليهود الذين آمنوا بموسى عليه السلام وبكتابه الذي أنزل عليه وهو التوراة .

والنصارى وهم الذين آمنوا برسالة عيسى عليه السلام وبكتابه الذي أنزل عليه وهو الإنجيل <sup>(١)</sup> ، وكانوا أولى الناس بالاستجابة لدعوة محمد ﷺ ، لأنهم أهل علم يعرفون صفة رسول الله ﷺ ، ونعته في كتبهم وقد بشرهم به أنبياءهم ، بل وأخذوا عليهم الميثاق ليؤمننَّ به إن أدركوا بعثته ، يدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، وأخبر الله عن اليهود أنهم كانوا يستفتحون به ﷺ على الكفار ، قال الله عنهم : ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ <sup>(٣)</sup> .

وأخبر الله في كتابه أن عيسى عليه السلام بشر برسالة محمد ﷺ ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ <sup>(٤)</sup> .

وقد تصدَّى اليهود لهذه الرسالة التي يعلمون صدقها بالعداء والغدر والخيانة ، واجتهدوا في إطفاء نورها ، وبرزت منهم خيانات كانت تستهدف قتل رسول الله ﷺ

(١) - ينظر : " أصناف المدعويين وكيفية دعوتهم " د . حمود بن أحمد الرحيلي (ص/٢٩ - ٣٣) دار العاصمة

الرياض - السعودية ، ط : ١ ، ١٤١٤ هـ ، " منهج الرسول ﷺ في دعوة أهل الكتاب " للدكتور / محمد بن سيدي بن الحبيب الشنقيطي (٢٢/١) مكتبة أمين محمد أحمد سالم ، المدينة المنورة ، ط : ١ ، ١٤١٣ هـ .

(٢) - سورة آل عمران ، جزء من الآية : (٨١) .

(٣) - سورة البقرة ، الآية : (٨٩) .

(٤) - سورة الصف ، جزء من الآية : (٦) .

فعصمه الله من كيدهم ، وحماه من غدرهم فقد قاموا بمحاولة قتله ﷺ في خيبر بجعلهم السمَّ في الشاة المصلية (١) ، وسحره (٢) لبديد بن الأعصم (٣) ، وورد أنَّهم أرادوا قتله أيضاً بإلقاء حجر على رأسه (٤) ، فكشف الله سريرتهم بالوحي ، ونجَّى حبيبه ﷺ من مكرهم وغدرهم ، وكان يعاملهم بالرفق ، ويحرص على دخولهم الإسلام ، ويقوم عليهم الحجَّة بما يعرفونه من صفاته ويخبرهم عن الأمور التي يسألونها عنها ويعلمون أنَّ العلم بها قاصر على الأنبياء وكان يُرغبهم في الدُّخول في دين الله ، والاستجابة لأمره ، ويُرهبهم ويحذرهم من الامتناع عن الدُّخول فيه ، وفي المسلكين التَّالين أعرض لدعوته ﷺ لأهل الكتاب بأسلوب الترهيب والترغيب .

- (١) - وهذا ثابت في السُّنة النبوية ، أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الطب ، باب : ما يذكر في سمِّ النبي ﷺ ، (١٨٤٣/٤) ح (٥٧٧٧) .
- (٢) - وذلك ثابت أيضاً . فقد أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الطب ، باب : هل يستخرج السُّحر؟ (١٨٤٠/٤) ح (٥٧٦٥) .
- (٣) - هو : لبديد بن الأعصم اليهودي ، من يهود بني زُرَيْق ، وقيل : بأنه رجل من بن زريق حليف اليهود ، وكان منافقاً ، وقيل إنَّه أسلم نفاقاً . ينظر " سبل الهدى والرشاد " (٤١٣/٣) .
- (٤) - ينظر : " السيرة النبوية الصحيحة " أكرم ضياء العمري ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، السعودية ، ط : ٦ ، ١٤١٥هـ ، (٣٠٦/١ - ٣٠٧) ، " زاد المعاد " (١٢٧/٣ - ١٢٨) .

## المسلك الأول

### ترغيب أهل الكتاب في دخول الإسلام

#### بيان عظيم أجرهم في ذلك .

كان الرسول ﷺ يعامل أهل الكتاب بالرِّفق ويعترف بمكانتهم العلمية يدلُّ على ذلك أنَّه لما أرسل معاذاً - ﷺ - على اليمن قال له : (( إنَّكَ تَقْدَمُ على قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم عبادة الله ... )) (١) .

وكان يرغبهم بمضاعفة أجرهم إن آمنوا بالله وصدَّقوا محمداً ﷺ في دعوته يدلُّ على ذلك قوله ﷺ : (( ثلاثة يُؤتون أجرهم مرتين : رجلٌ من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النَّبِيَّ ﷺ فأمن به واتَّبعه وصدَّقه فله أجران ... )) (٢) .

وقد استخدم الرسول ﷺ المنهج الحسي في دعوتهم إلى الدُّخول في دين الله ، وبين لهم أنَّهم ينالون أجرهم كاملاً موفوراً لا نقص فيه ، فعن ابن عمر - ﷺ - عن النبي ﷺ قال : (( مثلُكم ومثلُ أهل الكتابين ، كمثُل رجلٍ استاجر أجراً ، فقال : من يعمل لي من غُدوةٍ إلى نصف النَّهار على قيراطٍ (٣) ؟ فعملت اليهودُ ، ثمَّ قال : من يعمل لي من نصف النَّهار إلى صلاة العصر على قيراطٍ ؟ فعملت النَّصارى ، ثمَّ قال : من يعمل لي من العصر إلى أن تغيب الشمس على قيراطين ؟ فأنتم هم ، فغضبت اليهود والنَّصارى ، فقالوا : مالنا ، أكثر عملاً وأقل

(١) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الزكاة ، باب : لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة (٤٣٤/١) ح (١٤٥٨) واللفظ له ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الإيمان ، باب : الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (٥٥/١ - ٥٦) ح (١٩) .

(٢) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب العلم ، باب : تعليم الرجل أمته وأهله (٥٨/١) ح (٩٧) ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الإيمان ، باب : وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس .. (١٢٢/١) ح (١٥٤) واللفظ له .

(٣) - " قيراط " القيراط جزء من أجزاء الدينار ، وهو عُشره في أكثر البلاد ، وأهل الشام يجعلونه جزءاً من أربعة وعشرين : " النهاية في غريب الحديث " (٤٢/٤) مادة : (قرط) .

ويقول القاضي عياض : " والقيراط جزء من الوزن وهو عند أهل الحساب وسائر الفقهاء والموثوقين ، وعند أهل الفرائض في عرفهم جزء من أربعة وعشرين جزءاً ، وصفوه لتقريب القسمة .. والقيراط نصف الدرهم على صرف الديات وغيره فيأتي في الدينار أربعة وعشرين قيراطاً ، فوضعوها للتقريب لمن لم يحسن عمل الفرائض على وجهها ، والقسمة على أصلها " ، " مشارق الأنوار " ، (٢٢٠/٢) ، مادة : (قرط) .

عطاءً؟ قال : هل نقصتكم من حقكم؟ قالوا : لا ، قال : فذلك فضلي أوتيه من أشاء)) (١) .

وعن أبي موسى - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : (( مثل المسلمين واليهود والنصارى ، كمثل رجل استأجر قوماً ، يعملون له عملاً يوماً إلى الليل ، على أجر معلوم ، فعملوا له إلى نصف النهار فقالوا : لا حاجة لنا إلى أجرك الذي شرطت لنا ، وما عملنا باطل ، فقال لهم لا تفعلوا ، أكملوا بقية عملكم ، وخذوا أجركم كاملاً ، فأبوا وتركوا ، واستأجر أجيرين بعدهم ، فقال لهما : أكملوا بقية يومكما هذا ، ولكما الذي شرطت لهما من الأجر ، فعملوا حتى إذا كان حين صلاة العصر قالوا : لك ما عملنا باطلاً ، ولك الأجر الذي جعلت لنا فيه . فقال لهما : أكملوا بقية عملكما ، ما بقي من النهار شيء يسير فأبيا ، واستأجر قوماً أن يعملوا له بقية يومهم فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس واستكملوا أجر الفريقين كليهما ، فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور )) (٢) .

والرسول ﷺ في هذا الحديث يخاطب المؤمنين في هذه الأمة ويخبرهم عن عظيم أجرهم بالنسبة لغيرهم ممن سبقوهم من أهل الكتابين اليهود والنصارى ، وفي هذا دعوة لأهل الكتاب الذين عاصروا محمداً ﷺ للإيمان به لأنهم بتصديقهم برسالته يكونون من أمته ويحصل لهم من الأجر ما حصل لغيرهم من المسلمين ، بل سيكون لهم أجرهم مرتين كما سبقت الإشارة إليه قريباً في الحديث المتفق عليه . وفي هذا الحديث برواياته منهج حسي جلي حيث شبه الرسول ﷺ العاملين من الأمم السابقة بأجراء حدد لهم وقت العمل وأجره تحديداً دقيقاً (( قيراط قيراط )) والوقت يوم إلى الليل ، والوقت الذي عمله اليهود نصف النهار ، والنصارى ربه ومن لم يتم العمل المشروط لا أجر له ، وعمله باطل .

يقول الإمام العيني - رحمه الله - : (( ذلك مثل اليهود والنصارى تركوا ما أمرهم الله به ، ومثل المسلمين الذين قبلوا هدى الله وما جاء به رسول الله ﷺ . والمقصود من هذا الحديث ضرب المثل للناس الذين شرع لهم دين موسى - عليه السلام ليكملوا الدهر كله بما يأمرهم به وينهاهم إلى أن بعث الله عيسى - عليه السلام -

(١) - أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الإجارة ، باب : الإجارة إلى نصف النهار (٦٦٨/٢) ، ح (٢٢٦٨) .

(٢) - أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الإجارة ، باب : الإجارة من العصر إلى الليل (٦٦٨/٢) ، ح (٢٢٧١) .

فأمرهم باتباعه فأبوا وتبرؤا مما جاء به ، وعمل آخرون بما جاء به عيسى - عليه السلام -  
 - فأمرهم أن يعملوا بما يؤمرون به باقي الدَّهر فعملوا حتى بعث سيدنا رسول الله ﷺ  
ﷺ فدعاهم إلى العمل بما جاء به فأبوا وعصوا ، فجاء الله تعالى بالمسلمين فعملوا  
 بما جاء به واستكملوا إلى قيام الساعة ، فلهم أجر من عمل الدَّهر كله بعبادة الله  
 تعالى كإتمام الذي استؤجر عليه كله أول طبقة )) (١) .

ويقول الدكتور محمد حسن الزير : (( والمراد بالقوم في بداية القصة اليهود ،  
 ورفضهم للأجر يشير إلى كفرهم بعيسى - عليه السلام - وعدم قبولهم لرسالته ؛ لأنَّه  
 لا يمكن أن يحصلوا على أجر أو ثواب إلا إذا آمنوا به مع إيمانهم بموسى - عليه السلام -  
 - وأمَّا الأجيران فالمراد بهما النَّصارى الذين حبط عملهم حين لم يؤمنوا بمحمد ﷺ  
ﷺ وبالتالي لم يكن لهم نصيب في الأجر ، وأمَّا الأجراء الذين عملوا حتى غابت  
 الشمس فهم المسلمون ، وقد استكملوا أجر الفريقين بإيمانهم بمحمد ﷺ وما جاء به  
 من الحق إضافة إلى إيمانهم بالأنبياء السابقين وإقرارهم برسالاتهم وما جاؤوا به من  
 الدِّين الصَّحيح )) (٢) .

وقوله : (( كمثل رجل )) (( فيه حذف تقديره : وهو مثلكم مع نبيكم ، وقيل :  
 أهل الكتابين مع أنبيائهم كمثل رجل استأجر ... فالمثل مضروب للأمة مع نبيهم  
 والممثل به الأجراء مع من استأجرهم )) (٣) .

وهذا الحديث برواياته المختلفة فيه بشارة للمسلمين وترغيب لأهل الكتاب من  
 اليهود والنَّصارى ، فالمسلمون حصلوا على أجورهم وأجور من سبقهم من الأمم  
 المتقدمين ؛ لجمعهم الإيمان بمحمد ﷺ مع كافة الأنبياء والرسل المتقدمين .

وقد نقل الإمام العيني عن الخطابي قوله : (( دلَّ حديث ابن عمر أنَّ مبلغ أجره  
 اليهود لعمل النَّهار كله قيراطان ، وأجرة النَّصارى للنصف الباقي من النَّهار إلى  
 الليل قيراطان ، ولو تمَّموا العمل إلى آخر النَّهار لاستحقوا تمام الأجرة وأخذوا  
 قيراطين ، إلا أنَّهم انخذلوا ولم يفوا بما ضمنوه ، فلم يصيبوا إلا ما خصَّ كلَّ

(١) - " عمدة القارئ شرح صحيح البخاري " (٢٠٢/٤ - ٢٠٣) .

(٢) - " القصص في الحديث النبوي " (ص/٣٤٧) ، مرجع سابق .

(٣) - " عمدة القارئ شرح صحيح البخاري " (٨٠/١) ، وينظر أيضا : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " (٥٢١/٤) .

فريق منهم من الأجرة وهو قيراط ، ثم إن المسلمين لما استوفوا أجرة الفريقين حسدوهم (( (١) .

وقال الإمام العيني تعليقا على قولهم (( لا حاجة لنا )) : (( إشارة إلى تحريفهم الكتب وتبديلهم الشرائع وانقطاع الطريق بهم عن بلوغ الغاية فحرموا تمام الأجرة لجنايتهم على أنفسهم حين امتنعوا عن تمام العمل الذي ضمنوه )) (٢) .

وفي ضوء ما تقدم يتضح لنا أن الرسول ﷺ رغب أهل الكتاب في الدخول في دين الله بمنهج محسوس وأوضح لهم مكانتهم وأجرهم العظيم ، في الاستجابة لأمر الله ورسوله ، واتباع ما أنزل الله من شرع على محمد ﷺ وقد استجاب لهذه الدعوة من كتب الله له السعادة منهم فأمنوا واتبعوا الرسالة الخاتمة ، وامتنع أكثرهم حسداً و عنادا بعدما تبين لهم الحق ، وهؤلاء هم الذين استحقوا الوعيد من الله ورسوله بإحباط أعمالهم ، وبطلان أجورهم ، وفي المسلك التالي أعرض لأسلوب التهيب الذي استخدمه الرسول ﷺ لدعوتهم .

(١) - " عمدة القارئ شرح صحيح البخاري " (٢٠٣/٤) .

(٢) - " المرجع السابق " (٢٠٧/٤) .

## المسلك الثاني

### ترهيب أهل الكتاب من

### رفض الإسلام والتّماذي على الكفر

سبق في المسلك الأول بيان دعوة الرّسول ﷺ لأهل الكتاب بأسلوب التّرخيب المشتمل على منهج حسي ، وفي هذا المسلك سأعرض لدعوته إياهم بأسلوب التّرهيب المشتمل على منهج حسيّ في ضوء الحديث السّابق ؛ لأنّه مشتمل عليهما - أي على التّرخيب والترهيب - وأكتفي هنا بذكر مواضع الاستشهاد منه على التّرهيب ، وذلك فيما يلي :

ففي الرواية الأولى يقول المصطفى ﷺ : (( مثلكم ومثل أهل الكتابين ، كمثّل رجل استأجر أجراء ، فقال من يعمل لي من غُدوة إلى نصف النّهار على قيراط؟ فعملت اليهود ، ثم قال : من يعمل من نصف النّهار إلى صلاة العصر على قيراط؟ فعملت النّصارى ... )) (١) .

وفي الرواية الثّانية يقول الرّسول ﷺ : (( مثل المسلمين واليهود والنّصارى ، كمثّل رجل استأجر قوماً يعملون له عملاً يوماً إلى الليل ، على أجر معلوم . فعملوا له إلى نصف النّهار فقالوا : لا حاجة لنا إلى أجرك الذي شرطت لنا ، وما عملنا باطل ، فقال لهم : لا تفعلوا ، أكملوا بقية عملكم ، وخذوا أجركم كاملاً ، فأبوا وتركوا ، واستأجر أجيرين بعدهم ، فقال لهما : أكملوا بقية يومكما هذا ، ولكما الذي شرطت لهما من الأجر فعملوا حتى إذا كان حين صلاة العصر قالوا : لك ما عملنا باطل ، ولك الأجر الذي شرطت لنا فيه ... )) (٢) .

وفي هذا الحديث بيّن الرّسول ﷺ عن طريق ضرب المثل بأمور محسوسة خطورة رفض الإسلام والامتناع من الدّخول فيه خاصّة بالنّسبة لأهل الكتاب الذين شبههم بالعاملين ، الذين يتعبون أنفسهم في العمل ابتغاء أجره ، ثمّ يتركونه دون الحصول على أي مقابل بعد مُضي نصف الوقت المحدّد لاستلام الأجر كته ،

(١) - "سبق تخريجه" (ص ٤١١) .

(٢) - "سبق تخريجه" (ص ٤١١) .

وهذا بالنسبة لليهود الذين هم الفريق الأول ، وأمّا النصارى فقد شَبَّهوا بمن طلب أن يتم بقية اليوم الذي تخلى الفريق الأول عنه قبل إتمامه ليحصلوا على الأجر كاملاً ، فعملوا من منتصف النهار إلى العصر ، ثم تركوا العمل بعدما أتعبوا أنفسهم ، ولم يبق من النهار إلا القليل ، يدلُّ على ذلك قوله ﷺ (( .. فعملوا حتى إذا كان حين صلاة العصر قالوا : لك ما عملنا باطل ، ولك الأجر الذي جعلت لنا فيه )) .

وإذا تأملنا هذا الحديث العظيم اتضح لنا اشتماله على أمثلة محسوسة حيث جعل أهل الكتابين فيه مثل الأجراء ، وشبَّه المدة التي استمروا فيها على العمل بالدين بنصف يوم في اليهود ، وبمقدار ما بين الظهر والعصر في النصارى ، وقد حدَّد أجرهم على العمل بقيراط كما في حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - والحديث برواياته يدلُّ على أن الممتنعين من الدخول في الإسلام من أهل الكتاب ، معرضون لحبوط الأعمال وبطلانها ، وأنهم لا ينتفعون بما قدّموا من أعمال صالحة وإن كانت أمثال الجبال ، وأصحاب العقول السليمة يرهبون بطلان الأعمال ويخافونه .

يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - مُعلقاً على ذلك : (( وظاهر المثل الذي في حديث أبي موسى أن الله تعالى قال لليهود آمنوا بي وبرسلي إلى يوم القيامة فأمنوا بموسى إلى أن بعث الله عيسى فكفروا به وذلك في قدر نصف المدة التي من مبعث موسى إلى قيام الساعة ، فقولهم (( لا حاجة لنا إلى أجرك )) إشارة إلى أنهم كفروا وتولّوا واستغنى الله عنهم ، وهذا من إطلاق القول وإرادة لازمه ، لأنَّ لازمه ترك العمل المُعَبَّر به عن ترك الإيمان ، وقولهم (( وما عملنا باطل )) إشارة إلى إحباط عملهم بكفرهم بعيسى ، إذ لا ينفعهم الإيمان بموسى وحده بعد بعثة عيسى ، وكذلك القول في النصارى )) (١) .

واستخدام أسلوب الترهيب في دعوة أهل الكتاب كثير في نصوص القرآن والسنة ، من أمثلته في القرآن قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءآمَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهَ فِرْدَوْسَها عَلَىٰ أَدْبَارِها أَوْ نَلْعَنَهم كَمَا لَعْنَا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ (٢) .

(١) - " فتح الباري شرح صحيح البخاري " (٤/٥٢٤) .

(٢) - سورة النساء ، الآية ، (٤٧) .



يقول الإمام ابن جرير الطبري - رحمه الله - في تفسير هذه الآية : (( يعني جل ثناؤه بقوله : ﴿ يا أيها الذين أتوا الكتاب ﴾ اليهود من بني إسرائيل الذين كانوا حوالي مهاجر رسول الله ﷺ قال الله لهم : يا أيها الذين أنزل إليهم الكتاب فأعطوا العلم به ؛ آمنوا : يقول صدقوا بما أنزلنا على محمد من الفرقان ، مصدقاً لما معكم يعني : محققاً للذي معكم من التوراة التي أنزلتها إلى موسى ابن عمران ﴿ من قبل أن نطمس وجوهاً فتردها على أدبارها ﴾ )) (١) ، ولا يخفى ما تشتمل عليه هذه الآية من تهديد ، ولذا روى أن كعباً أسلم عندما سمع هذه الآية ، وقال : « يارب آمنت ، يارب أسلمت » مخافة أن تصيبه الآية (٢) .

ويقول الأستاذ سيد قطب - رحمه الله - حول هذه الآية : (( يتجه الخطاب إلى الذين أتوا الكتاب - اليهود - دعوة إلى الكتاب المصدق لما بين أيديهم ، وتهديد لهم بالمسخ واللعن المتوقعين من وراء عنادهم وأفاعيلهم ، ودمغاً لهم بالشرك والانحراف عن التوحيد الخالص )) (٣) .

ومن السنة قوله ﷺ : (( والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار )) (٤) .

والترهيب في هذا الحديث واضح ؛ لأن الرسول ﷺ أوضح فيه أن كل من بلغته دعوة الرسول ﷺ من أهل الكتاب ، ولم يؤمن به ، يكون من أصحاب النار ، وكفى بالوعيد بالنار تخويفاً وترهيباً لمن يتعظ ويعتبر ولكن الأمر في هذا كما أخبر الله سبحانه وتعالى بقوله ﴿ فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور ﴾ (٥) .

(١) - " جامع البيان عن تأويل آي القرآن " (١٢١/٤) .

(٢) - ينظر : " المرجع السابق " (١٢٤/٤) .

(٣) - " في ظلال القرآن " (٦٧٦/٢) .

(٤) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الإيمان ، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الممل بملته ، (١٢١/١ - ١٢٢) ح (١٥٣) .

(٥) - سورة الحج ، جزء من الآية : (٤٤) .

**الفصل الرَّابِع : خصائص الدّعوة إلى الله  
بالمنهج الحسيّ في السّنة النبوية وضوابطها :  
وفيه مبحثان :**

**المبحث الأوّل : خصائص الدّعوة إلى الله بالمنهج**

**الحسيّ في السّنة النبوية .**

**المبحث الثّاني : ضوابط الدّعوة إلى الله بالمنهج**

**الحسيّ في السّنة النبوية .**

**المبحث الأول : خصائص الدّعوة إلى الله بالمنهج**

**الحسي في السُّنة النبوية.**

وفيه ثلاثة مطالب :

**المطلب الأول : خصيصة قوة البيان والإيضاح .**

**المطلب الثاني : خصيصة قوة التأثير في نفوس المخاطبين .**

**المطلب الثالث : خصيصة صلاحيته لإثارة جميع حواس المدعوين .**

## المبحث الأول

### خصائص الدّعوة إلى الله بالمنهج الحسي في السّنة النبوية

تمهيد يشتمل على تعريف الخصائص لغة واصطلاحاً :

#### أولاً: التعريف اللّغوي للخصائص

الخصائص جمع خصيصة ، مأخوذ من خصّته بالشئ يَخْصُهُ خَصّاً وخصُوصاً ، وخصُوصية ، ويُقال : اختص فلان بالأمر إذا انفرد به .  
ويقال : تخصصّ في علم كذا : أي قصر عليه بحثه وجهده ، والخصيصة : الصّفة التي تُميز الشئ وتُحدّده (١) .

#### ثانياً: الاصطلاح

من خلال البحث لم أعرّ على من عرّف الخصيصة تعريفاً اصطلاحياً محدّداً ، والذي أعنيه بالخصيصة في هذا البحث : هو ما يتميز به المنهج الحسي في السّنة النبوية عن غيره ولا يعني هذا الاختصاص عدم مشاركة غيره له ، إلا أنه في المنهج الحسي أظهر وأوضح .

(١) - ينظر : " لسان العرب " لابن منظور (٢٤/٧) مادة ( خصص ) ، " القاموس المحيط " للفيروز آبادي (ص/٧٩٦) مادة ( خصّه ) ، " المصباح المنير " لأحمد الفيومي المقرئ (ص/٩١) مادة ( خصص ) ، " المعجم الوسيط " مجموعة من العلماء (ص/٢٣٨) مادة : ( خصّ ) .

## **المطلب الأول : خصيصة قوة البيان والإيضاح .**

وفيه تمهيد وثلاثة مسالك :

**المسلك الأول : الإيضاح في مجال العقائد والغيبيات .**

**المسلك الثاني : الإيضاح في مجال العبادات .**

**المسلك الثالث : الإيضاح في مجال الأخلاق .**

## المطلب الأول

### خصيصة البيان والوضوح

البيان والوضوح سمة من سمات المنهج الحسي في السنّة النبوية ، ومعلوم أنّ مهمة الرسول ﷺ هي البلاغ ، قال تعالى : ﴿ يا أيها الرّسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك ﴾ (١) ، وقال سبحانه : ﴿ وما على الرّسول إلاّ البلاغ المبين ﴾ (٢) . وهذا البلاغ يقتضي البيان والإيضاح ، كما يدلّ لذلك قوله تعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون ﴾ (٣) .

ومما يؤكد حرصه ﷺ على الإيضاح أنّه كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاث مرات لترسيخ بعض المعاني في نفوس المدعويين وإثارة انتباههم ، كما ثبت ذلك عنه في صحيح البخاري عن أنس - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ : « أنّه كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه ، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم سلّم ثلاثاً » (٤) ، وكان كلامه ﷺ فصلاً لا لبس فيه ، فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : « كان كلام رسول الله ﷺ فصلاً يفهمه كل من سمعه » (٥) .

والغرض من تكرار الكلام ثلاثاً - والله أعلم - أنّ بعض المخاطبين يقصر عن فهمه أو سماعه فيعاد الكلام ليفهم ، وقد يكون هناك بعض الغموض والإشكال في القول ، فيعاد ليتبين ، وكل ذلك لأجل أنّ يفهم المخاطبون كلامه ﷺ حق الفهم ولا يفوتهم شيء منه (٦) .

ويقول الخليفة الراشد علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - : « حدّثوا النّاس بما يعرفون أحبّون أن يكذب الله ورسوله » (٧) .

- (١) - سورة المائدة ، جزء من الآية : (٦٧) .
- (٢) - سورة العنكبوت ، جزء من الآية : (١٨) .
- (٣) - سورة النحل ، جزء من الآية : (٤٤) .
- (٤) - كتاب العلم ، باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه ، (٥٨/١) ح (٩٥) .
- (٥) - أخرجه الإمام أبو داود في " سننه " كتاب الأدب ، باب الهدي في الكلام (١٧٢/٥) ، ح (٤٨٣٩) وحسنه الشيخ الألباني في " صحيح سنن أبي داود " (١٨٩/٣) ح (٤٨٣٩) .
- (٦) - ينظر : " عمدة القارئ بشرح صحيح البخاري " للعيني (٧٠/٢) بتصرف .
- (٧) - هذا الأثر ذكره الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب العلم ، باب : من خصّ بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا ، (٦٧/١) رقم (١٢٧) .

ومما لا يخفى على أحد أن البيان هو الوظيفة الرئيسة للنبي ﷺ ، والسمة الرئيسة في ذلك البيان هي سمة الوضوح والجلاء في العبارة لفظاً وتركيباً ومضموناً ، يقول الإمام الخطابي - رحمه الله - : « إن الله جل وعز لمّا وضع رسوله موضع البلاغ من وحيه ونصبه منصب البيان لدينه اختار له من اللغات أغربها ومن الألسن أفصحها وأبينها ليباشر في لباسه مشاهد التبليغ وينبذ القول بأوكد البيان والتعريف » (١) .

ولذا كان من أساليبه ﷺ في البلاغ استخدام المحسوسات المعروفة والمألوفة عند المخاطبين لإيضاح أمور العقائد وما يتعلق بالغيبيات ، والأحكام العملية ، والآداب والأخلاق ، وتصوير المعاني المجردة بأمر حسية .  
والأمثلة التي يتضح بها المقصود من قوة الإيضاح كثيرة في السنة النبوية ، وسوف أذكر منها ما يتميز به المنهج الحسي من خلال عرضي للمسالك الآتية :

(١) - " غريب الحديث للإمام أبي سليمان حمّد بن محمد بن إبراهيم الخطابي ، تحقيق : عبدالكريم العزباوي (٦٤/١) نشر جامعة أم القرى ، دار الفكر - دمشق ، ١٤٠٢هـ ، بدون ذكر رقم الطبعة .

## المسلك الأول

### الإيضاح في باب العقائد والغيبيات

سبق الكلام على هذا المسلك في الفصل الأول بالتفصيل والبيان والتوضيح ، وهنا أضرب أمثلة تُبْرَزُ قُوَّةُ الإيضاح في الدعوة إلى الله تعالى بالمنهج الحسي ، ومن ذلك :

**أولاً : قوة الإيضاح في وصف ضعف المسلمين في آخر الزمان وتكالب الأعداء عليهم**

فعن ثوبان - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « يوشك أن تداعي عليكم الأمم من كل أفق كما تداعي الأكلة على قصعتها » . قال : قلنا : يا رسول الله أمن قلة بنا يومئذ ؟ قال : « أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم تكونون غنَاءَ كغناء السَّيْلِ ، ينتزع المهابة من قلوب عدوكم ، ويجعل في قلوبكم الوهن » قال : قلنا : وما الوهن ؟ قال : « حُبّ الدنيا وكرهية الموت » (١) .

فانظر كيف أوضح الرسول ﷺ في هذا الحديث حال المسلمين في آخر الزمان وما وصلوا إليه من الضعف في عقائدهم وأخلاقهم ، بقوله : « يوشك أن تداعي عليكم الأمم من كل أفق كما تداعي الأكلة على قصعتها » .

فقرَّبَ الرَّسُولُ ﷺ تلك الحالة التي يكون عليها المسلمون في ذلك الزمان في صورة حسية واضحة مألوفة عند المخاطبين وهي تداعي الأكلة على قصعتها .

وهذه الصورة الحسية يراها العربي تتكرر في حياته اليومية عندما يتسابق أهله على القصة فهو يرى كيف يتداعي الناس على قصعة الطعام ، ويرى تداعي البهائم وغيرها على طعامها ، وقد مثل لذلك الرسول ﷺ بقوله لثوبان - رضي الله عنه - : « كيف أنت يا ثوبان إذا تداعت عليكم الأمم كتداعيكم على قصعة الطعام تصيبون منه ؟ ! » . قال ثوبان : يا باني وأمي يا رسول الله ! أمن قلة بنا ؟ قال : « لا ؛ أنتم يومئذ كثير ، ولكن يلقى في قلوبكم الوهن » قالوا : وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : « حُبُّكم الدنيا ، وكرهيتكم القتال » (٢) .

(١) - سبق تخريجه " في الفصل الأول ، ( ص ١١٧ ) .

(٢) - أخرجه الإمام أحمد في " المسند " ( ٣٥٩/٢ ) ح ( ٨٦٨٧ ) وقال الهيثمي في " مجمع الزوائد " ( ٢٨٧/٧ ) " رواه أحمد والطبراني في الأوسط بنحوه ، وإسناد أحمد جيد " .



فاستبان المقصود من التشبيه بياناً لا لبس فيه ولا غموض ، فالمسلمون عندما ينتدون عن دينهم الذي هو سرُّ قوتهم ويعطلون شرع ربهم الذي به تنتظم حياتهم ، وتصلح دنياهم وأخراهم ، يصبحون مائدة شهية ولقمة سائغة لأعدائهم ، مع أنَّهم كثرة كاثرة ، وأعداد هائلة ، لكنهم عندما عطّلوا فريضة الجهاد في سبيل الله تعالى وركنوا إلى الدنيا وأحبّوها حباً نسوا به الآخرة صاروا أمةً ذليلة لا حول لها ولا قوة ، فهم كما قال ﷺ : « غنَاءَ كَغَنَاءِ السَّيْلِ » والغناء : الزيد ، وما ارتفع على الماء مما لا ينتفع به ، قال الراغب الأصفهاني - رحمه الله : « يضرب به المثل فيما يضيع ويذهب غير مُعتدّ به » (١) .

وفي هذه القطعة من الحديث تشبيه رائع جميل أوضح بجلاء حال أمة الإسلام في آخر الزمان بين أم الكفر والإلحاد ، وقد تحققت آثار نبوته ﷺ في هذا القرن الأخير بصورة أوضح . فقد اتفق الصليبيون واليهود والملاحدة على هدم الخلافة الإسلامية ، ثمَّ جزّؤوا الديار التي كانت تحكمها ، وتقاسموا ديار المسلمين فيما بينهم وأعطوا فلسطين لليهود ، وأصبح المسلمون أضياع من الأيتام على مأدبة اللُثام ولا تزال قوى الشر إلى اليوم متداعية لتدمير هذه الأمة وامتصاص خيراتها ، ونهب ثرواتها ، وإذلال رجالها ، والأمة الإسلامية خائفة ذليلة ، لم تغن عنها كثرتها ، غنَاءَ كَغَنَاءِ السَّيْلِ ، وعلتها كما أخبر الرسول ﷺ : الوهن وهو حب الدنيا ، وكرهية الموت .

وحين كتابة هذه الأسطر نرى ذلك ماثلاً أمام العيان ، فنرى ونسمع ما يبكي العيون ويذمي القلوب بما وقع للمسلمين في « كوسوفا » من التقتيل والتشريد وهتك الأعراض وسبي الأطفال والنساء ، والذهاب بهم إلى دول الكفر لتتصيرهم وإخراجهم من الإسلام ، والمسلمون لا شوكة لهم ، فلا يأبه الأعداء بهم ؛ لأنهم غنَاءَ كَغَنَاءِ السَّيْلِ لا يُسمع لقولهم ولا يُعتدُّ برأيهم ، يصدق فيهم قول الشاعر :

يُقضى الأمر حين تغيبُ تيم      ولا يُستأمرّون وهم شهود (٢) .

وسبب ذلك الذل هو حب الدنيا والحرص على البقاء فيها وتفرق كلمة المسلمين وشدة ضعفهم وكرهية الموت في سبيل الله تعالى ، وبهذا تتبين لنا قوة الإيضاح

(١) - " المفردات في غريب القرآن " (ص/٣٥٨) .

(٢) - " ديوان جرير " (ص/١٢٩) دار صادر - بيروت ، ط : ١ ، بدون ذكر تاريخ الطبعة .

التي صاحبت استخدام الرسول ﷺ بالمنهج الحسي في تقريب تلك الحالة التي تصيب أمة الإسلام في آخر الزمان ، والله أعلم بالصواب .

### ثانياً : قوة الإيضاح في تقرير عقيدة البعث في نفوس المخاطبين

سبق الحديث عن هذه الفقرة بشيء من البسط والتفصيل في الفصل الأول (١) ، عند حديثي عن إثبات البعث بالمنهج الحسي ، وهنا أبين - إن شاء الله تعالى - موطن قوة البيان والإيضاح في الحديث فقط ، يقول ﷺ : « ثم ينزل الله من السماء ماءً فينبتون كما ينبت البقل » (٢) .

ويسأل أبو رزين العقيلي - رضى الله عنه - رسول الله ﷺ فيقول : يا رسول الله كيف يحيي الله الموتى ؟ وما آية ذلك في خلقه ؟ قال : « أما مررت بوادي أهلك مَحَلًا؟ » قال : بلى . قال : « ثم مررت به يهتز خضراً ؟ قال : بلى قال : « فذلك يحيي الله الموتى وذلك آيته في خلقه » (٣) .

مما سبق يتبين أن أمر البعث بعد الموت من قضايا الإيمان الكبرى ، التي لا يمكن أن يُسمى الإنسان مؤمناً إلا إذا جاء بها معتقداً صحتها في قرارة نفسه ، وقد اعتنى القرآن الكريم بالبعث واليوم الآخر عناية بالغة ، فقلماً تخلو سورة من سورته من الحديث عنه وتقربته إلى الأذهان بأساليب متنوعة ، وبراهين واضحة ، وصور حسية مختلفة ، من ضرب الأمثال ، والاستدلال بالنشأة الأولى ، وخلق السماوات والأرض ، وإحياء الأرض بعد موتها ، إلى غير ذلك من الأساليب القرآنية في إثبات وإيضاح عقيدة البعث للناس .

وهناك أسباب اقتضت العناية بالبعث من أهمها :

أ - إنكار المشركين للبعث إنكاراً شديداً ، كما حكى الله تعالى ذلك عنهم بقوله : ﴿ وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون ﴾ (٤) .

ولذلك أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يُقنم بربه سبحانه وتعالى على أن البعث حق لا ريب فيه ، وأنه واقع لا محالة ، وأنهم سيحاسبون على إنكارهم وتكذيبهم ،

(١) - (ص/٤٤) وما بعدها .

(٢) - " سبق تخريجه " (ص/٤٥) .

(٣) - " سبق تخريجه " (ص/٤٦) .

(٤) - سورة الجاثية ، الآية : (٢٤) .

يقول الله تعالى عنهم : ﴿ زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبئن بما عملتم وذلك على الله يسير ﴾ (١) .

ويقول سبحانه : ﴿ ويستنبئونك أحق هو قل إي وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين ﴾ (٢) .

ب - جهل أهل الكتاب بعقيدة البعث واليوم الآخر بسبب تحريفهم لكتبهم المنزلة .

ج - « التأكيد على أن هذه الحياة إنما جعلت لهدف أعلى وغاية سامية ، فلولا أن هناك يوماً يُجازى فيه المحسن بإحسانه والمسئئ بإساءته ، لما كان هناك فرق بين عمل الخير وعمل الشرِّ ، ولا كانت هناك فضائل ولا رذائل ، فالحياة فوضى والمصير مجهول ولا وازع ولا ضمير حي » (٣) .

وكما حصلت العناية بالبعث في القرآن الكريم ، كذلك كانت في السنة النبوية ، فكان الرسول ﷺ دائم التذكير به ، والدعوة إليه في كل مناسبة ، لعلمه ﷺ أن الإيمان به يستلزم العمل الصالح والبعد عن كل شرِّ ، وأن الكفار المشركين وغيرهم إذا آمنوا به كان إيمانهم بقضايا العقيدة الأخرى من باب أولى ، وفي هذا ما يدل على عناية النبي ﷺ بتقرير عقيدة البعث وما يتعلق بها ، وبأمر اليوم الآخر بصفة عامة .

وقد أوضح الرسول ﷺ في الحديث السابق قضية البعث إيضاحاً زال معه كل لبس وغموض ، وانظر كيف قرب الرسول ﷺ كيفية وقوعه في صور حسية من بيئة المخاطبين القريبة التي لا تكاد أنظارهم تغيب عنها .

ففي هذا الحديث الأول : استخدم الرسول ﷺ خروج البقل من الأرض وسيلة إيضاح ، لتقريب تلك الحقيقة الغيبية إلى الأذهان في صورة حسية واضحة ، فقال : « فينبئون كما ينبت البقل » . إن هذه الصورة واضحة للمدعويين آنذاك فهم أصحاب بادية يهتمون بالرعي ، ويفرحون بنزول المطر وخروج الزرع ، ليرعوا أنعامهم ومواشيهم ، ولذلك شبه الرسول ﷺ بداية خروج الناس من قبورهم للبعث والجزاء

(١) - سورة التغابن ، الآية : (٧) .

(٢) - سورة يونس ، الآية : (٥٣) .

(٣) - " الحياة الآخرة - ما بين البعث إلى دخول الجنة أو النار " د / غالب بن علي عواجي ، (٧٧/١) .

بخروج نبات البقل من الأرض ، وفي هذا من قوة الإيضاح والبيان ما يجعل المخاطب أمام صورة حسية مشاهدة ، تبين هيئة غائبة وهي كيفية البعث .

وفي الحديث الثاني : يبادر الصحابي - ﷺ - الرسول ﷺ بالسؤال عن كيفية إحياء الموتى ؟ ويطلب منه توضيح تلك الكيفية بدليل حسي من بيئته حتى يتبين له الأمر ، ويفهم الخطاب ، ويزداد إيمانه ، فقال له الرسول ﷺ : « أما مررت بـوادي أهلك مَحَلًا ؟ » قال : بلى . قال : « ثم مررت به يهتز خضراً ؟ قال : بلى قال : « فكذاك يحيى الله الموتى وذلك آيته في خلقه » .

فالرسول ﷺ استعمل أسلوب الحوار لإقناع المخاطب ، وإيضاح إحياء الله تعالى للموتى في صورة حية منتزعة من البيئة البدوية التي يعيش فيها الناس . والمعنى : أليس قد سبق لك أن مررت بوادي مَيّتٍ مُجَدَّبٍ لا ماء فيه ولا نبات ، فقال : بلى ، ثم مررت به أخرى فإذا به قد اكتسى خُضرة ، وأنبت من كل زوج بهيج ، قال بلى ، فبين - عليه الصلاة والسلام - للمخاطب أن إحياء الله تعالى للموتى مثل هذا سواء بسواء ، فكان التصوير بهذا المثال في غاية الوضوح والبيان ، لتقريبه أمر البعث إلى أذهان المخاطبين ، وفهمهم لكيفية حدوثه .

### ثالثاً : قوة الإيضاح في بيان رؤية الله تعالى في الآخرة

من المعلوم أن أشرف مقام وأفضل نعيم يناله المؤمنون في الجنة هو رؤيتهم لربهم سبحانه وتعالى ، ومن شدة فرحهم بذلك ينسون ما هم فيه من النعيم فما أعطوا نعمة أكبر ولا أعظم من تلك النعمة يقول : الإمام ابن قيم الجوزية - رحمه الله - : « إذا ناله أهل الجنة نسوا ما هم فيه من النعيم » (١) .

وعندما سئل أبو بكر الصديق - ﷺ - عن قوله تعالى ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾ (٢) . قال : الحسنى الجنة ، والزيادة : النظر إلى وجه الله الكريم (٣) . وقد تعلم ذلك من رسول الله ﷺ الذي فسّر الزيادة بالنظر إلى وجه الله الكريم ، فقد ثبت في صحيح مسلم ، عن صهيب - ﷺ - عن النبي ﷺ قال : « إذا دخل أهل الجنة الجنة ، قال يقول الله تبارك وتعالى : تريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون : ألم

(١) - " صحيح حادي الأرواح " لابن قيم الجوزية ، تخريج واختصار / عبد الحميد أحمد الذخاخي ، (ص/٢٥٨) ، مرجع سابق .

(٢) - سورة يونس ، جزء من الآية : (٢٦) .

(٣) - ينظر : " تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المثنان " (ص/٣١٩) ، مرجع سابق .

تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ؟ قال فيكشف الحجاب ، فما أعطوا شيئاً أحبّ إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل » (١) .

ولأهمية الرؤية وشرفها ، وكونها مطلب كل مؤمن ، فقد أوضحها الرسول ﷺ وبينها غاية البيان ، فعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : قلنا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال : « هل تَصَارُونَ في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحواً ؟ » . قلنا : لا ، قال « فإنكم لا تَصَارُونَ في رؤية ربكم يومئذ إلا كما تَصَارُونَ في رؤيتهما » (٢) .

إن رؤية الله تعالى في الآخرة أمر غيبي لا يستطيع المرء تصوّره ، ولذلك سأل الصحابة الكرام عنه ، وقد عرضه الرسول ﷺ في هذا الحديث عرضاً حسياً واضحاً بإثارة اهتمامهم عن طريق الحوار ، ولفت أنظارهم إلى أمور حسية في حياتهم وهي الشمس والقمر ، فقال : « هل تَصَارُونَ في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحواً ؟ » والمعنى : هل يصيبكم الضّر عند النظر إلى الشمس والقمر إذا كانت السماء صحواً خالية من الغيوم ؟ فأجابوا بالنفي ، فقال : إنكم سترون ربكم في الآخرة بأبصاركم رؤية محققة لاشكّ فيها ولا مشقة ولا خفاء كما ترون هذه الشمس أو هذا القمر رؤية محققة بلا شك ولا مشقة ولا اختلاف ، وهذا التشبيه للرؤية بالرؤية لا المرئي بالمرئي ، ولا كيفية الرؤية بكيفية الرؤية (٣) ، قال تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ (٤) .

وقد جاء في الصحيح عن جرير بن عبدالله البجلي - رضي الله عنه - قال النبي ﷺ : « إنكم سترون ربكم عياناً » (٥) .

وبهذا يتبين أن التمثيل وتقريب الصورة كان في غاية الوضوح والجلاء ، مما جعل ذلك حقيقة ملازمة للدّعوة إلى الله تعالى بالمنهج الحسي .

(١) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الإيمان ، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى ، (١٤٢/١) ح (١٨١) .

(٢) - متفق عليه : " سبق تخريجه " (ص/٥٩) .

(٣) - ينظر : " عمدة القارئ " (١٩١/٤) .

(٤) - سورة الشورى ، جزء من الآية : (١١) .

(٥) - أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب التوحيد ، باب : قول الله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ نظيرة إلى

رهما نظيرة ﴾ (٢٣٢٠/٤) ح (٧٤٣٥) .

## المسلك الثاني الإيضاح في مجال العبادات

وبعد أن تعرضت لقوة الإيضاح بالمنهج الحسي في مجال العقائد والغيبيات ، أود أن أعرض هنا لأمثلة تبين قوة الإيضاح في مجال العبادات ؛ ومن ذلك :

### أولاً : قوة الإيضاح في بيان فضل الصلوات الخمس

الصلوة هي الركن الثاني بعد الشهادتين ، وهي الحدّ الفاصل بين الإسلام والكفر ، ولهذا أولاهها الرسول ﷺ عناية عظيمة في تأكيد الأمر بالمحافظة عليها والإشادة بفضلها لتطهير المسلم من أدران المعاصي في أحاديث كثيرة منها :

ما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات . هل يبقى من درنه شيء ؟ » قالوا : لا يبقى من درنه شيء . قال : « فذلك مثل الصلوات الخمس . يمحو الله بهنّ الخطايا » (١) .

إنّ هذا الحديث النبوي الكريم ، الذي صدره الرسول ﷺ بالاستفهام ، فيه من البلاغة والتشويق والإثارة ما يجعل المخاطب في درجة كبيرة من الاستعداد لفهم معانيه ، ومدلول خطابه ، وقد بالغ الرسول ﷺ في إيضاح فضل الصلاة ، وتصوير تأثيرها القوي في إزالة الخطايا ، بمثال حسي من بيئة المخاطبين ، فشبه المعاصي التي يقترفها العبد المسلم بالأوساخ والأدران التي تعلق بجسم الإنسان فتؤذيه ، وتتفرق النفوس السوية منه ، وبيّن أنّ الصلوات الخمس بمثابة النهر الجاري الغمر القريب الذي يغتسل فيه المرء كل يوم خمس مرات . فماذا يبقى عليه من الدرن والوسخ ؟ إنّ الإجابة البديهية من المخاطبين معروفة . لا يبقى عليه شيء . فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهنّ الخطايا .

(١) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب مواقيت الصلاة ، باب : الصلوات الخمس كفارة ، (١٧٩/١) ح (٥٢٨) ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب المشي إلى الصلاة تمحي به الخطايا وترفع به الدرجات ، (٣٨٧/١) ح (٢٨٣) ، واللفظ له .

إن هذا التقريب الحسي لتلك المعاني المجردة قد بلغ درجة كبيرة من الإيضاح والبيان ، حتى جعل المخاطب والسَّامع لهذا التمثيل وكأنَّه يراه بعينه ويمارسه بجوارحه .

ولم يقف الرسول ﷺ عند أسلوب واحد في الإيضاح ، بل استعمل أساليب ووسائل عدَّة لبيان فضل هذه الشعيبة العظيمة . فقد كان - عليه الصلاة والسلام - جالساً مع سلمان الفارسي - رضي الله عنه - تحت شجرة فأخذ منها غصناً يابساً فهزَّه حتى تحاتَّ ورقه ، فقال : « يا سلمان ! ألا تسألني لِمَ أفعل هذا ؟ » قلت : ولم تفعله ؟ قال : « إنَّ المسلم إذا توجَّه فاحسن ، ثم صلَّى الصلوات الخمس ، تحاتت (١) خطاياهم كما تحاتَّ هذا الورق ، وقال : « وأقم الصلاة طرقي النَّهار وزلفاً من الليل إنَّ الحسنات يُذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين » (٢) » (٣) .

فانظر وتأمل وقارن بين سرعة تساقط ذلك الورق اليابس من الشجرة ، وتساقط خطايا الإنسان بسبب محافظته على الصلوات الخمس ، تجد أنَّ هذا التشبيه قد بلغ الذروة في البيان والإيضاح ، لتقريبه إلى الأذهان « تكفير الذنوب بصورة غاية في الجمال والتجسيم ، فالذنوب والخطايا أثقال وأوزار معنوية ، ولكنها هنا في الحديث تبدو أمام أعين خيالنا أثقالاً حسية ملموسة » (٤) .  
وبهذا الإيضاح يكون التأثير قوياً على النفوس ، وبالتالي يحملها على العمل بحُب وإخلاص ، رجاءً فيما عند الله من الأجر الجزيل ، والفوز العظيم .

### ثانياً : قوة الإيضاح في بيان فضل الصيام

الصيام حاجزٌ قويٌّ وجدارٌ منيعٌ يقي صاحبه من الإثم ، والوقوع في المعصية ، وبالتالي يكون وقايةً له من عذاب يوم القيامة ، يدلُّ على ذلك ما ثبت في الصحيحين ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « الصيام

(١) - تحاتت خطاياهم أي تساقطت ، ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (٢٣٧/١) مادة : (حت) .

(٢) - سورة هود ، الآية : (١١٤) .

(٣) - أخرجه الإمام أحمد في " المسند " (٥٤٤/٥) ح (٢٣٧٠٢) وأورده المنذري في " الترغيب والترهيب " (٢٣٧/١) ، وقال : " رواه أحمد والنسائي والطبراني ، ورواه أحمد محتج بهم في الصحيح إلا علي بن زيد ، وحسنه الشيخ الألباني في كتابه " صحيح الترغيب والترهيب " (١٤٤/١) ح (٣٥٩) .

(٤) - " التصوير الفني في الحديث النبوي " مرجع سابق (ص/٣٠١) .

جَنَّةٌ ... » (١) ، ولأهميته في تقويم سلوك الفرد ، وصلاح الأمم والشعوب ، كان عبادة مفروضة على جميع الأمم قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ (٢) . ولهذا فقد أوضح الرّسول ﷺ فضّله بأسلوب أخاذٍ مُحبّبٍ إلى النفوس .

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « قال الله عز وجل : كُلْ عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به . والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك . للصائم فرحتان يفرحهما : إذا أفطر فرح وإذا لقي ربه فرح بصومه » (٣) .

ففي هذا الحديث وازن الرسول ﷺ موازنة حسية عن طريق حاسة الشّم وازن بين رائحة كريهة مستقدرة طبعاً ، تخرج من فم الصائم من جراء خلو معدته من الطعام ، وبين رائحة المسك التي هي من أفضل الروائح الطيبة التي يستعملها المخاطبون آنذاك .

وبهذا التفضيل لخلوف فم الصائم ظهر فضل الصائم عند الله بشكل واضح وجلي وقوة الإيضاح في الخطاب النبوي تكمن في الموازنة بين رائحتين الأولى منهما كريهة ، والثانية طيبة محبوبة ، وفجأة بين الرسول ﷺ أنّ الرائحة الأولى أحب إلى الله تعالى من الثانية ، ولم يقتصر الرسول ﷺ في بيان فضل الصيام على وسيلة واحدة ، بل استخدم وسائل متعددة ومتنوعة منها ما جاء في حديث أبي أمامة - رضي الله عنه - أنّ النبي ﷺ قال « من صام يوماً في سبيل الله جعل الله بينه وبين النار خندقاً (٤) كما بين السماء والأرض » (٥) .

فإذا كان من صام يوماً واحداً يبتغي وجه الله تعالى ، يحصل له هذا البعد العظيم عن النار فما بالك بمن يصوم الأيام الكثيرة ؟ ، إن الخندق معروف يعرفه

- (١) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الصوم ، باب : فضل الصوم ، (٥٦٤/٢) ح (١٨٩٤) ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الصيام ، باب فضل الصيام ، (٦٦٣/٢) ح (١٦٢/١١٥١) .
- (٢) - سورة البقرة ، الآية : (١٨٢) .
- (٣) - متفق عليه : سبق تخريجه (ص/١٩٢) من الفصل الأول .
- (٤) - " الخندق " : كجعفر ، وهي حفير حول أسوار المدن ، وهي كلمة مُعَرَّبَةٌ . ينظر " القاموس المحيط " (ص/١١٣٨) ، " المعجم الوسيط " (ص/٢٥٨) .
- (٥) - سبق تخريجه " (ص/١٩٣) .



المخاطبون ، يُحفر على المدن لحمايتها من الأعداء ، والمسافة بين طرفيه قصيرة ، لكن أن يكون عرض هذا الخندق كما بين السماء والأرض فهذا فضل عظيم ، وثواب جزيل ، لا يقدر عليه إلا رب السماوات والأرض الغني القادر على كل شيء والذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء - سبحانه وتعالى .

ومن خلال ما تقدّم يبرزُ فضل الصيام بجلاء ووضوح للمخاطبين وغيرهم من المؤمنين من أمة محمد ﷺ إلى أن تقوم الساعة ، وبالجملة فإن الرسول ﷺ قد أوضح فضل الصيام وقرب ذلك في صور حسية ، جعلت الخطاب النبوي في غاية من الوضوح والجلاء .

### ثالثاً : قوة الإيضاح في بيان فضل الجهاد

الجهاد في سبيل الله تعالى ذروة سنام الإسلام ، يدل لذلك حديث معاذ بن جبل - رضي الله عنه - قال ﷺ : « رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد »<sup>(١)</sup> ، وهو سرّ قوة المسلمين ، يقول ﷺ : « نُصرت بالرعب مسيرة شهر »<sup>(٢)</sup> .

وقد تمسكت به الأمة في أول عهدا فأعزّها الله به في الدنيا والآخرة ، وفرطت فيه في آخر أمرها وأخذت إلى الدنيا وزينتها ، وركنت إلى القوم الكافرين ، فأذلّها الله تعالى عقوبة منه لتعطيها هذه الفريضة العظيمة ، يقول ﷺ : « إذا تبايعتم بالعيّنة<sup>(٣)</sup> ، وأخذتم أذناب البقر ، ورضيتم بالزرع ، وتركتم الجهاد ، ساءط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم »<sup>(٤)</sup> .

والجهاد في سبيل الله من أجلّ العبادات وأزكاها وأحبها إلى الله تعالى ، وما أعظم أن وجود الإنسان بنفسه لله تعالى ، رجاء فيما عنده ، ولذلك وعد الله بجزييل الجزاء ، وأعظم العطاء يوم القيامة لمن قُتل في سبيله .

(١) - أخرجه الإمام الترمذي في "سننه" كتاب الإيمان ، باب حرمة الصلاة ، (١٢/٥) ح (٢٦١٦) ، وصححه الشيخ الألباني في كتابه : "صحيح سنن الترمذي" (٣٢٨/٢) ح (٢١١٠) .

(٢) - "سبق تخريجه" (ص/١١٨) .

(٣) - "العيّنة" بالكسر : هي أن يأتي الرَّجُل ليستقرضه فلا يرغب المقرض في الإقراض طمعا في الفضل الذي لا يُنال بالقرض ، فيقول : أبيعك هذا الثوب بآثني عشر درهماً إلى أجل وقيمته عشرة ، وسمي : عينة لأن المقرض أعرض عن القرض إلى بيع العين . ينظر : "التعريفات" للجرجاني (ص/٢٠٦) .

(٤) - أخرجه الإمام أبو داود في "سننه" كتاب البيوع والإجازات ، باب في النهي عن العينة ، (٧٤٠/٣) ح (٣٤٦٢) ، وصححه الشيخ الألباني في "صحيح سنن أبي داود" (٣٦٥/٢) ح (٣٤٦٢) ، وهو أيضاً

في "سلسلة الأحاديث الصحيحة" (١٥/١) ح (١١) .

وقد أوضح الرسول ﷺ بعض ذلك الفضل العظيم في صور حسية معروفة عند المخاطبين فمن ذلك :

ما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « إنَّ في الجنّة مائة درجة أعدّها الله للمجاهدين في سبيل الله ، ما بين الدّرجتين كما بين السماء والأرض » (١) .

وقوة الإيضاح والبيان في هذا الحديث تكمن في أمرين :

الأول : البشارة التي يكتنفها التشويق والإثارة بذكر العدد في الدرجات التي أعدّها الله تعالى للمجاهدين في سبيله ، فالمدعو عندما يعلم أن للمجاهد مائة درجة في الجنّة فهذا فضل عظيم ، يستحق من المسلم أن يبيع نفسه رخيصة في سبيل ذلك .

الأمر الثاني : استعمال الرسول ﷺ أمورا حسية مُشاهدة لتحديد المسافة بين تلك الدّرجات المُعدّة للمجاهدين ، فقال ﷺ : « ما بين الدّرجتين كما بين السماء والأرض » .

أي أنّ البعد بين الدّرجتين فقط كما بين السماء والأرض ، فما بالك بمائة درجة تكون المسافة بين كل درجتين منها مثل ذلك ؟ إنّ ذلك فضل عظيم ومنزلة رفيعة وحفاوة ربّانية عالية ، ولمثل هذا فليعمل العاملون .

إنّ هذا المنهج الدّعوي الذي استعمله الرسول ﷺ في بيان منزلة المجاهدين في سبيله قد بلغ درجة عالية من الإيضاح للمخاطبين من صحابته - رضي الله عنهم - ولمن بعدهم ، فما أحرى الدّعاة والمصلحين أن يلتزموا بهذا المنهج النبوي المؤثر لترغيب المسلمين في الجهاد في سبيل الله تعالى ، وبخاصة في هذه الأيام التي يتكالب فيها الأعداء على إخواننا المسلمين في « كوسوفا » - فرج الله كُربتهم ، وأزال محنتهم ، ونصرهم الله على عدو الإسلام والمسلمين - .

(١) - أخرجه الإمام البخاري بطوله في " صحيحه " كتاب الجهاد والسير ، باب : درجات المجاهد في سبيل الله (٨٦٤/٢) ح (٢٧٩٠) .

## المسلك الثالث

### الإيضاح في مجال الأخلاق

تقدم الحديث عن فضل الأخلاق المحمودة وأهميتها في حياة المسلم ، وكيفية استخدام الرسول ﷺ بالمنهج الحسي في تقويم الأخلاق وتهذيبها ، والتحذير من الأخلاق المذمومة ، وتصويرها في أشع صورة ، وذلك للابتعاد عنها وتجنبها ، وهنا سيكون الحديث - إن شاء الله تعالى - عن قوة الإيضاح التي صاحبت دعوة الرسول ﷺ بالمنهج الحسي في ضوء الأمثلة التالية :

#### أولاً : قوة الإيضاح في العث على صعبة الأخيار والتحذير من صعبة الأشرار

الأخلاق أخذ وعطاء وتأثر وتأثير ، والمرء يتأثر بالبيئة التي يعيش فيها ، والناس الذين يحيطون به ، وفي الحديث التالي نتعرف على قوة الإيضاح التي برزت في منهج الرسول ﷺ في دعوته للناس بالمنهج الحسي .

فعن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ ، قال : « مثل الجليس الصالح والسوء ، كحامل المسك ، ونافخ الكير ؛ فحامل المسك إما أن يحذيك ، وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة ، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد ريحاً خبيثة » (١) .

تمثيل نبوي في غاية الروعة والجمال ، وتصوير للمعاني تتجلى فيه البلاغة النبوية في أبهى صورها « فأمامك صورة حية ناطقة للجليس الصالح ، الذي ترتاح إليه نفسك ، ويأنس به قلبك ، وتبتهج به روحك ، فيكون ملء العين والقلب ، تسعد بصحبته وتأخذ منه وتعطيه ، وتتأثر به ويتأثر بك » (٢) .

وصورة حية أخرى لجليس السوء ، فهو سيء الباطن ، مظلم الظاهر ، لا يضمير الخير لغيره ، فاسد الدين والعقيدة ، قبيح الفعل والسيره ، إذا تكلم لا يتكلم إلا بسوء ، وإذا سكت لا يسكت إلا على الشر ، فهو إما أن يُعْدي من حوله بسوء

(١) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الذبائح والصيد ، باب : المسك ، (٤/١٧٧٨) ح (٥٥٣٤) واللفظ له ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب البر والصلوة والأدب ، باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء ، (٤/١٦٠٨) ح (٢٦٢٨) .

(٢) - " من روائع الأدب النبوي " تأليف الدكتور / كامل سلامة الدقس ، (ص/١٧١) دار الشروق للنشر والتوزيع ، جدة ، بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها .

الأخلاق وشُرور الأفعال فيضلمهم ويفسدهم ، وإمّا أن يشوّه سمعتهم فيظن النّاس بهم الظّنون .

ولو حاولنا التعرف على وجه الشبه بين الجليس الصالح وبائع المسك وجدناه واضحاً جلياً لا يحتاج إلى كدّ ذهن ولا إعمال فكر .

« أما جليس السوء فهو كنافخ الكير وهو الحدّاد الذي ليس في دُكّانه سوى الحديد والنار ، وهذا تشبيهه رائع بليغ منه ﷺ ، إذ صور نوع الجليس السوء بمثل الحدّاد الذي ليس لديه سوى أدوات القتل والدّمّار ، وليس في دُكّانه سوى الدّخان ولهيب النار ... ، ولكلّ من يقترب منه سوء الجزاء ، فهو إمّا أن يصاب بشرر ناره فيحترق ، وإمّا أن يشمّ منه روائح فاسدة لا طيب فيها ولا سعادة ، وهو في كلا الحالتين مصاب » (١) .

وعند التأمّل في هذا الحديث وما حواه من إيضاح وبيان نجد أنّ ذلك يرجع إلى أمور منها :

- ١ - أنّ الخطاب خرج من فم الرسول ﷺ ، وهو أفضل من نطق بالضاد ، بلاغة وإيضاحاً وبيانا .
- ٢ - وسائل الإيضاح التي استعملها الرسول ﷺ للحث على مصاحبة الجليس الصالح ، ومفارقة جليس السوء ، معروفة ومؤثرة مأخوذة من بيئة المخاطبين .
- ٣ - إثارة الرسول ﷺ لحواس متعددة في آن واحد ، وهذا مما يزيد المعنى وضوحاً وجلاءً ، والإثارة الحسية كانت لحاسة السمع والبصر والشمّ ، وقد أشار بعض الكتاب المعاصرين إلى هذا المعنى فقال : « وتأمّل هذه الصورة البديعة التي أخرجت هذا المعنى إلى صورة المحسوس المشاهد ، تراه العين فتسعد برؤيته وتسمعه الأذن فتلتذّ بسماعه ، ويشمّ الأنف فيبتهج به ، إنّ المعنى لا يصل عن طريق العقل وحده ، ولا الحواس وحدها ، ولا عن طريق القلب وحده ، أو الخيال وحده ؛ بل عن طريق هذه الطّرق مجتمعة » (٢) . فكان هذا التصوير الحسي لتلك المعاني المجردة في غاية الإيضاح والبيان .

(١) - " قطوف من الأدب النبوي " تأليف رياض صالح جنزولي ، (ص/٧٤) ، مرجع سابق .

(٢) - " من روائع الأدب النبوي " مرجع سابق (ص/١٧١) ، مرجع سابق .

### ثانياً : قوة الإيضاح في وصف المنافقين والتحذير من النفاق

النفاق صفة قبيحة ، وخصلة مذمومة ، تدلُّ على مرض النفس التي تصاب به وخبثها ، « ومن أهم صفات المنافق أنّه حائر متردد محروم من الانتماء فلا هو مسلم ، ولا هو كافر » (١) ، وقد صور الرسول ﷺ هذه الحال تصويراً حسياً واضحاً فعن ابن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال : « مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين . تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة » (٢) .

المتأمل في هذا الحديث يجدُّ أن درجة الإيضاح والبيان عالية جداً وذلك لأن الأمور الحسية التي استعملها الرسول ﷺ في البيان معروفة ومألوفة ومأخوذة من البيئة القريبة من أعين المخاطبين ، وبما أن المدعويين آنذاك يهتمون بالرعي فقد أثار الرسول ﷺ أذهانهم بتشبيهه المنافق بالشاة التي لا يُعرف لها مالك وهي تتردد بين قطيعين من الغنم لا تدري إلى أيهما تتبع ؛ لأنّها لا تنتمي لواحد منهما .

فكذلك المنافق يعيش حيران متذبذباً ، « لا يثبت مع طائفة واحدة سواء أكانت على الحق أم على الباطل ، فهو لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، فهو حائر بين طاعة ربه - عز وجل - وبين طاعة أهوائه ومصالحه الدنيوية ، أو هو حائر بين الانتماء إلى الإسلام وأهله ، وبين دين الكفر ومن هم عليه » (٣) .

يقول الإمام القرطبي - رحمه الله - « وهذا الحديث مناسب لقوله تعالى : ﴿ مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ﴾ (٤) » (٥) .

وإضافة إلى هذا الإيضاح الذي قام به الرسول ﷺ باستخدامه هذا المنهج الدّعوي ، فقد كشف للمؤمنين ضعف المنافقين وجعلهم في صورة حقيرة تشمئز منها النفوس ، « فهو لم يتخير الخيل ولم يتخير الإبل وإنما تخير الشاة ووصفها بالشاة العائرة وفي هذا إشارة إلى مكانة المنافق الحقيرة » (٦) .

- (١) - " نظرات فقهية وتربوية في أمثال الحديث " د . عبدالمجيد محمود . (ص/٢٦١) ، مرجع سابق .
- (٢) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب : ١٧ ، (٤/١٧٠٣) ح (٢٧٨٤) .
- (٣) - " الحكم والأمثال النبوية من الأحاديث الصحيحة " سميح عباس ، (ص/٢٤٨) ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ط : ١ ، ١٤١٤هـ .
- (٤) - سورة النساء ، جزء من الآية : (١٤٣) .
- (٥) - " المفهم لما أشكل من صحيح مسلم " (٧/٣٣٨) .
- (٦) - " أثر التشبيه في تصوير المعنى - قراءة في صحيح مسلم " مرجع سابق " (ص/٢٨٣) .

وبهذا التصوير الرائع الجميل يكون الرسول ﷺ قد كشف عوار المنافقين ،  
وفضح دسائستهم ، وجلّى للمؤمنين وصفهم ، حتى يتقوا شرّهم ، ويحذروا من  
الاتصاف بصفاتهم ، ليسلموا من غضب الله ومقته ، ومن العذاب الأليم الذي أعدّه  
الله للمنافقين يوم القيامة ، يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ  
وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ (١) .

(١) - سورة النساء ، الآية : (١٤٥) .

**المطلب الثاني : خصيصة عمق التأثير وقوته في نفوس المخاطبين .**

وفيه تمهيد وثلاثة مسالك :

**المسلك الأول : قوة التأثير في مجال العقائد والغيبيات .**

**المسلك الثاني : قوة التأثير في مجال الأحكام .**

**المسلك الثالث : قوة التأثير في مجال الأخلاق .**

## المطلب الثاني

### خصيصة عمق التأثير وقوته في نفوس المخاطبين

#### تمهيد

من المعلوم أنّ الحديث النبوي يأتي في المرتبة الثّانية بعد القرآن الكريم ، قال ﷺ : « ألاّ إنّي أوتيت الكتاب ومثله معه ... » (١) ، وهو وحي من الله تعالى ، قال الله تعالى : ﴿ وما ينطق عن الهوى \* إنّ هو إلّا وحيّ يوحى ﴾ (٢) ، وقد بلغ الرسول ﷺ الدّروة البشرية في الفصاحة والبلاغة والبيان ، وذلك « أمر لا يشك فيه عاقل ، ذلك أنّ القوم الذين أرسل إليهم هم أئمة البيان ، وهم في خصومته قوم لدّ ، لا تنقطع بهم حجّة ولا يعوزهم منطق بليغ ، قد نعتوا الرّسول ﷺ بأوصاف عديدة كيدا ومخاصمة ، ولكنهم لم يستطيعوا أن ينعتوه بما ينال من فصاحته لأنّهم يعلمون أنّ مثل هذه الفريّة زائفة باطلة لدى دهماء النّاس قبل خاصّتهم من ذوي البصر والأساليب الجميلة .. والذي مكن لفصاحته ﷺ أن تنمو وتقوى ويشتدّ أثرها تأثره ﷺ بأسلوب القرآن ، وذلك أمر طبيعي ، فعلى قلبه المتصل بجلال الله تنزّل القرآن » (٣) .

« ولم يتكلم - عليه الصلاة والسلام - إلا بكلام قد حُفّ بالعصمة وشيّد بالتأييد ويُسرّ بالتوفيق ، وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة ، وغشاه بالقبول ، وجمع له بين المهابة والحلاوة ، وبين حُسن الإفهام ، وقلة عدد الكلام » (٤) .

ولعلّ أهم صفة يحظى بها الكلام البليغ أن يفهمه السّامعين ويؤثر فيهم بما يشتمل عليه من أدلة منطقية وألفاظ جزلة ، تُراعى فيها أحوال المخاطبين وتتدفق عباراتها من غير تكلف فتسري في أعماق النفوس والضمائر وتأسر القلوب بجمالها وهيبتها ورونقها اللّامع ، ولا يحظى بهذه الهيبة كلام السّحرة ولا الكهنة ولا شعر الشّعراء ، كما لاحظ ذلك أحد المخاطبين من صحابة رسول الله ﷺ

(١) - أخرجه الإمام أبو داود بتمامه في " سننه " كتاب السنّة ، باب في لزوم السنة (١٠/٥ - ١٢) ح (٤٦٠٤) والإمام أحمد في " مسنده " (١٨٠/٤) ح (١٧١٤٣) ، وصححه الشيخ الألباني في " صحيح سنن أبي داود " (١١٧/٣ - ١١٨) ح (٤٦٠٤) .

(٢) - سورة النّجم : الآية (٤) .

(٣) - " التصوير الفني في الحديث النبوي " (ص/٢١ - ٢٢) .

(٤) - " البيان والتبيين " تأليف / عمرو بن بحر الجاحظ (١٧/٢) تحقيق : عبدالسلام هارون (١٧/٢) .



وهو ضمامد الأزدي - رضي الله عنه (١) - أول ما سمع كلام رسول الله ﷺ : « إن الحمد لله . نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله . أما بعد » .  
قال : فقال : أعد عليّ كلماتك هؤلاء ، فأعادهنّ عليه رسول الله ﷺ . ثلاث مرات قال . فقال : لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء .  
فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء . ولقد بلغن ناعوس (٢) البحر . قال . فقال : هات يدك أبايعك . قال : فبايعه . فقال رسول الله ﷺ : « وعلى قومك » قال : وعلى قومي ... » (٣) .

وعلى العموم فأسلوب الحديث النبوي يمتاز بالجزالة والوضوح ، والدقة في الوصف والتعبير والإبداع في التشبيه ، ومعانيه تغوص في أعماق النّفس الإنسانية وتؤثر فيها تأثيراً كبيراً وليس شيء أفضل بعد القرآن منه تأثيراً في نفوس المدعوين . وكان من منهجه ﷺ في دعوته للناس ، استخدام المنهج الحسي ، وذلك لما يمتاز به من قوة التأثير وترسيخ المعاني في نفوس المخاطبين ، ومما أكسبه هذه القوة ، الوضوح وقد تقدم الحديث عنه ، وتقريبه للأشياء البعيدة عن ذهن المخاطب وعرضها أمامه في صورة ذهنية حسية وكأنه يراها بعينه ، وملامسة وسائل الإيضاح الحسية لبيئة المخاطب وشؤون حياته اليومية واستعمال أساليب الترغيب والترهيب التي لها أعظم الأثر في حثّ المخاطب على فعل الخيرات والطمع فيما عند الله وتفكيره من الشرّ ، والخوف من عذاب الله وأليم عقابه ، والأمثلة في هذا الباب كثيرة جداً ، ولكني سأقتصر على الأمثلة التي كان التأثير فيها مباشراً وسريعاً على المخاطب ولذلك كانت استجابته في الحال ، وذلك في المسالك التالية :

- (١) - هو ضمامد بن ثعلبة الأزدي من أزد شنوءة ، وفي حديثه أنه قدم مكة ، وكان يركي ، فسمع أهل مكة يقولون محمد ساحر ، أو كاهن أو مجنون ، فلقبه فقال : يا محمد إني أعالج ، فقال رسول الله ﷺ : " إن الحمد لله ... الحديث " . ينظر ، الإصابة في تمييز الصحابة " (٢٠٢/٢) .
- (٢) - " ناعوس البحر " قال القاضي عياض : ( ناعوس ) : بالنون ذكره أبو مسعود الدمشقي في كتاب أطراف الصحيحين ، وعبدالله بن أبي نصر الحميدي في كتاب الجمع بين الصحيحين ( قاموس ) بالميم ، وقال بعضهم : هو الصواب ، قال أبو عبيد : ناقوس البحر وسطه - أو لجهته ، أو قعره الأقصى " . " إكمال المعلم بفوائد مسلم " (٢٧١/٣ ، ٢٧٢) .
- (٣) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الجمعة ، باب تخفيف صلاة الجمعة ، (٤٩٦/٢) ح (٨٦٨) .

## المسلك الأول

### قوة التأثير في باب العقائد والغيبيات

تقدم الحديث عن بيان المنهج الحسي فيما يتعلق بالعقائد والغيبيات ، وكان من خصائصه التأثير العميق في نفوس المخاطبين ولعلنا نتعرف على شيء من ذلك من خلال الأمثلة التالية :

#### أولاً : قوة تأثير المعجزات المسبية على المخاطبين

عن عبدالله بن عباس - رضي الله عنه - قال : جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ قال : **بِمَ أعرف أنّك رسول الله؟! قال :** « إن دعوت الله هذا العذق من هذه النخلة تشهد أنّي رسول الله » **فجعل ينزل من النخلة حتى سقط إلى النبي ﷺ ثم قال :** « ارجع » **فعاد فأسلم الأعرابي (١) .**

ولقد كان الرسول ﷺ حريصاً على هداية الناس جميعاً ، وكان من منجه في الدّعوة إلى الله تعالى استثمار المناسبات وتطويرها لصالح الدّعوة ، واستخدام جميع الأساليب والوسائل المشروعة المتاحة في عصره . والمعجزات الحسية من الوسائل التي يؤيد بها الأنبياء ، لتكون أدلة واضحة على صدقهم ، وحجة قوية تدفع خصومهم .

ولذا استثمر الرسول ﷺ مجيء ذلك الأعرابي الكافر الذي جاء يطلب منه دليلاً على صدق نبوته ، فسأل الرسول ﷺ ربه أن يؤيده بما يكون سبباً في هداية هذا الأعرابي فأجابه ، فقال الرسول ﷺ : « إن دعوت الله هذا العذق من هذه النخلة تشهد أنّي رسول الله » وفي رواية الإمام الحاكم أنه قال : « نعم » (٢) **فجعل ينزل من النخلة حتى سقط إلى النبي ﷺ ، ثم قال :** « ارجع » **فعاد .**

إنه مشهد حسي مؤثر ، عذق يتحرك حركة الأحياء ، ويستجيب للرسول ﷺ استجابة العقلاء ، والمخاطب يرى هذه المعجزة التي لا يمكن أن تتحقق إلا لنبي

(١) - " سبق تخريجه في الفصل الأول " (ص/٧٦) .

(٢) - أخرجه الإمام الحاكم في " المستدرک " (٦٧٦/٢ - ٦٧٧) ح (٤٢٣٧) ، وقال : " هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه " ووافقه الذهبي .

ومن ثمَّ يبادر فنطق بالشهادة لأنَّ ذلك المشهد أثَّر في نفسه تأثيراً عميقاً ، كان سبباً في إسلامه واقتناعه بصدق نبوة محمد ﷺ ، وأنه رسول الله حقاً .

ولم يكن الرسول ﷺ يستخدم المعجزات الحسيَّة لدعوة الكفار والمشركين وغيرهم فحسب ، بل كانت دعوته بهذه الوسيلة المؤثرة للمسلمين أيضاً ، وانظر إلى هذه القصة التي يخبرنا بها أحد الصحابة - ﷺ - فعن يعلى ابن مرة عن أبيه ، قال كنت مع النبي ﷺ في سفر فأراد أن يقضي حاجته ، فقال لي : « انت تلك الأشأعتين » ( قال وكيع : يعني النخل الصغار ) . « فقل لهما : إن رسول الله ﷺ يأمركما أن تجتمعا » . فاجتمعا . فاستتر بهما . فقضى حاجته ، ثم قال لي : « انتهما ، فقل لهما : لترجع كل واحدة منكما إلى مكانها » فقلت لهما . فرجعتا (١) . إنه منظر مؤثر في النفوس ، ومشهد يزيد في الإيمان ، والتصديق بنبوة محمد ﷺ .

#### ثانياً : قوة التأخير في وصف السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة من أمة محمد ﷺ

عن أبي هريرة - ﷺ - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يدخل الجنة من أمتي زمرة (٢) هم سبعون ألفاً ، تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر » . وقال أبوهريرة : فقام عكاشة بن محصن الأسدي (٣) يرفع نمرة (٤) عليه ، فقال : يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال : « اللهم اجعله منهم » . ثم قام رجل من الأنصار (٥) فقال : يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال : « سبقك بها عكاشة » (٦) .

(١) - سبق تخريجه " (ص/٧٦) .

(٢) - " زمرة " أي جماعة في تفرقة بعضهم إثر بعض ، وجمعها زمر . " مشارق الأنوار " (٣٨٨/١) مادة : (زمر) .

(٣) - هو : عكاشة بن محصن بن حرثان بن قيس الأسدي ، حليف بني عبد شمس كان من سادات الصحابة ، وشهد بدرأ والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وبشره ﷺ بدخول الجنة بغير حساب ، قتل في حرب الردة في خلافة أبي بكر - قتلته طلحة بن خويلد الأسدي الذي ادعى النبوة . ينظر : " أسد الغابة " (٣٠٢/٤) ، " الأعلام " (٢٤٤/٤) .

(٤) - " النمرة " كساء فيه مواضع سود وحمراً وبيض يشبه لون جلد النمر . ينظر : " إكمال المعلم بفوائد مسلم " للقاظمي عياض ، (٦٠٤/١) .

(٥) - قيل إن ذلك الرجل لم يكن عند النبي ممن يستحق ذلك ، ولا من أهل تلك الدرجة والصفة الموصوفة كما كان عكاشة ، وقيل غير ذلك . ينظر : " إكمال المعلم بفوائد مسلم " (٦٠٤/١) .

(٦) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الرقاق ، باب : يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب (٢٠٤٩/٤) ح (٦٥٤٢) ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الإيمان ، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب ، (١٦٧/١) ح (٣٦٩/٢١٦) .

هذا الحديث العظيم يحمل في طياته التشويق والإثارة ، ولفت الانتباه ، مما جعل المخاطبين يتفاعلون معه ، لما فيه من الفضل العظيم ، والخير العميم ، ويتضح ذلك فيما يلي :

أ - قول الرسول ﷺ : « يدخل الجنة من أمتي زمرة هم سبعون ألفاً ... » .

فشهد الرسول ﷺ لهذه الزمرة بالجنة ، وهذا غاية ما يطمح إليه المؤمنون ، وبين أنهم من أمته ، وحدد عددهم بسبعين ألفاً ، وهذا بالنسبة لعدد الأمة يعتبر قطرة من بحر .

ب - وصفهم الرسول ﷺ بوصف أثار اهتمام المخاطبين بقوله : « تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر » .

فشبهه ﷺ إشراقه وجوههم ونضارتها بإشراقه القمر ليلة البدر ، أي غاية اكتماله وتمامه .

وعليه فإن هذا التشبيه البليغ ، والوصف الدقيق كان له عظيم الأثر في نفوس المخاطبين ولذلك سألوا الرسول ﷺ عن الأسباب التي تجعلهم يحصلون على هذه المنزلة الرفيعة كما جاء ذلك في حديث عمران بن حصين - رضي الله عنه - قال : قال نبي الله ﷺ : « يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب » قالوا : ومن هم يا رسول الله ؟ قال : « هم الذين لا يكتوون ، ولا يسترقون ، وعلى ربهم يتوكلون ... » الحديث (١) .

وانتهز الفرصة الصحابي الجليل عكاشة بن محصن الأسدي - رضي الله عنه - وقام يرفع كساءه بيده ويقول : يا رسول الله أدع الله أن يجعلني منهم ، فقال : « اللهم اجعله منهم » ، وقد فاز ورب الكعبة . وقام رجل آخر يطلب من الرسول ﷺ أن يدعو الله له أن يكون منهم ، فقال ﷺ : « سبقك بها عكاشة » .

وقد ثبت في الحديث الصحيح أن هؤلاء السبعين ألفاً هم أول من يدخل الجنة من أمة محمد ﷺ ، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والذين يلونهم على أشد كوكب

(١) - أخرجه الإمام مسلم بتمامه في " صحيحه " كتاب الإيمان ، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ، ولا عذاب (١٦٨/١) ح (٢١٨) .

دُرِّي في السماء إضاءة ، لايبولون ولايتغوظون ولايمتخطون ولا يتقلون ،  
 أمشاطهم الذهب ، ورشحهم المسك ، ومجامرهم الأثوة<sup>(١)</sup> ، وأزواجهم الحور العين  
 أخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء<sup>(٢)</sup> .  
 ولنتأمل هذه الرواية وما اشتملت عليه من قوة التأثير في نفوس المخاطبين  
 ورغبتهم الأكيدة أن يكونوا من الزمرة الأولى ، فقد شبه الرسول ﷺ وجوه أول  
 زمرة يدخلون الجنة بالقمر ليلة البدر ، ثم شبه وجوه الذين يلونهم بأضواء نجم في  
 السماء ... ثم كذلك ... وهي بلاغة نبوية عالية في توضيح الأشياء وترغيب  
 المؤمنين في الازدياد من العمل حتى يكونوا من أهل الزمرة الأولى<sup>(٣)</sup> .  
 وبالجملة فقد كان لهذا الوصف الدقيق ، والتشبيه الرائع الجميل أثرٌ عميقٌ في  
 نفوس المخاطبين من صحابة رسول الله ﷺ يتضح ذلك من سرعة الاستجابة لهذا  
 الترغيب فيما عند الله من الفضل العظيم ، ولذلك قال بعضهم : من هم يارسول الله ؟  
 والبعض يقول : ادع الله يا رسول الله أن يجعلني منهم .  
 وبهذا يتضح أنّ الدعوة إلى الله تعالى بالمنهج الحسي لها أثرٌ بليغٌ في نفوس  
 المدعوين ، فعلى الدعاة والمصلحين والمربين الاستفادة من هذا المنهج الدعوي  
 المؤثر ، حتى تحظى دعوتهم بالقبول ، ويُقربوا دين الله تعالى إلى أذهان الناس في  
 أجمل صورة ، وأوضح عبارة .

(١) - " الأثوة " : بفتح الهمزة وضَمِّها واللام المضمومة ، قال الأصمعي : هو العود الذي يتخرب به ،  
 والكلمة فارسية عُرِّبَت . ينظر : " مشارق الأنوار على صحاح الآثار " (٤٩/١) مادة : (الو) .  
 (٢) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، (١٧٢٨/٤) ح (١٥/٢٨٣٤) .  
 (٣) - يُنظر : " أثر التشبيه في تصوير المعنى - قراءة في صحيح مسلم " مرجع سابق (ص/٥٩) بتصريف  
 يسير .

## المسلك الثاني

### قوة التأثير في مجال الأحكام

لقد أعطى الله رسولنا محمداً ﷺ جمال العبارة وقوة البيان ، فكان أفصح العرب ولذا كانت كلماته وإن قلت ألفاظها تترك أثراً قوياً في نفوس السامعين ، فيتخلون عن أشياء كانت عالقة بنفوسهم ، ممتزجة مع طبائعهم ، ويفاصلونها مفاصلة نهائية لا رجعة فيها ، ويعلنون ذلك فور سماعهم الخطاب النبوي وسأذكر أمثلة برز فيها أثر الخطاب في مجال الأحكام وما يتصل بالحلال والحرام فيما يلي - إن شاء الله تعالى :-

#### أولاً : الترهيب من الغلول وبيان حال الغال يوم القيامة

كان رسول الله ﷺ يُعظم أمر الحقوق العامة ، ويبرز خطورة التعدي عليها أو النيل منها ، بل حذر من التعدي أيضاً على الحقوق الخاصة ببيانه أنها - وإن قلت - فلا بد أن تؤدي إلى أصحابها يوم القيامة ، ومن الحقوق العامة الغنائم ، ولذا بين الرسول ﷺ خطورة الاعتداء عليها أو إخفاء شيء منها ، وكذلك جباة الأموال حذرهم من أخذ الهدايا وجعلها غلولا ، فعن عدي بن عميرة الكندي (١) - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من استعملناه منكم على عمل ، فكنتمنا مخيظاً فما فوقه ، كان غلواً يأتي به يوم القيامة » قال : فقام إليه رجل أسود ، من الأنصار . كأنني أنظر إليه . فقال : يا رسول الله ! اقبل عني عمك . قال : « وما لك ؟ » قال : سمعتك تقول كذا وكذا . قال : « وأنا أقوله الآن . من استعملناه منكم على عمل فيجيء بقليله وكثيره . فما أوتي منه أخذ . وما نهي عنه انتهى » (٢) .

الخطاب النبوي في هذا الحديث موجة إلى الولاة والعمال المؤمنين على المال العام وكل ما يتعلق ببيت مال المسلمين ، ولا يقتصر الأمر على ذلك ، بل كل

(١) - هو : عدي بن عميرة الكندي ، أبو زرارة ، صحابي معروف ، له رواية في الصحيح ، روى عنه أخوه العرس ، توفي بالكوفة سنة (٤٠هـ) ، وقيل بالجزيرة ، ، ينظر : " الإصابة في تمييز الصحابة (٢/٤٦٣ - ٤٦٤) ، " تقريب التهذيب " (ص/٣٨٨) .

(٢) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الإمارة ، باب غلظ تحريم الغلول ، (٣/١١٦٤) ح (١٨٣٣) .

من أوتئمن على أي مصدر مالي يرجع ريعه لبيت مال المسلمين ، وكان الرسول ﷺ يحذر من ذلك وبخاصة في أعقاب الغزوات ، لاجتماع الغنائم في أيدي المسلمين ، وقد حذر الرسول ﷺ في هذا الحديث من الغلول بأسلوب حسي مؤثر ، فقال : « من استعملناه على عمل فكتمنا مخيطةً فما فوقه كان غلولاً يأتي به يوم القيامة » . فضرب الرسول ﷺ بالمخيطة مثلاً مع أنه من أقل الأشياء قيمة ، وأحقرها في أعين الناس ، ومع ذلك فإن الغال سيحاسب عليه ، ويكون عذاباً وفضيحة يوم القيامة ، مما يدل على أن الغلول من الكبائر كما نقل ذلك الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم ؛ حيث قال : « وأجمع المسلمون على تغليظ تحريم الغلول ، وأنه من الكبائر » (١) .

وإذا كان هذا في المخيط ، فإن ما فوقه أشد عذاباً وأنكى عقوبة ، ولذلك فزرع الناس فزعاً شديداً ، وأثر فيهم هذا الترهيب تأثيراً قوياً ، مما جعل أحدهم يقوم وينادي يا رسول الله اقبل مني عمك .

ومثل ذلك ما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : خرجنا مع النبي ﷺ إلى خيبر ، ففتح الله علينا فلم نغنم ذهباً ولا ورقاً ، غنمنا المتاع والطعام والثياب ، ثم انطلقنا إلى الوادي ، ومع رسول الله ﷺ عبد له ، وهب له رجل من جذام ، يدعى رفاعه بن زيد (٢) من بني الضبيب ، فلما نزلنا الوادي قام عبد رسول الله ﷺ يحلُّ رحله ، فرمى بسهم ، فكان حنفة فقلنا : هنيئاً له الشهادة يا رسول الله ! قال رسول الله ﷺ : « كلاً والذي نفس محمد بيده ، إن الشملة (٣) لتلتهب عليه ناراً ، أخذها من الغنائم يوم خيبر ، لم تصبها المقاسم » . قال : فزرع الناس ، فجاء رجل بشراك أو شراكين . فقال : يا رسول الله ، أصبت يوم خيبر . فقال رسول الله ﷺ : « شراك من نار . أو شراكان من نار » (٤) .

(١) - " شرح النووي لصحيح مسلم " (٤١٢/١٢) .

(٢) - هو : رفاعه بن زيد بن وهب الجذامي ، من بني ضبيبة بن جذام ، قدم على النبي في هدنة الحديبية قبل خيبر في جماعة من قومه فأسلموا ، ثم بعته إلى قومه عامة ومن دخل فيهم يدعوهم إلى الله ورسوله فلما قدم إليهم أجابوا وأسلموا ، ينظر : " أسد الغابة " (١٨١/٢) ، " الإصابة " (٤٠٨/٢) .

(٣) - " الشملة " : هي كساء يتغطى به ويتكفأ فيه . ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (٥٠١/٢) مادة : (شمل) .

(٤) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب المغازي ، باب غزوة خيبر ، (١٢٨٥/٣) ح (٤٢٣٤) . والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الإيمان ، باب غلط تحريم الغلول وأنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون (١٠١/١) ح (١١٥) واللفظ له .

فانظر إلى قوة التأثير الذي أحدثه المنهج الحسي في نفوس المخاطبين من صحابة رسول الله ﷺ ، ولذلك كانت الاستجابة سريعة ، مما جعل المذنب يعترف بذنبه ، ويردّ ما أخذه من الغنائم إلى رسول الله ﷺ .

وقد صورّ الرسول ﷺ حال الغالّ يوم القيامة في أبشع صورة ، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم فذكر الغلّول فعظمه وعظّم أمره ، ثم قال : « لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رُغَاءٌ <sup>(١)</sup> .

- يقول يا رسول الله ! أغثني .
- فأقول : لا أملك لك شيئاً ، قد أبلغتك .
- لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة ، على رقبته فرس له حمّمة <sup>(٢)</sup> .
- فيقول : يا رسول الله ! أغثني .
- فأقول : لا أملك لك شيئاً ، قد أبلغتك .
- لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثُغَاءٌ <sup>(٣)</sup> .
- فيقول : يا رسول الله ! أغثني .
- فأقول : لا أملك لك شيئاً ، قد أبلغتك .
- لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح <sup>(٤)</sup> .
- فيقول : يا رسول الله ! أغثني .
- فأقول : لا أملك لك شيئاً ، قد أبلغتك .
- لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق <sup>(٥)</sup> .
- فيقول : يا رسول الله ! أغثني .
- فأقول : لا أملك شيئاً ، فقد أبلغتك .

(١) - "الرُغَاءُ" : صوت الإبل ، وهو دأبها عند رفع الأحمال عليها . ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (٢٤٠/٢) مادة : (رغا) .

(٢) - "الحمّمة" صوت الفرس دون الصهيل . ينظر : " المرجع السابق " (٤٣٦/١) مادة : (حمم) .

(٣) - "الثُغَاءُ" : صياح الغنم ، مفردة ثَغْوَةٌ ، ينظر : " المرجع السابق " (٢١٤/١) مادة : (ثغا) .

(٤) - "نفس لها صياح" : كأنه أراد بالنفس ما يغلّهُ من الرقيق من امرأة أو صبي . ينظر " فتح الباري " (٢١٥/٦) .

(٥) - "رقاع تخفق" : المراد بالرقاع : الثياب ، ومعنى تخفق : أي تضطرب ، إذا حركتها الرياح ، وأصل الخفق : الحركة . ينظر : " مشارق الأنوار " (٣٠٥/١) مادة : خفق . " فتح الباري " (٢١٥/٦) .



- لا ألفينٌ أحدكم يجيء يوم القيامة وعلى رقبتة صامت (١) .

- فيقول : يا رسول الله ! أغثني .

- فأقول : لا أملك لك شيئاً ، قد أبلغتك (٢) .

فانظر إلى هذا المشهد الذي ترتاع له النفوس ، وينقطع له نياط القلوب ، مشهد حسي مثير ، حتى كأنه معروض أمام أعيننا ، « فالبعير فوق عنق هذا الغال له رغاء بحيث لا يلفت حمله له على رقبتة أنظار الناس فحسب ، ولكن يشارك رغاؤه في مزيد الفضيحة والتشهير ، وإننا لنكاد نلمحه وهو بين الزحام ينؤ بحمله الثقيل ويتمنى الخلاص فلا يجد له سبيلاً ، فيأتي رسول الله ﷺ وقد عرّف أن له الشفاعة ويناديه : يا رسول الله ! أغثني . فأنا على ما ترى من الغم والكرب والفضيحة والعذاب . ويأتي الجواب المؤلم كأنه صاعقة تزيد من ألمه : « لا أملك لك شيئاً . قد أبلغتك » ، والفرس فوق رقبة الرّجل له حممة ... والمشهد نفسه متكرر .. والاستغاثة تتطلق .. ويتلقى الجواب ذاته ... والحوار المتكرر يُحوّل الصورة إلى مشهد يُعرض أمام أعين خيالنا والنّص كله كناية عن خسران الغال وفضيحته وعذابه (٣) .

### ثانياً : الترهيب من لبس خاتم الذهب للرجال

الزينة والجمال وحسن المظهر أمرٌ مرغوب فيه شرعاً ، يقول ﷺ : « إن الله جميل يحبّ الجمال » (٤) ، لكن إذا أدّى ذلك إلى الكبر والمخيلة ، والإسراف والتبذير فإنّه حرام يستحق صاحبه العقوبة ، وقد نهى الرسول ﷺ عن لبس خاتم الذهب للرجال ، مستعملاً المنهج الحسي للترهيب من لبسه ، فعن عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ رأى خاتماً من ذهب في يد رجل ، فنزعه فطرحة ، وقال : « يعمد

(١) - " صامت " : أي الذهب والفضة ، وقيل مالا روح فيه من أصناف المال . ينظر : " فتح الباري " (٢١٥/٦) .

(٢) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الجهاد ، باب : الغلول ، (٩٤٤/٢) ح (٣٠٧٣) ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الإمارة ، باب غلظ تحريم الغلول ، (١١٦٢/٣) ح (١٨٣١) .

(٣) - " التصوير الفني في الحديث النبوي " مرجع سابق (ص/١٣٠) .

(٤) - جزء من الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الإيمان ، باب تحريم الكبرويبانه (٨٩/١) ح (٩١) .

أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده» . فقيل للرجل - بعدما ذهب رسول الله ﷺ : خذ خاتمك انتفع به . قال : لا ، والله ، لا آخذُهُ أبداً ، وقد طرحه رسول الله ﷺ (١) .

فالذهب حرام على زكور أمة محمد ﷺ ، وحلّ لإناثها ، يدلّ لذلك ما رواه أبو موسى الأشعري - ﷺ - أن رسول الله ﷺ قال : « حرّم لباس الحرير والذهب على زكور أمّتي وأحلّ لإناثهم » (٢) .

وما جاء عن علي بن أبي طالب - ﷺ - أن النبي ﷺ أخذ حريراً ، فجعله في يمينه وذهباً فجعله في شماله ، ثم رفع يده وقال : « هذان حرام على زكور أمّتي » (٣) .

وليس خاتم الذهب يدخل تحت هذا الحكم ، ولذلك أنكر الرسول ﷺ عملياً على أحد الصحابة عندما رأى في يده خاتماً من ذهب فنزعه وطرحه على الأرض ، مبيناً - عليه الصلاة والسلام - وعيد من فعل ذلك بأسلوب حسي مؤثر ، حيث قال : « يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده » فجعل خاتم الذهب في يد الرجل جمرة من نار ، « وهذا كما يقول علماء البلاغة من قبيل المجاز المرسل باعتبار ما سيكون .. لكن الصّورة جعلته جمرة » (٤) .

ولمجيء الإنكار العملي من الرسول ﷺ ، وبيان الصّورة التي يُعذّب بها المتختم بالذهب ، في أن واحد ، كان لذلك أثرٌ عظيمٌ في نفس المخاطب ، بدليل سرعة استجابته وامتثاله لأمر رسول الله ﷺ ، فقد قيل له : خذ خاتمك وانتفع به ، أي بئمنه قال : لا والله ، لا آخذهُ أبداً ، وقد طرحه رسول الله ﷺ .

يقول الإمام النووي - رحمه الله - : « فيه إزالة المنكر باليد لمن قدر عليه ... ، والمبالغة في امتثال أمر رسول الله ﷺ واجتناب نهيه ، وعدم الترخّص فيه بالتأويلات الضعيفة » (٥) .

(١) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب اللباس والزينة ، باب تحريم خاتم الذهب على الرجال ، ونسخ ما كان من إباحته في أول الإسلام ، (١٣١٧/٣) ح (٢٠٩٠) .

(٢) - أخرجه الإمام الترمذي في " سننه " كتاب اللباس ، باب ما جاء في الحرير ، (٢١٧/٤) ، ح (١٧٢٠) ، وصححه الشيخ الألباني في " صحيح سنن الترمذي " (١٤٤/٢) ح (١٤٠٤) .

(٣) - أخرجه الإمام أحمد في " مسنده " (١٩٧/١) ح (٧٥٠) ، وابن حبان في " صحيحه " كتاب اللباس وآدابه (٢٤٩/٢) ح (٥٤٣٤) ، وقال عنه ، شعيب الأرنؤوط في الحاشية : " حديث صحيح " .

(٤) - " التصوير الفني في الحديث النبوي " مرجع سابق (ص/١٩٣) .

(٥) - " صحيح مسلم بشرح النووي " (٢٩١/١٤ - ٢٩٢) .

ومعلوم أنّ التّختم بالذهب كان جائزاً في أوّل الأمر ثمّ نُسخ ، فعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنه - ؛ أنّ رسول الله ﷺ اصنّطع خاتماً من ذهب ، فكان يجعل فصّة في باطن كفّه إذا لبسه ، فصنع الناس ، ثمّ إنّه جلس على المنبر فنزعه ، فقال : « إنّي كنت ألبس هذا الخاتم وأجعل فصه من داخل » فرمى به . ثمّ قال : « واللّٰه لا ألبسه أبداً » . فنّبذ الناس خواتيمهم (١) .

يقول القاضي عياض - رحمه الله - : « وفيه تحريم اتخاذاً خاتم الذهب ، ونسخ جواز فعله بعد أن كان لبسّه ، ونزعه على المنبر ليراه النّاس ، وينقلوا فعله وقوله معاً في منعه ، وقد وقع الإجماع بعدُ من جمهور العلماء في هذا وتخصيصه بالرجال دون النساء » (٢) .

وبهذا نخلص إلى أنّ استخدام الرّسول ﷺ للمنهج الحسي في التحذير من لبس الذهب والتختم به للرجال ، كان له عظيم الأثر في نفوس المخاطبين من صحابة رسول الله ﷺ ، ويتضح ذلك في أمور أهمها :

- ١ - الإنكار العملي باليد والغضب المصاحب له .
- ٢ - تصوير الوعيد الأخروي بأمر حسي يفهم منه المخاطب شدّة العذاب وقوته .
- ٣ - القدوة العملية من الرسول ﷺ ، ويتمثل ذلك في رميه لخاتم الذهب والمخاطبون يرون ذلك بأعينهم .
- ٤ - ترك الصحابي - - التقاط الخاتم بعد أن نزعه النبي ﷺ من يده وطرحه ، ولم يستمع لقول من قال له : خذ خاتم وانتفع به بل قال : لا والله لا أخذه أبداً ، وقد طرحه رسول ﷺ . مما يدل على شدّة تأثره بالمنهج الدعوي الذي استعمله الرسول ﷺ في النهي بالتختم بالذهب للرجال .

(١) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب اللباس والزينة ، باب تحريم خاتم الذهب على الرجال ، ونسخ ما كان من إيّاحة في أول الإسلام ، (٣/١٣١٧) ح (٢٠٩١) .

(٢) - " إكمال المعلم بفوائد مسلم " (٦/٦٠٣) .

## المسلك الثالث

### قوة التأثير في مجال الأخلاق

سبق الحديث عن استعمال الرسول ﷺ للمنهج الحسي في الحث على الأخلاق الفاضلة والتحذير من الأخلاق السيئة ، وفي هذا المسلك سأذكر أمثلة تبرز قوة التأثير في اكتساب الأخلاق الفاضلة ، والحذر والابتعاد عن الأخلاق السيئة ، مكتفياً بمثال واحد لكل من القسمين وذلك فيما يلي :

#### أولاً : التواضع وأثره في استمالة قلوب المدعوين

خلق التواضع من الأخلاق الحسنة التي أمر الله تعالى بها ، يدل لذلك قول الرسول ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل : « وإن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغى أحد على أحد » (١) .

والتواضع سبب للرفعة والكرامة في الدنيا والآخرة ، يقول ﷺ : « ... وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله » (٢) .

والرسول ﷺ ضرب أروع الأمثلة في التواضع ولين الجانب ، حتى أحبه الصغير والكبير ، وتأسى به الصحابة الكرام ، فنالوا من الفضل ما لم يكن لغيرهم ، وحثهم على ذلك مستعملاً للبيان والإيضاح بعض الأمور الحسية التي كان لها عظيم الأثر في نفوسهم فمن ذلك :

١ - ما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : « ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم » قال أصحابه : وأنت ؟ فقال : « نعم كنت أرها على قراريط (٣) لأهل مكة » (٤) .

(١) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار ، (١٧٤١/٤) ح (٦٤/٢٨٦٥) .

(٢) - " المرجع السابق " كتاب البر والصلة والآداب ، باب استحباب العفو والتواضع ، (١٥٨٨/٤) ح (٢٥٨٨) .

(٣) - " قراريط " : جمع مفردة قيراط ، والقيراط : جزء من أجزاء الدينار وهو نصف عشره في أكثر البلاد ، وأهل الشام يجعلونه جزءاً من أربعة وعشرين . إذا فهو مبلغ يسير لا يكاد يذكر لقلته . ينظر " مشارق الأنوار " (٢٢٠/٢) ، " النهاية في غريب الحديث " (٤٢/٤) ، " لسان العرب " (٣٧٥/٧) جميعها في مادة : ( قرط ) .

(٤) - أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الإجارة ، باب : رعي الغنم على قراريط ، (٦٦٥/٢) ح (٢٢٦٢) .

- ٢ - وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : « لو دُعيتُ إلى كُرَاعٍ (١) أو ذراع لأجبت ، ولو أهدي إلى ذراع أو كراع لقبلت » (٢) .
- ٣ - وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال : أتى النبي ﷺ رجلٌ فكلمه فجعل تَرَعْدُ فرائضه (٣) ، فقال له : « هَوْنٌ عليك ؛ فإنِّي لست بمالكِ إنما أنا ابن امرأةٍ تأكلُ القديدَ (٤) » (٥) .

ففي هذه الأحاديث عبَّرَ الرسول ﷺ عن تواضعه بأمور حسية تدلُّ على كمال تواضعه وهي منتزعة من بيئة المخاطبين يعرفونها تمام المعرفة ، فبين ﷺ في الحديث الأول : أنَّه ما من نبي إلا رعى الغنم ، وأنَّه رعاها لأهل مكة مقابل مبلغ زهيد ، عبَّرَ عنه ﷺ بالقرراط ، وهو جزء من العملة التي يستعملونها في البيع والشراء ، وهذا الاعتراف الصريح من الرسول ﷺ أنَّه كان يرعى الغنم لأهل مكة وهم أهله وعشيرته ، مقابل تلك القراريط اليسيرة ، يدل على عظيم تواضعه مع أنه أفضل الأنبياء والمرسلين ، وهذا التصريح والاعتراف من الرسول ﷺ كان له أثرٌ بليغٌ في نفوس الصحابة - رضي الله عنهم - فكانوا أكثر الناس تواضعاً ، وزهداً في زهوة الحياة الدنيا ، وانظر إلى شيء من ذلك في سيرة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - .

ذكر أبو نعيم الأصفهاني (٦) في « حلية الأولياء » أنه « لمَّا قدم عمر - رضي الله عنه - الشام عرضت له مخاضة (٧) ، فنزل عن بعيره ونزع خفيه فأمسكهما ، وخاض

- (١) - " كراع " بضم الكاف : مادون الركبة من الساق . ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (١٦٥/٤) مادة ( كراع ) .
- (٢) - أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الهبة وفضلها ، باب : القليل من الهبة ، (٧٧٥/٢) ح (٢٥٦٨) .
- (٣) - " تَرَعْدُ فرائضه " : أي تَرَجَّفُ وتضطرب من الخوف ، والفرائض ، جمع فريضة ، وهي اللحمية التي بين جنب الذأبة وكثفها . ينظر " النهاية في غريب الحديث " (٢٣٤/٢) ، مادة : رعد ، (٤٣١/٣) مادة : (فرص) .
- (٤) - " القديد " هو اللحم المملوح المُجَقَّف في الشمس . " النهاية في غريب الحديث " (٢٢/٤) مادة : (قدد) .
- (٥) - أخرجه الإمام ابن ماجة في " سننه " كتاب الأطعمة ، باب : القديد (٣٣/٤) ح (٣٣١٢) ، والإمام الحاكم في " المستدرک " (٥٠/٣) ح (٤٣٦٦) ، وقال : " صحيح على شرط الشيخين " ووافقه الذهبي ، وصححه الشيخ الألباني في " صحيح سنن ابن ماجة " (١٢٨/٣) ح (٢٦٩٣) .
- (٦) - هو : أحمد بن عبدالله بن أحمد ، أبو نعيم الأصبهاني الشافعي ، حافظ مؤرخ ، من الثقات في الحفظ والرواية . ولد ومات في أصبهان ، مات عام ٤٢٠هـ . ينظر : " شذرات الذهب " (٣٤٥/٣) ، " والأعلام " (١٥٧/١) .
- (٧) - " مخاضة " : أصل الخوض المَشْنِي في الماء وتحريكه . " النهاية في غريب الحديث " (٨٨/٢) مادة : (خوض) .

الماء ومعه بغيره : فقال أبو عبيدة (١) : لقد صنعت اليوم صنيعاً عظيماً عند أهل الأرض ، فصكّ في صدره وقال : أوّه لو غيرك يقول هذا يا أبا عبيدة ! إنكم كنتم أدلّ الناس فأعزكم الله برسوله فمهما تطلبوا العزة بغيره يُذلّم الله (( (٢) .

وذكر أيضاً : « أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - خرج في سواد الليل فرآه طلحة فذهب عمر فدخل بيتاً ثم دخل آخر ، فلماً أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت فإذا بعجوز عمياء مقعدة ، فقال لها : ما بال هذا الرَّجُل يأتيك ؟ قالت : إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا يأتيني بما يصلحني ، ويُخرج عني الأذى فقال طلحة : ثكلتك أمك يا طلحة أعترت عمر تتبع (( (٣) .

ومن تواضعه ﷺ إجابة الدعوة ، وقبول الهدية مهما كانت يسيرة ، ودلل على ذلك بأشياء حسية لا يرى المخاطبون لها أي قيمة ، وهي « الكراع والذراع » ومع ذلك فلو دعاه أحد لذلك لأجاب ، ولو أهديت له لقبها ، وهذا غاية التواضع والتنازل عن حظوظ النفس ، ولا يرى ﷺ أن في ذلك إهانة له أو خطأ من قدره .

فحريّ بالمسلمين أن يتحلوا بهذا الخلق العظيم ، فهم أحوج ما يكونون إليه في هذا العصر ، الذي كثر فيه الإسراف والتبذير والمفاخرة في اللواتم والملابس والهدايا وغيرها .

وفي الحديث الثالث : يخفف الرسول ﷺ من روع الرَّجُل الذي خاف منه خوفاً شديداً عندما وقف أمامه يُكلّمه ، فقال له ﷺ : « هَوِّنْ عَلَيْكَ - أي لا تخف - فإني لست بملك ، إنّما أنا ابن امرأة تأكل القديد » أي اللحم المملوح المجفف (٤) .

وكم كان لهذا الخطاب النبوي الكريم في نفس المخاطب من أثر عظيم ، مما جعله هادئ البال منطلق اللسان يسأل عما بدا له دون تردد أو خوف ، حاملاً في نفسه المحبة والتقدير لرسول الله ﷺ ، فما أحوج الدعاة والمصلحين إلى هذا الخلق

(١) - هو : أبو عبيدة : عامر بن عبدالله بن الجراح القرشي الفهري المكي ، أحد السابقين الأولين ، يجتمع مع النبي ﷺ في فهر ، شهد له النبي ﷺ بالجنة ، وسمّاه أمين الأمة ، كان من أحب الصحابة إلى رسول الله ﷺ ، وكان موصوفاً بحسن الخلق ، والحلم ، والتواضع ، وقد شهد بدرأ ، فقتل يومئذ أباه ، وأبلى يوم أحد بلاءً حسناً ، وكان ممن هاجر إلى الحبشة ، استعمله الرسول ﷺ ، وأبو بكر ، وعمر ، توفي في سنة (١٨هـ) وله (٥٨ سنة) . ينظر : " سير أعلام النبلاء " (٥/١ - ٢٣) ، " الإصابة " (٢٢٥/٧) .

(٢) - " حلية الأولياء وطبقات الأصفياء " (٨٣/١) للإمام الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني الشافعي ، دراسة وتحقيق : مصطفى عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط : ١ عام ١٤١٨هـ .

(٣) - " المرجع السابق " (٨٤/١) .

(٤) - " النهاية في غريب الحديث " (٢٢/٤) .

الكريم حتى تزول الحواجز والموانع التي تصرف الناس عن الاستفادة من علمهم ودعوتهم!

والرسول ﷺ لو لم يكن كذلك لنفر الناس منه ولم يقبلوا دعوتَه ، ولكنَّ الله تعالى أتى عليه لتخلقه بخلق التواضع ، فقال سبحانه : ﴿ فيما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ... ﴾ (١) .

يقول الأستاذ سيد قطب - رحمه الله - : « فهي رحمة الله التي نالته ونالتهم ، فجعلته ﷺ رحيماً بهم ليناً معهم ، ولو كان فظاً غليظ القلب ما تألفت حوله القلوب ولا تجمعت حوله المشاعر . فالناس في حاجة إلى كنف رحيم ، وإلى رعاية فائقة ، وإلى بشاشة سمحة ، وإلى ود يسعهم ، وحلم لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم ، في حاجة إلى قلب كبير .. يحمل همومهم ولا يعينهم بهمّة ، ويجدون عنده دائماً الاهتمام والرعاية والعطف والسّماحة والود والرضاء » (٢) .

وقد أتى الله تعالى على عباده المتواضعين بقوله : ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ﴾ (٣) .

يقول الإمام ابن كثير - رحمه الله - : « هذه صفات عباد الله المؤمنين ﴿ الذين يمشون على الأرض هوناً ﴾ أي بسكينة ووقار من غير جبرية ولا استكبار كقوله تعالى : ﴿ ولا تمش في الأرض مرحاً ... ﴾ (٤) ، وأمّا هؤلاء فإنهم يمشون من غير استكبار ولا فرح ولا أشر ولا بطر ، وليس المراد أنهم يمشون كالمرضى تصنعاً ورياءً » (٥) .

ووعدهم سبحانه بعظيم الأجر ، حيث قال : ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين ﴾ (٦) .

(١) - سورة آل عمران ، جزء من الآية : (١٥٩) .

(٢) - " في ظلال القرآن " (١/٥٠٠ - ٥٠١) .

(٣) - سورة الفرقان ، الآية : (٦٣) .

(٤) - سورة لقمان ، جزء من الآية : (١٨) .

(٥) - " تفسير القرآن العظيم " (٣/٤٣٣) .

(٦) - سورة القصص ، الآية ، (٨٣) .

يقول الإمام ابن كثير - رحمه الله - : « يخبر تعالى أنّ الدار الآخرة ونعيمها المقيم الذي لا يحول ولا يزول جعلها لعباده المؤمنين المتواضعين الذين لا يُريدون علواً في الأرض ، أي ترفعاً على خلق الله وتعاضماً عليهم وتجبراً بهم ، ولا فساداً فيهم » (١) .

مما سبق تبين لنا عمق تأثير دعوة الرسول ﷺ بالمنهج الحسي ، في مجال الأخلاق ، لأنه - عليه الصلاة والسلام - كان يمارس ذلك عملياً ويطبقه في حياته ، فاقتدى به الصحابة - رضوان الله عليهم - ويطبقوه أيضاً في حياتهم ، فسعدوا وأحبهم الناس ، وكانوا قدوة صالحة لمن بعدهم ، لأنهم علموه عملياً خلق التواضع فأثر ذلك تأثيراً عميقاً في نفوسهم .

### ثانياً : الكبر يمنح المتصف به دخول الجنة

عن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة (٢) من كبر » قال رجل : إنّ الرّجل يحبُّ أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة . قال : « إنّ الله جميل يحبُّ الجمال . الكبر بطرُ الحقِّ (٣) وغمط الناس (٤) » (٥) .

في هذا الحديث تهديد ووعيد على شيء يسير من الكبر عبّر عنه الرسول ﷺ وصوره للمخاطبين بأمر حسي وهو : مقدار وزن الذرة ، فإذا كان القليل من الكبر

(١) - " تفسير القرآن العظيم " (٥٣٣/٣) .

(٢) - " مقال ذرة " : المتقال في الأصل مقدار من الوزن ، ومعنى متقال ذرة : أي وزنه ذرة . ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (٢١٧/١) مادة (تقل) . والذرة جمعها ذرٌّ وهو النمل الأحمر الصغير ، وقيل الذرة ليس لها وزن ، ويراد بها ما يرى في شعاع الشمس الداخل في النافذة " المرجع السابق " (١٥٧/٢) مادة : (ذرر) .

(٣) - " بطرُ الحق " : البطرُ : الطغيان عند النعمة وطول الغنى ، واطرُ الحق إبطاله وعدم قبوله تكبراً وتجبراً ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (١٣٥/١) ، " إكمال المعلم بفوائد مسلم " (٣٦١/١) مادة : (اطر) .

(٤) - " غمط الناس " : أي احتقارهم ، واستصغارهم لما يرى من رفعتهم عليهم . " المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم " (٢٨٩/١) .

(٥) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الإيمان ، باب لا يدخل الجنة من في قلبه كبرٌ ، (٨٩/١) ح (٩١) .



يمنع صاحبه من دخول الجنة فما بالك بمن صار الكبر خلقاً له وسجية لا ترتاح نفسه ولا يهدأ باله إلا بإبطال الحق وردّه ، واحتقار الناس والتعالي عليهم ونكران نعمة الله تعالى عليه؟! ، ولذلك كان الجزاء من جنس العمل ، أن يُذلّ ذلك القلب المتكبر ، لأنّه قد نازع الله تعالى فيما هو من صفاته ، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول ﷺ : « قال الله عز وجل : الكبرياءُ ردائي والعظمة إزاري ، فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار » (١) .

يقول الإمام الخطابي - رحمه الله - « معنى هذا الكلام : أن الكبرياء والعظمة صفتان لله سبحانه اختص بهما لا يُشركه أحد فيهما ولا ينبغي لمخلوق أن يتعاطاهما ، لأنّ صفة المخلوق التواضع والتذلل » (٢) .

أمّا فيما يتعلق بعدم دخول المتكبر الجنة مع أنّ أهل المعاصي لا يخلدون في النار ، فقد أجاب على ذلك الإمام القرطبي - رحمه الله - بقوله : « ولمّا تقرّر أنّ الكبر يستدعي متكبّراً عليه ، فالمتكبر عليه إن كان هو الله تعالى ، أو رسوله أو الحق الذي جاءت به رسله ، فذلك الكبر كفرٌ ، وإن كان غير ذلك فذلك الكبر معصية وكبيرة يُخاف على المتلبّس بها ، المُصرّ عليها أن تقضي به إلى الكفر ، فلا يدخل الجنة أبداً ، فإن سلّم من ذلك ونفذ عليه الوعيد ، عوقب بالإذلال والصغار ، أو بما شاء الله من عذاب النار ، حتّى لا يبقى في قلبه من ذلك الكبر متقال ذرة » (٣) .

وهذا المعنى الذي أشار إليه القرطبي - رحمه الله - : « عوقب بالإذلال والصغار » جاءت السنة بتفصيله وبيانه ، فعن عمرو بن شعيب - رضي الله عنه - ، عن النبي ﷺ قال : « يُحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذرّ في صور الرجال يغشاهم الدلّ من كلّ مكان يُساقون إلى سجن في جهنّم يُسمّى : بولس (٤) تعلوهم نار

(١) - " المرجع السابق " كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الكبر ، (٤/١٦٠٥) ح (٢٦٢٠) ، والإمام أبو داود في " سننه " كتاب اللباس ، باب ما جاء في الكبر ، (٤/٣٥٠) ح (٤٠٩٠) واللفظ له .  
 (٢) - " معالم السنن " بهامش سنن أبي داود (٤/٣٥٠) .  
 (٣) - " المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم " (١/٢٨٨) .  
 (٤) - " بولس " : هو كما جاء في الحديث : سجن في جهنّم . ينظر " النهاية في غريب الحديث " (١/١٦٤) مادة : بولس .

الأنبياء (١) ، يُسْقون عصارة أهل النار طينة الخبال (٢) « (٣) .

ولك أن تتصور ذلك المنظر المتأهلي في الصغر والحقارة ، صور رجال ولكنهم في صغر أجسامهم كالذر ، والذر كما سبق بيانه هو : الثمل الأحمر الصغير « يغشاهم الدل من كل مكان » والمعنى : « أنهم يكونون في غاية المذلة والنفيسة يطأهم أهل الحشر بأرجلهم من هوانهم على الله » (٤) . ثم يُسحبون إلى سجن جهنم في مكان مظلم ضيق ، تحيط بهم نار الأنبياء (٥) من كل مكان ، ويسقون عصارة أهل النار - عياداً بالله من ذلك - وهي « ما يسيل منهم من الصديد والقيح والدم » (٦) .

وهذا التصوير الحسي لنهاية المتكبرين يوم القيامة ، فيه ترهيب شديد لمن تلبس بهذه المعصية القبيحة التي هي كبيرة من كبائر الذنوب ، وتحذير للمؤمنين من الوقوع فيها أو الاتصاف بصفة من صفات المتكبرين .

- (١) - " نار الأنبياء " : قال القاضي عياض : " وإضافة النار إليها للمبالغة كأن هذه النار لفرط إحراقها وشدة حرها تفعل بسائر النيران ما تفعل النار بغيرها " نقلاً عن " تحفة الأحوذى " (١٦٣/٧) .
- (٢) - " طينة الخبال " : جاء تفسيره في الحديث : أن الخبال عصارة أهل النار ، والخبال في الأصل ، الفساد ، ويكون في الأفعال والأبدان والعقول . " النهاية في غريب الحديث " (٨/٢) مادة : (خبال) .
- (٣) - أخرجه الإمام الترمذي في " سننه " كتاب صفة القيامة ، باب ٤٧/٤ ، (٦٥٥/٤) ح (٢٤٩٢) ، وقال : " هذا حديث صحيح " وحسنه الشيخ الألباني في " صحيح سنن الترمذي " (٣٠٤/٢) ح (٢٠٢٥) ، وفي " صحيح الجامع الصغير " (١٣٣٥/٢) ح (٨٠٤٠) .
- (٤) - " تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي " للإمام الحافظ محمد بن عبدالرحمن المباركفوري ، (١٦٣/٧) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط : ١ ، ١٤١٠ هـ .
- (٥) - " المرجع السابق " (١٦٣/٧) .
- (٦) - " المرجع السابق " (١٦٣/٧) .

المطلب الثالث : خصيصة صلاحية المنهج الحسي لإثارة  
جميع حواس المدعوين .

- أولاً : صلاحيته لإثارة حاسة البصر .
- ثانياً : صلاحيته لإثارة حاسة السَّمع .
- ثالثاً : صلاحيته لإثارة حاسة الذَّوق .
- رابعاً : صلاحيته لإثارة حاسة اللَّمس .
- خامساً : صلاحيته لإثارة حاسة الشَّم .

## المطلب الثالث

### خصيصة صلاحية المنهج الحسي لإثارة جميع حواس المدعوين

تبين مما سبق سعة مجال الدعوة إلى الله تعالى بالمنهج الحسي حيث يشمل جميع المدعوين مع اختلاف مراتبهم ، واتجاهاتهم ، وذلك لتعلقه بالمحسوسات التي يشترك في إدراكها جميع المخاطبين ، بحيث يكفي أن يكون المدعو ممن أنعم الله عليهم بتلك الحواس ، كحاسة البصر التي تُدرك بها المرئيات ، وحاسة السمع التي تُدرك بها الأصوات ، وحاسة الذوق التي يُميز بها بين المرارة والحلاوة ، وحاسة الشم التي تُميز الروائح الطيبة من غيرها ، وحاسة اللمس التي يُميز بها بين الخشونة واللين ، وسأورد أمثلة تبين ما ذكر مرتبة على هذه الحواس بحسب قوتها في إدراك المحسوسات ، ومن ذلك :

#### أولاً : صلاحيته لإثارة حاسة البصر

فمن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ أوَّلَ زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والذين يلونهم على أشدِّ كوكب دُرِّي في السماء إضاءةً ، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يتفلون ، أمشاطهم الذهب ، ورشحهم المسك ، ومجامرهم الألوة ، وأزواجهم الحور العين ، أخلافهم على حلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء » (١) .

من المعلوم أنَّ أهل الجنة تتفاوت منازلهم على حسب أعمالهم الصالحة كما ثبت في الصحيح عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - ؛ أن رسول الله ﷺ قال : « إنَّ أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم ، كما تتراءون الكوكب الدُرِّي (٢) الغابر (٣) من الأفق من المشرق أو المغرب . لتفاضل ما بينهم » قالوا : يا رسول

(١) - سبق تخريجه " (ص/٤٤٤) .

(٢) - " الكوكب الدُرِّي " : النجم الشديد الإضاءة ، وقيل : النجم العظيم المقدار . ينظر : " فتح الباري " (٣٧٧/٦) .

(٣) - " الغابر " معناه البعيد ، وقيل : الذاهب الماضي الذي تدلُّ للغروب وبعد عن العيون . ينظر : " مشارق الأنوار " (١٥٧/٢) مادة : (غبر) ، " النهاية في غريب الحديث " (٣٣٧/٣) مادة : (غبر) ، " شرح النووي لصحيح مسلم " (١٦٨/١٧) .

الله ! تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم . قال : « بلى . والذي نفسي بيده ! رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » (١) .

فالرسول ﷺ في هذا الحديث وصف صنفاً من أهل الجنة هم أول من يدخلها بأنهم في إشراق وجوههم وصفاتها ونقاؤها وبياضها يُسبِّهُون القمر ليلة تمامه ، وكماله ، وهي ليلة أربع عشرة ، وبذلك سُمِّي القمر بدرأ في تلك الليلة . والمخاطبون يُذركون ذلك الوصف بأبصارهم ، ومعلوم أنَّ حاسة الإبصار هي أقوى الحواس الخمس إدراكاً ؛ لأنَّ المشاهدة والرؤية تجعل الأمر واضحاً لا لبس فيه ولا غموض .

ولا سيما إن كان المرئي في غاية الجلاء والوضوح ، مثل : الكواكب والأجرام السماوية ، فالمخاطبون بهذا الحديث يُذركون بجلاء الإضاءة والاستتارة التي تكون في وجوه هؤلاء المنعمين ؛ لأنها أشبهت في تلالؤها وبهائها القمر في تمام اكتمال صورته ، كما يدركون التفاوت بين درجاتهم ؛ لأنَّ الزُّمرة الأولى شُبِّهت وجوهها بالقمر ، بينما الثَّانية مثَّلُ أشدَّ الكواكب إضاءةً بعد القمر ، ولا يخفى على ذي بصر أنَّ الكوكب وإن كان شديد الإضاءة ، فالبدر في إضاءته أجلى منه وأكمل ، وهذا الأمر لو وضوحه لا يحتاج إلى ذكاءٍ عقلي ، أو علم بدقائق الأمور وتفصيلاتها ، والصورة تتضح لأي سامع له إحساس ورؤية لهذه الكواكب بغض النظر عن تفاوت النَّاس في التصديق بمضمونها .

### ثانياً : صلاحيته لإثارة حاسة السَّمع

تعتبر حاسة السَّمع من أهم الحواس التي أنعم الله بها على عباده ، إذ يُميزون بها بين الأصوات ، فيحذرون عندما يكون الصَّوت مقتضياً ذلك ، ويطمئنون ويفرحون بما يلائم طباعهم من الأصوات المُفرحة ، وتمتاز حاسة السَّمع بأنَّها أوسع مجالاً من غيرها ، فالعين لا ترى إلا ما يقابلها من دون حائلٍ وحاسة السَّمع خاصة بالمطعمومات ، ولا تميز الطعوم قبل توقها ، وحاسة اللمس لا بدُّ فيها من

(١) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب بدء الخلق ، باب : ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ، (١٠٠٤/٢) ح (٣٢٥٦) ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب ترائي أهل الجنة أهل الغرف ، كما يرى الكوكب في السماء . (١٧٢٦/٤) ح (٢٨٣١) واللفظ له .

المُلامسة ، أما حاسة السَّمع فتسمع الأصوات من أي ناحية ، ومهما كان مصدرها ، والرَّسول ﷺ في بيانه لأُمَّته أمور دينهم ، كان يهتم بإيضاح الحقائق ، بشتى الوسائل وقد يجمع بين حاستين عندما يقتضي الأمر ذلك فيكون التوجيه بإثارة حاسة الرؤية والسَّمع معاً لإيضاح أمر معين ومن ذلك قوله ﷺ ، في خُطبةٍ يُحَدِّث فيها من أخذ العامل هدية على عمله :

« أما بعد ، فإني أستعمل الرَّجُلَ منكم على العمل مما ولأني الله ، فيأتي فيقول : هذا مالكم ، وهذا هدية أهديت لي ، أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته ، إن كان صادقاً ، والله لا يأخذ أحد منكم منها شيئاً بغير حقه ، إلا لقي الله تعالى يحمله يوم القيامة ، فلأعرفن أحداً منكم لقي الله يحمله بغيراً له رُغَاء ، أو بقرة لها خُوار ، أو شاة تَيعر » . ثم رفع يديه حتى رُوي بياض إبطيه ، ثم قال : « اللهم هل بلغت ؟ » بصر عيني وسمع أذني (١) .

وفي هذا الحديث يُبين رسولنا ﷺ خطورة الرِّشاوي والهدايا التي ينالها العُمَّال بسبب الأمور التي يتولونها وذلك لأنَّ الذين يأخذون شيئاً بغير حقه ، سيأتون يوم القيامة وهم حاملوه على رقابهم ، والنَّاسُ يرونهم ، ويسمعون أصوات محمولاتهم وفي هذا المشهد الرَّهيب المخيف إثارة لحاسة السَّمع بما يسمعه النَّاسُ في ذلك الموقف من رُغَاء الإبل ، وخوار البقر ويعار الشَّاء ، وهذه الأصوات معروفة لدى المخاطبين تمام المعرفة ، وليس وضوحها وجلالها مقصوراً عليهم لأنَّ النَّاسُ في كل عصر ومصر يعرفون رُغَاء الإبل ، وخوار البقر ، ويعار الشَّاء ، وفي هذا المشهد أيضاً إثارة لحاسة الرؤية لأنَّ الشَّخص الذي يَحْمِلُ بغيراً على رقبتة لابد أن يلفت أنظار النَّاسِ إليه وانتباههم ، ولاسيما مع رُغَاء البعير فالأمر شنيع والفضيحة بالغة - نسأل الله أن يجنبنا سوء العاقبة بفضلته وكرمه - وكلُّ من سمع هذا الخطاب ، ممن أعطاه الله حاسة السَّمع ، أدرك خطورة أخذ العامل هدية ، وخطورة الاعتداء على الحقوق العامَّة مطلقاً لأنَّها غلول ، والله يقول : ﴿ ومن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (٢) .

(١) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الإمارة ، باب تحريم هدايا العُمَّال ، (٣/١١٦٣) ح (٢٧/١٨٣٢) .

(٢) - سورة آل عمران ، جزء من الآية : (١٦١) .

« وقد عمّلت ( هذه التّوجيّهات الرّبّانية ) عملها في تربية الجماعة المسلمة ؛ حتى أتت بالعجب العجّاب ؛ وحتى أنشأت مجموعة من النّاس تتمثل فيهم الأمانة والورع والتّحرج من الغلّول في أية صورة من صورته ، كما لم تتمثل قط في مجموعة بشرية .

وقد كان الرّجل من أفناء النّاس من المسلمين يقع في يده الثّمين من الغنيمّة ، لا يراه أحد ، فيأتي به إلى أميره ، لا تُحدّثه نفسه بشيء منه خشية أن ينطبق عليه النّص القرآني المرهوب ، وخشية أن يلقى نبيه على الصورة المُفزعّة المُخجّلة التي حدّره أن يلقاه عليها يوم القيامة ؛ فقد كان المسلم يعيش هذه الحقيقة فعلا ، وكانت الآخرة في حسّه واقعا ، وكان يرى صورته تلك أمام نبيه وأمام ربّه ، فيتوقّأها ويفزع أن يكون فيها » (١) .

### ثالثاً : صلاحيته لإثارة حاسة الدّوق

من نعم الله على عباده أن هيا لهم أسباب السّعادة ودلّهم على سُبُل الخير ، ورزقهم من الطيبات من مأكول ومشروب مُستلذ ومُستطاب ؛ وأعطاهم حاسّة يُميزون بها بين الطّعوم المختلفة ، من حلاوة ومرارة ، وحموضة ، فهذه الحاسّة يميزون بين العسل والحنظل ، وبين مختلف المطعومات ولعل هذه الحاسّة التي يشترك فيها جميع النّاس ليست مثل حاسّة الرؤية التي قد يفقدها الكثيرون وحاسّة السّمع التي هي مثل ذلك .

والرسول ﷺ لم يكن يدع أي وسيلة تُقرب النّاس من الخير وتبعدهم عن الشر ، إلا استعملها ، ومن ذلك : بيانه لعظيم نعيم أهل الجنة في طعامهم وشرابهم فالحوض الذي يشرب منه المؤمنون يوم القيامة بالغ الحلاوة يدلّ على ذلك قوله ﷺ فيه : « أحلى من العسل » (٢) .

فالرسول ﷺ في هذا الحديث سلك مسلك الموازنة الحسية بين الحلاوتين ، وجاء بأفعل التفضيل « أحلى » للدلالة على أنّ الشرب من الحوض أفضل من عسل الدنيا ، والمدعوون بجميع أصنافهم يعرفون أنّ العسل حلّو المذاق .

(١) - " في ظلال القرآن " (١/٥٠٥) .

(٢) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الفضائل ، باب إثبات حوض نبينا محمد ﷺ وصفاته ، (٤/١٤٣٥) ح (٢٣٠١) .

يقول الدكتور الصباغ : « وكثير من هذه الصور كانت أمثالا كقوله : « أحلى من العسل ، وأشدُّ بياضاً من اللبن ، ... » ولا شك في أن شيوع هذه الأمثال يدل على معرفة العرب بها » (١) .

وفيه أيضاً إثارة لحاسة الدُّوق عند المخاطبين ، فإذا كان شراب العسل من أفضل المشروبات في الدنيا ، فإنَّ الشُّرب من حوض نبينا محمد ﷺ أمتع وأفضل ، والمدعوون عند سماعهم لتلك الأوصاف الحسية التي تحمل في طياتها التشويق والإثارة والترغيب ، يكونون أشدَّ محافظة على الأعمال الصالحة ، وأقوى متابعة للرسول ﷺ ليفوزوا بالورود على حوضه ، ويشربوا منه شربة لا يظماون بعدها أبدا .

وفي حديث آخر يُسبِّه الرسول ﷺ المؤمن الذي يقرأ القرآن بثمره حلوة المذاق ، فعن أبي موسى الأشعري - رضى الله عنه - أن النبي ﷺ قال : « المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالأترجة (٢) ، طعمها طيب وريحها طيب ، والمؤمن الذي لا يقرأ القرآن ويعمل به كالتمر ، طعمها طيب ولا ریح لها . ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كالريحانة ، ريحها طيب وطعمها مرٌّ ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كالحنظلة طعمها مرٌّ ، وأخبِيث وريحها مرٌّ » (٣) ، وفي رواية : « طعمها مرٌّ ولا ریح لها » (٤) . وفي هذا الحديث يُسبِّه الرسول ﷺ المؤمن الذي يقرأ القرآن بهذه الثمرة النَّافعة ، ذات الطعم الطيب والرائحة الزكية ، و « وجه التشبيه بالأترجة ؛ لأنها أفضل ما يوجد من الثمار في سائر البلدان وأجدي ؛ لأسباب كثيرة جامعة للصفات المطلوبة فيها والخواص الموجودة فيها ، فمن ذلك كبر جرمها ، وحسن منظرها وطيب مطعمها ولين ملمسها ، تأخذ الأبصار صبغة ولوناً ، فاقع لونها تسرُّ الناظرين ، تنوق إليها نفس أكلها قبل التناول ، تفيد أكلها بعد الالتذاذ بذوقها

(١) - " التصوير الفني في الحديث النبوي " (ص ١٤٧) .

(٢) - " الأترجة " : بضم الهمزة ، وتشديد الجيم ، وقيل : أترنجة بالنون ، وهي ثمرة حلوة المذاق ، طيبة الرائحة ، لينة الملمس ، حسنة المنظر ، لها منافع كثيرة ، ينظر : " مشارق الأنوار " للقاضي عياض (٣٠/١) مادة : ( أ ت ر ) ، " عمدة القارئ " (٢٢٢/١٦) ، " زاد المعاد " (٢٨٣/٤ - ٢٨٥) .

(٣) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب فضائل القرآن ، باب : إثم من رأى بقرأة القرآن ، أو تأكل به أو فجر به ، (١٦٢٨/٣) ح (٥٠٥٩) واللفظ له ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضيلة حافظ القرآن ، (٤٦٠/١) ح (٧٩٧) .

(٤) - أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب فضائل القرآن ، باب : فضل القرآن على سائر الكلام ، (١٦١٨/٣) ح (٥٠٢٠) .



طيب نكهة ودباغ معدة وهضم ، واشتراك الحواس الأربع البصر والدُّوق والشَّمَّ  
واللَّمس في الاحتذاء بها <sup>(١)</sup> .

وشبَّه الرَّسول ﷺ المؤمن الذي لا يقرأ القرآن بالثمرة في حلاوة طعمها ،  
فباطن المؤمن طيب ، لأنَّه يتمثل التوحيد ويقوم بذكر الخالق وعبادته ؛ إلا أنه لم  
يحظ بالشرف الذي ناله قارئ القرآن ؛ حيث شرف ظاهره وباطنه .  
وشبَّه الفاجر الذي لا يقرأ القرآن بالحنظلة .

« وقد ضرب النبي ﷺ المثل بما تُنبته الأرض ، ويخرجه الشجر  
للمشابهة التي بينها وبين الأعمال ، فإنها من ثمرات النفوس ، فخص ما يخرجه  
الشجر من الأترجة والتمر بالموءن ، وبما تنبته الأرض من الحنظلة والرَّيحانة  
بالمنافق ، تنبيهاً على علو شأن المؤمن وارتفاع عمله ودوام ذلك ، وتوقيفاً على  
ضیعة شأن المنافق وإحباط عمله وقلة جدواه <sup>(٢)</sup> .

واستخدام الرسول لهذه المحسوسات له أثرٌ قويٌّ في إبراز ما تشتمل عليه من  
معان وتجليتها لكافة المدعوين ، فكلُّ من يعرف طعوم هذه المذكورات من أترج  
وتمر وريحان وحنظل ، فإنَّ هذا الخطاب يكون واضحاً لديه وصالحاً لدعوته  
وتوجيهه إلى الإيمان والاعتناء بحفظ القرآن والدَّأب على تلاوته ليكون مشابهاً  
للأترجة ، التي هي من أحسن الثَّمَّار ، وأحلاها طعماً ، وأزكاها ريحاً .

#### رابعاً : صلاحيته لإنارة حاسة اللَّمس

إنَّ الله عز وجل قد أعدَّ لأولياته في دار كرامته ، ما لا عين رأت ولا أُذنٌ  
سمعت ولا خطر على قلب بشر وقد كان رسول الله ﷺ في أحاديثه يذكر أصنافاً من  
نعيم أهل الجنة ، في شرايبهم ، وطعامهم ، وملبسهم ، رفعا لهمم المدعوين ، وترغيباً  
في الطاعات التي هي السبب في حصول ذلك النَّعيم الأبدي ومن ذلك بيانه ﷺ لين  
ونعومة مناديل سعد بن معاذ - رضي الله عنه - ، فعن البراء <sup>(٣)</sup> - رضي الله عنه - قال : أهديت

(١) - عمدة القارئ " (٢٢٢/١٦) .

(٢) - عمدة القارئ " (٢٢١/١٦) .

(٣) - هو : البراء بن عازب بن الحارث بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي ، نزيل الكوفة ، كان من  
أعيان الصحابة روى حديثاً كثيراً ، وشهد غزوات كثيرة مع النبي ﷺ ، يقول : استصغرني رسول الله ﷺ يوم  
بدر أنا وابن عمر ، فردنا فلم يشهدا ، شهد مع علي الجمل وصفين ، وقتال الخوارج ، توفي سنة اثنتين وسبعين  
، وقيل بإحدى وسبعين عن بضع وثمانين سنة في إمارة مصعب ابن الزبير . ينظر : " أسد الغابة في معرفة  
الصحابة " (١٧١/١) ، " سير أعلام النبلاء " (١٩٤/٣) ، " الإصابة في معرفة الصحابة " (٤١١/١) .

للنبي ﷺ حلة (١) حرير ، فجعل أصحابه يمسونها ويعجبون من لينها فقال : « أتعجبون من لين هذه ؟ لمناديل سعد بن معاذ خير منها وألين » (٢) .

ففي هذا الحديث بين رسول الله ﷺ أن مناديل سعد بن معاذ في لينها ونعومتها أعظم من حلة الحرير التي لفتت أنظار الصحابة وأعجبوا بها حتى جعلوا يمسونها تعجباً واستحساناً لها ، وكان ذلك « مناسبة ممتازة ليبين ﷺ أن مناديل الجنة خير منها وألين واستغلال المناسبات يجعل الأمر أعلق بالنفوس وأكثر تأثيراً على السامعين ، وذكر لهم أن هذه المناديل الرائعة في الجنة ستكون لسعد بن معاذ وهو صحابي يعرفونه جيداً والصورة كانت بالموازنة بين شيء رأوه وأعجبهم وأمر غيبي يريد أن يقرب معالم حقيقته إلى أذهانهم » (٣) .

وهذا الوضوح ليس قاصراً على المتعجبين من لين تلك الحلة ؛ لأن السامعين لهذا الخطاب في أي زمان ومكان يعرفون حل الحرير ونعومتها ؛ ثم هم يعرفون أن المناديل « ليست من علية الثياب ، بل هي تبتذل في أنواع من المرافق تُمسح بها الأيدي وينفض بها الغبار عن البدن ، ويُعطى بها ما يُهدى ، وتتخذ لفائف للثياب ، فصار سبيلها سبيل الخادم ، وسبيل سائر الثياب سبيل المخدم ، فإذا كان أداها هكذا فما ظنك بعليتها » (٤) .

وبهذا تبين صلاحية هذا الخطاب لجميع من يعرفون الحل الحريرية ولينها ، وامتهان المناديل وقلة أهميتها بالنسبة لغيرها من الثياب ؛ لأن مناديل سعد - ﷺ - في الجنة ألين من حل الحرير ، ولعل السبب من ذكر سعد - ﷺ - وتمييزه بهذه الفضيلة ؛ لأن المخاطبين من الأنصار - ﷺ - ولا يعني قصر هذا النعم عليه فالحديث ترغيب عظيم في الأعمال التي بها يُنال هذا النعم الذي يتمنل من رزقه الله إياه بما هو ألين من الحرير والناس في الدنيا لا يعرفون شيئاً من الثياب ألين

(١) - " حلة حرير " : الحلة واحدة الحل ، وهي برود اليمن ، ولا تسمى حلة إلا أن تكون ثوبين من جنس واحد ، قال الخطابي ، الحلة ثوبان : إزار ورداء ، ولا تكون حلة إلا وهي جديدة تحل من طبعها فتلبس ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (٤٣٨/١) مادة (حل) .

(٢) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب مناقب الأنصار ، باب : مناقب سعد بن معاذ - ﷺ - (١١٦٣/٣) ح (٣٨٠٢) واللفظ له ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب فضائل الصحابة -

- ﷺ - باب من فضائل سعد بن معاذ - ﷺ - (١٥٢٣/٤) ح (٢٤٦٨) .

(٣) - " التصوير الفني في الحديث النبوي " (ص/١٦٣) .

(٤) - " عمدة القارئ بشرح صحيح البخاري " (٣٤٥/١٣) .

من الحرير ، ولا أكثر نعومة ولطافة ؛ ولذلك بين الرسول ﷺ في وصف الريح التي تقبض أرواح المؤمنين في آخر الزمان ؛ أنها ألين من الحرير .

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول ﷺ « إن الله يبعث ريحاً من اليمن ألين من الحرير ، فلا تدع أحداً في قلبه مثقال حبة ، أو مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته » (١) .

وفي هذا الحديث دلالة واضحة على أن الحرير ألين الأشياء وألطفها ، لأنه يشارك الريح في اللبونة والخفة .

وجاء في وصف الريح التي تقبض أرواح المؤمنين قبل قيام الساعة ، أن لها ريحاً كريح المسك ومساً كمس الحرير ، كما ثبت ذلك في " صحيح مسلم " عن عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - وفيه : « ثم يبعث الله ريحاً كريح المسك ، مسهاً مس الحرير ، فلا تترك نفساً في قلبه مثقال حبة من الإيمان إلا قبضته . ثم يبقى شرار الناس ، عليهم تقوم الساعة » (٢) .

#### خامساً : صلاحيته لإثارة حاسة الشم

لقد امتن الله تعالى على عباده بنعم كثيرة : قال تعالى : ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾ (٣) ، ومن ذلك حاسة الشم التي هي من أعظم نعم الله تعالى على الإنسان ولذلك إذا فقدتها فاتته الاستمتاع بالروائح الطيبة الزكية ، والرسول ﷺ لم يُغفل في دعوته إثارة هذه الحاسة عند المدعو لترغيبه فيما عند الله من النعيم ، وتحذيره من كل أمر يكون فيه سبب لغضب الله تعالى ، ومن ذلك :

ما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « ... والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك .. » (٤) .

(١) - أخرجه الإمام مسلم في : " صحيحه " كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من قتل نفسه لا يكفر ، (١٠٢/١) ح (١١٧) .

(٢) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الإمارة ، باب قوله ﷺ : " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم " ، (١٢١٠/٣) ح (١٩٢٤) .

(٣) - سورة النحل ، جزء من الآية : (١٨) .

(٤) - " سبق تخريجه " (ص/١٩١) .

وهذا يدل على أنَّ شأن الصيام عظيم عند الله تعالى ، والصائم إذا أمسك عن الطعام والشراب خرج من فمه رائحة يستكرهها الناس ، لكنها عند الله تعالى أطيب من ريح المسك ، والرسول ﷺ أراد أن يبين للناس فضل الصيام ، وأنَّه من أحبِّ الأعمال الصالحة عند الله تعالى ، فوازن بين رائحتين إحداهما كريهة والأخرى طيبة وفضلَّ الرائحة التي تخرج من فم الصائم ، ويرى الناس أنها كريهة ، على رائحة المسك الطيبة ؛ لأنَّ الغاية التي يرمي إليها الصيام هي مرضاة الله تعالى ، والاستجابة لأمره وأمر رسوله ﷺ ، فإذا كانت تلك الرائحة المستكرهة عند الناس محبوبة عند الله تعالى فلا ضير في ذلك ، بل إنَّ المسلم يحرص عليها بكثرة الصيام وليست « العبرة في الإسلام وموازينه بما تحسُّ النفوس وتذرك الحواس من ظواهر الأشياء ؛ بل بما تعيه القلوب وتدركه الأبواب من كُنه الأشياء وحقائقها » (١) .

وبتفضيل خِلفة فم الصائم على رائحة المسك يظهر فضل الصيام بشكل جلي واضح (٢) .

وفي موضع آخر يُثير الرسول ﷺ حاسة الشمَّ عند المخاطبين لبيان فضل بعض ما يروونه خبيثاً وسيئاً ، فمن ذلك ما جاء في قصة رجم ماعز وفيه :

« قال : فخرجنا به ، فحفرنا له ، حتَّى أمكنَّاه ، ثمَّ رميناه بالحجارة حتَّى هداً (٣) ، فجاء رجل يسأل عن المرجوم ؟ فانطلقنا به إلى النبي ﷺ ، فقلنا : هذا جاء يسأل عن الخبيث ! فقال رسول الله ﷺ : « لهو أطيبُ عند الله من ريح المسك » ؛ فإذا هو أبوه ، فأعنتاه على غسله وتكفينه ودفنه ، وما أدري ، قال : والصلاة عليه أم لا ؟! » (٤) .

الله أكبر ما أعظم هذا الرَّد من رسول الله ﷺ على المخاطبين من صحابته الذين سبوا ماعزاً - ﷺ - بقولهم : « جاء يسأل عن الخبيث » فقال ﷺ : « لهو أطيب عند الله من ريح المسك » وما ذلك إلا لصدق توبته ، وما أعظم أن جاد بنفسه

(١) - " أثر التشبيه في تصوير المعنى " (ص/١٦٤) .

(٢) - ينظر : " التصوير الفني في الحديث النبوي " (ص/٣٥٩) بتصريف يسير .

(٣) - " حتَّى هداً " أي : مات .

(٤) - أخرجه الإمام أبو داود في " سننه " كتاب الحدود ، باب رجم ما عز بن مالك ، (٤/٥٨٤) ح (٤٤٣٥) ، وقال عنه الشيخ الألباني في " صحيح سنن أبي داود " (٣/٦٦) ح (٤٤٣٥) : " حسن الإسناد " .

ولذلك كان لهذا الخطاب أثر قوي في نفوس الصحابة - ﷺ - فما كان منهم إلا أن قاموا بتغسيله وتكفينه .

وبهذا تبين صلاحية هذا الخطاب المشتمل على منهج حسي لكل مَنْ مَنْ الله تعالى عليه بنعمة الشّمّ من المخاطبين وغيرهم ، الذين يعرفون رائحة المسك ، وهذا الحديث - أعني حديث أبي هريرة - فيه ترغيب وتشويق لعمل صالح يُحبه الله تعالى وهو الصيام ، وفيه بيان أكيد لفضله على كثير من العبادات .

## المبحث الثاني : ضوابط الدّعوة إلى الله بالمنهج الحسي في السّنة النبوية .

وفيه تمهيد وأربعة مطالب :

**التمهيد :** ويشتمل على تعريف الضوابط وأهميتها في الدعوة إلى الله بالمنهج الحسي في السّنة النبوية .

**المطلب الأول :** ضابط قصر استخدام المحسوسات على المحتاج إلى البيان .  
**المطلب الثاني :** ضابط الاقتصار على المحسوسات المعروفة للمخاطبين .

**المطلب الثالث :** ضابط الالتزام بالأدب الشرعي حالة استخدام المنهج الحسي .

**المطلب الرابع :** ضابط الالتزام بالأدب الخُلقي حالة استخدام المنهج الحسي .

## المبحث الثاني

### ضوابط الدَّعوة إلى الله بالمنهج الحسي في السُّنة النبوية

**التمهيد :** تعريف الضوابط ، وأهميتها في الدعوة إلى الله بالمنهج الحسي .

#### أولاً : تعريف الضوابط لغةً واصطلاحاً :

أ - الضوابط لغةً : جمع مفردتها : ضابط . والضابط اسم فاعل ، مصدره ضبط ، وله عدّة معان منها : الحزم ، والقوة ، والشدة ، وضبط الشيء حفظه بالحزم ، يقال : رجل ضابط : أي حازم ، رجل ضابط : أي قوي شديد ، ورجل ضابط : أي شديد البطش والقوة والجسم (١) .

#### ب - التعريف الاصطلاحي للضوابط :

يختلف تعريف الضوابط باختلاف العلوم والموضوعات ، والمقصود بها هنا : هي الأمور التي يجب مراعاتها حال القيام بالدعوة إلى الله بالمنهج الحسي ، سواء كانت تلك المراعاة بالذكر أم بعدمه .

#### ثانياً : أهمية الضوابط في الدَّعوة إلى الله بالمنهج الحسي :

بعد أن عرّفت الضوابط لغةً واصطلاحاً ، حريٌّ بي أن أشير إلى أهميتها ، إذ هي بمثابة الميزان الذي يُعرف به مقدار الموزون ، والعيار الذي تنتقد به الدّراهم ؛ ولذا اهتم العلماء أصحاب التصانيف بوضع مصطلحات في مقدمات كتبهم لتكون عوناً للقارئ على فهم مرادهم ، كما لا يخفى أنّ أي عمل يقوم به الإنسان يحتاج فيه إلى وضع منهج واضح يسير عليه في إنجاز ذلك العمل أيّاً كان نوعه .  
والدعاة إلى الله تعالى هم أحق الناس بضبط أمورهم والسير على مناهج محدّدة وواضحة مرسومة الخطوط والمعالم ، تساعدتهم على سلوك أفضل الطرق وأقربها إلى أفهام المدعوين ، وأبعدها عن تنفيرهم وجرح شعورهم .

(١) - ينظر : " لسان العرب " (٣٤٠/٧) مادة (ضبط) ، " القاموس المحيط " (ص/٨٧٢) مادة : (ضبط) ، " المصباح المنير " (ص/١٨٥) مادة : (ضبط) ، " مختار الصحاح " (ص/٣٧٦) مادة : (ضبط) ، " المعجم الوسيط " (ص/٥٣٣) مادة (ضبط) .

وهذا ما كان الرسول ﷺ يتوخاه في دعوته إلى الله بالمنهج الحسي وغيره من المناهج .

وقد استقرت بفضل من الله ، جملة من الضوابط من النصوص المدروسة ، أرجو أن تكون مفيدة للدعاة إلى الله تعالى - وخاصة حال قيامهم بالدعوة إلى الله بالمنهج الحسي ، وقد جعلتها في أربعة مطالب على النحو التالي :



**المطلب الأول : ضابط قصر استخدام المسوسات على المحتاج**

**إلى البيان .**

**وفيه مسلكان :**

**المسلك الأول : أمثلة واضحة الدّلالة .**

**المسلك الثاني : أمثلة مما يحتاج إلى بيان .**

## المطلب الأول

### ضابط قصر استخدام المحسوسات على المحتاج إلى البيان

لقد اختص الله نبينا محمداً ﷺ بأن جعله أفصح العرب لساناً (١) ، وأوضحهم بياناً ، وأقواهم حجة وبرهاناً ، وأعذبهم منطقاً ، وأخلامهم كلاماً ، تجري الحكمة على لسانه عفواً بلا تكلفٍ تفاصح في الكلام أو تشدق فيه ، بل هو التأييد والتسديد من المولى سبحانه ولا أدلّ على ذلك من كونه كان يُخاطب كل قوم بلهجتهم ؛ حتى كأنه تربى في بيوتهم ، أو تلقاها بالمُدارسة والتعلم منهم ، ولم يكن أيُّ من الأمرين واقعا وقد كان ﷺ يراعي مقتضيات الأحوال ، وظروف المخاطبين وحاجتهم فيما يوجهه ويلقيه من كلام ، فيوضح الغامض ويُقرّب البعيد ، ويختار من الألفاظ أسهلها وأقربها إلى أذهان المخاطبين ، ومن المعاني أعمقها في النفوس ، وأقواها تأثيراً في حياتهم ، وكان ﷺ يتحاشى الإغراب في الكلام ، ويبتعد عن الوحشي المبتذل و « كان كلامه فصلاً يفهمه كل من يسمعه » (٢) .

وإذا رأى حاجة إلى إيضاح بعض المعاني وضّحها حسب الحاجة ، فيقيس المجرّد بالمحسوس ، والغيبى بالمشاهد حتى يستبين الخفي ، ويُبرز الغامض . وفي هذا المطلب سأذكر أمثلة ما هو واضح الدلالة ، وأعلق عليها بما يؤكد وضوحها ، وأمثلة لما هو محتاج إلى الإيضاح وذلك فيما يلي :

(١) - ينظر : " إعجاز القرآن والبلاغة النبوية " مصطفى صادق الرافعي (ص/٢٨١ - ٢٩٤) دار الكتاب العربي - بيروت ، ط : ٩ ، ١٣٩٣هـ .

(٢) - " سبق تخريجه " (ص/٤٢١) .

## المسلك الأول أمثلة واضحة الدلالة

**المثال الأول :** قوله ﷺ : « أفضل الصلاة بعد المكتوبة صلاة الليل ، وأفضل الصيام بعد شهر رمضان ، صيام شهر الله المحرم » (١) .  
وقد كان هذا الحديث جواباً لمن سأل فقال : « أي الصلاة أفضل بعد المكتوبة ؟ وأي الصيام أفضل بعد شهر رمضان » .

وإجابة الرسول ﷺ لهذا السؤال من غير استخدام أي وسيلة إيضاحية كافٍ في الدلالة على عدم احتياج هذا الخطاب إلى بيان ، ويؤكد ذلك كون السؤال اكتفي به فلم يُنقل أنه استفصل بعد هذا البيان الواضح .

**المثال الثاني :** قوله ﷺ : « أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا » .

ومما يدل على وضوح هذا الخطاب أن الرسول ﷺ لما سأل أحد الحاضرين فقال : « أكل عام يا رسول الله » لم يجبه في الحال ؛ بل سكت حتى ألحَّ السائل في طلب الجواب ، ثمَّ أجابه بعبارة تدلُّ على عدم الحاجة إلى مثل هذا النوع من الأسئلة فقال ﷺ : « لو قلتُ نعم لوجبت ولما استطعتم » . ثم قال : « ذروني ما تركتم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم ، واختلافهم على أنبيائهم . فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه » (٢) .

قال الإمام القرطبي - رحمه الله - مُعلقاً على هذا الحديث : « قوله : « ذروني ما تركتكم » يعني لا تُكثروا في الاستفصال عن المواضع التي تكون مقيدة بوجهٍ ما ظاهر وإن كانت صالحة لغيره وبيان ذلك : أن قوله : « فحجوا » وإن كلن صالحاً للتكرار فينبغي أن يكتفي بما يصدق عليه اللفظ ، وهو المرة فإنها مدلوله للفظ قطعاً ، وما زاد عليها يتغافل عنه ولا يكثر السؤال فيه لإمكان أن يكثر الجواب المترتب عليه ، فيضاهي ذلك قصة بقرة بني إسرائيل التي قيل لهم فيها : انبحوا بقرة ، فلو اقتصروا على ما يصدق عليه اللفظ وبادروا إلى ذبح بقرة - أي بقرة

(١) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الصيام ، باب فضل صوم المحرم (٦٧٦/٢) ح (١١٦٣) .  
(٢) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الحج ، باب فرض الحج مرة في العمر ، (٧٩٥/٢) ح (١٣٣٧) .

كانت - لكانوا ممتثلين ، لكن لما أكثرُوا السؤال كَثُرَ عليهم الجواب ، فشَدَّدُوا ، فشَدَّدَ عليهم ، فذَمُّوا على ذلك فخاف النَّبِيُّ ﷺ مثل هذا على أُمَّتِهِ ۞ (١) .

**المثال الثالث :** قوله ﷺ وهو يُوصي بالصدق ويحذرُ من الكذب : « عليكم بالصدق . فإنَّ الصدق يهدي إلى البر ، وإنَّ البرَّ يهدي إلى الجنَّة . وما يزال الرَّجُلُ يَصْدُقُ ويتحرَّى الصدق حتى يُكْتَبَ عند الله صديقاً ، وإيَّامكم والكذب فإنَّ الكذب يهدي إلى الفجور ، وإنَّ الفجور يهدي إلى النار . وما يزال الرَّجُلُ يكذب ويتحرَّى الكذب حتى يُكْتَبَ عند الله كذاباً ۞ (٢) .

في هذا الحديث يَحُثُّ الرَّسُولُ ﷺ على الصدق ويرغب فيه ؛ لأنَّه يهدي إلى البرِّ والبرُّ يهدي إلى الجنَّة ، وجميع ألفاظ الحديث واضحة لا غرابة فيها ولا لبس ولذلك لم يستخدم الرَّسُولُ ﷺ في إيضاحه أيَّ وسيلة ، ولم يحتج المخاطبون إلى ذلك ؛ بل اكتفوا بما قال رسول الله ﷺ فلم يستفصلوه لوضوح الأمر عندهم .

(١) - " المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم " (٤٤٧/٣ - ٤٤٨) .

(٢) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الأدب ، باب ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ (١٩٢٣/٤) ح (٦٠٩٤) ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب البر والصلة والآداب ، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله ، (١٥٩٨/٤) ح (١٠٥/٢٦٠٧) .

## المسلك الثاني

### أمثلة مما يحتاج إلى بيان

سبقت الإشارة إلى أن الرسول ﷺ لم يكن يُعربُ في كلامه ، بل كانت السمة الغالبة فيه الوضوح ولكنّه قد يُحدّث أحياناً بأمور تُخالف ما اعتاده النَّاسُ أو عن أمور غيبية فيحتاج إلى إيضاحها تقريباً للأذهان ، وترسيخاً في القلوب وفيما يلي سأذكر أمثلة لهذا النوع :

**المثال الأول :** ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ « إِنَّهُ لِيَأْتِي الرَّجُلَ الْعَظِيمَ السَّمِينِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَزَنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ » (١) ، وقال : اقرعوا ﴿ فَلَا نَقِيمَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴾ (٢) .

وفي هذا الحديث بيّن الرسول ﷺ أَنَّ الْقِيمَ وَالْمَوَازِينَ الَّتِي يَرَاهَا النَّاسُ فِي الدُّنْيَا مَخْتَلَفَةٌ وَمُتَبَايِنَةٌ ، مَعَ الْقِيمِ الْحَقِيقِيَّةِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَضَخَامَةُ الْجِسْمِ وَطُولُ الْقَامَةِ ، وَكَثْرَةُ الْأَكْلِ تَنْعُمًا فِي الدُّنْيَا ، لَيْسَتْ لَهَا قِيَمَةٌ فِي مِيزَانِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَعَلَّمَ الرَّسُولُ ﷺ أَنَّ الْمُعْتَادَ عِنْدَ النَّاسِ أَنَّ الضَّخَامَةَ وَعِظَمَ الْجِسْمِ لَهَا ثِقَلٌ فِي الْمَوَازِينِ الدُّنْيَوِيَّةِ ، بَيْنَ ﷺ بِأَسْلُوبٍ مُؤَكِّدٍ أَنَّهُ قَدْ يَأْتِي رَجُلٌ عَظِيمٌ وَسَمِينٌ وَلَا يَكُونُ لَهُ أَيْ ثِقَلٌ فِي مِيزَانِ اللَّهِ لِأَنَّهُ لَا يَزِنُ عِنْدَهُ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْبَعُوضَةَ كُلَّهَا لَيْسَ لَهَا وَزْنٌ فَمَا ظَنُّكَ بِجَنَاحِهَا ؟ . وَهَذِهِ « صُورَةٌ تَتَقَلَّبُ خِيَالَنَا مِنْ طَرَفٍ إِلَى طَرَفٍ يَقَابِلُهُ فِي الدُّنْيَا يَكُونُ هَذَا الرَّجُلُ سَمِينًا جَدًّا ، وَفِي الْآخِرَةِ لَا يَكُونُ هَزِيلًا فَحَسَبَ ، بَلْ يَتَحَوَّلُ إِلَى أَقْلٍ مِنْ جَنَاحِ بَعُوضَةٍ ، وَالنَّظَرَةُ الدُّنْيَوِيَّةُ نَظَرَةٌ مَوْقُوتَةٌ ، لَا تَفِيدُ صَاحِبَهَا شَيْئًا ، أَمَّا النَّظَرَةُ الْآخِرِيَّةُ فَهِيَ الَّتِي تَقَرَّرُ مَصِيرَ صَاحِبِهَا وَتُنْتَهِي بِهِ إِمَّا إِلَى الْجَحِيمِ ، وَإِمَّا إِلَى النَّعِيمِ » (٣) .

وفي معنى هذا الحديث ما ثبت في صحيح البخاري من حديث سهل بن سعد الساعدي - رضي الله عنه - أَنَّهُ قَالَ : مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لِرَجُلٍ عِنْدَهُ

(١) - متفق عليه : أخرجه الإمام في " صحيحه " كتاب التفسير ، باب : ﴿ أولئك الذين كفروا بآياتِ ربهم ولقائهم فحطت أعمالهم ﴾ (١٤٧٠/٣) ح (٤٧٢٩) أو الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب صفة القيامة والجنة والنار (١٧٠٣/٤) ح (٢٧٨٥) .

(٢) - سورة الكهف ، من الآية : (١٠٥) .

(٣) - " التصوير الفني في الحديث النبوي " (ص/٤٧١) مرجع سابق .

جالس « ما رأيك في هذا » . فقال رجل من أشراف الناس ، هذا والله حريّ إن خطب أن ينكح ، وإن شفع أن يشفع ، قال : فسكت رسول الله ﷺ ثم مرّ رجل فقال له رسول الله ﷺ : « ما رأيك في هذا » . فقال : يا رسول الله ، هذا رجل من فقراء المسلمين ، هذا حريّ إن خطب أن لا ينكح ، وإن شفع أن لا يشفع ، وإن قال أن لا يُسمع لقوله ، فقال رسول الله ﷺ : « هذا خير من ملء الأرض من مثل هذا » (١) .

وفي هذا الحديث لفت رسول الله ﷺ نظر هذا المخاطب إلى أن القيمة التي يراها لصاحب الشرف والمكانة ليست لها قيمة في ميزان الله تعالى ؛ لأنّها لا تقرب صاحبها من الله ، وهي حطام زائل ، فالغنى لا يقرب صاحبه من الله بمجرد كونه غنياً ، بل بإنفاقه وقوة صلته بالله تعالى ، وإخلاصه العمل له سبحانه وتعالى ، وجميع أسباب الشرف الدنيوي كذلك تكون نعمة إذا صرفت في طاعة الله ، ولم تؤد بصاحبها إلى التكبر والتعالي على عباد الله .

**المثال الثاني :** قوله ﷺ في عرض الفتن على القلوب « تعرّض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً فأبى قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء . وأبى قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين ، على أبيض مثل الصفا . فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض ، والآخر أسود مُربّاداً ، كالكلوز مجخياً لا يعرفُ معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه » (٢) .

وفي هذا الحديث بيّن رسول الله ﷺ أن الفتن تتوالى وتعرض على القلوب واحدة تلو الأخرى « كنسيج الحصير عوداً بإزاء عود ، وشطبة بإزاء شطبة ، أو كما يناول مهياً القضبان للناسج عوداً بعد عود » (٣) .

ولما كانت هذه الفتن غيبية بالغ الرسول ﷺ في إيضاح كيفية عرضها على القلوب وكيفية تلقي القلوب لها ، وأنها إما أن تتقبلها وترضى بها ، فيكون الأثر إسوداد القلب تدريجياً ، وكلما ازداد القلب سواداً يزداد بُعداً عن الحق ، وانهماكاً في الباطل ، وإما أن ينكر القلب الفتن فيكون الأثر طيباً بحيث يزداد بكل فتنة تُعرضُ عليه وينكرها ابيضاضاً ونوراً وصلابة في الحق وبعداً عن الباطل وقد

(١) - سبق تخريجه (ص/٢٩٦) من الفصل الثاني .

(٢) - سبق تخريجه (ص/١٠٢) من الفصل الأول .

(٣) - " المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم " (١/٣٥٨ - ٣٥٩) .

أبلغ الرّسول ﷺ في إيضاح صورة هذين القلبين حيث قال ﷺ : « ... حتى تصير على قلبين أبيض مثل الصّفّا » . وليس تشبيهه بالصّفّا من جهة بياضه ، ولكن من جهة صلابته على عقد الإيمان وسلامته من الخلل والفتن ، إذ لم يلصق به ولم يُؤثّر فيه ، كالصّفّا وهو الحجر الأمتس الذي لا يعلّق به شيء (١) .

« والآخر أسود مُربّاداً كالكوز مُجخياً » .

وقد شبّه الرّسول ﷺ هذا النّوع من القلوب بالكوز الخاوي ، لخلّوه من الإيمان والأمانة فهو منكوس لا يستقر فيه خير (٢) وأنّى للكوز المنكس أن يستقر فيه شيء ، ولا سيما إذا كانت فيه خروق وشقوق ولا يخفى ما يشتمل عليه هذا التصوير من إيضاح ، وقد سبق بيان ذلك بالتفصيل في الفصل الأول (٣) .

وفي ضوء ما تقدم يتضح لنا أنّ الكلام قد يكون واضح الدلالة يفهمه المخاطب دون حاجة إلى الوسائل الإيضاحية ، وفي هذا النوع لا ينبغي إقحام الأمثلة والتشبيهات المحسوسة ؛ لأنّها تُستعمل للإيضاح ، وتكون حشواً إذا لم تدع الحاجة إلى استخدامها ، فيسأم السّامعون من إيرادها ؛ لأنّها تكون مبتذلة تنفر منها النفوس فتصير كالماء العذب يبذل لمن لا يحتاجه لأنّه رِيّان .

أمّا إذا كان الكلام غامضاً ؛ لعدم إلف السّامعين لمقتضاه ، أو مخالفاً لما اعتادوه فإنّ الحاجة حينئذ تكون ماسّة إلى استخدام الوسائل الإيضاحية ؛ لأنّ النفوس تشرب وتتعطش إليها ، فتصير كالماء العذب البارد أهدي إلى عطشان ، وهذا الضّابط إذا التزم به الدّعاة اقتداءً بإمامهم ﷺ ، كان ذلك أدعى لاستجابة المدعوين وتأثرهم بما يُوجه إليهم من خطاب ، وبذلك تتحقق الأهداف والمقاصد - بإذن الله تعالى - .

(١) - " المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم " (٣٥٩/١) .  
 (٢) - ينظر : " المرجع السابق " (٣٦١/١) .  
 (٣) - في " كيفية عرض الفتن على القلوب " (ص/١٠٢) فليرجع إليه .

**المطلب الثاني : ضابط الاقتصار على المحسوسات المعروفة**

**للمخاطبين .**

وفيه مسلكان :

**المسلك الأول : تشبيه المسلم بالنخلة .**

**المسلك الثاني : بيان عقوبة الذي يأمر بالمعروف**

**ولا يأتيه ، وينهي عن المنكر ويأتيه .**



## المطلب الثاني

### ضابط الاقتصار على المحسوسات المعروفة للمخاطبين

لا يخفى أنّ المنهج الحسي يُحتاج إليه لإيضاح غامض ، أو تقريب مُستبعد ، أو إزالة لبس ولن تتحقق هذه الأهداف إلا إذا كانت المحسوسات معروفة لدى المخاطبين ومشاهدة لديهم (١) ؛ لأننا حين نلحقُ مجهولاً بمجهول يزداد الأمر غموضاً وخفاءً ، ولكننا حين نلحقُ المجهول بالمعلوم يكتسب من إلحاقه به وضوحاً وجلاءً ، وتتحقق الأهداف المقصودة ببسر وسهولة ومما يؤكد ذلك أنك إذا تتبععت المحسوسات التي كان الرسول ﷺ يستخدمها للإيضاح وجدتها منتزعة من البيئة العربية لأنّ خطابه في الغالب موجه إليهم بالدرجة الأولى ولا ينافي ذلك عموم رسالته للناس من بعده ، وهذه أمثلة تدل على ذلك أذكرها من خلال المسالكين التاليين :

(١) - ينظر : " البرهان في علوم القرآن " للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (٤٨٨/١) تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة دار التراث - القاهرة ، بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها .

## المسلك الأول

### تشبيه المسلم بالنخلة

من ذلك ما ثبت في الصحيحين من حديث عبدالله بن عمر - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « إنَّ من الشَّجر شجرة لا يسقط ورقها ، وهي مثَلُ المُسلم ، حدثوني ما هي ؟ » فوقع النَّاس في شجر البادية ، ووقع في نفسي أنَّها النَّخلة ، قال عبدالله : فاستحييت ، فقالوا : يا رسول الله أخبرنا بها ، فقال رسول الله ﷺ : « هي النَّخلة » (١) .

وفي هذا الحديث أراد الرسول ﷺ أن يلفت نظر الصحابة - رضي الله عنهم - إلى مكانة المسلم وعظيم بركته وكثرة منافعه ، ولما كان الناس أو أكثرهم لا يدركون هذه المكانة التي جعلها الله للمسلم ، شبَّهه رسول الله ﷺ بالنخلة التي يدركون منافعها وهي حاضرة في أذهانهم ، يعرفون هيئتها وفوائدها الجمَّة ، فثمارها غذاء ، وجذوعها بناء وظلُّها وقاءٌ ، وفي ذلك يقول القاضي عياض - رحمه الله - : « ويشبَّهها بالمسلم لكثرة خيرها ، ودوام ظلِّها ، وطيب ثمرها ووجودها على الدَّوام » (٢) ، « فإنَّه من حين يطلع ثمرها لا يزال يُؤكل منه حتى يبس ، وبعد أن يبس يتخذ منها منافع كثيرة من خشبها وورقها وأغصانها فيستعمل جنوعاً وحطباً وعصياً » (٣) . و « ينتفع بجميع أجزائها حتى النَّوى في علف الدَّواب والليف في الحبال وغير ذلك ممَّا لا يخفى ، وكذلك بركة المسلم عامَّة في جميع الأحوال ، ونفعه مستمر له ولغيره حتى بعد موته » (٤) .

وتشبيه الرسول ﷺ المسلم بالنخلة فيه إيضاح بليغ لجوانب كثيرة من مزايا المسلم وأخلاقه وثباته على الحق ، فالنخلة لا يسقط ورقها ، وكذلك المسلم لا يمضي عليه وقت إلا وهو في طاعة الله ففي اليوم خمس صلوات كتبهنَّ اللُّهُ والطَّهارة لهنَّ وذكر الله قبلهنَّ وبعدهنَّ ، وفي الأسبوع صلاة الجمعة وفي السُّنة

(١) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب العلم ، باب : الفهم في العلم (٥١/١) ح (٧٢) والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب العلم : باب طرح العالم المسألة على أصحابه ليختبرهم و

(١٧١٧/٤) ح (٢٨١١) واللفظ له .

(٢) - " إكمال المعلم بفوائد مسلم " (٣٤٥/٨) .

(٣) - " عمدة القارئ " (٣٨٩/١) .

(٤) - " فتح الباري " (١٧٦/١) .

تأتي عبادة الصيام الواجب في رمضان والتطوع في سائر أيام السنة ما عدا العيدين :  
والحج يجب مرة في العمر وهو عبادة عظيمة متكررة كل سنة لمن أراد التطوع ،  
والزكاة عبادة مالية يتعدى نفعها إلى الغير ، فالمسلم مستمر الصلة بخالقه ، لا ينقطع  
عن العمل الصالح ، « يُخالط النَّاسَ ويصبر على أذاهم ، ينفع ولا يضر ، جميل  
المظهر والمخبر ، مكارم أخلاقه مبدولة للناس ، يعطي ولا يمنع ، ويؤثر ولا يطمع  
لا يزيده طول الأيام إلا بسوقاً وارتفاعاً عن الدُّنيا » (١) .

ومزايا المسلم لا حصر لها ، فيكفيه اشتغال قلبه على معرفة خالقه وتعظيمه  
والتوكل عليه ، وقد أراد الرسول ﷺ أن يشدَّ السَّامعين إلى ما يقول : فسأل أصحابه  
عن شجرة تشبه المؤمن « ولم يظنوا أنَّ هذه الشجرة ستكون مما ألفوه وعرفوه ،  
فوقعوا في شجر البوادي ، يُغربون ويُبَالغون في الإغراب ... ووقع في نفس عبد الله  
أنَّها النَّخْلَةُ » (٢) .

ولا يخفى أنَّ النَّخْلَةَ محسوسة لدى أهل المدينة ومعروفة لديهم ، ويدل على  
ذلك معرفة عبد الله - ﷺ - لها بمجرد ذكر بعض أوصافها .

(١) - "الرسول المعلم وأساليبه في التعليم" تأليف : عبدالفتاح أبو غدة (ص/١٥٤) .  
(٢) - "التصوير الفني في الحديث النبوي" (ص/٤٤٥) .

## المسلك الثاني

### بيان عقوبة الذي يأمر بالمعروف ولا يأتيه ، وينهي عن المنكر ويأتيه

فمن ذلك ، ما جاء عن أسامة بن زيد - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يُؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أفتاب بطنه ، فيدور بها كما يدور الحمار بالرّحى ، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون : يا فلان ! مالك ؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فيقول : بلى . قد كنت أمر بالمعروف ولا أتبه ، وأنهى عن المنكر وأتبه » (١) .

وفي هذا الحديث : يوضّح الرسول ﷺ أمراً غيبياً يحتاج إلى إيضاح ؛ لأنّ الأمور الغيبية إذا شُبّهت بأمر محسوسة ، قَرِبَتْ إلى أذهان المخاطبين وترسّخت في عقولهم ، وقد بين الرسول ﷺ حال هذا الرجل الذي يخالف باطنه ظاهره ، وسرّه علانيته ويأمر بالمعروف ولا يأتيه ، وينهي عن المنكر ويأتيه وشبهه بالحمار في أبشع صورة واذعائها إلى التقرّز ؛ لأنّ أمعاه قد تدلّت وخرجت من بطنه ، وجعل يدور بها مثل دوران الحمار بالرّحى ، إنّه موقف مُخزن ومخجل تكاد تنفطر له الأكباد خوفاً ورعباً ، وألفاظ هذا الحديث كلها في نسقها وسياقها معبرة عن صعوبة هذا المشهد المتلاحق الأحداث وكلّ حدث منها يكفي في التفسير والتّحذير من الفعل الذي يكون سبباً للوقوع في تلك المهلكة فالقهر يعبر عنه الفعل ( يُؤتَى ) الذي يدل على أنّه مقهور لا ملجأ له ولا مفرّ (٢) ، « فيلقَى في النار » وأي بلاء أعظم من الإلقاء في النار !؟ ، ( فتندلق أفتابه ) إنّ البلاء بالنسبة لهذا الرجل لم ينته عند الإلقاء في النار بل توالى عليه أحداث أخرى تزيد الحسرة والنّدامة حيث خرجت أمعاؤه من بطنه فدار بها دوران الحمار بالرّحى ، وهذا المشهد الشنيع المستكر الذي جعل أهل النار يجتمعون إليه ، ويسألونه (٣) عن السبب الذي أوقع به هذا البلاء مع أنّه كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر « أمّا أنّها أفعال مضارعة لم تقترن بالتسوية ، مع أنّها أمورٌ أخروية مستقبلية ، فذلك لاستحضارها في الحال ، كأنّها تُدرك وتُحس كما

(١) - سبق تخريجه " (ص / ٣٣٦) .

(٢) - ينظر : " الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية " مرجع سابق (ص/١٦٩) .

(٣) - ينظر : " التصوير الفني في الحديث النبوي " (ص/١٨٧) .

يدرك ويُحسُّ دوران الحمار بالرَّحَى ، والتشبيه بأمر يتصل بالحمار لا يكون إلا تقبيحاً ، وذلك سِرّاً اختياره دون ما يجزى الرَّحَى من سائر الحيوان » (١) .

والحمار حيوان معروفٌ عند المخاطبين ، ودورانه بالرَّحَى معروفٌ ، ولا يُؤْتَى بالحمار في مثلٍ محمودٍ فالحمار عند العرب يُضْرَبُ به المثلُ في البلادة والمهانة والذلة ، كما يقول : المتلمس الضبيعي :

ولا يُقِيمَ على خَسْفٍ (٢) يُسَامُ (٣) به \* إلا الأذلان عَيْرَ الأهل والوَيْدِ

هذا على الخسف مربوط برُمَّته (٤) \* وذا يُشْحُجُ (٥) فما يرثي له أحدٌ (٦) .

والحمار وإن كان بليداً وذليلاً ، فإنَّ الشخص الذي يُنْقِذُ النَّاسَ من المهالك ويوقع نفسه فيها أكثر بلاداً وأعظم ذلاً يوم القيامة - كما هو واضح -

وفي ضوء هذين المثالين يتبين لنا أنَّ الرَّسُولَ ﷺ كان يختار من المحسوسات أقربها إلى أذهان المخاطبين وأكثرها التصاقاً ببيئتهم ، مع مراعاة أوجه الشبه بين المشبه ، والمشبه به ، فالنخلة شبهت بالمسلم في كثرة منافعها - كما سبق بيانه - والحمار شبه به الأمر بالمعروف الذي لا يأتيه ، والنَّاهي عن المنكر الذي يأتيه ، والجامع الحقارة والمهانة والدُّلَّة ومن هنا فإنَّ الدُّعَاءَ إلى الله تعالى يجب أن يتابعوا رسول الله ﷺ ويستتبروا بهديه العملي خلال القيام بالمهمة الدَّعوية ، فإن ذلك أجدى وأنفع بإذن الله تعالى . وبتعرفهم على بيئات المخاطبين وظروفهم يسهل عليهم أن يفيدوهم ، ويُراعوا أحوالهم ، وينبغي أن تكون الوسائل التوضيحية متناسبة مع حال المدعويين ومستواهم الفكري والعقلي ومنزعة من بيئتهم ليتحقق الهدف المقصود من

(١) - " الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية " (ص/١٦٩) ، وينظر أيضاً : " أثر التشبيه في تصوير المعنى " (ص/٣٢٧) .

(٢) - " خَسْفٍ " النقصان والهوان ، وأصله أن تحبس الذابة على غير علف ، ثم استعير فوضع موضع الهوان . ينظر : " لسان العرب " (٦٩/٩) مادة (خسف) ، " النهاية في غريب الحديث " (٣١/٢) .

(٣) - " يُسَامُ به " أي يكلف به . ينظر " لسان العرب " (٣١٢/١٢) .

(٤) - " يرُمَّته " : الرَّمَّة : قطعة من الحبل بالية ، وقيل : هي قطعة حبل يُشدُّ بها الأسير أو القاتل الذي يقاد للقصاص . ينظر : " لسان العرب " (٢٥٢/١٢) مادة (رمم) .

(٥) - " يُشْحُجُ " : الشَّحُّ هو الضرب في الرأس خاصة في الأصل ، ثم استعمل في غيره من الأعضاء ، يقال : شجَّه يشجُّه شجًّا . ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (٤٤٥/٢) مادة (شجج) .

(٦) - " ديوان المتلمس الضبيعي " رواية الأثرم وأبي عبيدة عن الأصمعي ، غني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه : حسن كامل الصيرفي (ص/٢٠٨ - ٢١١) ، جامعة الدول العربية ، معهد المخطوطات العربية ، ١٣٩٠هـ ، بدون ذكر رقم الطبعة .

استخدامها ، فإذا كنت أيها الأخ الداعية تخاطب قوماً لم يروا الجبال ، فلا تجعلها وسيلة إيضاحية في خطابك إياهم ، وإذا كنت تريد أن تُبالغ في سرعة شيء معين فلا تَعُدْ بذهنك إلى العصور القديمة التي كان أهلها عند مبالغتهم في سرعة شيء ما يُشبهونه ببعض الحيوانات التي يعرفونها ، فقد حدثت أشياء ومقاييس للسرعة مثل السرعة الضوئية والذبذبات الصوتية ، وسرعة الطائرات ونحو ذلك . من الأمور الحديثة ذات السرعة المذهلة ، ولاحظ خلال حديثك الفوارق الاجتماعية والفكرية لمن تخاطبهم ، وإذا أردت الإيضاح بالمنهج الحسي ، فاختر المحسوسات التي يغلب على ظنك أنهم يعرفونها ، وقد تحتاج إلى سؤالهم للتأكد من معرفتهم للوسيلة الإيضاحية التي تريد استخدامها ، فقد كان الرسول ﷺ يسأل أصحابه أحياناً « هل رأيتم كذا » ومن ذلك قوله ﷺ : « وفي جهنم كلاب مثل شوك السعدان » ؟ ثم سألهم هل رأيتم شوك السعدان ؟ قالوا : نعم . يارسول الله ! قال : « فإنها مثل شوك السعدان » (١) .

ومنه قوله للرجل الذي شك في نسبة ابنه إليه : « هل لك من إبل » ؟ قال : نعم . قال : « فما ألوانها ؟ » قال : حمر . قال : « هل فيها من أورك » قال : إن فيها لورقا . قال : « فأنسى أتاها ذلك ؟ » قال : عسى أن يكون نزعة عرق . قال : « وهذا عسى أن يكون نزعة عرق » (٢) .

(١) - سبق تخريجه " في الفصل الأول (ص/١٤٥) .

(٢) - سبق تخريجه " (ص/٩ ، ٣١) .

**المطلب الثالث : الالتزام بالأدب الشرعي حالة استخدام المنهج**

**المسي .**

وفيه مسلكان :

**المسلك الأول : خطر محاكاة الأشخاص واغتيابهم .**

**المسلك الثاني : خطورة سب المسلمين وأذاهم بالتشبيه**

**بما يكرهون .**

## المطلب الثالث

### الالتزام بالأدب الشرعي حالة استخدام المنهج الحسي

المسلمون جميعاً مُطالبون بالالتزام بالأدب الشرعي في أقوالهم وأفعالهم قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً \* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (١) .

والقول السديد هو المستقيم الذي لا اعوجاج فيه ولا انحراف (٢) ، والتقوى وطاعة الله ورسوله ﷺ هما أساس للأدب الشرعي ، فمن اتقى الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه فقد التزم بهذا الأدب العظيم .

وفي هاتين الآيتين « يُوجِّهُ الْقُرْآنُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى تَسْدِيدِ الْقَوْلِ وَإِحْكَامِهِ وَالتَّدْقِيقِ فِيهِ ، ومعرفة هدفه واتجاهه » (٣) .

والدُّعَاةُ إِلَى اللَّهِ أَوْلَى النَّاسِ التَّزَامًا بِهَذَا الْأَدَبِ ؛ لِأَنََّّهُمْ قُنُودٌ لِغَيْرِهِمْ ، وهدفهم الإصلاح ، وتتميم مكارم الأخلاق ، وهُمُ الَّذِينَ يَجِبُ أَنْ يَكُونُوا عَلَى عِلْمٍ بِأَهْمِيَةِ الْكَلِمَةِ وَقُوَّةِ أَثَرِهَا إِنْ كَانَتْ إيجابية وَأَنَّهَا قَدْ تَوَصَّلَ الْعَبْدُ إِلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، كَمَا أَنَّهَا إِنْ كَانَتْ سَيِّئَةً قَدْ تَكُونُ سَبَبًا لِسُقُوطِ صَاحِبِهَا فِي النَّارِ عِيَاذًا بِاللَّهِ فَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يَلْقَى لَهَا بِالْأَلْفِ يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يَلْقَى لَهَا بِالْأَلْفِ يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ » (٤) .

قال القاضي عياض - رحمه الله - « قيل : هي الكلمة يتكلم بها عند سلطان جائر يرضيه بها فيما يُسخط الله ، وقيل : بل هي من الرِّفْتِ والخنا » (٥) .

وقد يكون المقصود بهذه الكلمة ما هو أعمُّ مما ذُكِرَ فَيَدْخُلُ فِيهَا اغْتِيَابُ الْمُسْلِمِينَ وَالتَّكَلُّمُ فِي أَعْرَاضِهِمْ ، بِمَحَاكَاةِهِمْ فِي أَقْوَالِهِمْ ، أَوْ السَّخْرِيَّةَ وَالِاسْتِهْزَاءَ بِهِمْ ، وَكُلُّ مَا يُؤْذِيهِمْ فِي أَحْسَابِهِمْ وَأَنْسَابِهِمْ وَحَوْلَ هَذِهِ الْمَعَانِي سَيَكُونُ الْحَدِيثُ فِي هَذَا الْمَطْلَبِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى -

- (١) - سورة الأحزاب ، الآيتان : (٧٠ - ٧١) .
- (٢) - ينظر : " تفسير القرآن العظيم " (٦٨٨/٣) .
- (٣) - " في ظلال القرآن " (٢٨٨٤/٥) .
- (٤) - أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الرقاق ، باب : حفظ اللسان (٢٠٣٢/٤) ح (٦٤٧٨) .
- (٥) - " إكمال المعلم بفوائد مسلم " (٥٣٧/٨) .



## المسلك الأول

### خطر محاكاة الأشخاص واغتيالهم

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت حكيت للنبي ﷺ رجلاً فقال : « ما يسرني أنى حكيت رجلاً وأن لي كذا وكذا » قالت : فقلت يارسول الله ، إن صفة امرأة وقالت بيدها هكذا ! كأنها تعني : قصيرة ، فقال : « لقد مزجت بكلمة لو مزجت بماء البحر لمزج » (١) .

وفي رواية « لقد قلت كلمة لو مزج بها ماء البحر لمزجته » (٢) .

وفي هذا الحديث بين الرسول ﷺ خطورة المحاكاة لأنه لو أعطي مقابلاً « كذا وكذا » من الدنيا لم يرغب فيها إذ المعنى « ما أحب الجمع بين المحاكاة وحصول كذا وكذا من الدنيا وما فيها بسبب المحاكاة فإنها أمر مذموم » (٣) .

وأكد الرسول ﷺ خطورة المحاكاة وما يدل على التنقص بإنكاره على عائشة - رضي الله عنها - حين أشارت إشارة محسوسة تدل على قصر صفة - رضي الله عنها - فقال : « لقد قلت كلمة .. » ، وفي الرواية الأخرى « لقد مزجت بكلمة .. » والمعنى أنها نطقت بكلمة عظيمة وخلطت أعمالها الصالحة بشيء لو جسّد وخلط به ماء البحر على غزارته وكثرة مائه لغيره وغلبه لخبثه وشناعته ، فكيف بالأعمال التي ولو كانت كثيرة لا تساوى البحر ؛ بل ولا تقاربه (٤) .

وعلى هذا فالحكاية حرام ، إذا كانت على سبيل السخرية والاستهزاء والاحتقار ، لما فيها من العجب بالنفس والاحتقار للخلق والأذية لهم ، وهذا فيما لا كسب فيه من خلق الله عز وجل ، فإذا كان مما يكسبون فإن كان في معصية ، جازت حكايتهم على طريق الزجر فيما لا يذهب بالوقار والحشمة » (٥) .

(١) - أخرجه الإمام الترمذي في " سننه " كتاب صفة القيامة ، باب (٥١) ، (٦٦٠/٤) ح (٢٥٠٢) وقال : " هذا حديث حسن صحيح ، وصححه الشيخ الألباني في " صحيح سنن الترمذي " (٣٠٦/٢) ح (٢٠٣٤) .

(٢) - أخرجه الإمام أبو داود في " سننه " كتاب الأدب ، باب في الغيبة (١٩٢/٤ - ١٩٣) ح (٤٨٧٥) . وصححه الشيخ الألباني في كتابه " صحيح سنن أبي داود " (١٩٦/٣) ح (٤٨٧٥) .

(٣) - " تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي " للإمام أبي العلاء محمد بن عبدالرحمن المباركفوري (١٧٦/٧) .

(٤) - ينظر : " المرجع السابق " (١٧٧/٧) ، ينظر أيضاً : " الأخلاق الإسلامية وأسسها " عبدالرحمن الميداني (٢٤٣/٢) .

(٥) - ينظر : هامش " سنن أبي داود " تعليق وتحقيق : عبيد الدعاس (١٩٢/٥ - ١٩٣) .

## المسلك الثاني

### خطورة سبّ المسلمين وأذاهم بالتشبيه بما يكرهون

قال الله تعالى : ﴿ والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً ﴾ (١) .

وعن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر » (٢) .

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : « في الحديث تعظيم حق المسلم والحكم على من سبّه بغير حق بالفسق » (٣) .

والدعاة إلى الله تعالى يجب أن يكونوا قدوة وأسوة لغيرهم باختيارهم الألفاظ المناسبة البعيدة عن الأذى ، فلا يُشَبَّهوا المخاطب تشبيهاً يُؤذيه ؛ لأنّ ذلك لا يُحقّق الهدف المنشود من الإيضاح ، إذ المخاطب إذا تأذى من الخطاب ، فلن يستفيد منه ، ومثال ذلك أن يُشَبَّه المخاطبين بالحمير في صبرهم أو بالكلاب في حذرهم ، أو يُشَبَّه مسلماً بكافر ، أو بمنافق ، ونحو ذلك مما لا حصر له ، وضابطه أن يكون في التشبيه أذى لمسلم ، وخاصة إذا كان المُشَبَّه محدداً ومخصوصاً ؛ لأنّ ذلك مما يزيد في أذاه .

ومما يدل على أنّ هذا النوع من التشبيه ينبغي تحاشيه أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم كان يستخدمه في التفسير من الأمور المُستكرهه والأفعال غير اللائقة فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أفعال لا تليق بالصلاة ، مُشَبَّهاً لها بأفعال بعض الحيوانات لأجل التفسير فمن ذلك : نهيه عن افتراش الدّراعين كافتراش الكلب ، وعن نقر الدّيك ، وإقعاء كإقعاء الكلب ، والتفات كالتفات الثعلب ، وفي التحذير من رفع الرّأس من السجود قبل الإمام قال صلى الله عليه وسلم : « أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يُحوّل الله رأسه رأس حمار » (٤) .

(١) - سورة الأحزاب ، الآية : (٥٨) .

(٢) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الإيمان ، باب : خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر (٤٠/١) ح (٤٨) ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الإيمان ، باب بيان قول

النبي صلى الله عليه وسلم سبابا المسلم فسوق وقتاله كفر (٨٠/١) ح (٦٤) .

(٣) - " فتح الباري بشرح صحيح البخاري " (١٣٨/١) .

(٤) - " سبق تخريجه " في الفصل الأول (ص /١٧٣) .

وهذه التشبيهات للتفنير من هذه الأفعال المذكورة ، وليس فيها تحديد للمشبه ، وهي بليغة في التحذير من هذه الأفعال لأنَّ الإنسان العاقل لا يرضى أن تكون أفعاله مثل أفعال الحيوان وقد فصلت القول في هذه الأمور في مبحث الأحكام العملية من الباب الأول فمن أراد الاستزادة ، فليرجع إليه (١) .

وأما التشبيه الذي يحدد فيه المشبه ، باسمه فليس بكثير في السنة . وقد وردت تشبيهات عن الرسول ﷺ من هذا النوع لأجل الإيضاح ، ولكنها في غالبها ليست في أهل الإيمان ، ومن تلك التشبيهات قوله ﷺ في عاقر الناقة في قوله تعالى : ﴿ إذ انبعث أشقاها ﴾ انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في رهطه مثل أبي زمعة (٢) .

وقد شبه الرسول ﷺ في هذا الحديث شقياً بشقي ؛ لأنَّ أبا زمعة هو الأسود بن المطلب الأسدي وهو أحد المستهزئين ، ومات بمكة كافراً (٣) .

وفي حديث آخر شبه الرسول ﷺ الدجال بعبد العزى ابن قطن فقال وهو يتحدث عنه : « إنَّه شاب قطط ، عينه طافئة كأنِّي أشبهه بعبد العزى بن قطن » (٤) .

وفي رواية البخاري : « أقرب النَّاس به شبها ابن قطن رجل من خزاعة » (٥) . وقد ذكر العلماء أنَّ ابن قطن المذكور مات على الكفر ، فقد نقل ابن حجر عن الزهري (٦) أنَّه قال : « هلك في الجاهلية » (٧) .

وقال الأبي - رحمه الله - « قيل : قد كان يهودياً ولعلَّ الظَّاهر أنَّه كان مشركاً لأنَّ العزى صنم ، يؤيده ما في بعض الحواشي : هو رجل من خزاعة هلك

(١) - (ص ١٧٣/ ١٧٦) .

(٢) - أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب التفسير ، باب تفسير سورة الشمس ، (١٥٨٨/٢) ، ح (٤٩٤٢) .

(٣) - ينظر : " فتح الباري " (٥٧٦/٨) .

(٤) - سبق تخريجه في الفصل الأول (ص ١٢٢/ ١٢٣) .

(٥) - سبق تخريجه في الفصل الأول (ص ١٢٣/ ١٢٤) .

(٦) - هو : محمد بن مسلم بن عبيدالله بن عبدالله بن شهاب بن زهرة بن كلاب بن مرة القرشي

الزهري الفقيه ، أبو بكر الحافظ المدني ، تابعي أحد الأئمة الأعلام ، وعالم الحجاز والشام ، روى

عن خلق كثير منهم : عبدالله بن عمر ، عبدالله بن جعفر ، وسهل بن سعد ، وأنس ، وجابر ، وغيرهم

من الصحابة والتابعين ، وروى عنه : عطاء بن أبي رباح ، وعمر بن عبدالعزيز ، وعمر بن دينار ،

وغيرهم ، كان آية في الحفظ يقول : ما استودعت قلبي شيئاً قط فنسيته ، قيل : كان يحفظ ألفين

ومائتين حديث نصفها مسند ، دخل على عبدالملك بن مروان ، ولأزم مجلسه حتى مات ثم ابنه الوليد ،

ثم سليمان ، ثم عمر بن عبدالعزيز ، كان كريماً سخياً ، توفي سنة ١٢٣ هـ . ينظر : " سير أعلام

النبلاء " (٣٢٦/٥ - ٣٥٠) ، " تهذيب التهذيب " (٢٦٦/٥ - ٢٦٩) ، تذكرة الحفاظ " (١٠٨/١) .

(٧) - ينظر : " فتح الباري " (١٠٥/١٣) ، " عمدة القارئ " (٤٠/٢٠) .

في الجاهلية» (١) .

قلت : أمّا كونه من خُزاعة فقد ثبت ذلك في البخاري في الرواية التي ذكرتها قريباً ، وخُزاعة مشركون كما هو معلوم .

والذي يهّمنا أنّه لم يثبت كونه مسلماً سواء كان يهودياً أم مشركاً ، لأنّ « الغرض من التشبيه البيان وتقريب صورة الدّجال وتوضيحها للسّامعين من الصحابة والتابعين ، وتابع التابعين بإحسان إلى يوم الدين ليكونوا على حذر من هذا الدّجال اللّعين » (٢) .

إذ التشبيه ذو أثر واضح في تصوير المعاني وإيضاحها ولكنه قد يكون سبباً لحصول أذى لمسلم ، فتعارض أهميته مع حرمة أذى أهل الإسلام ، ولا يتوسل بحرام إلى غيره ، والمتتبع لحديث رسول الله ﷺ يجد أنّه كان يتحاشى كل ما يسبب الأذى للمخاطبين من المسلمين فقلّ أن يشبه مسلماً بكافر ؛ ولذا لمّا شبّه معبداً الخزاعي بعمر بن لحي وقال له معبد : يا رسول الله أتخشى عليّ من شبّه فإنّه والدي . قال له : « لا أنت مؤمن وهو كافر » (٣) .

فسؤال هذا الصحابي لرسول الله ﷺ يدل على تخوف من أن يلحقه ضرر من شبّه بعمر الكافر فأوضح له الرسول ﷺ أنه لا يلحقه ضرر بسبب هذا الشبه ، لأنه مؤمن ، ومن يشبهه كافر .

وفي ضوء ما تقدّم يتبين لنا أنّ الدّعاة إلى الله يجب أن يكونوا على حذر حالة استخدامهم للمنهج الحسي من أن يقعوا في مخالفة شرعية ، بمحاكاة الآخرين في أقوالهم ، أو هيئاتهم الخلقية والخلقية ، إذا لم يجاهروا بما يجب إنكاره من المعاصي والمخالفات ؛ لأنّ هدفهم الأسمى أن ينقاد النّاس لفعل الخير ويتعدوا عن الشرّ ولن يحققوا هذا الهدف إذا لم يكونوا قدوة ، لغيرهم في التزامهم بأداب الشرع التي يوجهون النّاس إليها ، ويرغبونهم في الأخذ بها ، فالقدوة العملية أقوى أثراً من الكلام المجرد ، ولن ينتفع النّاس بالدّاعية الذي لا يتحاشى ما يؤذيهم في توجيهاته وخطاباته ، وقد يكون الأثر عكس مقصوده ، إذا لم يُراع هذه الأمور في حديثه - والله أعلم - .

(١) - " شرح الأبي لصحيح مسلم " (٣٩٤/٩) .

(٢) - " أثر التشبيه في تصوير المعنى " (ص/٤٩) .

(٣) - أخرجه الإمام الحاكم في المستدرک (٦٤٧/٤) ح (٨٧٨٨) ، وقال : " حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه " ، ووافقه الذهبي .

**المطلب الرابع : الالتزام بأداب وأخلاق الإسلام في حالة**

**استخدام المنهج الحسي .**

وفيه مسلكان :

**المسلك الأول : الكناية عند ذكر العورات .**

**المسلك الثاني : تحريم إفشاء ما يكون بين الزوجين من**

**أمر خاصة .**

## المطلب الرابع

### الالتزام بالأدب الخُلقي حالة استخدام المنهج الحسي

لقد كان رسول الله ﷺ أحسن النَّاس خُلُقاً وأعفَّهم لساناً ، لا يُصرِّح بمُسْتَهْجِن ولا ينطق بعوراء ، يُفصح ويُعرب مالم يؤدِّ ذلك إلى خطل (١) من القول ، أو هَجْر (٢) من الكلام ، يختار من الألفاظ أعذبها ، ومن المعاني أطيبها ، عصم الله قلبه من الشَّيْطَان ، ولسانه عن الهذيان ، يجتهد في إفهام قوله ، ويختار لذلك أقرب الوسائل حسية كانت أو عقلية ، لكن الرِّغْبَة في الإيضاح لم تكن لِتُخْرِجَ ذا الخُلُقِ العَظِيمِ عن العِفَّةِ الخَلْقِيَّةِ في كلامه ومنطقه وفيما يلي سأذكر شواهد تدلُّ على أنَّه ﷺ كان يتحاشى التَّصْرِيحَ بالمحسوس المستهجن الذي تأنف من سماعه الطباع السليمة .

(١) - " خطل من القول " الخطل : المنطق الفاسد . " النهاية في غريب الحديث " (٥٠/٢) مادة (خطل) .  
(٢) - " هَجْر من الكلام " أي فحشاً من الكلام . ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (٢٤٥/٥) مادة (هجر) .

## المسك الأول

### الكناية عند ذكر العورات

ومن ذلك ما ثبت في الصحيحين من حديث عائشة - رضي الله عنها - أنّ امرأة سألت النّبي ﷺ عن غُسلها من الحيض ، فأمرها كيف تغتسل قال : « خذي فرصة من مسك<sup>(١)</sup> فتطهري بها » قالت : كيف أتطهر بها ؟ قال : « تطهري بها » قالت كيف ؟ قال : « سبحان الله تطهري » فاجتذبت إليها ، فقلت : تَتَبَّعي بها أثر الدّم<sup>(٢)</sup> .

وفي هذا الحديث ظهر إعراض رسول الله ﷺ عن التّصريح في جوابه للسّئلة مع إلحاحها في طلب التوضيح ، واكتفى بالتعريض معتبراً أنّ الأمر في غاية الوضوح يدلّ على ذلك قوله ﷺ لما كرّرت السّؤال « سبحان الله » .

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : « وفي هذا الحديث من الفوائد التّسبيح عند التعجب ، ومعناه هنا كيف يخفى هذا الظاهر الذي لا يحتاج في فهمه إلى فكر<sup>(٣)</sup> .

والظاهر أنّ الذي منع الرّسول ﷺ من الجواب الصريح واستخدام المحسوس في الإيضاح إنّما هو الحياء ، يدلّ على ذلك ما ثبت في الرواية الأخرى أنّه ﷺ قال لها : « خذي فرصة ممسكة فتوضئي ثلاثاً » ، ثم إنّ النبي ﷺ استحيى فأعرض بوجهه<sup>(٤)</sup> .

واقصره ﷺ على الكناية يدلّ على استحباب الكناية فيما يتعلق بالعورات قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : « وفيه الاكتفاء بالتعريض والإشارة في الأمور المستهجنة ، وتكرير الجواب لإفهام السّائل ، وإنما كرّره مع كونها لم تفهمه أولاً لأنّ

(١) - "فرصة من مسك" : الفرصة : هي القطعة من القطن أو الصوف ، وفرصت الشيء قطعتة بالمفراض ، وهي حديدة يقطع بها ، والمسك : بفتح الميم أي من جلد فيه شعره ، ومن رواه : بكسر الميم أراد : مسك الطيب ، وجاءت الرواية الأخرى عند البخاري مفسرة لهذا وهو قول الرسول : خُذِي فرصة ممسكة " أي مطيبة بالمسك . يُنظر : " مشارق الأنوار " للقاضي عياض ، (١٨٦/٢) بتصرف .

(٢) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الحيض ، باب : ذلك المرأة نفسها إذا تطهرت من الحيض (١١٨/١) ح (٣١٤) واللفظ له ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الحيض ، باب استحباب استعمال المغتسلة من الحيض فرصة من مسك في موضع الدّم (٢١٨/١) ح (٣٣٢) .

(٣) - "فتح الباري" (٤٩٦/١) .

(٤) - أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الحيض ، باب غسل المحيض ، (١١٨/١) ح (٣١٥) .

الجواب به يُؤخذ من إعراضه بوجهه عند قوله « توضئي » أي في المحل الذي يُستحيى من مواجهة المرأة بالتصريح به » (١) .

وأسلوب التعريض في هذه الألفاظ المتعلقة بالعلاقات الجنسية ، والأمور الخاصّة بتلك الأعضاء التي لا يحسن التصريح بها في الملأ أسلوب قرآني فقد جاءت الكناية عن الجماع بالمباشرة والرّفث ، والإفضاء والملامسة ونحو ذلك قال تعالى : ﴿ فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ أحلّ لكم ليلة الصيام الرّفث إلى نسائكم ﴾ (٣) .

يقول الأستاذ سيد قطب - رحمه الله - : « والرّفث مقدمات المباشرة أو المباشرة ذاتها ، وكلاهما مقصود هنا ومباح ، ولكنّ القرآن لا يمرّ على هذا المعنى دون لمسة حانية رفاة ، تمنح العلاقة الزوجية شفافية ورفقا ونداوة وتناى بها عن غلظ المعنى الحيواني وعرامته ، وتوقظ معنى السّتر في تيسير هذه العلاقة » (٤) .  
وقال تعالى : ﴿ وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض ﴾ (٥) .

قال الإمام ابن كثير - رحمه الله - في تفسير هذه الآية : « أي كيف تأخذون الصّدّاق من المرأة وقد أفضيت إليها ، وأفضت إليك ؟ » (٦) ونقل عن أهل التفسير أنهم فسّروا الإفضاء بالجماع (٧) .

وقال الأستاذ سيد قطب - رحمه الله - مُعلّقاً على هذه الآية : « .. يدعُ الفعل : « أفضى » بلا مفعول مُحدّد ، يدعُ اللفظ مُطلقاً ، يُشعُ كل معانيه ، ويُلقَى كل ظلاله ويكسب كل إحياءاته - ولا يقف عند حدود المسجد وإفضاءاته بل يشمل العواطف والمشاعر ، والوجدانات ، والتصورات ، والأسرار والهُموم ، والتجاوب في كل صورة من صور التجاوب . يدع اللفظ يرسم عشرات صور لتلك الحياة المشتركة آناء الليل وأطراف النّهار ، وعشرات الذّكريات لتلك المؤسّسة التي ضمتها فترة من الزّمان » (٨) .

- (١) - " فتح الباري " (٤٩٦/١) .
- (٢) - سورة البقرة ، جزء من الآية : (١٨٧) .
- (٣) - سورة البقرة ، جزء من الآية : (١٨٧) .
- (٤) - " في ظلال القرآن " (١٧٤/١) .
- (٥) - سورة النساء ، جزء من الآية : (٢١) .
- (٦) - " تفسير القرآن العظيم " (٦٢١/١) .
- (٧) - ينظر : " المرجع السابق " (٦٢١/١) .
- (٨) - " في ظلال القرآن " (٦٠٦/١) .



وقال تعالى ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ (١) .

فقد روي عن ابن مسعود - رضي الله عنه - في تفسير هذه الآية أنه قال : « اللَّمْسُ ، والمباشرة : الجماع ولكن الله كريم يُكَنِّي بما يشاء » (٢) . قال ابن كثير : « وقد صح من غير وجه عن عبدالله بن عباس ؛ أنه قال ذلك » (٣) .

ورجَّح الإمام ابن جرير الطبري - رحمه الله - حمل الملامسة على الجماع فقال : « وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال : عنى الله بقوله : ﴿ أو لامستم النساء ﴾ الجماع دون غيره من معانى اللمس لصحة الخبر عن رسول الله أنه قبل بعض نسائه ثم صلى ولم يتوضأ » (٤) .

(١) - سورة النساء ، جزء من الآية : (٤٣) .  
 (٢) - ينظر : " تفسير القرآن العظيم " (٦٦٩/١) .  
 (٣) - " المرجع السابق " (٦٦٩/١) .  
 (٤) - " جامع البيان عن تأويل آي القرآن " (١٠٥/٥) .

## المسلك الثاني

### تحريم إفشاء ما يكون بين الزوجين من أمور خاصة

فعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة ، الرجل يُفْضِي إلى امرأته وتُفْضِي إليه ، ثم يَنْشُرُ سِرَّهَا » (١) .

وفي هذا الحديث بين رسول الله ﷺ أن المحافظة على الأسرار التي تكون بين الزوجين من أعظم الأمانة وأن شرَّ النَّاسِ عند الله من يُفَرِّطُ في رعي هذه الأمانة قال الإمام القرطبي - رحمه الله - : « ومقصود هذا الحديث هو : أن الرجل له مع أهله خلوة ، وحالة يقبح ذكرها ، والتحدُّثُ بها ، وتَحْمُلُ الغيرة على سترها ، ويلزم من كشفها عارٌّ عند أهل المروءة والحياء ، فإن تكلم بشيء من ذلك وأبداه ، كان قد كشف عورة نفسه وزوجته ؛ إذ لا فرق بين كشفها للعيان ، وكشفها للأسماع والأذان إذ كل واحد منهما يحصل به الاطلاع على العورة » (٢) .

وفي رواية أخرى لهذا الحديث يقول الرسول ﷺ : « إن من أشر النَّاسِ عند الله منزلة يوم القيامة ، الرجل يُفْضِي إلى امرأته وتُفْضِي إليه ثم يَنْشُرُ سِرَّهَا » (٣) . وهذا مما يُؤكِّدُ خطورة الحديث عن هذه الأمور الواقعة بين الزوجين لأنها في الغالب أمور لا يَحْسُنُ ذِكْرُهَا أمام الغير ؛ لأنَّ الحديث عنها يدلُّ على عدم الغيرة على الحرمات وتبئد الإحساس .

وقد تدعو الحاجة إلى التَّصْرِيحِ في بعض الأمور أحياناً خاصة في حالة الشكوى ، أو إيضاح الأحكام ولكن لا ينبغي الاستطراد في ذلك فوق الحاجة ؛ لأن الصحابة - رضي الله عنهم - أنكروا التَّصْرِيحَ على امرأة (٤) رفاعة (٥) ، حين جاءت النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله ، إنَّها كانت تحت رفاعة ، فطلَّقها آخر ثلاث طلقات ،

- (١) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب النكاح ، باب تحريم إفشاء سر المرأة (٨٥٩/٢) ح (١٤٣٧) .
- (٢) - " المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١٦٢/٤) .
- (٣) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب النكاح باب تحريم إفشاء سر المرأة (٨٥٨/٢) ح (١٤٣٧) .
- (٤) - امرأة رفاعة : واسمها تميمة بنت وهب أبي عبيد القرظية المطلقة رفاعة القرظي . قال ابن حجر - رحمه الله - : " لا أعلم لها غير قصتها مع رفاعة بن سمؤال ، حديث العسيلة ، من رواية مالك . ينظر " أسد الغابة " (٤١٢/٥) ، " الإصابة " (٥٨/٨) .
- (٥) - هو : رفاعة بن سمؤال أو رفاعة بن رفاعة القرظي من بني قريظة ، وهو خال صفية بنت حبي أم المؤمنين زوج النبي ﷺ . ينظر : " أسد الغابة " (١٨١/٢) .

فتزوجت بعده عبدالرحمن بن الزبير<sup>(١)</sup> ، وإثمه - والله ما معه إلا مثل الهدبئة وأخذت بهذبئة من جلبابها قال فتبسم رسول الله ﷺ ضاحكاً ، فقال : « لعلك تريدين أن ترجعي إلى رفاعة ؟ لا ، حتى يذوق عسيلتك وتذوقي عسيلته »<sup>(٢)</sup> ، وأبو بكر الصديق جالس عند رسول الله ﷺ ، وخالد بن سعيد العاص<sup>(٣)</sup> على الباب ينتظر أن يؤذن له . فسمع كلامها ، فقال يا أبا بكر ألا تسمع هذه ما تجهر به عند رسول الله ﷺ ؟<sup>(٤)</sup> .

وهذا الحديث يُبين أن طلب المرأة حقها من الوطء عند الحاكم ليس يضاف إلى المروءة ، ولا للحياء المحمود ؛ لأنَّ المقصود من النكاح الوطء فإذا طلبته علم الجميع أنما تعنيه ، فإذا تعذر جاز طلبها له ديناً وحُسن مروءة<sup>(٥)</sup> .

ويقول القاضي عياض - رحمه الله - « وتَبَسُّمُ النَّبِيِّ ﷺ إِمَّا مِنْ تَفَطُّنِهَا لِمَرَادِهَا الرَّجُوعَ لِرُجُوعِ لِرُجُوعِهَا الْأَوَّلِ ، أَوْ تَعْجِبًا مِنْ تَصْرِيحِهَا بِشِكْوَاهَا مِمَّا عَادَةُ النَّسَاءِ الْأَسْتِحْيَاءِ مِنْهُ لَا تَرَى إِنْكَارَ خَالِدٍ قَوْلِهَا ، وَقَوْلُهُ ... « أَلَا تَزْجُرُ هَذِهِ »<sup>(٦)</sup> . وَالرَّسُولُ ﷺ لَمْ يَنْكَرْ عَلَيْهَا تَصْرِيحَهَا لِأَنَّهَا مُشْتَكِيَةٌ ، كَمَا أَنَّ أَقْرَبَ شُهَدَاءِ الزَّوْنَا عَلَى التَّصْرِيحِ ، وَاسْتِخْدَامِ الْمَحْسُوسِ لِإِيضَاحِ مَا يَخْبِرُونَ بِهِ فِي سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي شَأْنِ الْيَهُودِيِّينَ الَّذِينَ زَنُوا ، وَجَاءَ بِهِمُ الْيَهُودُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيُحْكَمَ فِيهِمَا . وَفِيهِ - أَيِ الْحَدِيثِ : « فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

(١) - هو : عبدالرحمن بن الزبير (بفتح الزاي وكسر الباء) بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك الأوسي ، وقيل : عبدالرحمن بن الزبير بن باطيا القرظي ، هكذا ذكروا النسبين جميعاً ، واتفقوا على أنه هو الذي تزوج امرأة رفاعة بعد أن طلقها . ينظر : " أسد الغابة " (٢٩٢/٣) ، " الإصابة " (٢٥٨/٤ - ٢٥٩) .

(٢) - " حتى يذوق عسيلتك " يقول ابن الأثير : " شبه لذة الجماع بذوق العسل . فاستعار لها ذوقاً . وإنما أنت لأنه أرد قطعاً من العسل . وقيل : على إعطائها معنى النطفة . وقيل : العسل في الأصل ينكر ويؤنث ، فمن صغره مؤنثاً قال : عسيلة .. وإنما صغره إشارة إلى القدر القليل الذي يحصل به الحل " " النهاية في غريب الحديث " (٢٣٧/٣) مادة : (عسل) .

(٣) - هو : خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي أبو سعيد الأموي أحد السابقين الأولين ، هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة مع جعفر ابن أبي طالب زمن خيبر ، استعمله الرسول ﷺ على صنعاء وأمره أبو بكر على بعض الجيش في الشام واستشهد يوم أجنادين عام ١٣هـ . ينظر : " سير أعلام النبلاء " (٢٥٩/١) ، " الإصابة " (٢٠٢/٢ - ٢٠٤) .

(٤) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الأدب ، باب : التَّبَسُّمُ وَالضَّحْكُ (١٩٢٠/٤) ح (٦٠٨٤) ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب النكاح ، باب لا تحل المطلقة ثلاثاً لمطلقها حتى تتكح زوجاً غيره ... (٨٥٥/٢) ح (١٤٣٣) .

(٥) - ينظر : عارضة الأحوذى بشرح صحيح الترمذي " للإمام الحافظ أبي بكر محمد بن عبدالله بن محمد المعروف بابن العربي المالكي (٣٥/٥) دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط : ١ ، ١٤١٨هـ .

(٦) - " إكمال المعلم بفوائد مسلم " (٦٠٨/٤) .

بالشهود فجاءوا بأربعة فشهدوا أنهم رأوا ذكره في فرجها مثل الميل في  
المُخَلَّة فأمر رسول الله ﷺ برجمها» (١) .

ولا يخفى ما في هذه العبارة من تصريح وإيضاح ، لكنها كانت لحاجة دعت  
إليها ؛ ولذلك أقرهم الرسول ﷺ ولم ينكر عليهم .

والأصل عدم التصريح في هذه الأمور ، كما سبق بيانه فالقول الطيب  
والأسلوب العفيف يجب أن يجعلهما الدأعية من أهم اختياراته ، كلما أراد أن يُخاطب  
النَّاس وليسأل الله التسديد والهداية لأحسن الأقوال والأعمال ، متبرئاً من حوله  
وقوته ، وقد بين الله تعالى أنَّ الهداية إلى الطيب من القول من النعم التي يهبها  
المولى سبحانه لعباده المؤمنين في الجنة ، فقال سبحانه في وصفهم : ﴿ وَهُدُوا إِلَى  
الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴾ (٢) .

وقد اتضح مما ذكر من شواهد وأمثلة قرآنية ونبوية عفة الأسلوب القرآني  
وخلوه من جميع الألفاظ المستهجنة باستخدام التعريض والإشارة والاكتفاء باللازم  
عن الملزوم ، فيما لا يحل التصريح به ، وكان الرسول ﷺ في دعوته وتوجيهه  
مستتيراً بالقرآن فكان يتحاشى الألفاظ النَّبِيَّة والأساليب المستهجنة فلا ينطق  
بعوراء ولا يقول هجراً ، ومع حرصه على البيان والإيضاح فقد كان يُعرض عن  
المبالغة فيه أحياناً كما سبق في حديث السَّائِلة عن كيفية الغُسل من الحيض (٣) .

والدعاة إلى الله يجب أن ينهجوا نهج إمامهم ﷺ في تحري الألفاظ العفيفة ،  
التي لا ينبو عنها سمع ، ولا يمَّجُّها طبع ؛ ليكون لكلامهم الأثر في نفوس المدعويين ،  
وإذا أرادوا الإيضاح بالمحسوسات فليختاروا ما تعرفه النفوس ولا تتكر الطُّبَاع  
السَّليمة التَّصريح به ؛ لأنَّ ذلك أدعى إلى أن تتحقق أهدافهم ، فيستجيب المدعوون  
لدعوتهم ، ويألفوهم ولا ينفرون منهم ، كما يجب أن يُراعوا الأدب الشرعي في  
التمثيل والتشبيه ؛ لأنَّ التَّمثِيل والمحاكاة قد يدخلان في الغيبة وهي من أخطر  
الذنوب كما سبق بيان ذلك (٤) .

(١) - أخرجه أبو داود في " سننه " كتاب الحدود ، باب في رجم اليهوديين (٦٠٠/٤ - ٦٠١) ح (٤٤٥٢)

وصححه الشيخ الألباني : " صحيح سنن أبي داود " (٧٢-٧١/٣) ح (٤٤٥٢) .

(٢) - سورة الحج ، الآية : (٢٤) .

(٣) - ينظر : (ص / ٤٩٤) من هذا المطلب .

(٤) - ينظر : (ص / ٤٨٩ - ٤٩١) من هذا البحث .

## الفصل الخامس

### مجالات استفادة الدّاعية من المنهج الحسيّ في العصر الحاضر

وفيه مبحثان :

**المبحث الأول : استفادة الدّاعية من المنهج**

**الحسيّ في دعوة المسلمين .**

**المبحث الثاني : استفادة الدّاعية من المنهج**

**الحسيّ في دعوة الكفار .**

## المبحث الأول : استفادة الدّاعية من المنهج الحسّي في دعوة المسلمين .

وفيه تمهيد وثلاثة مطالب :

**المطلب الأول : استفادة الدّاعية من المنهج الحسّي في ترسيخ العقيدة وتصحيح انحرافها .**

**المطلب الثاني : استفادة الدّاعية من المنهج الحسّي في مجال الأحكام .**

**المطلب الثالث : استفادة الدّاعية من المنهج الحسّي في مجال تهذيب الأخلاق .**

### توهيد

لقد بعث الله تعالى رسولنا محمداً ﷺ والنّاس في جاهلية جهلاء انطمست  
 أنوار النّبوة من قلوبهم ، وتنگروا للميثاق الذي أخذه الله عليهم ، وغفلوا عن  
 مقتضاه فحادت العقول ، وتاه النّاس في ظلمات الجهل ، واتبعوا الأهواء وضيعوا  
 الأمانة ، وخفتت أنوار الرّسالات ، حيث كان آخرها رسالة عيسى - عليه السلام - التي  
 استنار بها الحواريون ، ولكنهم استطلوا الأمد فقسفت قلوبهم كما أخبر بذلك  
 القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل  
 من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقسفت قلوبهم  
 وكثير منهم فاسقون ﴾ (١) .

ويقول ﷺ فيما يرويه عن الله تعالى : (( ... وإنّ الله نظر إلى أهل الأرض  
 فمقتهم عربهم وعجمهم ، إلا بقايا من أهل الكتاب ... )) (٢) .

ووسط هذه الأمواج المتلاطمة والظلمات المتركمة أرسل الله الرسول الخاتم  
 محمداً بن عبدالله ﷺ ، وأنزل عليه الكتاب ليخرج النّاس من الظلمات إلى النور ،  
 قال تعالى : ﴿ ألر كتاب أنزلناه إليك لتخرج النّاس من الظلمات إلى النور ﴾ (٣) .

ورغم قصر المدّة التي قضاها رسول الله ﷺ في الدّعوة إلى الله ، فإنه لم يلحق  
 بالرفيق الأعلى حتى نزل عليه قوله تعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت  
 عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ (٤) .

فتطهرت الجزيرة من الأوثان ، وخضعت النفوس للملك الديان واستنارت  
 بنور القرآن ، فانزاح عنها التيه والطغيان ، فقد كانت بعثته ﷺ أعظم انقلاب في  
 التاريخ البشري وأغربه ، يقول الشيخ أبو الحسن النّدوي - رحمه الله - : (( لقد  
 كان هذا الانقلاب الذي أحدثه ﷺ في نفوس المسلمين ، وبواسطتهم في المجتمع  
 الإنساني أغرب ما في تاريخ البشر : كان غريباً في سرعته ، وكان غريباً في عمقه ،

(١) - سورة الحديد ، الآية : (١٦) .

(٢) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب الصفات التي يعرف بها في  
 الدنيا أهل الجنة وأهل النار ، (٤/٢١٩٧) ح (٢٨٦٥) .

(٣) - سورة إبراهيم ، جزء من الآية : (١) .

(٤) - سورة المائدة ، جزء من الآية : (٣) .

وكان غريباً في سعتة وشموله ، وكان غريباً في وضوحه وقربه إلى الفهم )) (١) .  
إنه انقلابٌ حقاً ؛ لأنه أعاد الأمور إلى نصابها فتحرّرت العقول من  
الخشوع لغير الله ، وذلت وانقادت لسلطانه وأذعنت لحكمه ، واستجابت لأمره ،  
وزالت الفرقة وذهب التفاخر بالأنساب ، (( ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي ،  
وكنتم متفرقين فالفكم الله بي ، وعالة فأغناكم الله بي )) (٢) ، وقال ﷺ : (( إن الله  
قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء )) (٣) .

وبلغ الإيمان في قلوبهم مبلغاً تبذل فيه النفس والمال ، ليصان الدين ،  
وتسود شرائعه وأحكامه ، وتطبق حدوده ، أثروا محبة الله ورسوله على الأنفس  
والقرايات كلها ، فزكت نفوسهم ، وصلحت قلوبهم وأعمالهم . والأمثلة والشواهد  
كثيرة ، فماعز - ﷺ - لما أصاب أمراً يوجب الحد لم تطاوعه نفسه حتى جاء إلى  
رسول الله ﷺ وطلب منه أن يطهره (٤) ، وكذلك الغامدية - رضي الله عنها - (٥) (٦)  
وزيد بن الدثنة (٧) - ﷺ - لما سئل وهو موثق قبل قتله فقيل له : (( .. أتحب أن  
محمدًا الآن عندنا مكانك تضرب عنقه وأنت في أهلك ؟ فقال : (( والله ما أحب أن  
محمدًا في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنني جالس في أهلي )) (٨) .

- (١) - " ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين " لأبي الحسن علي الحسيني الندوي (ص/٨٨) طبعة دار الكتاب العربي - بيروت ، ط / ٨ ، ١٤٠٤هـ .
- (٢) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب المغازي ، باب : غزوة الطائف (١٣٠٧/٣) ح (٤٣٣٠) ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الزكاة ، باب إعطاء المؤلف قلوبهم على الإسلام وتصير من قوي إيمانه (٦٠٧/٢) ح (١٣٩/١٠٦١) .
- (٣) - أخرجه الإمام أبو داود في " سننه " كتاب الأدب ، باب التفاخر بالأحساب ( ٣٤٠ - ٣٣٩/٥ ) ح (٥١١٦) ، والإمام الترمذي في " سننه " أبواب المناقب ، باب في فضل الشام واليمن (٧٣٤/٥) ح (٣٩٥٥) واللفظ له ، وقال عنه : " هذا حديث حسن غريب " وصححه الشيخ الألباني في : " صحيح سنن أبي داود " (٢٥٨/٣) ح (٥١١٦) ، وفي " صحيح سنن الترمذي " (٢٥٤/٣) ح (٣١٠٠) .
- (٤) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الحدود ، باب رجم الثيب في الزنى ، ( ١٠٦٥/٣ - ١٠٦٦ ) ح (١٦٩٢) .
- (٥) - من خلال البحث في بعض كتب التراجم لم أعتز لها على ترجمة .
- (٦) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الحدود ، باب رجم الثيب في الزنى (١٠٦٧/٣ - ١٠٦٨ ) ح (١٦٩٥) .
- (٧) - هو : زيد بن الدثنة بن معاوية بن عبيد البياضي الأنصاري الخزرجي ، من فقهاء الصحابة ، شهد بدرًا ، وأحدًا ، أرسله النبي ﷺ مع فقهاء من الصحابة فيهم خبيب بن عدي إلى بني الهون بن خزيمة ، فغدروا بهم في الرجيع ، وباعوا زيدًا بمكة ، فقتله المشركون بالنتعيم سنة (٥هـ) . ينظر : " أسد الغابة " (٢٢٩/٢) ، " الإصابة " (٥٠٠/٢) .
- (٨) - " السيرة النبوية " لأبي محمد عبد الملك بن هشام (١٢٦/٣) مرجع سابق .



وخبيب - ﷺ - قال وهو مصلوب للقتل :

ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي شق كان في الله مصرعي  
وذلك في ذات الإله وإن يشأ يُبارك على أوصال شلو ممزّع (١) .  
وكانوا كما وصفهم الله تعالى : ﴿ أشدّاء على الكفار رحماء بينهم ﴾ (٢) ،  
﴿ أدلة على المؤمنين أعزّة على الكافرين ﴾ (٣) .

وقصة ربعي بن عامر (٤) - ﷺ - مع رستم (٥) تؤكّد أنّهم كانوا لا يؤلّون الحضارة المبنية على غير الإسلام أهمية ، فلم تغرهم زخارف الدُّنيا ومباهجها وكأنّهم فهموا مدلول وصية الله تعالى لرسوله ﷺ بقوله : ﴿ لا يغرنك تقلّب الذين كفروا في البلاد \* متاع قليل ثمّ ماوأهم جهنّم وبئس المهاد ﴾ (٦) .

وحاصل هذه القصة كما أوردها الإمام ابن جرير ، في تاريخه : أنّ سعد بن أبي وقاص (٧) - ﷺ - أرسل ربعي بن عامر إلى رستم ليفاوضه ويعلم ما عنده فلما علم بمقدمه تهباً بهيئته وتزين بزينته ، وجلس على سرير من ذهب ، وألبس زينته من الأنماط والوسائد المنسوجة بالذهب ، وأقبل ربعي - ﷺ - يسير على فرسه القصيرة الزبّاء (٨) غير آبه بزينتهم وبهرجتهم التي أرادوا أن يبهروه بها ؛ لأنّ عظمة الخالق إذا استغرقت في قلب الإنسان زالت عظمة المخلوق منه ، وقد كانت كلماته التي أجابهم بها لما قالوا : (( ما جاء بكم ؟ )) دالة على استحضار عظمة المولى سبحانه فقال : (( الله ابتعثنا ، والله جاء بنا ليُخرج من شاء من عبادة

(١) - " سبق تخريج هذه الأبيات " في الفصل الثاني ( ص ٢٨٦ ) .

(٢) - سورة الفتح ، جزء من الآية : (٢٩) .

(٣) - سورة المائدة ، جزء من الآية : (٥٤) .

(٤) - هو : ربعي بن عامر بن خالد بن عمرو ، كان عمر أمّ به المثنى بن حارثة ، وكان من أشرف العرب ، كتب عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة بأن يصرف جند العراق إلى العراق وعليهم هشام بن عتبة ، ولى مقدمته القعقاع بن عمرو ، وعلى مجنية عمير بن مالك ، وربعي بن عامر ، وله ذكر في غزوة نهاوند ، وولاه الأحنف لما فتح خراسان على طارستان ، وكانوا لا يؤمرون إلا الصحابة . ينظر : " الإصابة " (٣٧٨/٢) .

(٥) - هو : رستم بن الفرخزاد الأرمني ، أمير جيوش الفرس في معركة القادسية من قبل ملك الفرس يزيدجرد . ينظر : " البداية والنهاية " لابن كثير (٣٨/٧) .

(٦) - سورة آل عمران : الأيتان (١٩٦ ، ١٩٧) .

(٧) - هو : سعد بن مالك بن أهيب القرشي الزُّهري ، أبو إسحاق ، الصحابي الأُمير ، فارس الإسلام ، فاتح العراق ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد الستة الذين عيّنهم عمر للخلافة ، أسلم وهو ابن سبعة عشر سنة ، وشهد بدرأ ، وافتتح القادسية ، وولى الكوفة لعمر ، وهو الذي بناها ، كان مُجاب الدعوة مشهوراً بذلك ، توفي سنة ٥١هـ ، وقيل : ٥٦هـ ، وقيل غير ذلك ، روى ٢٧١ حديثاً . ينظر : " أسد الغابة " (٢٩٠/٢) ، " الإصابة " (٦١/٣ - ٦٥) .

(٨) - " الزبّاء " : طويلة الشعر كثيرته . ينظر : " المعجم الوسيط " (٣٨٧/١) مادة ( زب ) .

العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه ، فمن قبل مِنَّا ذلك قبلنا ذلك ورجعنا عنه ، وتركناه وأرضه يليها دوننا ، ومن أبى قاتلناه أبداً ؛ حتى نقضي إلى موعود الله )) (١) .

وهذه القوة الإيمانية ، والعزة بدين الله الحق ، وهوان أهل الكفر مهما بلغت حضارتهم ، صفات رسخت في قلوب ذلك الجيل الذي رباه المعصوم المؤيد من الله بالنور والبُرهان ، وحق لهم أن يكونوا كذلك ؛ لأنَّ الله زكَّاهم بقوله : ﴿ كُتِمَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (٢) ، ووعدهم بالنصر والتمكين بقوله سبحانه : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ (٣) .

واختصهم بالشهادة على الأمم بقوله : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ (٤) .

وهذه الصفات يحق للأمة المؤمنة بموعود الله وخيره أن تثق بحصولها عليها ، إذا حصَّلت الشروط وانتفت الموانع يقول الأستاذ سيد قطب - رحمه الله - : (( وهذا ما ينبغي أن تُدرکه الأمة المسلمة ، لتعرف حقيقتها وقيمتها ، وتعرف أنها أخرجت لتكون طليعة ، ولتكون لها القيادة ، بما أنَّها خير أُمَّة ، والله يريد أن تكون القيادة للخير لا للشرِّ في هذه الأرض ، ومن ثمَّ لا ينبغي لها أن تتلقى من غيرها من أمم الجاهلية ، إنَّما ينبغي دائماً أن تُعطي هذه الأمم ممَّا لديها ، وأن يكون لديها دائماً ما تعطيه ، ما تعطيه من الاعتقاد الصحيح ، والتصور الصحيح ، والنظام الصحيح ، والخلق الصحيح ، والمعرفة الصحيحة والعلم الصحيح ، هذا واجبها الذي يحتم عليها مكانها ، وتحتمه عليها غاية وجودها ، واجبها أن تكون في الطليعة دائماً وفي مركز القيادة دائماً )) (٥) .

(١) - " تاريخ الأمم والملوك " لأبي جعفر محمد بن جبير الطبري (٣/٥١٩ ، ٥٢٠) طبعة دار سويدان بيروت

بدون ذكر رقم الطبعة ، وسنة الطبع .

(٢) - سورة آل عمران ، جزء من الآية : (١١٠) .

(٣) - سورة النور ، جزء من الآية : (٥٥) .

(٤) - سورة البقرة ، جزء من الآية : (١٤٣) .

(٥) - " في ظلال القرآن " (١/٤٤٧) .

وهكذا كانت الأمة في عهودها الذهبية صاحبة الريادة والقيادة<sup>(١)</sup> ، فقام الخلفاء الراشدون - ﷺ - بمتابعة المسيرة التي بدأها رسول الله ﷺ استجابة لأمر الله له وللمؤمنين به بقوله : ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ﴾<sup>(٢)</sup> ، وقوله سبحانه : ﴿ يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين ﴾<sup>(٣)</sup> .

فدوخوا البلاد وأقاموا العباد على الجادة ، وسعد الناس تحت قيادتهم بالأمن والإيمان ، يقول الشيخ الندوي - حفظه الله - في هذا المعنى : (( إن هذا الرعيل من أتباع محمد ﷺ كان خليقاً بأن يسعد النوع الإنساني في ظلّه وتحت حكمه ، وأن يسير بقيادته سديد الخطى رشيد الغاية مستقيم السير ، وأن يعمر ويطمئن العالم في دوره وتخصب الأرض وتأخذ زخرفها ، فإنهم كانوا خير القائمين على مصالحها حارسين لها ))<sup>(٤)</sup> .

وقد يعجب المتأمل في حال هذه الأمة من سرعة انقلاب أحوالها (( من الدرّة السائمة إلى الهوة السحيقة ... مسافة تدير الرؤوس .. هل يُصدق حين يُعاش الجيل المتفرد بكل قيمه السائمة أن ذراريه يمكن أن تهبط إلى هذه الهوة السحيقة؟! وهل يُصدق أحد حين يُعاش الأجيال الحاضرة في هوتها السحيقة التي تردت إليها ، أنّها من ذراري ذلك الجيل المتفرد في التاريخ؟! كأنهما أمتان مُنفصلتان لا يجمع بينهما شيء ! ))<sup>(٥)</sup> .

إنّهُ التّخلي عن المجد التّالد ، والتّنكّر لأسباب النّصر وعدم الأخذ بها فـ (( نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فمهما ابتغينا العزّة في غيره أدلنا الله ))<sup>(٦)</sup> .

(١) - ينظر : " لماذا تأخر المسلمون ، ولماذا تقدّم غيرهم " تأليف : الأمير شكيب أرسلان (ص/٤١ - ٤٢) مراجعة الشيخ حسن تميم ، دار مكتبة الحياة ، بيروت - لبنان ، ط : ٢ ، بدون ذكر سنة الطبع .

(٢) - سورة البقرة : جزء من الآية (١٩٣) .

(٣) - سورة التوبة : الآية (١٢٣) .

(٤) - " ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين " (ص/١١٨) .

(٥) - " واقعنا المعاصر " محمد قطب (ص / ١٦٢) ، مؤسسة المدينة للطباعة والنشر ، المملكة العربية السعودية - جدة ، ط : ١ ، ١٤٠٧هـ ، وينظر : أيضاً " رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر " للمؤلف نفسه (ص/١٧٩ - ١٨٥) دار الوطن للنشر ، الرياض ، ط : ١ ، ١٤١١هـ .

(٦) - قول عمر بن الخطاب لأبي عبيدة بن الجراح . ينظر : " حلية الأولياء وطبقات الأصفياء " لأبي نعيم الأصفهاني (٨٣/١) وقد تقدم ذكر القصة بكاملها في الفصل الرابع (ص ٤٥٠ - ٤٥١) .

ورغم ما أصاب هذه الأمة من وهن وانحراف ، فإنّ الطائفة المنصورة لا تزال ظاهرة وثابتة على الحق وقائمة به ، مدافعة عنه <sup>(١)</sup> حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، وكتاب الله وسنّة رسوله ﷺ هما زاد الدّعاة إلى الله ، فيها الهدى والنور ، ولن يصلح أمر هذه الأمة في هذا العصر إلا بما صلح به أولها .

فيجب على الدّعاة في هذا العصر أن يكونوا على مستوى المسؤولية ، ليقيموا ما فسد من عقائد الناس ، ويُسدّدوا ما انحرف من معاملاتهم ، ويَهذبوا ما فسد من أخلاقهم ، متأسّين في ذلك بسيد الدّعاة والمصلحين النبي الكريم محمد ﷺ في استخدام كافّة الوسائل العصرية المتاحة التي تؤدي إلى الهدف السّامي الذي هو إقامة النّاس على المحجة البيضاء التي تركهم عليها النبي الكريم محمد ﷺ ، وبقوة الإيمان ، وثبات العزائم ، والأخذ بالأسباب المشروعة ، والمثمرة يكون النّجاح حليفهم - بإذن الله - .

والواجب على الدّعاة أيضاً أن يبينوا الحق ، ويوضّحوه ، ويقيموا عليه الحجج والبراهين الحسية والعقلية ، ولا يحملوا همّ الاستجابة فإنها ليست بأيديهم ، والذي يملكونه هو دلالة الإرشاد ، أمّا دلالة التوفيق فإنها بيد الله وحده ، لا يملكها أي مخلوق .

وفي هذا الفصل أجتهد مستمداً العون من الله في بيان إمكانية استفادة الدّعاة والمصلحين والمُربّين في العصر الحاضر من الوسائل الحسية من بيئة المخطّطين ، والوسائل العصرية الأخرى سواء كانت مرئية أو مسموعة ، والاستفادة منها في إيضاح الحقائق وترسيخها في نفوس المدعوين من أهل الإسلام ، وإنارة المحجّة ، وإقامة الحجّة على غيرهم ، ويكون ذلك على النّحو التالي :

(١) - فعن المغيرة بن شعبة ، عن النبي ﷺ قال : " لا تزال طائفة من أمّتي ظاهرين ، حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون " . متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب قول النبي ﷺ : " لا تزال طائفة من أمّتي ظاهرين على الحق " (٢٢٨٣/٤) ح (٧٣١١) ، واللفظ له ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الإمارة ، باب قوله ﷺ : " لا تزال طائفة من أمّتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم " (١٢٠٩/٣) ح (١٩٢٠) .

**المطلب الأول : استفادة الدّاعية من المنهج الحسبي في**

**ترسيخ العقيدة وتصحيح بعض انحرافاتنا .**

**وفيه مسلكان :**

**المسلك الأول : الاستفادة من المنهج الحسبي في ترسيخ العقيدة في**

**نفوس المسلمين .**

**المسلك الثاني : الاستفادة من المنهج الحسبي في التحذير من البدع .**

### أولاً : ترسيخ العقيدة في نفوس المسلمين ببيان عظمة الله في خلق السّماء والأرض

من المعلوم أنّ الكون بما فيه يُسبّح بحمد الله ؛ لأنّه هو الذي خلقه وأبدع صنعه وأوجده من العدم ، يقول الله تعالى : ﴿ وإن من شيء إلاّ يُسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ (١) .

ومن أعظم مخلوقات الله تعالى في هذا الكون خلق السّموات والأرض ، يقول الله تعالى : ﴿ خلق السّموات والأرض أكبر من خلق النّاس ولكنّ أكثر النّاس لا يعلمون ﴾ (٢) .

ففي هذه الآية يبين الله تعالى عظمة خلق السّموات والأرض ، وأنّ خلق الإنسان بالنسبة إليها ضئيلٌ وصغيرٌ جداً ، فالذي خلق هذه الأجرام العظيمة وأتقنها قادر على إعادة الناس بعد موتهم من باب أولى ، ولكن النّاس يتجاهلون ذلك بغفلتهم وبعدهم عن الحق ، وعدم التفكير والتدبر في بديع صنع الله وقدرته (٣) . والنظر في مخلوقات الله تعالى من أجل التّفكّر والتدبر يزيد الإيمان ، ويقوي محبة الله وإجلاله في القلوب ، ولذلك ساجتهد في التّعرف على بديع صنع الله في خلق السّموات والأرض من خلال ما توصلّ إليه العلم الحديث من حقائق علمية تشهد وتؤيد ما جاء في نصوص الوحي ، ومن ثمّ أبين إمكانية استفادة الدّاعية من وسائل الإيضاح والإعلام في عرض تلك الحقائق والاكتشافات على المخاطبين لتمكين عقيدة التوحيد في نفوسهم فيتعرفون على الله من خلال مخلوقاته ومن ذلك :

### أ - ظهور عظمة الله في خلق السماوات

وردت كلمة (( السّماء )) ، (( السماوات )) في القرآن الكريم ، عشرات المرات ، وفي السّنة النبوية كذلك ، وبعد الرّجوع إلى كتب اللّغة (٤) ، والغريب (٥) ، وجد أنّ معنى السّم هو الارتفاع والعلو ، وسما كل شيء أعلاه ، وعلى هذا فإنّ كل ما علاك فأظلك فهو سماء .

(١) - سورة الإسراء ، جزء من الآية : (٤٤) .

(٢) - سورة غافر ، الآية : (٥٧) .

(٣) - ينظر : " تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان " للسعدي (ص/٦٨٦) ، " في ظلال القرآن " (٣٠٩٠/٥) ، " الكون والتكوين في آيات الكتاب المبين " (ص/١٠) دار الشّواف ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، ط : ١ ، ١٤١٥هـ .

(٤) - ينظر : " لسان العرب " (٣٩٧/١٤) مادة : ( سما ) .

(٥) - ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (٤٠٥/٢) مادة : ( سما ) .

ولعظمة خلق السّماء حث الله تعالى عباده المؤمنين على إدامة النّظر إليها ،  
والتّفكر فيها والتّبصر بآياتها لتوصلهم إلى معرفة خالقها سبحانه ، حيث قال  
تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَبْصَارِ \*  
الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ  
رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (١) .

والمقصود من تفكّر عباد الله المؤمنين في خلق السّماوات والأرض الاستدلال  
بها على المقصود منها ، فإذا تفكروا بها عرفوا أنّ الله لم يخلقها عبثاً ، بل خلقها  
مشمّلة على الحق (٢) .

وهذا التّفكير من أجلّ العبادات التي يتقرب بها العبد إلى الله تعالى ، لأنّه  
يقوده إلى الشّعور بجلال الله وعظمته وكمال قدرته ، وكان ﷺ يدعو النّاس إلى  
ذلك بالقول والفعل ، فعن عبدالله بن عباس - رضي الله عنه - قال : بيّت في بيت ميمونة  
ليلة والنبي ﷺ عندها ، لأنظر كيف صلاة رسول الله ﷺ بالليل ، فتحدّث رسول الله  
ﷺ مع أهله ساعة ثم رقد ، فلما كان ثلث الليل الآخر ، أو بعضه ، قعد فنظر إلى  
السّماء ، فقرأ : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ - إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى - لِأُولِي  
الْأَبْصَارِ ﴾ (٣) .

ويُعلّق الحافظ ابن حجر - رحمه الله - على هذا الحديث فيقول : (( استدلّ  
بآيات السّماوات والأرض على واحدانيته وقدرته وأنه الخالق العظيم وأنه خالق  
سائر المخلوقات )) (٤) .

ومن عظم خلق السّماء وسعتها ، فإنّ الرّسول ﷺ أخبرنا أنّها مليئة بالملائكة  
السّاجدين لله يسبحونه بالليل والنهار دون ملل ولا فتور ولا غفلة (٥) ، كما أخبر بذلك  
سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ (٦) ، فعن أبي ذر -  
رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : (( إنّي أرى ما لا ترون ، وأسمع ما لا تسمعون ،

(١) - سورة آل عمران ، الآيتان : ( ١٩٠ ، ١٩١ ) .

(٢) - ينظر : " تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان " ( ص / ١٢٨ ) بتصرف يسير .

(٣) - أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب التفسير ، باب : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ  
الليل والنهار آيات لأولي الأبصار ﴾ ( ١٣٨٧/٣ ) ح ( ٤٥٦٩ ) .

(٤) - " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ( ٤٤٩/١٣ ) .

(٥) - ينظر : " ركائز الإيمان " للأستاذ : محمد قطب ( ص / ١٨٣ ) دار اشبيليا - الرياض ، ط : ١ ، ١٤١٧هـ .

(٦) - سورة الأنبياء : جزء من الآية ( ٢٠ ) .

وإنَّ السَّمَاءَ أَطَّتْ <sup>(١)</sup> وحقَّ لها أن تتط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملاك واضع  
جبهته ساجداً لله ... )) <sup>(٢)</sup> .

ومن عجيب قدرة الله تعالى في خلق السَّمَاءِ أَنَّهُ رفعها وبناها بغير أعمدة  
محسوسة يراها الإنسان ، وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿ خلق السَّمَاوَاتِ بغير عمدٍ  
ترونها ﴾ <sup>(٣)</sup> ، ويقول سبحانه : ﴿ الله الذي رفع السَّمَاوَاتِ بغير عمدٍ ترونها ﴾ <sup>(٤)</sup> .

يقول الدكتور الغمراوي : (( وتأمّل .. وتعجب معي من إعجاز الأسلوب  
والمعنى معاً في قوله تعالى : ﴿ بغير عمد ترونها ﴾ في كل من خلق السَّمَاءِ ورفعها  
فلو قيل : ( بغير عمد ) فحسب لكان ذلك نفيّاً مطلقاً للعمد ، مرئية وغير مرئية ،  
والنّفْي المطلق يخالف الواقع الذي علم الله أَنَّهُ سيهدي إليه عباده بعد عدة قرون  
من نزول القرآن ، فكان من الإعجاز المزدوج أن يقيد الله نفي العمد في الخلق  
والرّفْع بقوله ( ترونها ) والضّمير المنصوب في ترونها يرجع أولاً إلى أقرب  
مذكور وهو ( عمد ) فيكون المعنى : بغير عمد مرئية ، أي بعمدٍ من شأنها وفطرتها  
ألا يراها البشر )) <sup>(٥)</sup> .

وفسّر بعض المفسرين المعاصرين قوله تعالى : ﴿ أم السماء بناها ﴾ <sup>(٦)</sup>  
فقال : (( إنَّ الله سبحانه جعل كلَّ كوكب من الكواكب ، وكل نجم من النُّجُوم ،  
وكل جرم سماوي عموماً بمثابة لبنة في هذا الكون كما لو كانت سقفاً أو قبةً أو  
جدراناً تُحيط بك وشدّ هذه الكواكب والنُّجُوم بعضها ببعض برباط الجاذبية العامّة  
كما تربط أجزاء البناء الواحد )) <sup>(٧)</sup> .

- (١) - " أطَّت السماء " : الأطيط صوت الأقتاب ، وأطيط الإبل ؛ أصواتها وحنينها ، أي أن كثرة ما فيها من  
الملائكة قد انقلها حتى أطَّت ، وهذا مثلٌ وإيدانٌ بكثرة الملائكة ، وإن لم يكن ثمَّ أطيط ، وإنما هو كلامٌ  
أريد به تقرير عظمة الله تعالى . " النهاية في غريب الحديث " (٥٤/١) مادة : ( أطط ) .
- (٢) - أخرجه الإمام ابن ماجة في " سننه " كتاب الزهد ، باب : الحزن والبكاء (٥٠٥/٤ - ٥٠٦) ح (٤١٩٠)  
وحسنه الشيخ الألباني في " صحيح سنن ابن ماجة " (٣٦٨/٣) ح (٣٣٩٧) .
- (٣) - سورة لقمان ، جزء من الآية : (١٠) .
- (٤) - سورة الرعد ، جزء من الآية : (٢) .
- (٥) - " الإسلام في عصر العلم " (ص/٣٠٥) ، د . محمد أحمد الغمراوي ، دار الإنسان القاهرة ، ط : ٤ ،  
١٤١١هـ .
- (٦) - سورة النازعات ، جزء من الآية : (٢٧) .
- (٧) - " تفسير جزء عم " للإمام الشيخ محمد عبده (ص/٩٩) دار مكتبة الهلال ، بيروت ، ١٩٨٥م ، بدون  
ذكر رقم الطبعة .



وقد أثبت العلم الحديث أنّ الجاذبية هي أحد الأوامر الإلهية التي جعلها الله ميزاناً ورباطاً بين الكواكب والنجوم والمجرات <sup>(١)</sup> ، وأثبت أنّ هناك تجاذب بين أجزاء الكون كلّها بما يُسمى بخطوط أو أقواس الجذب ، وهي تعمل عمل الأعمدة في البنيان ، حيث أنّ العمود المعروفة المادّية تؤثر أثرها وتحمل أحمالها بإرساء قوى أو ضغوط تتساوى وتتضاد مع ضغوط الأبنية عليها وهذا ما يحصل بالضبط بين الكواكب المتجاذبة فكل كوكب يجذب الآخر .. لكي يظلّ كل جرم وكل شيء في أبعاد متساوية من بعضها وكأنّها مقامة فوق عمود لا ترى <sup>(٢)</sup> .

فالمجموعة الشمسية ، أي الشمس وما يدور حولها من كواكب : كعطارد والزهرة والأرض والمريخ وغيرها ؛ وكلّ منها يدور في فلك محدود وطريق محدود مرسوم ، لا يميل عنه ، ولا ينحرف ، ويسير فيه بسرعة مقدّرة منظّمة لا تزيد ثانية ولا تنقص ثانية ، وكيف لا تتصادم هذه الكواكب مع أنّها جميعاً في حركة مستمرة ؟ إنّ الذي خلق هذه الكواكب حكيم عليم خبير ، فهو قد وضع ميزاناً دقيقاً محكماً لبقاء هذا النّظام ، فهو سبحانه عندما خلق كل كوكب ، لم يخلقه بغير تدبيرٍ ، أو إحكام أو تنظيم سبحانه ، وإنما خلقه بحجم خاص ، ووزن معلوم ، ومواد محددة ، ووضعها في فلكه الصّحيح ومداره اللائق بذلك الوزن والحجم ، كما أجراه سبحانه بسرعة محدودة تتناسب مع مداره وبعده عن الشمس وبقية الكواكب ، وتتناسب أيضاً مع حجمه ووزنه فلم يكن الخلق إذاً خيباً ؛ إنما كان خلقاً مقدّراً محكماً متقناً ، قام على ميزان دقيق <sup>(٣)</sup> ؛ يقول الله تعالى : ﴿ والسّماء رفعها ووضع الميزان ﴾ <sup>(٤)</sup> .

يقول الأستاذ سيد قطب - رحمه الله - : (( وهذه السّموات بظاهر مدلولها ودون تعمّق في أية بحوث علمية مُعقّدة - تواجه النّظر والحس ، هائلة فسيحة

(١) - ينظر : " إعجاز القرآن في آفاق الزّمان والمكان " دكتور منصور حسب النبي ، دار الفكر - مصر ، ط : ١ ، ١٤١٧هـ ، وينظر : أيضاً : " العلم الحديث حجة للإنسان أم عليه ؟ " للدكتور : عبدالله عبدالرحيم العبّادي ، (ص/٩٠) ، دار الثقافة ، قطر - الدوحة ، ط : ١ ، ١٤٠٥هـ .

(٢) - ينظر : " الاكتشافات العلمية ودلالاتها في القرآن الكريم " للدكتور / سليمان عمر قوش ، دار الثقافة حدّومة ، ط/١ ، ١٤٠٧هـ ، ينظر أيضاً : " إعجاز القرآن في آفاق الزمان والمكان " مرجع سابق (ص/١١٢) .

(٣) - ينظر : " كتاب التوحيد " عبدالمجيد الزنداني ، (٣٣/٣ - ٣٤) دار المجتمع ، السعودية ، جدة ، ط : ٢ ، ١٤٠٧هـ .

(٤) - سورة الرحمن ، الآية : (٧) .

سامقة ، وسواء أكانت السّمّوات هي هذه الكواكب والنّجوم والمجرات السّابحة في الفضاء الذي لا يعلم سرّه ومداه إلا الله ، أو كانت هذه القبّة التي تراها العين ولا يعرف أحد ما هي على وجه التحقيق . سواء أكانت السّمّوات هذه أم تلك فهناك خلّاق ضخمة هائلة مُعلّقة بغير عمدٍ تسندها ، والناس يرونها حيثما امتدّت أبصارهم بالليل والنّهار ، .. ومجرّد تأملها بالعين المجردة ، دون إدراك حقيقة فخامتها التي تدير الرّؤوس ، كافٍ وحده لرّعدة الكيان الإنساني وارتجافه أمام الفخامة الهائلة التي لا نهاية لها ولا حدود .

وأما النّظام العجيب الذي يُمسك بهذه الخلّاق كلها في مثل هذا التّناسق ، .... فكيف إذا عرف الإنسان أن كل نقطة من هذه النّقطة الصغيرة المضيئة السّابحة في هذا الفضاء الهائل قد تبلغ كتلتها أضعاف كتلة الأرض التي تؤوله ملايين المرات )) (١) .

وفي آفاق السّمّاء من المجرات والأجرام والكواكب والنّجوم ما لا يحصيه إلا الله تعالى ، كل منها يسبح في مداره لا يتجاوزها في جريانه أو دورانه ، وقد أثبت العلم الحديث بما توصل إليه من وسائل علمية متقدمة في تكبير الأشياء وتقريبها أنّ بين تلك الأجرام والكواكب مسافات هائلة ، فعلى سبيل المثال :

- \* - المسافة بين الأرض وبين الشمس تُقدّر بنحو ٩٣٠٠٠ مليون ميل .
  - \* - والمسافة بين الأرض والقمر تقدر بنحو ٢٤٠ مليون ميل .
  - \* - وأقرب نجم من نجوم السّمّاء والأخرى ومجموعتنا الشّمسية يقدر بنحو ( ٤ سنوات ضوئية ) ، وسرعة الضّوء تُقدّر بستة وثمانين ومائة ألف من الأميال في الثّانية الواحدة ، أي أنّ أقرب نجم إلينا يبعد عنّا بنحو ١٠٤ مليون مليون ميل (٢) .
- وهذه النّجوم والكواكب في حركة دائمة في مداراتها ، قال الله تعالى : ﴿ وآية لهم الليل نسلخ منه النّهار فإذا هم مظلّمون \* والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم \* والقمر قدّرتنا منازل حتى عاد كالعرجون القديم \* لا الشمس ينبغي لها أن تُدرك القمر ولا اللّيل سابق النّهار وكلّ في فلك يسبحون ﴾ (٣) .

(١) - " في ظلال القرآن " ( ٢٧٨٦/٥ ) .

(٢) - ينظر : " المرجع السابق " ( ٢٩٦٩/٥ ) .

(٣) - سورة يس : الآيات ( ٣٧ - ٤٠ ) .

إنَّ المتأمل في خلق السَّمَاوَات ، وما فيها من الآيات العظام التي تدلُّ على عظيم قدرته وسعة ملكه وحُسن رعايته ، لتدعو المسلم إلى أن يتسع تفكيره إلى رحاب ذلك الكون الفسيح المليء بالمجرات والنُّجوم والكواكب التي لا يعلم عددها إلا الله وينظر بعين البصر والبصيرة ، فيزداد علماً وإيماناً وحبّاً وتعظيماً لله تعالى ، فيخلص توحيده ، ويصلح حاله ، وتستقيم عبادته ، وتزداد خشيته ، وتدوم مراقبته لرب السَّمَاوَات والأرض ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (١) .

يقول الإمام ابن قيم الجوزية - رحمه الله - : (( فتأمل خلق السَّمَاء وارجع البصر فيها كرة بعد كرة كيف تراها من أعظم الآيات في علوها وارتفاعها وسعتها وقرارها بحيث لا تصعد علواً كالنار ولا تهبط نازلةً كالأجسام الثقيلة ولا عمد تحتها ولا علاقة فوقها بل هي ممسوكة بقدره الله الذي يُمسك السَّمَاوَات والأرض أن تزولا ثم تأمل استواءها واعتدالها فلا صدع فيها ولا خطر ولا شق ولا أمت ولا عوج ثم تأمل ما وضعت عليه من هذا اللون الذي هو أحسن الألوان وأشدها موافقة للبصر .. )) (٢) .

فسبحان ﴿ الذي خلق سبع سماوات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور \* ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير ﴾ (٣) .

### ب - ظهور عظمة الله في خلق الأرض

كان الإنسان في الماضي البعيد ، يعتقد أنَّ الأرض هي مركز الكون ، ومناطق الأهمية فيه ، وأنَّ كل ما حولها يدور في فلكها كتابع لها ، ولكن تطوّر المعرفة الإنسانية بالكون قد أثبت أنَّ هذه الأرض ما هي إلا هباءة منثورة في الفضاء الكوني الشاسع الذي ينتظمه بناء محكم دقيق (٤) ، وقد زود الله تعالى الأرض بكل الأسباب

(١) - سورة فاطر ، جزء من الآية : (٢٨) .

(٢) - " مفتاح دار السعادة " (٢٠٧/١) .

(٣) - سورة الملك : الأيتان (٣ ، ٤) .

(٤) - ينظر : " تفسير الآيات الكونية " للدكتور عبدالله شحاته (ص/٢٧١) دار الاعتصام - القاهرة ، بدون تحديد الطبعة والتاريخ .

لتكون صالحة لنشأة الحياة وتكاثرها وبقائها ، من كثافة ، وجاذبية ، وحركة ، ورياح وماء ، ودفء ، وضوء ، يأتيها من الشَّمْس بالمقدار الملائم لحاجة الأحياء ، والنَّبَات عليها ، وأمدّها بأسباب الرِّزْق ، وخزائن أقوات الأحياء ، إلى غير ذلك من الأسباب .

ولو أنّ بعض هذه الأسباب تخلف لربّما كانت الأرض مثل غيرها كوكباً ميتاً لا حياة فيه ، وإنّ أيّ خلل في رعاية نظام الأرض قد يُفْضِي بها إلى الدَّمَار ، أو تدمير الحياة عليها <sup>(١)</sup> ، لكنّ الله تعالى هو : ﴿ الذي أحسن كل شيء خلقه ﴾ <sup>(٢)</sup> .  
والحديث عن كوكب الأرض واسع ومتشعب ، وآيات الله تعالى في خلق الأرض لا يمكن حصرها ، ولذا سأقتصر على أمثلة من ذلك ، أبرز من خلالها عظمة الله وبديع صنعه فيها :

### ١ - مدّ الأرض وبسطها ، واختلاف ألوانها وما ينبت فيها

من إكرام الله تعالى للإنسان أن بسط الأرض ، وسهّل له الحركة فيها ، وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿ وهو الذي مدّ الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً \* ومن كلّ الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يُغشي الليل النّهار إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ <sup>(٣)</sup> .

ويقول سبحانه : ﴿ هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلّوا من رزقه وإليه النّشور ﴾ <sup>(٤)</sup> .

ويقول أيضاً : ﴿ والأرض فرشناها فنعم الماهدون ﴾ <sup>(٥)</sup> .

ويقول جل وعلا : ﴿ ومن الجبال جُدَدٌ بيضٌ وحمراً مختلفٌ ألوانها وغرايب سود \* ومن النّاس والدّوابّ والأنعام مختلفٌ ألوانه كذلك إنّما يخشى الله من عباده العلماء إنّ الله عزيزٌ غفور ﴾ <sup>(٦)</sup> .

(١) - ينظر : " براهين وأدلة إيمانية " لعبدالرحمن حبنكة الميداني (ص/٣٠٠) دار القلم - دمشق ، ط : ١ ، ١٤٠٨ هـ .

(٢) - سورة السجدة ، الآية : (٧) .

(٣) - سورة الرعد ، الآية : (٣) .

(٤) - سورة الملك ، الآية : (١٥) .

(٥) - سورة الذاريات ، الآية : (٤٨) .

(٦) - سورة فاطر ، جزء من الآية : (٢٧) ، الآية (٢٨) .

إنّ في خلق الأرض على هذه الصّورة ، وبذلك الكيفية تكريماً للإنسان وإعلاء لشأنه ، وإظهاراً لمعنى خلافته في الأرض ، قال الله تعالى : ﴿ ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البرّ والبحر ، ورزقناهم من الطّيبات وفضلناهم على كثيرٍ ممّن خلقنا تفضيلاً ﴾ (١) .

وتوجيه الأبصار للنّظر في آثار قدرة الله تعالى في خلق الأرض بهذه الكيفية يزيد المسلم إيماناً بالله تعالى ؛ لأنّه يرى فيها من عظمة القدرة ، وجلال العلم ، وروعة الحكمة ما يملأ القلب خشوعاً ، وولاءً وحمداً للخلاق العظيم - سبحانه وتعالى .

### ٣ - تنوع ما يخرج من الأرض من الزّروع والثّمار

جاء ذلك في قوله تعالى : ﴿ وفي الأرض قطع متجاورات وجنّاتٍ من أعنابٍ وزرّعٍ ونخيلٍ صنوانٍ وغير صنوانٍ يُسقى بماءٍ واحدٍ ويُفضّل بعضها على بعض في الأكل إنّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يعقلون ﴾ (٢) .

هذه الآية الكريمة تعرض لمشاهد أرضية ، وهذه المشاهد الأرضية كثير من النّاس يمرون عليها فلا تثير فيهم رغبة التطلع إليها إلا أن ترجع النّفس إلى حيوية الفطرة ، والاتصال بالكون الذي هو قطعة منه ، يقول الله تعالى : ﴿ وفي الأرض قطع متجاورات ﴾ أي أراضٍ يُجاور بعضها بعضاً ثم هي في التّجاور مختلفة ، فهذه طيبة تنبت ما ينفع النّاس ، وهذه سبخة مالحة لا تنفع النّاس وهذه مرّمة ، وهذه سميقة ، وهذه رقيقة ، وكل واحد من هذه وتلك أنواع ، وألوان ، ودرجات ، وهي كلها في الأرض متجاورات .

وهذه القطع المتجاورة ، تشتمل على العُروس والزّروع والنّباتات المختلفة ، ففيها النّخيل والأعناب ، والرّمان والزّهور ذات الألوان المختلفة ، والرّوائح المختلفة ، والطّعموم المختلفة ، مع إنّها تُسقى بماء واحد ، وفي أرض متجاورة متشابهة في التّربة والجو (٣) .

(١) - سورة الإسراء ، الآية : (٧٠) .

(٢) - سورة الرّعد ، الآية : (٤) .

(٣) - ينظر : " في ظلال القرآن " مرجع سابق (٤/٢٠٤٦) .

وهذا الاختلاف في أجناس الثمرات والزرّوع ، في أشكالها ، وألوانها ، وطعومها ، وروائحها ، وأوراقها . هذا في غاية الحلاوة ، وهذا في غاية المرارة ، وهذا اجتمع فيه هذا وهذا ، وهذا أصفر وهذا أبيض ، وهذا أسود<sup>(١)</sup> .

إن المتأمل في هذا الخلق العجيب ، لا يملك إلا أن يسبح الله الذي أتقن كلّ شيء صنعاً ، لكن لا يستفيد من هذه الآيات إلا أصحاب العقول السليمة ولذلك قال سبحانه : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> . أي آيات ودلائل تشهد بقدرة الخالق وعظمته ، وتعبر عن علمه ، وحكمته ، ويزداد المؤمن بالعلم بها إيماناً ، وتوقيراً وإجلالاً لربه سبحانه وتعالى<sup>(٣)</sup> .

### ج- استفادة الدّاعية من وسائل الإيضاح والإعلام المعاصرة في بيان عظمة الله في خلق السماوات والأرض .

لقد توصل العلم الحديث إلى إنتاج وسائل جديدة ذات أثر قوي في البيان والإيضاح ، يتوجّب على الدّعاة والمصلحين والمربين الاستفادة منها ، وتسخيرها في خدمة الدعوة إلى الله تعالى ، وهي كثيرة ومتنوعة أذكر هنا بعضاً منها :

(١) - الرّائي ( التلفاز )<sup>(٤)</sup> .

- (١) - ينظر : " من آيات الله " للدكتور : أحمد عبدالرحيم السامح (ص/٣٥) مركز الكتاب للنشر ، القاهرة - بدون ذكر رقم الطبعة والتاريخ ، وينظر أيضاً : " الحكمة في مخلوقات الله " للإمام أبي حامد محمد بن أحمد الغزالي الطوسي ، تحقيق : محمد رشيد راغب قباني - مفتي الجمهورية اللبنانية (ص/١٤٠) ، دار إحياء العلوم ، بيروت - لبنان ، ط : ٤ ، ١٤١٨هـ .
- (٢) - سورة الرعد ، جزء من الآية : (٤) .
- (٣) - " المرجع السابق " (ص/٣٦) . بتصرف .
- (٤) - يُعدّ من أحدث وسائل الاتصال التي أثبتت قدرتها على جذب الانتباه ، وبعد أن كان أداة للترفيه والتسلية أصبح وسيلة مؤثرة لنشر العلم والثقافة ، ومن أبرز مميزاتة :
- سعة دائرة البث ، وبالتالي استفادة أكبر عدد من المخاطبين .
  - نقله للصوت والصورة ، وهذا مما يكون له عظيم الأثر على أهم حاستين عند الإنسان وهما السمع والبصر .
  - الحركة والحيوية التي تنثير الاهتمام لدى المشاهد .
  - النقل المباشر للمعلومة ، مما يساعد على الإثارة والمتابعة . ينظر : " وسائل الاتصال التعليمية " تأليف الدكتور / عبدالله إسحاق عطار ، الدكتور / إحسان محمد كئسادة (ص/٣٥٧ - ٣٦٠) الطبعة الأولى عام ١٤١٨هـ .
- وكما أنه وسيلة . قوية ومؤثرة في نشر الخير والعلم والمعرفة والفضيلة ، فهو أيضاً وسيلة خطيرة جداً في نشر الشر بكل صورة وأشكاله ، ونشر الرذيلة وهدم المبادئ والأخلاق ، كما هو حاصل في أغلب استعمالاته في العصر الحاضر ولا حول ولا قوة إلا بالله .

- (٢) - شبكة المعلومات ( الانترنت ) (١) .  
 (٣) - الحاسوب ( الكمبيوتر ) (٢) .  
 (٤) - جهاز العرض ( الفيديو ) (٣) .

والاستفادة أيضاً من أجهزة العرض الضوئية التعليمية المخصصة لعرض

الصُّور ( الفوتوغرافية ) مثل :

- (١) - جهاز الفانوس السحري (٤) .  
 (٢) - جهاز العرض فوق الرأس ( الأوفرهد ) (٥) .  
 (٣) - جهاز عرض الشرائح الثابتة (٦) .

وغير هذه الأجهزة والوسائل التي يكون لها تأثير قوي على حواس المخاطب ؛

بتشويقه ولفت انتباهه إلى ما يُراد إيضاحه وبيانه ، والاستفادة منها في بيان عظمة

الله تعالى في خلق السماوات والأرض يكون على النحو التالي :

\* عرض الأفلام والصُّور التي ألقت عن طريق آلات التصوير ، وأجهزة التكبير والتقريب للكواكب والمجرات السماوية ، والربط بينها وبين ما جاء في

- (١) - تعدّ شبكة المعلومات ( الانترنت ) من أبرز ما أنتجته الصناعة الحديثة في تبادل المعلومات ونشرها وهي أيضاً من أبرز معالم التطور الهائل الذي نشهده في العصر الحاضر ، وهي مرتبطة فسي عملها بأجهزة الحاسوب ( الكمبيوتر ) ، وهي من الوسائل الحسية المؤثرة في الدعوة إلى الله تعالى ، وأيضاً من الوسائل الخطيرة في هدم المبادئ والأخلاق ، ونشر الرذيلة والفساد . ينظر : " المرجع السابق " (ص/٤٢٢ - ٤٢٥) بتصرف .  
 (٢) - يُعدّ جهاز الحاسوب ( الكمبيوتر ) من أعظم وسائل التقنية الحديثة التي ساهمة في تقدّم وتطور كثير من الصناعات ، وهو وسيلة فعّالة ومؤثّرة يلزم الدعاة والمصلحون الاستفادة منها في خدمة الكتاب والسنة ، ونشرها عن طريقها . ينظر : " المرجع السابق " (ص/٣٨٥ - ٣٩٠) بتصرف .  
 (٣) - وهو جهاز يقوم بتسجيل الصُّوت والصورة بواسطة أشرطة خاصة به ، يمكن عرضها ومشاهدتها على شاشة التلفاز ، وهو جهاز مهمّ في التعليم والدعوة إلى الله تعالى ، يجب على الدعاة الاستفادة منه ، ونشر الخير عن طريقه . ينظر : " المرجع السابق " (ص/٣٧٨ - ٣٨١) بتصرف .  
 (٤) - وهذا الجهاز يعمل على عرض الصُّور ، والأدوات المجسمة وتكبيرها ، بحيث يسهل مشاهدتها من قبل أكبر عدد ممكن من المخاطبين أثناءلقاء المحاضرات ، والدروس العلمية وغيرها وأكثر انتشاراً لهذا الجهاز في المدارس ؛ لأنه يُعدّ وسيلة تعليمية ممتازة ، يختصر بها المعلم الجهد والوقت ، وترسخ عن طريقها المعلومة التي يريد إيصالها إلى الطلاب . ينظر : " المرجع السابق " (ص/٣٠٢ - ٣٠٤) .  
 (٥) - جهاز ( الأوفرهد ) من أكثر وسائل الإيضاح التعليمية انتشاراً في المدارس ، وذلك لإعطاء المعلم فرصة كبيرة للإبداع والابتكار ، وتنوع أساليب عرض المادة العلمية بطريقة شيقة وجذابة ، لأنه يقوم مقام السبورة في عرض أي معلومة يريد إيصالها لطلابه . ينظر : " المرجع السابق " (ص/٣١٢ - ٣١٥) .

- (٦) - يستعمل هذا الجهاز لعرض الفيلم الثابت والذي يشتمل على مجموعة من الصور الشفافة لعرض فكرة واحدة ، أو موضوع محدد ، وتكون تلك الصور مرتبة ، بحيث يستطيع المشاهد أن يدرك الفكرة أو الموضوع متى شاهد الفيلم بكامله ، وأكثر انتشاره أيضاً في المدارس ، واستعماله كوسيلة تعليمية لتشويق الطالب ولفت انتباهه ، وترسيخ المعلومة في ذهنه . ينظر : " المرجع السابق " (ص/٣١٩ - ٣٢٥) .

القرآن والسنة . من ذكر لبعض الحقائق العلمية ، التي أخبر عنها القرآن الكريم قبلي أكثر من ألف وأربعمائة عام ، وأثبتها العلم الحديث .

\* عرض الحركة الدائبة للكواكب ، ليتبين للمدعويين دقة صنع الله تعالى في خلق هذه الكواكب العظيمة ، ومطابقة ما جاء به الوحي ، ومن ذلك الوصف الدقيق لحركتها وسباحتها في الفضاء ، يقول الله تعالى : ﴿ والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم \* والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم \* لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون ﴾ (١) .

\* عرض بعض ما توصل إليه العلم الحديث من حقائق علمية حول الأرض ، وما فيها من آيات بينات تدلّ على عظمة الله تعالى ، وذلك في مثل قول الله تعالى : ﴿ مرج البحرين يلتقيان \* بينهما برزخ لا يبغيان ﴾ (٢) ، وقوله : ﴿ والقسي في الأرض رواسي أن تמיד بكم ﴾ (٣) ، وغيرها من الآيات التي تتجلى عظمة الله في إبداعها ، وتكون وسيلة حسية يتوصل بها الدّاعية إلى زيادة الإيمان في نفوس المخاطبين ، وتُحَبِّب الخالق سبحانه إلى نفوسهم .

وما ذكرته هنا يُعدُّ إشارة عابرة ، وأمثلة مختصرة لطريقة استفادة الداعية من تلك الوسائل لترسيخ الإيمان في نفوس المدعويين ، وبيان عظمة الخالق سبحانه من خلال مخلوقاته .

### ثانياً : تمكين العقيدة في نفوس المسلمين من خلال بيان عظمة الله في خلق الإنسان

خلق الله تعالى الإنسان وكرّمه وفضّلّه على كثير ممّن خلق ، وفي ذلك يقول سبحانه : ﴿ ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البرّ والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممّن خلقنا تفضيلاً ﴾ (٤) .

وكرّمه الله تعالى بأنّ سوّاه بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته الكرام ، يقول الله تعالى : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من صلصال من

(١) - سورة يس ، الآيات : (٣٨ - ٤٠) .

(٢) - سورة الرحمن ، الآيات : (١٩ - ٢٠) .

(٣) - سورة النّحل ، جزء من الآية : (١٥) .

(٤) - سورة الإسراء ، الآية : (٧٠) .



حماء مسنون \* فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين \* فسجد الملائكة كلّهم أجمعون ﴿ (١) .

ومن نعم الله على الإنسان أيضاً إكرامه وتفضيله بالعقل الذي عليه مدار التكليف وفهم الخطاب ، يقول سبحانه : ﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون ﴾ (٢) .

في هذه الآية يذكر الله عباده بنعمه عليهم بأن جعل لهم السمع والأبصار ، والأفئدة : وهي العقول والفهوم التي يذكرون بها الأشياء ويميزون بها بين الخير والشر ، ويعتبرون بما في الكون من الآيات الدّالة على وحدانية الله ، ويشكرونه وحده لا شريك له (٣) .

ومن إكرام الله للإنسان أن خلقه في أحسن تقويم ، وصوّره فأحسن صورته ، وفي ذلك يقول الحق - تبارك وتعالى : ﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ﴾ (٤) .

يقول الإمام القرطبي - رحمه الله - : (( في أحسن تقويم ) في اعتداله واستواء شبابه كذا قال عامة المفسرين )) (٥) .

ويقول سبحانه في حُسن تصوير الإنسان : ﴿ الله الذي جعل لكم الأرض قراراً والسّماء بناءً وصوّركم فأحسن صوركم ﴾ (٦) .

ويقول سبحانه : ﴿ هو الذي يُصوّركم في الأرحام كيف يشاء ﴾ (٧) .

(( وهكذا لم تستعمل كلمة (( التّصوير )) في حق أي مخلوق آخر في آيات القرآن الكريم )) (٨) .

ومن تكريم الله تعالى للإنسان أن جعله خليفة في الأرض ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إنّي جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من

(١) - سورة الحجر ، الآيات : (٢٨ - ٣٠) .

(٢) - سورة النحل ، الآية : (٧٨) .

(٣) - ينظر : " جامع البيان عن تأويل أي القرآن " للإمام الطبري (١٥٢/٨) ، " تفسير القرآن العظيم " للإمام ابن كثير (٧٦٥/٢) .

(٤) - سورة التين ، الآية : (٤) .

(٥) - " الجامع لأحكام القرآن " (٧٧/٢٠) .

(٦) - سورة غافر ، جزء من الآية : (٦٤) .

(٧) - سورة آل عمران ، جزء من الآية : (٦) .

(٨) - " الظاهرة الجمالية في الإسلام " بقلم صالح أحمد الشامي (ص/١٤٠) ، المكتبة الإسلامية - بيروت ، دمشق ط/١ ، ١٤٠٧هـ .

يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنني أعلم ما لا تعلمون ﴿١﴾ .

والتَّمَكِين والبقاء لا يكون إلا لأهل الإيمان ، يقول الله تعالى: ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض ﴾ (٢) .

وفي مراحل خلق الإنسان من العبر والعظات ، والدلائل الباهرة على قدرة الله تعالى وبيد صنع ما هو كفيل بترسيخ عقيدة أهل الإيمان وتثبيتها ، وقد جاء ذلك مفصلاً في كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ ، أشير هنا إلى بعض من ذلك ، ومن ثمّ أبين بعض الحقائق التي أثبتتها العلم الحديث ، وكيف يستفيد منها الدعاة والمرّبون في بيان عظيم قدرة الله تعالى وبيد صنع في خلق الإنسان ، لتكون سبباً في زيادة الإيمان وتعظيم الله وتوقيره ، وإخلاص العبادة له وحده سبحانه وتعالى .

ولكون الحديث عن مثل هذه القضية يطول ويتشعب ، فسأقتصر على إشارة سريعة تتبين من خلالها عظمة الله تعالى في خلق الإنسان ، انطلاقاً من قول الله تعالى : ﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ (٣) ، وذلك فيما يلي :

#### أ- مراحل خلق الجنين ودالاتها على عظمة الله

لقد جاء الوحي بترتيب هذه المراحل ترتيباً دقيقاً من أول لحظة من الحمل حتى يخرج إلى الدنيا إنساناً كاملاً ، وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين \* ثمّ جعلناه نطفة في قرار مكين \* ثمّ خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظماً فكسونا العظام لحماً ثمّ أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ (٤) .

وثبت في الصحيحين عن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : حدثنا رسول الله ﷺ ، وهو الصادق المصدوق : (( إنّ أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً . ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك . ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك . ثم يرسل

(١) - سورة البقرة ، الآية : (٣٠) .  
 (٢) - سورة النور ، جزء من الآية : (٥٥) .  
 (٣) - سورة الذاريات ، الآية : (٢١) .  
 (٤) - سورة المؤمنون ، الآيات : (١٢ - ١٤) .

الملك فينفخ فيه الروح . ويُؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقي أو سعيد ... )) (١) .

والمُتأمل في هذه المراحل تتبين له آثار قُدرة الله تعالى ، وبديع صنعه في بدء خلق الإنسان منذ كان نُطفة إلى أن يسر الله له السبيل فخرج من بطن أمه مزوداً بكافة الأجهزة والحواس التي يحتاجها في حياته ، وتوصله إلى معرفة خالقه ، بل وقبل ذلك حين كان تراباً أو طيناً أو صلصالاً من حمأ مسنون وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿ ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أتم بشرت تنتشرون ﴾ (٢) ، وقال سبحانه : ﴿ خلق الإنسان من صلصال كالفخار ﴾ (٣) ، وقال : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من صلصالٍ من حمأ مسنون ﴾ (٤) .

(( وفي كل يوم يجد العقل من هذه الآيات جديداً من العلم ، ومزيداً من المعرفة وكثيراً من الأسرار ، وإذا التراب والطين ، والصلصال ، والحمأ المسنون والماء والنبات .. هي العناصر التي شكّلت هذا المخلوق العجيب والتي أقام منها الخالق العظيم هذا البناء في أحسن تقويم )) (٥) .

ولكنه يغفل عن قيمته ، وعن أسراره الكامنة في كيانه ، إنه أعجوبة في تكوينه الجسماني ؛ في أسرار هذا الجسد ، عجيبة في تكوينه الروحي ؛ في أسرار هذه النفس ، وهو أعجوبة في ظاهره وباطنه ، وهو يمثل عناصر هذا الكون وأسراره وخفاياه (٦) .

والإسلام يطلب من الإنسان أن يمعن النظر في خلقه هو ، ويتفكر فيما حوله ، يقول الله تعالى : ﴿ فلينظر الإنسان ممّ خلُق \* خلق من ماء دافق \* يخرج من بين الصُّلب والترائب ﴾ (٧) .

(١) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة (٩٩٣/٢) ح (٣٢٠٨) ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب القدر ، باب كيفية الخلق للأدمي ، في بطن أمه ، وكتابة رزقه وأجله وعمله ، وشقاوته وسعادته (١٦١٦/٤) ح (٢٦٤٣) ، واللفظ له .

(٢) - سورة الروم ، الآية : (٢٠) .

(٣) - سورة الرحمن ، الآية : (١٤) .

(٤) - سورة الحجر ، الآية : (٢٦) .

(٥) - " من آيات الله " مرجع سابق (ص/٦٢) .

(٦) - ينظر : " في ظلال القرآن " مرجع سابق (٣٣٧٩/٦) .

(٧) - سورة الطارق ، الآيات : (٥ - ٧) .

وآيات الله واضحة في خلق الإنسان من نطفة ، وعلقة ، ومضغة وعظم ولحم وروح ، وفي ذلك يقول الإمام ابن قيم الجوزية - رحمه الله - : (( فانظر الآن إلى النطفة بعين البصيرة وهي قطرة من ماء مهين ضعيف مُستقذر ، لو مرت بها ساعة من الزمان فسدت وأنتنت ؛ كيف استخرجها رب الأرباب العليم القدير من بين الصلْب والترائب مُنقادة لقدرته مطبوعة لمشيئته مذلة الانقياد على ضيق طرقها واختلاف مجاريها إلى أن ساقها إلى مستقرها ومجمعها ، ... ثم قلب تلك النطفة البيضاء إلى علقه حمراء تَضْرِبُ إلى سواد ، ثم جعلها مضغة لحم مخالفة للعلقة في لونها وحقيقتها وشكلها ، ثم جعلها عظماً مجردة لا كسوة عليها مباينة للمضغة في شكلها وهيئتها وقدرها وملمسها ولونها )) (١) .

ومما يزيد هذا الأمر وضوحاً ما كتبه الإمام الغزالي حيث قال : (( وأنت ترى النطفة القدرة كانت معدومة فخلقها خالقها في الأصلاب والترائب ، ثم أخرجها منها وشكلها فأحسن تشكيلها وقدرها فأحسن تقديرها وتصويرها . وقسّم أجزاءها المتشابهة إلى أجزاء مختلفة فأحكم العظام في أرجائها ، وحسّن أشكال أعضائها وزينَ ظاهرها وباطنها ورتّب عروقها وأعصابها وجعلها مجرى لغذائها ليكون ذلك سبب بقائها ، وجعلها سمیعة بصيرة عالمة ناطقة ... )) (٢) .

وعند التأمل في المراحل التي يمرّ بها الجنين في بطن أمه ، وما يصاحبها من العناية الربانية ، منذ أن كان نطفة حتى أصبح بشراً سوياً ، لا يملك المرء إلا أن يسبح الله لما يرى من بديع الصنع والإتقان ، ويشكره على دقة الرعاية والحفظ .

### ب - وظائف أجهزة الإنسان ودالاتها على عظمة الله

#### (١) التوازن في توزيع الأجهزة والأعضاء :

(( من الملاحظ أن الكائن الحي له جانبان : أيمن وأيسر ، ولتحقيق التوازن بحيث يتحرك الكائن الحي متزناً ، فلا يكون هناك جانب خفيف وآخر ثقيل يميل إليه ، قدر الخالق العظيم ذلك التوزيع الجانبي المتوازن في مختلف أجهزة الإنسان وأعضائه الظاهرة والباطنة .

طاهر

(١) - " مفتاح السعادة " (١/٨٨) .

(٢) - " إحياء علوم الدين " (٥/٢٥) .

فمن الأعضاء الظاهرة التي تتوسط الجسم : الأنف والقدم والوجه ، وأعضاء التناسل أسفل البطن ، ثم يلاحظ بعد ذلك التوازن فمثلاً في التوزيع الجانبي المتوازن لبقية الأعضاء : فنلاحظ ونجد عيناً وأذناً ويدا ورجلاً عن يمين ، ونلاحظ ونجد مثل ذلك عن شمال بنفس الحجم والمقدار ، ولم يقتصر هذا التوازن على الأعضاء ، بل شمل الأعضاء والأجهزة الباطنة أيضاً ... ويطرد هذا التوازن في الأجهزة العظمية والعصبية ، والدورية . فسبحان الذي أحسن كل شيء خلقه .

وقد خلق جسم الإنسان وقدر فيه التوازن المائي والتوازن الحراري والتوازن الهرموني ، والتوازن السكري ، والتوازن المعدني ، وقدر في هذا الجسم الصغير الضعيف المعجز لزوجة الدم ، بين التخثر والتميع ، وقدر تفاعل الدم بين الحموضة والقلوية ، وقدر اتزان الجسم بين التصنيع والاستهلاك ، يعود هذا إلى تقدير العزيز العليم ، الذي خلق جميع الأشياء ، وجعل لها مقادير مخصوصة في أجناسها وأنواعها وأفرادها وصفاتها وأفعالها وأجالها : ﴿ وخلق كل شيء فقدره تقديراً ﴾ (١) (٢) .

## (٢) الهيكل العظمي :

« وهو مجموعة العظام التي هي دعامة وقوام للإنسان كي يعتمد عليها في القيام والحركة وحفظ أجهزته الداخلية مثل : ( القلب والرئتين والمعدة والأمعاء ) . وهي مثل الأساس الصلب للبناء ، فلولا لسقط البناء وتهدم ، كذلك لولا وجود الجهاز العظمي ، لسقط الإنسان على الأرض وتبعثرت أجزاؤه ، ولولا وجود عظام الرقبة لسقط الرأس على الصدر ، ولولا وجود عظام الرجلين لجلس الإنسان على الأرض ولم يتحرك .

فالعظام قوام البدن وعماد له ، وقد خلقت بتقادير مختلفة وأشكال مختلفة ، فمنها الصغير والكبير والطويل والقصير والمنحني والمستدير ، والرقيق والمصمت

(١) - سورة الفرقان ، الآية : (٢) .

(٢) - " أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة " للدكتور : حمد بن ناصر العمّار (ص/٢٢١) طبعة دار اشبيليا - الرياض ، ط : ١ ، ١٤١٦هـ ، وينظر : " رحلة القلب السليم في آثار رحمة الله عز وجل " محمد صفوت العلي (ص/١٦٧ - ١٦٨) المطبعة العالمية ، نشر مكتبة العليا ببريدة .

والمُجوف ، .. ولمّا كان الإنسان محتاجاً إلى الحركة بجملة بدنه وبعض أعضائه للتردد في حاجته ، لم تجعل عظامه واحداً بل عظاماً متعدّدة ، وجعل بينها مفاصل حتى تتيسر بها الحركة ، وقدّر كلّ واحد منها وشكله على حساب الحركة المطلوبة منه ، وقد شدّت تلك المفاصل والأعضاء وربط بعضها ببعض بأوتار ورباطات . ولولا المفاصل لتعذر تحريك البدن ، وقد احتوى رأس الإنسان على خمس وخمسين عظماً مختلفة الأشكال والمقادير والمنافع ، وهذا يدلُّ دلالة قاطعة على دقة خلق الإنسان وتعميد صنّعه ، وعلى أنّ وراء هذا المخلوق خالق عظيم هو الذي خلق فقدّر فهدى )) (١) .

### ج- استفادة الدّاعية من وسائل الإيضاح والإعلام المعاصرة في بيان عظمة الله تعالى في خلق الإنسان

أشرت في الفقرة السّابقة إلى بعض أنواع الوسائل التي يستفيد منها الدّاعية في عرض بعض الحقائق التي توصل إليها العلم الحديث في خلق السّموات والأرض ، والتي تؤيد ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية ودلّ عليها قول الله تعالى : ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنّه الحق ﴾ (٢) .

وهنا أبين طريقة استفادة الدّاعية منها في بيان عظمة الله تعالى في خلق الإنسان ، وذلك على النحو التالي :

\* - عرض الصّور المُكبّرة التي أخذت للجنين في جميع مراحلها منذ أن كان نطفة ثم علقه ثم مضغة مخلقة وغير مخلقة ، ثم بعد أن خلق الله العظام وكساها باللحم ، حتى أصبح خلقاً سوياً في أحسن صورة ، وبيان عظمة الله وقدرته ، ورعايته للجنين في تلك الظلمات ، حتى يخرج من بطن أمه إنساناً سوياً ، مع أخذ الحذر والحيطه من عرض العورات وصور النساء وكلّ ما يحزّم على المسلم رؤيته مما جاء به الدليل من الكتاب والسنة .

(١) - " أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة " للدكتور / حمد العمار (ص/ ٢٢٢ - ٢٢٣) ، وينظر أيضاً : " مفتاح دار السعادة " لابن قيم الجوزية (١/ ١٨٩) ، وينظر أيضاً : " وفي أنفسكم أفلا تبصرون " لأنس عبد الحميد القوز " (ص/ ٨١) طبعة دار الهدى - الرياض ، ط : ١ ، ١٤٠٩ هـ .  
(٢) - سورة فصلت ، جزء من الآية : (٥٣) .

\* - عرض بعض أجهزة الجسم كالقلب ، والكبد ، والعين ، والكلية ، والدماغ ، على إحدى الوسائل المرئية ، وتوضيح كيفية عملها ، وتأثيرها على بقية أجزاء الجسم ، وبيان دقة الخلق والتصوير حتى يتأمل فيها المدعو ، ويزداد بها إيماناً ، وحباً لله تعالى وليشكره على نعمه التي لا تعدّ ولا تحصى ، كما قال سبحانه : ﴿ وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها ﴾ (١) .

(١) - سورة إبراهيم ، جزء من الآية : (٣٤) .

## المسلك الثاني

### استفادة الداعية من المنهج الحسّي في التحذير من البدع

#### تمهيد

قبل البدء في بيان التّحذير من البدع بالمنهج الحسّي ، لابد من تعريف البدعة وتحديد مفهومها وأثرها النفسي على التوحيد .

**فالبدعة في اللغة :** مأخوذة من بدع الشيء يبدعه بدعاً وابتدعه : أنشأه وبدأه ، والبدعة : الحدث وما ابتدع في الدّين بعد الإكمال ، وأبدع وابتدع وتبدّع : أتى ببدعة . قال الله تعالى : ﴿ ورهبانية ابتدعوها ﴾ ، بدّعة : نسبة إلى البدعة ، وأبدعت الشيء : اخترعته لا على مثال ، والبديع من أسماء الله تعالى لإبداعه الأشياء وإحداثه إياها (١) .

فتكون البدعة على المعنى اللغوي هي : كل شيء أحدث على غير مثال سابق سواءً أكان محموداً أم مذموماً .

**أمّا التّعريف الاصطلاحي للبدعة :** فقد عرفها العلماء بتعريفات من أهمها :

وقيل : (( هي طريقة في الدّين مُخترعة تُضاهي الشّرعية يُقصد بالسّلك عليها المبالغة في التّعبد لله سبحانه وتعالى )) (٢) .

وقيل هي : (( ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه ، فأما ما كان له أصل من الشّرّع يدلُّ عليه فليس ببدعة شرعاً ، وإن كان بدعة لغة )) (٣) .

وكلّ بدعة في الدّين مُحَرّمة وضلالة لقوله ﷺ : (( أمّا بعد . فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها ، وكلّ بدعة ضلالة )) (٤) .

(١) - ينظر : " لسان العرب " (٦/٨) ، مادة : (بدع) .

(٢) - " الاعتصام " لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي (٥١/١) طبعة دار ابن عفان للنشر والتوزيع ، المملكة العربية السعودية ، الخبر ، ط/١ ، ١٤١٨هـ .

(٣) - " جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم " للإمام الحافظ أبي الفرج عبدالرحمن ابن رجب (١٢٧/٢) طبعة مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط : ٦ ، ١٤١٥هـ .

(٤) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " ، كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة ، (٤٩٦١/٢) ح (٨٦٧) .



وقوله ﷺ : (( من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد )) (١) .  
فدل الحديث على أن كل محدث في الدّين بدعة وكل بدعة ضلالة مردودة ،  
ومعنى ذلك أن البدع في العبادات والاعتقاد محرّمة ، كما أن التحريم يتفاوت حسب  
نوعية البدعة .

- فمنها ما هو كفر صريح كالطواف بالقبور تقريباً لأصحابها ، وتقديم الذبائح  
والنذور لهم ، ودعاء أصحابها والاستغاثة بهم .  
- ومنها هو ما من وسائل الشّرك كالبناء على القبور والصلاة والدعاء عندها .  
- ومنها ما هو فسق اعتقادي : كبدعة الخوارج والقدرية ، والمرجئة فيما خالفوا  
فيه الشرع .

- ومنها ما هو معصية : كبدعة الصيام قائماً في الشّمس ، وكبدعة التّبئيل (٢) .  
والذي نعنيه في هذا البحث هو البدع المتعلقة بالقبور والمشاهد ، وأرى لزاماً  
عليّ قبل التحذير بالأمور الحسية المنتزعة من بيئة المدعويين أن أبين حقيقة بدعة  
القبوريين بإيجاز ويكون ذلك على النحو التالي :

### أولاً : حقيقة بدعة القبوريين

من المعلوم أنّ الأصل في زيارة القبور الجواز لما ثبت في صحيح مسلم عن  
أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : (( استأذنت ربّي أن استغفر لأمي  
فلم يأذن لي . واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي )) (٣) .

وكان الرسول ﷺ قد نهى عن زيارتها في بادئ الأمر ، لكونها مبدأ عبادة  
الأصنام ، وكان ابتداء ذلك الداء العُضال في قوم نوح - عليهما السلام - كما أخبر الله  
تعالى عن ذلك في كتابه بقوله سبحانه : ﴿ وقالوا لا تدرنّ آهتكم ولا تدرنّ وداً ولا  
سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً ﴾ (٤) .

(١) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الصلح ، باب : إذا اصطلحوا على صلح جور  
فالصلح مردود ، (٨١٩/٢) ح (٢٦٩٧) ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الأفضية ، باب نقض  
الأحكام الباطلة ، وردّ محدثات الأمور (١٠٨٢/٣ - ١٠٨٣) ح (١٧١٨) .  
(٢) - ينظر : " الاعتصام " لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي (٥١٦/٢ - ٥١٧) .  
(٣) - كتاب الجنائز ، باب استئذان النبي ﷺ ربه عز وجل في زيارة قبر أمه ، (٥٥٩/٢) ح (٩٧٦) .  
(٤) - سورة نوح ، الآية ، (٢٣) .

قال ابن عباس وغيره من السّلف : (( كان هؤلاء قوماً صالحين في قوم نوح - عليه السلام - فلما ماتوا عكف النّاس على قبورهم )) (١) .

فلما كان منشأ عبادة الأصنام من جهة القبور ، نهى النبي صلى الله عليه وآله أصحابه في أوائل الإسلام عن زيارة القبور سداً لذريعة الشّرك ، لكونهم حديثي عهد بكفر ، ثم لما تمكّن التوحيد من قلوبهم أذن لهم في زيارتها (٢) ، وبين لهم سبب ذلك ، بقوله صلى الله عليه وآله : (( زوروا القبور فإنها تذكر الموت )) (٣) ، (( وكان يُعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا السّلام عليكم يا أهل الدّيار من المؤمنين والمسلمين وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون أنتم لنا سلف ونحن لكم تباع نسال الله لنا ولكم العافية )) (٤) .

وهذه هي الزيارة الشرّعية التي أذن فيها الرّسول صلى الله عليه وآله ، أمّا ما سوى ذلك فيعدّ زيارة بدعية شركية كزيارة القبور لأجل الصّلاة عندها والطواف بها ، وتقيلها وتعفير الخدود عليها ، وأخذ ترابها ، ودعاء أصحابها والاستغاثة بهم ، وسؤالهم النّصر والرّزق والعافية والولد ، وقضاء الدّين وتفريج الكربات ، وغير ذلك من الحاجات التي كان عبّاد الأصنام يسألونها من أصنامهم ، فإنّ أصل هذه الزّيارة البدعية الشركية مأخوذة منهم (٥) .

ولذلك نهى الشّرّع الحكيم عن كل ما يؤدي إلى تعظيم الأموات والغلو فيهم ، ورفعهم فوق منازلهم ، وكلّ ما يؤدي إلى ذلك ويعين عليه من إقامة المشاهد والقباب والبناء على القبور وتجسيصها ، واتخاذها مساجد ، والمبالغة في زخرفتها وتزيينها ، فقد ثبت في صحيح مسلم عن جابر بن عبدالله - رضي الله عنه - قال : (( نهى رسول صلى الله عليه وآله أن يُجصّص القبر وأن يُقعد عليه ، وأن يُبنى عليه )) (٦) .

- (١) - أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب التفسير ، سورة نوح ، (٣/١٥٧٢) ح (٤٩٢٠) .  
(٢) - ينظر : " المجموع المفيد في نقض القبورية ونصرة التوحيد " د . محمد عبدالرحمن الخميس (ص/٣٨٥ - ٣٨٦) ، دار أطلس للنشر والتوزيع ، ط/١ ، ١٤١٨هـ .  
(٣) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الجنائز ، باب استئذان النبي صلى الله عليه وآله ربه في زيارة قبر أمه (٥٥٩/٢) ح (١٠٦/٩٧٦) .  
(٤) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الجنائز ، باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها ، (٥٥٩/٢) ح (٦٧٥) .  
(٥) - ينظر : " المجموع المفيد في نقض القبورية ونصرة التوحيد " مرجع سابق (ص/٣٩٠) .  
(٦) - كتاب الجنائز ، باب النهي عن تجسيص القبور والبناء عليها (٥٥٦/٢) ح (٩٧٠) .

وعن أبي الهياج الأسدي<sup>(١)</sup> قال : قال لي علي بن أبي طالب - عليه السلام - : (( ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تدع تمثالا إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته ))<sup>(٢)</sup> .

وقد حرق الرسول صلى الله عليه وسلم مسجد الضرار وأمر بهدمه ، وهو مسجد يُصلى فيه ، ويذكر اسم الله فيه ، لما كان بناؤه ضراراً وتفريقاً بين المؤمنين ، يقول الإمام ابن قيم الجوزية - رحمه الله - : (( وإذا كان هذا شأن مسجد الضرار ، فمشاهد الشرك التي تدعو سدنتها إلى اتخاذ من فيها أندادا من دون الله أحق بالهدم وأوجب ))<sup>(٣)</sup> .

ويقول الإمام الشوكاني - رحمه الله - : (( اعلم أنه قد اتفق النّاس سابقهم ولاحقهم أولهم وآخرهم من لدن الصّحابة - عليهم السلام - إلى هذا الوقت أن رفع القبور والبناء عليها بدعة من البدع التي ثبت النّهي عنها واشتدّ وعيد الرّسول صلى الله عليه وسلم لفاعليها .. ولم يُخالف في ذلك أحد من المسلمين أجمعين ))<sup>(٤)</sup> .

وكما أنّ البناء على القبور بدعة محرّمة ، فأيضاً : الصّلاة إليها وبناء المساجد عليها ، يدل لذلك ما جاء في الصحيحين عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي لم يقم منه : (( لعن الله اليهود والنّصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد )) . قالت : فلولا ذلك أبرز قبره غير أنّه خشى أن يتخذ مسجداً<sup>(٥)</sup> .

يقول الإمام الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : (( وكانه صلى الله عليه وسلم علم أنّه مرتحل من ذلك المرض فخاف أن يعظم قبره كما فعل من مضى ، فلعن اليهود والنّصارى إشارة إلى ذمّ من يفعل فعلهم ))<sup>(٦)</sup> .

والقبوريون تبدأ علاقتهم بالقبر أو الضريح كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (( بتقدّيس الرّمز )) أي رمز الصّلاح والتّقوى والمنزلة الرفيعة عند الله ، ومن ثمّ :

(١) - هو : حيان بن حصين أبو الهياج الكوفي ، روى عن علي وعمر ، وروى عن ابنه جريير ، ومنصور ، والشعبي ، تابعي ثقة ، ذكره ابن حبان في الثقات ، قال ابن عبد البر : كان كاتب عمّار - عليه السلام - " تهذيب التهذيب " (٤٤/٢) رقم الترجمة (١٨٨١) .

(٢) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الجنائز ، باب الأمر بتسوية القبور ، (٥٥٥/٢) ح (٩٦٩) .

(٣) - " زاد المعاد في هدي خير العباد " (٥٧١/٣) .

(٤) - " شرح الصدور في تحريم رفع القبور " (ص/٢٠) تأليف : محمد بن علي الشوكاني ، تحقيق وتخريج : محمد صبحي حسن حلاق ، دار الهجرة للنشر والتوزيع ، صنعاء - اليمن ، ط : ١ ، ١٤١٠هـ .

(٥) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الجنائز ، باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور (٣٩٥/١) ح (١٣٣٠) ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٣١٥/١) ح (٥٢٩) .

(٦) - " فتح الباري شرح صحيح البخاري " (٦٣٤/١) .

يقومون بزيارة تلك البقاع ، ليس لتذكر الموت والآخرة ، بل لتذكر ( الرمز ) والاعتبار به ، ولأنّ هذه الأماكن ( مباركة ) ، ولأنّ الملائكة و ( الأرواح ) تنتشر حولها - كما يزعمون - فإنّ دعاء الله يحسن عندها ، فهو أرجح منه في البيت والمسجد وأوقات السّحر ، كما أنّ البركة تفيض على كل شيء حول القبر ، فمن أراد التّزود منها فليلمس ، ويقبل ويتمسّح ، فإذا تقرّر ذلك هبط إلى دركة تالية :

من دعاء الله عنده إلى الدّعاء به والإقسام على الله به أي . اتخاذه ( واسطة ) له جاء عند الله ، بينما صاحب الدّنب - أو الحاجة - يتلّخ في أحوال خطيئته غير مؤهل لدعاء الله ، فإذا تقرّر ذلك هبط إلى دركة أخرى .

فما دام هذا المقبور مكرماً فليس بممتنع أن يعطيه الله القدرة على التّصّرف في بعض الأمور التي لا يقدر عليها طالب الحاجة ، فيدعى صاحب القبر ، ويُرَجَى ويُخَشَى ، ويُستغاث به ، ويطلب المدد منه ، ولم لا ؟! ؛ فهو صاحب ( السّر ) الذي توجل منه النفوس ، وترتجف له القلوب ، وتتحير له العقول ! ، فإذا تقرّر ذلك هبط إلى دركة أخرى <sup>(١)</sup> : حيث (( يتخذ قبره وثناً ، يُعكف عليه ، ويوقد عليه القنديل ويعلق عليه السّتور ، ويبنى عليه المسجد ، ويعبده بالسجود له ، والطواف به ، وتقبيله واستلامه ، والحج إليه ، والذبح عنده ، ثمّ ينقله الشيطان دركة أخرى : إلى دعاء النّاس إلى عبادته ، واتخاذه عيداً ومنسكاً ، وأنّ ذلك أنفع لهم في دنياهم وآخرتهم .. )) <sup>(٢)</sup> .

وفيما سبق اتضح لنا حقيقة بدعة القبوريين ، وكيف تطورت حتى وصلت إلى الشرك الأكبر ، والذي يتمثل في عبادتها من دون الله ، وهذه البدعة الشركية منتشرة في أغلب دول العالم الإسلامي في العصر الحاضر من غير نكير في الغالب ، بل لقد أخذت الصبغة الرسمية في بعض الدّول الإسلامية - ولا حول ولا قوة إلا بالله - .

ومن المواقف المعاصرة في ذلك : أنه (( قد زعم الخليفة الحالي للسيد البدوي في مولد عام ١٩٩١م : ( أنّ السيد البدوي موجود معك أينما كنت ، ولو استعنت به في شدتك وقلت : يا بدوي مدد ، لأعانك وأغانك ) ! قال ذلك أمام الجموع

(١) - ينظر : " دعة على التوحيد - حقيقة القبورية وآثارها في واقع الأمة (ص/٩٨ - ٩٩) . كتاب المنسدى الإسلامي ، ط/١ عام ١٤٢٠هـ .

(٢) - " إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان " لابن قيم الجوزية (٢١٧/١) طبعة دار المعرفة - بيروت ، بدون ذكر رقم الطبعة وسنة الطبع .

المحتشدة بسرايق وزارة الأوقاف أمام العلماء والوزراء ، وقد تناقلته الإذاعات وشاشات التلفاز )) (١) .

وانظر إلى الشرك الأكبر يفوح من فم هذا القبوري المشرك ، وهو يصف الكيفية التي يجب أن يتكفّف بها الزائر لقبر السيّد عبدالقادر الجيلاني (٢) يقول :  
 (( أوّل ما يجب على الزائر أن يتوضأ وضوءاً سابغاً ، ثمّ يصلي ركعتين بخشوع واستحضار ، ثم يتوجّه إلى تلك ( الكعبة ) المشرفة ، وبعد السلام على صاحب الضريح المعظم ، يقول : يا صاحب الثقلين ، أغثني وأمدّني بقضاء حاجتي وتفريج كربتي . أغثني يامحيي الدّين عبدالقادر ، أغثني يا ولي عبدالقادر ، أغثني يا سلطان عبدالقادر ، أغثني يابادشاة عبدالقادر ، أغثني يا خوجة عبدالقادر . يا حضرة الغوث الصمداني ، يا سيدي عبدالقادر الجيلاني ، عبدك ومريدك مظلوم عاجز محتاج إليك في جميع الأمور في الدّين والدّنيا والآخرة )) (٣) .

يقول مصطفى لطفی المنفلوطي (٤) مُعلّقاً على موضوع القبور والأضرحة :  
 (( أيّ عين يجمل بها أن تستبقي في محاجرها قطرةً واحدةً من الدّمع ، فلا تريقها أمام هذا المنظر المؤثّر المحزن ، منظر أولئك المسلمين ، وهم رُكع سجّد على أعتاب قبر ربما كان بينهم من هو خيرٌ من ساكنه في حياته ، فأحرى أن يكون كذلك بعد مماته ! .

أي قلب يستطيع أن يستقرّ بين جنبي صاحبه ساعة واحدة ، فلا يطير جزءاً حينما يرى المسلمين أصحاب دين التّوحيد أكثر من المشركين إشراكاً بالله ؛ وأوسعهم دائرة في تعدّد الآلهة وكثرة المعبودات ! )) (٥) .

(١) - (دمعة على التوحيد) (ص/١٦٢) ، مرجع سابق .

(٢) - هو : عبدالقادر بن موسى بن عبدالله بن جنكي دوست الحسني ، محيي الدين الجيلاني ، أو الكيلاني ، أو الجيلي . إمام الحنابلة في عصره ، فقيه صالح دين خيّر كثير الذكر دائم الفكر ، تاب على يديه معظم أهل بغداد ، واسلم معظم اليهود والنصارى على يديه ، وثبتت له بالتواتر كرامات كثيرة ، ولد في جيلان وانتقل إلى بغداد فاتصل بشيوخ العلم والتصوف ، وتفقه ، وسمع الحديث وبرع في أساليب الوعظ ، وإليه نسبت الطريقة القادرية ، مات ببغداد سنة ٥٦١هـ . ينظر : "

(٣) - ينظر : " النظرات " للمنفلوطي (ص/٦٦ - ٦٧) .

(٤) - هو : مصطفى لطفی بن محمد لطفی بن محمد حسن لطفی المنفلوطي ، نابغة في الإنشاء والأدب ، له شعر جيد فيه رقة وعذوبة ، ولد في منفلوط بمصر ، وتعلّم في الأزهر ، وعند اتصال وثيق بالشيخ محمد عبده ، وسجن بسببه ستة أشهر ، ومن كتبه : " النظرات " ، " في سبيل التّاج " ، " العبرات " . توفي سنة ١٣٤٣هـ . ينظر : " الأعلام " (٧/٢٣٩) ، " معجم المؤلفين " (٣/٨٧٧) .

(٥) - " النظرات " (ص/٦٨) عالم الكتب للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان ، ط : ١ ، ١٤١٥هـ .

وعلى هذا يجب على العلماء المخلصين والدعاة الناصحين الاهتمام بتقرير عقيدة التوحيد ونشرها في تلك المجتمعات التي أولعت بتعظيم القبور والغلو في أصحابها ، ودعوة النّاس إلى الالتزام بالشرع والعمل بالسنة ؛ لأنّ إظهار السّنن والتمسك بها دعوة عملية لزوال البدع واندثارها ، ومع ذلك مناقشة القبوريين ومحاورتهم ، وضرب الأمثلة الحسية من واقعهم ، وهذا ما سأبينه في الفقرة التالية :

### ب - دعوة القبوريين بأهوار حسية من واقعهم

سبق أن عرفنا أنّ سبب اللّجوء إلى القبور هو تقديس أصحابها ، لأنّهم يرون فيهم الصّلاح والتقوى ، وأنّ لهم منزلة عالية عند الله ، وبالتالي فإنّ زيارتهم لهذه القبور تُذكرهم بأصحابها ، ويزعمون أنّ البركة تفيض على كل شيء حول القبر ، وقادهم إبليس حتى زين لهم عبادة هذه القبور من دون الله تعالى ، والدّعاة إلى الله تعالى يجب عليهم دعوة هؤلاء بالحكمة والموعظة الحسنة ، واستعمال جميع الأساليب المشروعة التي تُؤدي إلى إقناعهم ببطلان ما هم عليه من الشرك ، والانحراف عن جادة التوحيد ، ومن الأمور التي تُعين الدّاعية على إقناعهم الوسائل الحسية المتعلقة بواقعهم ، وبيئتهم التي يعيشون فيها ومع ذلك مناقشتهم مناقشة عقلية مشتملة على المقارنة بما هم عليه من الضلال ، وما كان عليه السّلف الصالح من التوحيد الخالص وسدّ الذرائع المؤدية إلى الشّرْك والكفر . ومن الأمثلة الحسية ما يلي :

\* **المثال الأول :** أن يقال لمن يسأل أصحاب القبور قضاء الحاجات وتفرّيج الكربات : أرأيت لو نظرت إلى شخص أمامك يسأل حجراً أصمّ ويتوسّل إليه أن يفرج كربته ويقضي دينه ويشفي ما نزل به من مرض . فماذا عساك أن تصف هذا الإنسان وتقول له ؟ . إنني أحسب أنّك تقول : يا هذا كيف تدعو وتسال حجراً لا يضر ولا ينفع ولا يسمع ولا يتكلّم ! إنه تعجبٌ منك في مكانه وكلام صحيح راشد حينئذ يقال له : إذا فما الفرق بين هذا الحجر الأصمّ وبين الميت الذي صار تراباً وهو لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ؟ وكيف ترضى لنفسك أن تسأل من هو عاجز عن نفع نفسه ؟ بل هو في حاجة إلى الدعاء له ، والصدقة عنه ، وغير ذلك من الأعمال الصّالحة التي تتفع الإنسان بعد موته .

ومثال ذلك : ما حكاه الله تعالى عن نبيه ابراهيم - عليه السلام - عندما دعا قومه منكراً عليهم عبادة الأصنام وسؤالها من دون الله ، حيث قال : ﴿ إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون \* قالوا نعبد أصناماً فنظّل لها عاكفين \* قال هل يسمعونكم إذ تدعون \* أو ينفعونكم أو يضرون \* قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون ﴾ (١) .

إذا فلم يبق إلا أن تترك هذه الأعمال الشركية ، وتتوجّه إلى الله تعالى إلى من يستجيب دعائك ويسمع كلامك ولا يخفى عليه شيء من أمرك ، ويرفع عنك الضرّ وييسر لك الخير ، يقول سبحانه : ﴿ ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴾ (٢) .

\* **المثال الثاني** : أن يقال للقُبوري : أرأيت لو وقف أحدٌ أمامك وشتّم

صاحب القبر الذي أنت تتوسل إليه ، وتدعوه لقضاء حاجتك ، ألسنت ستغضب وتنتقم له ؟ سيقول : بلى سأغضب لذلك .

فتقول له : سبحان الله كيف تنتقم له وأنت بفعلك هذا تُسيء إلى صاحب القبر

إساءة بالغة ، فقد جعلته ندّاً لله تسأله من دونه سبحانه قضاء الحاجات وتفريج الكربات ، وشفاء المرضى ، وغير ذلك فيما لا يقدر عليه إلا الله ، وسيتبرأ من فعلك هذا يوم القيامة ، كما تبرأ عيسى ابن مريم - عليها السلام - ممن جعله ندّاً لله تعالى يقول الله تعالى : ﴿ وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحقٍ إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب \* ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنتم عليهم شهيدياً ما دُمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد ﴾ (٣) .

\* **المثال الثالث** : أن يقال له : أليس قبر الرسول صلى الله عليه وسلم أفضل قبر على

وجه الأرض ؟

(١) - سورة الشعراء : الآيات (٧٠ - ٧٤) .

(٢) - سورة غافر : جزء من الآية (٦٠) .

(٣) - سورة المائدة : الأيتان (١١٦ ، ١١٧) .

سيقول : بلى . فيقال له : ألسنت تعلم أنه قد نهى عن اتخاذ عيداً ؟ . بقوله ﷺ : (( ... ولا تجعلوا قبوري عيداً ... ))<sup>(١)</sup> . فيقول : بلى . فيقال له : إن قبر غيره كأئناً من كان أولى بالنهي .

\* **المثال الرابع** : يقال له . أرأيت لو طلب منك العمل في أحد المصانع ، فعملت يوماً كاملاً ولكن بدون توجيه رب العمل إلى الطريقة التي تعمل بها ؟ . سيقول صاحب المصنع : لم أطلب منك أن تعمل هذا العمل بهذه الطريقة . ثم لقد عطلت علينا جزءاً من المصنع بسبب خطئك ، ولذا سأحرمك من الأجر ، إضافة إلى العقوبة التي تتأهلها من الجهات المختصة ، فهل ترضى أن تكون ذلك الأجير ؟ لا شك أنك ستقول : لا أرضى أن أكون هو .

فيقال له : لكن ما تفعله من التوسل والتعب والنصب عند القبر ، ليس لك منه أجر عند الله بل عليك الأوزار والآثام الكثيرة التي قد تحبط أعمالك وتجعلك خالداً مخلداً في النار ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴾<sup>(٢)</sup> .

(١) - أخرجه الإمام أبو داود في " سننه " كتاب المناسك ، باب زيارة القبور (٥٣٥/٢) ح (٢٠٤٢) ، وصححه الشيخ الألباني في " صحيح سنن أبي داود " (٥٧١/١) ح (٢٠٤٢) .  
(٢) - سورة البينة : الآية (٦) .



**المطلب الثاني : استفادة الداعية من المنهج الحسي في  
تصحيح بعض الانحرافات في مجال  
الأحكام .**

وفيه : تمهيد ، ومسلكان :

**المسلك الأول : استفادة الداعية من المنهج الحسّي في التحذير من  
التعامل بالرّبا .**

**المسلك الثاني : استفادة الداعية من المنهج الحسي في التحذير من  
الزّنا .**

### تمهيد

كان المفهوم الصحيح للعبادة<sup>(١)</sup> في حياة الصحابة - ﷺ - شاملاً لكل ما أمر الله تعالى به ، وشاملاً لكل ما نهى الله تعالى عنه ، فالصلاة عبادة ، والزكاة عبادة ، والحج عبادة والصيام عبادة ، والجهاد عبادة ، وبرّ الوالدين عبادة ، وصلة الرّحم عبادة ، والإحسان إلى الناس عبادة ، والتبسم في وجه الأخ عبادة ، والصبر على الطّاعات عبادة ، والصبر عن المحرمات عبادة ، والسعي في الأرض لطلب الرزق الحلال عبادة ، والصدق في الوعد عبادة ، والصدق في البيع والشراء عبادة وغير ذلك من كل ما يقوم به المسلم قاصداً به امتثال أمر الله ، أو اجتناب نهيه. هكذا كان يفهم الجيل الأول الذي تربى على القرآن ، أنّ حياته كلها عبادة ، فالإيمان الصادق عندهم هو ما صدقه العمل ، والله جل وعلا يبين في كتابه الكريم أنّه لم يخلق الجنّ والإنس إلا لعبادته وحده لا شريك له .

قال تعالى : ﴿ وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون ﴾<sup>(٢)</sup> .

وقال تعالى : ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله ربّ العالمين لا شريك له ... ﴾<sup>(٣)</sup> .

وبهذا يتحقق معنى العبادة ، ويصبح العمل كالشعائر ، والشعائر كعمارة الأرض ، وعمارة الأرض كالجهاد في سبيل الله ، وهكذا<sup>(٤)</sup> .

وعندما انحسر مفهوم العبادة بمعناها الشامل في الشعائر التعبدية عند الأجيال المتأخرة ، بفعل انتشار الفكر الإرجائي الذي يخرج الأعمال من مسمى الإيمان ، وحُصر مفهوم لا إله إلا الله (( في التّصديق للتّجاة في الآخرة ، والإقرار اللفظي للتّجاة في الدّنيا )) .

بدأ الانحراف ، وحدث الاختلال في التّصور والسلوك (( فأصبحت العبادة تبدأ - في حسّ النّاس - بالصّلاة ، ولا تبدأ بلا إله إلا الله ))<sup>(٥)</sup> ، وعلى ذلك فإنّه إذا مارس العبادة انقطع عن العمل ، وحين (( يعمل )) ينقطع عن العبادة ، وعلى هذا

(١) - ينظر : " مفاهيم ينبغي أن تُصحح " للأستاذ / محمد قطب (ص/١٣٣) وما بعدها .

(٢) - سورة الذاريات ، الآية : (٥٦) .

(٣) - سورة الأنعام : جزء من الآية (١٦٢) .

(٤) - ينظر : " في ظلال القرآن " للأستاذ / سيد قطب (٦/٣٣٨٧) .

(٥) - " مفاهيم ينبغي أن تُصحح " (ص/١٩٤) .

المفهوم فإنك تجد المسلم يُصلي في المسجد ، ثم يخرج للبيع والشراء ، فلا يرعوي عن الغش والتدليس (١) ، مع أن الرسول ﷺ قد نهى عن ذلك بقوله : (( من غشنا فليس منا )) (٢) .

ومن المؤلف أن نرى الرّجل يعتاد المساجد ، لكنك تفاجأ عندما تسأل عن سيرته فإذا فيها من الانحرافات الشيء الكثير ، بسبب ضعف الإيمان ، وبسبب هذا المفهوم القاصر ، عند كثير من المسلمين في فهم معنى لا إله إلا الله ، وفهم معنى العبادة بمعناها الشّامل ، وقعت انحرافات كثيرة ، في العقيدة ، وقد تحدّثت عن بعض منها فيما سبق ، وانحرافات في مجال الأحكام والمعاملات ، وهنا أبدأ الحديث عنها - إن شاء الله تعالى - وقد قصرت الحديث في هذا المقام على التحذير من جريمة الرّبا والزنا بالمنهج الحسني في العصر الحاضر ، لعظم خطرهما ، وكثرة انتشارهما :

(١) - ينظر : " المرجع السابق " (ص/٢١٩) .

(٢) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الإيمان ، باب ، قول النبي ﷺ : " من غشنا فليس منا " (٩٤/١) ح (١٠١) .

## المسلك الأول

### استفادة الداعية من المنهج الحسبي في التحذير من التعامل بالرّبا

الدّعاة إلى الله تعالى حريصون على تقويم وتصحيح ما انحرف من عبادات المسلمين ومعاملاتهم ، وهم مع ذلك الحرص ، يبذلون قصارى جهدهم في استخدام المناهج والأساليب والوسائل المؤثرة لتصحيح تلك الانحرافات ، ومن تلك الانحرافات التي يجب على الدّعاة إلى الله تعالى التحذير من أكل الربا ، وقيام الأنظمة الاقتصادية الرّبوية في بلاد المسلمين :

ولسعة معالجة هذا الانحراف ، فقد حصرت الحديث عنه في النقاط التالية :

#### أولاً : التحذير من الرّبا بالأمر الحسية في القرآن والسنة

من المعلوم أنّ الله تعالى لم يحرم أي شيء على عباده إلا وفيه ضرر عليهم في الدنيا والآخرة ، ومما حرّم عليهم الرّبا لما فيه من هدر للجهود ، واستهلاك الثروات ، وتجميعها في أيدي ثلة قليلة يملكون بها أعناق غيرهم ، يقول الله تعالى : ﴿ وأحلّ الله البيع وحرّم الرّبا ﴾ (١) ، وقد جاء الترهيب الفظيع ، والوعيد الشّديد لأكلة الرّبا في القرآن والسنة ، في صور حسية تتخلع القلوب لسماعها ورؤيتها ، يقول الأستاذ : سيد قطب - رحمه الله - (( ولم يبلغ من تفضيع أمر أراد الإسلام إبطاله من أمور الجاهلية ما بلغ من تفضيع الرّبا . ولا بلغ من التّهديد في اللّفظ والمعنى ما بلغ التّهديد في أمر الرّبا )) (٢) ، ومن ذلك :

قول الله تعالى : ﴿ الذين يأكلون الرّبا لا يقومون إلاّ كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المسّ ، ذلك بأنهم قالوا إنّما البيع مثل الرّبا وأحلّ الله البيع وحرّم الرّبا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلاّ الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ (٣) .

(١) - سورة البقرة : جزء من الآية (٢٧٥) .

(٢) - " في ظلال القرآن " (٣١٨/١) .

(٣) - سورة البقرة : الآية (٢٧٥) .

فإنه عزّ وجلّ شبّه حال المرابين وهم يُعذبون في الآخرة عند خروجهم من قبورهم للبعث بالممسوس الذي يلعب به الشيطان فلا يقرّ له قرار ، كلما أراد القيام ارتكس لذهاب عقله بسبب أكله للرّبّا في الدنيا عقوبة وخزياً وفضيحة له .  
يقول الإمام الطبري - رحمه الله - عند تفسيره لهذه الآية : (( الذين يربون لا يقومون في الآخرة من قبورهم إلا كما يقوم الذي يخنقه الشيطان فيصرعه من الجنون )) (١) .

ويعلّق الأستاذ الأديب / سيد قطب - رحمه الله - تعليقا راعيا على الآية فيقول : (( إنّها الحملة المفزعة ، والتصوير المرعب : لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس )) ، وما كان أيّ تهديد معنوي ليبلغ إلى الحس ما تبلغه هذه الصورة المُجسّمة الحية المتحركة .. صورة الممسوس المصروع .. وهي صورة معروضة معهودة للناس . فالنصّ يستحضرها لتؤدي دورها الإيجابي في إفزاع الحس ، لاستجاشة مشاعر المرابين ، وهزّها هزّة عنيفة تخرجهم من مألوف عادتهم في نظامهم الاقتصادي ، ومن حرصهم على ما يحقّقه لهم من الفائدة .. وهي وسيلة في التأثير التربوي ناجحة في مواضعها ، بينما هي في الوقت ذاته تعبّر عن حقيقة واقعية )) (٢) .

وجاء الترهيب من الرّبّا في السنة النبوية في صور حسية مختلفة ، منها ما ثبت في صحيح البخاري عن سمرة بن جندب - رضي الله عنه - قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : (( رأيت الليلة رجلين أتيا فأخرجاني إلى أرض مقدّسة ، فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم ، فيه رجل قائم ، وعلى وسط النهر رجل ، بين يديه حجارة ، فأقبل الرجل الذي في النهر ، فإذا أراد الرجل أن يخرج رمى الرجل بحجر في فيه ، فردّه حيث كان ، فجعل كلما جاء ليخرج رمى في فيه بحجر ، فيرجع كما كان ، فقلت : ما هذا ؟ . فقال : الذي رأيته في النهر أكل الرّبّا )) (٣) .

ففي هذا الحديث تصوير لإحدى العقوبات الأليمة التي تحلّ بأكل الرّبّا في الآخرة وهو يسبح في نهر من دم ، كلما أراد أن يخرج منه ، جاءه رجل آخر فيلقمه حجرا

(١) - " جامع البيان عن تأويل آي القرآن " (١٠١/٣) ، وينظر أيضا : " تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام

المنان " للشيخ السعدي (ص/٩٧) .

(٢) - " في ظلال القرآن " (٣٢٣/١ - ٣٢٤) .

(٣) - أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب البيوع ، باب : أكل الرّبّا وشاهده وكتابه (٢/٦٢٠) ح

(٢٠٨٥) .

فيعود إلى مكانه الأول في نهر الدّم ، وهكذا يكون العذاب من جنس العمل ؛ لأنّه كان يخوض في الدنيا في المال الحرام ، فهاهو يخوض في نهر من الدّم ، لأنه امتص في الدنيا عن طريق الربا عرق الناس وجهدهم ودماءهم وأموالهم ، يقول ابن أبي جمرة - رحمه الله : (( أنه لما كان الذنب الذي أوجب هذا هو أكل الربا والربا في هذه الدار لا يكتسب في الغالب إلا بالذهاب والرجوع فكان عذابه من ذلك الجنس وكونه دماً إنما كان ذلك كذلك لأنّ الدم ثخين ثقيل والخوض في الشيء الثخين الثقيل من أتعب الأشياء ثم زيد لذلك التألم بريحه ثم زيد لذلك رمي الحجر في فيه لأن به كان يأكل الربا فكان ذلك عذاباً على عذاب مضاعف ثم انظر إلى قدرة القادر كيف تزيده الآلام إذا أراد الخروج ثم إنه مع ذلك لا يقدر أن يقف في ذلك الموضع حيث هو لشدة ما هو فيه فيروم - أي يبحث عن راحة - فيزيده بلاءً على بلاءً )) (١) .

ويقول الدكتور : محمد أبو شهبة - رحمه الله - : (( ومن روعة التمثيل في الحديث ، أنّ المرابي ربما يتيقظ ضميره هنيهة فيهم بتركه ، والكف عن التعامل به ولكن نفسه الأمارة بالسوء لا تلبث أن تتازعه وتحمله على العود إلى التعامل بالربا الذي استمرأته فيعود إليه ، وهذا ما أفهمه من رغبة الخروج من نهر الدّم الذي يسبح فيه ، فيرميه الرّجل الذي على الشطّ بحجر في فيه فيعود إلى ما كان عليه )) (٢) .

ومن شناعة الرّبا وعظيم خطره ، أنّ أقلّ درجة فيه مثل أن ينكح الرّجل أمّه ، يدلّ لذلك ما صح عن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : (( الرّبا ثلاثة وسبعون باباً أيسرها مثل أن ينكح الرّجل أمّه ، وإنّ أربا الرّبا عرض الرّجل المسلم )) (٣) .

وفي هذا الحديث تصوير حسبي قد بلغ الذروة في التّنفير والتّحذير من الرّبا فإذا كان أيسره مثل أن ينكح الرّجل أمّه - عياداً بالله من ذلك - فما بالك بأعظمه . وإذا كان الزّنا حرام بكل صورته وأشكاله ، وعذابه في الآخرة شديد وأليم ، فما بالك بعذاب من يزني بأمّه ؟ إنّ المسلم العاقل ليعجب كل العجب من أناس يسمعون هذا الوعيد ثم يقدمون على التعامل بالربا .

(١) - " بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها " (١١٩/٢) .

(٢) - " حلول لمشكلة الربا " (ص / ٦٩) مكتبة السنة بالقاهرة ، ط/١ ، ١٤١٦هـ .

(٣) - أخرجه الإمام الحاكم في " المستدرک على الصحيحين " كتاب البيوع (٤٣/٢) ح (٢٢٥٩) ، وقال : " هذا حديث صحيح على شرط الشيخين " ووافقه الإمام الذهبي .

ومما جاء في السنة من الترهيب من الرّبا ، مارواه الإمام أحمد وغيره عن عبدالله بن حنظلة <sup>(١)</sup> ، غسل الملائكة - ﷺ - قال : قال رسول الله ﷺ : (( درهم ربا يأكله الرّجل وهو يعلم أشدّ من ست وثلاثين زنية )) <sup>(٢)</sup> .  
يقول الإمام الشوكاني - رحمه الله - تعليقا على الحديث : فهذا (( يدلُّ على أنّ معصية الرّبا أشدّ المعاصي ؛ لأنّ المعصية التي تعدل معصية الزنا - التي هي غاية الفظاعة والشناعة - بمقدار العدد المذكور ، بل أشدّ منها ، لاشك أنها تجاوزت الحدّ في القبح )) <sup>(٣)</sup> .

### ثانياً : التّحذير من الرّبا ببيان أضراره الحسية في العصر الحاضر

تقدّم الحديث عن التّحذير من الرّبا بأمثلة حسية من القرآن والسنة ، وبينت شناعة وفضاعة هذه المعصية ، وفي هذا المقام أضرب أمثلة حسية من واقع المخاطبين ، وذلك لإقناعهم بأضراره وخطورته ، وفضاعة العقوبة عليه في الآخرة ومن ذلك :

( أ ) - ما نشاهده في هذا العصر من إزدياد الفقر وقلّة البركة في الأموال ، وانتشار البطالة والإفلاس ، والكوارث التي تذهب برؤوس الأموال ، وبالعوائد الربوية ، وحصول النكبات الاقتصادية ، وتردي الأسعار ، والانتكاسات المالية ، التي نسمع عنها كل يوم ، وهذا الضرر الذي يشاهده الناس ويلمسونه في حياتهم هو من العقوبات العاجلة لأكلة الرّبا لأنّ الله قد توعدهم بالمحق ونزع البركة وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿ يحقّ الله الرّبا ويُرِي الصّدقات ﴾ <sup>(٤)</sup> ، والمحق هو : النقصان وذهاب البركة <sup>(٥)</sup> .

(١) - هو : عبدالله بن حنظلة الغسيل بن أبي عامر الرّاهب عبد عمرو بن صيفي بن النعمان ، أبو عبدالرحمن الأنصاري الأوسي ، يُعدُّ من صغار الصحابة ، ولد بعد أحد بسبعة أشهر سنة ٤هـ ، وقتل يوم الحوّة ، وكان أمير الأنصار يومئذ ، وذلك سنة ٦٣هـ في ذي الحجة . ينظر : " سير أعلام النبلاء " (٣/٣٢١ - ٣٢٥) ، " الإصابة " (٤/٥٧ - ٥٩) .

(٢) - أخرجه الإمام أحمد في " المسند " (٥/٢٨٥) ح (٢١٩٥١) ، وصححه الشيخ الألباني في " صحيح الجامع الصغير " (١/٦٣٦) ح (٣٣٧٥) ، وفي " سلسلة الأحاديث الصحيحة " (٣/٢٩) ح (١٠٣٣) .

(٣) - " نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار " (٥/٢٩٧) ، مكتبة دار التراث - القاهرة ، بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها .

(٤) - سورة البقرة ، جزء من الآية : (٢٧٦) .

(٥) - ينظر : " المفردات في غريب القرآن " للراغب الأصفهاني (ص/٤٦٤) مادة ( محق ) .

(( وصدق وعيد الله ووعده . فها نحن أولاء نرى أنّه ما من مجتمع يتعامل بالرّبّا ثمّ يبقى فيه بركة أو رخاء أو سعادة أو طمأنينة ، إنّ الله يحق الربا فلا يفيض على المجتمع الذي يوجد فيه هذا الدّنس إلا القحط والشقاء والفقر )) (١) .

يدل لذلك ما جاء عن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وآله :

قال : (( ما أحد أكثر من الرّبّا إلا كان عاقبة أمره إلى قلة )) (٢) .

والربا سبب رئيس من أسباب انتشار البطالة ، والعجز عن العمل المثمر ، وبيان ذلك : أنّ أصحاب الأموال يُفضّلون إقراض أموالهم بالرّبّا لاستثمارها من قبل المدينين في مشروعات محدودة ، وهذا بدوره يقلل من فرص العمل فتنتشر البطالة في المجتمعات التي يسود فيها الربا ، سواء كانت مجتمعات مسلمة أو كافرة ، يؤكد ذلك ما نراه ونشاهده في الدول الغربية رغم تقدّمها فنياً ، وتطورها في الصّناعة ، ففي فرنسا بلغ عدد العاطلين عام ١٩٨٢م (٢,٠٤٩,٠٠٠) أي حوالي (٩,٥%) من مجموع العاملين .

وفي بلجيكا كانت نسبة البطالة عام ١٩٨٢م (١٢,٨%) .

وفي بريطانيا : بلغ عدد العاطلين (٣,٣٠٠,٠٠٠ مليون شخص) .

وقد بيّن أحد علماء الغرب الارتباط بين البطالة والتعامل بالرّبّا ، حيث يقول : (( من مصلحتنا أن نخفض سعر الرّبّا إلى درجة نتمكن من تشغيل الناس جميعاً )) (٣) .

وأثر هذه المعصية أصبحنا نراه أيضاً في مجتمعات الدّول الإسلامية ، وذلك عقوبة من الله تعالى عندما خالفت أمر الله وأعلنت الحرب على الله بالتعامل بالرّبّا ، بل لقد أصبح الاقتصاد في بعض تلك الدّول قائماً بكامله على الرّبّا . (ب) - ومن الأضرار الحسية للربا شقاء أولئك المخدوعين الذين يقعون في حبال المرابين . وبيان ذلك : أنّه إذا وقع أحد فريسة للمرابين فلا يكاد يخرج من شباكهم ، ولذلك يدفع المقترض أحياناً أضعاف دينه ، بسبب التأجيل

(١) - " في ظلال القرآن " (٣٢٨/١) .

(٢) - أخرجه الإمام ابن ماجة في " سننه " كتاب التجارات ، باب التعليل في الربا (٨٢/٣) ح (٢٢٧٩) ، وصححه الشيخ الألباني في " صحيح سنن ابن ماجة " (٢٤١/٢) ح (١٨٦٢) .

(٣) - ينظر : التّدابير الواقية من الرّبّا في الإسلام " للدكتور : فضل إلهي (ص/٨٦ - ٨٧) ، مكتبة المؤيد بالمملكة العربية السعودية ، الرياض ، ط/٢ ، ١٤١٢هـ .



والزّيادة ، لعدم قدرة المدين على السّداد ، وفي مثل هذا يقول الإمام ابن القيم -رحمه الله- عند بيانه الحكمة من تحريم الرّبّا : (( فربما النسبيّة ، وهو الذي كانوا يفعلونه في الجاهلية ، مثل أن يؤخر دينه ويزيده في المال ، وكلّما أخّر زاد في المال ، حتى تصير المائة عنده آلافاً مؤثّفة ، وفي الغالب لا يفعل ذلك إلاّ مُعَدَم محتاج ، فإذا رأى أنّ المستحق يؤخّر مطالبته ، ويصبر بزيادة يبذلها له ، تكلف بذلك ليفتدي من أسر المطالبة بالحبس ، ويدافع من وقت إلى وقت ، فيشتدّ ضرره ، وتَعْظُم مصيبتّه ، ويعلوه الدّين حتى يستغرق جميع موجوده ، فيربو المال على المحتاج من غير نفع يحصل له ، ويزيد مال المرابي من غير نفع يحصل منه لأخيه ، فيأكل مال أخيه بالباطل ، ويحصل أخوه على غاية الضّرر ، فمن رحمة أرحم الراحمين ، وحكمته وإحسانه إلى خلقه أن حرّم الرّبّا )) (١) .

ويضيف الشيخ ولي الله الدهلوي (٢) إلى ما سبق ، فيقول : (( إنّ عامّة المقترضين بهذا النوع من المفاليس المضطرون ، وكثيراً ما لا يجدون الوفاء عند الأجل ، فيصير أضعافاً مضاعفة لا يمكن التخلّص منه أبداً )) (٣) . وذلك الشقّاء الناتج عن الرّبّا مشاهد في هذا العصر في حياة الأفراد ، والدّول التي وقعت فريسة لصندوق النّقْد الدولي ، وغيره من المصارف التي يمتلكها أعداء الإسلام ، ويستخدمونها وسيلة لاستعمار الدّول الفقيرة وإذلالها عن طريق الرّبّا .

(ج) - ومن أضراره أيضاً أنّه جعل أموال المسلمين في أيدي أعدائهم وخصومهم مما يمكنهم من الاستفادة منها ، في إقامة المشروعات الضخّمة ، ورفع اقتصادهم ، وإضعاف اقتصاد المسلمين .

وهذا ملموس ومشاهد في عصرنا ، فالمسلمون أفراداً ودولاً يضعون أموالهم في البنوك والمصارف الأجنبية مقابل أرباح ربوية لتستثمرها في

(١) - "أعلام الموقعين عن رب العالمين" (١٥٤/٢) مرجع سابق .

(٢) - هو : أحمد بن عبدالرحيم الفاروقي ، المعروف بشاه ولي الله الدهلوي ، فقيه حنفي من المحدثين ولد علم ١١١٠هـ ، في الهند ، زار الحجاز ، وكان له أثر كبير في إحياء السنة وعلومها في الهند ، وأشهر مؤلفاته "حجّة الله البالغة" . ينظر : "الأعلام" (١٤٩/١) ، "معجم المؤلفين" (١٦٩/١) .

(٣) - "حجة الله البالغة" (١٠٦/٢) للإمام الشيخ أحمد بن عبدالرحمن الدهلوي ، شرح وتعليق : الشيخ شريف سكر ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، ط : ١ ، ١٤١٠هـ .

إنشاء المصانع العملاقة التي تكون سبباً في رفع اقتصادهم ، وتأمين فرص العمل عندهم ، وجعل المسلمين عالة عليهم محتاجين دائماً لجلب السلع والاعتماد عليهم في توفير وتأمين حاجاتهم بدلاً من أن يضعوها في بلادهم ، في مصانع خاصة بهم ، لو أنّهم وظفوا أموالهم بطريقة نافعة ومفيدة ، بدلاً من وضعها في بنوك ومصارف أعدائهم .

(د) - الرّبّاء من أسباب عدم قبول الدّعاء ؛ لأنّه كسب حرام ، ومعلوم أنّ الله طيب لا يقبل إلا طيباً ، يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (١) ، واكل الحرام المسترسل في الشبهات ليس بمتق على الإطلاق (٢) .

وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : (( أَيُّهَا النَّاسُ ! إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا ... ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ . أَشْعَثُ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَارِبُّ ! يَارِبُّ ! وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ ، وَغِذْيُهُ بِالْحَرَامِ ، فَأَنْتَى يُسْتَجَابُ لَذَلِكَ ؟ )) (٣) .

ولمّا شرب أبو بكر - رضي الله عنه - جرعة لبن من شبهة استقاءها ، فأجهدته ذلك حتى تقيأها . فقيل له : أكل ذلك في شبهة؟! فقال : والله ! لو لم تخرج إلا بنفسني لأخرجتها ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : (( كُلُّ لَحْمٍ نَبَتَ مِنْ سَحْتٍ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ )) (٤) .

ويتبين مما سبق أنّ الرّبّاء سبب رئيس في ردّ الدّعاء وعدم قبوله ، وهذا ما نلاحظه ونشاهده ، عندما يُصاب المسلمون بالقحط والجذب ، فيخرجون لأداء صلاة الاستسقاء ، ويدعون الله تعالى ، فلا يستجاب لهم ، فيعودون خائبين صفر اليدين ، وما ذاك إلا بسبب أكل المال الحرام ، وعدم صدقهم مع الله ، وعدم إقلاعهم عن المعاصي ، وعندما كان اقتصاد المسلمين قائماً على الكسب الحلال كانت دعوتهم

(١) - سورة المائدة : جزء من الآية (٢٧) .

(٢) - ينظر : " المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم " (٤٩٧/٤) .

(٣) - كتاب الزكاة ، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها (٥٨٢/٢) ح (١٠١٥) .

(٤) - أخرجه الإمام أبو نعيم الأصفهاني في " حلية الأولياء " (٦٥/١) ، وأورده الخطيب التبريزي في " مشكاة المصابيح " (٨٤٥/٢) ح (٢٧٧٢) من حديث جابر بن عبدالله ، وعزاه إلى أحمد والدارمي ، والبيهقي في " شعب الإيمان " ، وصححه الشيخ الألباني في " صحيح الجامع الصغير " (٨٣١/٢) ، ح (٤٥١٩) .

مستجابة ، فكانوا في بعض الأحيان لا يبرحون مُصلاهم حتى يُغيثهم الله تعالى ،  
وينزل المطر بقدره الله تعالى وفضله .

وبالجملة فإنّ أضرار الرّبّا الحسية وغيرها ، أكثر من أن تحصر ، وما ذكر فيما  
سبق ، هو إشارات وأمثلة يستعين بها الدّاعية إلى الله تعالى لتحذير المسلمين من هذه  
المعصية الخطيرة على الأفراد والجماعات ، وإقناعهم عن طريق ضرب الأمثلة  
الحسية من واقعهم ، حتى يبتعدوا عن كل طريق تؤدّي إلى الرّبّا ، وأيضاً تحذير من  
وقع في حباله حتى يتوب إلى الله ، ويبحث عن الكسب الحلال .

## المسلك الثاني

### استفادة الدّاعية من المنهج الحسّي في التّحذير من الزّنا

الزّنا جريمة منكّرة ، وفاحشة قبيحة ، نهى الله تعالى عن قربها ، وتوعّد مرتكبها بالعاقبة السيئة ، والعذاب الأليم في الدنيا والآخرة ، وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿ ولا تقربوا الزّنا إنّه كان فاحشة وساء سبيلاً ﴾ (١) أي : إنّ الزّنا قبيح في العقل قبل أن يأتي النّهي عنه في الشرع (٢) .

ويُعلّق الشيخ عبدالرحمن السعدي - رحمه الله - على هذه الآية فيقول : « ووصف الله الزّنا وقبحه بأنّه ( كان فاحشة ) أي : إنّما يُستفحشُ في الشّرْع والعقول ، والفطر ، لتضمنه التّجري على الحرمة في حق الله ، وحق المرأة وحق أهلها ، أو زوجها ، وإفساد الفراش ، واختلاط الأنساب ، وغير ذلك من المفساد » (٣) .

ومما يدلّ على ذلك من السّنّة ما ثبت عن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - أنّه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يحلّ دم امرئ مسلم إلّا بإحدى ثلاث : رجل زنى وهو محصن فرجم ، أو رجل قتل نفساً بغير نفس ، أو رجل ارتدّ بعد إسلامه » فوالله ما زنيت في جاهلية ولا في إسلام ، ولا قتلت نفساً مسلمة ، ولا ارتددت منذ أسلمت (٤) .

وعند النّظر في تحريم بعض المنكرات في أول الإسلام نجد التدرّج في التحريم أمّا الزنا فقد حرّمه الله تعالى من أول الأمر ، مما يدلّ على فظاعته وشناعته

(١) - سورة الإسراء : الآية (٣٢) .  
(٢) - ينظر : " أحكام القرآن " لأبي بكر أحمد بن علي الجصاص (٢٠٠/٣) دار الكتاب العربي ، بيروت ، مصورة عن طبعة مطبعة الأوقاف الإسلامية استنبول ، ١٣٢٥هـ ، " أحكام القرآن " للإمام الفقيه عماد الدين محمد الطبري المعروف بالكيا الهراسي ( ٢٥٨/ ) دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : ٢ ، ١٤٠٥هـ .

(٣) - " تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان " ( ص /٤٠٩ ) .  
(٤) - أخرجه الإمام النسائي في " سننه " كتاب التحريم ، باب ذكر ما يحل به دم المسلم (١٠٦/٧) ح (٤٠٣١) والإمام ابن ماجة في " سننه " كتاب الحدود ، باب : لا يحل دم امرئ مسلم إلا في ثلاث . (٢٢٢/٣) ح (٢٥٣٣) واللفظ له ، وصححه الشيخ الألباني في " صحيح سنن النسائي " (٨٢/٣) ح (٤٠٣١) .

وعظم جرمه في نظر الإسلام ، يقول الله تعالى : ﴿ واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم ، فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهنّ سيلاً ﴾ (١) .

والزّنا من أعظم الذّنوب ، وأكبر الكبائر ، وقد جاء في القرآن الكريم مقترناً بالشّرْك بالله تعالى ، وقتل النفس التي حرّم الله إلاّ بالحق ، يقول الله تعالى : ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النّفْس التي حرّم الله إلاّ بالحق ولا يزنون ﴾ (٢) . وهذا دليل على أنه ليس بعد الكفر أعظم من قتل النفس ثم الزنا (٣) .

ولذلك كانت عقوبة من قذف غيره بالزّنا شديدة ، وقد جاءت في قوله تعالى : ﴿ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء ، فاجلدوهم ثمانين جلدة ، ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون ﴾ (٤) .

يقول الأستاذ سيد قطب - رحمه الله - : (( شدّد القرآن الكريم في عقوبة القذف فجعلها قريبة من عقوبة الزّنا .. ثمانين جلدة .. مع إسقاط الشهادة ، والوصم بالفسق .. والعقوبة الأولى جسدية ، والثانية أدبية في وسط الجماعة ؛ ويكفي أن يهدر قول القاذف فلا يُؤخذ له بشهادة ، وأن يسقط اعتباره بين الناس ويمشي متهماً لا يوثق له بكلام ! ، والثالثة دينية فهو منحرف عن الإيمان خارج عن طريقه المستقيم )) (٥) .  
ومجال استفادة الدّاعية من المنهج الحسّي في التّحذير من جريمة الزّنا واسع ، لكنني سأقتصر على النقاط التالية :

### أولاً : الترهيب من الزّنا ببيان عقوبته الأخروية

من الأمور الحسّية التي يستفيد منها الدّعاة والمصلحون والمربّون في مجال التربية والتعليم ، للتّحذير من هذه الجريمة المنكرة ، ما جاء في السّنّة النبوية من بيان عقوبة الزّناة في الآخرة ، وما فيها من إثارة حسية ، ، وتصوير حسّي مخيف

(١) - سورة النساء ، الآية : (١٥) .

(٢) - سورة الفرقان ، الآية : (٦٨) .

(٣) - ينظر : " الجامع لأحكام القرآن " للقرطبي (٥٢/١٣) .

(٤) - سورة النّور ، الآية : (٤) .

(٥) - " في ظلال القرآن " (٢٤٩١/٤) .

لتلك العقوبة ، فعن سمرة بن جندب - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وآله قال : (( رأيت اللّيلة رجلين أتياي ... قالا : انطلق ... فاطلقتنا إلى ثقب <sup>(١)</sup> مثل التثور أعلاه ضيق وأسفله واسع يتوقّد تحته نار ، فإذا اقترب ارتفعوا حتى كاد أن يخرجوا ، فإذا خمدت رجعوا فيها ، وفيها رجال ونساء عراة - فقلت من هذا ؟ ... قالا ... والذي رأيت في الثقب فهم الزناة )) <sup>(٢)</sup> ، وفي رواية أخرى : (( قالا لي ... وأما الرجال والنساء العراة الذين في مثل بناء التثور فهم الزناة والزواني )) <sup>(٣)</sup> .

ففي هذا الحديث يصف الرسول صلى الله عليه وآله ما رآه بعينه في رؤياه - ورؤيا الأنبياء وحيّ - الكيفية التي يُعذب بها الزناة ، ولكي يفهم المخاطبون وتتضح لهم الصورة استخدم التمثيل الحسّي ، فوصف ذلك الثقب بأنه مثل التثور ، الذي يكون أعلاه ضيقاً وأسفله واسعاً ، والنار تشتعل وتتأجج في أسفله ، وهؤلاء الزناة من الرجال والنساء عراة داخل التثور يتضاغون ويصيحون من شدة حرّها ، وقد وصف الرسول صلى الله عليه وآله حالهم في ذلك التثور ، وأنه يغلي بهم كغليان القدر فقال : (( فإذا اقترب ارتفعوا حتى كاد أن يخرجوا ، فإذا خمدت رجعوا فيها .. )) .

يقول ابن أبي جمرة - رحمه الله - : (( وهذا كناية عن عظيم تأججها .. وهكذا تفعل القدر هنا - أي في الدنيا - إذا كانت على النار واشتدت النار تحتها غلت فارتفع ما فيها إلى أعلاها حتى أنه إن غفل عنها رمت بعضه خارج القدر ، فدلّ بهذه على عظم حرّها ، - ثم قال - : والحكمة في كونه مثل التثور أعلاه ضيق لأنه أبلغ في حرارة النار لأنها تنعكس حرارتها إلى داخل )) <sup>(٤)</sup> .

والزناة والزواني أبشع النّاس منظراً يوم القيامة ، ويخرج منهم روائح منتنة كريهة ، يدلّ لذلك ما رواه أبو أمامة الباهلي - رضي الله عنه - قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) - " الثقب " هو الخرق النافذ ، وروي بالنون ( الثقب ) وهما بمعنى واحد ، ينظر : " مشارق الأنوار " (١٧٣/١) ، " القاموس المحيط " (ص/٨١) مادة (ثقب) ، " فتح الباري شرح صحيح البخاري " (٤٦٥/١٢) .

(٢) - أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الجنائز ، باب ما قيل في أولاد المشركين (٤١٠/١) ح (١٣٨٦) .

(٣) - أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب التعبير ، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح (٢٢٠٥/٤) ح (٢٢٠٧) (٧٠٤٧) .

(٤) - " بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها " (١١٨/٢) ، مرجع سابق .

يقول : (( بينما أنا نائم إذ أتاني رجلان فأخذا بضبعي<sup>(١)</sup> ... ثم أنطلق بي فإذا بقوم أشدّ شيء انتفاخاً ، وأنته ربحاً ، وأسوئه منظراً فقلتُ : من هؤلاء ؟ قيل : الزّانون والزّواني ... ))<sup>(٢)</sup> .

والدّاعية عندما يستعمل هذا التّرهب الحسّي في الأحاديث السّابقة وغيرها ، يكون لدعوته عظيم الأثر في نفوس المخاطبين ، ومن كتب الله له التوفيق والهداية ، فإنّه يكون أشدّ الناس بعداً عن الزّنا ودواعيه .

والمدعو عندما يتصور ذلك العذاب الجسدي المتنوع للزّناة في الآخرة ، فإنّه يبدأ يقارن بين تلك اللذّة القصيرة ، وبين عذاب الآخرة ، فيهديه عقله - إذا أراد الله له الهداية - إلى تغليب الخوف من عذاب الله على الشّهوة الزائلة .

وقد أشار ابن أبي جمرة - رحمه الله - إلى هذه المقارنة بقوله : (( إنّ تحرك من النفس أو من الشيطان باعثاً لمثل هذا ، يُذكرها هذه الحالة المهلكة فترجع عن غيرها ))<sup>(٣)</sup> .

### ثانياً : التحذير من الزّنا ببيان أضراره الحسية في العصر الحاضر

سبق الحديث عن استفادة الدّاعية من الأحاديث النبوية المشتملة على منهج حسّي والتي تبين عقوبة الزّنا في الآخرة ، ويبقى أن أوضح هنا بعض أضرار الزّنا الحسية في الدنيا على الأفراد والجماعات ، وكيفية استفادة الدّاعية من عرض هذه الأضرار على المدعوين لتحذيرهم من هذه الجريمة المنكرة ، وإليك بيان بعض هذه الأضرار :

#### \* الأمراض المستعصية من جرّاء الزّنا :

سبقت الإشارة في التّرهب من الزّنا ، إلى أنّ الله تعالى لم يحرم شيئاً على عباده ، إلا وفيه ضرر عليهم في الدّنيا والآخرة .

(١) - " فأخذا بضبعي " : الضبع بسكون الباء : وسط العضد ، وقيل : هو ما تحت الإبط . " النهاية " (٧٣/٣) مادة (ضبع) .

(٢) - أخرجه الإمام الحاكم في المستدرک على الصحيحين " ، كتاب الطلاق (٢/٢٢٨) ح (٢٨٣٧) ، وقال : " هذا حديث صحيح على شرط مسلم " ووافقه الذهبي ، وأخرجه الإمام ابن حبان في " صحيحه " كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة ، باب صفة النار وأهلها (١٦/٥٣٦) ح (٧٤٩١) .

(٣) - " بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها " (١١٨/٢) مرجع سابق .

وأى أمة انتشرت فيها الزّنا وظهر من غير نكير فإنّها مُعرّضة للهلاك والعذاب والأمراض والأوجاع التي لم تعرف من قبل (١) ، أخبر بذلك الرسول الكريم ﷺ قبل أكثر من أربعمئة وألف عام ، فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال : (( إذا ظهر الزّنا والرّبا في قرية فقد أحلّوا بأنفسهم عذاب الله )) (٢) .

وعن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال : (( يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهنّ وأعوذ بالله أن تدركوهنّ : لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطّاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا ... )) (٣) .

وصدق - عليه الصلاة والسلام - ووقع ما أخبر به وهذا من معجزاته ﷺ فيها هي الأمراض والأوجاع المهلكة التي لا يوجد لها علاج ، ومن هذه الأمراض :

#### \* مرض الإيدز (( مرض فقد المناعة المكتسبة )) :

وهذا المرض هو طاعون العصر ، و (( الرّعب الحالي الذي يهدّد إنسان الغرب ، والحضارة الغربية بالفناء ، ويصيبهم بالهلع والجزع ، وهو مرض (( الفشل المناعي )) أي فشل جهاز المناعة عند الإنسان ، وهو أخطر من كل أنواع الفشل التي عرفها تاريخ الطب والمرض حتى الآن ، .. ومريض (( الإيدز )) الذي يصاب بالفشل المناعي يتحول بعد إصابته إلى مجرد (( هباءة )) لا يكاد يحتمل أو يصمد أمام أضعف الأمراض . ويقع صريع الموت أمام نزلة برد ، ويقضي عليه بسهولة أقلّ الميكروبات خطراً ، وأضعف الفيروسات شأناً )) (٤) .

- (١) - ينظر : " التدابير الواقية من الزنا في الفقه الإسلامي " تأليف الدكتور : فضل إلهي (ص/٥١ - ٥٢) إدارة ترجمان الإسلام - باكستان ، ط : ٣ ، ١٤٠٨هـ .
- (٢) - أخرجه الإمام الحاكم في " المستدرک " كتاب البيوع (٤٣/٢) ح (٢٢٦١) وقال : " هذا حديث صحيح الإسناد " ، ووافقه الإمام الذهبي .
- (٣) - أخرجه الإمام ابن ماجة في " سننه " كتاب الفتن ، باب : العقوبات ، (٤/٤٠٨) ح (٤٠١٩) ، وحسنه الشيخ الألباني في " صحيح سنن ابن ماجة " (٣/٣١٦) ح (٣٢٦٢) ، وفي " سلسلة الأحاديث الصحيحة " (١/١٠٦) ح .
- (٤) - " لماذا حرم الله هذه الأشياء ؟ لحم الخنزير ، الميتة ، الدم ، الزنا ، اللواط ، الشذوذ الجنسي ، الخمر . نظرة طبية في المحرمات القرآنية " د . محمد كمال عبدالعزيز (ص/٣١) طبعة مكتبة القرآن - القاهرة بدون ذكر الطبعة ولا تاريخ الطبع .



وداء فقد المناعة ، عامله مخلوق ضعيف جداً ، من أضعف مخلوقات الله تعالى ، وأصغرها ﴿ وما يعلم جنود ربك إلا هو ﴾ (١) . حُمة ( فيروس ) صغير جداً .. ولم تُدرس جيداً إلا بعد اختراع المجهر الإلكتروني الذي يُكَبِّر الأشياء مئات آلاف المرات ، .. وهذه الحُمة لا تُسْتَطِيع التكاثر والعيش بنفسها ؛ لأنها خالية من النّوّة ، لذلك تتطفّل على الخلايا ذات النّوّة لكي تستطيع أن تعيش وتتكاثر ، تلتصق أولاً بجدار الخلية ذات النّوّة ، ثم تخترق الجدار وتدخل إلى داخل الخلية حتى تصل إلى النّوّة ، فتمتص منها الحمض النّووي (DNA) وتستفيد منه في تكاثرها ، فتخربُ نواهُ الخلية وتتبعها الخلية نفسها إذ تموت وتتدثرُ ، وبعد موتها تخرج منها آلاف الحُمات ( الفيروسات ) ، تدخل إلى الخلية حُمة واحدة وتخرج منها آلاف الحُمات ، تبحث كل واحدة منها عن خلية جديدة لتُدَمِّرَها ... وبعد دخول الحُمة ( الفيروس ) ( HIV ) إلى جسم الإنسان وتدميرها للخلايا اللّنفائوية T العمود الفقري لجهاز المناعة فيه ، تنتشر في جميع سوائل الجسم ، كالدمّ والمنى واللّعاب والدُموع والحليب والمفرزات المهبلية وغيرها .

ويمرّ المرض بخمس مراحل حتى يصل إلى المرحلة السّادسة ، مرحلة الإيدز : التي عندها تنهار المقاومة ، ويتحطّم جهاز المناعة ، بتحطيم الخلايا اللّنفائوية ، ويسيطر الفيروس (HIV) على الجسم كله ، ويصبح الجسم عندئذٍ بلا حول ولا قوة . ويصاب الجسم عندئذٍ بشتى الأمراض في جميع أنحاء الجسم ، هذا مع الهُزال الشّدِيد والإسهال المستمر ، والحُمى ، وعندئذٍ تصبح النّهاية محتومة ، وأيام المريض معدودة ، وهي بضعة أشهر على الأكثر (٢) .

ومرض (( الإيدز )) مرض مُعدٍ ، ينتقل من شخص إلى آخر ، بطرق متعدّدة

منها :

- ١ - الاتصال الجنسي ؛ لأنّ الفيروس ينتقل أساساً عبر الإفرازات المنوية .
- ٢ - التلقيح الصّناعي ؛ وذلك أنّ المنى إذا كان ملوثاً بالفيروسات المسببة للإيدز ، فإنه ينتقل إلى المرأة التي تتلقى هذا المنى المصاب .
- ٣ - الحقن الوريدية الملوثة .

(١) - سورة المدثر : جزء من الآية (٣١) .

(٢) - ينظر : " الوقاية خير من العلاج " تأليف الدكتور عبدالرزاق الكيلاني (ص/١٤٩ - ١٥٣) طبعة دار القلم - دمشق ، ط/١ ، ١٤١٦هـ .

- ٤ - نقل الدّم أو محتويات الدّم من شخص مصاب إلى آخر مُعافى .
- ٥ - إفرازات اللّعاب والدّموع .
- ٦ - احتمال وقوع الإصابة عبر الرّذاذ والكّحة .
- ٧ - احتمال وقوع الإصابة عبر البول والبراز (١) .

### \* أرقام وإحصائيات حول انتشار مرض الإيدز ، ومدى خطورته :

لقد أصبح هذا المرض الخطير يمثل الرّعب الجديد الّذي ساد حضارة القرن العشرين ، وأصبح أيضاً الشّغل الشّاعل لأجهزة الإعلام في الولايات المتّحدة الأمريكية ، ثمّ في أوربا ، ومنها إلى مختلف أنحاء العالم .

يقول الدكتور : محمد علي البار ، وهو يصف سرعة انتشاره ، ومتى بدأ ؟ : (( لقد اتصف هذا المرض منذ ظهوره بالانتشار السّريع .. والإصابات والوفيات تتضاعف كل ستّة أشهر تقريباً .. وعندما ظهر هذا المرض لأول مرّة علم ١٩٧٨م في بليجكا كان عدد الحالات لا يجاوز أصابع اليد ( سبع حالات ) ولم يتمّ تشخيصها كمرض الإيدز إلا بعد مضي أكثر من عامين ... )) (٢) .

وأخذ المرض في الانتشار وازدياد العدد بين الزّناة والزّواني ، والذين يمارسون اللواط ، يوماً بعد يوم ، وبصورة سريعة ، فقد ذكرت إحصائيات (( هيئة الصّحة العالمية لعام ١٩٩٢م .. إنّ المصابين قد بلغوا ( ٧ ملايين ) حالة في دول إفريقيا ، وأكثر من ( مليون ) مصاب في أمريكا الشمالية والجنوبية ، و ( مليون ) حالة في جنوب شرق آسيا .. ( نصف مليون ) في أوربا ، والاتحاد السوفيتي قبل تصدّعه ، أي أنّ المصابين في جميع أنحاء العالم وصلوا إلى ما يقارب ( ١٣ مليون ) مصاب )) (٣) .

وفي ١٩٩٢/٣/٣٠م : صرّح الدّكتور ( لويس سُولوفان ) وزير الصّحة والخدمات الإنسانيّة الأمريكي أنّ الإيدز ينتشر في جميع القطاعات والأنحاء ، ويوجد شخصٌ حامل للحمة ( الفيروس ) بين كل ( ٢٥٠ أمريكي ) ، وهي بين الرّجال

(١) - ينظر : " الأمراض الجنسيّة أسبابها وعلاجها " للدكتور . محمد علي البار (ص/١٩٦ - ١٩٨) دار المنارة للنشر والتوزيع ، جدة - السعودية ، ط : ٤ ، ١٤٠٧هـ .

(٢) - " الأمراض الجنسيّة أسبابها وعلاجها " (ص/١٣٤) مرجع سابق .

(٣) - " الخارجون عن العفة " خالد بن ناصر العصيمي (٥٥٣) دار طويق للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط : ١ ، ١٤١٥هـ .

( واحد بين كل ١٠٠ رجل ) ، وبين النساء ( واحدة بين ٨٠٠ امرأة ) ، ويموت كل سنة ( ٤٠ ألف ) أمريكي بالإيدز ، بينما تحدث كل سنة ( ٤٠ ألف ) إصابة جديدة بحمة الإيدز .

وفي ١٦/١٢/١٩٩٢م قُدّم تقرير إلى مجلس الشيوخ الأمريكي يقول : إن عدد إصابات الإيدز تَقَدَّر بـ ( ٢٥٠ ألفاً ) ، وتوفي ( ١٦٠ ألفاً ) ، أمّا حاملوا الحمة ( الفيروس ) فعددهم ( مليون شخص ) (١) .

وفي (( أوروبا )) أعلن المركز الأوروبي لمراقبة الإيدز أنّ عدد الإصابات حتى نهاية سنة ١٩٩٢م هو : ( ٨٧٤٢٨ ألف ) إصابة ، حدث منها في سنة ١٩٩٢م وحدها ( ٢١٥٦٦ ألف ) إصابة بزيادة ١٦% عن سنة ١٩٩١م ، وكان ٢٧,٤٠% منها بين مدمني المخدرات ، ٣٤,٥% منها بين الشواذ جنسياً (٢) .

وفي (( أفريقيا )) يبلغ عدد حاملي الحمة ( الفيروس ) نصف عددهم في العالم ، وينتشر خاصّة بين الذين أعمارهم من ( ١٠ - ٢٥ سنة ) ، وقد توفي حتى الآن ( ١,٢ مليون أفريقي ) أكثرهم من الشباب ، ومن عمال المناجم ، وفيها الآن ( ٧ ملايين ) حامل للحمة ( الفيروس ) .

وفي (( تايلند )) : يبلغ عدد حاملي الفيروس نحو ( ٥٠٠ ألف شخص ) ، مع العلم أنّ عدد سكانها ( ٥٦,٣ مليون نسمة ) وهذا ما أعلنه رئيس جمعية آسيا والمحيط الهادي لمرض الإيدز (٣) .

وفي (( الهند )) تُشير الأعداد غير الرّسمية إلى أنّ عدد حاملي الفيروس في الهند يبلغ ( مليون شخص ) .

ويقدّر بعض الأطباء أنّ عدد حاملي الحمة ( الفيروس ) يتضاعف كل سنة أشهر ، ويقدر بعضهم الآخر أنّه يتضاعف كل ( ٣ - ٥ سنوات ) ، على حسب اختلاف المناطق ، ويقدرّون أنّ حاملي ( الفيروس ) سيبلغ ( ٤٠ - ١٠٠ مليون ) في نهاية القرن الحالي ، سيموتون كلّهم غالباً إذا لم يكتشف علاج ناجح للإيدز (٤) .

(١) - ينظر : " الوقاية خير من العلاج " د . عبدالرزاق الكيلاني ( ص / ١٦١ ) .

(٢) - ينظر : " المرجع السابق " ( ص / ١٦٠ ) نقلاً عن : " صحيفة الخليج " في ١٦/٤/١٩٩٣م .

(٣) - ينظر : " المرجع السابق " ( ص / ١٥٧ ) .

(٤) - ينظر : " الداء .. والدواء بين الأطباء .. والأدباء " للدكتور حسان شمسي باشا ( ص / ٩٥ ) دار القلم - دمشق ، ط / ١ ، ١٤١٨هـ .

وجاء في تقرير لمنظمة الصحة العالمية عام ١٩٩٦م ، أن المنظمة قدّرت عدد مرضى الإيدز في العالم منذ بداية الوباء وحتى الآن بثمانية ملايين مريض (١) . وهذا المرض الفتاك يكلف الدول التي انتشر فيها مبالغ باهظة ، (( ففي سنة ١٩٩٠م خصّصت الولايات المتحدة الأمريكية ( ٨٨٢ مليون دولار ) لمكافحة الإيدز وستبلغ المخصصات في السنوات الخمس القادمة ( ٤,٥ مليار دولار ) (( (٢) . وتصرف (( فرنسا )) على مكافحة الإيدز ( ٥٠٠ مليون دولار ) كل سنة . وتقدّر منظمة الصحة العالمية أنّ مكافحة الإيدز ستحتاج في نهاية هذا القرن إلى ( ٢,٥ مليار دولار ) كل سنة ، ويعادل هذا المبلغ ( ٢,٥ % ) من الإنفاق العالمي على الجيوش والسلاح (٣) . وهناك أمراض فتاكة أخرى ، سببها إعلان الفاحشة وإقرارها ، وسأوردها هنا من غير تفصيل اكتفاء بما بينته عن مرض الإيدز ، ومن هذه الأمراض :

- مرض الهربز (٤) .

- مرض الزهري .

- مرض السيّلان .

- مرض التهاب الكبد الفيروسي (٥) .

وهذه الأمراض لم يجد لها الطب الحديث بكل ما لديه من إمكانيات علمية ، علاجاً ناجحاً ، وحق له ذلك ؛ لأنها عقوبة إلهية نازلة من الله تعالى ، أخبر عنها الرسول ﷺ في الأحاديث التي أشرت إليها قريباً في أول الحديث عن أمراض الزنا ، فلا بد من تحققها في كل من خالف الفطرة وتعدّى حدود الله تعالى .

### ثالثاً : الاستفادة من وسائل الإيضاح والإعلام في التحذير من جريمة الزنا

سبقت الإشارة إلى بيان الأضرار الخطيرة ، والأمراض الفتاكة التي يسببها الزنا ، وذلك عندما ظهرت هذه الفاحشة ، وانتشرت في المجتمعات الغربية الكافرة ،

(١) - ينظر : " المرجع السابق " (ص/٩٥) .

(٢) - " المرجع السابق " (ص/١٦٢) نقلا عن : " صحيفة الخليج " في ٨/٢ / ١٩٩٠م .

(٣) - " المرجع السابق " (ص/١٦٢) .

(٤) - ينظر : " الأمراض الجنسية أسبابها وعلاجها " (ص/٢٣٥) وما بعدها .

(٥) - ينظر : " الأمراض الجنسية أسبابها وطرق الوقاية منها " سيف الدين شاهين ، (ص ٣٣ - ٦٨) مطابع الشرق الأوسط - الرياض ، ط : ٣ ، ١٤٠٨هـ .

وبعض المجتمعات المسلمة التي فسقت عن أمر الله ، واستباححت المحرمات ، وانسلخت من فطرتها ، فابتلى الله تعالى أولئك المخالفين وعاقبهم في الدُّنيا بتلك الأمراض المستعصية ، والدّاعية إلى الله تعالى عندما يحذر من هذه الجريمة المنكرة فإنّه ينبغي له الاستفادة من وسائل الإعلام والإيضاح المتنوّعة التي يكون لها تأثير قوي على حواس المخاطب لجذبه وتشويقه ولفت انتباهه إلى الأمر المراد التحذير منه ، وقد أشرت إلى بعض من تلك الوسائل في المطلب الأول ، والاستفادة منها تكون على النحو التالي :

- ١ - عرض الأفلام والصُّور التي تبيّن أحوال المرضى الذين أصيبوا بتلك الأمراض المهلكة ، مع التّقيّد بالأحكام الشرعية عند عرض تلك الأفلام والصور .
- ٢ - عرض سرعة انتشار أمراض الزّنا ، وذلك بذكر الأرقام والإحصائيات ، وكيفية انتقال الأمراض من شخص لآخر .
- ٣ - عقد المحاضرات والندوات من المتخصّصين في علوم الشريعة ، للحث على الزّواج ، وبيان أحكام الإسلام في حجاب المرأة المسلمة ، وتأثير ذلك على العفة ، وسدّ أبواب الشرّ ، التي تؤدي إلى إشاعة الفاحشة بين الناس ، ويتمّ ذلك بعرضه في وسائل الإعلام المرئية والمسموعة .
- ٤ - عقد المحاضرات والندوات من قبل المتخصّصين في علوم الطب المختلفة ، وبخاصّة من لهم اهتمام بأخطار تلك الأمراض الفتاكة ، لبيان الإعجاز القرآني والنّبوي ، في مثل قول الرسول : (( ... لم تظهر الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون ، والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا ... ))<sup>(١)</sup> .
- ٥ - دعوة المسلمين إلى الفضيلة ، وترغيبهم في الأعمال الصالحة ، عن طريق برامج إعلامية وثقافية وتربوية ودعوية مستمرة ، وبأساليب راقية ممتعة ، تُقبل عليها النفوس المؤمنة ، ولا تملأها العقول الواعية .

(١) - " سبق تخريجه قريبا " ( ص / ٥٥١ ) .

- ٦ - القضاء على صور الفساد التي يشاهدها الناس في برامج الإعلام في بلاد المسلمين ، وتُرغبهم في الإقبال على الفاحشة والرذيلة التي تُقدّم إلى الشُّعوب المسلمة في صور أفلام أجنبية خليعة ، وتمثيلات رخيصة هابطة لا تحمل المضمون الإسلامي ، وتدعو إلى قيم وأخلاق غريبة على المجتمع المسلم .
- ٧ - دعوة المجتمع المسلم إلى تيسير أسباب الزواج وحث المسلمين على عدم المغالاة في المهور ، والدعوة إلى التوسط في الإنفاق على مطالب الزواج .

**المطلب الثالث : استفادة الداعية من المنهج الحسّي في  
مجال تهذيب الأخلاق .**

وفيه مسلكان :

**المسلك الأول : استفادة الدّاعية من المنهج الحسّي في التّحذير  
من الكذب .**

**المسلك الثاني : استفادة الدّاعية من المنهج الحسّي في التّحذير  
من الكبر .**

## المطلب الثالث

### استفادة الدّاعية من المنهج الحسّي في مجال تهذيب الأخلاق في العصر الحاضر

لقد سبق الحديث عن دعوة الرّسول للنّاس بالمنهج الحسّي ، فيما يتعلق بالحثّ على الأخلاق الحسنة ، والتّحذير من الأخلاق السيّئة ، وبَيَّنْتُ أثر ذلك المنهج الدّعوي في نفوس المخاطبين ، لاشتماله على محسوسات منتزعة من بيئة المدعوين لتقريب المعاني المجردة إلى الأذهان ونقلها إلى صور حسّية مشاهدة ، تحفز المخاطب إلى الالتزام بكل خلق حسن فاضل ، وتردعه ، وتنزع منه كل خلق سيء مذموم .

وفي هذا المطلب سأقصر الحديث على التّحذير من بعض الأخلاق السيّئة المذمومة والمنتشرة في العصر الحاضر ؛ والمنهج الدّعوي الذي سأسلكه في التّحذير من تلك الأخلاق المذمومة يتمثل فيما يلي :

أولاً : بيان مظاهر ذلك الخلق السيّء في العصر الحاضر .

ثانياً : الوسائل المستخدمة في التحذير من الخلق السيّء .

وتكون على النحو التالي :

- أ - التّحذير بالوسائل الحسّية في السّنّة .
- ب - ضرب الأمثلة الحسّية من بيئة المخاطب .
- ج - الاستفادة من الوسائل الإعلامية المعاصرة .



## المسلك الأول

### التّحذير من الكذب بالمنهج الحسي في العصر الحاضر

تقدم الحديث عن خلق الكذب (١) ، وكيف استخدم الرسول ﷺ المنهج الحسي للتّحذير منه ؛ وبيان خطورته ، وبما أنّ الرسول ﷺ استعمل المحسوسات المعروفة عند المخاطبين في عصره ، وسخّر لها لصالح الدّعوة ، فكذلك يلزم الدّاعية في العصر الحاضر ، أن يستعمل المحسوسات التي يعرفها المخاطبون ولا محذور فيها ، لما تقدم في ضوابط الدّعوة إلى الله بالمنهج الحسي (٢) في التحذير من الكذب وبيان خطورته ، وقبل الحديث عن هذا الخلق المذموم ، لا بدّ من تحديد بعض المظاهر التي يمكن التحذير منها ، لأنّ الكذب له في الواقع أشكال وصور مختلفة .

#### أولاً : مظاهر خلق الكذب في العصر الحاضر (٣)

المظاهر لهذا الخلق كثيرة ، يصعب الحديث عنها جميعها ، ولذلك سأختار بعضاً منها لتكون مجالاً لدراستها والتحذير منها :

أ - الكذب على الله وعلى رسوله محمد ﷺ .

ب - الكذب لإضحاك السّامعين .

ج - الكذب في البيع والشراء .

د - الكذب في إظهار الحاجة والفاقة .

#### المظهر الأول : الكذب على الله وعلى رسوله محمد ﷺ

أ - التحذير بأمثلة حسية من القرآن والسنة :

من أشنع صور الكذب على الإطلاق ، الكذب على الله ، أو على رسوله محمد ﷺ ، لأنّه افتراء في الدّين ، وتلاعب بشرائع الله لعباده ، وتجسّر عظيم على النّار ، ولذلك كان وعيده في القرآن الكريم أليماً وشديداً ، وكان من صفات النّبّي محمد ﷺ الأساسية الصّدق في تبليغ ما أمره الله بتبليغه ، ولمّا طلب

(١) - في الفصل الأول ، المبحث الثالث ، (ص/٢٣٧ - ٢٣٩) .

(٢) - الفصل الرابع ، المبحث الثاني ، (ص/٤٨٠ - ٤٨٥) .

(٣) - ينظر : " الكذب - مظهره - علاجه " محمد بن إبراهيم محمد ، طبعة دار ابن خزيمة ، ط/٢ ، ١٤١٦ هـ .

الكافرون من رسول الله ﷺ تغيير بعض ما أنزل الله عليه إلى ما يوافق أهواءهم (١) ، أنزل الله عليه قوله : ﴿ ولو تقول علينا بعض الأقاويل \* لأخذنا منه باليمين \* ثم لقطعنا منه الوتين \* فما منكم من أحد عنه حاجزين ﴾ (٢) .

ففي هذه الآيات ذكر عقوبة المتقول على الله تعالى ، وهي عقوبة حسية مؤلمة مهلكة وهي أخذه باليمين ، وقطع العروق المتصلة بالقلب ، يقول العلامة السعدي - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى : ﴿ ثم لقطعنا منه الوتين ﴾ أي عرق متصل بالقلب ، إذا انقطع ، هلك منه الإنسان (٣) .

والكذب على رسول الله ﷺ ، هو نظير الكذب على الله ، لأن أقوال الرسول ﷺ حجة في الدين ، ومصدر من مصادر التشريع فيه ، فالكذب عليه تلاعب بالدين وافتراء على الله ولذلك جاء التهديد من الرسول ﷺ ، بأن من كذب عليه متعمداً ، فإن جزاءه نار جهنم ، لما ثبت في الصحيحين عن المغيرة بن شعبة (٤) - رضى الله عنه - قال : سمعت النبي ﷺ يقول : (( إن كذباً عليّ ليس ككذب على أحد ، من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار )) (٥) .

أي أنه سيكون له فيها منزل يسكنه ويستقر فيه ، وفي هذا التحذير النبوي من الكذب تهديد ووعيد (٦) .

ومعلوم أن تهيئة المكان للإنسان إكرام له ، أما المتعمد الكذب على رسول الله فإنه يهين له مكان ومنزل ، لكنه في نار جهنم ، وهذا غاية الإهانة والتحقير والتهكم به - والعياذ بالله - .

(١) - ينظر : " الأخلاق الإسلامية وأسماها " (٥٤١/١) .

(٢) - سورة الحاقة : الآيات (٤٤ - ٤٧) .

(٣) - " تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان " (ص/٨١٩) ، وينظر أيضاً : " في ظلال القرآن " (٣٦٨٩/٦) .

(٤) - هو : المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن معتب ، الأمير أبو عيسى ، وقيل : أبو محمد ، من كبار الصحابة أولى الشجاعة والمكيدة ، أسلم قبل عمرة الحديبية وشهد بيعة الرضوان ، كان رجلاً طويلاً مهيباً ، شهد اليمامة وفتوح الشام والعراق ، توفي وهو أمير لمعاوية على الكوفة سنة ٥٠ هـ ، له ٧٠ سنة . ينظر : " سير أعلام النبلاء " (٣٢ - ٢١/٣) ، " الإصابة (٦/١٥٦ - ١٥٨) .

(٥) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الجنائز ، باب : ما يكره من النياحة على الميت (٣٨٥/١) ح (١٢٩١) واللفظ له ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب مقدمة تلخيص صحيح

مسلم ، باب : تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ (٢٤/١) ح (٤) .

(٦) - ينظر : " المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم " (١١٤/١) .

## ب - التّحذير من الكذب على الله ورسوله بأمثلة حسية من واقع المخاطب :

كان الحديث في الفقرة السّابقة عن التّحذير من الكذب بالأمثلة الحسية من السنّة ، وهنا نورد أمثلة حسية من واقع المخاطب ، لتحذيره من الكذب على الله ورسوله ، ومن ذلك :

\* يقال لهذا المتجرئ على الله بالكذب : أرأيت لو أنّك تعمل عند أحد الملوك أو السلاطين وأراد أن يُراقب أفعالك وأقوالك ، فوضع نظام مراقبة في المكان الذي تعمل فيه ليُحصي جميع حركاتك وتصرفاتك ، ووكل بك شخصين أيضاً لرصد جميع أقوالك وأفعالك الحسنة والسيئة ، وأنت على علم بتلك المراقبة ، فهل تستطيع أن تكذب على الملك ، وتحدّث الناس بحديث تزعم أنّه قاله ولم يقله ، لا شك أنك لا تستطيع ذلك - والله المثل الأعلى - فإذا كان هذا مع ملك من ملوك الدُّنيا وهو بشرٌ مثلك فما بالك بالكذب على الله تعالى الذي خلقك وصوّرَكَ وأنعم عليك بنعمه التي لا تحصىها ؟ ، قال تعالى : ﴿ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ (١) ، وما بالك بالكذب على من ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورِ ﴾ (٢) ، ويسجل أقوالك وأعمالك في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿ وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مَشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ (٣) ، ولا تتطرق بكلمة إلا وهي مسجلة ﴿ فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴾ (٤) ، قال تعالى : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (٥) .

لا شك أنّ الافتراء على الله جُرم عظيم ، يقول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُوا مَا

(١) - سورة إبراهيم : جزء من الآية (٣٤) .

(٢) - سورة غافر : جزء من الآية (١٩) .

(٣) - سورة الكهف : جزء من الآية (٤٩) .

(٤) - سورة طه : جزء من الآية (٥٢) .

(٥) - سورة ق : الآية (١٨) .

تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يُفلحون \* متاع قليل وهم عذاب أليم ﴿ (١) .

### المظهر الثاني : الكذب لإضحاك السّامعين

وستتضح كيفية التحذير منه بما يلي :

أ - التّحذير منه بأمثلة حسية من السّنة :

قد يجتمع القوم للسّمر والترويح عن النّفس ، فينبعث أحدهم ليضحكهم ويروّح عن نفوسهم ، فيأتي بالقصص المُختلفة ، ويُعرّض بالمسلمين فيصف بعضهم بأوصاف تَحُط من أقدارهم ، أو يطلق كلمات يستخفّ فيها بالدّين وهو لا يدري ، ويقال لهذا المتحدّث اتق الله فإنك قد أغضبت ربك ، وأهلكت نفسك واستمع إلى تحذير نبيك محمد ﷺ مما أنت واقع فيه ، حيث يقول : (( ويلّ للذي يُحدّث بالحديث ليضحك به القوم فيكذب ويلّ له ويلّ له )) (٢) .

فتأمل أخي المسلم تكرار الرّسول لكلمة (( ويل )) إيذاناً بشدّة هلكته ، وذلك لأنّ الكذب وحده رأس كلّ مذموم ، وجماع كل شرّ ، ومعنى (( ويل له )) أي هلاك عظيم أو وادٍ عميق (٣) .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - سمع رسول الله ﷺ يقول : (( إنّ العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها (٤) ، ينزل بها في النّار أبعد ما بين المشرق

(١) - سورة النحل : الآية (١١٦) .

(٢) - أخرجه الإمام الترمذي في " سننه " كتاب الزهد ، باب : ما جاء فيمن يتكلم بالكلمة ليضحك الناس (٥٥٧/٤) ح (٢٣١٥) وقال عنه : " حديث حسن " وحسنه أيضا الشيخ الألباني في " صحيح سنن الترمذي " (٢٦٨/٢) ح (١٨٨٥) .

(٣) - ينظر : " تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي " للمباركفوري (٤٩٧/٦ ، ٤٩٨) .

(٤) - أي : لا يتطلب معناها ، ولا يتملّها ، ولا يتثبت فيها فلا يقولها إلا إذا ظهرت المصلحة في القول ، ينظر : " فتح الباري " (٣١٧/١١) .

والمغرب)) (١) ، وفي رواية : (( يهوي بها في النّار أبعد ما بين المشرق والمغرب )) (٢) ، وفي رواية : (( إنّ الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلسائه يهوي بها من أبعد من الثّريا )) (٣) .

يقول القاضي عياض - رحمه الله - (( يحتمل أن تكون تلك الكلمة من الخنى والرّفث ، وأن تكون في التعريض بالمسلم بكبيرة أو بمجون ، أو استخفاف بحق النبوة والشريعة ، وإنّ لم يعتقد ذلك )) (٤) .  
وعندما يتصور الإنسان هذه العقوبة الشديدة ، بنزوله في نار جهنّم هذه المسافة البعيدة ، ومكثه تلك السنوات المديدة ، فإنه سيحجم عن الكذب ، وينزجر عن فحش الكلام ، وبذاءة اللسان .

### ب - التّحذير من الكذب لإضحاك الناس بأمثلة حسية من واقع المخاطب :

أشرت في الفقرة السابقة إلى استفادة الدّاعية من النّصوص النّبوية المشتملة على منهج حسّي ، وفي هذه الفقرة سأشير إلى إمكانية الاستفادة من الأمثلة الحسية من واقع المخاطب ، لتحذيره من هذا النّوع الخطير من الكذب ، الذي يهوي بصاحبه في دركات النّار وهو لا يشعر ، كما بيّنت ذلك فيما سبق ، ومن هذه الأمثلة :

\* - أن يقال لهذا الإنسان الذي يكذب ليضحك النّاس : أرايت لو صدر أمر من الحاكم بأخذ من يكذب ليضحك النّاس ، ثم يُصعد به إلى أعلى بناية في البلد ، ثم يرمى به من أعلى حافة المبنى ليلقى مصيره ، لاشك أن من يسمع هذا الأمر

(١) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الرقاق ، باب حفظ اللسان ، (٢٠٣٢/٤) ح (٦٤٧٧) ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الزهد والرقائق ، باب التكلم بالكلمة يهوي بها في النار (١٨١١/٤) ح (٢٩٨٨) واللفظ له .

(٢) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الزهد والرقائق ، باب التكلم بالكلمة يهوي بها في النار (١٨١١/٤) ح (٥٠/٢٩٨٨) .

(٣) - أخرجه الإمام أحمد في " مسنده " (٥٣٠/٢) ح (٩١٩٣) ، من طريق الزبير بن سعيد . قال الشيخ الألباني : " والزبير هذا لين الحديث كما في " التقريب " وللحديث طريق أخرى عن أبي هريرة وفي أوله زيادة إلا أن في سندها ضعفاً ، والصواب فيها الوقف " . ينظر : " سلسلة الأحاديث الصحيحة " (٦٩/٢) ح (٥٤٠) .

(٤) - " إكمال المعلم بفوائد مسلم " (٥٣٧/٨) ، وينظر أيضاً : " صحيح مسلم بشرح النووي " (٣١٧/١٨) ، " فتح الباري " (٣١٧/١١) .

الخطير ، وتلك العقوبة الشنيعة ، لا يجرؤ أن يُقَدِّم على الكذب من أجل أن يضحك الناس ؛ لأنّه يعلم مقدار العقوبة ، وشدّة ألمها .

وبعد هذا نقول له : عجباً من أمرك تنتهي وتقلع عن الكذب خوفاً من العقوبة الدنيوية وتنسى ما ذكرت لك سابقاً من العقوبة الآخرة التي هي أشدّ وأكوى ، فالمسافة التي يهوي منها الإنسان في الدنيا بالنسبة للمسافة التي يهوي منها في النَّار لا تذكر ولا تُقارن ، ففي الدنيا قد تكون المسافة ألف متر (١٠٠٠ م) لكن في النَّار قد يمكث عشرات السنين وهو يتدهده ويتدحرج في دركاتها حتى يصل إلى قعرها ، يدلُّ لذلك ما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : كُنَّا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . إذ سمع وجبة <sup>(١)</sup> . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (( تدرون ما هذا ؟ )) قال قلنا : الله ورسوله أعلم . قال (( هذا حجرٌ رُمي به في النَّار منذ سبعين خريفاً <sup>(٢)</sup> ، فهو يهوي في النَّار الآن ، حتى انتهى إلى قعرها )) <sup>(٣)</sup> .

إنَّ العاقل عندما يتأمل عقوبة الذي يكذب ليضحك النَّاس ، يُحجم ويُقلع عن هذه المعصية العظيمة ، ولا يعني ذلك أنَّ الإنسان لا يمزح ولا يُدخل السرور على جليسه ، كلاً فرسول الله صلى الله عليه وسلم أتقى النَّاس وأخشاهم الله تعالى ، ومع ذلك كان يُمازح أصحابه ، ويُدخل السرور والبهجة إلى نفوسهم ، لكن كان لا يقول في مزحه إلا صدقاً ، فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنّه عندما سأله الصّحابة - رضي الله عنهم - ، فقالوا يا رسول الله إنَّك تداعبنا <sup>(٤)</sup> ؟ قال : (( إنِّي لا أقول إلا حقاً )) <sup>(٥)</sup> .

ومن أمثلة مزاحه صلى الله عليه وسلم مع أصحابه ، ما رواه أنس بن مالك - رضي الله عنه - أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال له (( ياذا الأذنين )) قيل : إنّما يعني به : أنه يُمازحه <sup>(٦)</sup> .

(١) - " وجبة " : الوجبة هي صوت السقوط . " النهاية في غريب الحديث " (١٥٤/٥) مادة ( وجب ) .

(٢) - " سبعين خريفاً " أي سبعين عاماً .

(٣) - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب في شدة حرّ نار جهنّم ، وبعد قعرها ، وما تأخر من المعذبين ، (١٧٣٢/٤) ح (٢٨٤٤) .

(٤) - " تداعبنا " أي تمازحنا . ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (١١٨/٢) مادة ( دعب ) .

(٥) - أخرجه الإمام الترمذي في " سننه " كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في المزاح (٣٥٧/٤) ح (١٩٩٠) وقال : " هذا حديث حسن صحيح " ، وصححه الشيخ الألباني في " صحيح سنن الترمذي " (١٩٢/٢) ح (١٦٢١) .

(٦) - أخرجه الإمام الترمذي في " سننه " كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في المزاح (٣٥٨/٤) ح (١٩٩٢) وقال : " هذا حديث حسن صحيح غريب " ، وصححه الشيخ الألباني في " صحيح سنن الترمذي " (١٩٢/٢) ح (١٦٢٢) .

وعن أنس أيضاً : أن رجلاً استحمل رسول الله ﷺ قال : (( إنسي حاملك على ولد الناقة )) فقال : يا رسول الله ! ما أصنع بولد الناقة ؟ فقال رسول الله ﷺ : (( وهل تلذ الإبل إلا النوق ؟ )) (١) .

وعنه - ﷺ - قال : إن كان النبي ﷺ ليخالطنا ، حتى يقول لأخ لي صغير : (( يا أبا عمير ما فعل النغير )) (٢) .

والأمثلة كثيرة تدلّ على أنّه كان يتبسط مع النّاس ويمازحهم لكنه لا يقول إلا صدقاً ، فما أحرّك يا من تُمّازح النّاس وتضحكهم بالكذب والافتراء ، أن تتأمّل سيرة رسول الله محمد ﷺ ، لتقتدي به ، وتترك ما أنت عليه من احتراف الكذب ، لتسعد في دنياك وآخرتك .

### المظهر الثالث : الكذب في البيع والشراء

وهذا المظهر سائد ومنتشر بين النّاس ، حتى لا تكاد تجد من يصدقك القول ، والسبب في ذلك - والله أعلم - ضعف الإيمان ، وإيثار الدنيا على الآخرة ، كما قال تعالى : ﴿ بل تؤثرون الحياة الدنيا \* والآخرة خير وأبقى ﴾ (٤) ، ولذلك أمثلة منها :

#### - الكذب في بيع السيارات :

وله صور متعدّدة يُكتفى ببيان صورة واحدة لمعرفة الطّريقة التي بها يتم بها ذلك البيع .

وهذه الصورة هي بيع النجش ، وملخصها أنّ الشخص إذا أراد بيع سيارته في سوق السيارات ( المعارض ) فإنّه يعرضها للبيع فيجتمع عليها مجموعة من

(١) - أخرجه الإمام الترمذي في " سننه " كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في المزاح (٣٥٧/٤) ح (١٩٨٩) ، وقال : " هذا حديث حسن صحيح " ، وصححه الشيخ الألباني في " صحيح سنن الترمذي " (١٩٢/٢) ح (١٦٢٣) .

(٢) - " النغير " تصغير النغر ، وهو طائر يشبه العصفور ، أحمر المنقار . " النهاية في غريب الحديث " (٨٦/٥) مادة (نغر) .

(٣) - أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الأدب ، باب : الانبساط إلى الناس ، (١٩٣١/٤) ح (٦١٢٩) .

(٤) - سورة الأعلى : الآيتان (١٦ ، ١٧) .

الدّالين ، يتنافسون على رفع قيمة السيارة ، كل واحد منهم يقول : أنا أزيد كذا ، وليس مقصودهم شراؤها فيوهمون المشتري أنهم صادقون وهم على خلاف ذلك ، فلاممّ لهم إلا رفع القيمة حتى إذا تمّ البيع ، أخذوا مازاد على السّعر الحقيقي للسيارة حسب الاتفاق مع البائع ، والمشتري يقع ضحية لهذه التمثيلية القائمة على الكذب والخداع .

### - الكذب في بيع الحبوب والفواكه وغيرها .

وصورته : أنّ البائع يدّلس على المشتري ، فيضع الجيد الطيب من الحبوب والنّمّار من فواكه كانت أو غيرها ، في أعلى الإناء ، ويقول للمشتري إنّ جميع ما في الإناء كما ترى ظاهراً ، فيتمّ البيع ، ويتضح فيما بعد أن جميع ما في الإناء فاسد ما عدا الوجه الظاهر من أعلى الإناء .

### أ - التّحذير من الكذب في البيع والشراء بالأحاديث المشتملة على منهج حسي :

يقال لهؤلاء الباعة الذين يكتسبون المال عن طريق الغش والخداع ، إنّ هذا المال الذي تفرحون به حرام ، وستعذبون به يوم القيامة ، واسمعوا دليل ذلك من حديث رسول الله ﷺ ، فعن كعب بن عجرة (١) - ﷺ - قال : قال لي رسول الله ﷺ : (( يا كعب بن عجرة إنّه لا يدخل الجنة لحمٌ ودمٌ نبنا على سحت (٢) ، النار أولى به .. )) (٣) .

فجعل الرسول ﷺ اللحم والدم كالثّبات الذي يُسقى بماء فاسد ، فالجسد الذي يُغذّي بالمال الحرام (( النار أولى به )) .

(١) - هو : كعب بن عجرة بن أمية الأنصاري السّالمي المدني ، استأخر إسلامه ثم أسلم وشهد المشاهد ، وهو الذي نزلت فيه بالحديبية الرخصة في حلق رأس المحرم والفدية ، سكن الكوفة ، وتوفي بالمدينة عن نحو ٧٥ سنة ، عام ٥١ هـ ، ينظر : " سير أعلام النبلاء " (٥٢/٣) ، " الإصابة " (٤٤٨/٥) ، " تهذيب التهذيب " (٥٦٧/٤) .

(٢) - " سحت " : السّحت هو المال الحرام الذي لا يحلّ كسبه ، لأنه يسحت البركة : أي يذهبها ، ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (٣٤٥/٢) مادة (سحت) .

(٣) - أخرجه الإمام الترمذي في " سننه " أبواب الصلاة ، باب : ما ذكر في فضل الصلاة ، (٥١٢/٢) - (٥١٣) ح (٦١٤) وقال عنه : " هذا حديث حسن غريب " وصححه الشيخ الألباني في " صحيح سنن الترمذي " (١٨٩/١) ح (٥٠١) .



ومن الإنكار العملي الذي قام به الرسول ﷺ للتحذير من الكذب والغش في البيع ، ما رواه أبوهريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ مرّ على صُبْرَة (١) طعام فادخل يده فيها ، فنالت أصابعه بللاً . فقال : (( ما هذا يا صاحب الطعام ؟ )) قال أصابته السّماء ، يارسول الله ! قال : (( أفلا جعلته فوق الطّعام حتى يراه الناس ؟ من غش فليس منّي )) (٢) .

وبعض الباعة ، لا تُشترى سلعته لأي سبب من الأسباب ، فيلجأ إلى الأيمان والحلف أنّها كذا وكذا ، يريد تحسينها في عين المشتري ، وهو غير صادق ، وهذه هي اليمين الغموس التي تُوجب لصاحبها الخلود في النّار ، لكونها من كبائر الذنوب ، يدلّ لذلك ما رواه عبدالله بن أنيس الجهني - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : (( إنّ من أكبر الكبائر ، الإشراف بالله ، وعقوق الوالدين ، واليمين الغموس وما حلف حالف بالله يمين صبر ، فأدخل فيها مثل جناح بعوضة إلا جعلت نكّته في قلبه إلى يوم القيامة )) (٣) .

وبهذا المنهج الدّعوي الحسّي في السنة النبوية ، يُحذّر الدّاعية الباعة والتّجار الذين يستعملون الكذب والغش ، ويحلفون الأيمان الكاذبة من أجل بيع سلعهم ، ويغفلون عن وعيد الله لأهل الكذب والغش والخداع .

#### ب - التحذير من الكذب في البيع والشراء بأمثلة حسية من واقع المخاطب :

إضافة إلى ما تقدّم من استفادة الدّاعية من الأحاديث النبوية المشتملة على منهج حسّي للتحذير من الكذب والخداع في البيع والشراء ، يلزم الدّاعية أن يختار أمثلة حسية مناسبة من واقع المدعو ، رجاء أن يتأثّر ويقتنع بأنّ ما يفعله مخالف لما جاء به القرآن الكريم والسّنة النبوية من الحثّ على الصدق ، وترك الكذب في جميع الأقوال والأفعال ، ومن ذلك :

(١) - " صُبْرَة " الصُبْرَة : الطعام المجتمع كالكومة ، وجعها صُبْر . " النهاية في غريب الحديث (٩/٣) مادة (صبر) .

(٢) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الإيمان ، باب : من تبرأ منه النبي ﷺ (٩٤/١) ح (١٠١) .

(٣) - أخرجه الإمام الترمذي في " سننه " أبواب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة النساء (٢٣٦/٥) ح (٣٠٢٠) ، وقال عنه : " هذا حديث حسن غريب " ، وحسنه الشيخ الألباني في " صحيح سنن الترمذي " (٣٧/٣ - ٣٨) ح (٢٤١٧) .

\* أن يقال لمن وقع في هذا المظهر من مظاهر الكذب : إنك رجل تبيع وتشتري ، فلو جاءك شخصان زيد وعمرو وباعك سلعتين ، بقيمة متقاربة ، وعندما ذهباً تبين لك أن عمراً قد غشك وأنه باعك سلعة قد انتهت صلاحيتها ، فأيهما تحب وأيهما تكره ؟ ستقول : أحب زيدا لأنه كان صادقاً أميناً ، وأكره عمراً لأنه غش وخان . فيقال له حينئذ : فكيف يا عبدالله تغش أنت النّاس وتخدعهم ، وتتفق سلعتك التّالفة بالإيمان الكاذبة ؟ ولا ترضى للنّاس كما ترضى لنفسك .

\* ومن الأمثلة الحسية العاطفية ، أن يقال له : هل تحب أن ترجع إلى بيتك وإذا بالنار قد أكلت أهلك وأولادك ؟ سيقول : لا أحب ذلك ولا أتمناه . فيقال له : إذا فكيف تسعى سعياً حثيثاً لتجلب لنفسك ولهم المال الحرام الذي تدخل أنت وهم بسببه نار جهنم ، ألسنت قد سمعت قول الرسول ﷺ : (( إنه لا يربو لحم نبت من سحت إلا كانت النار أولى به )) (١) .

وسمعت أيضاً ، قوله ﷺ : (( لا يسترعي الله عبداً رعية فيموت يوم يموت وهولها غاش إلا حرم الله عليه الجنة )) (٢) .

\* ومن الأمثلة : أن يقال له : رأيت لو كنت في مجمع من النّاس كبير فيهم القريب والبعيد الصديق والعدو ، الرئيس والمرؤوس ، ثم ينادي بصوت عالٍ عن طريق مكبرات الصوت يا فلان ابن فلان الغشّاش ، ماذا يكون حالك ؟ وماذا بقي لك من كرامة ؟ إنها فضيحة على رؤوس الملأ ، ووصمة عار على جبينك ، لاشك أنك لا ترضى ذلك . إذا فهل تأمن يا عبدالله أن يقال لك ذلك يوم المحشر يوم أن يجمع الله الأولين والآخرين في صعيدٍ واحد ؟ فتكون الفضيحة أعظم وأطم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

### المظهر الرابع : الكذب لإظهار الحاجة والفاقة

وتتضح صورة هذا المظهر فيما يلي : وهو أن بعض النّاس يُريد أن يُثري عن طريق المسألة ، أو لأي سبب آخر ، فيتقمّص حال الفقراء والمعوزين فيلبس الثياب البالية المتسخة ، ويأخذ العصا ليتوكأ عليها ، ويتظاهر أمام النّاس

(١) - سبق تخريجه قريباً ( ص / ٥٦٧ ) .

(٢) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الأحكام ، باب : من استرعى رعية فلم ينصح ( ٢٢٣٤/٤ ) ح ( ٧١٥٠ ) والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الإيمان ، باب : إستحقاق الوالي الفاش لرعيته النار ( ١١٦/١ ) ح ( ١٤٢ ) واللفظ له .

بالضعف وعدم القدرة على القيام والمشى ، ويدّعي بأنّ عليه ديوناً كثيرة لا يستطيع سدادها ، وهو في كل ما سبق كاذب ، لكنه يريد أن يستعطف قلوب النّاس ، ليرحموه فيعطوه وهذه صورة واحدة من صور كثيرة يُظهر فيها بعض النّاس حاجته وهو غير صادق .

أ - دعوة هذا الصنف بنصوص السنّة المشتملة على منهج حسي :

نقول للذين يفترون على الله الكذب ، ويُظهرون للناس أنهم فقراء محتاجون ، وهم أغنياء موسرون إنّ هذه الحرفة التي تحترفونها ذلّ ومهانة في الدّنيا والآخرة ، وعذابها في الآخرة أليم وشديد ، يدلّ لذلك : ما رواه ابن عمر - رضي الله عنهما - أن النبي صلى الله عليه وآله قال : (( لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقي الله تعالى وليس في وجهه مُزعة <sup>(١)</sup> لحم )) <sup>(٢)</sup> .

والمسألة خموش وكدوح يخدش بها السائل وجهه ، فعن سمرة - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وآله قال : (( المسائل كدوح <sup>(٣)</sup> يكدح بها الرّجل وجهه ، فمن شاء أبقى على وجهه ، ومن شاء ترك ، إلا أن يسأل الرّجل ذا سلطان ، أو في أمر لا يجد منه بدأ )) <sup>(٤)</sup> .

وثبت في صحيح مسلم وغيره عن علي - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : (( من سأل النّاس تكثراً فبانما يسأل جمرأ ، فليستقلّ أو ليستكثر )) <sup>(٥)</sup> .

ومن يُرعي سمعه لهذا التهديد والوعيد ، وهو مؤمن بالله واليوم والآخر ، فإنه سينتهي عن الكذب ، ولا يسأل الناس شيئاً ، لأن الرّسول صلى الله عليه وآله وصف عقوبة الذي يسأل النّاس تكثراً وصفاً حسياً مُرعباً ، فوجهه هيك عظمي ، ليس فيه قطعة لحم ويأتي ووجهه ملئ بالخدوش والجروح ، ويعذبه الله بأكل الحجارة المحماة

(١) - "مُزعة" : أي قطعة يسيرة من اللحم . ينظر : "النهاية في غريب الحديث" (٣٢٥/٤) مادة (مزع) .

(٢) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في "صحيحه" كتاب الزكاة ، باب : من سأل الناس تكثراً . (٤٤٠/١) ح (١٤٧٤) ، والإمام مسلم في "صحيحه" كتاب الزكاة ، باب كراهة المسألة للناس (٥٩٤/٢) ح (١٠٤٠) واللفظ له .

(٣) - "كدوح" : جمع مفرد كدح ، وهو : كل أثر من عض أو خدش ، ينظر : "المعجم الوسيط" (٧٧٩/٢) ، مادة (كدح) .

(٤) - أخرجه الإمام أبو داود في "سننه" كتاب الزكاة ، باب ما تجوز فيه المسألة (٢٨٩/٢) - (٢٩٠) ح (١٦٣٩) ، وصححه الشيخ الألباني في "صحيح سنن أبي داود" (٤٥٠/١ ، ٤٥٦) ح (١٦٣٩) .

(٥) - أخرجه الإمام مسلم في "صحيحه" كتاب الزكاة ، باب كراهة المسألة للناس . (٥٩٥/٢) ح (١٠٤١) .

على النّار ، وفي حديث علي - عليه السلام - صورّ الرسول صلى الله عليه وآله المسألة بأكل الجمر يوم القيامة ، فبها من عقوبة رادعة لكل من يُزين له الشيطان حب المسألة وهو غني .

### ب - دعوة هذا الصّنف بأمثلة حسية من واقعهم :

عرفنا في الفقرة السّابقة كيف يستفيد الدّاعية في العصر الحاضر من نصوص السنّة المشتملة على منهج حسّي للتحذير من المسألة ، والتّظاهر بالفقر والحاجة كذباً وخداعاً ، وفي هذه الفقرة نورد بعض الأمثلة الحسية من واقع المخاطب لتحذيره عن هذا المظهر الخطير من مظاهر الكذب ، ومن ذلك :

\* - بعضهم يتظاهر للنّاس بأنّه مصاب بالشّلل ، فيتحرك أمامهم بحركات يوهّم أنه لا إرادة له فيها ، وغالباً ما تحدث هذه المظاهر في المساجد ، فيرحمه النّاس ويُعطوه .

ويقال لهذا الشّخص : لقد افتريت على النّاس ؛ لكن أنسيت مراقبة الله لك وأنّه لا يخفى عليه شيء من أمرك ، أما تخشى أن يبتليك الله حقيقة فيجازيك من جنس عملك فيشّلّ أعضائك عن الحركة ، وتبقى قعيد الفراش لا تستطيع الحركة ، فتخسر دنياك وآخرتك .

\* - وبعضهم يتظاهر بالضعف والمسكنة ويقف أمام النّاس ويقول : لقد قدرّ الله على زوجتي بمرض أدى بها إلى الموت ، وتركت بعدها سبعة من الأولاد ، وليس لي مصدر أنفق عليهم منه وأنا مريض ، فأطلب منكم مساعدتي .

فيقال لهذا السّائل : أرأيت لو رجعت إلى منزلك وإذا بزوجتك التي ادّعت أنّها ماتت بسبب المرض ، وإذا بها قد أكلتها النّار ، واحترق المنزل بكامله ، ماذا سيكون حالك حينئذٍ؟ ألا فاتق الله ولا تسأل النّاس وقد أغناك الله من فضله ، وأحذر أن يأتيك الموت وأنت على هذه الحالة ، فتلقى الله ذليلاً صاعراً ليس في وجهك قطعة لحم ، كما أخبر الرّسول صلى الله عليه وآله بقوله : (( لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله ، وليس في وجهه مزعة لحم )) (١) .

(١) - " سبق تخريجه قريباً " (ص / ٥٧٠) .

## المسلك الثاني

### استفادة الدّاعية من المنهج الحسّي

#### للتّحذير من خُلُق الكبر في العصر الحاضر

الكبرياء والعظمة من أوصاف كمال الله تعالى ، واجبان له ، إذ ليست أوصاف كمال الله وجلاله مُستفادة من غيره ، بل هي واجبة الوجود لذواتها ، بحيث لا يجوز عليه العدم ولا النقص .. ، فكماله وجلاله حقيقة له ، بخلاف كمالنا ، فإنّه مستفاد من الله تعالى <sup>(١)</sup> ، وقد قرّب الله تعالى لعباده حقيقة ملازمة هذين الوصفين له بما يعرفونه من واقع حياتهم ، حيث قال الله تعالى في الحديث القدسي : ( الكبرياء رداي والعظمة إزاراي ، فمن نازعني واحداً منهما فذفته في النار ) <sup>(٢)</sup> .

يقول الإمام القرطبي - رحمه الله - (( وأصل الإزار : الثوب يُشدُّ على الوسط . والرّداء : ما يُجعل على الكتفين ، ولمّا كان هذان الثوبان يُخصّان اللابس بحيث لا يستغني عنهما ، ولا يقبلان المشاركة عبّر الله تعالى عن العزّ بالإزار ، وعن الكبرياء بالرّداء على جهة الاستعارة المستعملة عند العرب .. ومقصود هذه الاستعارة الحسنة : أنّ العزّ ، والعظمة ، والكبرياء من أوصاف الله تعالى الخاصّة به التي لا تتبغي لغيره . فمن تعاطى شيئاً منها أدلّه الله تعالى وصعّره ، وأهلكه )) <sup>(٣)</sup> .  
ويشير الإمام الخطابي - رحمه الله - إلى تقريب هذه الصّورة إلى أذهان المخاطبين ، فيقول : (( وضرب الرّداء والإزار مثلاً في ذلك . يقول - والله أعلم - كما لا يشرك الإنسان في ردائه وإزاره أحد ، فكذلك لا يشركني في الكبرياء والعظمة مخلوق )) <sup>(٤)</sup> .

وإذا تفرّر ذلك ، وعلم أنّ الكبرياء من أوصاف كمال الباري سبحانه وتعالى ، حرّم على العبد منازعة ربّه فيما هو من أوصافه سبحانه ، ولذلك أدلّ الله إبليس وأخزاه وطرده من رحمته ، بسبب الكبر واعتراضه على ربّه تعالى عندما أمره

(١) - ينظر : " المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم " (١/٢٨٦ - ٢٨٧) .

(٢) - " سبق تخريجه " ( ص /٤٥٦) .

(٣) - " المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم " (٦/٦٠٦ - ٦٠٧) ، وينظر أيضاً : " المجازات النبوية " تأليف / الشريف الرضي ، تحقيق وشرح الدكتور / طه محمد الزيني (ص/٤٤٠) ، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع ، القاهرة ، بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها .

(٤) - " معالم السنن " بهامش سنن أبي داود (٤/٣٥٠) .

بالسُّجود لآدم - ﷺ - وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿ ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من السَّاجدين \* قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خيرٌ منه خلقتني من نَّارٍ وخلقته من طين \* قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصَّاغرين ﴾ (١) .

وعذب الله تعالى فرعون عذاباً لم يعتبه أحداً من العالمين بسبب كبره وعتوه وزهوه وغروره وادعائه الألوهية ، ويطشه بالمستضعفين ، وإنكاره لنبوة موسى - ﷺ - رسالته وظلمه وبغيه ، وقوله : ﴿ أنا ربكم الأعلى ﴾ (٢) . وقوله ﴿ يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري ﴾ (٣) ، حيث يقول الله تعالى عنه ﴿ وحقاً بآل فرعون سوء العذاب \* النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فرعون أشدَّ العذاب ﴾ (٤) .

وحرّم الله تعالى دخول الجنة على من عنده أدنى مشاعر الكبر ، ولو كان شيئاً يسيراً يدلُّ لذلك ما ثبت في صحيح مسلم عن عبدالله بن مسعود - ﷺ - عن النبي ﷺ قال : (( لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال نرّة من كبر )) (٥) .

وفي حديث آخر عن عبدالله بن عمرو - ﷺ - أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : (( من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر أكبّه الله لوجهه في النار )) (٦) .

ولذلك كان الكبر من أسوء الأخلاق المذمومة ، فكان لزاماً على الدعاة والمصلحين في العصر الحاضر التّحذير منه ، وبيان خطره وعقوبته الأليمة في الآخرة ، وقد تقدّم الحديث عنه في ثنايا البحث بشيء من الإيجاز (٧) ، وهنا أفصّل الحديث عن هذا الخلق المذموم ، مستخدماً نصوص السنّة المشتملة على منهج حسّي والأمثلة الحسية المنترعة من بيئة المخاطبين في العصر الحاضر ، وحيث أنّ الكبر

(١) - سورة الأعراف : الآيات : (١١ - ١٣) .

(٢) - سورة النازعات : جزء من الآية (٢٤) .

(٣) - سورة القصص : الآية (٣٨) .

(٤) - سورة غافر : الآيتان (٤٥ - ٤٦) .

(٥) - " سبق تخريجه " (ص/٢٨٨ ، ٤٥٥) .

(٦) - أخرجه الإمام أحمد في " المسند " (٢٨٣/٢) ح (٧٠١٣) ، والإمام المنذري في " الترغيب والترهيب "

(٥٦٦/٣) ، وقال : " رواه أحمد ، ورواته رواية الصحيح " والحديث اسناده صحيح . ينظر : " حاشية

مسند الإمام أحمد " (٥٩٠/١١) تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي ، إبراهيم الزبيق .

(٧) - ينظر : " الفصل الثاني " (ص/٢٨٨ - ٢٩١) ، " الفصل الرابع " (ص/٤٥٥ - ٤٥٧) .

في الأصل خلق كامن في النّفس<sup>(١)</sup> ، إلا إنّه يظهر على الجوارح بمظاهر ، متعدّدة ومتنوعة ، منها ما يكون بالقول ، ومنها ما يكون بالفعل .

### أولاً : مظاهر الكبر القولية

وهو ما كان باللسان من التفاصح والتشّدق في الكلام ، وإطلاق بعض الكلمات التي فيها الحط من أقدار الآخرين ، واحتقارهم ، والرفع من شأن المتكبر ، وطلباً للإيجاز فسأقتصر الحديث عن مظهر واحد فقط وهو :

#### \* - مظهر التّفاخر بشرف النّسب :

وصورته : أن يقول : أنا فلان ابن فلان ، إظهاراً لأصالة وشرف أبائه وأجداده وإن كانوا على غير هدى ، يقول ذلك : تعاضماً وتفاخراً ، وقد يصل به الكبر إلى أن ينال ممن هو دونه بلسانه فيقول : يا ابن السوداء يا ابن الحجام ، يا ابن الجزّار ، يا أعجمي ، يا هندي ، يازنجي ... وغير ذلك من الألفاظ التي تدل على احتقار الآخرين ، والتقليل من شأنهم ، ولو كانوا على درجة عالية من الصّلاح والتقوى ، وتفصيل ذلك فيما يلي :

#### أ - التّحذير بنصوص السنة المشتملة على منهج حسبي

نقول لهذا المتفاخر بحسبه ونسبه استمع لهذا التّهديد الشديد من رسول الله ﷺ لأقوام من المسلمين كانوا يفاخرون بأنسابهم وأحسابهم ، ويتعالون بهم على بعض إخوانهم المسلمين ، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : (( لينتهين أقوام يفتخرون بأبائهم الذين ماتوا ؛ إنّما هم فحم جهنّم . أو ليكوننّ أهون على الله من الجعل<sup>(٢)</sup> الذي يدهده الخراء<sup>(٣)</sup> بأنفه . إنّ الله أذهب عنكم عبيّة<sup>(٤)</sup> الجاهلية

(١) - ينظر : " إحياء علوم الدين " للغزالي (٥٣١/٣) .  
 (٢) - " الجعل " : حيوان معروف كالخنّساء ، " النهاية في غريب الحديث " (٢٧٧/١) مادة : (جعل) .  
 (٣) - " الخراء " بالكسر والمدّ : التّخلف والقعود للحاجة . " النهاية في غريب الحديث " (١٧/٢) مادة (خرا) .  
 (٤) - " عبيّة الجاهلية " أي كبر الجاهلية . ينظر : " النهاية في غريب الحديث " (١٦٩/٣) مادة : (عيب) .

وفخرها بالأبء . إنّما هو مؤمنٌ تقيٌّ ، أو فاجرٌ شقيٌّ . النَّاسُ كُلُّهُم بَنُو آدَمَ ، وآدم خلق من تراب )) (١) .

والمعنى : أي والله ليمتتنّ أقوام عن الافتخار بأبائهم الذين ماتوا على الكفر ، وأصبحوا فحماً من فحم جهنّم ، أو ليصيرونّ أدلّ عند الله تعالى من الخنافس التي تدرج بأنفها العذرة ، يقول الإمام المباركفوري (٢) - رحمه الله - : (( والحاصل أنّهُ شبّه المفتخرين بأبائهم الذين ماتوا في الجاهلية بالجعل ، وآباءهم المفتخر بهم بالعذرة ، ونفس افتخارهم بهم بالدهمة بالأنف ، والمعنى : أنّ أحد الأمرين واقع البتة إمّا الانتهاء عن الافتخار أو كونهم أدلّ عند الله تعالى من الجعل الموصوف )) (٣) بما ذكر .

ثمّ بين الرسول ﷺ مئة الله تعالى على أصحابه الكرام - ﷺ - بقوله : (( قد أذهب الله عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالأبء . مؤمن تقيٌّ ؛ أو فاجر شقيٌّ ، والنّاس بنو آدم وآدم من تراب )) .

يقول الإمام الخطابي - رحمة الله عليه - مُعلّقاً على هذا الحديث : (( معناه أنّ النَّاسَ رجُلان مؤمن تقي فهو الخَيْرُ الفاضل وإن لم يكن حسيباً في قومه ، وفاجر شقي فهو الدّنيء وإن كان في أهله شريفاً )) (٤) .

وقيل معناه : إنّ المفتخر المتكبر إمّا مؤمن تقي فإذا لا ينبغي له التّكبر على أحد ، أو فاجر شقي فهو ذليل عند الله والذليل لا يستحق التّكبر ، فالتّكبر منفي بكل حال (٥) .

وفي آخر الحديث أوضح ﷺ أصل هذا الإنسان المتكبر بقوله : (( النَّاسُ كُلُّهُم بَنُو آدَمَ ، وآدم خلق من تراب )) .

أي فلا يليق بمن أصله التراب النخوة والتّجبر ، أو إذا كان الأصل واحداً فالكل إخوة فلا وجه للتّكبر لأنّ بقية الأمور عارضة لا أصل لها حقيقة (٦) .

- (١) - سبق تخريجه " في أول الفصل ( ص / ٥٠٣ ) .
- (٢) - هو : محمد عبدالرحمن بهادر المباركفوري . محدث ، ولد بقريّة مباركفور بالهند عام ١٢٨٣هـ ، قرأ بالعربية والفارسية والأردية ، رحل إلى البلاد القريبة منه ، وقرأ على جماعة ، وأسس عدة مدارس ، ودرّس فيها بنفسه ، ثم اعتزل وانقطع في بيته للتأليف ، من مؤلفاته " تحفة الأحوذى في شرح جامع الترمذي " وله غير ذلك من المؤلفات . ينظر : " معجم المؤلفين " ( ٣ / ٣٩٤ ) .
- (٣) - " تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي " ( ١٠ / ٣١٦ ) .
- (٤) - " معالم السنن " بحاشية سنن أبي داود " ( ٥ / ٣٤٠ ) .
- (٥) - ينظر : " تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي " ( ١٠ / ٣١٧ ) .
- (٦) - ينظر : " المرجع السابق " ( ١٠ / ٣١٧ ) .



وقد وسم النبي ﷺ أبانراً - ﷺ - بالجاهلية عندما استنقص أحد الصحابة فغيره بأمه يروي لنا ذلك أبوذر نفسه ، فيقول : إنّه كان بيني وبين رجل من إخواني كلام . وكانت أمّة أعجميّة . فعيرتُهُ بأمه فشكاني إلى النبي ﷺ . فلقيت النبي ﷺ . فقال : (( يا أبانراً ! إنك امرؤٌ فيك جاهلية )) قلت يارسول الله ! من سبّ الرّجال سبوا أباه وأمّة . قال : (( يا أبانراً إنك امرؤٌ فيك جاهلية ... )) (١) . يقول القاضي عياض - رحمه الله - : (( الحديث : فيه النّهي عن التعبير بنقص الآباء ، كما نهى عن الفخر بذلك وأن الكلّ من فعل الجاهلية )) (٢) . والدّاعية إلى الله تعالى عندما يُصوّر حال هؤلاء المفاخرين بأنسابهم المحقّقين لمن دونهم . بذلك التصوير النبوي الذي يجعلهم في درجة متناهية من الحقارة والذلة والخساسة ، ولذلك فكلّ مسلم عاقل يسمع هذا الخطاب المشتمل على التّهديد والوعيد يبتعد عن أي سببٍ يُؤدّي إلى المفاخرة والاعتزاز بالأنساب بقصد الحط من قدر الآخرين واحتقارهم .

#### ب - التحذير من التّفاخر بالأنساب بأمثلة حسية من واقع المخاطب

تقدّم التحذير من التّفاخر بالنسب واحتقار الآخرين بالأحاديث النبوية المشتملة على منهج حسّي ، وهنا أضرب بعض الأمثلة الحسّية التي يمكن أن يتوصّل بها الدعاة إلى إقناع من وقع من المخاطبين في كبر التّفاخر بالنسب ، بأنّه خُلِق سيء مذموم ، صاحبه مكروه عند الله تعالى وعند الناس ، ولذلك يقال لهذا المتكبر المتفاخر بحسبه ونسبه : أتريد أن تعرف نسبك الحقيقي؟ إنّه التراب الذي تدوسه بأقدامك ، وتغسل منه أعضاءك ، وهذا هو الأصل الذي خلقت منه أوّل مرّة ، واستمع إلى الذي خلق سبحانه حيث يقول : ﴿ .. وبدأ خلق الإنسان من طين \* ثمّ جعل نسله من سلالة من ماء مهين ﴾ (٣) ، ويقول سبحانه : ﴿ هو الذي خلقكم من تراب ثمّ من نطفة ثمّ من علقه ﴾ (٤) .

(١) - أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الأيمان ، باب إطعام المملوك مما يأكل ، وإلباسه ما يلبس ولا يكلفه ما يغلبه (١٠٣٨/٣) ح (١٦٦١) .  
 (٢) - " إكمال المعلم بفوائد مسلم " (٤٣٣/٥) .  
 (٣) - سورة السجدة ، الآيتان ك (٧ - ٨) .  
 (٤) - سورة غافر ، جزء من الآية : (٦٧) .

يقول الإمام الغزالي - رحمه الله - : (( فمن أصله من التُّراب المهين الذي يُداس بالأقدام ثم خُمِر طينه حتى صار حمأ مسنوناً كيف يتكَبَّر ؟ وأخس الأشياء ما إليه انتسابه إذ يقال يا أذلّ من التُّراب ويا أنتن من حماة ويا أقذر من النطفة )) (١) .  
ومن أمثلة التَّكَبُّر بالنَّسَب : كرجل لم يزل عند نفسه أنّه من بني هاشم ، وقد أخبره والده بذلك ، فلم يزل فيه نخوة من الشَّرَف فبينما هو كذلك إذ أخبره عدولٌ لا يشكُّ في قولهم أنّه ابن هندي حجّام يتعاطى القاذورات ، وكشفوا له وجه التَّلَبُّس عليه فلم يبق له شك في صدقهم ، أفترى أنّ ذلك يُبقي شيئاً من كبره؟ لا بل يصير عند نفسه أحقر النَّاس ، وأذلّهم فهو من استشعار الخزي والخسة في شغل عن أن يتكبر على غيره ، فهذا حال البصير إذا تفكَّر في أصله وعلم أنّه من النُّطفة والمضغة والتُّراب (٢) .

ثمّ لننظر إلى بعض قرابة رسول الله ﷺ هل انتفعوا بانتسابهم إلى نسب رسول الله ﷺ ؟ فهذا أبو جهل (٣) ، وأمّية بن خلف (٤) لم ينتفعا بشرف النَّسَب ، لمحاربتهم للدِّين ، وموتهما على الكفر فأذلّهما الله تعالى وأخزاهما بالخلود الأبدي في نار جهنّم .

إذا التَّفَاخُر والكرامة والرِّقعة ليست بالنَّسَب ، إنّما هي بالإسلام والإيمان بالصلاح والنَّقْوَى ، يدلّ لذلك قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (٥) .  
ومن تخلّى عن الكبر ، وتواضع لله تعالى فإنّ الجنّة هي قراره ومسكنه ، يقول الله تعالى : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٦) .

(١) - " إحياء علوم الدين " (٥٥٩/٣) .

(٢) - ينظر : " المرجع السابق " (٥٥٩/٣) .

(٣) - هو : عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي ، كان أشدّ الناس عداوة للنبي ﷺ في صدر الإسلام ، وأحد سادات قريش في الجاهلية ، كان يُقال له " أبو الحكم " فدعاه المسلمون : " أبا جهل " وكان يُحرِّضُ الناس على محمد ﷺ وأصحابه ولا يفتر عن الكيد لهم والإيذاء بهم ، حتى كانت معركة بدر الكبرى ، فشهدا فقتله المسلمون . ينظر : " الأعلام " (٨٧/٥) .

(٤) - هو : أمّية بن خلف بن وهب ، من بني لؤي ، أحد جبابرة قريش في الجاهلية ومن ساداتهم . أدرك الإسلام ولم يُسلم ، وهو الذي عذب بلالا الحبشي عند إسلامه ، أسير يوم بدر ، فراه بلال فصاح بالناس ليقتلوه فقتلوه . ينظر : " الأعلام " (٢٢/٢) .

(٥) - سورة الحجرات ، الآية : (١٣) .

(٦) - سورة القصص ، الآية : (٨٣) .

### ثانياً : مظاهر الكبر العملية

وهي العلامات الحسية المُشاهدة التي تظهر على المتكبر من : التّبخر في المشية ، وتصعير الخدّ ، وجرّ الثّياب ، والتّقدّم في المجالس والمحافل ، وغير ذلك من صور الكبر العملية ، وسيكون الحديث عن مظهرين من هذه المظاهر ، لتكون أمثلة أبين من خلالها كيفية دعوة أصحابهما بالمنهج الحسي بنصوص السنة المشتملة على منهج حسي ، وبالأمثلة الحسية من واقع المدعويين على النحو التالي :

#### المظهر الأول : التّبخر في المشية ، وجرّ الثّياب

أ - التّحذير منه بنصوص السنة المُشتملة على منهج حسي :

يُعدّ هذا المظهر من أقبح مظاهر الكبر العملية ، ولذلك كانت عقوبته سريعة وعاجلة ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : (( بينما رجلٌ يمشي في حلّة تُعجبه نفسه مرّجلاً جمّته ، إذ خسف الله به فهو يتجلجل إلى يوم القيامة )) (١) ، وفي رواية : (( بينما رجل يتبختر ... )) (٢) .

هذا الحديث قصة نبوية اشتملت على منهج حسي فيه ترهيب شديد للمتكبرين ، فقد وصف الرسول صلى الله عليه وآله ذلك الرّجل الذي حلّت به العقوبة بوصف حسيّ وكأنّنا نراه بأعيننا الآن ، رجلٌ في كامل زينته يتمايل في مشيته ، مُصعراً خدّه شامخاً بأنفه إلى السّماء معجباً بنفسه وزينته ، وفجأة لا تراه العيون فقد ساخ في الأرض ، يُخسف به ويستقرّ بداخلها ، لكن الله تعالى يُعذبه عذاباً مؤلماً شديداً في داخلها إلى يوم القيامة ، يُعبّر عنه الرسول صلى الله عليه وآله بأسلوب حسيّ ترتجف القلوب لسماعه فيقول : (( فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة )) .

يقول القاضي عياض - رحمه الله - نقلاً عن الخليل (٣) : (( التجلجل : السّيوخ

(١) - " سبق تخريجه في الفصل الثاني " ( ص / ٢٨٨ ) وبيان المنهج الحسي ، والغريب الوارد في الحديث هناك .

(٢) - " سبق تخريجه " ( ص / ٢٨٨ ) .

(٣) - هو : الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي من أئمة اللغة والأدب ، وواضع علم العروض ، وهو أستاذ سيبويه النحوي ، وقد أبدع بدائع لم يسبق إليها ، فهو أول من استخرج العروض ، وحصر أشعار العرب بها ، وعمل أول كتاب " العين " المعروف الذي به يتهبأ ضبط اللغة ، كان من الزّهاد والمنقطعين للعلم ، ولد في البصرة سنة ١٠٠ هـ ، وتوفي بها عام ١٧٠ هـ . ينظر : " سير أعلام النبلاء " ( ٤٢٩ / ٧ ) ، " بغية الوعاة " للسيوطي ( ٥٥٧ / ١ ) .

في الأرض مع التّحرك والاضطراب )) (١) .  
 وإذا علم المتكبر أنّه قد يحلّ به العذاب الذي حلّ بمن قبله من المتكبرين ،  
 فإنّه يكون في حالة تكبره في خوف شديد يُرجى معه أن يُقلع عن ما هو فيه من  
 الإعجاب بالنفس والتكبر الذي ظهر على حركاته وتصرفاته .  
 وهذا الترهيب لا يخص المتكبر فحسب ، بل هو عام لجميع المخاطبين من  
 متكبرين وغيرهم ، لكن المتكبرين يدخلون فيه دخولا أولياً .

ومن إذلال الله تعالى للذين يتكبرون على عباده في الحياة الدنيا ؛ أن الله تعالى  
 لا ينظر إليهم يوم القيامة ، يدلّ لذلك ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه -  
 أنّ رسول الله ﷺ قال : (( لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جرّ إزاره بطراً )) (٢) .  
 وما جاء عن عبدالله بن عمر - رضي الله عنه - قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : (( من  
 تعظم في نفسه أو اختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان )) (٣) .

أي من جرّ إزاره تكبراً وبطراً وطغياناً ، لم ينظر الله تعالى إليه يوم القيامة  
 نظر رحمة (٤) ، كما قال تعالى : ﴿ ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم  
 عذاب أليم ﴾ (٥) .

وعندما توجّه هذه النصوص النبوية المشتملة على منهج حسّي لترهيب  
 المتكبرين ، أو التّحذير من الوقوع في الكبر ، يكون لها أثر عظيم في النفوس ،  
 لأنّ المسلم مفطور على الخير ، فإذا ذكّر بالله تذكّر ورجع وأتاب .  
**ب - التّحذير من التّبخر في المشي بأمثلة حسية من واقع المخاطب :**

سبق الحديث عن التّحذير من الكبر بالأمثلة الحسية النبوية ، وفيما يأتي نضرب  
 أمثلة حسية من واقع المدعو ، لإقناعه بخطورة الاختيال ، وإظهار الكبر في المشي  
 وجرّ الثياب :

- (١) - " إكمال المعلم بفوائد مسلم " (٦٠٢/٦) .
- (٢) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب اللباس ، باب : من جرّ ثوبه من خيلاء ،  
 (١٨٤٨/٤) ح (٥٧٨٨) واللفظ له ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب اللباس ، والزينة ، باب تحريم  
 جرّ الثوب خيلاء ... (١٣١٣/٣) ح (٢٠٨٥) .
- (٣) - أخرجه الإمام أحمد في " مسنده " (١٥٩/٢) ح (٥٩٨٩) ، والإمام البخاري في " الأدب المفرد " ،  
 (ص/١٩١) ح (٥٤٩) ، وصححه الشيخ الألباني في " صحيح الأدب المفرد " (ص/٢٠٧) ح (٤٢٧) ،  
 وفي " سلسلة الأحاديث الصحيحة " (٧٢/٢) ح (٥٤٣) .
- (٤) - ينظر : " فتح الباري بشرح صحيح البخاري " (٢٧٠/١٠) .
- (٥) - سورة آل عمران : جزء من الآية (٧٧) .

\* فيقال له : رأيت لو أن إنساناً مشى من أمامك مُتبختراً لا ينظر إليك إلا شزراً . هل تحبُّ هذا الإنسان أم تكرهه ؟ سيقول : لا أحبُّه ، بل أبغضه وأكرهه .  
فيقال له : كذلك النَّاسُ يكرهون الذي يتعالى عليهم ، ولا يُحبُّونَه . إذا فالأولى بك أن تحمد الله على نعمه ، فما بك من نعمة فهي من الله تعالى وحده . لا شريك له قال تعالى : ﴿ وما بكم من نعمة فمن الله ﴾ (١) .

\* ثم يقال له : انظر إلى السَّماء ، وإلى الجبال المرتفعة ، انظر إلى العمارات الشاهقة ما هو حجمك بالنسبة لها ؟ إنك تُعدُّ ذرَّةً لا وزن لها أمام هذه المخلوقات العظيمة ، فلماذا تختال في مشيتك والله جل جلاله قد نهاك عن هذه المشية المذمومة بقوله : ﴿ ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تحرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً ﴾ (٢) .

\* ويقال له أيضاً : رأيت لو أن لك صديقاً حميماً ، تسعد برؤيته ، وتحزن لفراقه ثم جئت يوماً من الأيام لتزوره في منزله ، فعندما رآك أعرض عنك ولم يرد عليك السلام ، وأغلق الباب في وجهك ، ألسنتك ستغضب وتحزن ، ويصيبك الهم والغم ؟ . فما بالك إذا كان الذي خلقك في أحسن تقويم ، وصورك في أحسن صورة وأنعم عليك بنعمه التي لا تعدُّ ولا تُحصى ، هو الذي سيعرض عنك يوم القيامة ولا ينظر إليك ، كما قال ﷺ : (( لا ينظر الله إلى رجلٍ يُجرُّ إزاره بطراً )) (٣) .

وإذا دعيتك نفسك يا أخي إلى أن تختال في مشيتك مُعجباً بجمالك وحسن لباسك وكثرة أموالك وأولادك ، فتذكر أنك خلقت من ماء دافق ، من نطفة مذرة ، قال تعالى : ﴿ فليُنظر الإنسان ممَّا خلُق \* خلق من ماء دافق ﴾ (٤) . وتذكر بأنك خرجت من مجرى البول مرتين ، يقول أنس بن مالك - رضي الله عنه - كان أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - يخطبنا فيُقدر إلينا أنفسنا ، ويقول : خرج أحدكم من مجرى البول مرتين (٥) .

واستمع إلى نضائح العلماء لبعض من وقع في هذا النوع من الكبر . يذكر الإمام الغزالي في (( الإحياء )) أن عمر بن عبدالعزيز (١) - رحمه الله - حجَّ قبل

(١) - سورة النحل ، جزء من الآية : (٥٣) .

(٢) - سورة لقمان ، جزء من الآية : (١٨) .

(٣) - " سبق تخريجه " ( ص / ٥٧٩ ) .

(٤) - سورة الطارق ، الأيتان : (٥ - ٦) .

(٥) - ينظر : " إحياء علوم الدين " للإمام الغزالي (٣/٥٦٠) .

(٦) - هو : عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي ، الخليفة العادل ، خامس الخلفاء الراشدين ، ولد ونشأ بالمدينة ، وولي إمارتها للوليد ، ثم استوزره سليمان بن عبد الملك بالشام ، وولي الخلافة سنة ٩٩هـ ، وأخبره في عدله ، وحسن سياسته كثيرة ، توفي عام (١٠١هـ) . ينظر : " سير أعلام النبلاء " (٥/١١٤) ، " شذرات الذهب " (١/١١٩) ، " الأعلام " (٥/٥٠) .

أن يُستخلف ؛ فنظر إليه طاووس (١) وهو يختال في مشيته فغمز جنبه بأصبعه ثمّ قال : ليست هذه مشية من في بطنه خراء ؟ .

ورأى محمد بن واسع (٢) - رحمه الله - ولده يختال فدعاه وقال : أتدري من أنت ؟ . أمّا أمك فأشتريتها بمائتي درهم ، وأمّا أبوك فلا أكثر الله في المسلمين مثله! ويُروى أن مطرف بن عبدالله ابن الشخّير (٣) رأى المهلب (٤) ، وهو يتبختر في جبّة خز ، فقال : يا عبدالله هذه مشية يبغضها الله ورسوله ، فقال له المهلب : أمّا تعرفني ؟ فقال بلى أعرفك أولئك نطفة قذرة وأخرتك جيفة قذرة وأنت بين ذلك تحمل العذرة ! فمضى المهلب وترك مشيته تلك (٥) .

وبيّن الله تعالى في الحديث القدسي عجز الإنسان وضعفه ، وأصل خلقته ، فعن بُسر بن جحّاش القرشي (٦) - رضي الله عنه - قال : إن رسول الله صلّى الله عليه وآله بزق في كفه ثم وضع عليه إصبعه ثم قال : (( يقول الله تبارك وتعالى يا ابن آدم تعجزني وقد خلقتك من مثل هذا حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت وجمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقي قلت : أتصدق وأنّي أوان الصدقة )) (٧) .

- (١) - هو : طاووس بن كيسان ، أبو عبدالرحمن الفارسي ثم اليماني من أكابر التابعين فقها في الدين ، ورواية للحديث ، وجرأة على وعظ الخلفاء والملوك ، أصله من الفرس ، ومولده ومنشأه في اليمن ، توفي حاجاً بالمزدلفة أو بمنى سنة حجّ فيها هشام بن عبدالملك ، فصلّى عليه ، وهي سنة ١٠٦هـ ، ينظر : " سير أعلام النبلاء " (٣٧/٥) ، " الأعلام " (٢٢٤/٣) .
- (٢) - هو : محمد بن واسع بن جابر بن الأحنس الأزدي البصري ، من تلاميذ مطرف بن عبدالله الشخّير ، وحدث عن أنس بن مالك ، ومحمد بن سيرين ، وغيرهما ، ثقة ، عابد ، صالح ، زاهد ، توفي سنة ١٢٣هـ . ينظر : " سير أعلام النبلاء " ، " الأعلام " (١٣٣/٧) .
- (٣) - هو : مطرف بن عبدالله بن الشخّير العامري البصري ، الإمام القدوة ، الحجّة ، الزاهد ، من كبار التابعين ، له كلمات في الحكمة مأثورة وأخبار ، ثقة ، من رواة الحديث ، ولد في عهد النبي صلّى الله عليه وآله ، وسمع من الصحابة ثمّ أقام بالبصرة ، وتوفي بها سنة ٨٧هـ ، وقيل غير ذلك . ينظر : " سير أعلام النبلاء " الأعلام " (٢٥٠/٧) .
- (٤) - هو : الأمير البطّل ، قائد الكتائب ، أبو سعيد ، المهلب بن أبي صفرة ظالم بن سراق بن صبح بن كندي بن عمرو الأزدي العتكي البصري . أدرك عمر ولم يرو عنه شيئاً ، حدث عن عبدالله بن عمرو بن العاص ، وسمرة بن جندب وابن عمرو والبراء بن عازب ، - غزا المهلب الهند ، وولي الجزيرة لابن الزبير ، وحارب الخوارج ، ثم ولي خراسان ، توفي غازياً بمرور الروذ في ذي الحجة سنة اثنتين وثمانين ، وقيل : في سنة ثلاث وثمانين . ينظر : " الطبقات " لابن سعد (١٢٩/٧ - ١٣٠) ، " سير أعلام النبلاء " (٣٨٥ - ٣٨٣/٤) .
- (٥) - ينظر : " إحياء علوم الدين " (٥٢٦/٣) .
- (٦) - هو : بُسر بن جحّاش ويقال جحّاش ، القرشي ، قال ابن منده : أهل العراق يقولون : بُسر بالسين ، وأهل الشام بالشين ، بُسر ، له صحبة عداة في الشاميين ، روى عنه جببر بن نفيّر حديثاً واحداً ، توفي بمحص . ينظر : " الإصابة " (٤٢٣/١) ، " تهذيب التهذيب " (٣٣٤/١) .
- (٧) - أخرجه الإمام ابن ماجة في " سننه " كتاب الوصايا ، باب النهي عن الإمساك في الحياة والتذيير عند الموت ، (٣١٥/٣) ح (٢٧٠٧) ، والإمام الحاكم في " المستدرک " كتاب الرقاق (٣٥٩/٤) ح (٧٩١٩) ، وقال : " هذا حديث صحيح الإسناد " ، ووافقه الذهبي ، وحسنه الشيخ الألباني في " صحيح سنن ابن ماجة " (٣٦٤/٢ - ٣٦٥) ح (٢٢٠٥) واللفظ للحاكم .

### المظهر الثاني : الظلم والبطش والقسوة

وهذه صفات أهل النار ، لما ثبت في الصّحّيحين عن حارثة بن وهب (١) - رضي الله عنه - قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : (( ... ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عتلّ (٢) جواظ (٣) مُستكبر )) (٤) .

وفي رواية عنه - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : (( لا يدخل الجنة الجواظ ولا الجعظري (٥) )) ، قال والجواظ : الغليظ الفظ (٦) .

وهذه الصفات من الكبر تظهر على السّلاطين ، والولاة ، وأصحاب الجاه والمناصب والمال ، وغيرهم من أصحاب القوة والمنعة من ضعاف الإيمان .

والدّاعية إذا أراد دعوتهم وتحذيرهم من هذا الخلق المذموم ، فإنه يستفيد من نصوص الكتاب والسنة ، وضرب الأمثلة الحسية من بيئتهم ، حتّى يتمّ إقناعهم بخطورة ما هم عليه من مخالفة هدى الكتاب والسنة ، وحيث إنّ المجال الذي نبخته هو المنهج الحسّي في السنّة فسأورد بعض الأمثلة الحسية المشتملة على الترهيب الشّديد من هذا المظهر ، وأيضاً بعض الأمثلة الحسية من واقع المدعو ، وإليك بيان ذلك :

#### أ - التّحذير بالنصوص النّبوية المشتملة على منهج حسي :

\* يُقال لأولئك المتكبرين : إنّ عاقبة الكبر في الآخرة شديدة وأليمة ، واستمعوا إلى ما أخبر به نبيكم محمد ﷺ عن بعض ما يُلاقيه المتكبرون يوم القيامة ،

- (١) - هو : حارثة بن وهب الخزاعي ، أمّه أم كلثوم بنت جروم بن مالك الخزاعية ، فهو أخو عبيد الله بن عمر بن الخطاب لأمّه ، له رواية عن النبي ﷺ ، وعن حفصة بنت عمر وغيرها ، وله في الصّحّيحين أربعة أحاديث ، وزوى عنه أبو إسحاق السّبيعي ، ومعيد بن خالد وغيرهما ، يُعدّ في الكوفيين . ينظرو : " تهذيب الكمال في أسماء الرجال " (٣١٨/٥) ، " الإصابة " (٧٠٨/١) .
- (٢) - " عتلّ " هو الشّديد الجافي ، والفظ الغليظ من الناس . " النهاية في غريب الحديث " (١٨٠/٣) مادة ( عتل ) .
- (٣) - " جواظ " : الجواظ : قيل : هو الجموع المنوع ، وقيل الكثير اللحم المختال في مشيته . " المرجع السابق " (٣١٦/١) ، مادة ( جوظ ) .
- (٤) - متفق عليه : أخرجه الإمام البخاري في " صحيحه " كتاب الأدب ، باب : الكبر . (١٩١٧/٤) ح (٦٠٧١) ، والإمام مسلم في " صحيحه " كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب النار يدخلها الجبارون ، والجنة يدخلها الضعفاء . (٨٧٣٦/٤) ح (٢٨٥٣) .
- (٥) - " الجعظري " : هو الفظ الغليظ المتكبر ، وقيل : هو الذي ينتفخ بها ليس عنده وفيه قصر . " النهاية في غريب الحديث " (٢٧٦/١) مادة ( جعظر ) .
- (٦) - أخرجه الإمام أبي داود في " سننه " كتاب الأدب ، باب في حسن الخلق . (١٤٩/٥) ح (٤٨٠١) ، وصححه الشيخ الألباني في " صحيح سنن أبي داود " (١٧٩/٣) ح (٤٨٠١) .

فعن عمرو بن شعيب - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وآله قال : (( يُحشَر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان فيساقون إلى سجن في جهنم يُسمّى بولس تطوهم نار الأنيار يُسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال )) (١) .

فهذا الحديث يُصوّر الذلة والمهانة التي يُلاقِيها المتكبرون في نار جهنم بسبب بطشهم وقسوتهم وظلمهم لعباد الله .

ومن العذاب الذي أعدّه الله تعالى للجبارين والظلمة والمتكبرين ، ما جاء عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : (( يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان تُبصران ، وأذنان تسمعان ، ولسان ينطق ، يقول : إنّي وكّلت بثلاثة : بكلّ جبار عنيد ، وبكلّ من دعا مع الله إلهاً آخر ، وبالمصورين )) (٢) .

أي أنه تخرج قطعة من النار على هيئة الرقبة الطويلة (٣) ، لها أذنان تسمع بهما ، ولسان تنطق بها وتقول : (( إنّي وكّلت بثلاثة : بكلّ جبار عنيد ... )) والعاقل عندما يسمع هذا التّصوير الحسّي للعذاب الأليم الذي أعدّه الله تعالى لذلك الصّنف من المتكبرين ، يبتعد عن ظلم النّاس والتّعالي عليهم بالبطش والقوة ، ويعاملهم بالرفق واللين .

#### ب - التّحذير من كبر الظلم والبطش والقسوة بأمثلة حسية من بيئة المخاطب :

من مظاهر الكبر العملية الاعتداء على النّاس بالضرب أو السجن أو القتل وغيرها من المظاهر التي سببها الكبر ، وقد تقدّم التّحذير منها بالأمثلة الحسية النبوية ، وهنا يحذر منها بالأمثلة الحسية من بيئة المخاطب ، ومن ذلك :

- (١) - " سبق تخريجه " ، وبيان ما فيه من الغريب (ص / ٤٥٦) .
- (٢) - أخرجه الإمام الترمذي في " سننه " كتاب " صفة جهنم " ، باب : في صفة النار ، (٧٠١/٤) ح (٢٥٧٤) ، وصححه الشيخ الألباني في " صحيح سنن الترمذي " (٣٢٠/٢) ح (٢٠٨٣) ، " صحيح الجامع الصغير " (١٣٣٨/٢) ح (٨٠٥١) .
- (٣) - ينظر : " تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي " (٢٤٩/٧) .



- من المعلوم أنّ القوة التي يمتلكها الإنسان هي مِنّة من الله تعالى عليه ، سواء كانت هذه القوة في الجسم ، أم في المال والسلطان أم في الجاه والمنصب ، ولذلك يُقال لمن تكبّر بهذه الأمور : رأيت الذين يبتليهم الله تعالى بالأمراض المُستعصية كالسرطان ، وتجلط الدّم في القلب والدماغ ، كيف صار حالهم بعد أن كانوا أقوياء أشداء ينعمون بالصحة والعافية .

ألسنت قد أصبت يوماً من الأيام بجمي (( الإنفلونزا )) فارتفعت حرارتك وضعفت قواك وأقعدت في الفراش أياماً بسببها ، وهي فيروس صغير جداً لا يُرى إلا بالمكبرات التي تكبر الأجسام آلاف المرات .

أرأيت الذين قد شئت أيديهم وأرجلهم ، فلا يستطيعون حراكاً ، أرأيت الذين نُحلت أجسامهم ، وشُحبت ألوانهم بسبب أمراض السكر ، وفقر الدّم وغيرها . أما علمت أنك مع تكبّرك عبد ضعيف ، لا حول لك ولا قوة إلا بالله ، والدليل الحسي على ضعفك أنّه لو دخل في أنفك أو أذنك حشرة صغيرة لأذتك ، ولما استطعت مقاومتها ، وقد تقتلك ، وقد وقع هذا لعدو الله النمرود وقومه ، بسبب تكبرهم وكفرهم وطغيانهم وإذلالهم لعباد الله ، فسأط الله تعالى عليه من أضعف مخلوقاته فأبادت خضراء قومه ، وعذب بها بعدهم حتى قتلته .

يقول الإمام ابن كثير - رحمه الله - : (( .. فجمع النمرود جيشه وجنوده وقت طلوع الشمس ، وأرسل الله عليهم باباً من البعوض بحيث لم يروا عين الشمس ، وسلطها الله عليهم فأكلت لحومهم ودماءهم ، وتركتهم عظاماً بادية ودخلت واحدة منها في منخري الملك أربعمئة سنة ، عذبه الله بها ، فكان يُضرب رأسه بالمرازب في هذه المدة حتى أهلكه الله بها )) (١) .

ويا عبدالله أما نظرت إلى مصائر المتكبرين في القرآن الكريم ، وكيف صور حالهم ونهايتهم بقوله سبحانه وتعالى : ﴿ ألم تر كيف فعل ربك بعاد \* إرم ذات العماد \* التي لم يخلق مثلها في البلاد \* وثمود الذين جابوا الصخر بالواد \* وفرعون ذي الأوتاد الذين طغوا في البلاد \* فأكثروا فيها الفساد \* فصبّ عليهم ربك سوط عذاب ﴾ (٢) .

(١) - " تفسير القرآن العظيم " (١/٤٢١) .

(٢) - سورة الفجر ، الآيات : (٦ - ١٣) .

وإذا كان الإنسان بهذه الدّرجة من الضّعف بحيث لا يستطيع أن يدفع عن نفسه أصغر المخلوقات فلماذا هذا الافتخار بالقوة؟ والتجبر على عباد الله، يقول الإمام الغزالي - رحمه الله - (( ثمّ إن قوي الإنسان فلا يكون أقوى من حمار أو بقرة أو فيل أو جمل ، وأي افتخار في صفة يسبقك بها البهائم ))<sup>(١)</sup> .

وبهذه الأمثلة الحسية من واقع المدعو يستفيد الداعية منها في إقناعه ، بخطورة هذا المظهر البغيض من مظاهر الكبر ، حتى يفيق من غفلته ويثوب إلى رشده ، ويعرف قدر نفسه ، ويتصف بصفات أهل الإيمان من التواضع ، ولين الجانب وحسن الخلق .

وإذا كان الداعية حريصاً على ضرب الأمثلة الحسية للمدعويين من المسلمين لينتھوا عن المعاصي ويزدادوا إيماناً ، فإنه ينبغي له أن يكون أشدّ حرصاً على الاستفادة منها في دعوة غير المسلمين ، لإقناعهم بالإسلام للدخول فيه ، ليفوزوا بسعادة الدنيا والآخرة ، وأيضاً إزالة الشبهات التي يثيرها بعضهم ، وهذا ما سنعرض له في المبحث التالي - بمشيئة الله تعالى - :

(١) - " إحياء علوم الدين " (٣/٥٦٠) .

## المبحث الثاني : استفادة الدّاعية من المنهج الحسّي في دعوة غير المسلمين .

وفيه تمهيد ومطلبان :

**المطلب الأول : استفادة الدّاعية من المنهج الحسّي في إقناع  
غير المسلمين بالإسلام .**

**المطلب الثاني : استفادة الدّاعية من المنهج الحسّي في الردّ على  
شبهات غير المسلمين .**

### تمهيد

الدعوة إلى الله تتناول أهل الإسلام ، لترغيبهم في الاجتهاد في الطاعات ، والإقلاع عن جميع المحرمات ، وقد سبق بيان ذلك في المبحث الأول .  
وتتناول أيضاً أهل الكفر والإلحاد لإقناعهم بدين الله ، وتوجيههم إلى صراطه المستقيم ؛ إذ هم عباد الله وقلوبهم بيده يصرفها كيف شاء ، والدّاعة إلى الله يعلمون عظيم الأجر الذي يعطيه الله لمن اهتدى على يديه رجلٌ واحدٌ ، لقول الرسول الكريم ﷺ : (( فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً ، خير لك من أن يكون لك حُمْر النَّعَم )) (١) .

ويعلمون أنّهم بوصفهم ثواباً عن رسول ﷺ في مسؤولية البلاغ ، (( بلغوا عني ولو آية )) (٢) ، يجب عليهم أن يبلغوا دين الله ، مستخدمين في إبلاغهم كلّ الوسائل الممكنة ، وقد أظهر الله للناس في هذا العصر من دلائل قدرته وعظمته الكثير مما كان خفياً على أسلافهم ومن سبقوهم ، فازداد بذلك يقين أهل الإيمان ، وهدى الله من شاء من غيرهم ، وقامت الحجة على بعض أهل العناد والإلحاد ، وتبين لهم أنّ دين الله حق ، وأقرّ الكثير منهم بذلك يقول الله تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُم أَنَّهُ الْحَقُّ ... ﴾ (٣) .

وفي هذا المبحث سأعرض - بإذن الله تعالى - لدعوة غير المسلمين بالمنهج الحسّي ، بتوجيه عقولهم وأفكارهم إلى مظاهر قدرة الله تعالى في الأنفس والآفاق ، ودلائل وجوده ، ووحدانيته ، وبيان بطلان بعض الشبهات التي يثيرونها ويتشبهون بها ؛ لأنّ ذلك إن لم يكن سبباً في هدايتهم ، فإنّه يزيل العوائق التي تحول دون إيمان ممن يشاء الله هدايته ، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - :  
(( ... المخاطب بالمناظرة إذا ناظره العالم المبين للحجة : إمّا أن يكون ممن يفهم الحق ويقبله ، فهذا إذا بين له الحق فهمه وقبله ، وإمّا أن يكون ممن لا يقبله إذا فهمه أو ليس له غرض في فهمه ، بل قصده مجرد الردّ له ، فهذا إذا نوّظر بالحجة انقطع

(١) - أخرجه الإمام البخاري بتمامه في " صحيحه " كتاب المغازي ، باب : غزوة خيبر ، (٣/١٢٨١) ح (٤٢١٠) .

(٢) - أخرجه الإمام البخاري بتمامه في " صحيحه " ، كتاب الأنبياء ، باب : ما ذكر عن بني إسرائيل . (٢/١٠٧٥ - ١٠٧٦) ح (٣٤٦١) .

(٣) - سورة فصلت ، جزء من الآية : (٥٣) .

وانكف شره عن الناس وعدوانيته ... وإمّا أن يكون الحق قد التبس عليه ، وأصل قصده الحق ، لكن يصعب عليه معرفته لضعف علمه بأدلة الحق ، مثل من يكون قليل العلم بالآثار النبوية الدّالة على ما أخبر به من الحق ، أو لضعف عقله لكونه لا يمكن أن يفهم دقيق العلم ، أو لا يفهمه إلا بعد عسر ، أو قد يسمع من حجج الباطل ما اعتقد موجبه وظنّ أنه لا جواب عنه ، فهذا إذا نوظر بالحجة أفاده ذلك إمّا معرفة بالحق ، وإمّا شكاً وتوقفاً في اعتقاده الباطل ، أو في اعتقاده صحة الدليل الذي استدل به عليه ، ويبعث همته على النظر في الحق وطلبه إن كان له رغبة في ذلك ))<sup>(١)</sup> .

وإليك بيان ذلك في المطلبين الآتيين :

(١) - " درء تعارض العقل والنقل " (١٦٧/٧ - ١٦٨) .

**المطلب الأول : استفادة الدّاعية من المنهج الحسّي في  
إقناع غير المسلمين بالإسلام .**

وفيه مسلكان :

**المسلك الأول : إثبات وجود الخالق سبحانه .**

**المسلك الثاني : إثبات وحدانية الخالق سبحانه .**

## المسلك الأول

### إثبات وجود الخالق سبحانه

إذا تأمل الإنسان وفكّر فيما حوله من الموجودات والكائنات على اختلاف أنواعها ، علم أنّ لها خالقاً ومدبّراً<sup>(١)</sup> ؛ فانظر أيّها العاقل إلى السّماء وما فيها من أجرام وكواكب ومجرّات ، انظر إلى ذلك البناء المحكم الخالي من الشقوق والفروج ، واستمع إلى قوله تعالى : ﴿ أفلم ينظروا إلى السّماء فوقهم كيف بناها وزيّناها وما لها من فروج ﴾<sup>(٢)</sup> ، وقوله تعالى : ﴿ فارجع البصر هل ترى من فطور \* ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير ﴾<sup>(٣)</sup> .

انظر إن كنت تعقل إلى هذه الأرض التي جعلها الخالق مهاداً لما فوقها من مخلوقات سخرها لهم ، قدّر فيها الأقوات ، وأخرج منها الماء والمرعى ، بألوان مختلفة وطعوم متفاوتة ، وهي متجاورة تسقى بماء واحد ويُفضل بعضها على بعض في الأكل ، أجرى فيها الأنهار والبحار ، بمقادير يعلمها سبحانه ، وجعل منها العذب السائغ ، والملح الأجاج ، وجعل فيها من مخلوقاته ما شاء ، وجعل حيوانات البحر تحيي في الماء ولا تحيي في غيره ، كما أنّ الحيوانات التي تعيش في اليابسة لا تتحمل الماء ولو غرقت فيه لانتهت حياتها من فورها وكلّ هذا مُشاهد في حياة النّاس ، فمن الذي قدّر هذه المقادير ؟ وجهاز كلّ حي بما يُناسب البيئة التي قدّر له أن يعيش فيها ،؟! من الذي ألهم الحيوانات البحرية أنّها لا تعيش في غير الماء فلزمت الماء ولم تفارقه؟! ومن الذي ألهم الحيوانات البرية أنّ البحر يُغرقها ويهلكها فلم تقربه؟! إنّه خالقنا و ﴿ ربّنا الذي أعطى كلّ شيء خلقه ثم هدى ﴾<sup>(٤)</sup> .

وانظر إلى خلقك أيّها الإنسان حيث صورك الخالق من ماء ، ثم تحولت إلى دم في طور آخر ، ثم تحولت إلى مُضغة ، وخلق الخالق عظامك ، وكساها لحماً ، وهياً لك الأجهزة التي تحتاجها وأنت في بطن أمك إنه تدبير مُحكم يقتضي بالضرورة

(١) - ينظر : " العلم يدعو الإيمان " تأليف / ا . كريسي موريسون ، ترجمة / محمود صالح الفلكي (ص/٤٦) ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، ط/١ ، ١٩٨٦ م .

(٢) - سورة ق ، الآية : (٦) .

(٣) - سورة الملك ، الأيتان : (٣ ، ٤) .

(٤) - سورة طه ، جزء من الآية : (٥٠) .

وجود مُدبّر خالق ، فلا يعقل أن يخلق الجنين نفسه ، أو يتخلّق عن طريق الصدفة أو الطّبيعة ، أو يكون للأب أو الأمّ القدرة على تخليفه ، مع جهلها بالحالات والأطوار التي يمرُّ بها ، وقد اطلع علماء الطب عن طريق (( الميكروسكوب )) على كثير من الأحوال التي يمرُّ بها الجنين وهي في مجملها تدلُّ على وجود الخالق بما لا يدع مجالاً للشك ﴿ أفأريتم ما تُؤمنون \* بأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ﴾ (١) .

ومما أوضحه علماء الأجنة أنّ الجنين يتغذى في بطن أمّه بواسطة الحبل السري (٢) ، وأن الجنين يخرج من بطن أمّه مزوداً بالأجهزة التي يحتاج إليها (٣) ، بل وبعض التجارب ، حيث اكتشفوا أنّه يتدرب على الرضاعة فيرضع أصابعه وهو في بطن أمّه ؛ ليكون مهياً لرضاعة الثدي بعد ولادته ، بل قالوا إنّه يتسمع الأصوات قبل ولادته ، وبذلك فسروا ميله إلى أبيه قبل أن يعقل (٤) ، وهذا وإن لم يكن مُدركاً بالحواس المعتادة ، فقد أدركه المتخصصون في هذا المجال بوسائلهم الخاصّة وصوّروه حتى صار بمثابة المحسوسات العادية ، ونحن ندرك بالحواس المجرّدة من مزايا هذه الأجهزة التي زودنا الخالق بها ما يكفي لإثبات وجود المولى سبحانه فقد زودنا الخالق بحاسة السَّمع ، التي بها نسمع الأصوات ، فنتجنّب المخاطر ونأخذ الحيطة والحذر مما يُخاف ويُحذر ؛ لأننا عندما نسمع صفارات الإنذار في العصر الحديث ، نبدأ بالإجراءات الواقية الممكنة ، كذلك كان أهل البادية يسمعون زئير الأسد وأصوات الحيوانات المفترسة فيبتعدون عن أماكن الخوف والخطر وقد توصل أصحاب العلم الحديث إلى اكتشاف أمور تتعلق بكيفية سماع الصّوت فبينوا (( أنّ الاهتزاز الذي يُحدثه الصّوت في الهواء يُنقل إلى الأذن التي تنظم دخوله ليقع على طبلة الأذن ، وهذه تنقلها إلى التّيّه داخل الأذن )) (٥) ، وفي داخل الأذن أقواس صغيرة تبلغ أربعة آلاف ، وفيها مائة ألف خلية تساعد على السَّمع (٦) .

- (١) - سورة الواقعة ، الآيتان : (٥٨ ، ٥٩) .
- (٢) - ينظر : " الطب محراب الإيمان " للدكتور خالد جليبي (٨٢/١) مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط/٢ ، ١٤٠٢هـ .
- (٣) - ينظر : " علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة " هيئة الاعجاز العلمي في القرآن والسنة ، (ص/١٦٧) ، رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة . بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها .
- (٤) - ينظر : " نشأة الإنسان بين العلم والقرآن " للدكتور : توفيق علوان ، ( شريط فيديو ) إصدار مؤسسة قرطبة للإنتاج الفني ، الرياض ١١٤٥٦ - ص . ب ٢٤٧٩٢ ، هاتف : (٤٧٩١٣٢٣) .
- (٥) - " الله والعلم الحديث " ، تأليف / عبدالرزاق نوفل (ص/٢٣) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤١٠هـ بدون ذكر رقم الطبعة .
- (٦) - ينظر : " المرجع السابق " ، (ص/٤٣) .



(( وإذا كان أمر سماع الإنسان للصوت .. من الأعاجيب فكيف بمعرفة الإنسان للصوت وصاحبه وتمييزه )) (١) .

وحاسة الإبصار التي أودعها الله في العين وهياها لاستقبال الضوء ، وجعل لها غطاء يمنع عنها الأتربة وهو الجفن وأهدابه ، وزودها بسائل يبعد عنها الأوساخ التي تسقط فيها من تراب وحصى فهو بمثابة المُطهر لحدقة العين فسبحان من خلقها وصورها ، وما تشتمل عليه من الصلبة ، والقرنية ، والمشيمية ، والشبكية (٢) .

يقول عبدالرزاق نوفل : (( ... ويكفي أن نعلم أن مُعجزة الإبصار هي : أن صورة الشيء المنظور تُطَبِّعُ معكوسة على الشبكية ، وينقل العصب البصري هذه الصورة المعكوسة الشكل إلى المُخ ، فيعيد لها المخ إلى العين وقد عكسها مرة أخرى أي عدّلها فيراها الناظر معدولة وغير معكوسة . فهل سبق أن رأى إنسان ما مرة واحدة صورة معكوسة في تاريخ البشرية الطويل ؟ إذا كان ذلك لم يحدث ، ولن يحدث فهل بعد ذلك إلى المصادفة من سبيل ؟! وهل بعد ذلك آية أبلغ تدل على وجود الله )) (٣) .

ومن الأمور العجيبة في خلق الإنسان تميز كل إنسان في صورته ، وصوته ، ومشيته ، فلو اجتمع الملايين في مكان واحد لكان لكل واحد منهم مميزات وخصائص يُعرف بها بحيث لا يشتبه بغيره فقد ميزه الله بقسمات وجهه وبلون عينيه وشعره ، وامتداد قامته ، بل وفي صوته ما يميز به عن غيره ، فسبحان القادر الحكيم وإذا تقاربت هذه كلها فالبصمات كقيلة بالتمييز ، وهي من العجائب التي أودعها الله في بني آدم ؛ حيث ميز كل إنسان ببصمة خاصة به لا يشتبه مع غيره فيها ، يقول الدكتور : خالص جلبي - حفظه الله - : (( إنَّ الإنسان وشخصيته تكمن بشكل محدد ومنفرد في البصمة ، فقد يتقارب الطول أو يتشابه القد ، أو يختلط لحن الصوت ، ومزاج النفس ، وأخلاق البدن ، قد تضع الفروق الفردية وتتشابه

(١) - المرجع السابق " ، (ص/٤٤) .

(٢) - ينظر : " الله والعلم الحديث " مرجع سابق (ص/٤٤) ، " جسم الإنسان وكيف يعمل ؟ " للدكتور : محمد كمال عبدالعزيز (ص/١٤٥ - ١٤٦) ، دار النصر للطباعة والنشر - القاهرة ، بدون ذكر رقم الطبعة ، وتاريخها .

(٣) - ينظر : " المرجع السابق " (ص/٤٤) ، وينظر أيضاً : " رحلة الإيمان في جسم الإنسان " للدكتور : حامد أحمد حامد ، دار القلم - دمشق ، ط/١ ، ١٤١١هـ ، (ص/١٧٥ - ١٩٤) ، " الطب محراب الإيمان " ، (٢٠٢/١ - ٢٢١) .

الوجوه ولكن هناك شيء محدد لا يتشابه إنه البصمة أو ختم الإنسان الخاص المميز لشخصية إنسانية واحدة ((<sup>(١)</sup>).

قال الله تعالى : ﴿ وفي الأرض آيات للموقنين \* وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾<sup>(٢)</sup>.

يقول الأستاذ سيد قطب - رحمه الله - مُعلقاً على الآيتين : (( .. هذا الكوكب الذي نعيش عليه معرض هائل لآيات الله وعجائب صنعته ، معرض لم نستجل منه حتى اللحظة إلا القليل من بدائعه ، ونحن نكشف في كل يوم جديداً منه ، ونطلع منه على جديد .. ومثل هذا المعرض معرض آخر مكنون فينا نحن .. النفس الإنسانية .. الخفية الأسرار ، التي تتطوي فيها أسرار هذا الوجود كله ، لا أسرار الكوكب الأرضي وحده !

وإلى هذين المعرضين الهائلين تشير الآيتان تلك الإشارة المختصرة ، التي تفتح هذين المعرضين على مصاريعهما لمن يُريد أن يُبصر ، ولمن يريد أن يستيقن .. ((<sup>(٣)</sup>.

وخلاصة القول أن الدعاة إلى الله تعالى يُمكن أن يُقنعوا أهل الكفر باستخدام الوسائل المعاصرة ، وخاصة ذوي الاختصاص والنباهة منهم ، وفي لفت النظر ، وتوجيه العقل والحس إلى هذه المخلوقات التي يشكل الإنسان عنصراً من عناصرها وخلق السماوات والأرض أكبر وأعظم منه ، دلائل مبيّنة أن لهذا الكون إليها أوجده من العدم وسيّره بتدبير مُحكم لا اختلاف فيه . فحدّد لكل مخلوق من هذه المخلوقات مكاناً ووظائف قدرها ؛ فلا يُخالف ما قدر له ولا يتعدّاه ، وكل هذا التدبير والتنظيم والتناسق والتوافق ، والتوازن يدلّ على وجود إله خالق مُدبّر ، هو الذي خلقه وأبدعه ودبّر سائر أموره ، يقول أحد علماء الطبيعة الأمريكيين<sup>(٤)</sup> : (( إنّ جميع ما في الكون يشهد على وجود الله سبحانه ، ويدل على قدرته وعظّمته ، وعندما نقوم نحن العلماء بتحليل ظواهر هذا الكون ودراستها ، حتّى باستخدام الطريقة

(١) - " الطب محراب للإيمان " (٢٦٢/٢) ، مرجع سابق .

(٢) - سورة الذاريات ، الآيات : (٢٠ ، ٢١) .

(٣) - " في ظلال القرآن " (٣٣٧٨/٦) مرجع سابق .

(٤) - هو : الدكتور/ ميرايث ستانلي كونجدين - عالم طبيعي وفيلسوف ، أستاذ جامعي ، وعضو الجمعية الأمريكية الطبيعية ، أخصائي في الفيزياء ، وعلم النفس ، وفلسفة العلوم والبحوث الإنجيلية ، ينظر : " الله يتجلى في عصر العلم " (ص/٢٢) تأليف نخبة من العلماء الأمريكيين ، ترجمة الدكتور / الدمرداش عبدالمجيد سرحان ، دار القلم - بيروت ، بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها .

الاستدلالية ، فإننا لا نفعل أكثر من ملاحظة آثار أيادي الله وعظمته ، ذلك هو الذي لا نستطيع أن نصل إليه بالوسائل العلمية المادية وحدها ، ولكننا نرى آياته في أنفسنا وفي كلّ ذرّة من ذرات هذا الوجود . وليست العلوم إلا دراسة خلق الله وآثار قدرته ((<sup>(١)</sup> .

ونكتفي بما تقدم من الأدلة الحسية والعقلية على وجود الله تعالى ، لإقناع أولئك الملحدين ، وإن كان الأمر لا يحتاج إلى ذلك ؛ لأنّ الناس مجبولون على الإقرار الفطري بالله تبارك وتعالى ، وأنّ الاعتراف بوجود الصانع كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (( ثابت في الفطرة قرره الله في مواضع من كتابه ... فلا يحتاج إلى دليل بل هو أرسخ المعارف وأثبت العلوم وأصل الأصول ))<sup>(٢)</sup> .

(١) - " المرجع السابق " (ص/٢٦) .

(٢) - " مجموع الفتاوى " (٧٢/٢) .

## المسلك الثاني

### إثبات وحدانية الخالق سبحانه

إنّ إثبات وحدانية الله تبارك وتعالى - في الألوهية هو مناط الإيمان بالله وحده ، وإخلاص العبادة له ، وهو الهدف الأكبر للدعوة ، وهو الذي من أجله أنزلت الكتب وبعثت الرسل وخلقت الجن والإنس ، وعليه مدار الجزاء والثواب في الدنيا والآخرة . وهذا الكون المُحكّم في خلقه وتكوينه ، في تسييره وتصريفه ، في تعاقب ليله ونهاره ، في قيام سمائه وأرضه ، دالٌّ على أنّ الإله الذي خلقه وقدرّ أموره مُنفردٌ في خلقه وإيجاده ، مُنفردٌ في تصريفه وتدبيره ، مُنفردٌ في مشيئته لا مُنازع له ، ولا مُعين . فالأمر كما قال سبحانه : ﴿ لو كان فيهما آلهة إلاّ الله لفسدتا ﴾ (١) .

فالمولى سبحانه في هذه الآية يُوجّه مدارك أصحاب العقول (( إلى وحدة النّوأميس التي تحكمها وتصرفها ، وإلى دلالة هذه الوحدة على الخالق المدبر ، والمالك الذي لا شريك له في الملك ، كما أنّه لا شريك له في الخلق )) (٢) .

إنّ هذا التناسق الذي يشاهده كل إنسان في هذا الكون في السّماء المرفوعة بلا عمد ولا فطور المزيّنة بتلك الكواكب النّيرة ، التي جعل الله لكل واحد منها مساره الخاص به لا يصطدم بغيره يدل على أن هذا النظام والإحكام من تدبير إله واحد (٣) ، قال تعالى : ﴿ والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم \* لا الشمس ينبغي لها أن تدرّك القمر ولا الليل سابق النهار وكلّ في فلك يسبحون ﴾ (٤) .

وفي الأرض التي جعلها الله قراراً لعباده ، وأخرج لهم منها الماء والمرعى ، وأجرى فيها الأنهار بمقادير قدرها تُناسب في مُجملها حياة النّاس وعيشهم فيها بأمان فهل يُتصور أن تكون هذه الأرض بما فيها من عجائب وآيات مخلوقة لغير الله؟

(١) - سورة الأنبياء ، جزء من الآية : (٢٣) .

(٢) - " في ظلال القرآن " (٢٣٦٥/٤) مرجع سابق .

(٣) - ينظر : " توحيد الخالق " عبدالمجيد الزنداني (٦٨/٢) ، دار المجتمع للنشر والتوزيع ، جدة ، ط : ٢ ، ١٤٠٧هـ ، و " منهج القرآن في الدعوة إلى الإيمان " للدكتور : علي بن محمد الفقيهي (ص/١٢٥)

ط : ١ ، ١٤٠٥هـ ، بدون ذكر اسم الدّار الطابعة للكتاب .

(٤) - سورة يس ، الآيتان : (٣٩ ، ٤٠) .

﴿ وهو الذي مدَّ الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يُعشي الليل النَّهار إنَّ في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ (١) .

يقول الأستاذ سيد قطب - رحمه الله - في ظلال هذه الآية : (( والخطوط العريضة في لوحة الأرض هي مدَّ الأرض وبسطها أمام النَّظر وانفساحها على مداه .. لا يهمُّ ما يكون شكلها الكلي في حقيقته ، إنما هي مع هذا ممدودة مبسوطة فسيحة )) (٢) .

فالأرض وما نقله من نبات ومخلوقات مما تتجلى به عظمة الخالق سبحانه ووجدانيته ؛ لأنَّ هذا الإحكام والإتقان الذي تشتمل عليه المخلوقات كلها وسيورها وفق نظام محدد لا يتغير ولا يتبدل يدلُّ قطعاً على وحدة الخالق سبحانه ؛ لأنَّه لا انضباط مع التجاذب ، بين آلهة يُريد كل واحد منها أن يخلق ما لا يريده الآخر لأنَّهما عند ذلك إمَّا أن يغلب أحدهما فيكون عاجزاً والعجز على الإله مُستحيل ، والمخلوقات كلها شاهدة بقدرته تعالى وعظمته سبحانه .

ففي خلق السَّمَاوات والأرض وتعاقب الليل والنهار وتصريف الرِّيح دلالة على وحدانية الله سبحانه لمن رزقه الله العقل ، قال تعالى : ﴿ إنَّ في خلق السَّمَاوات والأرض واختلاف الليل والنَّهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع النَّاسَ وما أنزلَ اللهُ من السَّماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبثَّ فيها من كل دابةً وتصريف الرِّيح والسَّحاب المُسخر بين السَّماء والأرض لآيات لقوم يعقلون ﴾ (٣) .

يقول الحافظ ابن كثير - رحمه الله - في تفسير هذه الآية : (( .. تلك في ارتفاعها ولطافتها واتساعها وكواكبها السيارة والثوابت ودوران فلكها - وهذه الأرض في كثافتها وانخفاضها وجبالها وبحارها وقفارها ووهادها وعمرانها وما فيها من المنافع ، واختلاف الليل والنهار ، هذا يجيئ ثم يذهب ويخلفه الآخر ويعقبه لا يتأخر عنه لحظة ... )) (٤) ، قوله تعالى : ﴿ لآيات لقوم يعقلون ﴾ . (( أي في هذه الأشياء دلالات بينة على وحدانية الله تعالى )) (٥) .

(١) - سورة الرعد ، الآية : (٣) .

(٢) - " في ظلال القرآن " (٢٠٤٥/٤) مرجع سابق .

(٣) - سورة البقرة ، الآية : (١٦٤) .

(٤) - " تفسير القرآن العظيم " (٢٧٤/١) مرجع سابق .

(٥) - " المرجع السابق " (٢٧٥/١) .

وجميع أجزاء هذا الكون الفسيح مترابطة متناسقة و (( هذا الارتباط المُحکم ، الدائم بين أجزاء الكون ، يشهد : بأنّه تحت سيطرة مالك واحد ولو كان مع الله ءآلهة أخرى لفصل كل إله مع ما خلق ، ولشاهدنا عمليات الانفصال ، والتجزئة ظاهرة في هذا الكون ، وكم تكون الحياة سيئة لو أنّ للشمس إلهاً منع عنا ضوءها ، وأن للشجر إلهاً منع عنا ثمارها ، وأنّ للسحب إلهاً منع عنا قطرها )) (١) .

فالله سبحانه المنفرد بالخلق والإيجاد ، وفي كتابه العظيم آيات كثيرة تقيم الحجج والأدلة على ذلك ، قال تعالى : ﴿ أمّن خلق السّمّوات والأرض وأنزل لكم من السّمّاء ماء فأنبثنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تُنبثوا شجرها أعله مع الله بل هم قوم يعدلون \* أمّن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا أعله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ (٢) .

يقول الأستاذ سيد قطب - رحمه الله - مُعلقاً على هذه الآيات : (( والسّمّوات والأرض حقيقة قائمة لا يملك أحد إنكار وجودها ، ولا يملك كذلك أن يدّعي أن هذه الآلهة المُدّعات خلقتها .. وهي أصنام أو أوثان ، أو ملائكة أو شياطين ، أو شمس أو قمر ، فالبداهة تصرخ في وجه هذا الادّعاء ، ولم يكن أحدٌ من المشركين يزعم أنّ هذا الكون قائم بنفسه ، مخلوق بذاته كما وجد من يدعي مثل هذا الادعاء المُتهافت في القرون الأخيرة ، فكان مجرد التذكير بوجود السّمّوات والأرض ، والتّوجيّه إلى التّفكير فيمن خلقها ، كفيلاً بإلزام الحُجّة ودحض الشّرْك ، وإفحام المشركين ، وما يزال هذا السّؤال قائماً ، فإنّ خلق السّمّوات والأرض على هذا النّحو الذي يبدو فيه القصد ، ويتضح فيه التدبّير ، ويظهر فيه التّناسق المطلق الذي لا يُمكن أن يكون فلتة ولا مُصادفة ، ملجئٌ بذاته إلى الإقرار بوجود الخالق الواحد ، الذي تتضح وحدانيته بآثاره .. )) (٣) .

(( فظهر أنّ عناصر الكون خاضعة لنظام مُنظّم مُتقن حكيم وليس عملاً من أعمال المصادفة العشوائية ، وظهر أنّ كلّ ما في الكون مترابط بسلاسل سببية ، ومتكامل بعضه مع بعض ، كترابط أجزاء معمل واحد ، يُدرك النّاظر إليه بالبدية

(١) - " توحيد الخالق " تأليف عبدالمجيد الزنداني (ص/٥٦) .

(٢) - سورة النّمل ، الأيتان : (٦٠ ، ٦١) .

(٣) - " في ظلال القرآن " (٢٦٥٦/٥) .

أنّ مديراً واحداً عامّاً يُشرف عليه ويُسيّره وأنّ قوّة واحدة عامّة تُحرّكه وتُدِير آلاته وأنّ مهندساً عامّاً واحداً هو الذي نسّق بين أجزائه ، وأحكم ترابطها ، وحدّد أعمالها وأبدع النظام الدّوري في خُطة مصنعه ، فما تطرحه آلة منه من فضلات تتلقفه أخرى لأنّه حاجتها .. ويتمّ نظام المعمل وفق سنّة الأخذ والعطاء ، بأروع ما يمكن من إبداع ، فلا يُهدر شيء ، ولا يضيع شيء ، وما يفلت من جهة فينقصها إنّما هو لمصلحة جهة أخرى تقع منها موقع الضرورة ، وفق السياسة العامة التي يقتضيها تدبير المصنع .. هذا هو حال الكون الدّال على الله الخالق الذي لا ربّاً غيره ، ولا خالق سواه ، والذي له الخلق والأمر ، وهو على كل شيء قدير ، فبعلمه وقدرته وحكمته ونفوذه بلطفه إلى إحكام وإتقان وتنظيم أصغر شيء في الوجود وأكبره وما بينهما ، أبدع هذا الكون فلم يشذ عن إحكامه وإتقانه شاذ ، ولم يندّ عن سيطرته نادّ ، ولم يخرج عن نظامه العام الشامل خارج ، وقد جعل سبحانه في كل شيء دليلاً على وجوده وصفاته ووحدانيته فتبارك الله أحسن الخالقين .

وهذا النظام الخاضع لخطة عامّة واحدة ، من الصغير فالأصغر ، ثمّ من الكبير فالأكبر يدل لدى العلماء المتفكرين على أنّها جميعاً تخضع لإرادة منظم واحد اختار لخلقه هذا الأسلوب الواحد من احتمالات التنظيم التي لا حصر لها ، ليدل على أنّه واحد لا شريك له في خلقه ، ولا شريك له في ربوبيته ، ولو أن الخالقين مُتعدّدون لكان من البديهي أن تتعدّد خطط التنظيم في الوجود ، وفق تعدّد الاحتمالات التي لا حصر لها (١) .

والعقل والحس معاً يدلان على أنّ التجاذب وتعدّد السُّلطات وتضارب الآراء والإرادات ، تتنافى مع الإحكام والإتقان ، حتى لو كان في أبسط الأمور وأقلّها تعقيداً ، فالسيارة والطائرة والسّفينة البحرية ، والدبابة ، والمدفع ، لا بد أن تكون المسؤولية في تشغيلها وتسييرها راجعة إلى فرد يتحكم في التوجّه ، ومقدار السرعة ، ووقت التوقف ومكانه ونحو ذلك .. وهذه آلات بسيطة فكيف بهذا الكون الفسيح العريض ، كيف بهذه المخلوقات التي خلقها الله بقدرته ، سيّرها وفق مشيئته بلا تفاوت ولا تصادم ، وكلّ شيء من هذه المخلوقات يسير وفق ما قدره الإله من

(١) - " براهين وأدلة إيمانية " ، تأليف / عبدالرحمن حبنكة الميداني (ص/١٩٢ - ١٩٣) مرجع سابق .

حركة أو سكون ، من وجود وعدم ، من حياة أو موت ، وغير ذلك من أمور يعلمها الله يكتبها ويقدرها كما يشاء سبحانه .

ومما سبق يتضح لنا بما لا مجال للشك فيه أنّ خالق الكون ومدبره والمهيمن على سننه وقوانينه وأنظمتها ، والعليم بكلّ شيء فيه ، هو واحد لا شريك له سبحانه وأنّ ذلك الإتيان والإحكام دالّ على وحدانيته تعالى ، وإثمه على كل شيء قدير ، ﴿ قد جعل لكل شيء قدراً ﴾ (١) ، و ﴿ أتقن كل شيء ﴾ (٢) سبحانه وتعالى .

(١) - سورة الطلاق ، جزء من الآية : (٣) .  
(٢) - سورة النمل ، جزء من الآية : (٨٨) .



**المطلب الثاني : استفادة الداعية من المنهج الحسّي في  
الرّد على بعض الشبهات التي يُثيرها الملحّدون .  
وفيه مسلكان :**

**المسلك الأول : شبهة زعم المصادفة ، والرّد عليها .  
المسلك الثاني : شبهة كون الطبيعة هي الخالقة لهذا الكون والرّد  
عليها .**

## المسلك الأول

### شبهة زعم المصادفة<sup>(١)</sup> ، والرّد عليها

سبقت الإشارة إلى بعض عجائب هذا الكون المشهود وما فيه من تناسق وإحكام ، يدلُّ على عظمة خالقه ووحدانيته ؛ وأنه خلق كلَّ شيء بحكمته وقدرته ، وسيّره وفق مشيئته وإرادته ، وعلمه ، قال الله تعالى : ﴿ عالم الغيب لا يعزبُ عنه مثقال ذرّة في السّمّوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين ﴾<sup>(٢)</sup> . ويقول الله تعالى : ﴿ وما من دآبّة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كلٌّ في كتاب مبين \* وهو الذي خلق السّمّوات والأرض في ستة أيام ﴾<sup>(٣)</sup> . وبالجملة فهذا الكون بما فيه من مخلوقات وعجائب وآيات وتسيير أفلآكه ومجرّاته ، في مجاريها وفق نظام محكم ثابت لا يتغير قطعاً بوجود الخالق ووحدانيته .

وإذا كان الملحدون الذين يُثيرون هذه الشبهة لهم أعين يرون بها هذه السّمّاء المرفوعة المزينة بالكواكب النّيرة ، يرون الشّمس في ضيائها وقوة أشعتها ، ويشاهدون القمر في نوره ، واكتماله ، ونقص شعاعه كل ما تأخر الشهر ، ويرون الكواكب الأخرى في تلالئها واستنارتها زينة للسّمّاء ، وهداية للنّاس في ظلمات البر والبحر ، وينظرون إلى الأرض وما فيها من جبال منصوبة وبحار وأنهار ، وما فيها من مخلوقات ، يرون نباتها وما فيها من ألوان وزهور ، وحدائق ذات بهجة ويحسّون بالليل وما فيه من ظلام ، والنّهار وما فيه من ضوء ، يرون الرّياح الجارية مسخّرة بأمر وقدر ، يرون الأمطار النازلة منقعة للنّاس في زروعهم ومواشيهم إذا كانوا يُقرّون بمشاهدة هذه الأشياء المُحيطة من فوقهم ومن تحت أرجلهم ، ويعترفون بأنفسهم وأنهم موجودون ، ولهم أعين يبصرون بها ، وأذان يسمعون بها ، وقلوب يعقلون بها ، إذا كانوا يعترفون بهذه الأمور كلّها ، ويدّعون

(١) - " المصادفة " : هي الموافقة ، وهي تلاقي الأمور المتقابلة بدون ترتيب مسبق . ينظر : " لسان العرب "

(١٨٨/٩) مادة : ( صدف ) ، " القاموس المحيط " (ص/١٠٦٨) مادة ( صدف ) .

(٢) - سورة سبأ ، جزء من الآية : (٣) .

(٣) - سورة هود ، الآية : (٦) ، وجزء من الآية : (٧) .

مع ذلك أنّها وجدت صُدفةً فما أسخف عقولهم ! ، وما أشدّ بلادتهم ! ، ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارَ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (١) .

أجل إنّ عمى البصيرة أقوى حاجزاً من عمى البصر ؛ فالأعمى يُمكن أن يُميز النهار من الليل عندما يُصيبه حرُّ الشمس ووهجها ، ويدرك إن اعترضه شبّاك من حديد في طريقه أو وقع في حفرة ، أنّ ذلك الشبّاك ، وتلك الحفرة كانا بفعل فاعل ، ولا يصدق غير ذلك ، وأمّا من أعمى الله بصيرته فإنّه يرى هذا الكون كلّهُ ويُتكرّر خالقه ، ويزعم أنّه إنّما وجد مصادفةً .

تصور إن كنت تعقل أنّك مررت (( على مزرعة شاسعة في مكان مقفر ، وقد ضُرب حولها سور حديدي يمنع عنها غوائل المُعتدي ، وقد زُيّن هذا السور بما ترتاح إليه العين من نباتات مُتسلّقات وخلف السور قد زُرعت مصدّات الريح ، ومانعات الهبوب .. وللمزرعة باب جميل وممر مناسب ، على جانبيه مقاعد وثيرة لراحة الدّاخل ، وأماكن لقضاء حاجته من أكل وشراب ، ثم تتسع بعد ذلك المزرعة فترى أشجارها المختلفة الأصناف قد شذبت وأزهارها المتعدّدة الأشكال نسُقت ، وترُعها وقنواتها شقت بما يُحقّق الغرض منها ، وفي وسطها بناء للسكن قد حُسّن شكله وانتظم ما بداخله ، وقد زُوّد بكل ما يحتاج إليه المرء ، فهل يُسند خلق ذلك إلى مُصادفة ؟ )) (٢) .

ولا يخفى على ذي لب وإحساس سليم ، أنّ هذه الحديقة المرتبة بهذا الشكل المنتظم ، لا تساوي شيئاً بالنسبة لهذا العالم الفسيح الذي تُشكّل الأرض كوكباً من كواكبه وليست من أكبرها ، وقد أدرك العلماء المعاصرون أنّ إتقان هذا العالم ، وتعقيده يمنعان نشوءه مُصادفة يقول أحدهم : (( إن هذا العالم الذي نعيش فيه ، قد بلغ من الإتقان والتعقيد درجة تجعل من المُحال أن يكون قد نشأ بمحض المصادفة ، إنّه مليء بالروائع والأمور المُعقّدة التي تحتاج إلى مُدبّر ، والتي لا يُمكن نسبتها إلى قدر أعمى ، ولا شك أنّ العلوم قد ساعدتنا على زيادة فهم وتقدير ظواهر هذا الكون المُعقّدة . وهي بذلك تزيد من معرفتنا بالله ومن إيماننا بوجوده )) (٣) .

(١) - سورة الحج ، جزء من الآية : (٤٦) .

(٢) - " الله والعلم الحديث " عبدالرزاق نوفل (ص/٣٥) مرجع سابق .

(٣) - " الله يتجلّى في مصر العلم " (ص/٥٢) مرجع سابق .

ويقول آخر : (( إنّ مُلاعمة الأرض للحياة تتخذ صوراً عديدة لا يُمكن تفسيرها على أساس المصادفة أو العشوائية )) (١) .

وقد أدرك علماء الطبيعة بواسطة تجاربهم أنّ كلّ كائن حي مهما كانت بساطته لابد في تكوينه من اجتماع مواد الإيدروجين ، والأوكسجين ، والكربون ، مع كمية قليلة من النيتروجين وعناصر أخرى ، وتجميع هذه العناصر بمقادير محددة تناسب مقدار كل حي وحجمه يستحيل أن يقع بمجرد المصادفة ، يقول الدكتور أورين فاست : (( إذا انتقلنا إلى العالم العضوي ، فإننا نلاحظ أنّ سلوكه يزداد تعقيداً ، وعلى ذلك فإنّ احتمال تفسير هذا السلوك على أساس المصادفة المحض يتضاءل إلى حد نهائي ، فالمواد الأساسية التي تدخل في بناء المواد العضوية هي الإيدروجين والأوكسجين ، والكربون مع كميات قليلة من النيتروجين والعناصر الأخرى ، ولابد أن تجتمع ملايين من هذه الذرات حتى تتكون أبسط الكائنات الحية ، فإذا نظرنا إلى الأنواع الأخرى التي هي أكبر حجماً وأشدّ تعقيداً ، فإنّ احتمال تآلف ذرّاتها على أساس المصادفة المحض يقل إلى درجة لا يتصورها العقل )) (٢) .

إنّ هذا الكون الذي نشاهده بما فيه من ذرات ومجرات لا يُمكن أن ينشأ عن طريق المصادفة العشوائية بل هو تدبير حكيم عليم ، وخلق خالق عظيم سبحانه . وكلّ من يدّعي نشوء هذا الكون مع ما فيه من إحكام وإتقان عن طريق المصادفة فهو غير واقعي ولا نظر له ، ولا عقل ، وهو مُتبدّل الإحساس مطموس البصيرة ، وقوله هذا : (( من أحمق الحمق ، وأجهل الجهالات )) (٣) .

وقد ذكروا أن أحد هؤلاء المخرفين (٤) قال : (( لو جلست ستة من القرود على آلات كاتبة ، وظلّت تضرب على حروفها بلايين السنين ، فلا نستبعد أن نجد في بعض الأوراق الأخيرة التي كتبتها قصيدة من قصائد شكسبير - فذلك الكون الموجود الآن ، نتيجة لعمليات عمياء ظلت تدور في ( المادة ) لبلايين السنين )) (٥) .

(١) - " الله يتجلّى في عصر العلم " ، (ص/١٢) مرجع سابق .

(٢) - " المرجع السابق " (ص/١٠٠) .

(٣) - " الإيمان بالله " تأليف فضيلة الأستاذ / أحمد عزّ الدين البيانوني (ص/٣٩) دار السلام للطباعة للنشر والتوزيع والترجمة ، القاهرة - طب - بيروت ، ط/٣ ، ١٤٠٨هـ .

(٤) - وهو : ( هكسلي ) الكاتب الملحد ، وله كتاب بعنوان " الإنسان يقوم وحده " . فسخر الله له عالماً من ملته هو : ( أ . كريسي موريسون ) رئيس أكاديمية العلوم بنيويورك .. ، فردّ عليه بكتابه القيم ( الإنسان لا يقوم وحده ) وقد ترجم هذا الكتاب تحت عنوان ( العلم يدعو إلى الإيمان ) ، ينظر : " حاشية كتاب العقيدة في الله " للدكتور / عمر سليمان الأشقر (ص/٧٣ - ٧٤) .

(٥) - " العقيدة في الله " للدكتور عمر سليمان الأشقر (ص/٧٣) مكتبة الفلاح - الكويت ، ط/٦ ، ١٤٠٩هـ .

يقول الدكتور الأشقر نقلاً عن وحيد الدّين خان<sup>(١)</sup> : « إنَّ أيّ كلام من هذا القبيل (( لغو مثير )) بكل ما تحتويه الكلمة من معان فإنَّ جميع علومنا تجهل - إلى يوم النَّاس هذا - أية مُصادفة أنتجت واقعاً عظيماً ذا روح عجيبة ، في روعة الكون ))<sup>(٢)</sup> .

إنَّ من يتوقع نشوء هذا الكون عن طريق المصادفة ويزعم أنَّ القردة بتحريكها العشوائي لحروف الآلة الكاتبة يمكن أن تطبع قصيدة لشاعر معين ، شبيه بمن يزعم أو يتخيل أنَّ التَّحريك العشوائي لهذه الحروف قد يصدر عنه مُعجم لغوي كامل الأبواب والفصول مرتب المواد لا اختلاف فيه ولا تناقض ، وهذا التخيل لا يستقر في العقول ، ولا يُصدِّقه أولو الألباب ، فكذلك القول بأنَّ هذا العالم كله إنَّما كان بمجرد الصدفة مع ما فيه من تفاعلات تسير باتزان وفق نظام مُحكم صوره الخالق العليم في مثل قوله تعالى : ﴿ يُكْوِر اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوِر النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴾<sup>(٣)</sup> .

وهذا القول لا يقوم عليه دليل لا من عقل أو برهان ، بل قام الدليل على ضده وهو أن الكون له خالق عليم مرید قاهر حكيم سبحانه ، هو الله الواحد القهار .

والحامل لبعض القائلين بوجود الكائنات بالمصادفة ، هو تمردهم على الفطرة وإصرارهم على محاربة الله بالمنكرات ، وعلى المجاهرة بالمعاصي ، وعلى معاندة الحق وأهله ونصرة الباطل وحزبه ، ومن ثم كان قولهم بالصدفة مجرد التزام بمقتضى ما ألفوه من منكرات .

وكما سبق وأن بينت أنَّ العلم الحديث أثبت استحالة قيام أدنى شيء في الوجود بالصدفة ، وأنَّ الصدفة هي احتمال محض لا وجود له خارج الذهن .

وأختم حديثي في الرد على أولئك القوم الذين قد أعمى الله بصيرتهم عن الحق بأنَّ تعمد تفسير حقائق الكون وأحداثه وموجوداته والحياة بهذه التفسيرات الباطلة ، ليس إلا هروباً من الواقع العقلي والفطري والعلمي والعملية المحسوس القاطع بوجود وجود إله واحد للكون واجب الوجود لذاته متصف بالقدرة المطلقة ، والإرادة والعلم المحيط والحكمة المطلقة بلا كيف ولا انحصار ، سبحانه وتعالى عما يقول المبطلون وتعالى عن كفرهم علواً كبيراً .

(١) - في كتابه : " الدّين في مواجهة العلم " تأليف : ظفر الإسلام خان ، مراجعة : عبدالحليم عويس ، دار

النفائس ، بيروت ، ط : ٤ ، ١٤٠٧ هـ .

(٢) - " المرجع السابق " (ص/٧٣ - ٧٤) .

(٣) - سورة الزمر ، جزء من الآية (٥) .

## المسلك الثاني

### شبهة كون الطبيعة هي الخالقة لهذا الكون

الطبيعة عند أصحاب هذه الشبهة غير محدّدة تحديداً دقيقاً ولكنها لا تخرج عن أمور ثلاثة على النّحو التالي :-

- (١) - الماديات والأجسام كالسّماء والأرض والجبال .
- (٢) - خواص هذه الأجسام المودعة فيها كالحرارة في النّار والثقل في الحجارة ، والإضاءة في الكواكب النّيّرة ، والحركة في ذوات الأرواح .
- (٣) - أنّها سرّاً غامضاً لا يمكن أن يدرك الإنسان حقيقته ولا مكمنه ، وليس له تجاهه إلا مجرد التسمية (١) .

سبق في المطلب الأول بيان بعض الأدلة على وجود الله ، ووحدانيته ، وفي المسلك الأول من هذا المطلب أثرت شبهة المصادفة ، وبيّنت بطلانها وتهاافت أقوال من يدّعونها من أهل الإلحاد ، وسخف عقولهم ، وفي هذا المسلك أعرض لشبهة أخرى لا تقلّ سخافة عن سابقتها ، ويؤكد بطلانها ما ثبت بكل الأدلة النقلية والحسّية والعقلية على وجود الله ووحدانيته ، وأنه خالق الكون وحده لا شريك له ، المصرف لشؤونه ، والمهيمن على جميع ما فيه من كائنات ومخلوقات سبحانه وتعالى ، وأنّ هذا الكون كلّه شاهد بذلك ودال عليه دلالة قطعية لا يشك فيها أي عاقل وقد عرفت في تحديد شبهتهم أنّ الطبيعة التي ينسبون إليها الخلق إمّا أن تكون عبارة عن المادة والجسم ، ومضمون ذلك أنّ الأجسام المادية يخلق بعضها بعضاً ، فيكون الشيء الواحد خالقاً مخلوقاً ، في آن واحد ولا يخفى بطلان هذا القول وتفاهته ، والحس والعقل شاهدان ببطلانه .

أمّا العقل الإنساني ، فإنّه لا يقبل أنّ الشيء يخلق نفسه ، أو شيئاً آخر يُساويه أخرى أن يخلق شيئاً أرقى منه ، فالسّماء والأرض لا يتصور أن يخلقا شيئاً وهما جماد لا سمع لهما ولا نطق (٢) ، والإنسان الذي زوّده الله بالعقل والسمع ، وسخّر

(١) - ينظر : " العقيدة في الله " الدكتور عمر سليمان الأشقر (ص/٧٥ - ٧٨) ، مرجع سابق ، " شبهات وردود حول العقيدة الربانية وأصل الإنسان " عبدالله ناصح علوان (ص/٥٣ - ٥٦) دار السلام للطباعة والنشر ، الرياض - المملكة العربية السعودية ، ط : ٦ ، ١٤٠٧هـ .

(٢) - ينظر : " العقيدة في الله " (ص/٧٥ - ٧٨) مرجع سابق .

له ما في السّموات وما في الأرض عاجزاً أن يخلق ذبابة ، وهي من أضعف الكائنات الحية وأقلها شأنًا ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ﴾ (١) .

يقول الأستاذ سيد قطب - رحمه الله - : (( كل من تدعون من دون الله من آلهة مُدعاة ، من أصنام وأوثان ، ومن أشخاص وقيم وأوضاع ، تستتصرون بها من دون الله ، وتستعينون بقوتها وتطلبون منها النّصر والجاه .. كلّهم ﴿ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ﴾ ، والذباب صغير حقير ؛ ولكن هؤلاء الذين يدعونهم لا يقدرّون - ولو اجتمعوا وتساندوا - على خلق هذا الذباب الصغير الحقير .

وخلق الذباب مستحيل كخلق الجمل والفيل ؛ لأنّ الذباب يحتوي على ذلك السرّ المعجز سرّ الحياة فيستوي في استحالة خلقه مع الجمل والفيل .. ولكن الأسلوب القرآني المعجز يختار الذباب الصّغير الحقير لأنّ العجز عن خلقه يُلقى في الحس ظلّ الضعف أكثر مما يُلقيه الضعف عن خلق الجمل والفيل ! دون أن يُخلّ هذا بالحقيقة في التعبير .. )) (٢) .

وإذا كان أصحاب الشرك في عهودهم الأولى يسمون أسماء لم يُنزل بها سلطاناً ويتخذونها آلهة مع الله يتقربون لها بالقرابين ، وهم مع ذلك موقنون أنّها لا تقدر على خلق ذبابة ، ولا يمكنها أن تدفع عن نفسها فأحرى أن تكون لها قوة تدفع بها عن غيرها ، وقد تحدّاهم القرآن في آيات كثيرة منها هذه الآية التي ذكرتها ومنها قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ﴾ (٣) .

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - : (( ﴿ قُلْ ﴾ : أي لهؤلاء المشركين العابدين مع الله غيره ﴿ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ ﴾ أي أرشدوني إلى المكان الذي استقلّوا بخلقه في الأرض )) (٤) .

فإن أصحاب الإلحاد في هذا العصر يدعون أنّ الكون خلقته الطبيعة ، وهم يقرّون من النّطق . باسم الإله ، أو الخالق ، لكنهم لا يستطيعون إنكار هذا العالم

(١) - سورة الحج ، جزء من الآية : (٧٣) .

(٢) - " في ظلال القرآن " ( ٢٤٤٣/٤ ، ٢٤٤٤ ) مرجع سابق .

(٣) - سورة الأحقاف ، جزء من الآية : (٤) .

(٤) - " تفسير القرآن العظيم " (٤/ ) مرجع سابق .

الذي هم جزء من أجزائه وعنصر من عناصره ، ولا يُمكن أن يعتبروا أنفسهم خيالاً وهم يتكلمون ويثيرون الشبهات ، بل ويعلمون أنّهم مُزودون بأجهزة كثيرة ومعقدة سبقت الإشارة إلى بعضها (١) .

والحسُّ أيضاً شاهد بأنّ المادة والطبيعة لا قدرة لهما على الإنشاء ولا على الإحياء ، فالنّاس اليوم مع تطورهم في الصناعة وتقدّمهم في التكنولوجيا لم يصلوا إلى صناعة أي شيء من العدم ، وإنّما اطلعوا على خواصّ بعض الأشياء ، واكتشفوا بعض المعادن التي خلقها الله في أرضه ، وقاموا بتصنيعها ، ومما يدلّ على أنّهم لا يستطيعون خلق شيء من هذه الأمور من العدم ، أنّهم يُمضون الكثير من الوقت يصل إلى السّنوات أحياناً في البحث عن أماكن المعادن ، وفي صناعتهم لأي جهاز يحتاجون إلى الكثير من التجارب التي قد يقع الفشل في كثير منها ولو كانت الصناعة خلقاً لما احتاجت أميركا إلى استيراد البترول من الدّول الإسلامية ولأخرجته من أرضها ، كما استخرجته من أراضي دول أخرى ، ونحن نقول لهؤلاء الملحدين مثل قول الله تعالى لأسلافهم : ﴿ إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ﴾ (٢) .

وقوله سبحانه لهم : ﴿ هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه ﴾ (٣) .

لأنّ الطبيعة لا يمكن أن تخلق ذباباً ، ونحن نتحدّاهم أن يرونا شيئاً خلّقه الطبيعة أو أنشأته المادة ، إنهم لن يستطيعوا ذلك ، لأنّ الطبيعة إمّا أن تكون حدثت بذاتها ، وهذا باطل لأنها متغير وكل متغير حادث ، وكلّ حادث لا بدّ له من مُحدث . وإمّا أن تكون أعراض الأشياء وخصائصها وصفاتها هي التي خلّقتها ، وهذا بيّن البطلان ؛ لأنّ الخصائص والصفات أعراض لا تقوم بذاتها بل بذوات الأشياء ، والأشياء حادثة فبطريق الأولى تكون الخصائص والصفات حادثة .

لأنّه من المحال عقلاً أن تخلق الصّفة أو الخصيصة القائمة بالشيء ذات الشيء فثبت أنّ وجود جميع موجودات العالم مُستمدّ من سبب خارج عنها وهو مصدر

(١) - في المطلب الأول (ص/٥٩٠ - ٥٩٢) .

(٢) - سورة الحج ، الآية : (٧٣) .

(٣) - سورة لقمان ، جزء من الآية : (١١) .



جميع أسبابها وإليه ترجع الأسباب وهو الله عز وجل (١) .

وبهذا يتبين بطلان هذه الشبهة ، المتهافئة أصلاً من أول وهلة ، لمصادمتها للعقل والحس والعلم ، ويبقى أن يعلم أولئك أن الله ﴿ الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ﴾ (٢) ، وأنه سبحانه : ﴿ فالحق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فإني توفكون ﴾ (٣) ، ويقال لهم كما قال نوح - عليه السلام - لقومه الجاحدين المنكرين : ﴿ مالكم لا ترجون لله وقاراً \* وقد خلقكم أطواراً \* ألم تسروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً \* وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً \* والله أنبتكم من الأرض نباتاً \* ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً ﴾ (٤) .

فكيف تقولون إن الطبيعة هي الخالقة لنفسها ، وهي (( مخلوق من مخلوقاته ومملوك من ممالكه وعبده مسخرة لأمره تعالى منقادة لمشيئته ودلائل الصنعة ، وأمارات الخلق والحدوث وشواهد الفقر والحاجة شاهدة عليها بأنها مخلوقة مصنوعة ، لا تخلق ولا تفعل ولا تتصرف في ذاتها ونفسها ، فضلاً عن إسناد الكائنات إليها )) (٥) .

ولما بطلت هذه الشبهة والتي قبلها وهي القول : بالصُدفة ، بقي الاحتمال الثالث وهو ما نؤمن به وهو المتمشي مع الفطرة السليمة والعقل النير ، من أن الله تبارك وتعالى هو وحده الخالق الرازق ، لا إله غيره ولا رب سواه ، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

(١) - ينظر : " الدعوة إلى الله بالمنهج الحسني في القرآن الكريم " مرجع سابق (٣٨/١) نقلاً عن كتاب "

الإسلام دين العقل والفطرة " للدكتور / مصطفى حميدة (ص/٨٧) وما بعدها .

(٢) - سورة طه ، جزء من الآية : (٥) .

(٣) - سورة الأنعام ، جزء من الآية : (٩٥) .

(٤) - سورة نوح ، الآيات : (١٣ - ١٨) .

(٥) - " طريق الهجرتين وباب السعادتين " محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ص/١٥٩) تحقيق أبي حفص

سيد بن إبراهيم بن عمران ، دار الحديث - القاهرة - ١٤١١هـ ، بدون ذكر رقم الطبعة .

## الخاتمة

الحمد لله على توفيقه وامتنانه ، والشكر له على إنعامه وإحسانه ، أحمدته على أن منّ عليّ بالهداية للإيمان به ، ووفقني إلى دراسة ما تيسر من شرعه ودينه ، وأعانني على إتمام هذا البحث ، وفتح لي أبوابه ، فاتضحت مناهجه وسُبله ، وأقيمت معالمه ، حسب الخطة المرسومة ، والله أسأل أن يتقبّله بقبول من عنده ، وأن يتجاوز عمّا فيه من خطأ وتقصير ، وأن ينفع به كاتبه وقارئه ، إنه جواد كريم .

وبين يدي الختام أودّ أن أشير إلى أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال معاشتي لهذا الموضوع التي دامت زهاء ثلاث سنوات ، وأعقبها بذكر أهم التوصيات والمقترحات .

### أما أهم النتائج فهي كالتالي :

- (١) - سعة دائرة الدعوة إلى الله بالمنهج الحسي في السنة النبوية ؛ حيث شملت جميع الموضوعات تقريباً من عقيدة وشريعة وأخلاق .
- (٢) - إمكانية استعمال مناهج الدعوة الثلاثة ( العقلي - العاطفي - الحسي ) في معالجة موقف واحد .
- (٣) - كثرة الأساليب الدعوية التي تستعمل ضمن نطاق الدعوة إلى الله بالمنهج الحسي في السنة النبوية .
- (٤) - اشتمال تلك الأساليب على التشويق والإثارة ، ولفت انتباه المخاطبين .
- (٥) - جمال البيان النبوي وعفته وسمو بلاغته ، مما كان لذلك كبير الأثر في سرعة استجابة المدعوين ، بعد توفيق الله تعالى .
- (٦) - قوة الإيضاح والبيان الملازمة للمنهج الحسي في السنة النبوية ، يظهر ذلك في قوة تأثيره في نفوس المخاطبين .
- (٧) - أهمية الالتزام بضوابط محددة في نجاح الدعوة إلى الله تعالى بالمنهج الحسي .

- (٨) - تأثر الرسول ﷺ بمنهج القرآن الكريم في لفت الأنظار إلى آثار قدرة الله وعظمته ووحدانيته ، والتي تتجلى في بديع صنعه وإتقانه في مخلوقاته .
- (٩) - ظهور أهمية هذا المنهج في دعوة غير المسلمين في العصر الحاضر ، وإقناعهم بأن الدين الإسلامي هو الدين الذي لا يقبل الله غيره .
- (١٠) - اتضح من خلال البحث أن المنهج الحسي يحظى بمرتبة عالية في مجال الدعوة إلى الله تعالى بين مناهج الدعوة الأخرى .

### أما التوصيات والافتراحتات فهي كالتالي :

#### أولاً : ما يتعلق بالجامعات والهيئات العلمية :

- أ - إعداد طائفة من الدعاة ، وتأهيلهم تأهيلاً يتناسب مع متطلبات العصر .
- ب - الاستفادة من التقنيات ، ووسائل الاتصال الحديثة في نشر دين الله ، وردّ الشبهات التي تثار ضدّ الإسلام من قبل أعدائه .
- ج - إنشاء مراكز دعوية متخصصة لدعوة غير المسلمين ، وتزويدها بالدعاة المؤهلين .
- د - إنشاء هيئات علمية متخصصة في مجال الإعجاز العلمي في القرآن والسنة في الجامعات الإسلامية ، حسب الإمكانيات والقدرات .
- هـ - أوصي المشرفين على إعداد المناهج والخطط التعليمية بربط العلوم الكونية والطبيعية بالإسلام ، وإظهار عظمة الله وكمال قدرتها من خلال مخلوقاته .

#### ثانياً : ما يتعلق بالدعاة والمربين :

- أ - أوصي الدعاة إلى الله بالاهتمام بجمال الأسلوب والتألق في العرض ؛ ليكون لكلامهم وقع في نفوس المخاطبين .
- ب - أوصي الدعاة إلى الله بالمشاركة الفعالة في وسائل الإعلام المرئية والمسموعة ، لنشر دين الله تعالى .
- ج - أوصي الدعاة إلى الله بالاستفادة من جميع الوسائل الدعوية الحسية المتاحة في عصرهم ، لترغيب الناس في الخير ، وتحذيرهم من الشر .

- د - أوصي الدعاة إلى الله بتوسيع ثقافتهم في العلوم الشرعية ، وعدم إهمال غيرها ، ليكون أثرهم أوسع وأكثر فاعلية .
- هـ - أوصي إخواني في مجال التربية والتعليم بالعباية بتقنيات التعليم ، ووسائل الإيضاح الحسية ، والاستفادة منها ببيان عظمة الله تعالى من خلال مخلوقاته ، مع مراعاة الضوابط الشرعية عند استعمالها .

### وأختم كما بدأت بحمد الله تعالى

فله الحمد أولاً وآخراً ، وأسأله تعالى أن يجعل هذا العمل المتواضع خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفع به ، ويتقبله مني بقبول حسن ، وأن يُضاعف لي ثوابه ، وأن يتولى عني جزاء كل من أعان على إخراجه بما يجزي به عباده الصالحين ، وأن يغفر لي ما كان فيه من نقص أو تقصير ، إنه جواد كريم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وصلى الله على نبيه وآله وأصحابه والتابعين

ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

# الفهرس

- ١ - فهرس الآيات .
- ٢ - فهرس الأحاديث .
- ٣ - فهرس الأعلام .
- ٤ - فهرس المراجع .
- ٥ - فهرس الموضوعات .

## فهرس الآيات

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية	م
		سورة البقرة	
١	٥٧	﴿ ألم ﴾	١
٢	٥٧	﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه ... ﴾	٢
٣	٥٧ ، ٣٩	﴿ الذين يؤمنون بالغيب ... ﴾	٣
٤	٥٧ ، ٣٩	﴿ والذين يؤمنون بما أنزل إليك ... ﴾	٤
٥	٣٩	﴿ أولئك على هدى من ربهم ... ﴾	٥
٦	١٨٠	﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً ... ﴾	٦
٧	٤٩٥	﴿ وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض ... ﴾	٧
٨	٥٢١	﴿ وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ... ﴾	٨
٩	٢٧٢	﴿ ولا تلبسوا الحق بالباطل ... ﴾	٩
١٠	٣٣٨	﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ... ﴾	١٠
١١	٢١٩	﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ... ﴾	١١
١٢	١٦٢	﴿ الذين يظنون أنهم ملأوا ربهم ... ﴾	١٢
١٣	٢٠	﴿ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم ... ﴾	١٣
١٤	٤١	﴿ ثم بعثناكم من بعد موتكم ... ﴾	١٤
١٥	٨٨	﴿ وإذا استسقى موسى لقومه ... ﴾	١٥
١٦	٤٠٨	﴿ ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ... ﴾	١٦
١٧	١٠٤	﴿ وإذا أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة ... ﴾	١٧
١٨	١١١	﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ... ﴾	١٨
١٩	٥٠٥	﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً ... ﴾	١٩
٢٠	١٥٣	﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ... ﴾	٢٠
٢١	٣٧١	﴿ وبشر الصابرين ﴾	٢١

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
٣٤٠	١٥٩	﴿ إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب ... ﴾	٢٢
٣٤٠	١٦٠	﴿ إلا الذين تابوا وأصلحو وبينوا ... ﴾	٢٣
٥٩٦ ، ٢٧٨	١٦٤	﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر ... ﴾	٢٤
٣٩٢	١٦٥	﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا ... ﴾	٢٥
٤٣١ ، ١٩٠	١٨٣	﴿ يا أيها الذين آمنوا كُتِبَ عليكم الصيام ... ﴾	٢٦
٤٩٥ ، ٢٧٥	١٨٧	﴿ أحلّ لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ... ﴾	٢٧
٤٩٥	١٨٧	﴿ فالآن باسروهنّ وابتغوا ما كتب الله لكم ... ﴾	٢٨
٥٠٦	١٩٣	﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ... ﴾	٢٩
٢٢٠	٢١٤	﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ... ﴾	٣٠
٢٩٩	٢١٦	﴿ كُتِبَ عليكم القتال وهو كره لكم ... ﴾	٣١
١١١	٢٢٢	﴿ ويسألونك عن المحيض قل هو أذى ... ﴾	٣٢
١٢	٢٥٨	﴿ فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب ... ﴾	٣٣
٢١٦	٢٥٨	﴿ سمعنا وأطعنا ... ﴾	٣٤
٤٧	٢٦٠	﴿ رب أرني كيف تمحي الموتى ... ﴾	٣٥
١٨٠	٢٦١	﴿ مثل الذين يُنفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبت سبع سنابل ... ﴾	٣٦
٥٣٩	٢٧٥	﴿ وأحلّ الله البيع وحرم الربا ... ﴾	٣٧
٥٤٢	٢٧٦	﴿ يحقّ الله الرّبا ويُري الصدقات ... ﴾	٣٨
٥٣٩	٢٧٥	﴿ الذين يأكلون الرّبا لا يقومون إلاّ كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ... ﴾	٣٩
<b>سورة آل عمران</b>			
٥٢٠	٦	﴿ هو الذي يُصوركم في الأرحام كيف يشاء ... ﴾	٤٠
٤٣	٣٠	﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء ... ﴾	٤١
٢٤٠	٣٤	﴿ ولا يحسبن الذين يدخلون ... ﴾	٤٢
٥٧٩	٧٧	﴿ ولا ينظر إليهم يوم القيامة ... ﴾	٤٣
٤٠٨ ، ٣٣٠	٨١	﴿ وإذا أخذ الله ميثاق النبيين ... ﴾	٤٤
١٩٥	٩٧	﴿ والله على الناس حج البيت ... ﴾	٤٥

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية	٥
١١٠	٥٠٥ ، ١٩٠	﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ... ﴾	٤٦
١٤٢	٢٢٥	﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ... ﴾	٤٧
١٥٩	٤٥٤	﴿ فيما رحمة من الله لنت لهم ... ﴾	٤٨
١٦١	٤٦١	﴿ ومن يغفل يأت بما غل يوم القيامة ... ﴾	٤٩
١٦٩	٣٠٠	﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا ... ﴾	٥٠
١٧٨	٣٣٠	﴿ وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ... ﴾	٥١
١٨٠	٢٤٠ ، ١٨٦	﴿ ولا يحسبن الذين يدخلون ... ﴾	٥٢
١٩٠	٥١٠ ، ٢٧٨	﴿ إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لآولي الألباب ... ﴾	٥٣
١٩١	٥١٠ ، ٢٧٨	﴿ الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ... ﴾	٥٤
١٩٦	٥٠٤	﴿ لا يفرلك قلب الذين كفروا في البلاد ... ﴾	٥٥
١٩٧	٥٠٤	﴿ متاع قليل ثم ماواهم جهنم ... ﴾	٥٦
		سورة النساء	
٦	٢٢٦	﴿ ومن كان غنياً فليستعفف ... ﴾	٥٧
١٥	٥٤٨	﴿ واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم ... ﴾	٥٨
٢١	٤٩٥	﴿ وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض ... ﴾	٥٩
٢٩	٣٦٦	﴿ ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ... ﴾	٦٠
٤٣	٤٩٦	﴿ وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً ... ﴾	٦١
٤٧	٤١٥	﴿ يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم ... ﴾	٦٢
٦٠	٩٣	﴿ رسلاً مبشرين ومنذرين ... ﴾	٦٣
١٠٧	٢٣٥	﴿ إن الله لا يحب من كان خواناً أثيماً ... ﴾	٦٤
١٤٢	١٧١	﴿ إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ... ﴾	٦٥
١٤٣	٤٣٦	﴿ مذنبين بين ذلك ... ﴾	٦٦
١٤٥	٤٣٧ ، ٣٣٦	﴿ إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ... ﴾	٦٧
١٤٧	١٦	﴿ ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم ... ﴾	٦٨
١٦٣	٢٥٢	﴿ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده ... ﴾	٦٩
١٦٤	٢٥٢	﴿ ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ... ﴾	٧٠



رقم الآية	رقم الصفحة	الآية	م
<b>سورة المائدة</b>			
٣	٥٠٢	﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ... ﴾	٧١
٦	١١٨	﴿ فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً ... ﴾	٧٢
٦	١٥٢	﴿ ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ... ﴾	٧٣
٢٧	٥٤٥	﴿ إذ ما يتقبل الله من المتقين ﴾	٧٤
٤٨	ج ٣	﴿ لكل جعلنا منكم شريعةً ومنهاجاً ... ﴾	٧٥
٥٤	٥٠٤ ، ٢٩٠	﴿ أدلة على المؤمنين ... ﴾	٧٦
٦٧	٥٢١	﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ... ﴾	٧٧
١١٦	٥٣٤	﴿ وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين ... ﴾	٧٨
١١٧	٥٣٤	﴿ ما قلت لهم إلا ما أمرتني به ... ﴾	٧٩
<b>سورة الأنعام</b>			
٢٢	٧٠	﴿ أو من كان ميتاً فأحييناه ... ﴾	٨٠
٤٨	١٩	﴿ وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين ... ﴾	٨١
٥٠	٧	﴿ قل هل يستوي الأعمى والبصير ... ﴾	٨٢
١٥٠	١١١	﴿ ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا ... ﴾	٨٣
١٦٢	٥٣٧	﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ... ﴾	٨٤
٩٥	٦٠٨	﴿ فالتق الحب والنوى يخرج الحلي من الميت ومخرج الميت من الحلي ... ﴾	٨٥
<b>سورة الأعراف</b>			
١١	٥٧٣	﴿ ولقد خلقناكم ثم صورناكم ... ﴾	٨٦
١٢	٥٧٣	﴿ قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك ... ﴾	٨٧
١٣	٥٧٣	﴿ قال فاهبط منها ... ﴾	٨٨
٣١	٢٨٩	﴿ يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ... ﴾	٨٩
٣٢	٢٨٩	﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده ... ﴾	٩٠
٣٣	٢٨٩	﴿ قل إنما حرم ربي الفواحش ... ﴾	٩١
٤٠	٢٨	﴿ إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ... ﴾	٩٢
٥٩	٣٠٨	﴿ لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه ... ﴾	٩٣
٨٣	٣٨٣	﴿ فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه ... ﴾	٩٤
٩٠	٣٨٢	﴿ وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيباً إنكم إذا لخاسرون ﴾	٩٥

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية	م
٩٦		﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ... ﴾	٩٦
٩٧	٤١	﴿ ثم بعثنا من بعدهم موسى ... ﴾	٩٧
٩٨	٣٨٢	﴿ وقال الملأ من قوم فرعون أتندر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ... ﴾	٩٨
٩٩	٧٢	﴿ وإن يروا كل آية لا يؤمنون بها ... ﴾	٩٩
١٠٠	٥٢	﴿ ورحمتي وسعت كل شيء ... ﴾	١٠٠
١٠١	٣٢٦	﴿ قل يا أيها الناس إنني رسول الله إليكم جميعاً ... ﴾	١٠١
١٠٢	٢٦٢	﴿ واسئلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر ... ﴾	١٠٢
١٠٣	٢٦٢	﴿ وإذا قالت أمة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم ... ﴾	١٠٣
١٠٤	٢٦٢	﴿ فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء ... ﴾	١٠٤
١٠٥	٢٦٢	﴿ فلما عتوا عمداً فهو عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾	١٠٥
١٠٦	٢٦٧	﴿ فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ﴾	١٠٦
١٠٧	٢٦	﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس ... ﴾	١٠٧
١٠٨	٧	﴿ أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض ... ﴾	١٠٨
١٠٩	٩٥	﴿ يسألونك عن الساعة أيان مرساها ... ﴾	١٠٩
<b>سورة الأنفال</b>			
١١٠	١٠٧	﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ... ﴾	١١٠
١١١	٢٣٥	﴿ إن الله لا يحب الخائنين ﴾	١١١
١١٢	١٠٣	﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ... ﴾	١١٢
<b>سورة التوبة</b>			
١١٣	١٨٤	﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ... ﴾	١١٣
١١٤	١٠	﴿ ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم ... ﴾	١١٤
١١٥	٣٤٠ ، ١٨٦	﴿ والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم ... ﴾	١١٥
١١٦	٣٤١ ، ١٨٦	﴿ يوم يُحمى عليها في نار جهنم ... ﴾	١١٦
١١٧	٣١٣	﴿ فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل ﴾	١١٧
١١٨	٢٢٢	﴿ قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين ... ﴾	١١٨
١١٩	١٨٤	﴿ فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين ... ﴾	١١٩

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	٥
١٥٢	١٠٨	﴿ فيه رجال يحبون أن يتطهروا ... ﴾	١٢٠
٢٣٧	١١٩	﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾	١٢١
٢٠٦	١٢٠	﴿ ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة ... ﴾	١٢٢
٥٠٦	١٢٣	﴿ يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ... ﴾	١٢٣
٣٨٧، ٢٥٦	١٢٨	﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم ... ﴾	١٢٤
<b>سورة يونس</b>			
٧١	٥	﴿ هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً ... ﴾	١٢٥
٣١٠	٧	﴿ إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها ... ﴾	١٢٦
٣١٠	٨	﴿ أولئك ماواههم النار بما كانوا يكسبون ﴾	١٢٧
(ت)	٢٥	﴿ والله يدعو إلى دار السلام ... ﴾	١٢٨
٤٢٧	٢٦	﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ... ﴾	١٢٩
٤٢٦	٥٣	﴿ ويستنبئونك أحق هو ... ﴾	١٣٠
<b>سورة هود</b>			
٦٠١	٦	﴿ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ... ﴾	١٣١
٦٠١	٧	﴿ وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ... ﴾	١٣٢
٣٠٨	٨٤	﴿ وإلى مدین أخاهم شعبياً ... ﴾	١٣٣
٤٣٠، ١٦٦	١١٤	﴿ وأقم الصلاة طر في النهار وزلفاً من الليل ... ﴾	١٣٤
٢٦٧	١٢٠	﴿ وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ... ﴾	١٣٥
<b>سورة يوسف</b>			
٢٦٦، ٢٢٦	٣	﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص ... ﴾	١٣٥
(ت)	٣٣	﴿ قال رب السّجن أحب إليّ مما يدعونني إليه ... ﴾	١٣٦
٢٦٧، ٢٠٠، ١٩	١١١	﴿ لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ... ﴾	١٣٧
<b>سورة الرعد</b>			
٥١١، ٢٧	٢	﴿ الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ... ﴾	١٣٨
٥٩٦، ٥١٥	٣	﴿ وهو الذي مدّ الأرض وجعل فيها رواسي وأمهراً ... ﴾	١٣٩
٥١٦، ٢٨	٤	﴿ وفي الأرض قطع متجاورات ... ﴾	١٤٠
٥١٧	٤	﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾	١٤١

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية	م
١٣	٢٨	﴿ ويسبح الرعد بحمده ... ﴾	١٤٢
١٧	١١٧	﴿ فأما الزبد فيذهب جفاء ... ﴾	١٤٣
٢٧	١٦٢	﴿ قل إن الله يضل من يشاء ... ﴾	١٤٤
٢٨	١٦٢، ١٠٧	﴿ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ... ﴾	١٤٥
٣٥	٢٤٨	﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون ... ﴾	١٤٦
<b>سورة إبراهيم</b>			
١	٥٠٢، ٣٩٧، ٧٠	﴿ الر كتاب أنزلناه إليك ... ﴾	١٤٧
١٢	٢٢٢	﴿ ولنصبرن على ما آذيتمونا ... ﴾	١٤٨
١٨	٢٨	﴿ مثل الذين كفروا برهم أعمالهم كرماد ... ﴾	١٤٩
٣٤	٥٦٢، ٥٢٦	﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ... ﴾	١٥٠
<b>سورة الحجر</b>			
١٤	٧٣	﴿ ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون ﴾	١٥١
١٥	٧٣	﴿ لقالوا إنما سكرت أبصارنا ... ﴾	١٥٢
٢٦	٥٢٢	﴿ ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حماء مسنون ﴾	١٥٣
٢٨	٥٢٠	﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا ... ﴾	١٥٤
٢٩	٥٢٠	﴿ فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾	١٥٥
٣٠	٥٢٠	﴿ فسجد الملائكة كلهم أجمعون ﴾	١٥٦
<b>سورة النحل</b>			
١٥	٥١٩	﴿ وألقى في الأرض رواسي ... ﴾	١٥٧
١٨	٤٦٦، ٢٥	﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ... ﴾	١٥٨
٣٦	٦٩	﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ... ﴾	١٥٩
٤٤	٤٢١	﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ... ﴾	١٦٠
٤٩	٨٠	﴿ والله يسجد ما في السماوات وما في الأرض ... ﴾	١٦١
٥٣	٥٨٠	﴿ وما بكم من نعمة فمن الله ... ﴾	١٦٢
٥٨	٣٧٧	﴿ وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ... ﴾	١٦٣
٥٩	٣٧٧	﴿ يتوارى من القوم ... ﴾	١٦٤
٦٦	١٤٠، ٢٨	﴿ وإن لكم في الأنعام لعبرة ... ﴾	١٦٥
٦٨	١٤٠	﴿ وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ... ﴾	١٦٦

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
١٤٠	٦٩	﴿ ثم كلي من كل الثمرات ... ﴾	١٦٧
١٣٩	٦٩	﴿ فيه شفاء للناس ... ﴾	١٦٨
٥٢٠، ٥١٠، ٥	٧٨	﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً ... ﴾	١٦٩
٢٣٧	١٠٥	﴿ إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله ... ﴾	١٧٠
٥٦٣	١١٦	﴿ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام ... ﴾	١٧١
٢٤٥	١٢٥	﴿ أذع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ... ﴾	١٧٢
٣٩٣	١٢٧	﴿ واصبر وما صبرك إلا بالله ... ﴾	١٧٣
٢٥٥	١٢٧	﴿ ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون ... ﴾	١٧٤
٢٥٥	١٢٨	﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾	١٧٥
<b>سورة الإسراء</b>			
١٩	٩	﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ... ﴾	١٧٦
١٩	١٠	﴿ وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذاباً أليماً ... ﴾	١٧٧
٧١	١٢	﴿ وجعلنا الليل والنهار آيتين ... ﴾	١٧٨
٥٤٧	٣٢	﴿ ولا تقربوا الزنا ... ﴾	١٧٩
٣١٩، ٢٦	٣٦	﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم ... ﴾	١٨٠
٥٠٩، ٤٤٤، ٢٧	٤٤	﴿ تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن ... ﴾	١٨١
١٠٩، ٤٠٦، ٧٩، ٧٤	٤٤	﴿ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ... ﴾	١٨٢
٥١٩، ٥١٦	٧٠	﴿ ولقد كرمتنا بني آدم ... ﴾	١٨٣
٣٩٨	٨١	﴿ وقل جاء الحق وزهق الباطل ... ﴾	١٨٤
<b>سورة الكهف</b>			
٣٨٣	١٣	﴿ نحن نقص عليك نبأهم بالحق ... ﴾	١٨٥
٣٠٦	٣٤	﴿ فقال لصحابه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً ﴾	١٨٦
٣٠٦	٣٨	﴿ قال لصاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ... ﴾	١٨٧
٥٦٢	٤٩	﴿ ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ﴾	١٨٨
٤٧٦، ٢٩٨، ٢٩٧	١٠٥	﴿ أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه ... ﴾	١٨٩

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
		<b>سورة مريم</b>	
٢٤٨	١٧	﴿ فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً ﴾	١٩٠
٢١	٤٤	﴿ يا أبت لا تعبد الشيطان ... ﴾	١٩١
٢١	٤٥	﴿ يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن ... ﴾	١٩٢
٤٤	٦٦	﴿ ويقول الإنسان عآذا ما مت لسوف أخرج حياً ﴾	١٩٣
٤٤	٦٧	﴿ أولاً يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً ﴾	١٩٤
		<b>سورة طه</b>	
٦٠٨، ٥٩٠	٥٠	﴿ ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ﴾	١٩٥
٥٦٢	٥٢	﴿ في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى ﴾	١٩٦
١٨	١٢٤	﴿ ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً ... ﴾	١٩٧
٢٢٦	١٣١	﴿ ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم ... ﴾	١٩٨
		<b>سورة الأنبياء</b>	
٩٥	١	﴿ اقترب للناس حسابهم ... ﴾	١٩٩
٥١٠	٢٠	﴿ يسبحون الليل والنهار لا يفترون ... ﴾	٢٠٠
(ج)	٢١	﴿ لا يسمعون حسيها ... ﴾	٢٠١
٥٩٥	٢٣	﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا ... ﴾	٢٠٢
٢٦٧	٢٥	﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾	٢٠٣
٧١	٣٣	﴿ وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر ... ﴾	٢٠٤
٢٢٥	٣٥	﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة ... ﴾	٢٠٥
٢٥٢	٣٦	﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً ... ﴾	٢٠٦
٣٠٧	٣٨	﴿ وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لا عيين ﴾	٢٠٧
٣٠٧	٥١	﴿ ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل ... ﴾	٢٠٨
٣٠٧	٥٢	﴿ إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ﴾	٢٠٩
٣٠٧	٥٣	﴿ قالوا وجدنا آبائنا لها عابدين ﴾	٢١٠
٣٠٧	٥٤	﴿ قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين ﴾	٢١١
٣٠٧	٥٥	﴿ قالوا أجتنا بالحق أم أنت من اللاعين ﴾	٢١٢
٣٠٧	٥٦	﴿ قال بل ربكم رب السماوات والأرض الذي فطرهن ... ﴾	٢١٣

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية	م
٥٧	٣٩٩، ٣٠٧	﴿ وتالله لأكيدن أصنامكم ... ﴾	٢١٤
٥٨	٣٩٩، ٣٠٧	﴿ فجعلهم جذاذ إلا كبيراً لهم ... ﴾	٢١٥
٥٩	٣٠٧	﴿ قالوا من فعل هذا بأهتنا ... ﴾	٢١٦
٦٠	٣٠٧	﴿ قالوا سمعنا فتي يذكرهم ... ﴾	٢١٧
٦١	٣٠٧	﴿ قالوا فأتوا به على أعين الناس ... ﴾	٢١٨
٦٢	٣٠٧	﴿ قالوا أنت فعلت هذا بأهتنا يا إبراهيم ﴾	٢١٩
٦٣	٣٠٧	﴿ قال بل فعله كبيرهم هذا ... ﴾	٢٢٠
٦٤	٣٠٨، ٣٠٧	﴿ فرجعوا إلى أنفسهم ... ﴾	٢٢١
٦٥	٣٠٨	﴿ ثم نكسوا على رؤوسهم ... ﴾	٢٢٢
٦٦	٣٠٨	﴿ قال أفتعبدون من دون الله ... ﴾	٢٢٣
٦٧	٤٠٠، ٣٠٨	﴿ أف لكم ولما تعبدون من دون الله ... ﴾	٢٢٤
٩٦	١٢٧	﴿ حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ﴾	٢٢٥
٩٧	١٢٧	﴿ واقرب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا ... ﴾	٢٢٦
١٠٢	(ج)	﴿ لا يسمعون حسيها ... ﴾	٢٢٧
<b>سورة الحج</b>			
٢	٣١٦	﴿ وتضع كل ذات حمل حملها ... ﴾	٢٢٨
٥	٤٧	﴿ وترى الأرض هامدة ... ﴾	٢٢٩
٦	٤٧	﴿ ذلك بأن الله هو الحق ... ﴾	٢٣٠
٧	٤٧	﴿ وأن الساعة آتية لا ريب فيها ... ﴾	٢٣١
٢٤	٤٩٩	﴿ وهذوا إلى الطيب من القول ... ﴾	٢٣١
٤٠	٢٨٧	﴿ ولنصرن الله من ينصره ... ﴾	٢٣٢
٤١	٢٨٧	﴿ الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة ... ﴾	٢٣٣
٤٦	٤	﴿ أفلم يسروا في الأرض ... ﴾	٢٣٤
٤٦	١٠٢، ٤١٦، ٤٠٢	﴿ فإنما لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب ... ﴾	٢٣٥
٥٠	٤٩	﴿ يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإننا خلقناكم من تراب ... ﴾	٢٣٦
٧٣	٦٠٦	﴿ إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ... ﴾	٢٣٧
<b>سورة المؤمنون</b>			
١	١٦٢	﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾	٢٣٨

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية	م
٢	١٦٢	﴿ الذين هم في صلاتهم خاشعون ﴾	٢٣٩
٨	٢١٧	﴿ والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ﴾	٢٤٠
١٢	٥٢١	﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ﴾	٢٤١
١٣	٥٢١	﴿ ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ﴾	٢٤٢
١٤	٥٢١	﴿ ثم خلقنا النطفةعلقة ... ﴾	٢٤٣
١١٥	٤٢، ٤٠	﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً ... ﴾	٢٤٤
١١٦	٤٠	﴿ فتعالى الله الملك الحق ... ﴾	٢٤٥
<b>سورة النور</b>			
٣	٢٣٠	﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ... ﴾	٢٤٦
٤	٥٤٨	﴿ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ... ﴾	٢٤٧
٣١	٣٦٧	﴿ وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ... ﴾	٢٤٨
٣٣	٢٢٩، ٢٢٦	﴿ وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً ... ﴾	٢٤٩
٤٣	٢٧	﴿ ألم تر أن الله يزجي سحاباً ... ﴾	٢٥٠
٤٦	٤٠٥	﴿ والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾	٢٥١
٥٥	٥٢١، ٥٠٥	﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض ... ﴾	٢٥٢
٦٠	٢٣٠	﴿ والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن ... ﴾	٢٥٣
<b>سورة الفرقان</b>			
٢	٥٢٤، ٦٣	﴿ وخلق كل شيء فقدره تقديراً ﴾	٢٥٤
٦٣	٤٥٤	﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ... ﴾	٢٥٥
٦٨	٥٤٨	﴿ والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ... ﴾	٢٥٦
<b>سورة الشعراء</b>			
٧٠	٥٣٤	﴿ إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون ﴾	٢٥٧
٧١	٥٣٤	﴿ قالوا نعبد أصناماً فنظّل لها عاكفين ﴾	٢٥٨
٧٢	٥٣٤	﴿ قال هل يسمعونكم إذا تدعون ﴾	٢٥٩
٧٣	٥٣٤	﴿ أو ينفعونكم أو يضرون ﴾	٢٦٠



رقم الآية	رقم الصفحة	الآية	م
٧٤	٥٣٤	﴿ قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون ﴾	٢٦١
٨٨	٧	﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون ﴾	٢٦٢
٨٩	٧	﴿ إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾	٢٦٣
١٠٦	٢١٧	﴿ إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون ﴾	٢٦٤
١٠٧	٢١٧	﴿ إني لكم رسول أمين ... ﴾	٢٦٥
٢١٤	٣٩٥ ، ٣٩٤	﴿ وأنذر عشيرتک الأقربين ... ﴾	٢٦٦
<b>سورة النمل</b>			
٦٠	٥٩٧	﴿ أمّن خلق السّموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء ... ﴾	٢٦٧
٦١	٥٩٧	﴿ أمّن جعل الأرض قراراً ... ﴾	٢٦٨
٨٨	٥٩٩	﴿ صنع الله الذي أتقن كل شيء ... ﴾	٢٦٩
٧٦	٢٧٠	﴿ إن هذا القرآن يقصُّ على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون ﴾	٢٧٠
<b>سورة القصص</b>			
١١	٢٧٠	﴿ وقالت لأخته قصيه ... ﴾	٢٧١
٣٨	٥٧٣	﴿ وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري ... ﴾	٢٧٢
٥٦	٤٠٣	﴿ ولكن الله يهدي من يشاء ... ﴾	٢٧٣
٧٩	٢٩٠	﴿ فخرج على قومه في زينته ... ﴾	٢٧٤
٨٠	٢٩٠	﴿ وقال الذين أتوا العلم ويلكم ... ﴾	٢٧٥
٨١	٢٩٠	﴿ فحسفنا به وبداره الأرض ... ﴾	٢٧٦
٨٣	٥٧٧ ، ٤٥٤	﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً ... ﴾	٢٧٧
<b>سورة العنكبوت</b>			
١	٢٨٥	﴿ ألم ﴾	٢٧٨
٢	٢٨٥	﴿ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون ﴾	٢٧٩
٣	٢٨٥	﴿ ولقد فتنا الذين من قبلهم ... ﴾	٢٨٠
١٨		﴿ وما على الرسول إلا البلاغ المبين ﴾	٢٨١
٤٥	١٦٢	﴿ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ... ﴾	٢٨٢
٦٩	١٠٧	﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ... ﴾	٢٨٣

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
		<b>سورة الروم</b>	
٥٢٢	٢٠	﴿ ومن آياته أن خلقكم من تراب ... ﴾	٢٨٤
٤٤	٢٧	﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده ... ﴾	٢٨٥
		<b>سورة لقمان</b>	
٥١١	١٠	﴿ خلق السماوات بغير عمد ترونها ... ﴾	٢٨٦
٦٠٧	١١	﴿ هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه ... ﴾	٢٨٧
٢١	١٣	﴿ يا بني لا تشرك بالله ... ﴾	٢٨٨
٢٢٥	١٧	﴿ يا بني أقم الصلاة ... ﴾	٢٨٩
٥٨٠	١٨	﴿ ولا تمش في الأرض مرحاً ... ﴾	٢٩٠
٩٥	٣٤	﴿ إن الله عنده علم الساعة ... ﴾	٢٩١
		<b>سورة السجدة</b>	
٥٧٦، ٥١٥	٧	﴿ وبدأ خلق الإنسان من طين ﴾	٢٩٢
٥٧٦	٨	﴿ ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ﴾	٢٩٣
٥٩	١٧	﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين ... ﴾	٢٩٤
٢٢٥	٢٤	﴿ وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا ... ﴾	٢٩٥
١٢٥	٢٧	﴿ أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز ... ﴾	٢٩٦
		<b>سورة الأحزاب</b>	
٣٨٦، ١٩٦، ٦٥	٢١	﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ... ﴾	٢٩٧
٣٦٧	٣٣	﴿ وقرن في يوتكن ... ﴾	٢٩٨
٦٣	٣٨	﴿ وكان أمر الله قدراً مقدروا ﴾	٢٩٩
٣٢٧، ٢٥٢	٤٠	﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ... ﴾	٣٠٠
٢٥٤	٤٠	﴿ ولكن رسول الله وخاتم النبيين ... ﴾	٣٠١
٥٥	٤٣	﴿ وكان بالمؤمنين رحيماً ﴾	٣٠٢
٢٧٥	٤٥	﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ﴾	٣٠٣
٢٧٥	٤٦	﴿ وداعياً إلى الله يأذنه وسراجاً منيراً ﴾	٣٠٤
٤٨٩، ١١	٥٨	﴿ والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا ... ﴾	٣٠٥
٤٨٧	٧٠	﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً ﴾	٣٠٦

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
٤٨٧	٧١	﴿ يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ... ﴾	٣٠٧
		سورة سبأ	
٣٢٦، ١٩	٢٨	﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ... ﴾	٣٠٨
٣٩٨	٤٩	﴿ قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يُعيد ﴾	٣٠٩
٦٠١	٣	﴿ عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ... ﴾	٣١٠
		سورة فاطر	
٢٥٥	٨	﴿ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ... ﴾	٣١١
٥٧٦	١١	﴿ والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ... ﴾	٣١٢
٣٩٨	١٤	﴿ إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ... ﴾	٣١٣
٥١٥	٢٧	﴿ ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها ... ﴾	٣١٤
٥١٥	٢٨	﴿ ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه ... ﴾	٣١٥
٥١٤	٢٨	﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ... ﴾	٣١٦
		سورة يس	
٥١٣	٣٧	﴿ وآية الليل نسلخ منه النهار ... ﴾	٣١٧
٥١٩، ٥١٣	٣٨	﴿ والشمس تجري لمستقر لها ... ﴾	٣١٨
٥٩٥، ٥١٩، ٥١٣	٣٩	﴿ والقمر قدرناه منازل ... ﴾	٣١٩
٥٩٥، ٥١٩، ٥١٣	٤٠	﴿ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ... ﴾	٣٢٠
٢٦	٦٠	﴿ اليوم نختم على أفواههم ... ﴾	٣٢١
٤٤	٧٧	﴿ أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة ... ﴾	٣٢٢
٤٨، ٤٤	٧٨	﴿ وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه ... ﴾	٣٢٣
٤٨، ٤٤	٧٩	﴿ قل يحيا الذي أنشأها أول مرة ... ﴾	٣٢٤
٤٨	٧٩	﴿ وهو بكل شيء عليم ﴾	٣٢٥
٤٦	٨٢	﴿ إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ... ﴾	٣٢٦
		سورة الصافات	
٢٢٣، ٢٢٢	١٠٢	﴿ يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك ... ﴾	٣٢٧
٢٢٣	١٠٣	﴿ فلماً أسلما وتله للجبين ﴾	٣٢٨
٢٢٣	١٠٤	﴿ وناديناه أن يا إبراهيم ﴾	٣٢٩
٢٢٣	١٠٥	﴿ قد صدقت الرؤيا ... ﴾	٣٣٠

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية	م
١٠٦	٢٢٣	﴿ إن هذا هو البلاء المبين ﴾	٣٣١
<b>سورة ص</b>			
١٧	٢٢١	﴿ اصبر على ما يقولون ... ﴾	٣٣٢
١٨	٧٨	﴿ إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق ﴾	٣٣٣
٤١	٢٢٣	﴿ واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه ... ﴾	٣٣٤
٤٤	٢٢٣	﴿ إنا وجدناه صابراً ... ﴾	٣٣٥
<b>سورة الزمر</b>			
٥	٦٠٤	﴿ يُكُور الليل على النهار ويُكُور النهار على الليل ... ﴾	٣٣٦
١٠	٢٢٣، ٢٢١	﴿ إنما يُوفى الصابرون أجرهم ... ﴾	٣٣٧
٦٥	٣٦	﴿ ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ... ﴾	٣٣٨
٦٨	٥٠	﴿ فإذا هم قيام ينظرون ﴾	٣٣٩
<b>سورة غافر</b>			
١٩	٥٦٢	﴿ يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ﴾	٣٤٠
٤٥	٥٧٣	﴿ وحق بال فرعون سوء العذاب ﴾	٣٤١
٤٦	٥٧٣	﴿ النار يُعرضون عليها غدواً وعشيا ... ﴾	٣٤٢
٥٧	٥٠٩	﴿ لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ... ﴾	٣٤٣
٦٠	٥٣٤	﴿ ادعوني استجب لكم ... ﴾	٣٤٤
٦٤	٥٢٠	﴿ الله الذي جعل لكم الأرض قراراً ... ﴾	٣٤٥
٦٧	٥٧٦	﴿ هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ... ﴾	٣٤٦
٧٨	٢٧٠	﴿ ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك ... ﴾	٣٤٧
<b>سورة فصلت</b>			
١١	٤٠٦	﴿ ثم استوى إلى السماء ... ﴾	٣٤٨
٢٠	٢٦	﴿ شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم ... ﴾	٣٤٩
٣٣	٢٤٥	﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله ... ﴾	٣٥٠
٥٣	٥٨٧، ٥٢٥	﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق ... ﴾	٣٥١
<b>سورة الشورى</b>			
١١	٤٢٨، ٣٦	﴿ ليس كمثل شيء وهو السميع البصير ... ﴾	٣٥٢

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
٢٥٢	١٣	﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ... ﴾	٣٥٣
٩٦	١٧	﴿ الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان ... ﴾	٣٥٤
٩٦	١٨	﴿ يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها ... ﴾	٣٥٥
<b>سورة الزخرف</b>			
٢٣٨	٧٤	﴿ إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون ... ﴾	٣٥٦
٢٣٨	٧٥	﴿ لا يُفتر عنهم ... ﴾	٣٥٧
<b>سورة الدخان</b>			
٧١	٣٨	﴿ وما خلقنا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِأَعِين ... ﴾	٣٥٨
٧١	٣٩	﴿ ما خلقناها إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون ... ﴾	٣٥٩
<b>سورة الجاثية</b>			
٣٢٥، ٤٤، ٣٦	٢٤	﴿ وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ... ﴾	٣٦٠
<b>سورة الأحقاف</b>			
٦٠٦	٤	﴿ قل أرايتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض ... ﴾	٣٦١
٣٩	٢٠	﴿ أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها ... ﴾	٣٦٢
٣٩٣، ٣٩٢٢٠	٣٥	﴿ فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ... ﴾	٣٦٣
٤٩	٣٣	﴿ أولم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض ولم يعس بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى ... ﴾	٣٦٤
<b>سورة محمد</b>			
٣٥٧، ٢٤٠	٣٨	﴿ هأنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله ... ﴾	٣٦٥
٢٢٥	٣١	﴿ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم ... ﴾	٣٦٦
٧	٢٤	﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾	٣٦٧
٩٦	١٨	﴿ فهل ينظرون إلى الساعة أن تأتيهم بغتة ... ﴾	٣٦٨
١٣٩	١٥	﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن ... ﴾	٣٦٩
<b>سورة الفتح</b>			
٢٩٠	٢٩	﴿ محمد رسول الله ... ﴾	٣٧٠
٥٠٤	٢٩	﴿ أشدء على الكفار ... ﴾	٣٧١

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية	م
		<b>سورة الحجرات</b>	
١٣	٥٧٧ ، ٢٩٧	﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ... ﴾	٣٧٢
		<b>سورة ق</b>	
٦	٥٩٠	﴿ أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها ... ﴾	٣٧٣
١٨	٥٦٢ ، ٣١٩	﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾	٣٧٤
٣٢	٣٩	﴿ هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ ﴾	٣٧٥
٣٣	٣٩	﴿ من خشى الرحمن بالغيب ... ﴾	٣٧٦
٣٩	٥٨	﴿ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ﴾	٣٧٧
		<b>سورة الذاريات</b>	
٢٠	٥٩٣	﴿ وفي الأرض آيات للموقنين ﴾	٣٧٨
٢١	٥٩٣ ، ٥٢١	﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾	٣٧٩
٤٨	٥١٥	﴿ والأرض فرشناها فنعم الماهدون ﴾	٣٨٠
٥٦	٥٣٧ ، ٣٢٦	﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾	٣٨١
		<b>سورة النجم</b>	
٣	٤٣٩ ، ٩٦	﴿ وما ينطق عن الهوى ﴾	٣٨٢
٤	٤٣٩ ، ٩٦	﴿ إن هو إلا وحي يوحى ﴾	٣٨٣
		<b>سورة القمر</b>	
١	٤٠٢	﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾	٣٨٤
٢	٤٠٢ ، ٧٢	﴿ وإن يروا آية يُعرضوا ... ﴾	٣٨٥
٤٩	٦٣	﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾	٣٨٦
		<b>سورة الرحمن</b>	
٧	٥١٢	﴿ والسماء رفعها ووضع الميزان ﴾	٣٨٧
١٤	٥٢٢ ، ٥١٩	﴿ خلق الإنسان من صلصال كالفخار ﴾	٣٨٨
١٩	٥١٩	﴿ مرج البحرين يلتقيان ﴾	٣٨٩
٢٠	٥١٩	﴿ بينهما برزخ لا يبغيان ﴾	٣٩٠

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
		<b>سورة الواقعة</b>	
٥٩١	٥٨	﴿ أفرايتم ما تمنون ﴾	٣٩١
٥٩١	٥٩	﴿ أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ﴾	٣٩٢
		<b>سورة الحديد</b>	
٢٤٠	٧	﴿ وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ... ﴾	٣٩٣
٥٠٢	١٦	﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ... ﴾	٣٩٤
٥٠٢، ١٠٩	١٦	﴿ ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل ... ﴾	٣٩٥
٢٩٤	٢٣	﴿ لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ... ﴾	٣٩٦
٣١٤	٦٤	﴿ اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو ... ﴾	٣٩٧
		<b>سورة المجادلة</b>	
٣٠٦	١	﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها ... ﴾	٣٩٨
		<b>سورة الحشر</b>	
٧	٢	﴿ فاعتبروا يا أولي الأبصار ﴾	٣٩٩
٩٧	٧	﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه ... ﴾	٤٠٠
		<b>سورة الممتحنة</b>	
١٠٥	١٣	﴿ قد يشوس من الآخرة كما يش الكفار من أصحاب القبور ﴾	٤٠١
		<b>سورة الصف</b>	
٣٣٧	٢	﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ﴾	٤٠٢
٣٣٧	٣	﴿ كبير مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾	٤٠٣
٤٠٨	٦	﴿ وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم ... ﴾	٤٠٤
		<b>سورة الجمعة</b>	
٢١٠	٢	﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم ... ﴾	٤٠٥
		<b>سورة المنافقون</b>	
٢٩٧	٤	﴿ وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم ... ﴾	٤٠٦
		<b>سورة التغابن</b>	
٤٢٦	٧	﴿ زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا ... ﴾	٤٠٧

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية	م
١٦	٣٥٨	﴿ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾	٤٠٨
سورة الطلاق			
٢	٥٧	﴿ ذلك يُوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ... ﴾	٤٠٩
٣	٥٩٩	﴿ قد جعل الله لكل شيء قدرا ﴾	٤١٠
سورة الملك			
٢	٢٠٠	﴿ ليلوكم أيكم أحسن عملا ... ﴾	٤١١
٣	٥١٤	﴿ الذي خلق سبع سماوات طباقا ... ﴾	٤١٢
٣	٥٩٠ ، ٥١٤	﴿ فارجع البصر هل ترى من فطور ﴾	٤١٣
٤	٥٩٠ ، ٥١٤	﴿ ثم ارجع البصر كرتين ... ﴾	٤١٤
١٠	٧	﴿ وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ... ﴾	٤١٥
١٢	٣٩	﴿ إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير ﴾	٤١٦
١٤	٢٦٦	﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾	٤١٧
١٥	٥١٥ ، ٣١٤	﴿ هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا ... ﴾	٤١٨
٢٣	٢٦	﴿ قل هو الذي أنشأكم ... ﴾	٤١٩
سورة القلم			
٤	٢١١	﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾	٤٢٠
سورة الحاقة			
٦	٢٨	﴿ وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية ﴾	٤٢١
١٨	٣٦٠	﴿ يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية ﴾	٤٢٢
٤٤	٥٦١	﴿ ولو تقول علينا بعض الأقاويل ﴾	٤٢٣
٤٥	٥٦١	﴿ لأخذنا منه باليمين ﴾	٤٢٤
٤٦	٥٦١	﴿ ثم لقطعنا منه الوتين ﴾	٤٢٥
٤٧	٥٦١	﴿ فما منكم من أحد عنه حاجزين ﴾	٤٢٦
سورة نوح			
١٣	٦٠٨	﴿ مالكم لا ترجون لله وقارا ﴾	٤٢٧
١٤	٦٠٨	﴿ وقد خلقكم أطوارا ﴾	٤٢٨
١٥	٦٠٨	﴿ ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا ﴾	٤٢٩



رقم الآية	رقم الصفحة	الآية	م
١٦	٦٠٨	﴿ وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا ﴾	٤٣٠
١٧	٦٠٨	﴿ والله أنبتكم من الأرض نباتا ﴾	٤٣١
١٨	٦٠٨	﴿ ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا ﴾	٤٣٢
٢٣	٥٢٨	﴿ وقالوا لا تدرن أمتكم ... ﴾	٤٣٣
<b>سورة المدثر</b>			
٣١	٥٥٢	﴿ وما يعلم جنود ربك إلا هو ... ﴾	٤٣٤
<b>سورة القيامة</b>			
٢٢	٥٨	﴿ وجوه يومئذ ناضرة ﴾	٤٣٥
٢٣	٥٨	﴿ إلى ربها ناظرة ﴾	٤٣٦
<b>سورة النازعات</b>			
٢٤	٥٧٣	﴿ فقال أنا ربكم الأعلى ﴾	٤٣٧
٢٧	٥١١	﴿ أم السماء بناها ﴾	٤٣٨
٣٧	٢٥٧	﴿ فأما من طغى ﴾	٤٣٩
٣٨	٢٥٧	﴿ وآثر الحياة الدنيا ﴾	٤٤٠
٣٩	٢٥٧	﴿ فإن الجحيم هي المأوى ﴾	٤٤١
٤٠	٢٥٧	﴿ وأما من خاف مقام ربه ... ﴾	٤٤٢
٤٠	٢٥٧	﴿ ونهى النفس عن الهوى ﴾	٤٤٣
٤١	٢٥٧	﴿ فإن الجنة هي المأوى ﴾	٤٤٤
<b>سورة المطففين</b>			
٦	٦٧، ١٠٤، ١٠٣	﴿ يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾	٤٤٥
١٤	١٠٤	﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾	٤٤٦
<b>سورة الطارق</b>			
٥	٥٨٠، ٥٢٢	﴿ فلينظر الإنسان مم خلق ﴾	٤٤٧
٦	٥٢٢	﴿ خلق من ماء دافق ﴾	٤٤٨
٧	٥٢٢	﴿ يخرج من بين الصلب والترائب ﴾	٤٤٩
<b>سورة الأعلى</b>			
١٦	٥٦٦، ٣١٠	﴿ بل تؤثرون الحياة الدنيا ﴾	٤٥٠

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية	م
١٧	٥٦٦، ٣١٠	﴿ والآخرة خير وأبقى ﴾	٤٥١
سورة الغاشية			
٤	١٨٧	﴿ تصلى ناراً حامية ﴾	٤٥٢
١٧	٢٧	﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ﴾	٤٥٣
١٨	٢٧	﴿ وإلى السماء كيف رفعت ﴾	٤٥٤
١٩	٢٧	﴿ وإلى الجبال كيف نُصبت ﴾	٤٥٥
٢٠	٢٧	﴿ وإلى الأرض كيف سطحت ﴾	٤٥٦
سورة الفجر			
٦	٥٨٤	﴿ ألم تر كيف فعل ربك بعاد ﴾	٤٥٧
٧	٥٨٤	﴿ إرم ذات العماد ﴾	٤٥٨
٨	٥٨٤	﴿ التي لم يخلق مثلها في البلاد ﴾	٤٥٩
٩	٥٨٤	﴿ وثمود الذين جابوا الصخر بالواد ﴾	٤٦٠
١٠	٥٨٤	﴿ وفرعون ذي الأوتاد ﴾	٤٦١
١١	٥٨٤	﴿ الذين طغوا في البلاد ﴾	٤٦٢
١٢	٥٨٤	﴿ فأكثروا فيها الفساد ﴾	٤٦٣
١٣	٥٨٤	﴿ فصبَّ عليهم ربك سوط عذاب ﴾	٤٦٤
٢٠	٣١٠	﴿ وتمحون المال حُباً جماً ﴾	٤٦٥
سورة التين			
٤	٥٢٠، ١٧٥	﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ﴾	٤٦٦
سورة البينة			
٨	٤٢	﴿ جزأؤهم عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار ... ﴾	٤٦٧
٦	٥٣٥	﴿ إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم ... ﴾	٤٦٨
سورة الزلزلة			
٧	٣٦٠، ٤٣، ٤٠	﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ﴾	٤٦٩
٨	٣٦٠، ٤٣، ٤٠	﴿ ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾	٤٧٠
سورة العاديات			
٨	٣١٠، ٢٤١	﴿ وإنه لحب الخير لشديد ﴾	٤٧١

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	٣
		سورة العصر	
٢٢٥	٣	﴿ وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ... ﴾	٤٧٢
		سورة المسد	
٣٩٥ ، ٣٩٤	١	﴿ تبت يدا أبي لهب وتب ... ﴾	٤٧٣
٣٩٤	٢	﴿ ما أغنى عنه ماله وما كسب ... ﴾	٤٧٤

## فهرس الأحاديث والآثار

رقم الصفحة	طرف الحديث	م
٢٨٥	« أبشروا آل عمار وآل ياسر فإن موعدكم الجنة ... »	١-
٣١٦	« أبشروا فإن من يأجوج ومأجوج ألفاً ومنكم رجلٌ ... »	٢-
٣٢٢	« أتدرون ما هذه الريح ؟ هذه ريح الذين يقتابون المؤمنين ... »	٣-
٥١	« أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار ... »	٤-
٣١٢	« أترون هذه هينة على صاحبها ؟ ... »	٥-
٢٩	« أتعجبون من ليين هذه ؟ ... »	٦-
١٨٩	« أتعطين زكاة هذا ؟ ... »	٧-
٨٨	« أتى النبي ﷺ ببناء وهو بالزوراء فوضع يده في الإناء ... »	٨-
٤٥٢	« أتى النبي ﷺ رجل فكلمه فجعل ثرغداً فرائصه فقال له " هون عليك " ... »	٩-
٨٧	« أتيت النبي ﷺ يوماً بتمرات فقلت : ادع الله لي فيهن بالبركة ... »	١٠-
٤٦٢	« أحلى من الصل ... »	١١-
١٢٨	« أخرجت عبداً لي ، لا يدان لأحد بقتالهم ... »	١٢-
٢٢٨	« أخوف ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا ... »	١٣-
٤	« أدعوك بدعاية الإسلام ... »	١٤-
٤٣٢	« إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم بأذناب البقر ... »	١٥-
١٩٥	« إذا توضأ العبد المسلم - أو المؤمن - ففضل وجهه ... »	١٦-
٢٣٣	« إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر لواء ... »	١٧-
٤٢٧، ٥٩	« إذا دخل أهل الجنة ، قال : يقول الله تعالى : تريدون شيئاً أزيدكم ... »	١٨-
١٧٦	« إذا سجد أحدكم فليعتدل ... »	١٩-
٥٥١	« إذا ظهر الزنا والرِّبَا في قرية فقد أطوا بأنفسهم عذاب الله ... »	٢٠-
١٥٧-١٥٦	« أرايت لو أن رجلاً خيل غر محجلة ... »	٢١-
١٦٦	« أرايت لو أن رجلاً كان يعمل ... »	٢٢-
٣٩٤	« أرايت لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم ... »	٢٣-
٤٢٩، ١٦٣	« أرايت لو أن نهراً بباب أحدكم ... »	٢٤-
٢٣٥	« أربع خلال من كُنَّ فيه كان منافقاً خالصاً ... »	٢٥-

- ٢٦- (( أربع في أمتي من أمر الجاهلية ... )) ..... ٣٧٢
- ٢٧- (( إرجعوا إلى أهليكم ، فاقيموا فيهم ، وعلموهم ، ومروهم ..... ٣٨٥
- ٢٨- (( أردفني رسول الله ﷺ ذات يوم خلفه فأسرَّ إلي حديثاً لا أخبر به أحداً أبداً ... )) ..... ٨٢
- ٢٩- (( إسباغ الوضوء في المكاره وإعمال الأقدام إلى المساجد ... )) ..... ١٦٠
- ٣٠- (( إستوصوا بالنساء ، فإنَّ المرأة خلقت من ضلع ... )) ..... ٣٧٥-٣٣
- ٣١- (( أشدُّ بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ... )) ..... ١٣٧
- ٣٢- (( أشرف النبي ﷺ على أطم من أطام المدينة ... )) ..... ١٠٨
- ٣٣- (( أعطيت خمساً لم يُعْطهنَّ أحد قبلي ، ... )) ..... ٣٢٧
- ٣٤- (( أفضل الصلاة بعد المكتوبة صلاة الليل ... )) ..... ٤٧٤
- ٣٥- (( أقبلنا مع رسول الله ﷺ من سفر حتى إذا دفعنا إلى حائط من حيطان بني النجار ... )) ..... ٨٣
- ٣٦- (( أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ... )) ..... ٤٩٠، ١٧٧
- ٣٧- (( أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله ﷺ من العذاب ما يُعذرون به في ترك دينهم ؟ قال : نعم ... )) ..... ٢٨٥
- ٣٨- (( ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ألا تدع تمثالا إلا طمسته ... )) ..... ٥٣٠
- ٣٩- (( ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ كلٌّ ضعيف متضعف ... )) ..... ٢٩٩
- ٤٠- (( ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عتَل جواظ مستكبر ... )) ..... ٥٨٢
- ٤١- (( ألا إني أوتيت هذا القرآن ومثله معه ... )) ..... ٤٣٩
- ٤٢- (( ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاء والبعير ... )) ..... ١٦
- ٤٣- (( ألا ليبلغ الشاهد الغائب ... )) ..... ٣٣٦
- ٤٤- (( ألا وإنَّ في الجسد مضغة ... )) ..... ٥
- ٤٥- (( ألم أتكم ضللاً فهداكم الله بي ... )) ..... ٢٠٠
- ٤٦- (( ألم أجدكم ضللاً فهداكم الله بي ، وكنتم متفرقين فالفكم الله بي ... )) ..... ٥٠٣
- ٤٧- (( أمّا بعد ، فإني أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولّاني الله ، فيأتي فيقول : هذا لكم وهذا أهديت لي ... )) ..... ٤٦١
- ٤٨- (( أمّا بعد فإنَّ أهل الشرك والأوثان كانوا يدفعون من هاهنا ... )) ..... ١٩٧
- ٤٩- (( أمّا بعد فإنَّ خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ... )) ..... ٥٢٧
- ٥٠- (( أمّا بعد فوالله إني لأعطي الرجل ... )) ..... ٢٢
- ٥١- (( أمّا ترضون أن تكونوا رُبُع أهل الجنة ؟ ... )) ..... ٣١٦

- ٥٢- « أمّا مررت بوادي أهلك مخلا ... » ..... ٤٢٧، ٤٦
- ٥٣- « أمّا يخشى أحدكم - أو ألا يخشى أحدكم - إذا رفع رأسه قبل الإمام ... » ..... ١٧٣
- ٥٤- « أمّا يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام ... » ..... ٤٨٩، ١٧٣
- ٥٥- « إن أنقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر ... » ..... ١٦٨
- ٥٦- « إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً ... » ..... ٥٢١، ٦٤
- ٥٧- « إن أمتي يأتون يوم القيامة غراً محجلين ... » ..... ١٥٦
- ٥٨- « إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم ... » ..... ٤٥٩
- ٥٩- « أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية ... » ..... ٧٢
- ٦٠- « إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ... » ..... ٤٥٩، ٤٤٣
- ٦١- « أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ... » ..... ٢١٥
- ٦٢- « إن الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ... » ..... ٤٤٠
- ٦٣- « إن الذي يُعذب النَّاس في الدنيا يعذبه الله في الآخرة ... » ..... ١١٥-١١٤
- ٦٤- « إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جُساءه ... » ..... ٥٦٤
- ٦٥- « إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة ... » ..... ١٠٥
- ٦٦- « إن العبد إذا قام يصلي أتى بذنوبه فجُطت على رأسه ... » ..... ١٦٧
- ٦٧- « إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها ، ينزل بها في النار ... » ..... ٥٦٣
- ٦٨- « إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها إلى النار ... » ..... ٣٢٢
- ٦٩- « إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ... » ..... ٤٨٧
- ٧٠- « إن الله أمر يحي بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بها ... » ..... ٣٥٦
- ٧١- « إن الله تعالى يحمي عبده المؤمن الدنيا وهو يُحبه ... » ..... ٣١٣
- ٧٢- « إن الله جعل الدنيا كلها قليلاً ... » ..... ٩٩
- ٧٣- « إن الله جميل يُحب الجمال ... » ..... ٤٥٥
- ٧٤- « إن الله خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة ... » ..... ٥٤
- ٧٥- « إن الله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً ... » ..... ٢٠٠
- ٧٦- « إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية ... » ..... ٥٠٣
- ٧٧- « إن الله يبعث ريحاً من اليمن ألين من الحرير ... » ..... ٤٦٦
- ٧٨- « إن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمنه ... » ..... ١٨١
- ٧٩- « إن المؤمن ليدرك بحسن خلق درجة الصائم القائم ... » ..... ٢١٢

- ٢٠١ ..... « إنَّ المدينة كالكبير تُخرج الخبيث ... »
- ٣٧٥ ..... « إنَّ المرأة خلقت من ضلعٍ لن تستقيم لك على طريقة ... »
- ١٦٦ ..... « إنَّ المسلم إذا توضأ فأحسن ... »
- ١٢٤ ..... « إنَّ المسيح الدجال رجل قصير أفحج ... »
- ٣٤٧ ..... « إنَّ المقسطين على منابر من لؤلؤ يوم القيامة ... »
- ٣٤٧ ..... « إنَّ المقسطين عند الله على منابر من نور ... »
- ٢٦١ ..... « إنَّ النَّاس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه ... »
- ٤٤٩ ..... « أنَّ النبي ﷺ أخذ حريراً فجعله في يمينه وذهباً فجعله في شماله ... »
- ٥٦٥ ..... « أنَّ النبي ﷺ قال له : " يا ذا الأننين " ... »
- ١١١ ..... « إنَّ اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ... »
- ١١١ ..... « إنَّ اليهود والنصارى لا يصبغون فخالقوهم ... »
- ٤٩٤ ..... « أنَّ امرأة سألت النبي ﷺ عن غسلها من المحيض ... »
- ٧٤ ..... « أنَّ امرأة من الأنصار قالت لرسول الله ﷺ ألا أجعل لك شيئاً تقعد عليه ... »
- ٦٣ ..... « أنَّ تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ... »
- ١٣٧ ..... « إنَّ حوضي أبعد من أيلة من عدن ... »
- ٤٤١، ٤٠٤، ٧٦ ..... « إنَّ دعوت الله هذا والعنق من هذه النحلة ... »
- ١٥٦ ..... « أنَّ رسول الله ﷺ أتى المقبرة ، فقال : " السَّلَام عليكم دار قوم مؤمنين ... »
- ٩٧ ..... « أنَّ رسول الله ﷺ خطب الناس يوم التَّحَر فقال : " يا أيها الناس أي يوم هذا "
- ٣٢٢ ..... « قالوا : يوم حرام ... »
- ١٤٤ ..... « أنَّ رسول الله ﷺ سئل : أين الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ... »
- ٥٦٨ ..... « أنَّ رسول الله ﷺ مرَّ على صبرة طعام فأدخل يده فيها ... »
- ١٠٠ ..... « إنَّ رسول بزق في كفه ثم وضع عليه إصبعه ، ثم قال : " يقول الله تبارك وتعالى
- ٥٨١ ..... يا ابن آدم تعجزني ... »
- ١٥٤ ..... « أنَّ عثمان دعا بوضوء ، فتوضأ ... »
- ١٠ ..... « إنَّ فتى شاباً أتى النبي ﷺ ، فقال : يا رسول الله انذن لي بالزنا ... »
- ٤٣٣، ٣٠٠ ..... « إنَّ في الجنة مائة درجة أعدّها الله للمجاهدين في سبيل الله ... »
- ١٣٧-١٣٦ ..... « إنَّ قدر حوضي كما بين أيلة وصنعاء من اليمن ... »
- ٥٦١ ..... « إنَّ كذباً عليّ ليس ككذب علي أحد ... »

- ١٠٦- (( إن كنت تُحِبني فأعد للفقر تجفافاً ... )) ..... ٢٩٥-٢٩٤
- ١٠٧- (( إن مثلكم في الأمم كمثل الشَّعرة البيضاء في جلد الثور الأسود ... )) ..... ٣١٦
- ١٠٨- (( إن مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قومه ... )) ..... ٢٥٨-٢٥٧
- ١٠٩- (( إن مما أخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا ... )) ..... ٢٢٧
- ١١٠- (( إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً ... )) ..... ٢١٢
- ١١١- (( إن من أشرّ الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرَّجُلُ يُفْضِي إلى امرأته ... )) ..... ٤٩٧
- ١١٢- (( إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يُفْضِي إلى امرأته وتفْضِي إليه ... )) ..... ٤٩٧
- ١١٣- (( إن من أكبر الكبائر الإِشْرَاقُ بالله ، وعقوق الوالدين ... )) ..... ٥٦٨
- ١١٤- (( إن من الشَّجَرِ شجرة لا يسقط ورقها ، وهي مثل المسلم ، حدثوني ما هي ؟ ... )) ..... ٤٨١
- ١١٥- (( أن يجعل الله وجهه وجه حمار ... )) ..... ١٧٣
- ١١٦- (( إنبعث لها رجل عزيز عارم منيع في رهطه مثل أبي زمعة ... )) ..... ٤٩٠
- ١١٧- (( أنتم الغرّ المُحْجَلون يوم القيامة ... )) ..... ١٥٨
- ١١٨- (( إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم عبادة الله ... )) ..... ٤١٠
- ١١٩- (( إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب ... )) ..... ٣٧-٣٦
- ١٢٠- (( إنكم تقولون : لا عدو وإنكم لا تزالون تُقاتلون عدواً حتى يأتي ياجوج وماجوج ... )) ..... ١٣٠-١٢٩
- ١٢١- (( إنكم ستأتون غداً - إن شاء الله - عين تبوك ... )) ..... ٩٠
- ١٢٢- (( إنكم ستحرصون على الإمارة ، وستكون ندامة يوم القيامة ... )) ..... ٣٤٣
- ١٢٣- (( إنكم سترون ربكم ، كما ترون هذا القمر ... )) ..... ٥٨
- ١٢٤- (( إنكم سترون ربكم عياناً ... )) ..... ٤٢٨
- ١٢٥- (( إنكم لتطمون أعمالاً أدق في أعينكم من الشعر ... )) ..... ٢١٦
- ١٢٦- (( إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق ... )) ..... ٢١١، ٢١٠
- ١٢٧- (( إنما جعل الإمام ليؤتم به ... )) ..... ١٧٤
- ١٢٨- (( إنما مثل الذي يتصدق بصدقة ثم يعود في صدقته كمثل الكلب ... )) ..... ٣٥٨
- ١٢٩- (( إنما مثل هذا مثل الذي يُصلي وهو مكتوف ... )) ..... ١٧٨
- ١٣٠- (( إنما مثلكم ومثلهم كمثل رجل استرعى إبلاً أو غنماً ... )) ..... ٣٤٥
- ١٣١- (( إنه شابٌ قَطَط ، عينه طافيه ... )) ..... ٤٩٠
- ١٣٢- (( أنه كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه ... )) ..... ٤٢١
- ١٣٣- (( إنه ليأتي الرَّجُلُ العظيم السَّمين يوم القيامة ... )) ..... ٤٧٦، ٢٩٨



- ١٣٤- (( إته ليس شيء بين السماء والأرض إلا يعلم أتي رسول الله ... )) ..... ٨٤
- ١٣٥- (( إتها أمارة من أمارات بين يدي الساعة ... )) ..... ١٨١
- ١٣٦- (( إتها لا تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات ... )) ..... ١٢٠
- ١٣٧- (( أنهلك وفيها الصالحون ؟ قال : " نعم إذا كثر الخبث ... )) ..... ٢٦١
- ١٣٨- (( إتي أرى ما لا ترون ، وأسمع ما لا تسمعون وإن السماء أظت ... )) ..... ٥١١،٥١٠
- ١٣٩- (( إتي أرى ما لا ترون ، وأسمع ما لا تسمعون ، وإن السماء أظت ... )) ..... ٥١١،٥١٠
- ١٤٠- (( إتي حاملك على ولد الناقة ... )) ..... ٥٦٦
- ١٤١- (( إتي كنت ألبس هذا الخاتم وأجعل فصه من داخل ... )) ..... ٤٥٠
- ١٤٢- (( إتي لا أقول إلا حقاً )) ..... ٥٦٥
- ١٤٣- (( إتي لشاهد عند النبي ﷺ في خلقه ، وفي يده حصى فسبحن في يده ... )) ..... ٧٧
- ١٤٤- (( أهديت للنبي ﷺ حلة حرير ، فجعل أصحابه يمسونها ويعجبون من لينها ... )) ..... ٤٦٥
- ١٤٥- (( أوصاتي خليلي ﷺ بثلاث ونهاتي عن ثلاث ... )) ..... ١٧٨
- ١٤٦- (( أوصيكم بالانصار ، فبأنهم كرشي وعييتي ... )) ..... ٢١
- ١٤٧- (( أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة ... )) ..... ١٧٣
- ١٤٨- (( إياكم والغلو في الدين ... )) ..... ١٩٩
- ١٤٩- (( آية المنافق ثلاث ... )) ..... ٢٣٨
- ١٥٠- (( أيسرك أن يسورك الله بهما يوم القيامة سوارين من نار ... )) ..... ١٨٩
- ١٥١- (( أيكم يحب أن هذا له بدرهم ؟ ... )) ..... ٣١٠
- ١٥٢- (( أيما مسلم كسا مسلماً ثوباً على عري ... )) ..... ١٨٠
- ١٥٣- (( أيها الناس إنما صنعت هذا لتأتموا بي ولتعلموا صلاتي ... )) ..... ٣٨٥
- ١٥٤- (( أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا ... )) ..... ٤٧٤،١٩٥
- ١٥٥- (( اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيام ... )) ..... ٢٤٠
- ١٥٦- (( اتقوا النار ولو بشق تمره ... )) ..... ١٨٣
- ١٥٧- (( ادع غرماءك فأوفهم ... )) ..... ٨٥
- ١٥٨- (( اذهب فصنف تمر ك أصنافاً ... )) ..... ٨٦
- ١٥٩- (( استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي ... )) ..... ٥٢٨
- ١٦٠- (( استوصوا بالنساء ... )) ..... ٣٧٥،٣٣،١٧
- ١٦١- (( اصنعوا كل شيء إلا النكاح ... )) ..... ١١٢-١١١

- ١٦٢- (( اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر ، فقال : " ما تذكرون؟ " ، قالوا : " نذكر الساعة... )) ١٢٠
- ١٦٣- (( اعتدلوا في السجود ... )) ١٧٥
- ١٦٤- (( الآيات خرزات منظومات في سلك ... )) ١٢١
- ١٦٥- (( الحياء شعبة من الإيمان ... )) ٢٥١
- ١٦٦- (( الربا ثلاثة وسبعون باباً أيسرها ... )) ٥٤١
- ١٦٧- (( السَّلَام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ... )) ٣٠٣
- ١٦٨- (( الصَّلَاة الصَّلَاة ، واتقوا الله فيما ملكت أيمانكم ... )) ١٦٢
- ١٦٩- (( الصَّلَاة نور والصدقة برهان ... )) ٢٢١
- ١٧٠- (( الصَّلوات الخمس كفارة لما بينها ... )) ١٦٦
- ١٧١- (( الصيام جنة ... )) ٤٣١
- ١٧٢- (( الطهور شرط الإيمان ... )) ١٥٢
- ١٧٣- (( العائد في هبته كالكلب يقىء ثم يرجع في قيئه ... )) ٣٢١
- ١٧٤- (( العزَّ إزاره ، والكبرياء رداؤه ... )) ٢٨٩
- ١٧٥- (( العهد الذي بيننا وبينهم الصَّلَاة ... )) ١٦١
- ١٧٦- (( الكبرياء رداي والعظمة إزاري ... )) ٥٧٢، ٢٨٩
- ١٧٧- (( اللهم إنك تعلم إنني لم أكن أحبَّ البقاء في الدنيا )) ١٩٣
- ١٧٨- (( المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالأترجة ... )) ٤٦٣
- ١٧٩- (( المؤمن عليها كالطرف والبرق والريح ... )) ١٤٨
- ١٨٠- (( المرأة كالضلع ، إن أقمتها كسرتها ... )) ٣٧٥
- ١٨١- (( المسائل كدوح يكدح بها الرجل وجهه ... )) ٥٧٠
- ١٨٢- (( النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال ... )) ٣٧٢-٣٧١
- ١٨٣- (( اليد العليا خير من اليد السفلى ... )) ٢٥٠
- ١٨٤- (( انتهينا ... )) ٢١٦
- ١٨٥- (( انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فلقنتين ... )) ٧٢
- ١٨٦- (( انطلق النبي ﷺ إلى روضة من جبل ... )) ٣٩٥-٣٩٤
- ١٨٧- (( انطلق نبي الله ﷺ إلى روضة من جبل فعلا أعلاها حجراً ثم نادى : " يا بني
- عبد مناف إني نذير ... )) ١٣٩٤
- ١٨٨- (( بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم ... )) ١٠١

- ١٨٩- (( بت في بيت ميمونة ليلة والنبي ﷺ عندها لأنظر كيف صلاة رسول الله ﷺ بالليل... )) ٥١٠
- ١٩٠- (( بعث النبي ﷺ رهطاً إلى أبي رافع ... )) ٩٣
- ١٩١- (( بُعثت أنا والساعة كهاتين ... )) ٩٩
- ١٩٢- (( بُعثت في نسم الساعة ... )) ١٠٠
- ١٩٣- (( بلغوا عني ولو آية ... )) ٥٨٧،٣٣٦
- ١٩٤- (( بُني الإسلام على خمس ... )) ١٩٠
- ١٩٥- (( بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة ... )) ١٦١
- ١٩٦- (( بينما أنا أمشي مع رسول الله ﷺ ، فقال " يا ابن الخصاوية ... )) ٣٠٤
- ١٩٧- (( بينما أنا نائم إذ أتاني رجلان فأخذا بضبعي ... )) ٥٥٠
- ١٩٨- (( بينما رجل راكب على بقرة التفتت إليه ، فقالت : لم أخلق لهذا ... )) ٨٢
- ١٩٩- (( بينما رجل يتبختر ... )) ٥٧٨،٢٨٨
- ٢٠٠- (( بينما رجل يمشي فاشتد عليه العطش ... )) ٢٥١
- ٢٠١- (( بينما رجل يمشي في حلة تُعجبه نفسه ... )) ٥٧٨،٢٨٨
- ٢٠٢- (( بينما نحن مع رسول الله ﷺ بمنى إذ انفلق القمر فلقين ... )) ٧٢
- ٢٠٣- (( تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب ... )) ٢٠١
- ٢٠٤- (( تحترقون تحترقون فإذا صليتم الصبح غسلتها ... )) ١٦٦
- ٢٠٥- (( ترى فيهنّ أباريق الذهب والفضة كعدد نجوم السماء ... )) ١٤٠
- ٢٠٦- (( تُريدون شيئاً أزيدكم ... )) ٥٩
- ٢٠٧- (( تُعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً ... )) ٤٧٧،١٠٢
- ٢٠٨- (( تقوى الله وحسن الخلق ... )) ٢١٢
- ٢٠٩- (( تهادوا فإن الهدية تذهب وحرّ الصدر ... )) ٣٦٨
- ٢١٠- (( تُوفي أبي وعليه دين فعرضت على غرّمائه أن يأخذوا التمر بما عليه فأبوا... )) ٨٥
- ٢١١- (( ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين ... )) ٤١٠
- ٢١٢- (( ثم ذهبت ألتفتت فإذا رجل جسيم أحمر جعيد الرأس ... )) ١٢٣
- ٢١٣- (( ثم يُوتي بالجرس فيجعل بين ظهري جهنم ... )) ١٤٥
- ٢١٤- (( ثم يبعث الله ريحاً كريح المسك ، مسّها مس الحرير ... )) ٤٦٦
- ٢١٥- (( ثم ينزل الله من السماء ماءً فينبتون ... )) ٤٢٥
- ٢١٦- (( جاء الأسلمي إلى رسول الله ﷺ فشهد على نفسه بالزنا أربع شهادات ... )) ٣١٩

- ٢١٧- « جاء جبريل عليه السلام ذات يوم إلى رسول الله ﷺ وهو جالس حزين ... » ..... ٧٥
- ٢١٨ « جاء ذئب إلى راعي الغنم وأخذ منها شاة فطلبه الراعي ... » ..... ٨١
- ٢١٩- « جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : نلتني على عمل يعدل الجهاد ، قال : ( لا أجده ) ... » ..... ٢٠٥-٢٠٦
- ٢٢٠- « جعل الله الرحمة في مائة جزء ... » ..... ٥٣
- ٢٢١- « حجوا فإن الحج يوصل الذنوب ... » ..... ٢٠٢
- ٢٢٢- « حرم لباس الحرير والذهب على ذكور أمتي وأحل لإناثهم ... » ..... ٤٤٩
- ٢٢٣- « حوضي مسيرة شهر ، وزواياه سواء ... » ..... ١٣٨
- ٢٢٤- « خالفوا اليهود فبأنهم لا يصلون في نعالهم وخفافهم ... » ..... ١١١
- ٢٢٥- « خذي فرصة مُمسكة فتوضئي ثلاثاً ... » ..... ٤٩٤
- ٢٢٦- « خذي فرصة من مسك فتطهري بها ... » ..... ٤٩٤
- ٢٢٧- « خرجنا مع رسول الله ﷺ عام غزوة تبوك فكان يجمع الصلاة ... » ..... ٨٩
- ٢٢٨- « خروج الآيات بعضها على إثر بعض ... » ..... ١٢١
- ٢٢٩- « خطب رسول الله ﷺ وهو عاصب إصبعه من لدغة عقرب ... » ..... ١٢٩-١٣٠
- ٢٣٠- « خطبنا رسول الله ﷺ بعرفة فحمد الله وأثنى عليه ... » ..... ١٩٧
- ٢٣١- « دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب فجعل يطعنها بعود في يده... » ..... ٣٩٨
- ٢٣٢- « درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد من ست وثلاثين زنيه ... » ..... ٥٤٢
- ٢٣٣- « ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة فحفظ فيه ورفع ... » ..... ١٢٢
- ٢٣٤- « رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد ... » ..... ٤٣٢
- ٢٣٥- « رأيت الليلة رجلين أتياي ... قالوا : انطلق ... فانطلقنا إلى ثقب مثل التنور ... » ..... ٥٤٩
- ٢٣٦- « رأيت الليلة رجلين أتياي فأخرجاني إلى أرض مقدسة ، فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم ... » ..... ٥٤٠
- ٢٣٧- « رأيت النبي ﷺ رمى الجمرة بمثل حصي الخذف ... » ..... ١٩٩
- ٢٣٨- « رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر فالتمس الوضوء ... » ..... ٨٧
- ٢٣٩- « رأيت رسول الله ﷺ يرمي على راحلته يوم النحر ... » ..... ١٩٨
- ٢٤٠- « رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب ، لو أقسم على الله لأبره ... » ..... ٢٩٩
- ٢٤١- « رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها ... » ..... ٣٠٠
- ٢٤٢- « رفع القلم عن ثلاثة ... » ..... ٦
- ٢٤٣- « زوروا القبور فإنها تذكر الموت ... » ..... ٥٢٩

- ٢٤٤ - « سئل أيكون المؤمن جبناً ؟ قال : " نعم " ... » ..... ٢٣٨
- ٢٤٥ - « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر ... » ..... ٤٨٩
- ٢٤٦ - « سبعة يُظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ... » ..... ٣٤٧
- ٢٤٧ - « سحرنا محمد ... » ..... ٤٠٢
- ٢٤٨ - « سرنا مع رسول الله ﷺ حتى نزلنا واديا أفيح ... » ..... ٧٧
- ٢٤٩ - « سيكون بعدي أمراء يقولون ولا يردّ عليهم ... » ..... ٣٥٠
- ٢٥٠ - « صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي : " يا بني فهر ، يا بني عدي ... » ..... ٣٩٤
- ٢٥١ - « صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ ... » ..... ١٦٧
- ٢٥٢ - « صلوا كما رأيتموني أصلي ... » ..... ١٩٨
- ٢٥٣ - « صنفان من أهل النار لم أرهما ... » ..... ١١٤-١١٣
- ٢٥٤ - « ضرب رسول الله ﷺ مثل البخيل والمتصدق ... » ..... ١٨٤-١٨٣
- ٢٥٥ - « طعمها مرٌ ولا ریح لها ... » ..... ٤٦٣
- ٢٥٦ - « عرضت عليّ الأمم ، فجعل النبيّ والنبيّان يمرّون معهم الرّهط ... » ..... ٣١٥
- ٢٥٧ - « عطش الناس يوم الحديبية والنبيّ ﷺ بين يديه ركوة ... » ..... ٨٨
- ٢٥٨ - « علام تؤمنون بأيديكم كأنها أذنان خيل شمس ... » ..... ١٧٧
- ٢٥٩ - « عليكم بالصدق . فإنّ الصدق يهدي إلى البر ... » ..... ٤٧٥، ٢٣٧
- ٢٦٠ - « غير الدجال أخوفني عليكم ... » ..... ١٢٢
- ٢٦١ - « فبني أعطي رجالاً حديثي عهد بكفر آتألفهم ... » ..... ٢٢
- ٢٦٢ - « فالله أحق أن يستحي منه الناس ... » ..... ١٠
- ٢٦٣ - « فاتطلقنا فأتينا على مثل الثور ... » ..... ٢٨٢
- ٢٦٤ - « فبينما هم يعدّون للقتال ويُسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة ... » ..... ١٢٦
- ٢٦٥ - « فبينما هو كذلك ، إذ أوحى الله إلى عيسى : أني قد أخرجت عبداً لي ، لايدان لأحدٍ بقتالهم ... » ..... ١٢٨
- ٢٦٦ - « فتبسم رسول الله ﷺ ضاحكاً ، فقال : " لعنك تريدان أن ترجعي إلى رفاعة؟ ... » ..... ٤٩٨
- ٢٦٧ - « فجعل الجناب والفراش يقعن فيها ... » ..... ٢٥٥
- ٢٦٨ - « فدعا رسول الله ﷺ بالشهود فجاءوا بأربعة فشهدوا أنهم رأوا نكراه في فرجها... » ..... ٤٩٨
- ٢٦٩ - « فذلك مثل الصلوات الخمس ... » ..... ١٦٣
- ٢٧٠ - « فلما أتى على الصنم جعل يطعنه في عينه ، ويقول : ( جاء الحق وزهق الباطل ) ... » ..... ٣٩٩-٣٩٨

- ٢٧١- « فلماً قعد منها مقعد الرجل من امرأته ... » ..... ٢٧٤
- ٢٧٢- « فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله ؟ ... » ..... ٢٦٧
- ٢٧٣- « فهل تُضامون في رؤية الشمس إذا كان صحوا ؟ ... » ..... ٦١
- ٢٧٤- « فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً ... » ..... ٥٨٧
- ٢٧٥- « فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم ... » ..... ٣١١
- ٢٧٦- « فيعطون نورهم على قدر أعمالهم ... » ..... ١٤٨
- ٢٧٧- « فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ... » ..... ٣١٥
- ٢٧٨- « قال : " قل : ربي الله ثم استقم " قلت يا رسول الله ... » ..... ٣١٨
- ٢٧٩- « قال الله : كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به ... » ..... ١٩٠
- ٢٨٠- « قال الله عز وجل : الكبرياء ردائي ... » ..... ٥٧٢، ٤٥٦
- ٢٨١- « قال رجل للنبي ﷺ : يا رسول الله والله إني لأحبك ، فقال : " انظر ماذا تقول ؟ ... » ..... ٢٩٥، ٢٩٤
- ٢٨٢- « قال لي ... وأما الرجال والنساء العراة الذين في مثل بناء التتور فهم الزناة والزواني... » ..... ٢٨٢
- ٢٨٣- « قلت يا رسول الله أنرى ربنا ؟ قال : " نعم " ... » ..... ٦٢
- ٢٨٤- « قمت على باب الجنة ، فإذا عامة من دخلها المساكين ... » ..... ٢٩٨-٢٩٩
- ٢٨٥- « قوموا فاتحروا ثم احلقوا ... » ..... ١٩٩
- ٢٨٦- « كان آخر كلام النبي ﷺ : " الصلاة الصلاة " ... » ..... ١٦٢-١٦٣
- ٢٨٧- « كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يرون شيئا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة... » ..... ١٦٢
- ٢٨٨- « كان الرجل فيمن قبلكم يُحفر له في الأرض ... » ..... ٢٧٦
- ٢٨٩- « كان النبي ﷺ إذا خطب أحمرت عيناه وعلا صوته ... » ..... ٢٥٩
- ٢٩٠- « كان رسول الله إذا سجد جافى ... » ..... ١٧٦
- ٢٩١- « كان كلام رسول الله ﷺ فصلاً يفهمه كل من سمعه ... » ..... ٤٧٣، ٤٢١
- ٢٩٢- « كان هؤلاء قوماً صالحين في قوم نوح الطينين ... » ..... ٥٢٩
- ٢٩٣- « كل ابن آدم تأكله الأرض إلا عجب الذنب ... » ..... ٥٠-٤٩
- ٢٩٤- « كل عمل ابن آدم له ، الحسنه بعشر أمثالها ... » ..... ١٩٠
- ٢٩٥- « كل لحم نبت من سحت فالنار أولى به ... » ..... ٥٤٥
- ٢٩٦- « كُلام من جيفة هذا الحمار ... » ..... ٣٢٠
- ٢٩٧- « كلاً والذي نفس محمد بيده إن الشملة لتلتهب عليه ناراً ... » ..... ٤٤٦
- ٢٩٨- « كُنا مع النبي ﷺ فارفعت ربح منتنة ... » ..... ٣٢٢

- ٢٩٩- « كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . إِذْ سَمِعَ وَجِبَةً ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " تَدْرُونَ مَا هَذَا ؟ " ... » ٥٦٥
- ٣٠٠- « كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ ، فَأَقْبَلَ أَعْرَابِيٌّ ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ ... » ٤٠٤
- ٣٠١- « كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ فَرَادَ أَنْ يَقْضِيَ حَاجَتَهُ ، فَقَالَ لِي : " أَنْتَ تَلِكِ الْأَشْأَاتَيْنِ ... » ٤٤٢، ٧٦
- ٣٠٢- « كَيْفَ أَنْتَ يَا ثُوْبَانَ إِذَا تَدَاعَتْ عَلَيْكُمْ الْأُمَمُ ... » ٤٢٣
- ٣٠٣- « لِأَبْعَثَنَّ مَعَكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ ... » ٢١٨-٢١٧
- ٣٠٤- « لِأَعْطِينَ الرَّايَةَ رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ ... » ٩١
- ٣٠٥- « لِأَنْ أَمْشِيَ عَلَى جَمْرَةٍ أَوْ سَيْفٍ ، أَوْ أَخْصَفَ نَعْلِي بِرَجْلِي ... » ٣٠٤-٣٠٣
- ٣٠٦- « لِأَنْ يَجْلِسَ أَحَدُكُمْ عَلَى جَمْرَةٍ فَتَحْرُقَ ثِيَابَهُ ... » ٣٠٣
- ٣٠٧- « لَا أَلْفِينُ أَحَدُكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رِقْبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ ... » ٤٤٨
- ٣٠٨- « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَيَلُ لِّلْعَرَبِ مِنْ شَرْقٍ اقْتَرَبَ ، فَتَحَ مِنْ رَدْمٍ يَأْجُوجُ مِثْلَ هَذِهِ ... » ١٢٨
- ٣٠٩- « لَا أَنْتَ مُؤْمِنٌ وَهُوَ كَافِرٌ ... » ٤٩١
- ٣١٠- « لَا تَزَالُ الْمَسْأَلَةُ بِأَحَدِكُمْ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مِزْعَةٌ لَحْمٍ ... » ٥١٨، ٥٧٠
- ٣١١- « لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ ... » ٥٠٧
- ٣١٢- « لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ ... » ٢١٨
- ٣١٣- « لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٌ يَوْمَ الْقِيَامِ حَتَّى يَسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ ... » ٣٥٥
- ٣١٤- « لَا تَشْتَرِهِ ، وَلَا تَعُدْ فِي صَدَقَتِكَ ، وَإِنْ أَعْطَاكَ بِدْرَهْمٍ ... » ٣٥٨
- ٣١٥- « لَا تَقْبَلْ صَلَاةَ بَغَيْرِ طَهْوَرٍ ... » ١٥٤
- ٣١٦- « لَا تَقُومِ السَّاعَةَ حَتَّى تَقَاتِلُوا قَوْمًا نَعَالَهُمُ الشَّعْرُ ... » ١٣٠
- ٣١٧- « لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَا وُضُوءَ لَهُ ... » ١٥٤-١٥٣
- ٣١٨- « لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ خَيْرَهُ وَشَرَّهُ ... » ٦٤-٦٣
- ٣١٩- « لَا يَحِلُّ دَمُ امْرَأَةٍ مُسْلِمَةٍ إِلَّا فِي إِحْدَى ثَلَاثٍ ... » ٥٤٧
- ٣٢٠- « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ الْجَوَّازُ وَلَا الْجَعْظَرِيُّ ... » ٥٨٢
- ٣٢١- « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ ... » ٥٧٣، ٤٥٥، ٢٨٨
- ٣٢٢- « لَا يَسْتَرَعِي اللَّهَ عَبْدٌ رَعِيَةً فَيَمُوتُ يَوْمَ وَهِيَ لَهَا غَائِشٌ ... » ٥٦٩
- ٣٢٣- « لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ ... » (غ)
- ٣٢٤- « لَا يَنْظُرُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بِطَرَأٍ ... » ٥٧٩
- ٣٢٥- « لِنَأْخُذُوا عَنِّي مَنَاسِكُمْ ... » ١٩٨
- ٣٢٦- « لِنَتَّبِعَنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ... » ١١٠-١٠٩

- ٣٠٠ ..... « لروحة في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها ... »
- ٤٩٨ ..... « لعك تريدن أن ترجعي إلى رفاعة؟ ... »
- ٥٣٠ ..... « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ... »
- ١٦٧ ..... « لقد رأيتنا وما يتخلف عن الصلاة إلا منافق ... »
- ٤٨٨، ٣٢٣ ..... « لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته ... »
- ٢٢٠ ..... « لقد كان من قبلكم ليمشط بالحديد ... »
- ٢٣٣ ..... « لكل غادر لواء عند استه يوم القيامة ... »
- ٢٣٤ ..... « لكل غادر لواء يوم القيامة يُرفع له بقدر غدره ... »
- ٥٥٦، ٥٥١ ..... « لم تظهر الفاحشة في قوم حتى يعنون بها إلا فشا فيهم الطاعون ... »
- ٢٠٤ ..... « لما يري من فضل الشهادة ... »
- ٤٦٧ ..... « لهُو أطيب عند الله من ريح المسك ... »
- ٤٥٢ ..... « لو دُعيت إلى كراع أو نراع لأجبت ... »
- ٢٩٤ ..... « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ... »
- ٥٥ ..... « لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد ... »
- ١١٠ ..... « لياتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل ... »
- ١٤١ ..... « ليردن على ناس من أصحابي الحوض ... »
- ٣٧٣ ..... « ليس منا من لطم الخدود ، وشق الجيوب ، ودعا بدعوا الجاهلية ... »
- ١٠٦ ..... « لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات ... »
- ٥٧٤ ..... « لينتهين أقوام يفتخرون بأبائهم الذين ماتوا ... »
- ٣٤٤ ..... « ليوشك رجل أن يتمنى أنه خر من الثريا ... »
- ٣٢٣ ..... « ما أحب أني حكيت إنساناً وأن لي كذا وكذا ... »
- ٥٤٣ ..... « ما أخذ أكثر من الربا إلا كان عاقبة أمره إلا قلة ... »
- ٣١٣ ..... « ما أنا والدنيا ، إنما أنا والدنيا كراكب استظل تحت شجرة ... »
- ٤٥١، ٤٥ ..... « ما بعث الله نبينا إلا رعى الغنم ... »
- ..... « ما بين النفختين أربعون ... »
- ١٢٧ ..... « ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أكبر من الدجال ... »
- ١٢٠ ..... « ما تذكرون؟ » قالوا : نذكر الساعة ... «
- ١٨١ ..... « ما تصدق أحد بصدقة من طيب ولا يقبل الله إلا الطيب ... »



- ٣٥٥- « ما تضحكون ؟ لرجل عبدالله أثقل في الميزان من أحد ... » ..... ٢٩٨
- ٣٥٦- « ما حلف حالف بالله يمين صبر ... » ..... ٢٣٩
- ٣٥٧- « ما ذنبا جاتعان أرسلنا في غم ... » ..... ٢٤٠
- ٣٥٨- « ما رأيك في هذا ؟ ... » ..... ٤٧٧، ٢٩٦
- ٣٥٩- « ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة ... » ..... ٢١٢
- ٣٦٠- « ما من أحد يدخل الجنة يُحب أن يرجع إلى الدنيا ... » ..... ٢٠٤
- ٣٦١- « ما من ثلاثة في قرية ولا بدو ، لا تقام فيهم الصلاة ... » ..... ١٦٨
- ٣٦٢- « ما من دابة إلا وهي مُصَيخة يوم الجمعة ... » ..... ٨٠
- ٣٦٣- « ما من صاحب إبل لا يفعل منها حقها ... » ..... ١٨٦-١٨٥
- ٣٦٤- « ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها ... » ..... ٣٦٠، ١٨٥
- ٣٦٥- « ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يُحطها بنصحها ... » ..... ٣٥٠
- ٣٦٦- « ما من مسلم يتطهر فيتم الطهور ... » ..... ١٥٣
- ٣٦٧- « ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفرَّ الله بها عنه ... » ..... ٢٢٤
- ٣٦٨- « ما منكم رجل يُقرب وضوءه فيمضض ... » ..... ١٥٧
- ٣٦٩- « ما نلتما من عرض هذا الرجل أنفا أشد من أكل هذه الجيفة ... » ..... ٣٢٠
- ٣٧٠- « ما يسرنى أني حكيت رجلاً وأن لي كذا وكذا ... » ..... ٤٨٨
- ٣٧١- « ما يُصيب المؤمن من شوكة فما فوقها إلا رفعه بها درجة ... » ..... ٢٢٤
- ٣٧٢- « ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ... » ..... ٢٢٤
- ٣٧٣- « مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد ... » ..... ٢٤١
- ٣٧٤- « مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير ... » ..... ٤٣٤
- ٣٧٥- « مثل الذي يتعلم العلم ، ثم لا يحدث به كمثل الذي يكنز الكنز ... » ..... ٣٤٠
- ٣٧٦- « مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار غمر ... » ..... ١٦٣
- ٣٧٧- « مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينه ... » ..... ٢٦٠
- ٣٧٨- « مثل المؤمن كالخامة من الزرع ... » ..... ٢٥٠
- ٣٧٩- « مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم ... » ..... ٢٠٥
- ٣٨٠- « مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استأجر قوماً ... » ..... ٤١١
- ٣٨١- « مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين ... » ..... ٤٣٦
- ٣٨٢- « مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم - كمثل الغيث أصاب أرضاً ... » ..... ٣٣١

- ٣٨٣- « مثلكم ومثل أهل الكتابين ، كمثل رجل استأجر أجراً ... » ..... ٤١١-٤١٠
- ٣٨٤- « مثلي كمثل رجل استوقد ناراً ... » ..... ٢٥٥
- ٣٨٥- « مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بُنياناً ... » ..... ٢٥٣
- ٣٨٦- « من آتاه الله مالاً فلم يُؤدِّ زكاته ... » ..... ١٨٦
- ٣٨٧- « من أتم الوضوء كما أمره الله ... » ..... ١٥٣
- ٣٨٨- « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ ... » ..... ٥٢٨
- ٣٨٩- « من ابتلي بشيء من البنات فصبر عليهنَّ كُنَّ له حجاباً من النار ... » ..... ٣٧٨
- ٣٩٠- « من ابتلي من البنات بشيء فأحسن إليهنَّ كُنَّ له ستراً من النار ... » ..... ٣٧٩
- ٣٩١- « من استطاع منكم أن يستتر من النار ... » ..... ١٨٣
- ٣٩٢- « من استعملناه منكم على عمل فكتمنا مخيطاً فما فوقه كان غلواً ... » ..... ٤٤٥
- ٣٩٣- « من تصدَّقَ بعدلِ تمرّة من كسب طيب ... » ..... ١٨٠
- ٣٩٤- « من تصدَّقَ بعدلِ تمرّة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب ... » ..... ٣٥٦
- ٣٩٥- « من تعظّم في نفسه أو اختل في مشيته ... » ..... ٥٧٩
- ٣٩٦- « من توضع فأحسن الوضوء خرجت خطاياها من جسده ... » ..... ١٥٩
- ٣٩٧- « من حجَّ فلم يرفث ولم يفسق ... » ..... ٢٠٠
- ٣٩٨- « من حلف على يمين يقطع بها مال امرئ ... » ..... ٢٣٩
- ٣٩٩- « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجر من تبعه ... » ..... ٣٤٥
- ٤٠٠- « من سأل الناس تكثراً فبئس يسأل جمرأ ... » ..... ٥٧٠
- ٤٠١- « من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار ... » ..... ٣٣٩-٣٣٣
- ٤٠٢- « من سلك طريقاً فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة ... » ..... ٣٣٤
- ٤٠٣- « مَنْ صاحبِ الجمل ؟ ... » ..... ٨٣
- ٤٠٤- « من صام رمضان إيماناً واحتساباً ... » ..... ١٨
- ٤٠٥- « من صام يوماً في سبيل الله جعل الله بينه وبين النار خندقاً ... » ..... ٤٣١، ١٩٣
- ٤٠٦- « من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو وضم أصابعه ... » ..... ٣٧٨
- ٤٠٧- « من عال جاريتين دخلت أنا وهو الجنة كهاتين ... » ..... ٣٧٨
- ٤٠٨- « من غشنا فليس منا ... » ..... ٥٣٨
- ٤٠٩- « من قاتل في سبيل الله فواق ناقة ... » ..... ٢٠٧
- ٤١٠- « من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها توجد من مسيرة ... » ..... ١٥١

- ٥٧٣ ..... « من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ... » ٤١١
- ٥٧٣ ..... « من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر أكبه الله ... » ٤١٢
- ٣١٩ ..... « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » ٤١٣
- ٣٦٥ ..... « من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما ، جاء يوم القيامة وأحد شقيه ساقط » ٤١٤
- ٣٦٥ ..... « من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط » ٤١٥
- ٣٦٥ ..... « من كانت له امرأتان فمال إلى أحدهما جاء يوم القيامة وشقه مائل » ٤١٦
- ١٩٧ ..... « نحرنا هاهنا ومنى كلها منحر ... » ٤١٧
- ٤٣٢ ..... « نُصرت بالرعب مسيرة شهر ... » ٤١٨
- ٣٥٥ ..... « نعم المال الصالح للرجل الصالح ... » ٤١٩
- ٤٥-٤٤ ..... « نعم يبعث الله هذا ثم يميتك ... » ٤٢٠
- ٥٢٩ ..... « نهى رسول الله ﷺ أن يُجصَّصَ القبر وأن يُقعد عليه ... » ٤٢١
- ٢٩٧ ..... « نهى رسول الله ﷺ عن نقرة الغراب وافتراش السبع ... » ٤٢٢
- ٢٩٧، ٢٩٦ ..... « هذا والله خير من ملء الأرض من مثل هذا ... » ٤٢٣
- ١٠٨ ..... « هل ترون ما أرى ؟ ... » ٤٢٤
- ٤٢٨ ..... « هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحواً ؟ ... » ٤٢٥
- ٢٨٠ ..... « هل رأى أحد منكم من رؤيا ... » ٤٢٦
- ٤٨٥، ٣١، ٩ ..... « هل لك من إبل ؟ ... » ٤٢٧
- ٩٠ ..... « هل مسستما من ماءها شيئاً ... » ٤٢٨
- ٣٠٨ ..... « هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال رسول الله ﷺ : " نعم " ... » ٤٢٩
- ٢٠٤ ..... « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، ألا إن القوة الرمي ... » ٤٣٠
- ٣٥٦ ..... « وأمركم بالصدقة ، فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو فأوثقوا يده إلى عنقه... » ٤٣١
- ٣٥٦ ..... « وأمركم بالصدقة ... » ٤٣٢
- ٥٦٤، ٤٨٧ ..... « وإن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يهوي بها في النار ... » ٤٣٣
- ٤٥١ ..... « وإن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ... » ٤٣٤
- ٥٠٢، ٣٦ ..... « وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم ... » ٤٣٥
- ٣٥٥ ..... « وإن هذا المال خضيرة حلوة ... » ٤٣٦
- ٣٥٥ ..... « وإنه من يأخذه بغير حقه كالذي يأكل ولا يشبع ... » ٤٣٧
- ٢٢٧-٢٢٦ ..... « وأهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مقسط متصدق موفق ... » ٤٣٨

- ٤٣٩- « وأهل النار خمسة : الضعيف الذي لا زبیر له ... » ..... ٢٣٨
- ٤٤٠- « والذي نفس محمد بيده : لآتيته أكثر من عدد نجوم السماء ... » ..... ١٤١
- ٤٤١- « والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة ... » ..... ٤١٦
- ٤٤٢- « والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ... » ..... ٤٦٦، ١٩١
- ٤٤٣- « والذي نفسي بيده ، لا يكلم أحد في سبيل الله ... » ..... ٢٠٦
- ٤٤٤- « والذي نفسي بيده ، لقد هممت أن أمر بحطب فيحطب ... » ..... ١٦٧
- ٤٤٥- « والصراط كحدّ السيف مدحضته مزلة ... » ..... ١٤٦
- ٤٤٦- « والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن " قيل : ومن يا رسول الله ... » ..... ٢٣٦
- ٤٤٧- « والله ليتمنّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ... » ..... ٢٢٢
- ٤٤٨- « والله ما أخشى عليكم أيها الناس إلا ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا ... » ..... ٢٢٨
- ٤٤٩- « والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه ... » ..... ٣١٣
- ٤٥٠- « وجُعلت قرّة عيني في الصلاة ... » ..... ١٦٢
- ٤٥١- « ودينا أن موسى كان صبر فقصّ الله علينا من خبرهما ... » ..... ٢٦٦
- ٤٥٢- « وصلوا كما رأيتموني أصلي ... » ..... ٣٨٥
- ٤٥٣- « وكان يطعمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا : السلام عليكم يا أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ... » ..... ٥٢٩
- ٤٥٤- « ولا تجعلوا قبوري عيداً ... » ..... ٥٣٥
- ٤٥٥- « ولقد رأيت رسول الله ﷺ قام عليه - أي على المنبر - فكبر وكبر الناس وراءه وهو على المنبر ... » ..... ٣٨٥
- ٤٥٦- « ولكن أعطى أقواماً لما أرى في قلوبهم من الجزع ... » ..... ٢٢٧
- ٤٥٧- « ولو تعلموا ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ... » ..... ١٩
- ٤٥٨- « ولينزعنّ الله من صدور عدوك المهابة منكم ... » ..... ١١٨
- ٤٥٩- « وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله ... » ..... ٤٥١
- ٤٦٠- « ومن سنّ في الإسلام سنة سيئة ... » ..... (خ)
- ٤٦١- « ونبيكم قائم على الصراط يقول : رب ستم ستم ... » ..... ١٥٥
- ٤٦٢- « ويضرب الصراط بين ظهري جهنم ... » ..... ١٤٥
- ٤٦٣- « ويظهرون على الأرض ( أي ياجوج وماجوج ) ... » ..... ١٣١
- ٤٦٤- « ويُعطي كل إنسان منهم منافع أو مؤمن نورا ... » ..... ١٤٨

- ٤٦٥- (( ويلٌ للأمرء ، ويلٌ للعرفاء ، ويلٌ للأمناء ... )) ..... ٣٤٣
- ٤٦٦- (( ويلٌ للذي يُحدّث بالحديث ليضحك به القوم فيكذب ... )) ..... ٥٦٣
- ٤٦٧- (( ويوضع الصراط مثل حدّ موسى ... )) ..... ١٤٦
- ٤٦٨- (( يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أفتاب بطنه ... )) ..... ٤٨٣، ٣٣٦
- ٤٦٩- (( يأكل التراب كل شيء من الإنسان إلا عجب الذنب ... )) ..... ٥٠
- ٤٧٠- (( يا أبا نرّ ! إنك امرؤٌ فيك جاهلية ... )) ..... ٥٧٦
- ٤٧١- (( يا أبا عمير ما فعل الثغير ... )) ..... ٥٦٦
- ٤٧٢- (( يا أيها الناس ، ما يحملكم أن تتابعوا على الكذب ... )) ..... ٢٣٨
- ٤٧٣- (( يا أيها الناس إنّ الله طيب لا يقبل إلا طيباً ... ثم ذكر الرجل يطيل السفر ... )) ..... ٥٤٥
- ٤٧٤- (( يا أيها الناس إني صنعت هذا لتأموا بي ... )) ..... ٣٨٥
- ٤٧٥- (( يا أيها الناس لا يقتل بعضكم بعضاً ... )) ..... ١٩٨
- ٤٧٦- (( يا بلال ! أقم الصلاة ، أرحنا بها ... )) ..... ١٦٢
- ٤٧٧- (( يا بني عبد مناف إني نذير ... )) ..... ٣٩٥-٣٩٤
- ٤٧٨- (( يا بني عبدالمطلب لا أغني عنكم من الله شيئاً ... )) ..... ٢١
- ٤٧٩- (( يا بني كعب بن لؤي ! أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني مرّ بن كعب ! ... )) ..... ٣٩٥
- ٤٨٠- (( يا رسول الله : والله إني لأحبك . فقال : " انظر ماذا تقول ؟ " ... )) ..... ٢٩٤
- ٤٨١- (( يا رسول الله أتخشى عليّ من شبهه فإنه والذي ... )) ..... ٤٢٥
- ٤٨٢- (( يا رسول الله كيف يحيى الله الموتى ؟ ... )) ..... ٤٢٥
- ٤٨٣- (( يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ ... )) ..... ٤٢٨
- ٤٨٤- (( يا سلمان ألا تسألني لم أفعل هذا ... )) ..... ٤٣٠، ١٦٦
- ٤٨٥- (( يا عائشة إنّ الله إذا أنزل سطوته بأهل نعمته ومنهم الصالحون فيصابون معهم ... )) ..... ٢٦٢
- ٤٨٦- (( يا غلام ! سمّ الله وكل بيمينك وكل مما يليك ... )) ..... ٣٨٨-٣٨٧
- ٤٨٧- (( يا كعب بن عجرة ، إنّه لا يدخل الجنة لحمٌ ودمٌ نباتا على سحت ... )) ..... ٥٦٩، ٥٦٧
- ٤٨٨- (( يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ... )) ..... ٣٨٦
- ٤٨٩- (( يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهنّ وأعوذ بالله أن تدركوهنّ ... )) ..... ٥٥١
- ٤٩٠- (( يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار فبني رأيتكن أكثر أهل النار ... )) ..... ٣٦٧
- ٤٩١- (( يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرس شاة ... )) ..... ٣٦٨
- ٤٩٢- (( يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار ... )) ..... ٣٣٦

- ٤٩٣- (( يُحشر المتكبرون يوم القيامة أمثالاً الذر في صور الرجال ... )) ..... ٥٨٣،٤٥٦
- ٤٩٤- (( يخرج عَنق من النار يوم القيامة له عينا تبصران ... )) ..... ٥٨٣
- ٤٩٥- (( يدخل الجنة من أمتي زمرة ، هم سبعون ألفاً ... )) ..... ٤٤٢
- ٤٩٦- (( يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب ... )) ..... ٤٤٣
- ٤٩٧- (( يرحم الله أخي موسى لقد أؤذي بأكثر من هذا فصبر ... )) ..... ٢٢٣
- ٤٩٨- (( يعد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده ... )) ..... ٤٤٨
- ٤٩٩- (( يقول الله : يا آدم ! فيقول : لبيك وسعديك ! والخير في يدك ... )) ..... ٣١٦
- ٥٠٠- (( يكون في آخر الزمان خليفة يحثي المال حثياً ... )) ..... ١١٩
- ٥٠١- (( يكون في هذه الأمة في آخر الزمان رجال معهم أسياط ... )) ..... ١٤٤
- ٥٠٢- (( ينام الرجل النومة فتقبض الأماتة من قلبه ... )) ..... ٢١٦
- ٥٠٣- (( يُوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق ... )) ..... ٤٢٣،١١٧
- ٥٠٤- (( يُوشك إن طالت بك مدة أن ترى قوماً في أيديهم مثل أذنان البقر ... )) ..... ١١٤
- ٥٠٥- (( يُوشك أهل العراق أن لا يجبي إليهم قفيز ولا درهم ... )) ..... ١١٩
- ٥٠٦- (( يُوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما ههنا قد ملىء جناتنا ... )) ..... ٩٠

## فهرس الأعلام

- ١- إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج ..... ٣٢٦
- ٢- إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي . ..... ١٥٥
- ٣- أبو أمامة = صُدي بن عجلان
- ٤- أبو الدرداء = عويمر وقيل : عامر بن مالك بن يزيد الأنصاري .
- ٥- أبو الهياج : حيان بن حصين الأسدي الكوفي .
- ٦- أبو بكر الصديق = عبدالله بن عثمان بن عامر التيمي القرشي .
- ٧- أبو جبيرة بن الضحاك بن خليفة الأنصاري . ..... ١٠٠
- ٨- أبو جهل = عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي .
- ٩- أبو نر الغفاري = جندب بن جنادة بن سكن .
- ١٠- أبو رزين العقيلي = لقيط بن صبرة .
- ١١- أبو سعيد الخدري = سعد بن مالك بن سنان الخزرجي .
- ١٢- أبو سفيان = صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس القرشي .
- ١٣- أبو عبيدة = عامر بن عبدالله بن الجراح القرشي .
- ١٤- أبو هريرة = عبدالرحمن بن صخر الدوسي .
- ١٥- أبو لهب = عبدالغزي بن عبدالمطلب بن هشام .
- ١٦- الأبّي = محمد بن خلف بن عمر التونسي .
- ١٧- أبو موسى الأشعري = عبدالله بن قيس بن سليم .
- ١٨- أحمد بن عبدالرحيم الفاروقي ولي الله الدهلوي . ..... ٥٤٤
- ١٩- أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي . ..... ٢٧٣
- ٢٠- أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني . ..... ٥٣
- ٢١- أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرّازي . ..... ٢١٤
- ٢٢- أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي أبو العباس . ..... ٣٢٢
- ٢٣- أحمد بن عبدالحليم الحرّاني الحنبلي أبو العباس ابن تيمية . ..... ١٢
- ٢٤- أسلم العدوي الغمري . ..... ٣٥٨

- ٢٥- إسماعيل بن عمر بن كثير أبو الفداء . ..... ٤١
- ٢٦- الأصمعي : عبدالمك بن قريب بن عبدالمك .
- ٢٧- أم حبيبة = رملة بنت أبي سفيان ، صخر .
- ٢٨- الإمام مالك = مالك بن أنس بن مالك الأصبحي .
- ٢٩- أمية بن خلف بن وهب . ..... ٥٠٤
- ٣٠- أنس بن النضر بن ضمضم الأنصاري الخزرجي . ..... ٣٥١
- ٣١- أنس بن مالك بن النضر الأنصاري . ..... ٧٢
- ٣٢- ابن أبي معيط = عبقة بن أبان بن ذكوان .
- ٣٣- ابن أبي وقاص = سعد بن مالك أبو إسحاق .
- ٣٤- ابن الأثير = المبارك بن محمد بن عبدالكريم الشيباني .
- ٣٥- ابن الجوزي = عبدالرحمن بن علي بن عبدالله .
- ٣٦- ابن الخصاصية = بشير بن معبد بن ضباب السدوسي .
- ٣٧- ابن الخطاب = عمر بن الخطاب بن نفيل أبو حفص أمير المؤمنين .
- ٣٨- ابن العربي = محمد بن عبدالله المعافري .
- ٣٩- ابن بطل = علي بن خلف البكري .
- ٤٠- ابن دقيق العيد = محمد بن علي بن وهب بن مطيع .
- ٤١- ابن رجب = عبدالرحمن بن أحمد الحنبلي ، أبو الفرج .
- ٤٢- ابن عباس = عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب .
- ٤٣- ابن فارس = أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي .
- ٤٤- ابن قيم الجوزية = محمد بن أبي بكر بن أيوب ، أبو عبدالله .
- ٤٥- امرأة رفاعة : تميمة بنت وهب القرظية .
- ٤٦- البراء بن عازب الأنصاري . ..... ٩٣
- ٤٧- البراء بن عازب بن الحارث الأوسي . ..... ٤٦٤
- ٤٨- بريدة بن الحصيب بن عبدالله الأسلمي . ..... ١٦١
- ٤٩- بسر بن جحاش القرشي . ..... ٥٦٧
- ٥٠- بشير بن معبد بن ضباب السدوسي المعروف بابن الخصاصية . ..... ٣٠٤



- ١٦٢ ..... ٥١- بلال بن رباح التميمي الحبشي .
- ٤٩٧ ..... ٥٢- تميمة بنت وهب أبي عبيد القرظية .
- ١١٦ ..... ٥٣- ثوبان بن بجد القرشي الهاشمي .
- ١٧٧ ..... ٥٤- جابر بن سمرة بن جندادة .
- ٧٤ ..... ٥٥- جابر بن عبدالله الأنصاري .
- ٧٧ ..... ٥٦- جبير بن نفيير الحضرمي .
- ..... ٥٧- الجرجاني = علي بن محمد بن محمد بن علي .
- ٥٨ ..... ٥٨- جرير بن عبدالله البجلي .
- ١٩٦ ..... ٥٩- الجندبي بن المستكبر بن الحراز .
- ٧٧ ..... ٦٠- جندب بن جندادة بن سكن .
- ٣٥٦ ..... ٦١- الحارث بن أبي الحارث الشامي .
- ٥٨٢ ..... ٦٢- حارثة بن وهب الخزاعي .
- ..... ٦٣- الحافظ بن حجر = أحمد بن علي بن محمد الصقلاني .
- ١٤٢ ..... ٦٤- الحجاج بن يوسف الثقفي .
- ١٢٠ ..... ٦٥- حذيفة بن أسيد بن خالد الغفاري .
- ١٠٢ ..... ٦٦- حذيفة بن اليمان العبسي .
- ٧٣ ..... ٦٧- حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي .
- ١٥٤ ..... ٦٨- حمران بن أبان مولى عثمان بن عفان .
- ٥٣٠ ..... ٦٩- حيان بن حصين الأسدي .
- ٤٩٨ ..... ٧٠- خالد بن سعيد بن العاص القرشي .
- ٢٢٠ ..... ٧١- خباب بن الأرت بن جندله بن سعد التميمي .
- ٢٨٦ ..... ٧٢- خبيب بن عدي بن مالك الأنصاري الأسدي .
- ..... ٧٣- الخطابي = محمد بن محمد بن إبراهيم البستي .
- ٥٧٨ ..... ٧٤- الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي .
- ٥٠٤ ..... ٧٥- ربعي بن عامر بن خالد بن عمرو .
- ٥٠٤ ..... ٧٦- رستم بن الفرخزاد الأرمني .

- ٤٤٦ ..... رفاعة بن زيد بن وهب الجذامي .
- ٤٩٧ ..... رفاعة بن سيموال القرظي .
- ١٢٨ ..... رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب .
- ٨٠ - الزجاج = إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق .
- ٨١ - الزهري = محمد بن مسلم بن عبدالله بن شهاب .
- ٣٩٤ ..... زهير بن عمرو الهلالي .
- ٣٥٨ ..... زيد بن أسلم العدوي العمري .
- ٥٠٣ ..... زيد بن الدثنة بن معاوية الأنصاري الخزرجي .
- ٦٤ ..... زيد بن ثابت الأنصاري .
- ٢٦١ ..... زينب بنت جحش أم المؤمنين .
- ١٠٩ ..... زينب بنت جحش الأسدية .
- ٨٨ - سعد بن مالك بن أبي وقاص أبو إسحاق .
- ٥٩ ..... سعد بن مالك بن سنان الخزرجي .
- ٩٠ - السعدي = عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله .
- ٤٤ ..... سعيد بن جبير .
- ١٨١ ..... سعيد بن يسار أبو الحباب المدني .
- ٩٣ - السفاريني = محمد بن أحمد بن سالم .
- ٣١٨ ..... سفيان بن عبدالله بن أبي ربيعة الثقفي .
- ٥٤ ..... سلمان ابن الإسلام أبو عبدالله الفارسي .
- ٢٧٩ ..... سمرة بن جندب بن هلال الفزاري أبو سعيد .
- ٣٩٣ ..... سُمَيَّة بنت خُباط .
- ٩٨ - السنوسي = محمد بن محمد بن يوسف .
- ٩١ ..... سهل بن سعد بن مالك الأنصاري .
- ٥٧ ..... سيد قطب .
- ١٠١ - السيوطي = عبدالرحمن بن أبي بكر بن سابق الدين .
- ١٠٢ - الشاطبي = إبراهيم بن موسى بن محمد .

- ١١١ ..... ١٠٣- شذاد بن أوس بن ثابت الأنصاري .
- ..... ١٠٤- الشنقيطي = محمد الأمين بن محمد المختار .
- ..... ١٠٥- الشوكاتي = محمد بن علي بن محمد بن عبدالله .
- ٢٥٨ ..... ١٠٦- صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس أبو سفيان القرشي .
- ١٠ ..... ١٠٧- صدي بن عجلان .
- ٥٩ ..... ١٠٨- صهيب بن سنان بن مالك الرومي .
- ٤٤٠ ..... ١٠٩- ضماد بن ثعلبة الأزدي .
- ٢٥٩ ..... ١١٠- ضمضم بن عمرو الغفاري .
- ٥٨١ ..... ١١١- طاووس بن كيسان .
- ..... ١١٢- الطبري = محمد بن جرير .
- ٤٥ ..... ١١٣- العاص بن وائل بن هشام السهمي .
- ٤٥٣ ..... ١١٤- عامر بن عبدالله بن الجراح .
- ١٢٤ ..... ١١٥- عبادة بن الصامت الأنصاري .
- ١٤٤ ..... ١١٦- عبد الجبار بن أحمد الهمزاني .
- ٢٢١ ..... ١١٧- عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله السعدي التميمي .
- ١٧٠ ..... ١١٨- عبدالرحمن بن أبي بكر بن سابق الدين السيوطي .
- ٦ ..... ١١٩- عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي ، أبو الفرج .
- ٤٩٨ ..... ١٢٠- عبدالرحمن بن الزبير بن أمية الأوسي .
- ٦٠ ..... ١٢١- عبدالرحمن بن صخر الدوسي .
- ٤ ..... ١٢٢- عبدالرحمن بن علي بن عبدالله بن الجوزي .
- ١٢٢ ..... ١٢٣- عبدالعزى بن قطن - الخزاعي .
- ٣٩٤ ..... ١٢٤- عبدالعزى بن عبدالمطلب بن هشام ، أبو لهب .
- ٥٣٢ ..... ١٢٥- عبدالقادر بن موسى بن حنكي دوست الحسيني الجيلاي .
- ٣٢٩ ..... ١٢٦- عبدالله بن أنيس بن أسعد بن حرام الجهني .
- ١٧٧ ..... ١٢٧- عبدالله بن الحارث بن نوفل بن عبدالمطلب .
- ٥٤٢ ..... ١٢٨- عبدالله بن حنظلة بن أبي عامر الراهب الأنصاري الأوسي غسيل الملائكة .

- ١٢٩- عبدالله بن شبل بن عمرو الأنصاري . . . . . ١٧٨
- ١٣٠- عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب . . . . . ٤٤
- ١٣١- عبدالله بن عتيك الأنصاري . . . . . ٩٣
- ١٣٢- عبدالله بن عثمان بن عامر بن كعب التيمي القرشي ، أبو بكر الصديق . . . . . ٢٦١
- ١٣٣- عبدالله بن عمر بن الخطاب . . . . . ١٠٧
- ١٣٤- عبدالله بن عمرو بن العاص . . . . . ١١٠
- ١٣٥- عبدالله بن قيس بن سليم المشهور بأبي موسى الأشعري . . . . . ٢٥٧
- ١٣٦- عبدالله بن كعب بن مالك بن أبي بن كعب . . . . . ٢٥٠
- ١٣٧- عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي . . . . . ٩٧
- ١٣٨- عبدالله بن مسعود الهذلي ، أبو عبد الرحمن . . . . . ٦٤
- ١٣٩- عبدالله بن مفضل بن عبد نهم المزني أبو سعيد . . . . . ٢٩٤
- ١٤٠- عبد الملك بن قريب بن عبد الملك الأضمعي . . . . . ٣٩٧
- ١٤١- عدي بن حاتم بن عبدالله الطائي . . . . . ١٨٣
- ١٤٢- عدي بن عميرة الكندي . . . . . ٤٤٥
- ١٤٣- عقبة بن أبان بن ذكوان بن أمية . . . . . ٢١٩
- ١٤٤- عقبة بن عامر بن عيس بن عمرو الجهني . . . . . ٢٠٣
- ١٤٥- عكاشة بن محصن بن حرثان الأسدي . . . . . ٤٤٢
- ١٤٦- علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب . . . . . ٩١
- ١٤٧- علي بن حبيب محمد بن حبيب الماوردي . . . . . ٢٤٩
- ١٤٨- علي بن خلف بن بطلال البكري . . . . . ١٦٤
- ١٤٩- علي بن محمد بن محمد بن علي الجرجاني . . . . . (ح)
- ١٥٠- عمر بن أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي . . . . . ٣٨٧
- ١٥١- عمر بن الخطاب بن نفيل ، أبو حفص أمير المؤمنين . . . . . ٥١
- ١٥٢- عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي . . . . . ٥٨٠
- ١٥٣- عمران بن حصين أبو نجيد . . . . . ١٢٧
- ١٥٤- عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم القرشي . . . . . ١٩٦

- ١٨٩ ..... ١٥٥ - عمرو بن شعيب بن محمد بن عبدالله .
- ١٥٧ ..... ١٥٦ - عمرو بن عتبة بن عامر السلمى .
- ٣٩٢ ..... ١٥٧ - عمرو بن لحي بن حارثة الأزدي .
- ٥٧٧ ..... ١٥٨ - عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي ، أبو جهل .
- ١٦٨ ..... ١٥٩ - عويمر وقيل : عامر بن مالك بن يزيد الأنصاري .
- ٩ ..... ١٦٠ - عياض بن موسى بن عياض اليحصبي ، أبو الفضل .
- ..... ١٦١ - العيني = محمود بن أحمد بن موسى أبو محمد ، بدر الدين .
- ..... ١٦٢ - الغزالي = محمد بن محمد بن محمد .
- ..... ١٦٣ - غسيل الملائكة : عبدالله بن حنظلة بن أبي عامر الراهب .
- ..... ١٦٤ - الفخر الرازي = محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري الطبرستاني .
- ٢٩٠ ..... ١٦٥ - قارون بن يصهر بن قاهث .
- ..... ١٦٦ - القاضي عياض = عياض بن موسى بن عياض اليحصبي ، أبو الفضل .
- ٣٩٤ ..... ١٦٧ - قبيصة بن المخارق بن عبدالله .
- ٨٨ ..... ١٦٨ - قتادة بن دعامة السدوسي .
- ..... ١٦٩ - القرطبي = محمد بن أحمد بن أبي بكر ، أبو عبدالله .
- ..... ١٧٠ - القلقشندي = أحمد بن علي بن أحمد الفزاري .
- ٣٤٤ ..... ١٧١ - قيس بن كثير .
- ٥٦٧ ..... ١٧٢ - كعب بن عجرة بن أمية الأنصاري .
- ٢٤٠ ..... ١٧٣ - كعب بن مالك بن عمر بن القين الأنصاري .
- ٤٠٩ ..... ١٧٤ - ليبيد الأعصم اليهودي .
- ٣٠٦ ..... ١٧٥ - ليبيد بن ربيعة بن عامر العامري .
- ٤٦ ..... ١٧٦ - لقيط بن صبرة .
- ٣١٩ ..... ١٧٧ - ماعز بن مالك الأسلمي .
- ٢٣٨ ..... ١٧٨ - مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري .
- ٣٨٥ ..... ١٧٩ - مالك بن الحويرث بن أشيم .
- ..... ١٨٠ - الماوردي = علي بن محمد بن حبيب .

- ١٨١- المبارك بن محمد بن عبدالكريم الشيباني الجزري . ..... ٢١١
- ١٨٢- المباركفوري = محمد بن عبدالرحمن بهادر .
- ١٨٣- مجاهد بن جبير المكي . ..... ١٠٤
- ١٨٤- محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي . ..... ٧٨
- ١٨٥- محمد بن أبي بكر بن أيوب ، أبو عبدالله ابن قيم الجوزية . ..... ٥٣
- ١٨٦- محمد بن أحمد بن أبي بكر أبو عبدالله القرطبي . ..... ٦
- ١٨٧- محمد بن أحمد بن سالم السقاريني . ..... ١٤٤
- ١٨٨- محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري . ..... ١٠٦
- ١٨٩- محمد بن خلف بن عمر التونسي الألبيري الأبى . ..... ١٠٤
- ١٩٠- محمد بن رشيد بن علي القلموني . ..... ١٨٥
- ١٩١- محمد بن عبدالرحمن بهادر المباركفوري . ..... ٥٧٥
- ١٩٢- محمد بن عبدالله المعافري الإشبيلي المعروف بابن العربي . ..... ١٦٤
- ١٩٣- محمد بن علي بن محمد الشوكاتي . ..... ١٨٧
- ١٩٤- محمد بن علي بن وهب بن مطيع المعروف بابن دقيق العيد . ..... ٣٠١
- ١٩٥- محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين المعروف بالفخر الرازي . ..... ٢٧١
- ١٩٦- محمد بن محمد الغزالي الطوسي . ..... ١٠٥
- ١٩٧- محمد بن محمد بن يوسف السنوسي . ..... ٢٢٨
- ١٩٨- محمد بن مسلم بن شهاب الزهري . ..... ١٥٥
- ١٩٩- محمد بن واسع بن جابر الأزدي البصري . ..... ٥٨١
- ٢٠٠- محمود بن أحمد بن موسى ، أبو محمد بدر الدين العيني . ..... ٥٤
- ٢٠١- الجبلائي = عبدالقادر موسى بن جنكي دوست الحسيني .
- ٢٠٢- المستورد بن شداد بن عمرو القرشي . ..... ٣١٣
- ٢٠٣- المسور بن مخرمة بن نوفل القرشي . ..... ١٩٧
- ٢٠٤- مصطفى لطفى بن محمد لطفى المنفلوطي . ..... ٥٣٢
- ٢٠٥- مصعب بن عمير . ..... ٣٨٣
- ٢٠٦- معاذ بن جبل بن عمرو الأنصاري . ..... ١٩٣

- ٢٠٧- معاوية بن أبي سفيان صخر بن أمية القرشي الأموي . ..... ٣٥٠
- ٢٠٨- معقل بن يسار بن عبدالله المزني . ..... ٣٥٠
- ٢٠٩- المغيرة بن شعبه بن أبي عامر الأمير أبو عيسى . ..... ٥٦١
- ٢١٠- المقدسي = عبدالله بن أحمد بن قدامة .
- ٢١١- المنفلوطي = مصطفى لطفى بن محمد لطفى .
- ٢١٢- المهلب بن أبي صفرة ..... ٥٨١
- ٢١٣- ميرايت ستانلي كونجدين . ..... ٥٩٣
- ٢١٤- ميمونة بنت الحارث الهلالية العامرية . ..... ١٧٦
- ٢١٥- النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي . ..... ٢٦٠
- ٢١٦- نعيم بن عبدالله المجرم . ..... ١٥٨
- ٢١٧- الثّواس بن سمعان بن خالد الكلابي . ..... ١٢٢
- ٢١٨- النّووي = يحيى بن شرف بن مري .
- ٢١٩- هرقل . ..... (ث)
- ٢٢٠- الهيثمي = أحمد بن محمد بن علي بن حجر أبو العباس .
- ٢٢١- وكيع بن الجراح بن مليح الرّواصي . ..... ٧٦
- ٢٢٢- ولي الله الدهلوي = أحمد بن عبدالرحيم الفاروقي .
- ٢٢٣- ياسر العنسي . ..... ٣٩٣
- ٢٢٤- يحيى بن شرف بن مري الحوراني النّووي . ..... ٩٢
- ٢٢٥- يعلى بن مرة بن وهب الثّقفي . ..... ٧٦

## فهرس المطادر والمراجع

- ١- « أحكام القرآن » . للإمام الفقيه عماد الدين بن محمد الطبري المعروف بالكيا الهراسي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : ٢ ، ١٤٠٥ هـ .
- ٢- « إحياء علوم الدين » . لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، تحقيق سيد إبراهيم ، دار الحديث ، القاهرة ، ط : ١ ، ١٤١٢ هـ .
- ٣- « أخطاء المنهج العربي الوافد » . لأنور الجندي ، دار الكتاب اللبناني - بيروت ، بدون ذكر الطبعة ، ١٩٨٢ م .
- ٤- « أدب الدنيا والدين » . لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي ، تحقيق مصطفى السقا ، دار الكتب العلمية . لبنان . بيروت ، ط : ٤ ، ١٣٩٨ هـ .
- ٥- « إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم » . أبو السعود محمد بن محمد العمادي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، ط : ٤ ، ١٤١٤ هـ .
- ٦- « أساس البلاغة » . لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، تحقيق عبدالرحيم محمود ، دار المعرفة ، بيروت - بدون ذكر الطبعة وتاريخها .
- ٧- « أساليب الدعوة المعاصرة » . للدكتور : حمد بن ناصر العمار ، طبعة دار اشبيليا - الرياض ، ط : ١ ، ١٤١٦ هـ .
- ٨- « أسد الغابة في معرفة الصحابة » . الشيخ العلامة عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني ، المعروف بابن الأثير ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها .
- ٩- « أسرار البلاغة » . لعبدالقاهر الجرجاني ، تحقيق وشرح وتعليق السيد محمد رشيد ، الشيخ أسامة منيمنة ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، ط : ١ ، ١٤١٢ هـ .
- ١٠- « أسس الدعوة وأداب الدعاة » . د . محمد السيد الوكيل . دار الوفاء . مصر . المنصورة . ط : ٢ ، ١٤٠٦ هـ .
- ١١- « أشراف الساعة » . ليوسف بن عبدالله الوابل ، دار ابن الجوزي ، السعودية ، الدمام ، ط : ٨ ، ١٤١٨ هـ .
- ١٢- « أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم » . د . حمود بن أحمد الرحيلي ، دار العاصمة ، الرياض - السعودية ، ط : ١ ، ١٤١٤ هـ .



- ١٣- « أصول البحث العلمي ومناهجه » . د . أحمد بدر ، طبعة وكالة المطبوعات - عبدالله حرمي - الكويت ، ط : ٧ ، ١٩٨٤ م .
- ١٤- « أصول الحوار وآدابه في الإسلام » . للدكتور : صالح بن عبدالله بن حميد ، دار المنارة ، جدة ط : ١ ، ١٤١٥ هـ .
- ١٥- « أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن » . تأليف : محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي ، طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والدعوة والإرشاد - الرياض - المملكة العربية السعودية ، عام ١٤٠٣ هـ .
- ١٦- « إعجاز القرآن في آفاق الزمان والمكان » . للدكتور : منصور حسب النبي ، دار الفكر - مصر ، ط : ١ ، ١٤١٧ هـ .
- ١٧- « إعجاز القرآن والبلاغة النبوية » . تأليف : مصطفى صادق الرافعي ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ط : ٩ ، ١٣٩٣ هـ .
- ١٨- « أعلام الموقعين عن رب العالمين » . لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر ، تقديم ومراجعة : طه عبدالرزاق سعيد ، دار الجيل ، لبنان . بيروت . بدون ذكر رقم الطبعة ، ١٩٧٣ م .
- ١٩- « إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان » . لابن قيم الجوزية ، دار المعرفة - بيروت ، بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها .
- ٢٠- « آفات اللسان » . لإبراهيم المشوخي ، مكتبة المنار ، الأردن ، ط : ٣ ، ١٤٠٦ هـ .
- ٢١- « إقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم » . لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، دار المعرفة لطباعة والنشر ، بيروت - لبنان ، بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها .
- ٢٢- « إمتاع الأسماع بما للنبي ﷺ من الأنباء والأحوال والحفدة والمتاع » لتقي الدين أحمد بن علي المقرئزي ، تحقيق : محمد عبدالحميد النميسي ، دار الأنصار - القاهرة ، ط : ١ ، ١٤٠١ هـ .
- ٢٣- « أمثال القرآن وصور من أدبه الرقيق » . تأملات وتدبر : عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ، دار القلم - دمشق ، ط : ٢ ، ١٤١٢ هـ .
- ٢٤- « أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير » . للشيخ : أبي بكر الجزائري ، بدون ذكر دار النشر ، ط : ١ ، ١٤٠٧ هـ .

- ٣٩- « الاكتشافات العلمية ودلالاتها في القرآن الكريم » . للدكتور : سليمان عمر قوش ، دار الثقافة - ط : ١ ، ١٤٠٧هـ .
- ٤٠- « البداية والنهاية » . لأبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي ، مكتبة المعارف ، بيروت ، بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها .
- ٤١- « البداية والنهاية » للإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، دار الريان للتراث ، ط : ١ ، ١٤٠٨هـ .
- ٤٢- « البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع » . لشيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني ، دار المعرفة ، بيروت ، بدون ذكر الطبعة وتاريخها .
- ٤٣- « البرهان في علوم القرآن » للإمام بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة دار التراث - القاهرة ، بدون ذكر رقم الطبع وتاريخها .
- ٤٤- « البيان والتبيين » . تأليف : عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق : عبدالسلام هارون ، دار الجيل - بيروت ، بدون ذكر رقم لطبعة وتاريخها .
- ٤٥- « التدابير الواقية من الربا في الإسلام » . للدكتور : فضل إلهي ، مكتبة المؤيد بالمملكة العربية السعودية - الرياض ، ط : ٢ ، ١٤١٢هـ .
- ٤٦- « التدابير الواقية من الزنا في الفقه الإسلامي » . تأليف الدكتور : فضل إلهي (ص/٥١ - ٥٢) ، إدارة ترجمان الإسلام - باكستان ، ط : ٣ ، ١٤٠٨هـ .
- ٤٧- « التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة » . لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي تحقيق أحمد السقا ، المكتبة العلمية ، بدون تحديد الطبعة ، عام ١٤٠٢هـ .
- ٤٨- « التربية الذاتية من الكتاب والسنة » . لهاشم علي الأهل ، دار الأهل ، بدون تحديد الطبعة ، ١٤١٣هـ .
- ٤٩- « الترغيب والترهيب من الحديث النبوي » . للحافظ زكي الدين عبدالعزيز بن عبدالقوي المنذري دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط : ٣ ، ١٣٨٨هـ .
- ٥٠- « التصوير الفني في الحديث النبوي » . للدكتور : محمد بن لطف الصباغ - المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط : ١ ، ١٤٠٩هـ .
- ٥١- « التعريفات » . لعلي بن محمد الجرجاني ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ط : ٣ ، ١٤١٧هـ .
- ٥٢- « الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي » . لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة . تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر ، دار إحياء التراث العربي ، بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها .

- ٥٣- « الجامع لأحكام القرآن » . لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي . دار الكتب العلمية بيروت ، ط : ١ ، ١٤٠٨هـ .
- ٥٤- « الجواب المختار » لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين .
- ٥٥- « الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية » . د . عز الدين علي السيد ، دار إقرأ ، بيروت ، لبنان ، ط : ١ ، ١٤٠٦ .
- ٥٦- « الحديث النبوي وعلم النفس » . د . محمد عثمان نجاتي ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، ط : ٢ ، ١٤١٣هـ .
- ٥٧- « الحرص على هداية الناس » . د . فضل إلهي ، إدارة ترجمان الإسلام - باكستان ، ط : ١ ، ١٤١١هـ .
- ٥٨- « الحكم والأمثال النبوية من الأحاديث الصحيحة » . سميح عباس ، الدار المصرية اللبنانية - القاهرة ، ط : ١ ، ١٤١٤هـ .
- ٥٩- « الحكمة في مخلوقات الله » للإمام أبي حامد بن أحمد الغزالي الطوسي ، تحقيق : محمد رشيد راغب قباني - مفتي الجمهورية اللبنانية ، دار إحياء العلوم ، بيروت - لبنان ، ط : ٤ ، ١٤١٨هـ .
- ٦٠- « الحياة الآخرة ما بين البعث إلى دخول الجنة أو النار » . د . غالب بن علي عواجي . دار لينة للنشر والتوزيع . مصر ، ط : ١ ، ١٤١٧هـ .
- ٦١- « الخارجون عن العفة » . خالد بن ناصر العصيمي ، دار طويق للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط : ١ ، ١٤١٥هـ .
- ٦٢- « الخصائص العامة للإسلام » . د . يوسف القرضاوي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان ، ط : ٨ ، ١٤١٤هـ .
- ٦٣- « الدعوة إلى الله تعالى » . د . عبدالرب نواب الدين ، دار القلم - دمشق ، ط : ١ ، ١٤٢٠هـ .
- ٦٤- « الدين في مواجهة العلم » . تأليف : وحيد الدين خان ، ترجمة : ظفر الإسلام خان ، مراجعة : عبدالحليم عويس ، دار النفائس ، بيروت ، ط : ٤ ، ١٤٠٧هـ .
- ٦٥- « الرسول العربي المربي » . لعبد الحميد الهاشمي ، دار الهدى ، الرياض . ط : ٢ ، ١٤٠٥هـ .
- ٦٦- « الرسول المعلم » . لعبدالفتاح أبوغدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب ، ط : ٢ ، ١٤١٧هـ .

- ٦٧- « السنّة ومكاتها في التشريع الإسلامي » . للدكتور الشيخ : مصطفى السباعي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، دمشق ، ط : ٤ ، ١٤٠٥هـ .
- ٦٨- « السيرة النبوية » . لأبي محمد عبدالمك بن هشام ، تحقيق : الشيخ عادل عبدالموجود وآخرون ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ط : ١ ، ١٤١٨هـ .
- ٦٩- « السيرة النبوية الصحيحة » . للدكتور : أكرم ضياء العمري ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، السعودية ، ط : ٦ ، ١٤١٥هـ .
- ٧٠- « السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة » للدكتور : محمد بن محمد أبو شهبة ، دار القلم ، دمشق ، ط : ١ ، ١٤٠٩هـ .
- ٧١- « الصورة الفنية في المثل القرآني » . لمحمد حسين علي ، دار الهدى ، الرياض ، ط : ٢ ، ١٤٠٥هـ .
- ٧٢- « الطبّ محراب الإيمان » . للدكتور : خالص جلبي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط : ٢ ، ١٤٠٢هـ .
- ٧٣- « الطبقات الكبرى » . للحافظ محمد بن سعد ، دار صادر ، بيروت ، بدون تحديد الطبعة وتاريخها .
- ٧٤- « الظاهرة الجمالية في الإسلام » . بقلم صالح أحمد الشامي ، المكتبة الإسلامية - بيروت ، دمشق ، ط : ١ ، ١٤٠٧هـ .
- ٧٥- « العقائد الإسلامية » . للشيخ : السيد سابق ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، بدون تحديد رقم الطبعة ولا تاريخها .
- ٧٦- « العقيدة في الله » . للدكتور : عمر بن سليمان الأشقر ، مكتبة الفلاح - الكويت ، ط : ٦ ، ١٤٠٩هـ .
- ٧٧- « العلم الحديث حجة للإنسان أم عليه ؟ » . للدكتور : عبدالله عبدالرحيم العبادي ، دار الثقافة قطر - الدوحة ، ط : ١ ، ١٤٠٥هـ .
- ٧٨- « العلم يدعو للإيمان » . تأليف : ا . كريسي موريسون ، ترجمة محمود صالح الفلكي ، دار القلم ، بيروت - لبنان ، ط : ١ ، ١٩٨٦م .
- ٧٩- « الفائق في غريب الحديث » . تأليف العلامة جارالله محمود بن عمر الزمخشري ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط : ١ ، ١٤١٧هـ .
- ٨٠- « القاموس المحيط » . لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، تحقيق : مكتب التراث في مؤسسة الرسالة ط : ٢ ، ١٤٠٧هـ .

- ٨١- (( القصص في الحديث النبوي )) . للدكتور محمد بن حسن الزير ، يطلب من المؤلف ، ط : ٤  
١٤١٨هـ .
- ٨٢- (( القلب ووظائفه في الكتاب والسنة )) . لسلمان زيد اليماني ، دار ابن القيم ، الدلمم ، ط : ١  
١٤١٤هـ .
- ٨٣- (( الكذب - مظاهره - علاجه )) . محمد بن إبراهيم محمد ، طبعة دار ابن خزيمة ، ط : ٢ ،  
١٤١٦هـ .
- ٨٤- (( الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري )) . للإمام شمس الدين محمد بن يوسف  
الكرماني ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط : ٢ ، ١٤٠١هـ .
- ٨٥- (( الكون والتكوين في آيات الكتاب المبين )) . د . محمد محمود عبدالله ، دار الشوآف -  
المملكة العربية السعودية - الرياض ، ط : ١ ، ١٤١٥هـ .
- ٨٦- (( اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان )) . وضعه : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الحديث  
- القاهرة ، ط : ١ ، ١٤١٤هـ .
- ٨٧- (( الله والعلم الحديث )) . تأليف : عبدالرزاق نوفل ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ،  
١٤١٠هـ ، من غير ذكر رقم الطبعة .
- ٨٨- (( الله يتجلى في عصر العلم )) . تأليف : نخبة من العلماء الأمريكيين - ترجمة الدكتور  
الدمرداش عبدالمجيد سرحان ، دار القلم ، بيروت - لبنان ، بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها .
- ٨٩- (( المجازات النبوية )) . تأليف : الشريف الرحني ، تحقيق وشرح : الدكتور طه محمد الزيني  
مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع - القاهرة ، بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها .
- ٩٠- (( المجتمع المدني في عهد النبوة )) . للدكتور : أكرم ضياء العمري ، ط : ١ ، ١٤٠٤هـ ،  
بدون ذكر اسم الدار التي طبعت الكتاب .
- ٩١- (( المجموع المفيد في نقض القبورية ونصرة التوحيد )) . للدكتور : محمد عبدالرحمن  
الخميس ، دار أطلس للنشر والتوزيع ، الرياض " : ١ ، ١٤١٨هـ .
- ٩٢- (( المحبر )) . لمحمد بن حبيب الهاشمي ، طبعة وزارة المعارف بالمملكة العربية السعودية ،  
المكتبات المدرسية .
- ٩٣- (( المدخل إلى علم الدعوة )) . لمحمد أبو الفتح البياتوني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط :  
٣ ، ١٤١٥هـ .
- ٩٤- (( المدخل إلى علم النفس )) . د . عبدالله عبدالحى موسى ، مكتبة الخاتجي - القاهرة ، ط :  
٢ ، عام ١٩٧٩م .

- ٩٥- « المسائل في أعمال القلوب والجوارح » لأبي عبدالله بن الحارث بن أسد المحاسبي ، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا ، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة ، بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها .
- ٩٦- « المستدرك على الصحيحين » . للإمام الحافظ أبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط : ١ ، ١٤١١هـ .
- ٩٧- « المسند » للإمام أحمد بن محمد حنبل ، شرح : أحمد محمد شاكر ، دار المعارف - مصر ، ١٣٩٢هـ ، بدون ذكر رقم الطبعة .
- ٩٨- « المصباح المنير » . للعلامة أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ ، المطبعة العصرية ، ط : ١ ، ١٤١٧هـ .
- ٩٩- « المعجم الأوسط » . للإمام الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير الأحمي الشامي الطبراني ، تحقيق : د . محمود الطحّان ، مكتبة المعارف ، الرياض - المملكة العربية السعودية ط : ١ ، ١٤٠٥هـ .
- ١٠٠- « المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي » . ترتيب وتنظيم : ليف من المستشرقين ، نشر الدكتور : أ . ي . ونسينك ، أستاذ العربية بجامعة ليدن ، مكتبة بريل في ليدن ، سنة ١٩٣٦م .
- ١٠١- « المعجم المفهرس لألفاظ القرآن - بحاشية المصحف الشريف » . وضعه : محمد فؤاد عبدالباقي ، دار الحديث - القاهرة ، ط : ١ ، ١٤١٧هـ .
- ١٠٢- « المعجم الوسيط » . بتخريج إبراهيم مصطفى وآخرين ، المكتبة الإسلامية ، تركيا ، ط : ٢ ، ١٣٩٢هـ .
- ١٠٣- « المعجم الأول ﷺ » . فؤاد الشلهوب ، دار القاسم للنشر والتوزيع - الرياض ، ١٤١٧هـ ، بدون ذكر رقم الطبعة .
- ١٠٤- « المعوقون للدعوة الإسلامية في عهد النبوة وموقف الإسلام منهم » . د . سميرة جمجوم ، دار المجتمع ، جدة ، بدون تحديد رقم الطبعة ، ١٤٠٧هـ .
- ١٠٥- « المفردات في غريب القرآن » . لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالزأغب الأصبهاني ، تحقيق محمد كيلاني ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، بدون تحديد الطبعة وتاريخها .
- ١٠٦- « المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم » . للإمام الحافظ أبي العباس أحمد بن عمر القرطبي . تحقيق وتعليق وتقديم : محي الدين مستو وآخرين . دار ابن كثير ، دمشق ، ط : ١ ، ١٤١٧هـ .

- ١٠٧- « المنهاج النبوي في دعوة الشباب » . لسليمان بن قاسم العيد ، دار العاصمة ، السعودية ، الرياض ، ط : ١ ، ١٤١٥هـ .
- ١٠٨- « الموافقات في أصول الشريعة » . لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي ، شرح وتخريج : الشيخ عبدالله دراز ، دار الكتب العلمية بيروت ، بدون ذكر الطبعة وتاريخها .
- ١٠٩- « المواهب اللدنية بالمنح المحمدية » . لأحمد بن محمد بن أبي بكر الخطيب القسطلاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها .
- ١١٠- « النظرات » . مصطفى لطفى المنفلوطي ، عالم الكتب للطباعة والنشر ، بيروت ، ط : ١ ، ١٤١٥هـ .
- ١١١- « النهاية في الفتن والملاحم » . للحافظ عماد الدين أبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر ابن كثير القرشي الدمشقي ، تحقيق : عصام الدين الصبأطي ، دار الحديث - القاهرة ، بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها .
- ١١٢- « النهاية في غريب الحديث والأثر » . للإمام مجد الدين المبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير .
- ١١٣- « الوسائل التعليمية في القرآن والسنة والآثار عن الصحابة » . للدكتور : عبدالرحمن بن محمد بلعوص ، بحث منشور في « مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية » العدد الثالث عشر ، ذو القعدة ١٤١٥هـ .
- ١١٤- « الوقاية خير من العلاج » . تأليف الدكتور : عبدالرزاق الكيلاني ، طبعة دار القلم - دمشق ، ط : ١ ، ١٤١٦هـ .
- ١١٥- « براهين وأدلة إيمانية » . لعبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ، دار القلم - دمشق ، ط : ١ ، ١٤٠٨هـ .
- ١١٦- « بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة » . للحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي ، تحقيق : محمد أبو الفضل ، المكتبة العصرية - بيروت ، بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها .
- ١١٧- « بهجة النفوس وتحليلها بمعرفة ما لها وما عليها ، شرح مختصر صحيح البخاري » . لأبي محمد عبدالله بن أبي جمرة الأندلسي . دار الجيل ، بيروت ، ط : ٣ بدون ذكر سنة الطبع .
- ١١٨- « تاريخ الأمم والملوك » . لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار سويدان ، بيروت ، بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها .
- ١١٩- « تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي » . للإمام الحافظ محمد بن عبدالرحمن المباركفوري ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : ١ ، ١٤١٠هـ .

- ١٢٠- «تذكرة الحفاظ» . للإمام أبو عبدالله شمس الدين الذهبي . دار إحياء التراث العربي - بيروت، بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها .
- ١٢١- «تذكرة الدعاة» . البيهبي الخولي ، مكتبة الفلاح . الكويت ، ط : ٦ ، ١٣٩٩هـ .
- ١٢٢- «تربية المراهق بين الإسلام وعلماء النفس» . د . محمد السيد الزعبلوي ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، ط : ، ١٤١٤هـ .
- ١٢٣- «ترتيب القاموس على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة» . الطاهر أحمد الزأوي ، دار عالم الكتب للطباعة والنشر - الرياض ، ط : ٤ ، ١٤١٧هـ .
- ١٢٤- «تفسير الآيات الكونية» . د . عبدالله شحاته ، دار الاعتصام للطباعة والنشر ، القاهرة ، بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها .
- ١٢٥- «تفسير القرآن الحكيم» . محمد رشيد رضا ، مطبعة المنار ، ١٣٤٦هـ ، بدون ذكر رقم الطبعة .
- ١٢٦- «تفسير القرآن العظيم» . للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي ، تقديم عبدالقادر الأرنؤوط ، مكتبة دار الفيحاء ، دمشق ، ط : ١ ، ١٤١٤هـ .
- ١٢٧- «تفسير القرآن العظيم» للإمام الحافظ أبي الفدا إسماعيل بن كثير ، راجعه ونقحه : الشيخ خالد محمد محرم ، المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ، ط : ١ ، ١٤١٨هـ .
- ١٢٨- «تفسير جزء عم» للإمام الشيخ محمد عبده ، دار مكتبة الهلال ، بيروت ، ١٩٨٥م ، بدون ذكر رقم الطبعة .
- ١٢٩- «تقريب التهذيب» . للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تحقيق صغير أحمد الباكستاني ، دار العاصمة ، الرياض ، ط : ١ ، ١٤١٦هـ .
- ١٣٠- «تلبيس إبليس» للإمام جمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط : ١ ، ١٤٠٣هـ .
- ١٣١- «تهذيب الأسماء واللغات» للإمام الحافظ أبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها .
- ١٣٢- «تهذيب التهذيب» . للإمام الحافظ شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن علي الشهير بـ " ابن حجر العسقلاني " ، تحقيق الشيخ خليل شحيا وآخرين - دار المؤيد ، الرياض ، دار المعرفة ، بيروت ، ط ك ١ ، ١٤١٧هـ .
- ١٣٣- «تهذيب الكمال في أسماء الرجال» . للحافظ جمال الدين أبي الحجاج المزي . تحقيق . د : بشار عواد . مؤسسة الرسالة . بيروت ، ط : ٤ ، ١٤٠٦هـ .



- ١٣٤- «توحيد الخالق» . للشيخ : عبدالمجيد الزندانى ، دار المجتمع للنشر والتوزيع - جدة ، ط : ٢ ، ١٤٠٧هـ .
- ١٣٥- «توشيح الديباج وحلية الابتهاج» . لبدر الدين القرافي ، تحقيق أحمد الشنيوي ، دار الغوب الإسلامى ، ط : ١ ، ١٤٠٣هـ .
- ١٣٦- «توضيح الأحكام من بلوغ المرام» . لعبدالله بن عبدالرحمن البسام ، دار القبلة للثقافة الإسلامىة جدة ، السعودىة ، ط : ١ ، ١٤١٣هـ .
- ١٣٧- «تيسير الكرىم الرحمن فى تفسير كلام المنان» . للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعودى ، اختصار : عبدالرحمن بن معلا اللوىق . ص ١٦١ ، ف ١ - مؤسسة الرسالة - ط : ٢ ، ١٤١٧هـ .
- ١٣٨- «جامع البيان عن تأويل آى القرآن» . لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ، دار الفكر . بيروت . لبنان . بدون ذكر الطبعة ، ١٤٠٨هـ .
- ١٣٩- «جامع العلوم والحكم فى شرح خمسين حديثاً فى جوامع الكلم» . للإمام الحافظ أبى الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين الدمشقى ، الشهير بابن رجب ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، إبراهيم باجس ، طبعة مؤسسة الرسالة ، ط : ٦ ، ١٤١٥هـ .
- ١٤٠- «جسم الإنسان وكيف يعمل ؟» . للدكتور : محمد كمال عبدالعزيز ، دار النصر للطباعة والنشر القاهرة ، بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها .
- ١٤١- «حجة الله البالغة» . للإمام الشيخ أحمد بن عبدالرحيم الدهلوى ، شرح وتعليق : الشيخ محمد شريف سكر ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، ط : ١ ، ١٤١٠هـ .
- ١٤٢- «حلول لمشكلة الربا» . للدكتور : محمد أبو شهبه ، مكتبة السنة - القاهرة ، ط : ١ ، ١٤١٦هـ .
- ١٤٣- «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» . للإمام الحافظ أبى نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهانى ، تحقيق ودراسة مصطفى عبدالقادر عطا . دار الكتب العلمىة - بيروت ، ط : ١ ، ١٤١٨هـ .
- ١٤٤- «دراسة ناقدة لأساليب التربىة المعاصرة فى ضوء الإسلام» . لفتحىة رسلان الطوانى ، مؤسسة تهامه ، السعودىة - جدة ، بدون تحديد الطبعة ، ١٤٠٣هـ .
- ١٤٥- «دلائل النبوة» . للإمام الحافظ أبى القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهانى . تحقيق : مساعد الحميد ، دار العاصمة ، الرياض ، ط : ١ ، ١٤١٢هـ .

- ١٤٦- «دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة» . لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، توثيق وتخريج وتعليق : الدكتور عبدالمعطي قلعجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط : ١ ، ١٤٠٥هـ .
- ١٤٧- «دمعة على التوحيد - حقيقة القبورية وآثارها على واقع الأمة» . كتاب المنتدى الإسلامي ، ط : ١ ، ١٤٢٠هـ .
- ١٤٨- «ديوان جرير» . دار صادر - بيروت ، ط : ١ ، بدون ذكر سنة الطبع .
- ١٤٩- «ديوان شعر المتلمس الضبعي» . رواية الأثرم وأبي عبيدة عن الأصمعي ، غني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه : حسن كامل الصيرفي ، ١٣٩٠هـ ، بدون ذكر رقم الطبعة .
- ١٥٠- «ثم الهوى» . لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ، تصحيح وضبط أحمد عبدالسلام عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط : ١ ، ١٤٠٧هـ .
- ١٥١- «رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر» للأستاذ محمد قطب ، دار الوطن للنشر ، الرياض ، ط : ١ ، ١٤١١هـ .
- ١٥٢- «رحلة الإيمان في جسم الإنسان» . للدكتور : حامد أحمد حامد ، دار القلم - دمشق ، ط : ١ ، ١٤١١هـ .
- ١٥٣- «رحلة القلب السليم في آثار رحمة الله عز وجل» . محمد صفوت العلي ، المطبعة العالمية نشر مكتبة العليان - بريدة . بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها .
- ١٥٤- «ركائز الإيمان» . للأستاذ : محمد قطب ، دار إشبيليا - الرياض ، ط : ١ ، ١٤١٧هـ .
- ١٥٥- «روائع من أقوال الرسول ﷺ» . لعبدالرحمن حسن حببكة الميداني ، دار القلم ، دمشق ، سورية ، ط : ٥ ، ١٤١٢هـ .
- ١٥٦- «روح المعاني في تفسير العظيم والسبع المثاني» . لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي ، دار الفكر ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٨هـ ، بدون ذكر رقم الطبعة .
- ١٥٧- «رياض الصالحين» . للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي ، تحقيق : عبدالعزيز رباح ، دار المأمون ، دمشق ، ط : ١٢ ، ١٤١١هـ .
- ١٥٨- «زاد المسير في علم التفسير» . لأبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي الجوزي ، المكتب الإسلامي ، بيروت - دمشق ، ط : ٣ ، ١٤٠٤هـ .
- ١٥٩- «زاد المعاد في هدي خير العباد» . لابن قيم الجوزية . تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، عبدالقادر الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط : ٢٦ ، ١٤١٢هـ .

- ١٦٠- (( سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد )) للإمام محمد بن يوسف الصالحى الشامى ، تحقيق : الشيخ عادل عبدالموجود ، الشيخ على محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط : ١ ، ١٤١٤هـ .
- ١٦١- (( سلسلة الأحاديث الصحيحة )) . للألبانى ، المكتب الإسلامى . بيروت ، ط : ٣ ، ١٤٠٣هـ .
- ١٦٢- (( سنن أبى داود )) . للإمام أبى داود سليمان بن الأشعث السجستانى الأزدي ومعه كتاب " معالم السنن " للخطابى ، دار الحديث ، بيروت ، ط ك ١ ، ١٣٨٨هـ .
- ١٦٣- (( سنن ابن ماجة )) . للإمام المحدث أبى عبدالله محمد بن يزيد القزوينى ، تحقيق : محمود نصار دار الكتب العلمية . بيروت ، ط : ١ ، ١٤١٩هـ .
- ١٦٤- (( سنن الدارمى )) . لأبى عبدالله بن عبدالرحمن بن بهرام الدارمى ، تحقيق د . مصطفى البغا دار القلم دمشق ، ط : ١ ، ١٤١٢هـ .
- ١٦٥- (( سنن النسائى )) . بشرح الحافظ جلال الدين السيوطى وحاشية الإمام السندي ، تحقيق مكتبة التراث الإسلامى ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط : ٣ ، ١٤١٤هـ .
- ١٦٦- (( سير أعلام النبلاء )) . للإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبى ، أشرف على التحقيق : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة بيروت . ط : ١١ ، ١٤١٧هـ .
- ١٦٧- (( سيكولوجية القصة فى القرآن )) للدكتور : تهامى نفرة ، الشركة التونسية للتوزيع ، بدون ذكر رقم الطبعة ، ١٩٧٤هـ .
- ١٦٨- (( شبهات وردود حول العقيدة الربانية وأصل الإنسان )) . عبدالله ناصح علوان ، دار السلام للطباعة والتوزيع ، ط : ٦ ، ١٤٠٧هـ .
- ١٦٩- (( شجرة الثور الزكية فى طبقات المالكية )) . للشيخ محمد بن محمد مخلوف ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بدون تحديد رقم الطبعة وتاريخها .
- ١٧٠- (( شذرات الذهب فى أخبار من ذهب )) . للمؤرخ الفقيه الأديب أبى الفلاح عبدالحى ابن العماد الحنبلى ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، بدون ذكر الطبعة وتاريخها .
- ١٧١- (( شرح السنة )) . لأبى محمد الحسين بن الفراء البغوى ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، المكتب الإسلامى ، بيروت ، لبنان ، ط : ١ ، ١٤٠٣هـ .
- ١٧٢- (( شرح الصدور فى تحريم رفع القبور )) للإمام محمد بن على الشوكانى ، تحقيق وتخريج : محمد صبحى حسن الحلاق ، دار الهجرة للنشر والتوزيع ، صنعاء - اليمن ، ط : ١ ، ١٤١٠هـ .

- ١٧٣- «شرح العقيدة الطحاوية» . لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي ، تحقيق : جماعة من العلماء ، خرّج أحاديثها : الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي - بيروت - دمشق ، ط : ٦ ، ١٤٠٠هـ .
- ١٧٤- «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل» . لشمس الدين محمد بن أبي بكر الجوزية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط : ١ ، ١٤٠٧هـ .
- ١٧٥- «صبح الأعشى في صناعة الإنشاء» . تأليف أحمد بن علي القلقشندي ، شرح وتعليق : محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، ط : ١ ، ١٤٠٧هـ .
- ١٧٦- «صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان» . الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي - تحقيق شعيب الأرنؤوط - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط : ٣ ، ١٤١٨هـ .
- ١٧٧- «صحيح ابن خزيمة» . لأبي بكر محمد إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري ، تحقيق الدكتور: محمد مصطفى الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، بدون رقم ذكر رقم الطبعة وتاريخها.
- ١٧٨- «صحيح البخاري» . للإمام الحافظ أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري ، مراجعة وضبط وفهرسة : الشيخ محمد علي القطب ، الشيخ هشام البخاري ، المكتبة العصرية ، بيروت ، بدون رقم الطبعة ، ١٤١٥هـ .
- ١٧٩- «صحيح الترغيب والترهيب» . للحافظ المنذري . تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي . بيروت ، ط : ٢ ، ١٤٠٦هـ .
- ١٨٠- «صحيح الجامع الصغير وزيادته» . لمحمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط : ٣ ، ١٤٠٨هـ .
- ١٨١- «صحيح القصص النبوي» . د . د . عمر سليمان الأشقر ، دار النفائس . الأردن . ط : ١ ، ١٤١٨هـ .
- ١٨٢- «صحيح حادي الأرواح» . للإمام أبي عبدالله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، تخريج واختصار: عبدالحميد أحمد الدخاخي ، دار الطباعة والنشر الإسلامية - القاهرة ، ط : ٣ ، ١٤١٣هـ .
- ١٨٣- «صحيح سنن أبي داود» . للإمام الحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط : ١ ، ١٤١٩هـ .
- ١٨٤- «صحيح سنن ابن ماجه» . للإمام الحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني ، مكتبة المعارف . الرياض . ط : ١ ، ١٤١٧هـ .

- ١٨٥- «صحیح سنن الترمذی» . محمد ناصر الدین الألبانی ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ط : ١ ، ١٤٠٨هـ .
- ١٨٦- «صحیح سنن النسائي» . محمد ناصر الدین الألبانی ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط : ١ ، ١٤١٩هـ .
- ١٨٧- «صحیح مسلم» . للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط : ١ ، ١٤١٦هـ .
- ١٨٨- «صحیح مسلم بشرح الإمام محي الدين النووي المسمى المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» . تحقيق الشيخ خليل مأمون شيخا ، دار المعرفة ، بيروت ، ط : ٤ ، ١٤١٨هـ .
- ١٨٩- «صحیح مسلم بشرح السنوسي المسمى : مكمل إكمال الإكمال» للإمام محمد بن محمد بن يوسف السنوسي ، ضبط وتصحيح : محمد سالم هاشم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط : ١ ، ١٤١٥هـ .
- ١٩٠- «صحیح مسلم بشرح النووي» . لمحيي الدين أبو زكريا بن شرف النووي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط : ٣ ، ١٤٠٤هـ .
- ١٩١- «صحیح مسلم مع شرحه المسمى إكمال إكمال المعظم» . للإمام محمد بن خليفه الوشتاني الأبي ضبط وتصحيح : محمد سالم هاشم ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : ١ ، ١٤١٥هـ .
- ١٩٢- «صفة الصراط» . لأبي عمر حاي الحاي ، ط : ١ ، ١٤٠٨هـ .
- ١٩٣- «صفة الصفة» . لأبي الفرج ابن جوزي ، تحقيق وتعليق : محمود فاخوري ، دار المعرفة بيروت ، ط : ٣ ، ١٤٠٥هـ .
- ١٩٤- «ضرب الأمثال في القرآن - أهدافه التربوية وآثاره» . إعداد : عبدالمجيد البيانوني ، دار القلم - دمشق ، دار الشامية - بيروت ، ط : ١ ، ١٤١١هـ .
- ١٩٥- «ضعيف سنن أبي داود» . محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط : ١ ، ١٤١٩هـ .
- ١٩٦- «ضعيف سنن ابن ماجة» . تأليف محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - الرياض ، ط : ١ ، ١٤١٧هـ .
- ١٩٧- «ضعيف سنن الترمذی» للعلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، دمشق ، ط : ١ ، ١٤١١هـ .

- ١٩٨- «طبقات الشافعية» . لأبي بكر بن أحمد بن محمد تقي الدين بن القاضي شهبة الدمشقي ،  
تصحیح الدكتور الحافظ : عبدالعليم خان ، طبعة دار الندوة الجديدة - بيروت ، ١٤٠٨هـ ،  
بدون ذكر رقم الطبعة .
- ١٩٩- «طريق الهجرتين وباب السعادتین» . لابن قيم الجوزية ، تحقيق أبي حفص : سيد بن  
إبراهيم بن عمران ، دار الحديث - القاهرة - ١٤١١هـ ، بدون ذكر رقم الطبعة .
- ٢٠٠- «ظاهرة الأمثال في الكتاب والسنة وكلام العرب» . مصطفى عيد الصياصنة ، دار المعراج  
الدولية ، الرياض ، ط : ١ ، ١٤١٢هـ .
- ٢٠١- «عارضة الأحوذی بشرح صحيح الترمذی» للإمام الحافظ أبي بكر محمد ابن عبدالله بن  
محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي المالكي ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ،  
ط : ١ ، ١٤١٨هـ .
- ٢٠٢- «عبودية الكائنات لرب العالمين» . تأليف : فريد إسماعيل التوني ، مكتبة الضياء - جدة ،  
ط : ١ ، ١٤١٣هـ .
- ٢٠٣- «عدة الصابرين ونخيرة الشاكرين» . لشمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ،  
تحقيق : محمد الخشت ، دار الكتاب العربي ، لبنان ، بيروت ، ط : ٤ ، ١٤١٠هـ .
- ٢٠٤- «عقيدة المؤمن» . لأبي بكر الجزائري ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، ط : ٣ ،  
١٤١٧هـ .
- ٢٠٥- «عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية» . لأحمد بن سعد بن حمدان الغامدي ، دار طيبة -  
السعودية . الرياض . ط : ٣ ، ١٤٠٥هـ .
- ٢٠٦- «علم الأجنّة في ضوء القرآن والسنة» . هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، رابطة  
العالم الإسلامي - مكة المكرمة ، بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها .
- ٢٠٧- «علم النفس الدعوي - دراسات نفسية تربوية للأباء والدعاة والمربين» د . عبدالعزيز بن  
محمد النغمشي ، دار المسلم للنشر والتوزيع - الرياض ، ط : ٣ ، ١٤١٥هـ .
- ٢٠٨- «علماء ومفكرون عرفتهم» . لمحمد المجذوب ، دار الاعتصام ط : ٣ بدون ذكر تاريخ  
الطبعة .
- ٢٠٩- «عمدة القارئ شرح صحيح البخاري» . للإمام العلامة بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد  
العيني ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده . مصر ، ط : ٣ ، ١٣٩٢هـ .

- ٢٢٢- «كتاب السنة» . للحافظ أبي بكر عمرو بن أبي عاصم الشيباني بتحقيق : الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط : ٣ ، ١٤١٣هـ .
- ٢٢٣- «كتاب الفروق» . لأبي هلال العسكري الحسن بن عبدالله بن مهران ، ضبط وتعليق : الدكتور أحمد سليم الحمصي ، دار جروس برس ، طرابلس - لبنان ، ط : ١ ، ١٤١٥هـ .
- ٢٢٤- «كتاب الموطأ» . للإمام مالك بن أنس ، دار الآفاق ، بيروت ، ط : ٢ ، ١٤٠١هـ .
- ٢٢٥- «لسان العرب» . لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري ، دار صادر - بيروت ، بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها .
- ٢٢٦- «لماذا تأخر المسلمون ، ولماذا تقدّم غيرهم» . تأليف : الأمير شكيب أرسلان ، مراجعة الشيخ : حسن تميم ، دار مكتبة الحياة - بيروت - لبنان ، ط : ٢ ، بدون ذكر سنة الطبع .
- ٢٢٧- «لماذا حرّم الله هذه الأشياء ؟ لحم الخنزير ، الميتة ، الدّم ، الزنا ، اللواط ، الشذوذ الجنسي ، الخمر . نظرة طبية في المحرمات القرآنية» . د . محمد كمال عبدالعزيز ، طبعة مكتبة القرآن - القاهرة ، بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها .
- ٢٢٨- «لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد» للإمام موفق الدين أبي محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي ، شرح فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، تحقيق وتخرّيج : أشرف بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم ، الدار السلفية للنشر والتوزيع والبحث العلمي ، الإسماعيلية - مصر ، ط : ١ ، ١٤١٢هـ .
- ٢٢٩- «لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرّة المضيئة في عقيدة الفرقة المرضية» . للإمام محمد بن أحمد بن سالم السفاريني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، دمشق ، ط : ٣ ، ١٤١١هـ .
- ٢٣٠- «ماذا خسر العالم بتحطاط المسلمين» . لأبي الحسن علي الحسيني النّودوي ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ط : ٨ ، ١٤٠٤هـ .
- ٢٣١- «مباحث في علوم القرآن» . لمناع خليل القطان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان ، ط : ١٧ ، ١٤١١هـ .
- ٢٣٢- «مبادئ علم النفس العام» . د . يوسف مراد ، دار المعارف بمصر ، ط : ٢ ، بدون ذكر تاريخ الطبع .
- ٢٣٣- «مجتمع الأمثال» . لأبي الفضل أحمد بن محمد بن أحمد الميداني ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الجيل - بيروت ، ١٤١٦هـ ، بدون ذكر رقم الطبعة .
- ٢٣٤- «مجلة الجامعة الإسلامية» . المدينة المنورة ، عدد (٥٢) سنة ١٤٠١هـ .

- ٢٣٥- «مجلة الوعي الإسلامي» . العدد (١٤٧) ، ربيع الأول ، عام ١٣٩٧هـ .
- ٢٣٦- «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» . للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٨هـ ، بدون ذكر رقم الطبعة .
- ٢٣٧- «مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية» . للشيخ عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العصامي النجدي ، طبعة خادم الحرمين الشريفين ، بإشراف الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين . تم طبع الكتاب بإدارة المساحة العسكرية بالقاهرة سنة ١٤٠٤هـ .
- ٢٣٨- «مختار الصحاح» . لزيد الدين محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي ، تحقيق حمزة فتح الله ، مؤسسة الرسالة . بيروت ، بدون ذكر رقم الطبعة ، عام ١٤١٣هـ .
- ٢٣٩- «مختارات من القصص الصحيح في السنة النبوية» . د . طلعت محمد عفيفي سالم ، الزهراء للإعلام العربي ، مصر ، ط : ١ ، ١٤٠٨هـ .
- ٢٤٠- «مختصر منهاج القاصدين» . تحقيق : زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي - بيروت ، ط : ٥ ، ١٤٠٣هـ .
- ٢٤١- «مسند الإمام أحمد بن حنبل» . أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل ، إشراف : د . سمير المجنوب ، إعداد : محمد سليم إبراهيم سمارة وآخرين ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط : ١ ، ١٤١٣هـ .
- ٢٤٢- «مشارك الأنوار على صحاح الآثار» . للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى . دار الفكر بيروت ، ١٤١٨هـ .
- ٢٤٣- «معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم» . عبدالوهاب بن لطف الديلمي ، دار الإرشاد ، اليمن - صنعاء ، ط : ٢ ، ١٤١٩هـ .
- ٢٤٤- «معجزات النبي المختار» . لابن خليفة عليوي ، دار الكتب العلمية . بيروت . ط : ١ ، ١٤١١هـ .
- ٢٤٥- «معجزة الإستشفاء بالعسل والغذاء الملكي - حقائق وبراهين» . تأليف : الدكتور حسّان شمسي باشا ، مكتبة السوادي - جدة ، ط : ٢ ، ١٤١١هـ .
- ٢٤٦- «معجم البلدان» . للإمام شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي . دار إحياء التراث العربي . بيروت ، ط : ١ ، ١٤١٧هـ .
- ٢٤٧- «معجم علوم اللغة العربية عن الأئمة» . د . محمد بن سليمان الأشقر ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط : ١ ، ١٤١٥هـ .



- ٢٤٨- «معجم مقاييس اللغة» . لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق وضبط : عبدالسلام محمد هارون ، دار الكتب العلمية ، إيران - قم ، بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها .
- ٢٤٩- «مفاتيح الغيب» . للإمام فخر الدين الرازي . دار الكتب العلمية . طهران ، ط : ٢ ، بدون ذكر سنة الطبعة .
- ٢٥٠- «مفاهيم ينبغي أن تصحح» . للأستاذ : محمد قطب ، دار الشروق ، بيروت - لبنان ، ١٤١٥هـ ، بدون ذكر رقم الطبعة .
- ٢٥١- «مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم» . لأحمد بن مصطفى طاش كبرى زاده ، دار الباز للنشر والتوزيع ، مكة المكرمة ، ودار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، ط : ١ ، ١٤٠٥هـ .
- ٢٥٢- «مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة» . لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر الدمشقي المشتهر بـ (ابن قيم الجوزية) - دار الفكر بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخه .
- ٢٥٣- «من آيات الله» . أحمد عبدالرحيم السامح ، مركز الكتاب للنشر - القاهرة ، بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها .
- ٢٥٤- «من روائع الأدب النبوي» . تأليف الدكتور كامل سلامة الدقس ، دار الشروق - جدة ، بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها .
- ٢٥٥- «من هدي النبوة» . للدكتور : محمد بن لطفي الصباغ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط : ١ ، ١٤١٤هـ .
- ٢٥٦- «مناهج الأدب ومصادره واختيار البحوث وإعدادها» أ . د . سعد إسماعيل شلبي ، ط : ١ ، ١٤٠٥هـ ، بدون ذكر اسم الدار التي طبعت الكتاب .
- ٢٥٧- «مناهج البحث العلمي» . عبدالرحمن بدوي ، وكالة المطبوعات - الكويت ، ط : ٣ ، ١٩٧٧م .
- ٢٥٨- «مناهج البحث العلمي أسس وأساليب» . تأليف : الدكتور عمار بوحوش ، والدكتور محمد محمود الذنبيات ، مكتبة المنار للطباعة والنشر والتوزيع ، الأردن - الزرقاء ، ط : ١ ، ١٤١٠هـ .
- ٢٥٩- «مناهج الدعوة وأساليبها» . للمستشار الدكتور علي جريشة ، دار الوفاء ، مصر ، ط : ١ ، ١٤٠٧هـ .
- ٢٦٠- «منهج التربية الإسلامية» . للأستاذ : محمد قطب ، دار الشروق ، مصر ، ط : ٦ ، ١٤٠٢هـ .

- ٢٦١- «منهج الدعوة النبوية في المرحلة المكية» . للشيخ علي بن جابر الحربي ، طبعة الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة ، ط : ١ ، ١٤٠٦هـ .
- ٢٦٢- «منهج الرسول ﷺ في دعوة أهل الكتاب» . للدكتور : محمد بن سيدي بن الحبيب الشنقيطي ، مكتبة أمين محمد أحمد سالم ، المدينة المنورة ، ط : ١ ، ١٤١٣هـ .
- ٢٦٣- «منهج الفن الإسلامي» . للأستاذ : محمد قطب ، دار الشروق . مصر . ط : ٦ ، ١٤٠٣هـ .
- ٢٦٤- «منهج القرآن في الدعوة إلى الإيمان» . للدكتور : علي بن محمد بن ناصر الفقيهي ، ط : ١ ، ١٤٠٥هـ ، بدون ذكر دار الطبع ومكانها .
- ٢٦٥- «منهجية البحث الجامعي» . د . سعيد يوسف البستاني .
- ٢٦٦- «موسوعة أخلاق القرآن» . للدكتور : أحمد الشرباصي ، دار الرائد العربي ، بيروت - لبنان ، ط : ١ ، ١٤٠١هـ .
- ٢٦٧- «ميثاق النبيين» . لعبد الوهاب عبدالسلام طويله ، دار القبله . السعودية . جدة . بدون تحديد الطبعة ، ١٤١٠هـ .
- ٢٦٨- «نسب قریش» . للمصعب بن عبدالله بن المصعب الزبيدي ، طبعة دار المعارف - القاهرة ، ط : ٣ ، بدون ذكر سنة الطبع .
- ٢٦٩- «نشأة الإنسان بين العلم والقرآن» . ( شريط فيديو ) ، للدكتور : توفيق علوان ، إصدار مؤسسة قرطبة للإنتاج الفني - الرياض ، هاتف : (٤٧٩١٣٢٣) عام ١٤٢٠هـ .
- ٢٧٠- «نظرات فقهية وتربوية في أمثال الحديث مع مقدمة في علوم الحديث» . د . عبدالمجيد محمود عبدالمجيد . مكتبة الصديق . الطائف . ط : ٢ ، ١٤١٣هـ .
- ٢٧١- «نهاية السؤل في شرح منهاج الأصول» . للقاضي ناصر الدين عبدالله بن عمر البيضلوي ، تأليف : الشيخ الإمام جمال الدين عبدالرحيم بن الحسن الأسنوي ، عالم الكتب - بيروت - ١٩٨٢م ، بدون ذكر رقم الطبعة .
- ٢٧٢- «نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخبار» للإمام المجتهد محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها .
- ٢٧٣- «نيل الابتهاج بتطريز الديباج» . سيد أحمد بن أحمد بن محمد أقيت المعروف بـ "بابا" التتبكتي ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ( مطبوع بهامش الديباج ) .
- ٢٧٤- «واقعا المعاصر» . للأستاذ محمد قطب ، مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر ، المملكة العربية السعودية - جدة ، ط : ١ ، ١٤٠٧هـ .

- ٢٧٥- «وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون» . لعبدالوهاب العثمان ، الدار السلفية ، الكويت ، بدون تحديد الطبعة وتاريخها .
- ٢٧٦- «وسائل الاتصال التعليمية» . تأليف الدكتور : عبدالله إسحاق عطار ، الدكتور : إحسان محمد كنسادة ، ط : ١ ، ١٤١٨هـ ، بدون ذكر دار الطبع .
- ٢٧٧- «وفي أنفسكم أفلا تبصرون» . لأنس عبدالحميد القوز ، طبعة دار الهدى - الرياض ، ط : ١ ، ١٤٠٩هـ .
- ٢٧٨- «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان» . لأبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر خلکان ، طبعة دار الفكر ، دار صادر - بيروت ، عام ١٩٧٢م .

## فهرس الموضوعات

رقم الصفحة

الموضوع

- المقدمة ..... (أ)
- وتشمل على ما يلي :-
- أولاً : التعريف بمفردات البحث ..... (ت)
- ثانياً : أهمية الموضوع وأسباب اختياره ..... (ذ)
- ثالثاً : الدراسات السابقة ..... (ز)
- رابعاً : المشكلة البحثية ، وتساؤلات الدراسة ..... (ش)
- خامساً : منهج الدراسة ..... (ص)
- سادساً : تقسيم الدراسة ..... (ظ)

### الفصل التمهيدي : التعريف بمنهج الدعوة :

وفيه ثلاثة مباحث :

#### المبحث الأول : المنهج العقلي .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : تعريف (المنهج - العقل) لغة واصطلاحاً وبيان

٣ ..... مكانة العقل في الإسلام .

٣ ..... أولاً : تعريف ( المنهج - العقل ) لغة واصطلاحاً

٥ ..... ثانياً : مكانة العقل في الإسلام

المطلب الثاني : تعريف المنهج العقلي في الدعوة إلى الله ،

٨ ..... وبيان أهم أساليبه ومواطن استخدامه

٨ ..... أولاً : تعريفه ، وبيان أهميته في الدعوة إلى الله

٨ ..... أ - تعريف المنهج العقلي الدعوي

٨ ..... ب - أهمية استخدامه في الدعوة إلى الله ...

- ١٠ ثانياً : أهم أساليب المنهج العقلي ومواطن استخدامه
- ١٣ المبحث الثاني : المنهج العاطفي .....  
وفيه مطلبان :
- المطلب الأول : تعريف المنهج العاطفي لغة واصطلاحاً وبيان أهميته
- ١٤ في الدعوة إلى الله .....  
وفيه مسلكان :
- المسلك الأول : تعريف المنهج لغة واصطلاحاً
- ١٤ .....  
أ - تعريفه لغة
- ١٤ .....  
ب - تعريفه اصطلاحاً
- المسلك الثاني : أهمية المنهج العاطفي في الدعوة إلى الله
- ١٥ .....  
أ - قوة تأثيره في النفوس
- ١٥ .....  
ب - صلاحيته لجميع أصناف المدعوين
- ١٥ .....  
ج - كثرة وروده في الكتاب والسنة
- ١٦ .....  
المطلب الثاني : أهم أساليب المنهج العاطفي ، ومواطن استخدامه
- ١٨ وفيه مسلكان :
- المسلك الأول : أهم أساليب المنهج العاطفي
- ١٨ .....  
أولاً : أسلوب الموعظة الحسنة
- ١٨ .....  
أ - الترغيب
- ١٨ .....  
ب - الترهيب
- ١٨ .....  
ج - القصص العاطفية
- ١٩ .....  
ثانياً : استعطاف المدعوين
- ٢٠ .....  
أ - التذكير بنعم الله
- ٢٠ .....  
ب - مدح المخاطبين والثناء عليهم
- ٢١ .....  
ج - إظهار الشفقة والرحمة بهم
- ٢١ .....  
د - القول اللين المشعر بالمحبة
- ٢١ .....  
هـ - الإحسان وبذل المعروف
- ٢١ .....  
المسلك الثاني : مواطن استخدام المنهج العاطفي
- ٢٢ .....

## المبحث الثالث : المنهج الحسي :

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : بيان نعمة الإحساس وعظم المسؤولية عنه ، وتوجيه

الإسلام له ..... ٢٥

أولاً : بيان نعمة الإحساس وعظم المسؤولية عنه ..... ٢٥

ثانياً : توجيه الإسلام لحواس الإنسان ..... ٢٧

المطلب الثاني : مواطن استعمالات المنهج الحسي ، وعلاقته بالمنهج

الدعوية الأخرى ..... ٣٠

أولاً : مواطن استعمالات المنهج الحسي ..... ٣٠

ثانياً : علاقة المنهج الحسي بالمنهج الأخرى ..... ٣١

## الفصل الأول : موضوعات الدعوة إلى الله بالمنهج الحسي في

## السنة النبوية

٣٤

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : استخدام المنهج الحسي في إثبات العقيدة ..... ٣٥

وفيه تمهيد ، وستة مطالب :

التمهيد ..... ٣٦

المطلب الأول : استخدام المنهج الحسي لإثبات البعث ..... ٣٨

وفيه تمهيد ومسلكان :

التمهيد ..... ٣٩

المسلك الأول : تعريف البعث وبيان أهميته والإيمان به ..... ٤١

أولاً : تعريف البعث لغة واصطلاحاً ..... ٤١

ثانياً : بيان أهمية الإيمان بالبعث ..... ٤٢

المسلك الثاني : إثبات البعث بالمنهج الحسي ..... ٤٤

المطلب الثاني : بيان سعة رحمة الله تعالى بالمنهج الحسي ..... ٥١

- ٥٦ ..... **المطلب الثالث : إثبات الرؤية والقدر بالمنهج الحسي**  
وفيه مسلكان :
- ٥٧ ..... **المسلك الأول : إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة بالمنهج الحسي**
- ٦٣ ..... **المسلك الثاني : بيان القدر وإثباته بالمنهج الحسي**
- ٦٨ ..... **المطلب الرابع : حوادث حسية تدل على نبوة نبينا محمد ﷺ**  
وفيه تمهيد وخمسة مسالك :
- ٦٩ ..... **التمهيد : ضرورة الوحي والرسالة للبشرية**
- ٧١ ..... **المسلك الأول : إنشقاق القمر ودلالاته على نبوة محمد ﷺ**
- ٧٤ ..... **المسلك الثاني : نطق الجماد وانقياده للرسول ﷺ**
- ٧٤ ..... **أولاً : بكاء النخلة على فراق رسول الله ﷺ**
- ٧٥ ..... **ثانياً : شهادة العذق للرسول ﷺ بالنبوة**
- ٧٧ ..... **ثالثاً : تسبيح الحصى في يده الشريفة**
- ٨٠ ..... **المسلك الثالث : نطق الحيوان ودلالاته على نبوة محمد ﷺ**
- ٨١ ..... **أولاً : نطق الذئب ودلالته على نبوة محمد ﷺ**
- ٨٢ ..... **ثانياً : سماع الرسول ﷺ شكوى الجمل**
- ٨٥ ..... **المسلك الرابع : تكثير القليل وحصول البركة**
- ٨٥ ..... **أولاً : تكثير تمر جابر بن عبد الله ببركة دعائه ﷺ**
- ٨٧ ..... **ثانياً : نبع الماء بين أصابعه الشريفة ﷺ**
- ٩١ ..... **المسلك الخامس : سرعة استجابة دعائه ﷺ في شفاء المرضى**  
بإذن الله تعالى
- ٩٤ ..... **المطلب الخامس : استخدام المنهج الحسي لإثبات وبيان**  
**الفتن وأشراط الساعة**
- ٩٥ ..... **التمهيد**
- ٩٩ ..... **المسلك الأول : أشراط الساعة الصغرى**
- ٩٩ ..... **أولاً : بعثة النبي ﷺ**
- ١٠١ ..... **ثانياً : ظهور الفتن وكيفية عرضها على القلوب**

- ١٠٩ ..... ثالثاً : اتباع سنن الأمم الماضية
- ١١٣ رابعاً : ظهور أعوان الظلمة والنساء الكاسيات العاريات
- ١١٦ خامساً : تداعي الأمم في آخر الزمان على المسلمين
- ١٢٠ ..... المسلك الثاني : أشراط الساعة الكبرى
- ١٢١ ..... أولاً : وصف المسيح الدجال والتحذير منه
- ١٢٣ ..... أ - صورته وهيئته
- ١٢٥ ..... ب - إسرعه في الأرض
- ١٢٥ ..... ج - فتنة إخرجه لكنوز الأرض
- ١٢٦ ..... د - كيف يكون هلاكه ؟
- ١٢٧ ..... ثانياً : وصف يأجوج ومأجوج ، وبيان نهايتهم
- ١٢٩ ..... أ - صفتهم
- ١٣١ ..... ب - كيف يكون هلاكهم ؟
- ١٣٢ ..... ج - رائحتهم الكريهة بعد موتهم
- ١٣٣ ..... د - صفة الطير الذي يحمل جثثهم
- ١٣٤ ..... هـ - وصف المطر العام الذي ينزل بعد هلاكهم
- المطلب السادس : استخدام المنهج الحسي لإثبات الحوض  
والصراط
- ١٣٥ ..... المسلك الأول : استخدام المنهج الحسي لإثبات الحوض
- ١٣٦ ..... أولاً : بيان سعته
- ١٣٨ ..... ثانياً : وصف طعم ماء الحوض وريحه
- ١٣٩ ..... ثالثاً : كثرة أواني الحوض
- ١٤٠ ..... رابعاً : كيف يزداد الناس عن الحوض ؟
- ١٤١ ..... المسلك الثاني : استخدام المنهج الحسي لإثبات الصراط
- ١٤٤ ..... أولاً : صفة الصراط وهيئته
- ١٤٦ ..... ثانياً : كيف يمرّ الناس على الصراط ؟
- ١٤٧ ..... المبحث الثاني : استخدام المنهج الحسي لإيضاح الأحكام العملية
- ١٥٠ ..... وفيه ثلاثة مطالب :



- المطلب الأول : استخدام المنهج الحسي لبيان أحكام الطهارة  
والصلاة  
وفيه مسلكان :
- ١٥١ المسلك الأول: بيان بعض أحكام الطهارة بالمنهج الحسي  
تمهيد ..... ١٥٢  
أولاً : التعليم بالقدوة والتطبيق ..... ١٥٤  
ثانياً : بيان فضل الوضوء ..... ١٥٦  
المسلك الثاني : بيان بعض أحكام الصلاة بالمنهج الحسي  
تمهيد ..... ١٦١  
أولاً : الصلوات الخمس تكفر الذنوب وتزيل الخطايا ..... ١٦٣  
ثانياً : خطورة التهاون بصلاة الجماعة ..... ١٦٧  
ثالثاً : تحذير المصلين من مسابقة الإمام ، وبسط  
الذراعين في السجود ..... ١٧٣  
أ - شناعة مسابقة الإمام ..... ١٧٣  
ب - النهي عن بسط الذراعين في السجود ..... ١٧٥  
المطلب الثاني : استخدام المنهج الحسي لبيان أحكام الزكاة  
والصيام  
وفيه مسلكان :
- المسلك الأول : الترغيب في الصدقة ، وبيان عقوبة مائع  
الزكاة بالمنهج الحسي ..... ١٨٠  
أولاً : الترغيب في الصدقة بالمنهج الحسي ..... ١٨٠  
ثانياً : الترهيب من منع الزكاة بالمنهج الحسي ..... ١٨٤  
المسلك الثاني : بيان فضل الصوم بالمنهج الحسي ..... ١٩٠  
المطلب الثالث : استخدام المنهج الحسي لبيان أحكام الحج والجهاد  
وفيه مسلكان :
- المسلك الأول : بيان بعض أحكام الحج بالمنهج الحسي ..... ١٩٥

- ١٩٦ ..... أولاً : التعلیم بالقذوة بياناً وتطبيقاً
- أ - مخالفة هدي المشركين في الدفع من
- ١٩٧ ..... عرفة والمشعر الحرام
- ١٩٨ ..... ب - هديه ﷺ في رمي الجمار
- ٢٠٠ ..... ثانياً : بيان فضل الحج والعمرة
- ٢٠٣ المسلك الثاني : بيان فضل الجهاد في سبيل الله بالمنهج الحسي
- ٢٠٥ ..... أولاً : الجهاد أفضل الطاعات
- ٢٠٦ ..... ثانياً : ربح المسك يفوح من جرح الشهيد يوم القيامة
- ٢٠٩ ..... المبحث الثالث : استخدام المنهج الحسي لتقويم الأخلاق
- وفيه تمهيد ومطلبان :
- ٢١٠ ..... التمهيد ويشتمل على :
- أ - تعريف الخلق لغة واصطلاحاً
- ٢١١ ..... ب - أهمية الأخلاق في الإسلام
- ٢١١ ..... المطلب الأول : استخدام المنهج الحسي لبيان الأخلاق
- المحمودة والحث عليها
- ٢١٣ ..... وفيه ثلاثة مسالك :
- المسلك الأول : بيان أهمية الأمانة والمراحل التي تمرُّ بها
- ٢١٤
- المسلك الثاني : بيان فضل خلق الصبر وحاجة الدعاة إليه
- ٢١٩
- المسلك الثالث : تثبيت خلق العفة في النفوس
- ٢٢٦ ..... المطلب الثاني : استخدام المنهج الحسي لبيان الأخلاق
- المذمومة والتحذير منها
- ٢٣١ ..... وفيه ثلاثة مسالك :
- المسلك الأول : قبح الخيانة والتحذير منها
- ٢٣٣
- المسلك الثاني : قبح الكذب والتحذير منه
- ٢٣٧
- المسلك الثالث : قبح البخل والتحذير منه
- ٢٤٠

## الفصل الثاني : أساليب الدعوة إلى الله بالمنهج الحسي في

### السنة النبوية

٢٤٤

وفيه تمهيد وأربعة مباحث

التمهيد : ويشتمل على :

٢٤٤

أولاً : تعريف الأسلوب لغة واصطلاحاً

٢٤٤

ثانياً : اختيار الأسلوب المناسب في الدعوة إلى الله

٢٤٧

المبحث الأول : أسلوب ضرب الأمثال

وفيه مطلبان :

٢٤٨

المطلب الأول : تعريف المثل ، وبيان أهميته

٢٤٨

أولاً : تعريف المثل لغة واصطلاحاً

٢٤٩

ثانياً : أهمية ضرب الأمثال

٢٥٢

المطلب الثاني : أمثلة على أسلوب ضرب الأمثال

أولاً : وحدة الأنبياء في الدعوة إلى التوحيد ، وبيان

٢٥٢

ختم النبوة

ثانياً : شدة حرص الرسول على هداية الناس ونجاتهم

٢٥٥

من النار

ثالثاً : وجوب الأخذ على أيدي الظلمة حفاظاً على أمن

٢٦٠

المجتمع

٢٦٥

المبحث الثاني : أسلوب القصة

وفيه تمهيد ومطلبان :

٢٦٦

تمهيد

المطلب الأول : تعريف القصة ، وبيان أهم خصائصها في السنة

٢٦٩

النبوية

وفيه مسلكان :

٢٧٠

المسلك الأول : تعريف القصة لغة واصطلاحاً

٢٧٠

أولاً : القصة في اللغة

- ٢٧١ ..... ثانياً : القصة في الاصطلاح
- ٢٧٢ ..... المسلك الثاني : أهم خصائص القصة النبوية
- ٢٧٢ ..... أولاً : الواقعية والصدق
- ٢٧٣ ..... ثانياً : عفة الأسلوب
- ٢٧٥ ..... ثالثاً : تحديد الغاية ووضوح الهدف
- ٢٧٧ ..... **المطلب الثاني : القصة النبوية وعلاقتها بالمنهج الحسي**  
وفيه مسلكان :
- المسلك الأول : القصة النبوية كأسلوب من أساليب المنهج الحسي
- ٢٧٩ ..... الحسي
- ٢٧٩ ..... أولاً : تصوير المعاني المجردة إلى مشاهدة حسية
- ٢٨٢ ..... ثانياً : تقريب الأحداث والمواقف إلى ذهن المخاطب
- المسلك الثاني : أمثلة من قصص السنة النبوية مشتملة على
- ٢٨٤ ..... منهج حسي
- أولاً : تسلية الرسول ﷺ لأصحابه ببيان بعض
- ٢٨٤ ..... ابتلاءات الأمم الماضية
- ٢٨٨ ..... ثانياً : العقوبة العاجلة للمتكرين
- ٢٩٢ ..... **المبحث الثالث : أسلوب المقارنة ( الموازنة ) وأمثلتها :**  
وفيه مطلبان :
- المطلب الأول : تعريف المقارنة ، وبيان أهميتها في الدعوة
- ٢٩٣ ..... إلى الله بالمنهج الحسي
- ٣٩٣ ..... أولاً : تعريف المقارنة لغة واصطلاحاً
- ثانياً : أهمية أسلوب المقارنة في الدعوة إلى الله بالمنهج الحسي
- ٢٩٣ ..... الحسي
- المطلب الثاني : أمثلة حسية لأسلوب المقارنة
- ٢٩٦ ..... أولاً : المعيار الصحيح للمفاضلة في الإسلام
- ٢٩٩ ..... ثانياً : مكانة الجهاد في سبيل الله وعظم نعيم الآخرة
- ٣٠٣ ..... ثالثاً : الجلوس على الجمر أهون من الجلوس على القبور

## المبحث الرابع : أسلوب الحوار وأمثلته :

- المطلب الأول : تعريف الحوار ، وأهميته في الدعوة إلى الله  
 ٣٠٥ .....  
 أولاً : تعريف الحوار لغة واصطلاحاً .....  
 ٣٠٦ .....  
 ثانياً : أهمية أسلوب الحوار في الدعوة إلى الله .....  
 ٣٠٧ .....  
 المطلب الثاني : أمثلة على أسلوب الحوار المشتمل على  
 منهج حسي .....  
 ٣١٠ .....  
 أولاً : بيان قيمة الدنيا في الآخرة .....  
 ٣١٠ .....  
 ثانياً : بيان كون أمة محمد نصف أهل الجنة .....  
 ٣١٥ .....  
 ثالثاً : التنفير من الغيبة .....  
 ٣١٨ .....

## الفصل الثالث : أصناف المدعوين بالمنهج الحسي في السنة

- النبوية .....  
 ٣٢٤ .....  
 وفيه مبحثان :  
 المبحث الأول : دعوة المسلمين بالمنهج الحسي في السنة النبوية  
 ٣٢٥ .....  
 وفيه تمهيد ومطلبان :  
 التمهيد .....  
 ٣٢٦ .....  
 المطلب الأول : دعوة الملأ الأشراف بالمنهج الحسي .....  
 ٣٢٩ .....  
 وفيه ثلاثة مسالك :  
 المسلك الأول : دعوة العلماء بالمنهج الحسي .....  
 ٣٢٩ .....  
 أولاً : بيان فضل العلماء وعلو منزلتهم .....  
 ٣٣١ .....  
 ثانياً : مسؤولية العلماء عن العمل بعلمهم .....  
 ٣٣٦ .....  
 ثالثاً : مسؤولية العلماء عن تبليغ علمهم وعدم  
 كتمانهم .....  
 ٣٣٩ .....  
 المسلك الثاني : دعوة الأمراء بالمنهج الحسي .....  
 ٣٤٢ .....  
 أولاً : خطر الإمارة والترهيب من الحرص عليها .....  
 ٣٤٣ .....  
 ثانياً : بيان فضل الأئمة المقسطين .....  
 ٣٤٧ .....

## المبحث الثاني : دعوة غير المسلمين بالمنهج الحسي في السنة

٣٩٠ ..... النبوية  
وفيه مطلبان :

٣٩١ ..... المطلب الأول : دعوة المشركين بالمنهج الحسي  
ويشتمل على تمهيد وثلاثة مسالك :

٣٩٢ ..... التمهيد

٣٩٤ ..... المسلك الأول : إنذار المشركين وتخويفهم من عذاب الله

٣٩٨ ..... المسلك الثاني : إظهار عجز آلهة المشركين

٤٠١ ..... المسلك الثالث : دعوة المشركين بالمعجزات والخوارق

٤٠١ ..... أ - معجزة انشقاق القمر

ب - معجزة نزول العذق من النخلة ورجوعه

٤٠٤ ..... إلى مكانه

٤٠٧ ..... المطلب الثاني : دعوة أهل الكتاب بالمنهج الحسي  
وفيه تمهيد ومسلكان

٤٠٧ ..... التمهيد

المسلك الأول : ترغيب أهل الكتاب في دخول الإسلام ،

٤١٠ ..... ببيان عظيم أجرهم في ذلك

المسلك الثاني : ترهيب أهل الكتاب من رفض الإسلام والتمادي

٤١٤ ..... على الكفر

## الفصل الرابع : خصائص الدعوة إلى الله بالمنهج الحسي في

٤١٧ ..... السنة النبوية وضوابطها

وفيه مبحثان

المبحث الأول : خصائص الدعوة إلى الله بالمنهج الحسي في

٤١٨ ..... السنة النبوية

وفيه تمهيد وثلاثة مطالب :

- ٤١٩ ..... التمهيد : ويشتمل على تعريف الخصائص لغة واصطلاحاً
- ٤٢١ ..... **المطلب الأول : خصيصة قوة البيان والإيضاح**  
وفيه ثلاثة مسالك :
- ٤٢٣ ..... **المسلك الأول : الإيضاح في مجال العقائد والغيبات**  
أولاً : قوة الإيضاح في وصف المسلمين في آخر  
الزمان وتكالب الأعداء عليهم ..... ٤٢٣
- ثانياً : قوة الإيضاح في تقرير عقيدة البعث في  
نفوس المخاطبين ..... ٤٢٥
- ثالثاً : قوة الإيضاح في بيان رؤية الله تعالى في  
الآخرة ..... ٤٢٧
- ٤٢٩ ..... **المسلك الثاني : الإيضاح في مجال العبادات**  
أولاً : قوة الإيضاح في بيان فضل الصلوة الخمس  
ثانياً : قوة الإيضاح في بيان فضل الصيام ..... ٤٣٠
- ثالثاً : قوة الإيضاح في بيان فضل الجهاد ..... ٤٣٢
- ٤٣٤ ..... **المسلك الثالث : الإيضاح في مجال الأخلاق**  
أولاً : قوة الإيضاح في الحث على صحبة الأخيار  
والتحذير من صحبة الأشرار ..... ٤٣٤
- ثانياً : قوة الإيضاح في وصف المنافقين والتحذير  
من النفاق ..... ٤٣٦
- ٤٣٨ ..... **المطلب الثاني : خصيصة عمق التأثير وقوته في نفوس  
المخاطبين**  
وفيه تمهيد وثلاثة مسالك :
- ٤٣٩ ..... **التمهيد**
- ٤٤١ ..... **المسلك الأول : قوة التأثير في باب العقائد والغيبات**  
أولاً : قوة تأثير المعجزات الحسية على المخاطبين  
ثانياً : قوة التأثير في وصف السبعين ألفاً الذين  
يدخلون الجنة من أمة محمد ﷺ ..... ٤٤٢

- ٤٤٥ ..... المسلك الثاني : قوة التأثير في مجال الأحكام  
أولاً : الترهيب من الغلول وبيان حال الغالّ يوم  
القيامة ..... ٤٤٥
- ٤٤٨ ..... ثانياً : الترهيب من لبس خاتم الذهب للرجال  
المسلك الثالث : قوة التأثير في مجال الأخلاق ..... ٤٥١
- ٤٥١ ..... أولاً : التواضع وأثره في استمالة قلوب المدعوين  
ثانياً : الكبر يمنع المتصف به من دخول الجنة ..... ٤٥٥
- المطلب الثالث : خصيصة صلاحية المنهج الحسي لإثارة  
جميع حواس المدعوين ..... ٤٥٨
- ٤٥٩ ..... أولاً : صلاحيته لإثارة حاسة البصر  
ثانياً : صلاحيته لإثارة حاسة السَّمع ..... ٤٦٠
- ٤٦٢ ..... ثالثاً : صلاحيته لإثارة حاسة الذوق  
رابعاً : صلاحيته لإثارة حاسة اللمس ..... ٤٦٤
- ٤٦٦ ..... خامساً : صلاحيته لإثارة حاسة الشَّم  
المبحث الثاني : ضوابط الدَّعوة إلى الله بالمنهج الحسيّ في السُّنة  
النَّبوية ..... ٤٦٩
- وفيه تمهيد وأربعة مطالب :
- التمهيد : ويشمل على تعريف الضوابط ، وأهميتها في الدعوة إلى  
الله بالمنهج الحسيّ في السُّنة النَّبوية ..... ٤٧٠
- المطلب الأول : ضابط قصر استخدام المحسوسات على المحتاج إلى  
البيان ..... ٤٧٢
- وفيه مسلكان :
- المسلك الأول : أمثلة واضحة الدلالة ..... ٤٧٤
- المثال الأول ..... ٤٧٤
- المثال الثاني ..... ٤٧٤
- المثال الثالث ..... ٤٧٥
- المسلك الثاني : أمثلة مما يحتاج إلى بيان ..... ٤٧٦



- ٤٧٦ ..... المثال الأول
- ٤٧٧ ..... المثال الثاني
- المطلب الثاني : ضابط الاقتصار على المحسوسات المعروفة  
٤٧٩ ..... للمخاطبين  
وفيه مسلكان :
- ٤٧٩ ..... المسلك الأول : تشبيه المسلم بالنخلة  
المسلك الثاني : بيان عقوبة الذي يأمر بالمعروف ولا يأتيه ،  
٤٨٣ ..... وينهى عن المنكر ويأتيه
- المطلب الثالث : الالتزام بالأدب الشرعي حالة استخدام المنهج الحسي  
٤٨٦ ..... وفيه مسلكان :
- ٤٨٨ ..... المسلك الأول : خطر محاكاة الأشخاص واغتيابهم  
المسلك الثاني : خطورة سبّ المسلمين وأذاهم بالتشبيه بما  
٤٨٩ ..... يكرهون
- المطلب الرابع : الالتزام بأداب وأخلاق الإسلام في حالة استخدام  
٤٩٢ ..... المنهج الحسي  
وفيه مسلكان :
- ٤٩٤ ..... المسلك الأول : الكناية عند ذكر العورات  
المسلك الثاني : تحريم إفشاء ما يكون بين الزوجين من أمور  
٤٩٧ ..... خاصة

## الفصل الخامس : مجالات استفادة الدّاعية من المنهج الحسيّ في

- ٥٠٠ ..... العصر الحاضر  
وفيه مبحثان :
- المبحث الأول : استفادة الدّاعية من المنهج الحسي في دعوة  
المسلمين  
٥٠١ .....  
وفيه تمهيد وثلاثة مطالب :

## التمهيد

٥٠٢

المطلب الأول : استفادة الدّاعية من المنهج الحسي في ترسيخ

٥٠٨

العقيدة وتصحيح بعض انحرافاتنا

وفيه مسلكان :

المسلك الأول : الاستفادة من المنهج الحسي في ترسيخ

٥٠٨

العقيدة في نفوس المسلمين

أولاً : ترسيخ العقيدة في نفوس المسلمين ببيان

٥٠٨

عظمة الله في خلق السّماء والأرض

٥٠٩

أ - ظهور عظمة الله في خلق السّماوات

٥١٤

ب - ظهور عظمة الله في خلق الأرض

١ - مدّ الأرض وبسطها واختلاف

٥١٥

ألوانها وما ينبت فيها

٢ - تنوع ما يخرج من الأرض

٥١٦

من الزّروع والثمار

ج- استفادة الدّاعية من وسائل الإيضاح

والإعلام المعاصرة في بيان عظمة

٥١٧

الله في خلق السّماوات والأرض

ثانياً : تمكين العقيدة في نفوس المسلمين من

٥١٩

خلال بيان عظمة الله في خلق الإنسان

أ - مراحل خلق الجنين ودلالاتها على

٥٢١

عظمة الله

ب - وظائف أجهزة الإنسان ، ودلالاتها

٥٢٣

على عظمة الله

١ - التوازن في توزيع الأجهزة

٥٢٣

والأعضاء

٥٢٤

٢ - الهيكل العظمي

ج- استفادة الداعية من وسائل الإيضاح

والإعلام المعاصرة في بيان عظمة

الله تعالى في خلق الإنسان ..... ٥٢٥

المسلك الثاني : استفادة الداعية من المنهج الحسي في

التحذير من البدع ..... ٥٢٧

تمهيد : يشتمل على تعريف البدعة لغة واصطلاحاً ، ومراتبها

أولاً : حقيقة بدعة القبوريين ..... ٥٢٨

ثانياً : دعوة القبوريين بأمر حسية من واقعهم

المطلب الثاني : استفادة الداعية من المنهج الحسي في تصحيح

بعض الانحرافات في مجال الأحكام ..... ٥٣٦

وفيه : تمهيد ، ومسلكان :

التمهيد ..... ٥٣٧

المسلك الأول : استفادة الداعية من المنهج الحسي في التحذير

من التعامل بالربا ..... ٥٣٩

أولاً : التحذير من الربا بالأمور الحسية في

القرآن والسنة ..... ٥٣٩

ثانياً : التحذير من الربا ببيان أضراره الحسية

في العصر الحاضر ..... ٥٤٢

المسلك الثاني : استفادة الداعية من المنهج الحسي في

التحذير من الزنا ..... ٥٤٧

أولاً : الترهيب من الزنا ببيان عقوبته الأخروية

ثانياً : التحذير من الزنا ببيان أضراره الحسية

في العصر الحاضر ..... ٥٥٠

ثالثاً : الاستفادة من وسائل الإيضاح والإعلام في

التحذير من جريمة الزنا ..... ٥٥٥

## المطلب الثالث : استفادة الداعية من المنهج الحسي في مجال تهذيب

## الأخلاق

٥٥٨

وفيه مسلكان :

المسلك الأول : التحذير من الكذب بالمنهج الحسي في العصر

الحاضر

٥٦٠

٥٦٠ ..... أولاً : مظاهر الكذب في العصر الحاضر

المظهر الأول : الكذب على الله وعلى

٥٦٠ ..... رسوله محمد ﷺ

٥٦١ - أ - التحذير بأمثلة حسية من القرآن والسنة

ب - التحذير من الكذب على الله ورسوله بأمثلة

٥٦٢ ..... حسية من واقع المخاطب

٥٦٣ ..... المظهر الثاني : الكذب لإضحاك السامعين

٥٦٣ - أ - التحذير منه بأمثلة حسية من السنة النبوية

ب - التحذير من الكذب لإضحاك الناس بأمثلة

٥٦٤ ..... حسية من واقع المخاطب

٥٦٦ ..... المظهر الثالث : الكذب في البيع والشراء

أ - التحذير من الكذب في البيع والشراء

٥٦٧ ..... بالأحاديث المشتملة على منهج حسي

ب - التحذير من الكذب في البيع والشراء بأمثلة

٥٦٨ ..... حسية من واقع المخاطب

المظهر الرابع : الكذب لإظهار الحاجة

٥٦٩ ..... والفاقة

أ - دعوة هذا الصنف بنصوص السنة المشتملة

٥٧٠ ..... على منهج حسي

٥٧١ - ب - دعوة هذا الصنف بأمثلة حسية من واقعهم

المسلك الثاني : استفادة الداعية من المنهج الحسي للتحذير

٥٧٢ ..... من خلق الكبر في العاصر الحاضر

- أولا : مظاهر الكبر القولية ( التفاخر بشرف  
 النسب ) ..... ٥٧٤
- أ - التحذير بنصوص السنة المشتملة على  
 منهج حسي ..... ٥٧٤
- ب - التحذير من التفاخر بالأنساب بأمثلة  
 حسية من واقع المخاطب ..... ٥٧٦
- ثانيا : مظاهر الكبر العملية ..... ٥٧٨
- المظهر الأول : التبخر في المشية ، وجر  
 الثياب ..... ٥٧٨
- أ - التحذير منه بنصوص السنة المشتملة  
 على منهج حسي ..... ٥٧٨
- ب - التحذير من التبخر في المشي بأمثلة  
 حسية من واقع المخاطب ..... ٥٧٩
- المظهر الثاني : الظلم والبطش والقسوة  
 أ - التحذير بالنصوص النبوية المشتملة  
 على منهج حسي ..... ٥٨٢
- ب - التحذير من الظلم والبطش والقسوة  
 بأمثلة حسية من بيئة المخاطب ..... ٥٨٣
- المبحث الثاني : استفادة الداعية من المنهج الحسي في دعوة  
 غير المسلمين ..... ٥٨٦
- وفيه تمهيد ومطلبان :  
 التمهيد ..... ٥٨٧
- المطلب الأول : استفادة الداعية من المنهج الحسي في إقناع غير  
 المسلمين بالإسلام ..... ٥٨٩
- وفيه مسلكان :  
 المسلك الأول : إثبات وجود الخالق سبحانه ..... ٥٩٠
- المسلك الثاني : إثبات وحدانية الخالق سبحانه ..... ٥٩٥

المطلب الثاني : استفادة الداعية من المنهج الحسي في الرد على

٦٠ ..... بعض الشبهات التي يثيرها الملحدون  
وفيه مسلكان :

٦٠١ ..... المسلك الأول : شبهة زعم المصادفة ، والرد عليها

٦٠٥ ..... المسلك الثاني : شبهة كون الطبيعة هي الخالقة لهذا الكون

٦٠٩ ..... الخاتمة :

وتشتمل على :

٦٠٩ ..... • أهم النتائج

٦١٠ ..... • التوصيات والاقتراحات

٦١٢ ..... الفهارس :

وتشتمل على :

٦١٣ ..... • فهرس الآيات .

٦٣٥ ..... • فهرس الأحاديث .

٦٥٤ ..... • فهرس الأعلام .

٦٦٣ ..... • فهرس المراجع .

٦٨٥ ..... • فهرس الموضوعات .

